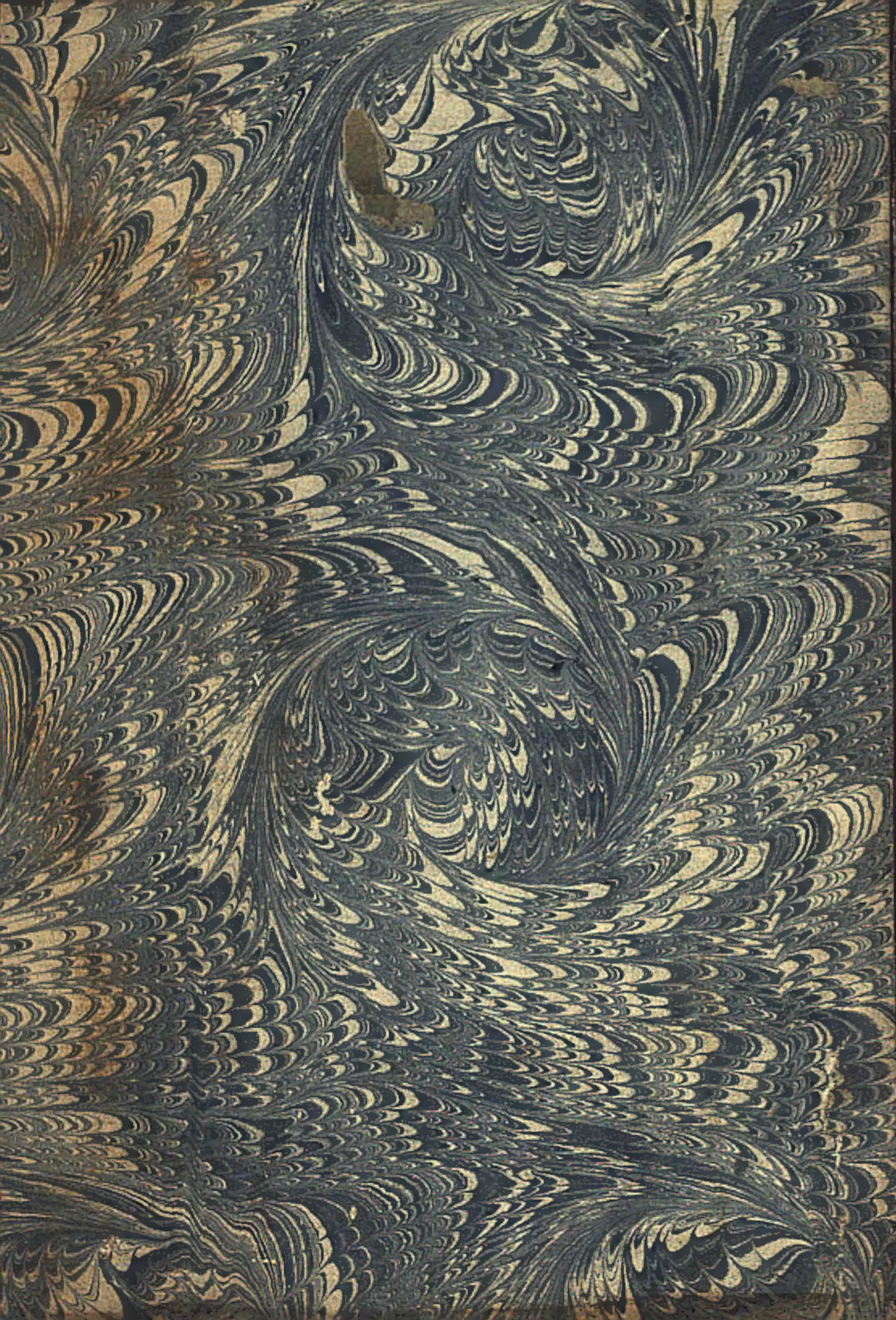

٢٦٢
١
٢٦٤
٢١٧ فكر لتقدد

٤٨٥

وقف هذا الكتاب الجليل من نفيس الأسلاف سلطان أهل الإسلاف والأخلاف
السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان دامت شوكته
مصروفا بالعدل والإحسان لمن طالع ودرس وتعلم
وتدرس جزء العصر دروس مصطفى المعلم
بأوقاف الحرمين المحترمين
غفر له

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı: Fatih
Yeni Kayıt No.:
Eski Kayıt No.: 385

K. 473

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى انزل الفرقان كلاما مؤلفا منظما ونزله بحسب المصالح منجما وجعله بالتوحيد
مفتتحا وبالاستفادة مختتما واوحاه الى قسمين متشابها وتحكما وفضله سورا وبسورة اياتا
وميز بينهن بفصول وغايات وما هى الا صفات مبتدى امبتدع وسمات منشئ مخترع فسبحان
من استأثر بالاولية والقدم ووسم كل شئ سواه بالحدوث لمن العدم انشاه كتابا ساطعا ببيانه
قاطعا برهانه وحيا ناطقا بنيات وحجج قرآنا عربيا غير ذى عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنياوية
مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية ومعجزا باقيا دون معجز على كل زمان دايرا من بين
ساير الكتب على كل لسان فى كل مكان اخرسه من طولب بمعارضته من العرب العربا وابكم به
من تحدى به من مصاقع الخطبا فلم يصد للاتيان بما يوازيه او يدانيه واحد من فصحايهم ولم ينهض
لمقدار اقصر سورة منه من بلقايهم على انهم كانوا اكثر من حصا البطحا واوفر عددا من رمال الدهنا
ولم ينهض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالافراط فى المضادة والمصارة والقايهما الشر
اشر على المعازة والمعادة ولقايهم دون المناضلة من احسابهم الخطط وركوبهم فى كل ما برومونه
الشطط ان ايهم احد بمخزية اتوه بمفاخر وان رامهم بماثرة رامووه بماثر وقد جرد لهم الحجة
اولا والسيف اخرا فلم يعارضوا الا السيف وحدث على ان السيف القاضب مخراق لاعب
ان لم تمض الحجة حدث فما اعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم ان البحر قد زخر فطمر على
الكوكب وان الشمس قد اشرقت فطمست نور الكواكب والصلاة على خير من اوحى اليه حبيب
اله ابى القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ذى اللوا فى بنى لوى ذى الفرع
المنيف فى عبد مناف بن قصى المنيت بالعصمة المؤيد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل
النبى الامى المكتوب فى التورية والانجيل وعلى اله الاطهار وخلفايه من الاختان

والاصحار

والاصحاب وعلى جميع المهاجرين والانصار اعلم ان مقدمة كل ذى علم وعمود
وكل صناعة طبقات العلما فيه متدانية واقدام الصناع فيه متقاربة او متساوية
ان سبق العالم العالم لم يسبقه الا بطى بسيره او تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه
الا بمسافة قصيرة واما الذى تباينت فيه الرتب او تحاكت فيه الركب ووقع فيه
السباق والتناصل وعظم التفاوت والتفاضل حتى الامر الى احد من الوهم متباعد
وترقى الى ان قد الف بواحد ما فى العلوم والصناعات من محاسن النكت والنفرد من
لطايف معان فيها مباحث للفكرة ومن غوامض اسرار محتجبة ورا استار لا يكشف
عنها من الخاصة الا اوحدهم واخصهم والاوسط منهم وفهم وعامتهم عماة عن ادراك
حقايقها باحداقهم نخاة فى يد التقليد لا يعن تمر نواصيهم واطلاقهم ثم ان املا العلوم
بما ينفر القرايح وانهضها بما يبهر الالباب القوادح من غرايب نكت يلطف مسلكها ومتمو عات
اسرار يدق سلكها علم التفسير الذى لا يتم لتعاطيه او احالة النظر فيه كل ذى علم
كما ذكر الحاحظ فى كتاب نظم القران فالفقيه وان برز على الاقران فى علم الفتاوى والاحكام
والمتكلم وان بذ اهل الدنيا فى صناعة الكلام وحافظ القصص والاخبار وان كان بين بنى
القرية احفظ والواعظ وان من الحسن البصرى اوعظ والنحوى وان كان انحى من سيبويه
واللغوى وان تملك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم احد لسلوك تلك الطرايق ولا يغوص
على شئ من تلك الحقايق الا رجل قد برع فى علمين مختصين بالقران وهما علم المعانى وعلم البيان
وتمهل فى ارتيادهما اونه وتعب فى التفتيش عنهما ازمنه وبعثه على تتبع بيانهما همة فى معرفة
لطايف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد ان يكون اخذ من ساير العلوم
حظ جامعا بين امرين تحقيق وحفظ كثيرا لمطالعات طويل المرجعات قد رجع زمانا ورجع
اليه وزد او زد عليه فارسا فى علم الاعراب مقدما فى حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل
الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقادها يقظان النفس دراكا للمحة وان لطف شانها
منتبها على الرمزة وان خفى مكانها لا كزا جاسيا ولا غليظا خافيا متصرفا اذا ذرية
باساليب النظم والنثر مرتاضا غير رويض يتلقح بنات الفكر قد علم كيف يرتب الكلام
ويولف وكيف ينظم ويرصف طالما دفع الى مضايقه ووقع فى مضاحضة ومزالقه
ولقد رايت اخوتنا فى الدين من افاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم

العربية والاصول الدينية كلما رجعوا الى في تفسير اية فابرزت لهم بعض الحقايق
من الحجب افاضوا في الاستحسان والتعجب واستطيروا شوقا الى مصنف يضم اطرافا
من ذلك حتى اجتمعوا الى مقترحين ان املي عليهم في الكشف عن حقايق التنزيل
وعيون الاقاويل في وجوه التاويل فاستعفيت فابوا الا المراجعة والاستشفاع
بمظنا الدين وعلما العدل والتوحيد والذي حداني في الاستعفا على علمي انهم طلبوا ما
الاجابة اليه على واجبة لان الخوض فيه كفرض العين ما ارى عليه الزمان من
ريابه احواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن ادنى هذا العلم فضلا ان يترقى
الى الكلام المسس على علمي المعاني والبيان فامليت عليهم مسئلة في الفواتح وطايفة
من الكلام في حقايق سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السوال والجواب طويل
الذيول والاذناب ولما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وان يكون لهم
منارا يقتفونه ومثالا يحتذونه فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والاناخة
بحرم الله فيتوجهت تلقا مكة وجدت في مجتاري بكل باد من فيه مسكة من اهلها
وقليل ما هم عطشى الاكباد الى الثغور على ذلك الحلي متطلعين الى ايناسه حراسا على
على اقتباسه فهذا ما رايت من عطفي وحرز الساكن من نشاطي فلما حططت الرحل
بمكة اذا انا بالشعبة السنية من الدرجة الحسنية الامير الشريف الامام شرف
آل رسول الله ابي الحسن علي بن حمزة بن وهاس ادام الله مجده وهو النكتة السامية
في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم اعطش الناس كبدا والهبهم حشى واوفاهم
رغبة حتى ذكر انه يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاغل
بمقطع الفيافي وطي المهامة والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابه هذا الغرض
فقلت قد ضاقت على المستفيح الحيل وعيت به العلل ورايتني قد اخذت مني السن
وتقعقع بالسن وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب فاخذت في طريقة
احضر من الاولى مع ضمان التكثير من الفوايد والفحص عن السراير ووفق الله وسدد
فضرع منه في مقدار خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان يقدر تماسه في اكثر
من ثلثين سنة وما هي الا اية من ايات هذا البيت الحرم وبركة افيضت على من بركات
هذا الحرم اسئل الله تعالى ان يجعل ما بقيت فيه فضله سببا بنجيتي ونورا على الصراط

يسعى

يسعى ويمينى ونعم المسئول

سورة الفاتحة الكنات سبع ايات مكية

وقيل مكية ومدنية لانها نزلت بمكة وبالمدينة اخرى وتسمى ام القران لاشتمالها
على المعاني التي في القران من الثنا على الله بما هو اهله ومن التعبد بالاوامر والنهي
ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها
تثنى في كل ركعة وسورة الصلوة لانها تكون فاضلة او مجزية بقرانها فيها وسورة
الشفا والشافية وهي سبع ايات بالاتفاق الا ان منهم من عد عليهم دون التسمية
ومنهم من مذهبه على العكس

بسم الله الرحمن الرحيم

قراء المدينة والبصرة والشام وفقها وهما على ان التسمية ليست باية من الفاتحة ولا من
غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك لابتدا بها كما بدي بذكرها في كل امر ذي
بال وهو مذهب ابي حنيفة ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء مكة
والكوفة وفقاوهما على انها من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه وكذلك
يجهرون بها وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بجريد القران ولذلك لم يثبتوا
امين فلولا انها من القران لما اثبتوها وعن ابن عباس رضي الله عنهما من تركها فقد ترك
ماية واربع عشرة اية من كتاب الله **فان قلت** بما تعلقت الباء **قلت** بمحذوف تقديره بسم الله
اقرا او اتلوا لان الذي يتلوا التسمية مقروء كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم الله
والبركات كان المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدا في
فعله ببسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبتدا له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله
تعالى في تسع ايات الى فرعون وقومه اي اذهب في تسع ايات وكذلك قول العرب في
الدعا للمعرس بالرفا والبنين وقول الاعرابي باليمن والبركة والمغنى عرست او نكحت
ومنه قوله فقلت الى الطعام فقال منهم فريق حسدا لانس الطعاما **فان قلت** لم قدرت
المحذوف متاخرا **قلت** لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق لانهم كانوا يبدون
باسما الهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص
اسم الله عز وعلا بالابتدا وذلك بتقديمه وتاخير الفعل كما فعل في قوله اياك نعبد حيث صرح
بتقديم الاسم لارادة الاختصاص والدليل عليه قوله بسم الله مجراها ومرساها **فان قلت**
فقد قال اقرا بسم ربك فقدم الفعل **قلت** هناك تقديم الفعل اوقع لانها اول سورة

نزلت فكان الامر بالقراءة فان قلت ما معنى تعلق اسم الله تعالى بالقراءة قلت فيه وجهان
احدهما ان يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى ان المؤمن لما اعتقد
ان فعله لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله تعالى لقوله عليه
السلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر والا كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا
باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني ان يتعلق بها تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت
بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرأ وكذلك قول الداعي للعرس بالرفاء والبنين معناه
اعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه اغرب واحسن فان قلت فكيف قال الله متبركا
باسمه اقرأ قلت هذا مقول على السنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك
قوله الحمد لله رب العالمين الى اخره وكثير من القراءات على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده
كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه فان قلت من حق حروف
المعاني التي جاءت على حرف واحد ان تبنى على الفتحة التي هي اخت السكون نحو كاف التشبيه
ولام الابتداء وواو العطف وفاء وغير ذلك فما بال لام الاضافة وبائها بنيتا على الكسر
قلت اما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء واما الباء فلكونها لازمة للحرفية
والجر والاسم احد الاسماء العشرة التي بنوا اوائلها على السكون فاذا نطقوا بها
مبتدئين زادوا همزة ليلا يقع ابتداؤهم بالساكن اذ كان دابهم ان يبتدئوا بالمتحرك
ويقفوا على الساكن لسلامته لفهم عن كل نكتة وبشاعة ولوضعها على غاية من
الاحكام والرصانة واذا وقعت في الدرج لم يفتقر الى زيادة شيء ومنهم لم
يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال بسمٌ وسمٌ قال باسم الذي في كل
سورة باسمه وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل
تصريفه كاسما وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لان التسمية تنوية بالمسمى
واشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبز وهو رفع الصوت
والنبز قشر النخلة الاعلى فان قلت فلم حذفت الالف في الخط واثبتت في قوله
باسم ربك قلت قد اتبعوا في حذفها حكم البدء دون الابتداء الذي عليه وضع
الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء تعويضا عن طرح الالف وعن عمر
ابن عبد العزيز قال لكاتبه طول الباء واظهر السينات ودور الميم الله اصله الاله

قال

قال معناه الاله ان تكون كالبية ونظيره الناس اصله الاناس قال ان المنايا يطلعن
على الاناس الامينا فحذفت الهمزة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء
يا الله بالقطع كما يقال يا اله والاله من اسماء الاجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل
معبود حق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك
السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما الله حذف الهمزة
تخصيصا بالمعبود بالحق ثم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق نالة والة وانشالة كما قيل
استنوق واستجمل في الاستنفاق من الناقة والجمل فان قلت اسم هو ام صفة قلت بل
اسم غير صفة الا ترى تصفه ولا تصف به لا تقول شيء رحمن وتقول اله واحد صمد كما تقول
رجل كريم جواد ايضا فان صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها
صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال فان قلت هل لهذا الاسم
اشتقاق قلت معنى الاشتقاق ان ينتظم الصفتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا
الاسم وصيغة قولهم اله اذا تحير من اخواته ثلة وثلة ينتظمهما معنى التحير والدهشة
وذلك ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتذهب الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا
الباطل وقل النظر الصحيح فان قلت هل تفخم لامه قلت نعم قد ذكر الزجاج ان تفخيمها
سنة وعلى ذلك العرب كلهم ما طباقهم عليه دليل على انهم ورثوه كابرا عن كابر الرحمن
فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم
من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمان الدنيا
والاخرة ورحيم الدنيا ويقولون ان الزيادة في المبنى لزيادة المعنى وقال الزجاج في
الغضبان هو الممتلئ غضبا ومتماطن على ادنى من ملح العرب انهم يسمون مركبا من مراكبهم
بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطايف لرجل
منهم ما اسم هذا الجمل اردت الجمل العراقي اليس ذلك اسمه الشقدف قلت بلى قال
اسمه الشقدان فزادني ساء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات العالية كالعدوان
والغيوق والصعق لم يستعمل في غير الله عز وجل كما ان الله من الاسماء العالية واما
قول بني حنيفة في مسيلمة رحمن اليمامة وقول شاعرهم فيه وانت غيث الورى فلا زلت
رحمانا فباب من تعنتهم في كفرهم فان قلت كيف تقول الله رحمان اتصرفه ام لا قلت

اقيسة على اخواته من بابه نحو عطشان وغرثان وسكران فلا اصرفه فان قلت قد شرط
في امتناع صرف فعلان ان تكون فعلان فعلى ولاختصاصه بالله بخطران فعلان فعلا قلم يعتبره
الصرف قلت كما خطر ذلك ان يكون له مونث على فعلى كعطشى فقد خطر ذلك ان يكون له
مؤنث على فعلانة كندمانة فاذا لا عبرة بامتناع التانيث للاختصاص عن العارض فوجب
الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظايره فان قلت ما معنى وصف
الله بالرحمة ومعناها بالعطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها قلت هو مجاز
عن انعامه على عباده لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم اصابهم بمعروفه وانعامه
كما انه اذا ادركه الغلظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه فان قلت فلم
قدم ما هو ابلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم
فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض قلت لما قال الرحمن فتناول اجلايل النعم وعظايمها
واصولها اردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف الحمد لله رب العالمين
الحمد والمدح اخوان وهو الثنا والثنا على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه
وحمدته على حسبه وشجاعته واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان خاصة
والجوارح قال افادتكم النعما منى ثلاثة يدى ولسانى والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو احدى
شعب الشكر ومنه قوله عليه السلام الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله راس
الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثنا على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وادراس
الجوارح لخفا عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذى
يفصح عن كل خفى ويجلى كل مشتبه والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد
بالابتدا وخبره الظرف الذى هو لله واصله النصب الذى هو قراة بعضهم باضمار فعله على انه
من المصادر التى تنصبها العرب بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا
وما اشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة افعالها ويسدون بها مسدها
ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدل بها عن النصب
الى الرفع على الابتدا للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام
رفع السلام الثانى للدلالة على ان ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه حياهم بتحية احسن
من تحيتهم لان الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا

ولذلك

ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان الحمد هم له كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد
فان قلت ما معنى التعريف فيه قلت هو نحو التعريف في ارسلنا العراك وهو تعريف الجنس ومعناه
الاشارة الى ما يعرفه كل احد في ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس الاجناس الافعال والاستغراق
الذى تتوهمه كثير من الناس وهو منهم وقرا الحسن البصرى الحمد لله بكسر الدال لاتباعها اللام وقرا
ابراهيم ابن ابى عبلة الحمد لله بضم الدال لاتباعها الدال والذى جسر هما على ذلك والاتباع انما يكون
في كلمة واحدة كقولهم منتن الجبل ومغيره تنزل الكلمتين منزلة كلمة واحدة لكثرة استعمالهما مقرونتين
واسف القراتين قراة ابراهيم حيث جعل الحركة الثانية تابعة للاعرابية التى هى اقوى بخلاف قراة
الحسن الرب المالك ومنه قول صفوان لابى سفين لأن يربنى رجل من قريش احب الى من ان يربنى
رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول ثمره يثمره فهو ثمر ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر
لمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره على التقييد بالاضافة
كقولهم رب الدار ورب الناقة قال تعالى ارجع الى ربك انه ربى احسن مثواى وقرا زيد ابن على رضى
الله عنهما ربَّ العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كانه قيل نحمد الله رب العالمين العالم
اسم لذوى العلم من الملايكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض فان قلت
لم جمع قلت ليشمل كل جنس مما سمى به فان قلت فهو اسم غير صفة وانما يجمع بالواو والنون
صفات العقلاء وما في حكمها من الاعلام قلت ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهى الدلالة على
معنى العلم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قرى ملك يوم الدين ومالك وملك يوم الاختيار لانه قراة
اهل الحرمين بتخفيف اللام وقرا ابو حنيفة ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرا
ابو هريرة مالك بالنصب وقرا غيره ملك يوم بالنصب على المدح ومنهم من قرا مالك بالرفع وملك
هو الاختيار لانه قراة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم
والملك يخص ويوم الدين يوم الجزا ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوا العدوان
دناهم كما دانوا فان قلت هذه الاضافة قلت هى اضافة اسم الفاعل الى الظرف على
طريق الاتساع فجرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار والمعنى على الظرفية فيه
ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم فان قلت فاضافة اسم الفاعل
اضافة غير حقيقية فلا تكون معرفة معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة قلت
انما يكون غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال والاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك

مالك الساعة او مدافاما اذا قصد معنى الماضى كقولك هو مالك عبده امس او زمان مستمر
كقولك زيد مالك العبيد كانت بالاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وبهذا هو المعنى فى
مالك يوم الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كما قال الله تعالى ونادى
اصحاب الجنة اصحاب النار ونادى اصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة ابى حنيفة ملك
يوم الدين وهذه الاوصاف التى اجريت على الله سبحانه وتعالى من كونه ربا مالكا للعالمين
لا يخرج منهم شئ من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة
والجلايل والدقايق ومن كونه مالكا للامر كله فى العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الكلية
على اختصاص الحمد به وانه به حقيق فى قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن
احد احق منه بالحمد والثنا عليه بما هو اهله **اياك نعبد واياك نستعين** اياضمير منفصل
للمنصوب واللواحق التى تلحقه من الكاف والهاء والياء فى اياك وليست باسماء مضمرة وهو
مذهب الاخفش وعليه المحققون واما ما حكاه الخليل من بعض العرب اذا بلغ الرجل
الستين فاياه واياء الشواب فشيء وشاذ لا يعمل عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص
كما قال الله تعالى قل افغير الله تامرونى اعبد قل اغير الله ابغى ربا والمعنى نخصك بالعبادة
ونخصك بطلب المعونة وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب
الهمزة هاء قال طفيل الغنوى فهياك والامر الذى ان تراحبت موارده وضاقت عليك مصادره
والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان فى غاية الصفاقة وقوة
النسج ولذلك لم تستعمل الا فى الخضوع لله تعالى لانه مولى اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية
الخضوع **فان قلت** لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب **قلت** هذا يسمى الالتفات
فى علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة الى التكلم كقوله تعالى
حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم وقوله تعالى والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه
وقد التفت امرء القيس ثلاث التفاتات فى ثلاثة ابيات تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلى ولم
ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذى العايرة الارمد ولان الكلام اذا نقل من اسلوب الى
اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغا اليه من اجرائه على
اسلوب واحد موقد يختص مواقعه بفوايد جمة اخر هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق
بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثنا وغاية

الخضوع

الخضوع له والاستعانة فى المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من
هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعين لكون الخطاب ادل الى ان العبادة
له لذلك التميز الذى لا تحق العبادة الا به **فان قلت** لم قرنت الاستعانة بالعبادة **قلت** ليجمع
بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته **فان قلت** فلم قدمت
العبادة على الاستعانة **قلت** تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها **فان قلت**
لم اطلقت الاستعانة **قلت** ليتناول كل مستعان فيه والاحسن ان تراد الاستعانة به وبتوفيقه
على اداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط
المستقيم وانما كان احسن لما فيه من الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض وقرا ابن حبيش نستعين بكسر
النون **اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم** هدى اصله ان يتعدى باللام او بالى كقوله
ان هذا القران يهدى للتى هى اقوم وانك لتهدى الى صراط مستقيم فحمل معاملة اختار فى قوله واختار
موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى منح الالطاف كما فى قوله تعالى والذين
اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن على وابى رضى الله عنهما اهدنا
ثبتنا وصيغة الامر والدعا واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان فى الرتبة وقرا عبد الله
ارشدنا الصراط الجادة عن سوط السيى اذا اتبعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمى
لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لاجل الطا كقولك مسيطر فى مصيطر وقد تشم
الصاد صوت الزاى وقرا بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهى لغة قريش وهى الثانية فى
الامام ويجمع صرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويونث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة
الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو فى حكم تكرير العامل كانه قيل
اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين انعمت عليهم كما قال تعالى للذين استضعفوا لمن امن
منهم **فان قلت** ما فايدة البدل فهلا قيل اهدنا الصراط الذين انعمت عليهم **قلت** فايدة التوكيد
لما فيه من التنبيه والتكرير والاشعار بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون
ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه واكده كما تقول هل ادلك على اكرم الناس
وافضلهم فلان فيكون ذلك فى وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل
لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا وايضا قلت فلان تفسيرا وايضاحا للاكرم الافضل فجعلته
علما فى الكرم والفضل وكانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو الشخص المعين لاجتماعهما

فيه غير مدافع ولا منازع والذين انعمت عليهم هم المومنون واطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم
الله عليه بنعمة الاسلام لم يبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم اصحاب
موسى قبل ان يغيروا وقيل الانبيا وقرا ابن مسعود صراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضا
غير المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت عليهم على ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال
او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهى نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال
فان قلت كيف صح ان يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان اضيف الى المعارف قلت الذين
انعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبنى ولان المغضوب عليهم والضالين خلاف
المنعم عليهم فليس فى غير الابهة الذى ياتى عليه ان يتعرف وقرى بالنصب على الحال وهى قراة رسول الله
صلى الله عليه وعلى اله وسلم وعمر بن الخطاب رضى الله عنه وروى عن ابن كثير وذو الحال الضمير فى
عليهم والعامل انعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالون
هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل فان قلت ما معنى غضب الله قلت هو ارادة الانتقام
من العصاة وانزال العقوبة بهم ما يفعل الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه
ونساله رضاه ورحمته فان قلت اى فرق بين عليهم الاولى الثانية قلت الاولى محلها النصب
على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية فان قلت لم دخلت لا فى ولا الضالين قلت لما فى
غير معنى النفى كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول انا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك انا
زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلى رضى الله عنهما انهما قرا وغير
المغضوب وقرا ايوب السختيانى ولا الضالين بالهمز كما قرا عمرو بن عبيد ولا جآن وهذه لغة من جدة
فى الهرب من التقا الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شابة ودابة امين صوت سمى به
الفعل الذى هو استجب كما ان رويد وجيل وهلم اصوات سميت بها الافعال التى هى امهل واسرع
واقبل وعن ابن عباس رضى الله عنهما سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى امين فقال افعل
وفيه لغتان مد الهمزة وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال امينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا
وعن النبى صلى الله عليه وعلى اله وسلم لقننى جبريل عليه السلام امين عند فراغى من قراة الفاتحة وقال
انه كالختم على الكتاب وليس من القران بدليل انه لم يثبت فى المصاحف وعن الحسن لا يقولها
الامام لانه الداعى وعن ابى حنيفة مثله والمشهور عنه وعن اصحابه انه يخفيها وروى الاخفا
عبد الله بن مغفل وانس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم وعند الشافعى
رضى الله عنه يجهر بها وعن وايل بن حجر ان النبى صلى الله عليه وعلى اله وسلم كان اذا قرا ولا

الضالين

الضالين قال امين ورفع بها صوته عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه قال لابى بن كعب رضى الله عنه
الا اخبرك بسورة لم ينزل فى التورية والانجيل والقران مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب
انها السبع المثانى والقران العظيم الذى اوتيته وعن خديفة بن اليمان ان النبى صلى الله عليه وعلى
اله وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبى من صبيان لهم فى الكتاب
الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مائتان وثمانون وسبع ايات وفى رواية مدنية وهى مائتان وسبع وثمانون اية غير اية نزلت يوم عرفة بمنى وهى قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الم اعلم ان الالفاظ التى يتهجى بها اسما مسميا تها الحروف المبسوطة التى منها تركيب الكلم فقولك
صاد اسم من يسمى به صه من ضرب اذا تهجيته وكذلك راويا اسمان كقولك ربه وقد وقعت
فى هذه التسمية الطيفة وهى من المسميات لما كانت الفاظا كاسامينا وهى حروف وحدان والاسا
عدد حروفها مرتق الى الثلثة اتجه لهم طريق الى ان يدلوا فى التسمية فلم يقفلوها وجعلوا المسمى
صدر كل اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا
ومما يضاهيها فى ايداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم
تلها العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفة كاسما الاعداد فيقال الف لام ميم كما تقول
واحد اثنان ثلثة فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب كقولك هذه الف كتبت الفا ونظرت
الى الف وهكذا كل اسم عمدت الى تادية ذاته فحسب قبل ان يحدث فيه بدخول العوامل شىء من
تاثيراتها فحقك ان تلفظ بها الا ترى انك اذا اردت ان تلقى على الحاسب اجناسا مختلفة ليرفع
حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها اغفالا من سمة الاعراب فتقول دار غلام جارية ثوب بساط
ولو اعربت لكنت شططا فان قلت لم تضيت هذه الالفاظ بالاسمية وهلا زعمت انها
حروف كما وقع فى عبارات المتقدمين قلت قد استوضحت بالبرهان النيرانها اسما
غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف الى التسامح وقد وجدناهم متسامحين فى تسمية
كثير من الاسما التى لا يقدح اشكال فى اسميتها كالظروف وغير بالحروف ومستعملين الحرف فى
معنى الكلمة وذلك ان قولك الف دلالته على وسط حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان
الخصوص لا فصل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين الا ترى ان الحرف ما دل على معنى فى غيره

وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه ولانها متصرف فيها بالامالة كقولك يا تا وبا التفخيم كقولك يا ها
وبا التعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد والاضافة وجميع ما للاسما المتصرفة ثم
الى عشرة من جانب الخليل ابن على نص في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسال اصحابه كيف تقولون
اذا اردتم ان تلفظوا بالكاف التي في لك والبا التي في ضرب فقيل نقول يا كاف فقال انما جئتم
بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول كه به وذكر ابو على في كتاب الحجة في ياسين وامالة انهم قالوا
في النداء يا زيد فاملوا وان كان حرفا قال فاذا قالوا املوا فالاميال من الحروف من اجل الاسم فان
يميل الاسم الذي هو ياسين اجدر الا ترى ان هذه الحروف اسما لما يلفظ بها فان قلت من اي قبيل
هي من الاسما معربة او مبنية قلت بل هي اسما معربة وانما بنيت سكون زيد وعمرو وغيرهما
من الاسما حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضية وموجبه والدليل على ان سكونها وقف وليس بنا
انها لو بنيت لحدى بها حد وكيف وابن وهولاء ولم يقل ضاد تون مجموعا فيهما بين الساكنين فان
قلت فلم لفظ المتهجي بها اخره الف منها مقصورا فلما اعرب مد فقال هذه با ديا وها وذلك التحيل
وزالها وان قولك لا مقصورة فاذا جعلتها اسما مددت فقلت كتبت لا قلت هذا التحيل بما
لحقته من الدليل والسبب في ان قصرت مدهجاة ومدت حين مسها الاعراب الى حال التهجي خليقة
بالاخف الاوجز واستعمالها فيه اكثر فان قلت قد تبين انها اسما الحروف المعجم وانها من قبيل المعربة
وان سكون اعجازها عند الهجا لاجل الوقف فما وجه وقوعها في هذه الصورة فواتح السور قلت
فيه اوجه احدها وعليه اطباق الاكثر انها اسما للسور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي
كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف بباب اسما السور وهي في ذلك على ضربين احدها الا يتاتى فيه
اعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتاتى فيه الاعراب واما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون
او اسما عدة مجموعها على زنة مفرد كحمعسق وطس وبس فانها موازنة
لهابيل وقابيل وكذلك حمعسق يتاتى فيها ان تفتح اولها وتصير ميم مضمومة
الى طس فتجعل اسما واحدا كما تجرد في النوع الاول محكي ليس الا واما النوع الثاني فسايغ فيه
الامران الاعراب والحكاية قال قائل محمد بن طلحة السجاد وهو سيرج بن اوفى العنسي يذكر في
حاميم والرمح ساجر فلا تلاحاميم قبل التقدم فاعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما
اعرب من اخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتانيث والحكاية ان تجي بالقول
بعد قله على استبقا صورته الاولى كقولك دعني من تمرتان وبدات بالحمد لله وقرات سورة

انزلناها

انزلناها وقات وجدنا في كتاب بني تميم احق الركض بالخيل المغار وقال ذو الرمة سمعت الناس
ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا وقال اخر تنادوا بالرحيل غدا وفي ترحالهم نفسي وروى
منصوبا ومجرورا وتقول اهل الحجاز في استعلام من يقول رايت زيدا من زيدا وقال سيبويه سمعت
من العرب لا من اين يافتى فان قلت فما وجه قراة من قرا صاد وقاف ونون مفتوحات
قلت الاوجه ان يقال ذاك نصب وليس بفتح وانما لم يصبه التنوين لامتناع على ما ذكرت
وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكروا وقرا جار سيبويه مثل ذلك في حم وطس وبس لعثرى به وحكى
ابو سعيد السيرافي ان بعضهم قرا ياسين ويجوز ان يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرا من قرا
ولا الضالين فان قلت هلا زعمت انها مقسم بها وانما نصبت نصب قولهم نعم الله لافعلن
واي الله لافعلن على حذف الجر واعمال فعل القسم وقال ذو الرمة الارب من قلبي الله ناصح وقال
اخر فذاك امانة الله اليزيدي قلت ان القران والعلم بعد هذه الفواتح محلوف بها فلو زعمت
ذلك لجمعت بين قسمين على مقتسم عليه واحد وقد استنكروا ذلك قال الخليل في قوله تعالى والليل
اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواو الاخرتان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوات
اللتان يضمان الاسما الى الاسما في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة البا والتا قال سيبويه قلت
للخليل لا يكون الاخرتان بمنزلة الاولى فقال انما اقسم بهذه الاشيا على شي ولو كان انقضى قسمه
بالاولى على شي ان يستعمل كلاما اخر فيكون كقولك يا الله لافعلن تالله لاخرجن ولا تقول ان تقول
وحقك وحق زيد لافعلن والواو الاخرة واو قسم لا يجوز الا مستكرها قال وتقول وحياتي ثم حياتك
لافعلن فثم ههنا بمنزلة الواو هذا ولا سبيل فيما نحن بصدده الى ان تجعل الواو للعطف الى القسم الثاني
الاول في الاعراب فان قلت تقدرها مجرورة باضمار البا القسمية لا يجد فيها فقد جا عنهم
الله لافعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه ابوك غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل
الواو للعطف حتى يستقيم لك المصير الى نحو ما اشرت اليه قلت هذا لا يبعد عن الصواب
ويعضده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما الله بهذا الحرف فان قلت فما وجه قراة
بعضهم صاد وقاف بالكسر قلت وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقا الساكنين والذي
يبسط من عذر المحرك ان الوقف لما استمر بهذه الاسامي شاكلت ذلك ما اجتمع في اخره ساكنان
من المبنيات فعوملت تاره معاملة الان واخرى معاملة هولاء فان قلت هل يسوغ لي في
المحكية مثل ما سوغت لي في المعربة من اراده معنى القسم قلت لا عليك في ذلك وان تقدر حرف

القسم مضمرا في نحو قوله تعالى حم والكتاب المبين كانه قيل اقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين
انا جعلناه واما قوله عليه السلام حم لا ينصرون فيصلح ان يقضى بالجر والنصب جميعا على حذف الجار
واضماره **فان قلت** فما معنى تسمية السور بهذه الالفاظ بخاصة **قلت** كان معنى في
ذلك الاشعار بان القرآن ليس الا كلما عربية معروفة التركيب من سميات هذه الالفاظ كما قال
الله قرآنا عربيا **فان قلت** فما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف لا على صور اسامیها **قلت**
لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة حتى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت
وكيت ان يلفظ بالاسما وتقع في الكتابة الحروف انفسها عمل على تلك الشاكلة المالوفة في كتابة هذه
الفواتح وايضا فان شهرة امرها وفاشية السر الاسود والاحمر وان اللافظ بها غير متهجاة لا على بطائر
منها وان بعضها منفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده امنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت
في خط المصحف اشيا خارجة عن القياسات التي بني عليها علم الخط والهجا ثم ما عاد ذلك يصير لا نقصان
لاستقامة اللفظ وبقا الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله بن دستورية
في كتاب المترجم به كتاب الكتاب المتمم في الخط والهجا خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط
العروض لانه يثبت فيها ما ابتدئه اللفظ وبقاء الحفظ ويسقط عندنا اسقطه والوجه الثاني ان يكون
ورود هذه الاسما هكذا مسرودة على نمط التعديد كالايقاظ وقوع العصا لمن يجدي بالقرآن وبقراءته نظم
وكالتحريك للنظر في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عن اخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه
كلامهم ليوديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم يتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن ان يأتوا
بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم امرا الكلام وذعما الخطباء وهم الحراص على التساجل في اقتحام
الخطب والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز ولم يبلغ من الحراكة وحسن النظم البالغ
التي بلغت بلاغة كل ناطق وشقت كل سابق وكم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحا ولم يقع ردا
مطامح اعين البصرا الا انه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من
القوة والخلافة بالقبول بمنزل ولناصره في الاول ان يقول ان القرآن انما نزل لسان العرب
مصبوبا في اسالبهم واستعمالاتهم والعرب لم يتجاوزوا ما سموا به مجموع اثنين ولم يسم احد منهم
مجموع ثلثة اسما واربعة وخمسة والقول بانها اسما السور حقيقة يخرج الى ما ليس في لغة
ويودي ايضا الى صيرورة الاسم والمسمى واحدا فان اعتراضت عليه بانه قول مقول على وجه
الدهر بانه لا سبيل الى رده اجابك بان له محملا سوى ما يذهب اليه وانه نظير قول الناس فلان

يروى

يروى قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله
ويوصيكم الله في اولادكم والله نور السموات والارض وليست الجمل باسامي هذه القصايد وهذه
السور والآي وانما تعني رواية القصيدة التي ذلك استهلالها وتلاوة السور والآية التي
فاتحتها فلما جرى الكلام على اسلوبه يقصد التسمية واستفيد منها ما يستفاد من التسمية
قالوا انه على المجاز دون الحقيقة والمجيب عن اعتراضين على الوجه ان يقول التسمية بثلاثة
فصاعدا مستنكرة لغرى وخروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا على طريقة
حضرموت واما غير مركبة منثورة نثر اسما العدد فلا استنكار فيها لانها من باب التسمية
بما حقه ان يحكى حكاية كاسموا نا بطشرا وترق وشاب قرناها كما لو سمي بزيد منطلق او ببيت
شعر وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبنى التسمية من اسما حروف
المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك **واما** تسمية كلها بقا تحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى
واحدا لانها تسمية مولف بمفرد والمولف غير المولف الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مولفا منه
ومن حرفين مضمومين اليه كقولهم صاد قلم من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم
مولفا والمسمى مفردا **والوجه** الثالث ان ترد السور مصدرة بذلك ليكون اول ما يقرع الاسما ٤
مستقلا بوجه من الاعراب وتقدمة من دلايل الاعجاز وذلك ان البطق بالحروف انفسها
كانت العرب فيه مسيوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستخرجا
مستبعدا من الامي البكم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال الله عز وجل وما كنت تتلوا من
قبل من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع استيهان
انه لم يكن ممن اقتبس شيا من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش
ومن دان بدينها في شي من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة
نبوته وبمنزلة ان يتكلم بالرطانة من غير ان يسمعها احد **واعلم** اذا تاملت ما اورده الله
تعالى في الفواتح من هذه الاسما وجدتها نصف سامي حروف المعجم اربعة عشر سوا **وهي**
الالف • واللام • والميم • والصاد • والرا • والكاف • والها • والياء • والعين • والطا • والسين •
والحا • والقاف • والنون في تسع وعشرين على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة
عشر وجدتها مشتملة اصناف اجناس الحروف **بيان** ذلك ان فيها من المهموسة نصفها
الصاد • والكاف • والها • والسين • والحا **ومن** المجهورة نصفها • الالف • واللام • والم

والراء والعين والطاء والكاف والقاف ومن المتوسطة نصفها الالف والهاء والكاف
والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والرا والصاد والهاء والعين والسين
والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطا ومن المنفتحة نصفها الالف
واللام والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية
نصفها القاف والصاد والطا ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والواو
والكاف والهاء والياء والعين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها
القاف والطا ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رايت الحروف التى القى الله ذكرها من هذه
الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذى وقت فى كل شى حكمته وقد علمت ان
معظم الشى وجل يتنزل منزلة كله وهو المطابق للطايف التنزيل واختصاراته فكاف الله عز وعلا
عدد على العرب الالفاظ التى منها تراكيب كلامهم اشاره الى ما ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة
اياهم ومما يدل على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا فى تراكيب الكلم ان الالف واللام
لما تكاثر وقوعها فيهما جاءا فى معظم هذه الفواتح مكررتين وهى فواتح سورة البقرة وآل عمران
والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابراهيم وهود
والحجر فان قلت فهلا عددت باجمعها فى اول القران وما لها جاءت مفرقة على السورة
قلت لان اعادة التنبيه على المتحدى به مولف منها لا غير وتجديده فى غير واحد اوصل
الى الغرض واقتر له فى الاسماع والقلوب من ان يفرد ذكره مرة وكذلك كل تكرير جاء فى القران
فمطلوب به تمكن المكرر فى النفوس وتقريره فان قلت فهلا جاءت على وتيرة واحدة فلم
اختلفت اعداد حروفها فوردت ص وق ونون على حرف وطه ويس وحم
على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة احرف والمص والمر على اربعة احرف
وكهيعص وحمعسق على خمسة احرف قلت هذا على عادة افتنانهم فى اساليب الكلام
وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب عدة وكان ابنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة
احرف لم يجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك فان قلت فما وجه اختصاص
كل سورة بالفاتحة التى اختصت بها قلت اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادى كلها فى تادية
هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب الاخر بلا سابق سابقا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده زيد
والاخر عمرا والمرتقب لم خصصت ولدك هذا بزيد وهذا بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو

حاصل

حاصل اية سلك ولذلك لا يقال لم سمى هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولما قيل للاعتماد الضرب
وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود فان قلت ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح اية دون
بعض قلت هذا علم توقيفى لا مجال للقياس فيه بمعرفة السورة اما المر فانه حيث وقعت من
السورة المفتتحة بها وهى ست وكذلك المص اية والمر لم تعد اية والر ليست باية فى
سورها الخمس وطسم اية فى سورتها وطه ويس اثنتان وطس ليست باية وحم اية فى سورها
كلها وحم عسق اثنتان وكهيعص اية واحدة وص وق ونون ثلثتها لم تعد اية هذا
مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيا منها اية فان قلت فكيف عدها وهى فى حكم كلمة
واحدة اية قلت كما عد الرحمن وحده ومدهامتان وحدها ايتين على طريق التوقيف
فان قلت ما حكمها فى باب الوقف قلت يوقف على جميعها وقف التام اذا جعلت على استقلال
مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسما للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات او
جعلت وحدها اخبارا ابتداء محذوف كقوله تعالى الم الله اى هذه الم ثم ابتدا فقال الله لا اله
الا هو فان قلت هل لهذه الفواتح محل من الاعراب قلت نعم لها محل فيمن جعلها اسماء
للسور لانها عنده كساير الاسما والاعلام فان قلت ما محلها قلت يحتمل الاوجه الثلثة
اما الرفع فعلى الابتدا واما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على
القولين ومن لم يجعلها اسما للسور لم يتصور ان يكون لها محل فى مذهبه كما لا محل للجمل المبتدائية
والمفردات المعدودة ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين فان قلت لم صحت الاشارة
بذلك اذا ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقتضى
المقتضى فى حكم المتباعد وهذا فى كل كلام يحدث الرجل ثم يقول وذلك ما لا شك فيه وكسب
المحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال الكاسا
علمنى ربى ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع فى حق البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته
شيا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذى وعدبه فان قلت لم ذكر اسم الاشارة
والمشار اليه مونث وهو السورة قلت لا اخلو من ان اجعل الكتاب خبره او صفته فان
جعلته خبره كان ذلك فى معناه وسماه بجاز اجرا حكمه عليه فى التذكير كما اجرى عليه فى التانيث
فى قولهم من كانت امك وان جعلته صفته فانما اشير به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة
يشار به الى الجنس الواقع صفة لا تقول ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا وقال

الدنيا فى بيت نعما على الجيران عاتبة ٭ سقيا ورعيا لذلك العاتب الزارى فان قلت اخبرنى عن
تاليف ذلك الكتاب مع الم قلت ان جعلت الم اسم للسورة ففى التاليف وجهان ان يكون الم
مبتدا وذلك مبتدا ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدا الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب
الكامل فى الرجولية الجامع لما يكون فى الرجال من مرتضيات الخصال وكما قال وان الذى
حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو
ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدا محذوف اى هذه الحروف ويكون ذلك خبرا
ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الحروف وذلك الكتاب جملة اخرى وان
جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدا خبره الكتاب اى ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب
الكامل او الكتاب صفة والخبر ما بعده وقدر مبتدا محذوف اى هو يعنى المولف من هذه
الحروف ذلك الكتاب وقرا عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتاليف هذا ظاهر والريب
مصدر رابنى اذا احصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى
الحسن بن على رضى الله عنهما انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم دع ما يريبك
الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمانينة اى فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق
له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمين له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما
يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوايبه ومنه انه مر عليه السلام بظبى حاقف فقال لا
يريبه احد بشر فان قلت كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم مرتاب فيه قلت
ما نفى ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفى كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح
الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغى لمرتاب ان يقع فيه الا ترى الى قوله وان كنتم
فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فما ابعد وجود الريب منهم وانما عرفهم
الطريق الى ازيل الريب وهو ان يجربوا انفسهم ويروزوا قواهم على البلاغة هل تتم للمعارضة
ام تنضال دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة فان قلت
لا لا عدم الظرف على الريب كما تقدم على القول فى قوله لا فيها غول قلت لان القصد فى
نفى الريب حرف النفى نفى الريب عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون
يدعونه ولو الى الظرف لقصد الى ما يبعد عن المراد وهو ان كتابا اخر فيه الريب لا فيه كما قصد
فى لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بنفى الاغتيال العقول كما تغتالها هى كانه قيل ليس

فيها

فيها ما فى غيرها من هذا العيب والتنغيص وقرا ابو السمال لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين
المشهورة ان المشهورة تجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع
وعاصم انهما وقفا على ريب ولا بد للواقف من ان ينوى خبرا فتقديره قال الله تعالى قال الاخفش
وقول العرب لا باس وهى كثيرة فى لسان اهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه هدى الهدى مصدر على فعل
كالبيرى والبكا وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة فى مقابلته قال تعالى اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى و قال على هدى او فى ضلال مبين ويقال مهدى فى موضع المدح
كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع فى خلاف معنى اصله فان قلت فلم قيل
هدى للمتقين وللمتقون مهتدون قلت هو قولك الزيد المكرم اعزك الله واكرمك تريد الطلب
للزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته كما قال تعالى اهدنا الصراط المستقيم ووجه اخر وهو انه سلم
عند سلامتهم لا كيسا الباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم من قتل
قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس رضى الله عنهما اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل
الضالة ويكف الحاجة فسمى المسافر للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالا ومنه قوله
متوجل ولا بلدوا الا فاجرا كفارا اى صايرا الى الفجور والكفر فان قلت فهلا قيل هدى للضالين
قلت لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم
ان مصيرهم الى الهدى بعد الضلال واختصر الكلام باجرايه على الطريقة التى ذكرنا فقيل هدى
للمتقين وايضا فقد جعل ذلك سلما الى تمييز السورة التى هى اولى الزهراوين وسنام القران واول
المثانى بذكر اولياء الله والمرتضيين من عباده ق والمتقى فى اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى
والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقى من وجاها اذا اصابه طلع من غلظ
الارض ودقة الى ارفه ويقى حافره ان يصيبه ادنى شىء يولمه وهو فى الشريعة الذى يقى نفسه تعاطى
ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك واختلف فى الصغاير وقيل انه لا يتناولها لانها تقع مكفرة
عن مجتنب الكبايرو قيل يطلق على الرجل اسم المومن لظاهر الحال والمتقى لا يطلق الا عن خبره كما يجوز
اطلاق العدل الا على المشهود بعدله هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدا محذوف او خبر مع لا ريب فيه
لذلك او مبتدا اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينتصب على الحال والعامل معنى الاشارة
والظرف والذى هو اوضح عرفانى الى الاشارة ان يشار به عن هذه الحال صفتا وان يقال ان الم جملة
من اسمها او طايفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية وهى للمتقين

رابعة وقد اصيب ترتيبها مفصل البلاغة وملوجبة حسن النظم حيث جئ بها مسقة مكررة
من غير حرف نسق وذلك لجهات منها افيدة اخذ بعضها بعض بالبداية متجرة بالاولى متنقلة
وصل جرى الى الثالثة والرابعة بيانات ذلك الصفة الاولى ان الكلام المتوجه به الى من اشير اليه
بانه الكتاب الموصوف بغاية الكمال فكان تقرير الجهة المقتضية وتنزيلا من تعنادهم ثم نفى هذه الجهة
تثبيتا به طرف من الريبة فكان شهادة وتنبيها بكماله لانه لا كمال اكمل من الحق واليقين ولا نقص اقص
من الباطل والشبهة وقيل ليس هذا اعلى فيه لانه قال فيه هدى للمتقين اتضاحا وفي شبهة تنتفي الاتضاحا
ثم اخبر عنه بانه هدى المتقين فقد يدل الكون فيه لا يجوز الشك فيه وحقه لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه ثم امتحان كل واحدة من الاربع بيان ترتيب هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا
النظم السري من نكتة دات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المعنى بالطبع وجه والشك في
الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم من الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف
وتقديم المسند الذي هو اجدى موضع الذي يحذف وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين زائدا
الاعلى اصرار كلامه وتجنبا لكثرة تنبيه الوقوف على العمل بما فيه الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون
الصلوة ومما رزقناهم ينفقون الذين يؤمنون اما موصولة بالمتقين على الصفة جرت او
مدح منصوب او مرفوع تبعا لمن الذين يؤمنون واما منقطع عن المتقين على الوقوع على الابتداء
مخبرا عنه باولئك على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام واذا كان منقطعا
كان وقفا تاما فان قلت ما فائدة الصفة وارد تعيينا او كشفا للمتقين او مدحا وتعظيما مع المتقين
تعيد غير فائدتها اجريت على سبيل المدح والثنا كصفات الله تعالى الجارية عليه تمجيدا قلت
يحتمل ان ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما اسست عليه حال المتقين من خصال الحسنا
وترك السيئات اما الفصل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات ومنها وذكر
الصلوة والصدقة لانهما نتيجتان اما العبادات البدنية والمالية وهما السيران على غيرهما السبعة
كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر
ترك الصلوة وسمى الزكوة قنطرة الاسلام قال تعالى ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة فلما
كانا بهذه المثابة كان من شانهما استغراق سائر العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام
اختصارا بان استغنى عن عد الطاعات بذمام كالعنوان لها والذي اذا وجد لم يتوقف اخواته
ان يقترن به مع ما في ذلك من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين واما التوكيد فكذلك الاقرار الى

قوله

قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل ان لا يكون بيانا للمتقين ويكون صفة برأسها
دالة على فضل الطاعات وبرا بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل ان يكون مدحا للموصوفين
بالتقوى وتخصيصا للايمان بالغيب واقام الصلوة وايتا الزكوة بالذكر اظهارا لايمان
فيها على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات والايمان افعال من الامن يقال
امنته وامنته غيري ثم يقال امنه اذا صدقه وحقيقته امنه التكذيب والمخالفة واما
تعديته بالباء فلتضمينه معنى اقر واعترف واما ما حكى ابو زيد عن العرب ما آمنت ان اجد
صحابة اي ما وثقت فحقيقته ضربت ذا امن به اي ذا سكون واطمأنينة وكلا الوجهين
حسن في يؤمنون بالغيب اي تقترون به او يتقون بايه حق او يجوز ان يكون بالغيب
صلة للايمان وان يكون في موضع الحال اي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته
ملتبسين به بالغيب كما قال الله عز وجل الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني لم اخنه
بالغيب ويعضده ما روي ان اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله وسلم وايمانهم فقال ابن مسعود ان امر محمد كان بينا لمن راه والذي لا اله غيره
ما آمن مؤمن افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الاية فان قلت فما المراد بالغيب
ان جعلته صلة وان جعلته حالا قلت ان جعلته صلة كان بمعنى الغائب اما تسمية
بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب
والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا وعن النضر بن شميل شربت الابل حتى
وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الحميصة التي تكون في موضع الكلية اذا بطنت الناقة
اسمنت واما ان يكون فيعلا مخففا كما قيل قيل واصله قيل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ
فيه ابتداء الاعلام اللطيف الخبير وانما العلم منه نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه
ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما
يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وان جعلته حالا كان
بمعنى الغيبة فان قلت ما الايمان الصحيح قلت ان يعتقد الحق عنده بلسانه ويصدقه
بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة فهو كافر ومن اخل بالعمل
فهو فاسق ومعنى اقامة الصلوة تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرائضها وسننها
وآدابها من اقام العود اذا قومه والدوام عليها والمحافظة كما قال تعالى الذين هم على صلوتهم دائمون

والذين على صلوتهم يحافظون من قامت اذا انفقت واقامها قال اقامت نخالة الضراب لاهل العراقين
حولا قيطا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق التي تتوجه اليه الرغبات وتينا فيه المحلوب
واذا عطلت واضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه او التجلد او التشمر لاداءها وان لا
يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالامر وقامت الحرب على ساقها وفي هذه تحذير عن
الامر وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبط اداؤها فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض
اركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود وقالوا سبح اذا صلى لوجود التسبيح
فيها فلولا انه كان من المسبحين والصلوة فعلة من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم
وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهودي اذا
طاطا راسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذبين وهما الكافرتان وقيل للداعي مصل
فسميها في تخشعه بالراكع والساجد واسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال المطلق
الذي يستاهل ان يضاف الى الله تعالى ويسمى رزقا منه واخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن
الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض المال
الحلال بالتصدق به وجايز ان تراد به الزكوة المفروضة لاقترانه باخت الزكوة وشقيقتها وهي الصلوة
وان تراد هي وغيرها من النفقات في سبيل الخير لجيد يصلح ان يتناول كل منفق وانفق الشيء وانفده
اخوان وعن يعقوب نفق الشيء ونفد واحدا وكل ما جاء بما فاوه نون وعينه فانه على معنى الخروج
والذهاب ونحو ذلك اذا تاملت والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم
يوقنون فان قلت والذين يومنون اهم غير الاولين ام هم الاولون وانما وسط العاطف
كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله الى الملك القرم وبن الهمام وليث الكتيبة
في المزدحم وفي قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالايب قلت يحتمل ان يراد بهولاء مومنو
اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه من الذين امنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من عند الله
وايقنوا بالاخرة ايقانا زال معه ما كان عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات واجتماعهم على الاقرار بالنشاة الاخرة واعادة الارواح في
الاجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال يجري عالم الاخرة في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح
على حسب مجراها في الدنيا ودفعة اخرون فزعموا ان ذلك انما احتيج اليه في هذه الدار من اجل
نما الاجسام وكمال التوالد والتناسل واهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم

والارواح

والارواح المبقة والسماع الاذ يذوا الفرح والسرور واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف
وغير المعطوف عليه ويحتمل ان يراد وصف الاولين ووسط العاطف على معنى لهم الجامعون بين تلك
الصفات وهذه فان قلت فاذا اريد بهولاء غيرا ولئك فهل يدخلون في جملة المتقين قلت
ان عطفتهم على الذين يومنون بالغيب دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملة على الزمرتين من مومني اهل
الكتاب وغيرهم وان عطفتهم لم يدخلوا على المتقين لم يدخلوا وكانه قيل هدى للمتقين وهدى
للذين امنوا بما انزل اليه فان قلت قوله تعالى بما انزل اليك ان عنى به القران باسره والشريعة
عن اخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت ايمانهم فكيف قيل انزل بلفظ الماضي وان اريد المقدار الذي انزل له
وقت ايمانهم فهو ايمان ببعض المنزل واشتمال الايمان على الجميع سالفة ومترقبة واجب قلت
المراد المنزل كله وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب
المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغايب فيقال انا وانت فعلنا وانت وزيد تفعلان ولانه اذا كان
بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كان كله قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله تعالى انا قد
سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما
ذكرنا ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو صحيح وما تكلم بشيء الا وهو نادر ولا تريد بهذا الماضي
منه الحسب دون الاتي لكونه مفقودا بعضه ببعض ومربوطا ايه بماضية وقرا يزيد بن قطيب
بما انزل اليك وما انزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله وفي تقديم الاخرة وبنايوقنون على هم تعريض
باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الاخرة على خلاف حقيقته وان قولهم ليس بصادر
عن ايقان وان اليقين ما عليه من امن بما انزل اليك وما انزل من قبلك والايقان اتقان العلم
بانتفاء الشك والشبهة عنه والاخرة تانيث الاخر الذي هو نقيض الاول وهو صفة الدار بدليل
قوله عز وجل تلك الدار الاخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع خففها بان حذف
الهمزة والقى حركتها على اللام كقوله دابة الارض وقرا ابو حيوة يوقنون بالهمز جعل الضمة في جار الواو
كانها فيه فقلبها واوا ووجوه وقت ونحوه لحب المولدات الى موسى وجده اذا ضامها الوقود اولئك على
هدى من ربهم واولئك هم المفلحون اولئك على هدى الجملة في محل الرفع وان كان الذين يومنون
بالغيب مبتدا والافلاح خبرا ونظم الكلام على الوجهين انك اذا نويت الابتدا بالذين يومنون بالغيب
فقد ذهبت به مذهب الاستيناف وذلك انه لما قيل هدى واختص المتقون بان الكتاب لهم هدى

انجد لسايل ان يسال فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله جل وعلا الذين يومنون بالغيب الى
ساقته كانه جواب لهذا السوال المقدر وجي بصفة المتقين المنطوية تحتها لمضايهم التي استوجبوا
بها من الله ان يلطف بهم ما لم يفعل ليبوا على صفتهم اى الذين هولاء عقايدهم وانما الهم احقا بان يهديهم
الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك احب رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم الانصار الذين فارعوا
دونه وكشفوا الكرب عن وجهه اوليك اهل المحبة وان جعلته للمتقين وقع الاستيناف على اوليك
كانه قيل للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فاجيب باو اوليك الموصوفين غير مستبعد
ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلاً وبالفلاح اجلاً و اعلم ان هذا النوع من الاستيناف
يجي تارة باعادة اسم من استونف عنه الحديث كقولك قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان
وتارة باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستيناف
باعادة الصفة احسن وابلغ لانطوايها على بيان الموجب وتلخيصه فان قلت هل يجوز الموصول
الاول على المتقين وان يرفع الثاني على الابتدا واوليك خبره قلت نعم على ان يجعل اختصاصهم
بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يومنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم
وهم طانون انهم على الهدى وطامعون في انهم ينالون الفلاح عند الله تعالى وفي اسم الاشارة الذي
هو اوليك ايذان بان يرد عقيبه فالمذكورون اهل لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت لهم كما
قال حاتم والله صعلوك ثم عدد له خصالاً فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله فذلك ان يهلك فحسبي
ثناء • وان عاش لم يقصد ضعيفا مذمما • ومعنى الاستعلا في قوله • مثل لتمكنهم من الهدى واستعدادهم
عليه • وتمسكهم بسببه حالهم • بحال من اعتلى الشي وركبه • ونحو هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا
بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا • واستطى الجهل • واقتعد غارب الهوى • ومعنى هدا من ربهم اى منوه
من عنده واتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذين اعتمدوا على اعمال الخير والترقي الى الافضل
فالافضل ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يتمادر قدره كانه قيل على اى هدى كما تقول لو
ابصرت فلانا لابصرت رجلا وقال الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد وقعت على لحم والثلا
في من ربهم ادغمت نونه وبغير غنة • فالكسائي • وحمزة • ويزيد • وورش في رواية • والهاشمي • من كبر
لم يقنوها وقد اغنها الباقون الا ابا عمرو فقد روي عنه فيها روايتان وفي تكريرها دليل تنبيه على
انهم كما نبتت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الاثرتين في تميزهم بها

عن

عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة عن ضدها فان قلت لما جامع العاطف وما الفرق
بينه وبين قوله تعالى اوليك كالانعام بل هم اضل اوليك هم الغافلون قلت قد اختلف الخبران
ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمه فانهما متفقان لان التسجيل بهم بالغفلة وتشبيههم بالبهايم
شي واحد فكانت الجملة مقررة لما في الاولى فهي من العطف بمنزلة وهم فصل وفايدته الدلالة على ان
الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فايدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره وهو مبتدأ
والمفلحون خبره والجملة خبر اوليك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على ان المتقين هم الناس
الذين بلغك انهم يفلحون في الاخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من اهل بلدك فاستخبرت من هو
فقيل زيد التايب اى هو الذي اخبرت بتوبته او على انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين وتحققوا
ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم لا يقدرون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت
الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف قرر الله عز وجل من قابل التنبيه
على اختصاص المتقين بلبل ما لا ينال احد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف
المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين اوليك ليبصر لد مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وتبسطك في
تقديم ما قدموا ويثبطك عن الفارغ والرجا الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق
به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفايز
بالبغية كانه افلحت وجوه الظفر ولم تستعلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة اشفلي
بامرك بالحا والجيم والتركيب على معنى الشق والفتح وكذلك اخواته في الفا والعين نحو فلق وقلد فلا ان
الذين كفروا سوا عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون لما قدم ذكر اوليايه وخالصة
عباده بصفاتهم التي اصلتهم لاصابة الزلفى عنده وبين ان الكتاب ولطف لهم خاصة قفى على اثره
بذكر اضدادهم وهم المعاند المردة من الكفار الذين لا ينفع الهدى ولا يجدي عليهم بهم اللطف وسوا
عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار الرسول وسكوته فان قلت لم قطعت قصة الكفار عن قصة
المومنين ولم تعطف كنحو قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وغير من الاي الكثيرة قلت
ليس وزان ما بين القصتين وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى
للمتقين وسقيت الثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين في الغرض والاسلوب
وهما على حد لا محال فيه للعاطف فان قلت هذا اذا زعمت ان الذين يومنون جار على المتقين
فاما اذا ابتدانه وبنيت الكلام لصفة المومنين ثم عقبته بكلام اخر في صفة اضدادهم كان

مثل تلك الاى المتلوة قلت قد مر لك ان الكلام المبتدا عقيب المتقين سبيله الاستيناف وانه مثنى
على تقدير سوال فذلك ادراج له فى حكم المتقين وتابع له فى المعنى وان مبتدا فى اللفظ فهو فى الحقيقة
كالجارى عليه والتعريف فى الذين كفروا يجوز ان يكون للعهد وان يراد بهم ناس باعيانهم كابى لهب وابى
جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم وان يكون للجنس مثلا ولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوى
بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم وسوا اسم
بمعنى الاستوا وصف به كما وصف بالمصادر ومنه قال تعالى تعالوا الى كلمة سوا بيننا وبينكم فى اربعة
ايام سوا للسايلين بمعنى مستوية على انه خبر لان وانذرتهم ام لم تنذرهم فى موضع المرتفع على
الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا ستوا انذارك وعدمه كما تقول ان زيدا مختصمهم اخوه وبن عمه
او يكون انذرتهم ام لم تنذرهم فى موضع الابتدا سوا خبرا مقدما بمعنى سوا عليهم انذارك وعدمه
والجملة خبر لان فان قلت الفعل ابدا خبر لا يخبر عنه فكيف صح الاخبار فى هذا الكلام قلت
هو من حسن الكلام المجوز فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون فى مواضع
من كلامهم مع المعانى ميلا بينا من ذلك قولهم لا تاكل السمك وتشرب اللبن وان ظاهر العطف على ما
لا يصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة وانه مجردة ان بمعنى الاستوا وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام
رسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف الندا قولك اللهم اغفر لنا ايتها
العصابة يعنى ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما ان ذلك جرى على صورة الندا
ولا ندا ومعنى الاستوا استوا وهما فى علم المستفهم عنهما قد علم ان احد الامرين كاين اما الانذار
واما عدمه ولكن لا يدرى فكلاهما معلوم بعلم غير يقين وقرى ءانذرتهم بتخفيف الهمزتين والتخفيف
اغرب واكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسط الف بينهما مخففتين وبتوسيطها والثانية
بين بين حذف حرف الاستفهام ويجذفه والقا حركته على الساكن كما قرى قد افلح فان قلت
ما تقول فيمن يقلب الثانية الفا قلت هو لاحسن خارج من كلام العرب حرفين حين اخذهما
الاقدام على جميع الساكنين على غير حده وحده ان يكون الاول حرف لين والثانى حرفا مدغما نحو قوله
الضالين وخويصية والثانى اخطا طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما
قبلها ان تخرج بين بين فاما القلب الفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها ان تخرج بين بين
فاما القلب الفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة راس والانذار التحذير من عقاب
الله بالزجر عن المعاصى فان قلت ما موقع لا يومنون قلت اما ان تكون جملة موكدة للجملة

قبلها

قبلها او الخبر لان والجملة قبلها اعتراض ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة
ولهم عذاب عظيم الختم والكتم اخوان لان فى الاشتقاق من الشيى يضرب الخاتم عليه كتما له
وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطا فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البنا
لما يشتمل على الشيى كالعصابة والعمامة فان قلت ما معنى الختم على القلوب والاسماع وتغطية الابصار
قلت لا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه وهما
الاستعارة والتمثيل اما الاستعارة فان تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمايرها من
قبل اعراضهم عنه واستكبارهم من قبوله واعتقاده واسماعهم لانها تجتنبه وتنبو عن الاصغا اليه
ويعاف واستماعه كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لانها لا تجتلى ايات الله المعروضة ودلايله
المنصوبة كما يجتليها اعين المستبصرين المستبصرين كانما غطى عليها وحجبت وحيك بينها وبين الادراك
واما التمثيل فان يمثل حيث لم ينتفعوا بها فى الاعراض الدينية التى كلفوها وخلقوا من اجلها باشيا
ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية وقد جعل بعض المار بين الخفة فى اللسان
والعى ختما عليه فقال ختم الاله على لسان غدافر ختما فليس على الكلام تقادر واذا اراد النطق
خلت لسانه لجاما تحركه لصقر نادر فان قلت فلم اسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على
المنع من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله تعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه
وعلمه بغناه عنه وقد نص من تنزيه ذاته بقوله تعالى وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن
كانوا هم الظالمين ان الله لا يامر بالفحشا ونظاير ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد الى
صفة القلوب بانها كالمختوم عليها واما اسناد الختم الى الله عز وجل فلينبه على ان هذه فى قرط تمكنها
وثبات قدمها كالشيى الخلقى غير العرضى الا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه
بلغ فى الثبات عليه وكيف خيل ما خيل اليك وقد وردت الاية ناعية على الكفار شناعة صفتهم
وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز ان تضرب الجملة كما هى وهى ختم الله على
قلوبهم كقولهم سال به الوادى اذا هلك وطارت به العنقا اذا طال الغيبة وليس للوادى ولا
للعنقا عمل فى هلاكه ولا فى طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حاله فى هلاكه بحال من سال به الوادى
وفى طول غيبته بحال من طارت به العنقا فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافى عن
الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الانعام التى هى فى خلوها عن الفطن كقلوب البهايم او بحال
قلوب البهايم انفسها او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعى شيا ولا تفقه وليس له عز وجل

نعالى في تجافيها عن الحق وتنبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز ان يستعار الاسناد في نفسه
من غير الله لله فيكون الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير سندا
ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له
فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشيا على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك
لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الابقعد في حرابه فيستعار له اسمه فيقال
في المفعول به عيشة راضية وما دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر وذيل ذايل وفي الزمان
نهاره صايم وليله قايم وفي المكان طريق سايرونهر جاري واهل مكة صلى المقام وفي المسبب نجم
الامير المدينة وناقة ضبوث وحلوب وقال الداعي في القدر من يستعيرها فالشيطان هو
الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله سبحانه لما ان كان هو الذي اقدره ومكنه استدل به الختم
كما يسند الفعل الى السبب و وجه رابع وهو انهم لما كانوا على القطع والتثبت بمن لا يومن ولا تغني
عنهم الايات والنذر ولا تجدي عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة ان اعطوها المريق جدا استحكام
العلم بانه لا طريق الى ان يومنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر والالجا واذا لم يبق طريق
الا ان يقسرهم الله ويلجيهم ثم لم يقسرهم ولم يلجيهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن تلك
القسر والالجا بالختم اشعارا بانهم الذين تراخى امرهم في التصميم على الكفر والاصرار عليه الى
حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجا وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشلالهم
في الضلال والبغي و وجه خامس وهو ان يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم
قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم
قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة فان
قلت اللفظ يحتمل ان تكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم قلبي ايهما يقول قلت
على داخلها في حكم الختم لقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولو فتهم
على سمعهم دون قلوبهم فان قلت اي فايدة في تكرير الجارة في قوله وعلى سمعهم قلت
لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والاسماع في تعدية واحدة وحين استجد للاسماع تعدية على حدة
كان ادل على شدة الختم في الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطونكم تعقلون
يفعلون ذلك اذا امن اللبس فاذا لم يومن كقولك فرسهم وثوبهم وان يريد الجمع وفضوه ولك
ان تقول السمع مصدر في اصله والمصادر لا تجمع فلم يجمع الاصل يدل عليه جمع الاذن في قوله وفي اذاننا

وقر

وقر وان تقدر مضافا محذوفا اي على حواس سمعهم وقرا ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم فان
قلت هلا مع ابا عمرو والكسائي من امالة ابصارهم ما فيه حرف الاستعلا وهو الصاد
قلت لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كان فيها كسرتين وذلك اعون
شيء على الامالة وان يمال له ما لا يمال والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرايي ويدرك
المرييات كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتامل وكانهما جوهران لطيفان خلقهما
الله فيهما آلتين للابصار والاستبصار وقرى غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع
وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة
بالعين غير المعجمة والرفع من العشا والعذاب مثل النكال بنا ومعنى لانك تقول اعذب من الشيء
اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويرده بخلاف الملح فانه يريك ويزيد
عليه تسميتهم اياه تياحا لانه يتيح العطش اي يكسره وقرا بالهمز على القلب ثم اتسع فيه
فسمي كل امر فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم
والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون
الصغير ويستعملان في الحدث والاعيان جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى
التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطا التعامي عن ايات الله
ولهم من بين الاعلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله اللهم اجرنا من عذابك
ولا تبتلنا بسخطك يا واسع المغفرة ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم
بومنين افتتح سبحانه بذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطات فيه قلوبهم السنتهم ووافق سرهم
علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا والسنة ثم ثلث بالذين
امنوا بافواههم ولم تومن قلوبهم وابطنوا خلاف ما اظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين
بين ذلك لا الى هولا ولا الى هولا وسماهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم الله واحقهم
عذابا لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزا وخداعا ولذلك انزل فيهم ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في ايتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة
اية نعى عليهم فيها خبثهم ونكرهم وقبحهم وسفههم واستجهلهم واستهزا بهم وتهكم
بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما وبكما وعميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين
عن اخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة واصل ناس اناس حذفت همزته

تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله
انسان واناس واناسي وانس وسمي الظهور بهم وانهم يونسون اي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم وذلك
سموا بشرا ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول الا تراك تقول في وزن قد افعل وليس معك الا
العين وحدها وهو من اسما الجمع كرجال واما نويس فمن المصغر الاتي على خلاف مكبرة كانيسيان
ورويجل ولام التعريف للجنس ويجوز ان يكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم كانه
قيل ومن هولا من يقول وهم عبد الله بن ابي واصحابه ومن كان في حالهم من اهل التصميم على
النفاق بنظير موقعه موقع الهوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام ومن في
من يقول موصوفة كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كذا كقوله من المومنين رجال ان جعلت
اللام للجنس وان جعلتها للعهد فموصولة كقوله تعالى ومنهم الذين يوذون النبي فان قلت
كيف يجعلون بعض اولئك والمنافقون غيرا لمختوم على قلوبهم قلت الكفر جمع الفريقين
وصيرهم جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الاخر بزيادة زادوها
على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزا لا يخرجهم من ان يكون بعضا من الجنس فان الاجناس
انما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات انما تاتي بالنوعية ولا تاتي
الدخول تحت الجنسية فان قلت لم اختص بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الاخر قلت
اختصاصهما بالذكر كشف على فراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لان القوم كانوا يهودا وايمان
اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الاخر لانهم يعتقدونه على
خلاف صفة فكان قولهم امنا بالله وباليوم الاخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها الا ترى قولهم هذا
لو صدر عنهم على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق
خديعة للمسلمين واستهزا بهم ولاوهم انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى الخبث وكفرا
الى كفر وايضا فقد اوهموا في هذه المقالة انهم اختاروا الايمان عن جانبية والسفوة عن فطرة
واحاطوا باوله واخره وفي تكرير الباء انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة
والاستحكام فان قلت كيف طابق قوله وما هم بمومنين قوله امنا بالله وباليوم الاخر والاول
في ذكر شان الفعل لا الفاعل والثاني في شان الفاعل لا الفعل قلت القصد الى انكار ما ادعوه
ونفيه فسلك في ذلك ادعى الى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو
اخراج ذواتهم وانفسهم من ان يكون طائفة من طوائف المومنين لما علم من حالهم المنافية لحال

الداخلين

الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم بانهم في انفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة
عليهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل القطع والبت ونحوه قال تعالى يريدون ان يخرجوا
وما هم بخارجين منها وهو ابلغ من قولك وما يخرجون منها فان قلت لم جا الايمان مطلقا في
الثاني وهو مقيد في الاول قلت يحتمل ان يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وان يراد بالاطلاق
انهم ليسوا من الايمان بالله واليوم الاخر ولا من الايمان بغيره فان قلت ما المراد باليوم الاخر
قلت يجوز ان يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الابد لدايم الذي لا ينقطع لتاخر عن الاوقات
المنقضية وان يراد الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لان
اخر الاوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده يخادعون الله والذين امنوا وما يخادعون الا
انفسهم وما يشعرون والخداع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريده من المكروه من قولهم ضب
خادع وخدع اذا ادخل يده في باب جحره او همه اقباله ثم خرج من باب اخر فان قلت
كيف ذلك ومخادعة الله والمومنين وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى ان قوله واستعملوا
من قريش كل مخدع وقول ذي الرمة ان الحكيم ودار السلام فقد جاء النعت بالاخداع
قلت فيه وجوه احدها ان يقال كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون
صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث امر ما جرا احكام المسلمين عليهم وهم عنده في
عداد شرار الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المومنين
معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم والثاني ان يكون ترجمة من معتقدهم وظنهم
ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاوه الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا ان
لذاته تعلقا بكل معلوم ولا انه غني عن فعل القبايح فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله في زعمه مخدوعا
ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم والثالث ان يذكر الله ويراد
به الرسول لانه خليفة في ارضه والناطق عنه باوامره ونواهيه مع عباده قوله ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع الرسول فقد اطاع الله والرابع ان
يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين امنوا بالله وفايدة هذه الطريقة
قوة الاختصاص ولما كان المومنون من الله بمكان سلك لهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله
احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يوذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض
فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لانه لو كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد

ولكن ذكر زيد توطيه وتمهيد لذكر فضله فان قلت هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه
صحيح قلت وجهه ان يقال عنى به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في الاصل للمبالغة
والمبارات والفعل متى غولب فيه فاعله جا ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير معالبة ولا مباراة
لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرا يخدعون الله والذين امنوا وهو ابو حيوة ويخادعون
بيان لقوله يقول ويجوز ان يكون مستانفا كانه قيل ولم يخدعون الايمان كاذبين وما وافقهم
في ذلك فقيل يخادعون فان قلت عم كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعون عن اغراض
لهم ومقاصد لهم منها مشاركتهم وغفاوهم عن المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من
الكفار ومنها اصطناعهم مما يصطنعون به المومنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم
الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوايد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم من الاسرار
التي كانوا حراصا على ذايهم الى منابذتهم فان قلت فلو اظهر عليهم حتى لا يصلوا
الى هذه الاغراض يخادعهم بخادعهم قلت لم يظهر عليهم ما احاط به علما من المصالح التي لو
اظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقا ابليس وذريته ومشاركتهم وما هم عليه من اغوا الناس
وتلقيهم النفاق اشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه تعالى من المصلحة فان قلت ما المراد
بقوله وما يخادعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة
بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار المخادع
فلانا وما يضار الا نفسه اى دايرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وان تراد حقيقة
المخادعة اى وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها
به وانفسهم كذلك تمنيهم ويحدثونهم بالاماني وان تراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون
للمبالغة وقرى يخدعون وما يخدعون من خدع ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون
ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب
نفس لان النفس به الا ترى الى قولهم المربا صدره قلبه ولسانه وكذلك بمعنى الروح والدم
نفس لان قوامها بالدم وللناس لقرط حاجتها اليه قوله عز وجل وجعلنا من كل شيء حي وحقيقة
نفس الرجل بمعنى عين اصابت نفسه كقولهم صدد الرجل وقولهم فلان يوامر نفسه اذا تردد في
الامر واتجه له رايان ودعيان لا يدري على ايهما يهجم كانهم ازدوا داعي النفس وهاجس النفس
فسموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمسببين عليه والامرين

له

له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم
ذواتهم ان الخدع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخاطاهم الى من سواهم ويجوز
ان يراد قلوبهم ودواعيهم وادراكهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعاير وشاعر
الانسان حواسه والمعنى لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي
لا حس له في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا
يكذبون واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة ان تراد
الالم كما تقول في جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض اغراض القلب كسوء الاعتقاد
والغل والحسد والميل الى المعاصي واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك
مما هو فساد وافة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في مايض ذلك
والمراد هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من الغل والحسد والبغضا
لان صدورهم كانت تغلي على عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم والمومنين
غلا وحنقا ويبغضونهم البغضا التي وصفها الله تعالى في قوله تعالى قد بدت البغضا
من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويتحرقون عليهم حسدا ان تمسكم حسنة
تسوءهم وناهيك ما كان من ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله
عليه وعلى اله وسلم اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله ولقد
اصلح هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاك شرق
بذلك او يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لان قلوبهم كانت
قوية اما لقوة طمعهم به ان ريح الاسلام تهب احيانا ثم تسكن ولواء يخفق
اياما ثم يغفر فضعفت حين ملكها اليأس حين انزل الله على رسوله النصر
والظهور دين الحق على الدين كله واما لجراتهم وجسارتهم في الحرب فضعفت جبنا
وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم
بالملايكة قال رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر
ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا
به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله هو الذي زادهم ما ازدادوا اسنادا
للفعل الى المسبب كما اسنده الى السورة كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم

لكونها سببًا وكلما زاد رسوله نصرة وبسطا في البلاد ونقصًا من اطراف الارض
ازدادوا حسدًا وغلا وبغضًا وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا
به تجاربهم وجبنا وخورا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع وقرا ابو عمرو
في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الرا يقال الم فهو اليم كرجيع فهو
رجيع ووصف العذاب به نحو قولهم تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على
طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمولم كما ان الجد للجاد والمراد
بكذبهم قولهم امنا بالله وباليوم الاخر وفيه رمز الى قبح الكذب وسماجته
وتخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم ونحوه مما خطايا هم
اعرقوا والقوم كفرة وانما خصت المخطئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها
والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهو قبيح كله واما ما يروى
عن ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه انه كذب ثلاث كذبات فالمراد به
التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به وعن ابي رضي الله عنه
وروي مرفوعا اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وقرى يكذبون من كذبه
الذي هو نقيض صدقه ومن كذب الذي هو مبالغة في كذب كما يولغ في
صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين وقلص الثوب وقلص او بمعنى
الكثير كقولك موت البهائم وتركت الابل ومن قولهم كذب الوحشي اذا جرى
شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في امره وان لك
قيل مذبذب وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مثل المنافق كمثل
الشاة الغايرة بين الغنمين تغير الى هذه مرة والى هذه اخرى واذا قيل لهم
لا تفسدوا قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا
يشعرون واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا انؤمن كما امن السفها
ولكن لا يعلمون واذا قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف على
يقول امنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحًا والاول

اوجه

اوجه والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه
الصلاح وهو الحصول على الحال المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب
والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن احوال الناس والزروع
والمنافع الدينية والدنيوية قال الله عز وجل واذا تولى سعى في الارض ليفسد
فيها ويهلك الحرث والنسل اجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ومنه قيل
لحرب بن طي حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا يمالئون
الكفار ويمالئونهم على المسلمين بافشا اسرارهم اليهم واطرايهم عليهم وذلك
مما يودي الى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل
لهم لا تفسدوا في الارض كما تقول للرجل لا تقتل نفسك يبذل ولا تلق نفسك في
النار اذا اقدم ما هذه عاقبته وانما القصر الحكم على الشيء كقولك انما ينطلق
زيد او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد كاتب ومعنى انما نحن مصلحون ان
صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شايبة قادح فيها من وجه من
وجوه الفساد والامر كبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطا معنى التنبيه
على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقا كما قال تعالى اليس
ذلك بقادر ولكونها في هذا النصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها مصدقة
نحو ما يلتقي به القسم واختها التي هي من مقدمات اليمين وطلايعها اما والذي لا
لا يعلم الغيب غيره واما والذي ابكى واضحك ردا لله ما ادعوه من الانتظام في جملة
المصلحين ابلغ رد وراد له على سخط عظيم والمبالغة من جهة الاستيناف واما في
كلتا الكلمتين الا وان من التاكيدين وتصريف الخبر وتوسيط الفصل وقولهم لا
يشعرون اتاهم في النصيحة من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب
وجره الى الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع ذوي الارحام
ودخولهم في عدادهم وكان من جوابهم ان سفهوهم بتسفيههم وجهولهم لتمادي
جهلهم وفي ذلك تسليد للعالم مما يلقى من الجهل فان قلت كيف يصح ان

يسند قيل الى لا تفسدوا وامنوا واسناد الفعل وهذا اسناد له الى ما لا يصح قلت
الذى يصح هو اسناد الفعل الى معنى الفعل وهذا اسناد له الى لفظه كانه قيل
واذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام نحو قولك الضرب من ثلاثة احرف
ومنه زعموا مطية الكذب وما فى انما كما يجوز ان تكون كافة مثلها فى ربما ومصدرية
مثلها فى بما رحمت واللام الناس للعهد اى كما امن رسول الله صلى الله عليه وعلى اله
وسلم ومن معه وهم ناس معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه لانهم
من جلدتهم ومن ابناء جنسهم اى كما امن اصحابكم واخوانكم او للجنس اى كما امن
الكاملون فى الانسانية او جعل المومنون كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم
كالبهايم فى فقد التمييز بين الحق والباطل والاستفهام فى انومن فى معنى الانكار
واللام فى السفهاء مشار بها الى الناس كما تقول لصاحبك ان زيدا قد سعى بك
فتقول او قد فعل السفيه ويجوز ان يكون للجنس وينطوى تحته الجارى ذكرهم
على زعمهم واعتقادهم لانهم عندهم اعرف الناس فى السفه فان قلت
لم سفهوهم واشركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح قلت لانهم
لجهلهم واخلالهم بالنظر وانصاف انفسهم اعتقدوا انما هم فيه هو
الحق وانما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولانهم كانوا فى
رياسة وسطة فى قومهم ويسار وكانوا اكثر المومنين فقرا ومنهم
موالى كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفها وتحقيرا لشانهم وارادوا
عبد الله ابن سلام واشياعه ومفارقتهم وما غاظهم من اسلامهم
وقت اعتقادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من السماته بهم مع
علمهم انهم من السفه بمعزل والسفاهة سخافة العقل وخفة الحلم

فان قلت

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ

فان قلت هذه الآية بلا يعلمون والتى قبلها بلا يشعرون قلت سر ان امر الديانة والوقوف على ان
هو على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة واما النفاق وما فيه
من ايذاء المومنين بالفتنة والفساد فى الارض فامر ظاهر يحس بينة على العادة معلوم عند الناس ضرورة عند
العرب فى جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التداول والتجارب والتجاذب والتجاذب فهو كالمحسوس المشاهد
ولانه قد ذكر الفتنة وهو جهل فكان ذكر العلم معه اجنس مطابقا له مساق هذه الآية بخلاف ما سبقت له اول
قصة المنافقين وليس بتكرير لان تلك لبيان مذهبهم والتربص بهم وهذه لبيان ما كانوا يعملون عليه مع
المومنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقاؤهم بوجوه المنافقين وايطاؤهم اياهم معهم فاذا فارقوهم
الى شياطينهم صدقوهم ما فى قلوبهم وروى ان عبد الله بن ابى وصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم
نفر من اصحاب رسول الله فقال عبد الله انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابى بكر رضى الله عنه فقال
مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله فى الغار باذل نفسه وماله ثم اخذ
بيد عمر رضى الله عنه فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ
بيد على رضى الله عنه فقال مرحبا يا ابن عم رسول الله وختنه سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال
لاصحابه كيف رايتونى فعلت فاثنوا عليه خيرا فقال وبالله لقيته ولا قيته اذا استقبلته قبلها منه
وهو جارى ملاقى ومساوقى وقرا ابو حنيفة رحمه الله واذا لاقوا وخلوت بفلان واليه اذا انفردت
معه ويجوز ان يكون بمعنى مضى وطلاك ثم اى عدلك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا
سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان اذا جنت به ومعناه واذا انهوا السخرية بالمومنين
الى شياطينهم وحذو هو بها كما تقول حذا النعل بالنعل واذ منه الليل وشياطينهم الذين خلوا الشياطين
فى تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان فى موضع من كتابه اصلية وفى آخر زائدة والدليل على اصالتها
قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه
زائدة ومن اسماء الباطل انا معكم انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم فان قلت لم كانت مخاطبتهم
المومنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان قلت ليس اخلاؤهم به المومنين جدا بالغ
الكلام واوكد مما لهم فى ادعاء حدوث الايمان منهم ونفيه من قلوبهم فى ادعاء انهم اولو جدة
فى الايمان غير مشوب فيه غبارهم وذلك لما ان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقايدهم عيان
وحرارة وهكذا كل قول لم يصدر عن نخية وصدق رغبة واعتقاد وانما لانه لا يذرع عنهم لو قالوه
على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطعنون فى بقاجه وهم بين ظهرانى المهاجرين والانصار

الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون

الذين هم في التورية والانجيل الا ترى الى حكاية الله قول المؤمنين ربنا آمنا وامانهم
اخوانهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على الكفر والبعد من ان يتلعثموا
صدق رغبة واعتقاد ووفور نشاط وارتياح للتكلم وما قالوه من ذلك هو رائج عندهم متقبل منهم فكان
للتحقيق وهيئة للتوكيد فان قلت اين في قوله انا معكم قوله انا انما نحن مستهزئون قلت
هو توكيد له لان قوله انا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزئون رد للاسلام ودفع له
منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به مناقض له ودافع لكونه معتقدا به ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته وابدائه
منه لان من حقق الاسلام فقد عظم الكفر واستنكف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا انا معكم فقالوا
ما بالكم ان صح الله جنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزئون والله يستهزئ به السخرية والاستخفاف
واصل البناء الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهذا هزاء ما على الجواز عن بعض العرب مثبت فلعلت
فظننت الهزء وناقة هزاء اي تسرع وتخف فان قلت الا يجوز الاستهزاء على الله لانه
متعال عن القبيح والسخرية من باب القبيح لجهل الا ترى الى قوله قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من
الجاهلين فانه جعل استهزاءهم قلت معناه انه الله الجواز والحقان عليه والاشتقاق كما ذكرنا
شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله بالمكر والمراد تحقير شانهم وازدراء امرهم والدلالة على
ان مذاهبهم حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز ان يراد به ما سيرى في يخادعون من انه
يجري عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهو مضمحل باطنا دابا دهم وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله
وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فان قلت كيف اتصل قوله الله يستهزئ
بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت هو استيناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله عز وجل
هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء البالغ الذي ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء ولا يوبه له في مقابلته
لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه ان الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين
ولا يجوز المؤمنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقولهم
انما نحن مستهزئون قلت لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت
وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما
كانوا عليه في اكثر اوقاتهم من تهتك استارهم وتكشف اسرارهم ونزول شانهم واستشعار حذر من ان ينزل
فيهم بحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون ويمدهم
في طغيانهم من مد الجيش وامده اذا زاده والجند به ما يقويه ويكثره ولذلك مد الدواة وامددنا زادها

اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى

سطرها ومددت السراج وامددته اذا اصلحته بالزيت والشحاذ ومن الشيطان في الغي وامده
واصله بالوسطى حيث يتلاحق غيه ويزداد لجاجا فيه فان قلت لم زعمت انه من
المد دون المد في والاملاء والامهال قلت لقراءة يدل على انه من المد دون المد قراءة ابن
كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واهل الحجاز يمدونهم على ان الذي يعني اهله انما
هو مد له مع اللام كما يقال فان قلت فكيف جاز ان يوليهم الله مدة في الطغيان وهو فعل الشيطان
الا ترى الى قوله واخوانهم يمدونهم في الغي قلت انما ان يحمل على انهم لما منعهم الله تعالى
الطاف التي يخصها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم تزداد الرين
والظلمة فيها تزايد الانشراح والتورية قلوب المؤمنين فجعل ذلك الزيادة مددا واسنده الى الله سبحانه
لانه مسبب عن فعله بهم لانه خلاهم وشأنهم واقدارهم والقائية بينهم وبين اغوائهم وعبادهم فان قلت
فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالامهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت
استجرهم اليه ذلك خوف الالزام على ان يسند الى الله ما اسند الى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما
طابقه اللفظ وشهد لصحته ولو كان مد بمنزلة الامداد من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر
وكلامه المعجز ان يتعاهد فيه مذاهب بقاء النظم على حسن الاستقامة والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي حلية
من البلاغة فاذا لم يتعاهد اضاع اللغة فهو من تعاهد الكلام البلاغة على مراحل ويعضد ما قلناه
قول الحبر في تفسير في ضلالتهم يترددون وانه هو الذي يحمل الطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة
الحد في التمرد وقتادة وزيد بن علي يمدونهم في غيهم يزينونه لهم ويزيدونهم الغواية كقوله
وغيان فان قلت اين تلتئم في اضافته اليهم قلت ليها ان الطغيان والتمادي
في الضلالة لما اقترفت انفسهم واجترحت ايديهم وان الله بريء منه مورد الاعتقاد الكفرة القائلين
لو شاء الله ما اشركنا فيثابوهم من عنده يتوهم عند اسناد المد الى ذاته لو لم يضف الطغيان اليهم
ان الطغيان فعله فلما اسند المد اليه على الطريق الذي ذكر ليميط التهمة ويقلعها ويدفع في صدر من
يلحد في صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند الى الشياطين اطلق الغي ولم يقيده بالاضافة في قوله واخوانهم
يمدونهم في الغي والعمه مثل العمى الا ان العمى عام في البصر والرأي والعمه في الرأي خاصة وهو التحير
والتردد لا يدري اين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمة اي الذين لا رأي لهم ولا دراية بالطرق وسلك ايضا
عمها لا منار بها ومعنى اشتروا الضلالة بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها به على سبيل الاستعارة لان
الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر ومنه اخذت بالجمة رأسا اي بعدا وبالثنايا الواضحات الدردرا

فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين

بالطويل العمر عمرا جيدا كما اشترى المسلم اذ تنصرا وعن وهب قال ما من مؤمن يصيبه
بنو اسرائيل تنفقون لغير الدين تعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة فان قلت
كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه واعراضهم
لهم كانه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولان الدين القيم هو فطرة
الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة الجور عن القصد وفقد
الاهتداء يقال ضل منزله وضل ذريض نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين والربح الفضل على
راس المال ولذلك سمي الثمن من قولك اشتريت بعض ولده على بعض اذا فضله ولهذا على هذا سمي التجارة
صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كانها من جنسها وسمنها تبيع نفسها وقوله
ابنا عبلة تجار الغنم فان قلت كيف اسند الخسران الى التجارة وهو لاصحابها قلت
هو من الاسناد المجازي وهو اسناد الفعل الى الشيء ملتبس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمغبونين
فان قلت ما يصح ربح عبدك وخسرت صاحبك على الاسناد المجازي قلت نعم اذا دلت الحال
ولذلك الفطن في صفة رايت اسدا وانت تريد الشجاع ثم ان لم تقم حال دليل لم يصح فان قلت كيف
صح ان شرى الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كلمة ثم مبايعة
على الحقيقة قلت هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالجامد الذروة العليا وهي ان تشاق كلمة
مشاق المجاز ثم تفيء باشتقاقها واضافتها الى ما تلائمه ترشيحا لها واحسن دباجة والمرجان ورونقا منه
وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول الحبيب في البليغ ان اذني قلبه خطلا وان جعلوا كالمجاز ثم رشحوا
ذلك بما هو تحقيق البلادة فادعوا لقلبه اذنين واعقبوا الخطل الذي هو مثل البلادة تمثيلا بلحمتها بلادة الحمار مثلا هذه
معاينة وحق ولما رايت الشر عز ابن دايه وعشش في وكريه جاش له صدري لما شبه الشيب بالنسر
والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحو قول بعض فتاكهم في امه فما ام الرئيس
وان ادلت بعالمة باخلاق الكرام اذا الشيطان قبح في قفاها تنقفناه بالحجل التؤام
اي اذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقايه بالحجل الشبيه الحلم يريد اذا جرحت واساءت
الخلق اجتهدت في ازالة غضبها واماطة ما يسوءها من خلقها استعار التقبيح اولا ثم ضم اليه التنفق
ثم الحجل التؤام فلذلك لما ذكر سبحانه الشريحة اتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمله ويتم انتفاعه
اليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته فان قلت ما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا
مهتدين قلت معناه ان الذي يطلب التجارة في متصرفاتهم شيئان سلامة راس المال

مثلهم كمثل الذي استوقد نارا

والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين معا لانه راس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وجه يرتجى
في ايديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بما ظفروا به من الاغراض الدنيوية لان الضال
خاسر دائما ولانه لا يقال لمن لم يسلم له راس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين من طرق التجارة
كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر لما جاء لحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل
زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شان ليس
بالخفي في ابراز خبيات الخفاء ورفع الاستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم
في معرض المتيقن والغائب كانه مشاهد وفيه تبكيت الخصم الالد وقمع لسورة الجامح الابي ولامر
ما انزل الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه امثاله وتشحن كلام رسول الله وكلام الانبياء
والحكماء وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل
في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبيه ثم قيل للقول
السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا ضربوا لها للتسيير والاجتياز بالتداول والقبول الا
ولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وخص من التغيير فان قلت ما معنى تمثيلهم بمثل
الذي استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه احد المثلين بصاحبه قلت
قد استعير المثل استعارة الاسد للرجل الشجاع او القصة اذا كان لها شان وفيها غرابة كانه قيل
جاءهم الحبيب الشان الحال الذي هو كمن استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون اي وفيما
قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم الحديث في بيان عجائبها وتلك المثل الاعلى اي الوصف الذي
له شان من العظمة والجلالة شاهدوه في التوراة اي صفتهم وشانهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة
قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشان فان قلت كيف مثلت الجماعة
بالواحد قلت وضع الذي موضع الذين لقوله وخضتم كالذي خاضوا والذي موقع وضع
الذي موضع الذين لم يجز وضع القائم موضع القائمين والنحو من الصفات اما ان احدهما ان الذي لكونه
وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف
ولذلك يخلق بالحذف فيحذفون ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وجعلها في اسماء الفاعلين
والمفعولين والثاني ان جمعه ليس بمستقيم جمع غيره بالواو والنون اعادة الكلمة لزيادة الدلالة الا ترى ان
سائر الموصولات لا تطابق الجمع والواحد فيها واحد وقصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او النوع الذي استوقد
نارا على ان المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت

فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون

قصتهم بقصة المستوقد ولهذا قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت ووقوده النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن اضاءته وقد في الجبل اذا صعد وعلا والنار جوهر لطيف يحيي حار محرق والنور ضوءها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها والاضاءة فرط النورة وصداق ذلك قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الاية متعدية ويحتمل ان تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء ويعضده قراءة ابن ابي عبلة ضاءت فيه وجه آخر وهو ان يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الاماكن وحوله نصب على الظرف تاليفه للدوران والاحاطة وقيل للعام جول لزيد زيد فان قلت اين جواب لما قلت فيه وجهان احدهما ان جوابه ذهب الله بنورهم والثاني انه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وانما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع امن الالباس للدلالة عليه وكان الحذف اولى من الاثبات لما فيه من الاطالة مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من اللفظ في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلامهم متحيرين متحسرين على فوت الضوء خايبين بعد الكد في اجتناء النار فان قلت فاذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم قلت يكون كلاما مستانفا كانهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفيت ناره اعترض سائل فقال لماذا طفيت نارهم فقيل لذهب الله بنورهم او يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان فان قلت قد رجع الضمير في هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني قلت مرجعه الذي استوقد لانه في معنى الجمع واما جمع هذا الضمير توحيده في حوله فالحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى فان قلت ما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى في قوله ذهب الله بنورهم قلت اذا طفيت النار بسبب هادي ريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب بنور المستوقد ووجه آخر وهو ان يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار يريد اطفاءها الله ثم اما ان تكون نارا مجازية كنار الفتنة او العداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء الا ترى الى قوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى نهب المحاويج وتبددوا بها في طرق العيث فاطفاها الله وخيب امانيهم فان قلت كيف صح في النار المجازية ان توصف باضاءة ما حول المستوقد قلت هو خارج مخرج طريقة المجاز المرشح فاحسن تدبره فان قلت هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما اضاءت قلت ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لوهم الذهاب بالزيادة وتعالى يسمى

صم بكم عمي فهم لا يرجعون

غرض ازالة النور عنهم رأسا وطمسه اصلا الا ترى كيف ذكر عقيبه تركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم النور اسود وليل اسود وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون

فان قلت ما معنى الاضاءة قلت هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولربح الضلالة عصفة ثم تحت فناء العرف مثل لذروة كل اطلاع والفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا وبتاء ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه فلما ذهبوا به اذن لذهب كل آلة بما خلق وجعله ذهبه الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم واسلبه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وقرأ اليماني اذهب الله نورهم وتلك عنعنة طيء وعلى اذا اعلق بواحد لقولهم تركه تدل الطيب ظله فاذا اعلق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب لقولك تركت جزر السباع ينتشنه ومنه قوله وتركهم في ظلمات اصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزئين والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلل ان تفعل كذا او ما مفعل وشغل لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وقرأ الحسن ظلمات بسكون اللام وقرأ اليماني في ظلام على التوحيد والمعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت اليه اختطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كما ان الفعل غير متعد اصلا نحو يعملون في قوله ويذرهم في طغيانهم يعمهون فان قلت فيم شبهت حالهم بحال المستوقد قلت في انهم غبوا الاضاءة فبطلوا في ظلمة وتورطوا في حيرة فان قلت واين الاضاءة في حال المنافق وهل هو ابدا الا جاير خابط في ظلمات الكفر قلت المراد ما استضاؤا به قليلا من الانتفاع بالكلمة الجارية على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز ان يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على اسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين وانتهوا به من سمة النفاق والاوجه ان يراد الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الاية تفسير آخر وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى ضرب لذلك هذا التمثيل ليمثل هذا الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم كانت جواسيسهم سليمة وللذي لما منعوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كانما اقيمت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للاحساس والادراك لقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم ادكوا عما سارة سميع اصم عن الشيء الذي لا يريده واسمع خلق الله حين اريد فاصمت عمرا واعميته عن الجود والخزي يوم الفخار فان قلت كيف طريقة عند علماء البيان قلت طريقة قولهم ليست الشجاعة ويجوز للاسخياء الا ان هذا في الصفات وذاك في الاسماء وقد جاءت استعارة في الاسماء والصفات والافعال

او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق

جميعا تقول رأيت ليوثا ولقيت صما عن الخير وجاء الاسلام واضاء الحق وان قلت هل يسمى ما في
الاية استعارة قلت مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة على ان المستعار له
وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث تطوى ذكر المستعار له وتجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به
المنقول عنه والمنقول اليه لدلالة الحال او فحوى الكلام كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف
له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المحققين السحرة منهم كانهم يتعاسون التشبيه ويحرصون عن توهمه
صحيحا قال ابو تمام ويصعد حتى الظن المجول باذله حاجة في السماء ولم يرد الجبان
سيرا الى رجلا فيه غيث وليث مسبل متثبل وليس لقايل ان يقول طوى ذكرهم عن الملتحق فاشتق بذكر
التسمية استعارة لانه في حكم المنطوق به نظير قول من يخاطب الحجاج اسد علي وفي الحروب نعامة
فتخاء تنفر من صفير الصافر ومعنى لا يرجعون انهم لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه وعن الضلالة بعد
ان اشتروها تنبيها عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المحتضرين الذين قد ماتوا جامدين في مماتهم لا يرجعون ولا يتدبرون
ايتقدمونه ام يتاخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدأوا منه ثم شبه الله سبحانه في شانهم بتمثيل آخر ليأتوا
كشفا بالهم بعد تشفيه ايضا حاجب الايضاح وكما يجيء البليغ في مظان الاجمال والايجاز انه يجمل ويوجز
فلذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ يرمون بالخطب الطوال وتارة
وحي الملاحظ خيفة الرقباء وما شيء من التفصيل في التنزيل قوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات
ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات ولا يرى الى ذي المرة كيف صنع في قصيدته
اذا ام تعش بالعيش آلم تعد اذا ام خاضت بالسيف موتعد فان قلت قد شبه المنافق في القبيل
الاول بالمستوقد نارا واظهار الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعهم بانطفاء النار فماذا شبه في القبيل الثاني
بالصيب بالظلمات وبالرعد والبرق وبالصواعق قلت لقايل ان يقول شبه دين الاسلام بالصيب
لما فيه من الكلوب بحيوة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد
والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق والمعنى او كمثل
ذوي صيب والمراد كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فان قلت هذا
تشبيه اشياء باشياء فاين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله وما يستوي الاعمى والبصير والذين
آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا وفي قوله امرؤ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى
وكرها العناب والحشف البالي قلت كما جاء ذلك صريحا فقد جاء معلوما ذكره على سنن الاستعارة
لقوله على سنن الاستعارة لقوله وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب الله مثلا

المطلقين الباقين في التفاصيل

المثبل ذات غيل والغيل الاسد

رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما لرجل والصحيح الذي عليه علماء البيان ان يخطوا ان القبيلين جميعا
من جملة التمثيل لا مرية دون المفرد وان يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول الخلو والمذهب
الجزل بيانا لغرائب خذا اشياء فادى معرولا بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذا فتشبهها بنظايرها
كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن وتشبيه تمثيلية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت
شيئا واحدا كما ضربت مثلها لقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة الاية الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من
التوراة وآياتها بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة
وحمل سواها من الاحمال التي لا يشعر من ذلك الا بما عدا به فيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء
انزلناه من السماء المراد قلة زهرة الدنيا لقلة بقاء الخضرة فاما ان يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها
ببعض وتصيره شيئا واحدا فلا فلذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت
حيرتهم وشدتها لا يرى عليهم بما يكابد من طخية ظلمة الليل بعد ارتقادها في ظلمة الليل ولذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة
مع رعد وبرق وخوف من الصواعق فان قلت الذي كنت تقدر في المفرق من التشبيه من حذف
المضاف وصرفه او تمثيل ذوي صيب هل تقدر عندي في الاية قلت لا طلب الراجع في قوله
يجعلون اصابعهم في آذانهم ما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لاني اراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام
فلا على ان لم يجر التشبيه مفردا يتاتى التشبيه به ام لم يلد الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا الاية لبث في
الماء الكافي وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يحتمل تقديره وعما هو بين في هذا قول البيدبن ربيعة
وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم
في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول اهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية فان قلت
اي القبيلين ابلغ قلت الثاني لانه اذا دل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخبر وهم
يتدرجون في هذا من الاعلى الى الاسفل فان قلت لم عطف احد القبيلين على الآخر بحرف الشك قلت
او في اصلها التساوي فيدل فطاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك قولك جالس الحسن او ابن
سيرين تريد انهما سيان في استصواب ان يجالسا ومنه قولهم ولا تطع منهم آثما او كفورا اي لا تطع آثما والكفور حيثما وما في وجوه
عصيانهما فلذلك قوله كصيب فكان ان كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفية هاتين القصتين وان القصتين سواء
في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبلاتهما مثلهما فانت مصيب وان مثلتهما بهما جميعا فلذلك والصيب
المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا قال الشماخ واصحم دان صادق الرعد صيب
وتنكير صيب لانه اريد نوع من المطر شديد هايل كما نكرت النار في القبيل الاول وقوي كصايب والصيب

الحيوة

يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت

أبلغ والسماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف فان قلت قوله من السماء ما الفائدة في ذكره
والصيب لا يكون الا من السماء قلت الفائدة فيه انه اراد بالسماء معرفة فيفيد انه يتصوب من سماء
من افق واحد من بين سائر الافاق لان كل افق من آفاقها سماء كما ان كل طبقة من الطباق سماء في قوله
واوحى في كل سماء امرها والدليل عليه قوله ومن الارض مثلهن وسماء والمعنى انه غمام مطبق متراكم بآفاق السماء
وكما جاء صيب فيه مبالغة من جهة التركيب والبناء والتنكير امد ذلك بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب
من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماء الا ترى من زعم انه يأخذ من البحر ويريد قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد فان قلت بم ارتفع ظلمات قلت بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف
والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كان اجرام السحاب تضطرب وتتصادم اذا حركتها الريح فيتولد عنه
ذلك من الارتعاد والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء برقا اذا لمع فان قلت قد جعل الصيب
مكانا للظلمات فما اراد به السحاب او المطر فانهما اريد بها ظلمات قلت اما ظلمات السحاب
فاذا كان السحاب مطبقا فظلمته تجيء وتطبيقه مضمومة اليها ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تتابعه
وانتساجه بتتابع القطر وظلمة الظلال اغمامه مع ظلمة الليل فان قلت كيف يكون المطر مكانا للبرق
والرعد وانما مكانهما السحاب قلت اذا كانا في اعلاه ومصبه وملتبسين في بطونه فهما فيه لا محالة
تقول فلان في البلد ما هو منه الا في حيز لشغله جرمه فان قلت هلا جمع الرعد والبرق حتى يكون بلغ
تقول العجوز يا عارضا متلفعا ببرود يختال بين رعوده وبروقه وكما قيل ظلمات قلت
فيه وجهان احدهما ان يراد بالعينان والثلاثة لما كانا مصدرين في الاصل تقال رعدت السماء وبرقت فاكتفى
حكم اصلهما بان ترك جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني ان يراد الجنسان كانه قيل وارعاد وابراق والما جاء هذه
الاشياء متكررات لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز جمع الضمير
في يجعلون لاصحاب الصيب مع انه مفرد قائما مقام الصيب كما قال او كظلمات فاعلون لان المحذوف اصحابه
والا سقط لفظة الا ترى الى حسان كيف عول على معناه في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق
بالرحيق السلسل حيث ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى ولا يحل لقوله يجعلون لكونه مستانفا لانه لما ذكر الرعد
والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فقال قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في آذانهم
ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم فان قلت رؤيس الاصبع هو
الذي يجعل في الاذن فكيف قيل انامله قلت هذا من الاتساع في اللغة التي لا يكاد يحصر كقوله
فاغسلوا وجوهكم وايديكم فاقطعوا ايديهما اراد المعصم الذي هو الى المرفق والذي الى الرسغ وايضا ففي ذلك

والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه

الموضع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل فان قلت فالاصبع التي تسد بها الاذن اصبع خاصة فلم
ذكر الاصبع عام دون خاص قلت لان السبابة فعالة من السبب فكان اختيارها اولى باداب القرآن الا ترى
الى تسميتها ذا الاصبع بالمسبحة والسباحة والمهللة والداعية فان قلت فهلا ذكر بعض هذه
الاصابع قلت لان هذه الالفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما احدثوها بعد وقوله
من الصواعق متعلق بيجعلون او من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في آذانهم لقولك سقاه من العيمة والصاعقة
قطعة نار تنقض من السماء قالوا تنقدح والله اعلم من نار فالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه ومن نار لطيفة جدا
لا تمر بشيء الا انتثليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت
ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فيحتمل ان تكون اما بشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى
صعقا وقرأ الحسن من الصواعق وليس بغريب من الصواعق لان كلا البنائين سواء في التصرف واذا استويا
كان كل واحد بناء على حياله الا ترى كيف يقول صعقه على رأسه وصعق الديك وخطيب مصقع ومجهر لخطيبه
ونظير صعقه جذب ليس تقديره استواءهما في التصرف بناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والنار
جملة حكمها في الزاوية او مصدرا كالكاذبة والعافية وقرأ ابن ابي ليلى حذار الموت وانتصب على انه مفعول
له والمعنى يجعلون اصابعهم في آذانهم اذ خافوا الموت والموت مناد بينه للحيوان وقيل عرض لا يبقى معه احساس مخالف
للحياة واحاط الله بالكافرين محيط والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذا
تمثيل لاحاطة الله بهم على طريقة التخييل وقرأ مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح افصح واعلى وعن
ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء واصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على
اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي يخطف من خطف وعن ابي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم
كلما اضاء لهم استبشروا فيه كانه جعلت لهم تقول كيف تصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا
تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحيرة والجهل بما يأتون وما يذرون
اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات
يسيرة فاذا خبت وفتر لمعانه تقوموا قائمين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في
ضوء البرق فاعماهم واضاء اما متعد بمعنى كلما انور لهم مشى وسلكوا اخذوه والمفعول محذوف
واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملتقى ضوئه وتضمن قراءة ابن ابي عبلة كلما اضاء لهم المشي
جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد نهوضه فاذا ازداد نهوضه فان قلت كيف قيل مع الاضاءة كلما وهم
الاظلام انما قلت لانهم حراص على وجود ما هم به معقود من امكان المشي وتأتيه فكلما اضاء فشوا

يعمة تهوت اللبن

تخطف سلبه

وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله

على كل شيء قدير يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي

منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس والظلم يحتمل أن يكون غير ذلك وهو الظاهر وأن يكون
متوليا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة ابن مسعود فظلت الظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر حبيب بن أوس
هما أظلما حالي تحت أجليا ظللا بهما عن وجه أمرد أشيب وهو فإن كان محدثا لم يستشهد بشعره في شرح
علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه أما ترى إلى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيستشهدون بذلك
لو ثوقهم برواته وإتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مجالسهم ومنه قامت السوق إذا نفقت وقام الماء جمد
ومفعول شاء محذوف لأن الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها ولقد
تكاثر هذا الحذف في شاء وأراد لدلالة ما تقدم من المفعول إلى الشيء المستغرب كقوله وهو يعقوب الحريص
فلو شئت أن أبكي دما لبكيته وقوله لو أردنا أن نتخذ لهوا ولو أراد الله أن يتخذ ولدا ولو أراد لو شاء الله لذهب
بسمعهم بتصفيق الرعد وإبطارهم بوميض البرق وقرأ ابن أبي عبلة لذهبت بأسماعهم بزيادة الباء لقوله
ولا تلقوا بأيديكم والشيء ما صح أن يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب الترجم بباب ما يكون
أواخر الكلم من العربية وإنما الخارج الثابت من التفسير لا ترى أن الشيء يقع على كل ما أخبر عنه من قبل أنه يعلم
إذ هو اسم الشيء والشيء مذكر وهو اسم العام كما أن الله اسم الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول
شيء ولا يكاد الأشياء أو معلوم لأنك تريد المعلومات والموجودات والحال فإن قلت كيف قيل على كل شيء قدير وهي
الأشياء فالإتيان للقادر كالمستحيل أو فعل قادر أيضا قلت مشروط في حد القادر أن لا يكون مستحيلا
فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الأشياء كلها فكأنه قيل على كل شيء مستقيم وتطبيقه لأنه أمير
على الناس أو على من دونه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وإن كان من جملة الناس وأما الفعل بين قادرين فيختلف فيه
فإن قلت ما اشتقاق القدير قلت من التقدير لأنه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته
وما يتميز به عن العاجز لما عدد الله تعالى فرق المخلوقين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارع
أمورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها أقبل عليهم بالخطاب
وهو من الالتفات المذكور عند قوله إياك نعبد وإياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما
أنك إذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لهما أن فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرغ منه ثم عدلت
بخطابك إلى الثالث فقلت بالله من حقك أن تلزم الطريقة المحجة في مجاري أمورك وتستوي على جادة السداد في
مصادرك وموارديك بالتحفظ والتفاؤل بنحو فضل تنبيه واستدعيت إصغاءه إلى إرشادك زيادة استدعاء وأوجدته
بالانتقال من الغيبة إلى المواجهة هازا من طبعه لئلا يجمد إذا استمرت على لفظ الغيبة وهذا الافتنان في
الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستنشط الأنفس للقبول ولأجلنا أسناد

على كل شيء

خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون

صحيح عن إبراهيم عن علقمة أن كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فهو مكي ويا أيها الذين آمنوا فهو مدني فقوله
يا أيها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة وياء حرف منبه يفصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل من يناديه ولما
نداء القريب فلمجاري الحضرة ثم يستعمل في نداء من يسهو أو يغفل وإن قرب تنزيلا له منزلة من بعد فإذا نودي به
القريب المخاطب فذلك للتأكيد المؤذن أن الخطاب الذي يتلو يجيء به جدا فإن قلت فما بال الذي يقول
في دعائه يا رب يا رب وهو أقرب إليه من حبل الوريد وأسمع به وأبصر قلت هو استقصار منه للنفس
واستبعاد لها من حضرة الزلفى وما يقربه إلى رضوان الله ومنازل المقربين هضما للنفس وإقرارا لها بالتعديل
في جنب الله مع قرب الحال على استجابة دعوته والمراد في النداء وإتحاله وأتى وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام كما
أتى ذو والذي وصلة إلى الوصف بأسماء الأجناس وصف المعارف الجمل وهو اسم جنس يستغرق ما يوجد ويندرج
أفراده فلا بد أن يرد هو اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء فالذي يحمل فيه حرف النداء هو
أي والاسم التابع له صفة لقولك يا زيد الظريف إلا أنه لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينقل من الصفة في هذا التدرج
من الإبهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد وكلمة التنبيه المجتمعة بين الصفة وموصوفها لغايتين معاضدة
حرف النداء وما تضمنه بتأكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه أي من الإضافة فإن قلت لم كثر في كتاب الله
النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره قلت لاستتلاء وجوه من التأكيد وأسباب من المبالغة لأن كل ما نادى
الله له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاصه أخبار الأمم الدائرة عليهم وغير ذلك مما
انطوى عليه كتابه من أمور عظام وخطوب جسام وحال عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم غافلة
غافلة فاقتضت الحال أن ينادوا بالمؤكد البالغ فإن قلت لم خاطب الأمر بالعبادة من أن يكون متوجها إلى المؤمنين
والكافرين جميعا أو إلى كفار مكة خاصة على ما روي عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف أمروا بما هم ملتبسون به
وهل هذا إلا كقول القائل فلو أنك جئت كنت مكرما له وهو قائم أن تقوما وأما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به
فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة المؤمنين ازدياد صحتها وإقبالهم وثباتهم عليها وأما عبادة الكفار فشرط
فيها الابتداء لها منه وهو الإقرار كما يشترط على المأمور بالصلاة الزكوية شرائطها من الطهارة والنية وغيرهما ولا بد للمتعبد
منه فهو مندرج تحت الأمر به وإن لم يذكر حيث لم يفعل الأمر وكان من الواجب على أن مشركي مكة كانوا يعرفون الله
ويعترفون به ولئن سألتهم ليقولن الله فإن قلت قد جعلت قوله اعبدوا متناولا شيئين معا الأمر بالعبادة
والأمر بازديادها قلت الازدياد من العبادة عبادة فليس شيئا آخر فإن قلت ربكم المراد به
قلت كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فأن خاطبهم بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه
رب السموات والأرض والآلهة التي كانوا يعبدونها أرباب وكان قوله الذي خلقكم صفة موضحة مميزة وإن كان الخطاب

للفرق جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا
الوجه في خطاب الكفرة خاصة الا ان الاول اوضح واصح والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل اذا
قدرها وسواها بالمقياس وقرأ ابو عمرو خلقكم بالادغام وقرأ ابو السميفع وخلق من قبلكم وفي قراءة
زيد بن علي ربكم والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة ووجهها على اشكالها ان يقال الخطاب الموصول الغائب بين الاول
وصلته تأليفا كما الخطابين في قولهم يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الغيبة بين الاول وما اضيف اليه وكما خطابهم
لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه في لا ابا لك ولعل للترجي والاشفاق تقول لعل زيدا يكرمني ولعله
يهينني وقال الله تعالى لعله يتذكر او يخشى لعل الساعة قريب الا ترى الى قوله والذين آمنوا مشفقون
منها وقد جاءت على سبيل الاطماع في مواضع من القرآن وللترجي اطماع من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه
لا محالة لجرى اطماعه مجرى وعد المحتوم وفاؤه به قال من قال ان لعل بمعنى كي ولعل لا تلوذ بمعنى كي وللترجي الحقيقة
ما القيت ليلى وايضا في ديدن الملوك ما عليها ومناح امرهم ورسومهم ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم
على الجائز لها على انه يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات او يجيلوا اخالة او يظهر منهم بالرغبة او الاستاءة او النظرة
الحلوة فاذا اعثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب طمع عندهم مثل في النجاح والفوز بالمطلوب فجاء مثله ورد كلام
مالك الملك ذي العز والكبرياء او يجيء على طريق الاطماع دون التحقيق ليلا يتكل العباد كقوله توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم فان قلت فلعل التي في الآية ما معناها وموقعها قلت
ليست حمادلا في شيء لان قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز ان يحمل على رجاء الله تعالى لانه لا يجوز على عالم الغيب والشهادة
وجل علا ان يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة في الآية موقع الجائز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده
ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات واراح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في ايديهم
زمام الاختيار وارادهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا لترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان
كما ترجح حال المترجي بين ان يفعل وبين ان لا يفعل ومصداقه قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما يبلو ويختبر من
يخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء امرهم على الاختيار فان قلت كما خلق الخاطبين لعلهم يتقون فكذلك
خلق الذين من قبلهم لان لعل فلم قصر عليهم دون من قبلهم قلت لم يقصر عليهم ولكن على المخاطبين على الغائبين
في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا فان قلت فهلا قيل تعبدون لرجل اعبدوا وانتم الحاضرون تتقون ليتجاوب طرفا النظم
قلت ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى امر العابد ومنتهى
جهده لما قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على اقصى غايات العبادة كان ابعث على العبادة واشد الزاما
لها واثبت لها في النفوس نحو ان تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فانما ملكتك حتى يعني الا تحمل الاثقال ولو قلت لحمل خريطة

التبليغ بعض ذلك الموقع قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزماتها حق المنعم له خلقهم احياء قادرين الا انه
سابغة اصول النعم ومقدمتها والسبب في القلق من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم
الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المنزل ومتقلبهم ومعترشهم ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة
المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المظلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج
به من بطنها انشاء النسل المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا الى النظر
الموصل الى التوحيد والاعتراف بنعمة يتعرفونها فيعقلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم
وتحتهم وان شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على ايجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك انه لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى
لا يجعلوا المخلوقات له اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته اما ان يكون في محل النصب
وصفا كالذي خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون نصبا على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح وقرأ يزيد الشامي
بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس انهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون
كما يتقلب احدهم على فراشه وبساطه ومهاده فان قلت هل فيه دليل على ان الارض مسطحة وليست بكروية
قلت ليس فيه الا ان الناس ينتفعون بها كما ينتفعون بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح او شكل الكرة فالارض
غير مستنكر ولا ممتنع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد اطرافها واذا كان منتهى الذي الجبل وهو تل من اوتاد الارض
فهي في الارض ذات الطول والعرض اسهل والبناء مصدر سمي به المبني بناء كان او قبة او خباء او طرافا وابنية العرب
اخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا فان قلت ما معنى اخراج الثمرات
بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته قلت المعنى انه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كما جعل النخل
في خلق الولد وهو قادر على ان ينشئ الاجناس كلها من غير انشاء نطف الاسباب والمواد ولكن لحكمة في انشاء الاشياء مندرجا
لحاجة الى الرجال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حتى يصير حيوانا ذا روح وحس فيها للملائكة والنظار يعيون الاستبصار من عباده عبرة وافتقارا
مبالغة وزيادة ظاهرة وسلوكا الى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في انشائها بغتة من غير تدريج وترتيب من
من الثمرات للتبعيض لشهادة قوله فاخرجنا به من كل الثمرات وقوله فاخرجنا به ثمرات ولان المنكرين اعني الملاحدة ورزقا
يكذبانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية كانه قيل وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات لم يكون
بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل
الرزق كله في الثمرات ويجوز ان يكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا فان قلت فهم انتصب رزقا
قلت ان كانت من للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت بيانية كان مفعولا لاخرج
فان قلت فالفعل المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار قلت فيه وجهان

نسلق الجلاد علاة

بلا اسباب وامواد

فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون وإن كنتم في ريب مما نزلنا

احدهما ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كثرة الجويدرة لقصيدته
وقولهم للتمرة المدرة وانما هي مدرة ملاحق والثاني ان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لاتقاربها في الجمعية كقوله
كمثل تلوا من جنات وثلة حروف ويعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد ولكم صفة جارية
على الرزق اريد به العين وان جعل اسما لليعني فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم فان قلت هم تعالى فلا تجعلوا
قلت فيه ثلثة اوجه ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة واساسها
التوحيد وان لا تجعل لله ندا ولا شريكا او بلعل على ان ينصب تجعلوا انتصابه بفاطلع في قوله عز وجل لعلي ابلغ الاسباب
اسباب السموات والارض فاطلع الى اله موسى في رواية حفص عن عاصم او خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشركوه
بخالقه او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء او هو الذي خصكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل البينة
الشاهدة بالوحدانية فلا تجعلوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي قال
جرير اتيما تجعلون الله ندا وما تيم لذي حسب نديد وناددت الرجل خالفته ونافرته من نددود اذا
نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه فان قلت كانوا يسمون
اصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب فما كانوا يزعمون انها تخالف الله وتناويه قلت
لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة مثله قادرة على مخالفته
ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تكلم بعضهم بلفظ الذم تشنيعا عليهم واستفظاعا لشأنهم بان يجعلوا اندادا
كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند فقد وبخ بذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دينهم ارب واحدا
ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا فان قلت ما معنى
قوله وانتم تعلمون قلت معناه وحالكم وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق
الامور وغوامض الاحوال والاصابة في التدابير والدهاء والفطنة بمنزلة لا تدفعون عنه وهذا كانت العرب خصوصا
سائر الامم من قريش وكنانة لا يصطلى بنار حكام الامور وحسن الاحاطة بها ومعنى تعلمون
متروك كانه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه آت اي انتم العارفون المميزون ثم ان ما انتم عليه في امر
دينكم من جعل الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون ان لا مماثل
او وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل
من ذلكم من شيء لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها ويبطل الاشراك ويكذبه وعلم الطريق الى اثبات ذلك
وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله وعطل على انعم عليه من معرفته وتمييزه عطلت على ذلك هو
الحجة على اثبات نبوة محمد صلعم وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزا واراهم كيف يتعرفون الحق من عند الله كما

على عبدنا فأتوا بسورة

يدعي ام هو من عند نفسه كما يدعون بارشادهم الى ان يخبروا انفسهم ويذوقوا طباعهم ومن ابناء جنسه واهل
جلدته فان قلت لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال قلت لان المراد التنزيل
على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مكانه لمكان التحدي وذلك انهم يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون
عند الناس لم ينزل هكذا نجما سورة بعد سورة وآية بعد آية على حسب الوقائع وكفاء الحوادث وعلى من
ما نزل عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم متفرقا حينا فحينا وشيئا فشيئا حسب ما يعرض له من
الاحوال المتجددة والحاجات الناجمة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يحبر الناثر مجموع خطبه
او رسائله ضربة فلو انزل الله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا
نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل لهم ان ريبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة
واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من اصغر السور او آيات معدودات وهذه غاية التبكيت ومنتهى
الاجابة العاجل وقرئ على عبادنا يريد رسول الله وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها
ثلث آيات وادناها ان كانت اصلا قائما ان تسمى سورة المدينة وهي جاريتها لانها طائفة من القرآن
محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور لانها محوية من العلم واجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على
ما فيها واما ان تسمى بالسورة التي هي المرتبة قال النابغة ولرهط حرب قد سورة في المجد
ليس عن ابائها بمطاد او لانها محل الجنيين لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يرقى فيها القارئ وهي الصانعة انفسها
مرتبة طولا او انحطاطا وقصارا او لرفعة شانها وجلالة محلها في الدين والا جعلت واوها منقلبة عن همزة
فلانها قطعة وطائفة من القرآن كالسورة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه فان قلت ما فائدة
تفصيل القرآن وتعديده سورا قلت ليست الفائدة في ذلك واحدة ولا يرى ما ان الكتب التورية والانجيل
والزبور وسائر ما اوحاه الى انبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن كتبهم
ابوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل
وافخم من ان يأتي بيانا واحدا ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في آخر كان انشط له
واهز لعطفه وابعث على التدبر والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى
فرسخا او انتهى الى رأس بريد تفرق كل منه نشطة للسير ومن ثم جزأ القراء القرآن اسباعا واحزابا وعشورا
واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة
وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجله نفسه ويغتبط به ومن حيث انه يرضه كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران
جد فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلاة بسورة تامة افضل ومنها ان التفصيل يهب للاجتزاء الاشكال

والتظاهر وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم ليؤدي لك من الفوائد والمنافع

من مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فاتوا والضمير للعبد **فان قلت** وما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل **قلت** معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم اي فاتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا اميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد الى مثله ونظير هذا لك ولكنه نحو قول القيعثرى للحجاج قال وقد له لا جعلنك على الدهم مثل الامير حمل على الادهم ولا شخب اباد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد احدا بجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى ما نزلنا اوجه لقوله فاتوا بسورة مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان القرآن جديد بسلامة الترتيب والوقوع على اصح الاسالب الكلام مع رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه ان لا يفصل بينه وبين الضمير الا ترى الى المعنى وان ارتبتم في ان القرآن منزل من عند الله فهاتوا انتم بذلك مماثله ومجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله صلعم ان يقال ان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولان اذا اخوطبوا جميعا وهو الجم الغفير بان يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ما انزل به واحد منهم كان ابلغ في التحدي من ان يقال لهم لياتي واحد آخر بنحو ما اتى به هذا الواحد ولان هذا التفسير هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر والقائم بالشهادة ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدني الحقير ودون الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا ودونك هذا اصله خذ من دونك اي من ادنى مسافة منك فاختصر واستعير للتفاوت بين الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد رآه بالثناء عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله ولم تتناولها لم يبق غيره ومن دون الله متعلق بادعوا او بشهداءكم فان علقته بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق او ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قولهم اعشى تذيل القد من دونها وهي دونه اي تذيل القد قدامها وهي قدام القد لرقتها وصغرها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا يطيق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المسالمة وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم

وهم مدار القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة فاذا عليهم المقابلة الطباع وتحجج لهم الانسانية الا انفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم اجالته وتعليقه بالدعاء في هذا الوجه جائز وان علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعني استشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد انا بتعنيه حق كما يقوله العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصلح بها الدعاوى عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم واخذ الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا صادقون وقولهم هذا تعجيل منهم على انفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة وعن بعض العرب انه سئل عن نسبه فقال قرشي والله فقيل له قولك الجن تلد في هذا المقام ربية او ادعوا من دون الله شهداءكم يعني ان الله شاهدكم انه اقرب العلم من جعل الوثيد وهو بينكم وبين اعناقكم واعلم والجن والانس شاهدوكم فادعوا كل من يشهد لكم واستظهروا به من الجن والانس الا الله تعالى انه القادر وحده على ان يأتي بمثله دون كل شاهد من شهداءكم فهو في معنى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية لما ارشدهم الى الحجة التي هي ما يتعرفون امر النبي صلعم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتيازه حقه من باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون فاعلموا لكم انه معجز عن عند الله فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق به فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله **فان قلت** انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فلماذا جيء باذا الذي للوجوب دون ان الذي للشك **قلت** فيه وجهان احدهما ان يساق الكلام القول على حسب حسبانهم وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمتأول فيه لديهم لا تقاعدهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثاني ان يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يعاديه ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما به **فان قلت** لم عبر عن الاتيان بالفعل واي فائدة في تلوه اليه **قلت** لانه فعل من الافعال تقول اتيت فلانا فيقال نعم ما فعلت والفائدة فيه انه جاري مجرى الكناية التي تغطيك عن طول المكني عنه اختصارا ووجها تغنيك عن طول المكني عنه الا ترى ان الرجل تقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته وتكلمت به ويعد ليعيات وافعالا فتقول بئس ما فعلت ولو كررت ما اسندت عنه لطال عليك ولذلك لم يعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطالة ان يقال فان لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله **فان قلت** ولن تفعلوا ما محلها **قلت** لا محل لها لانها جملة اعتراضية **فان قلت** ما حقيقة لن في باب النفي **قلت** لا ولن اختلف في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا وتشديدا تقول الظاهر حسن لا اقيم غدا فان الله عليك قلت لن اقيم غدا كما تقول في انا مقيم واني مقيم ومن عند الخليل في احدى الروايتين عنه اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه واحدة

فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة

الرواية عن الخليل حرف منتصب لتأكيد نفي المستقبل فإن قلت من أين لزمهم إخبار الغيب على ما هو به حتى
يكون معجزة قلت لأن لهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع أن يتواصفوا الناس ويتأملوه إذ ضعفاء مثله فيما يظهر
بحسب العادة مجال سيما والطاعنون فيه أكثف عددا من الناس عنه لم ينقل علم أنه أخبار بالغيب على ما هو به فكان
معجزة فإن قلت ما معنى اشتراطهم في انتفاء النار انتفاء إتيانهم بسورة من مثله قلت
لهم إذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة مع علمهم صدق رسول الله ﷺ وإذا مع علمهم صدقه ثبت
لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل إن استقمتم العجز فاتركوا العناد
فوضع فاتقوا النار موضعه لأن اتقاء النار لصيقه وخيمه ترك العناد من حيث إنه من نتائجه لأن من اتقى
النار ترك الحماقة ونظيره أن يقول الملك لجلسائه إن أردتم الكرامة عندي فاجتهدوا في سخطي يريد فاطيعوني
واتبعوا أمري وافعلوا ما هو نتيجة جد السخط وهو من باب الكناية التي شعبة من شعب البلاغة وفائدته
الإيجاز الذي هو من حلية القرآن وتهويل شأن العناد بإنابة اتقاء النار منابه وإبرازه في صورة متبعا
ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع أمرها والوقود ما ترفع به النار وأما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال
سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود اكتنازك الحطب وقرأ عيسى بن
عمر الجحدري بالضم تسمية بالمصدر كما تقول فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز أن يكون مثل قولك حياة المصباح
السليط أي ليست حيوته إلا به فكأن نفس السليط حيوته فإن قلت صلة الذي والتي يجب أن تكون قصة
معلومة للمخاطب فكيف علم أولئك أن نار الآخرة توقد بالناس والحجارة قلت لا يمتنع أن يتقدم لهم
بذلك سماع من أهل الكتاب وسمعوه من رسول الله أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها
الناس والحجارة فإن قلت فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وها هنا معرفة
قلت تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها إلى
ما عرفوه أولا فإن قلت ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة قلت معناه أنها نار ممتازة عن غيرها
من النيران بأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة وبأن غيرها إن أريد إحراق الناس بها أو إحماء الحجارة أو قدت
أولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد إحراقه أو إحماؤه وتلك أعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما تحرق
ويحمى بالنار وبأنها لفرط حرها وشدة ذكائها إذا اتصلت بما لا تشتعل به نارا اشتعلت وارتفع لهبها فإن قلت
النار والجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة أم هي نيران شتى قلت بل هي نيران
شتى فمنها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله فوا أنفسكم وأهليكم نارا فأنذرتكم نارا تلظى
ولعل للكفار بالجن والشياطين نيرانا وقودها الشياطين كما أن للكفرة من الإنس نارا وقودها هم وحطبها

لكل جنس مما يشاكله من العذاب فإن قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا قلت
لأنهم قرنوها أنفسهم في الدنيا حيث نحتوها أصناما وجعلوها أندادا وعبدوها من دون الله قال الله تعالى وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
في معنى النار والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله أنها
الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن أنفسهم هكذا زعمهم جعلها الله عذابهم وفقدانهم
بها حماة في نار جهنم إبلاغا في إيلامهم وإغراقا في تحسيرهم ونحو ما يفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم
عدة وذخيرة فيحمى عليها ويكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل
في حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له معاني التنزيل أعدت
هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرأ عبد الله أعتدت من العتاد يعني العدة من عاده عتوا وعلا في
كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب ويتبع البشارة بالإنذار إرادة التنشيط لارتكاب ما يزلف والتثبيط
عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق
والأعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي وحموها من الكفر والمعاصي بالثواب فإن قلت
من المأمور بقوله وبشر قلت يجوز أن يكون رسول الله صلعم وأن يكون كل أحد كما قال عليه السلام بشر
المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيمة لم يأمر بذلك واحدا بعينه وإنما كل أحد مأمور به وهذا
الوجه أحسن وأجزل لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامة شأنه بحقوق أن يبشر به كل من قدر على
البشارة به فإن قلت علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهي يصح عطفه عليه قلت
ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي يعطف عليه إنما المعتمد بالعطف
هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول لزيد يعاقب بالقيد والإرهاق
وبشر عمرا بالعفو والإطلاق ولك أن تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول لبني تميم احذروا
عقوبة ما جنيتم وبشر فلانا بني أسد بإحساني إليهم وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنه وبشر على لفظ الجحد للمعطوف
عطفا على أعدت والبشارة الإخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء إذا قال لعبيده أيكم بشرني بقدوم
فلان فهو حر فبشره فرادى عتق أولهم لأنه هو الذي أظهر سرور المخبر به دون الباقين ولو قال مكان بشرني
أخبرني عتقوا جميعا لأنهم جميعا أخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح لما يظهر من أوائل ضوئه وأما
فبشرهم بعذاب أليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء والزاي في غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه
كما يقول الرجل لعدوه أبشر بقتل ذريع وخبط شديد ومنه قوله فأعتبوا بالصيلم والصالحة جمع الصلاحة في

الأحباط

الأهمية الأمر العظيم

جريها مجرى الاسم قال الحلية تلبس الحلي وما يتحلى به من آلة صناعية من آلام بظهر الغيب تأثيره والصلاة
كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فان قلت اي فرق بين لام
الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على الجموع قلت اذا دخلت على المفرد كان من الجائز ان يراد به
الجنس الى ان يحاط به وان يراد به بعضه الى الواحد منه واذا دخلت على الجموع صلح ان يراد به الجنس وان يراد به
بعضه الى الواحد لان زوال الجمعية في الجنس وزوال المفردية في تناول الجنسية والجمعية في جعل الجنس في وجدانه
فان قلت فما المراد بهذا الجموع مع اللام قلت الجملة من الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين
على حسب حال المؤمن في مراتب التكليف والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المتظلل
بالتفاف اغصانه قال زهرة تسمى جنة جنة لو تخلل طولا والتركيب يدل على معنى الستر وكانها
لتظليلها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه اذا ستره كانها ستره واحدة لفرط التفافها
وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان فان قلت الجنة مخلوقة ام لا قلت قد اختلف
في ذلك والذي يقول انها مخلوقة يستدل بقصة آدم وحواء الجنة ويحتج في القرآن على طريق الاسماء الغالبة اللا جنة
بالاعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها فان قلت ما يجري مع الجنة وتفسيرها قلت
الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاق العاملين لكل
طبقة منهم جنات من تلك الجنان فان قلت اما يشترط في استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح ان
لا يخلطها المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وان لا يقدم على ما اوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فما شرط
ذلك قلت لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن تحقق فيهما وركن في العقول
ان الاحسان انما يستحق صاحبه عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه ما يفسده ويذهب بحسنه وانه لا يبقى مع
وجود مفسده احسانا واعلم بقوله لنبيه صلعم عليه وهو اكرم الناس عليه واعزهم لئن اشركت ليحبطن عملك
وقال للمؤمنين ولا تبطلوا اعمالكم بالقول الجهر بعضكم لبعض ان يحبط اعمالكم كان اشتراط حفظها من الاحباط والنذر
كالداخل تحت التكرير فان قلت كيف صورة جري الانهار من تحتها قلت
كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وعن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود وانزه
البساتين ما كثر ماؤها وكانت اشجاره مظللة والانهار في خلالها مطردة ولولا ان الماء الجاري
من النعم العظيمة واللذة الكبرى والى الجنان والرياض وانه كانت آنق شيء واحسنه لما تروق النواظر والابتهاج
الارض ولا تجلب الارتياح والنشاط حتى تجري فيها الماء ولما كان الانس الاعظم فانيا والسرور الاوفر
مفقودا وكانت تماثيل الارواح فيها وصور الاحيوة لها لما جاء الله بذكر الجنات مشفوعا بذكر الانهار

تناول

كان عيني في غربي مقتلة
من النواضح

كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها

الجارية من تحتها موقوفين على قران واحد كالشيئين تلبيهما احدهما من صاحبه وما قدمه على ما يعقبها والنهر المجرى
الواسع فوق الجدول ودونه البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء
وهما والتركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي لقولهم هو فلان مطاء اسم الطريق
وصيد عليه يوما ان فان قلت لم نكرت الجنات وعرفت الانهار قلت اما تنكير الجنات
فقد ذكروا ما لتعريف الانهار فان يراد الجنس كما تقول للفلاة نشأن فيه الماء الجاري والتين والعنب والوان
الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب ويراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة لقوله تعالى
واشتعل الرأس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن
لم يتغير طعمه الآية وقوله تعالى كلما رزقوا منها الخلو من ان يكون صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة
لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يتعرض اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر
لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها اجناسها وان تباينت تباينا
لا يعلمها الا الله فان قلت ما موقع من ثمرة قلت هو كقولك كلما اكلت من رغيف
من الخبز اخذت رغيفا جديدا فموقع من ثمرة من الخبز كانه قيل كلما رزقوا من الجنات من اي ثمرة كانت من
نتاجها او رمانها او عنبها او غير ذلك رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل كلما هي لابتداء الغاية لان
الرزق قد ابتدأ من الجنات والرزق من النبات قد ابتدأ من ثمرة وتنزيله تنزيل ان تقول رزقني فلان
فيقال لك من اين فتقول من بستانه فيقال من اي ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وتجيء الرزق
جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات مبتدأ من ثمرة وليس المراد بالثمرة
التفاحة الواحدة او الرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار ووجه آخر وهو ان يكون
من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار
والجناة الواحدة فان قلت كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل وليس يكون ذات الحاضر عندهم في الجنة
هي ذات الذي رزقوا في الدنيا قلت معناه هذا مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه به لدليل قوله تعالى
واتوا به متشابها وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد انه استحكام الشبه كان ذاته ذاته فان قلت
لم يرجع الضمير في قوله واتوا به قلت الى المرزوق في الدنيا والاخرة جميعا لان قولهم هذا الذي
رزقنا من قبل ان ظهر لهم ذلك ما رزقوه في الدارين ونظيره قولك ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي
بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله غنيا او فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد
فان قلت اي غرض في تشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة لم تكن اجناسا اخر قلت

وما بال ثمر الجنة

وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

[illegible] الى المعهود اصيل واذا اى حالا [illegible] وانه
[illegible] من خضر ما سلف له بوعد و تقدم له معه الف وراى [illegible] وفضيلة بينة
[illegible] بينه وبين ما عهد بليغا افرط ابتهاجه واغتباطه وطالب استجابة [illegible]
[illegible] فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان [illegible] ان ذلك الجنس [illegible]
[illegible] فلا يتبين موقع النعمة حق التبين [illegible] من متاع الدنيا [illegible] في الطعم وان [illegible]
[illegible] تنفصل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يصيرون [illegible] الجنة تشبع [illegible] من نعيم الدنيا في حجم
[illegible] ثم يرون نعيم الجنة [illegible] كما ان ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر [illegible] ثم يرون النعمة
في الجنة يسيرا [illegible] ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك [illegible] واذيد في التعجب
من الى يفاجئوا ذلك الزمان وذلك النعيم من غير عهد سابق [illegible] وتوحيدهم من العقول ونظمهم عند كل
ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور الحيرة وتمام التعجب وعلى ان ذلك التفاوت
العظيم هو الذي يتجلى تعجبهم ويستدعي تعجبهم في كل لون من رزق [illegible] من اصلها الى فرعها
وثمرها [illegible] كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانها [illegible] في غير اخدود والعقود [illegible]
عشرة ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في اتوا به الى الرزق [illegible] ما يرزقونه من ثمرات
الجنة [illegible] في نفسه كما يجيء عن الحسن [illegible] بالصحة [illegible] ثم يؤتى بالاخرى فيقول
هذا الذي اتينا به من قبل ويقول الملك كل فالاول واحد والطعم مختلف [illegible] والذي نفس محمد بيده ان الرجل
من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة
الاولى قالوا ذلك والتفسير الاول هو [illegible] كيف موقع قوله واتوا به متشابها من نظم الكلام
قلت هو [illegible] فلان احسن بفلان ونعم ما فعل وارى من الرأي كذا وكان صوابا ومنه قوله وجعلوا
اعزة اهلها اذلة وكذلك [illegible] من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير [illegible] والمراد بتطهير
الازواج انه [illegible] النساء من الحيض والنفاس [illegible] ومما يحتقن بهن من الاقذار والادناس ويجوز [illegible]
مخلقا [illegible] الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق التي عليها نساء الدنيا مما يلتبن [illegible] ومما يأخذ [illegible]
من اعراق [illegible] والمناسبات الدينية والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهن [illegible] وحيضهن وكيدهن
فرد قلت [illegible] الاحاديث الصحيحة مجموعة كما الموصوف قلت [illegible] هما لغتان فصيحتان يقال النساء
فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الكتاب واذا العذارى بالدخان تقنعت
واستحلت نصب القدر قلت والمعنى وجاءت ازواج مطهرات وقرأ زيد بن علي مطهرات وقرأ عيسى بن عمر

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا

مطهرة [illegible] وفي مصحف [illegible] الى [illegible] فاطهر به اطهرة اى [illegible]
فان قلت [illegible] قيل [illegible] فيه مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الاشياء
بلغ [illegible] اطهر من صابين [illegible] الله عز وجل المريد بعبادة الصالحين ان تخولهم كل مزية فيما اعطاهم
والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افائن
مت فهم الخالدون وقالت [illegible] امرؤ القيس [illegible] الا انعم صباحا ايها الطلل البالي وهل يعمن
من كان في العصر الخالي وهل يتعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال بينت هذه الآية
لبيان ان ما استنكره الجاهل [illegible] من الجنة والماء من اللفاء واستغربوه من ان تكون المحترات
من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه
من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب [illegible] ادناه المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل به مثله وان
كان حقيرا كان المتمثل به [illegible] فيه العظم والحقارة في المضروب به المثل اذا امر استدعيه
حال المتمثل له وتبجحه [illegible] فيمثل الغائب المثل على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا
جليا البلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل بالظلمة فلما كانت
حال الالهة التي جعلها الكفار اندادا لله لا جلال احقر منها واقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف
والوهن وجعلت اقل من الذباب واحقر قدرا وضرب [illegible] البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبد
ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلك [illegible] مثله محق في قوله سابق المثل على قضية مضربه
محتذ على مثال الحكمة ويستدعيه وبيانه ان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والعدل على الحق والتسوية
والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا مثل هذا التمثيل علموا انه الحق الذي لا مرية في الشبهة بلساجته
والصواب الذي لا يرتبع الخطاء حوله وان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغصبهم على بصائرهم
فلا يتفطنون ولا يلقون اذهانهم او عرفوا انه الحق الا ان حب الرياسة وهوى الالف والعادة الحلهم
ان يكفروا فاذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان كان سبب
بالهدى المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف انكروا ذلك وقالوا ما بال الناس
يضربون الامثال بالبهائم والطيور واجناس الارض والحشرات والهوام وهذه امثال العرب بين ايديهم منتشرة
في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد
واصبر من حمارة واضعف من فراشة واكسل من النمر وقالوا في البعوضة اضعف من بعوضة
واعز من مخ البعوض وكلتيهما مخ البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان
وحبة الخردل

ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له

هذا مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا

له عظيما كان المتمثل

والتخالة وحية للخزل والجهاد والارضة والدود والذبابة والتمثيل بهذه الاشياء باحقرها مما لا يغني
احدهما استقامته وصحته على من يراه ناسلة وللتنبيه على الجموح المبهوت الذي لا يبقى له ممثل بدليل
ولا متشبث بالمان ولا اقناع ان يرعى لنوط الحيرة والعجز عن اعالة الجملة بدفع الواضح وانكار المستقيم والتعويل
على المكابرة والمطاولة اذ لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت
في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحك اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله هذه
الاية والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحيوة يقال
حيي الرجل كما يقال نسي وحشي وشظي الفرس اذا اعتلت هذه الاعضاء جعل الحيي لما يعتريه من
الانكسار والتغير متعلل القوة منتقص الحيوة كما قالوا فلان هلك حياء من كذا ومات حياء
ورايت الهلال في وجهه من شدة الحياء وذات حياء وجمد في مكانه جملا وان قلت كيف جاز وصف
القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلعم
ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت
هو جار على سبيل التمثيل مثل ترك تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من عطايه للذي يترك من يترك
ردا لمحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله ان الله لا يستحيي او لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي
ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان يقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا ما يستحيي ربنا ان يضرب مثلا
بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع
وطراز عجيب منه قول الشاعر ما ابن صالح انا نعرب كلنا اتى بنيت الجاد قبل المنزل وشهد
رجل عند شريح فقال اني لبسط الشهادة فقال البخيل انما هو تجعد عينيه فقال له هل لك وقبل شهادته فالفه
سوغ بناء الجاد وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجاد وسوطة الشهادة
متنع تجعيدها ولله در ابن التنيل واحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستعرب منها فنا الا عثرت
عليه فيه على اقوم مناهجه واسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه اذا ما استحيين الماء يعرض نفسه
كرغن بسبب انا من الورد وقرا ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار
والتعدي بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته وهما محتملتان هنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من
ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله خاتما من ذهب وما هذه الهاء وهي التي
اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب
كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا

او البتة هذا اذا نصبت بعوضة فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف
صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي احسن ووجه اخر حسن جميل وهو ان تكون التي فيها معنى الاستفهام
لما استكثروا من تمثيل الله لاصنامهم بالحشرات قال ان الله لا يستحيي ان يضرب للانداد ما شاء من الاشياء
المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي ما وهب ما دينار وديناران واعني ان الله ان
يتمثل للانداد وحقارة شانها بالشيء اصغر منه والاقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزى وبما لا
يدركه لتناهيه في صغره الا هو وحده بلطفه او بالمعدوم كما تقول العرب فلان اقل من لا شيء في
العدد ولقائل ان يقول ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى الى رؤبة بن العجاج
وهو منبع العرب الخلص والفصحاء المشهود لها بالفصاحة وكانوا يستشهدون به للحس وما اظنه ذهب
في هذه القراءة الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا او مفعول
ليضرب ومثلا حال من النكرة متقدمة عليه او انتصابا مفعولين مجرى ضرب مجرى جعل واشتقاق
البعوض من البعض وهو القطع مصدر كالبضع والمضغ يقال بعضه البعوض وانشد لبعض البيت
بيت ليلى دفار اذا ما خاف بعض القوم بعضا ومن بعض الشيء لانه قطعة منه والبعوض في اصله صفة
على فعول كالقطوع فغلبت ولذلك لحقته تاء التانيث فان قلت ما معنى احدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي فيه
ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان لا يسئل الناس وانه لهم هو فوق ذلك شريف
هو ابلغ واعرق فيما وصف به من الكفالة والنذالة وللثاني فما زاد عليها في الخبر كانه قصد بذلك رد
ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما البتة من البعوضة كما تقول الصاحبك وقد ذم من عرفت
بشح بادنى شيء فقال فلان يبخل بالدرهم والدرهمين هو ابين ان لا يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه
ما يبخل فيه وهو الدرهم والدرهمان كما لو قلت فلان لا يبخل بالدرهم والدرهمين ونحوه في احتمالين ما سمعناه في
صحيح مسلم عن ابرهيم عن الاسود قال دخل شباب من قريش على عائشة وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم
قالوا فلانة خرت على طنب فسطاط فكادت عنقها تنقصم وعنه انه تذنب فقالت لا تفعلوا فاني خوفت رسول الله
صلعم قالوا من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما فوقها الشوكة
وما جاوزها في القلة وهي نحو خدشة النملة في قوله صلعم ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى
نخبة النملة وهي عضتها ويحتمل ما هو اشد من الشوكة واوجع كالخرور على طنب الفسطاط فان قلت
كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر قلت ليس كذلك فانه جناح
البعوضة قل منها واصغر بدرجات فقد ضربه رسول الله صلعم مثلا للدنيا وفي خلق الله ما هو اصغر منها

جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء

فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا

ومن جناحها ربما رأيت في تضاعيف الكتب الحقيقة ذوية لا يتادى بجلالها البصر الحاد الا أخذتها فاذا
سكنت فالسكون بوانيها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة
تلك واعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل في خلقة ما هو
ادعى لها واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون
وانشدت لبعضهم يا من يرى ما في الضمير وما خفا ... جناحها في ظلمة الليل البهيم الاليل ويرى مخ نياطها
في نحرها ... والمخ في تلك العظام النحل اغفر لعبد تاب من فرطاته ... ما كان منه في الزمان الاول واما
حرف في معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا
قصدت توكيد ذلك وانه لا محالة ذاهب والذي يصدد الذهاب انه منه عزمة قلت اما زيد فذاهب
ولذلك قال سيبويه في تفسير مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفائدتين على كونه توكيدا وانه في
معنى الشرط في ايراد الجملتين مصدرتين به وانه لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احاديه
عظيم لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم انه الحق وتعريض على الكافرين باغفالهم ظلمهم وعنادهم وتهكم بالحكمة الخفاء
والحق الثابت الذي لا ينسخ انكار يقال حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثبوت محقق لا
النسخ وما ذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين وان يكون ذا مركبة مع ما بمنزلة
اسما واحدا فتكون كلمة واحدة فهو على الوجه الاول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني
منصوب المحل في حكم ماذا وحده لو قلت ماذا اراد الله والاجود في جوابه ان يجيء على الاول مرفوعا وعلى الثاني
منصوبا ليطابق الجواب السؤال وقد جوزوا عكس ذلك كما تقول في جواب من قال ماذا رأيت خيرا اي المرئي
خير وفي جواب ماذا الذي رأيت خيرا اي رأيت خيرا وقد مر قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قرئ بالرفع والنصب
على التقديرين والارادة تقع على الكراهة وهي مصدر اردت الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وفي حد ذلك
المتكلمين الارادة هي توجب الحي حالا لاجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا في ارادة الله تعالى فبعضهم
على ان المباشر مثل صفة المريد منا التي هي القصد وهو امر زائد على كونه عالما غير ساه وبعضهم على ان معنى ارادته الاحداث
لا محالة هو انه فعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى ارادة الفعل من غيره انه امره بها والضمير في انه للحق المثل او لان
يضرب وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا استرذال واستحقار كما قالت عائشة رضي الله عنها لعبد الله بن عمرو بن العاص
يا عجلان بن عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب سخيف ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا
يريد ما كيف تنتفع بهذا سلاحا او على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وقوله يضل به كثيرا ويهدي
به كثيرا جاريان مجرى التفسير والبيان للمثلين المصدرتين بأما وان ضرب المثلين بانه للحق وفريقا الهاديين

خلقتها

اراد الله مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا

وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه

المستدرجين به كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون
نورا الى نورهم وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطا في جهلهم فان قلت
لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عباد الله الشكور وقليل ما هم الناس كالباقية
لا تجد فيها راحلة وجدت الناس اخبر تقله قلت اهل الهدى كثير في انفسهم وحين
يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا قال القليل من المهديين كثير في الحقيقة
والا فكلوا في الصورة فسوادها بالى الحقيقة كثيرا ان اللئام لكثير في البلاد وان
وان كثروا واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب لانه لما ضرب به المثل فضل به قوم واهتدى به
قوم تسبب لضلالهم وهداهم وعن مالك بن دينار رحمه الله انه دخل على محبوس قد اخذ بمال عليه وقيد فقال يا يحيى
اما ترى ما انا فيه من القيود فرفع مالك رأسه فرأى سلة فقال لي فما هي تنزل فاذا دجاج واخبصة
فقال الزهري وضعت القيود على رجلي وقد اذن زيد بن علي ان يضل به كثيرا وكذلك وما يضل به الا الفا
والفسق الخروج عن القصد قال زوبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشريعة الخارج
عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين او بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا ان اول
من حدث هذا الحد ابو حنيفة واصل بن عطاء ولو نزل بين ان حكم المؤمن في انه يناكح ويوارث ويغسل
ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته والا يقبل
له شهادة ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلاة لا تجزئ خلفه ويقال للخارج المرة من الكلام الفسقة
وقد جاء الاستعمال في كتاب الله تعالى بين الاسم المفسوق بعد الايمان بزيد الثمن والتنابز ان المنافقين هم
الفاسقون النقض الفسخ وفك التركيب في ذلك من اين ساغ استعمال النقض في ابطال العهد
قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من فنون الوصلة بين المتعاهدين ومنه
قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله اعزك
واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان يستلزموا عن ذكر الشيء المستفاد ثم يعزوا اليه
بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك المرموز على مكانه ونحو قولك نجاح يفتش من اقرانه وعالم يفترق عنه الناس واذا انت وجدت
اخلاء فاستوثقها لم تقل هذا الا وقد نبهت على النجاح والعالم بانهما اسد ونحوه وعلى المراد بالميثاق
الموثق وعهد الله في كل ما اذا وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق منه والمراد بهؤلاء
الناقضين لعهد الله احبار اليهود المتعنتون او منافقوهم او الكفار جميعا فان قلت فما المراد بعهد
الله قلت ما ركز في عقولهم من الحجج على التوحيد كانه امر وصاهم ووثقه عليهم وهو معنى

قال لمن سأله المسألة

سقوه

ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون

قوله واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى واخذ الميثاق عليهم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق
الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدم من الكتب المنزلة عليهم كقوله تعالى واوفوا بعهدي
بعهدكم اوف بعهدكم وقوله في الانجيل لعيسى صلوات الله عليه ما نزل عليك كتابا فيه نباء بني اسرائيل
وما اريته اياهم من الآيات وما انعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذي والقوا به وما
ضيعوا من عهدي اليهم وحسن صنعه للذين قاموا بميثاق الله واوفوا بعهده ونصر اياهم وكيف انزل
باسمه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقه ولم يوفوا بعهده لان اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا
باسم محمد صلعم من التحريف الجحود وكفروا به كما كفروا به وقيل هو اخذ الله العهد عليهم ان
لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلثة عهود
العهد الاول الذي اخذه على جميع ذرية آدم الاقرار بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك من بني آدم
به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
وعهد خص به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه
والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته كما
ان الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اي من بعد توثقته عليهم او من
بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وانذار رسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم
الارحام ومخالفة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق
في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض فان قلت ما الامر قلت طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه
عليه وبهيئة الامر الذي هو واجد الامور ان الداعي الذي يدعوا اليه من يقول له غبت بامري مجرى به
فقيل لو امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مامور به كما قيل له شان وشانه الطلب والقصد يقال
شانت شانه او قصدت قصده هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد
بالصلاح وعقابها بثوابها ميعني الهمزة التي في كيف مثلها في قولك اتكفرون بالله وعلم ما يصرف
عن الكفر ويدعوا الى الايمان وهو الانكار والتعجيب ونظيره قولك اتطير بغير جناح وكيف تطير
بغير جناح فان قلت قولك اتطير بغير جناح انكار للطيران من حيث تحيل بغير جناح واما الكفر
فغير مستحيل مع ما ذكر من الآيات والاحياء قلت قد اخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف
عن الكفر والداعي الى الايمان فان قلت فقد تبين امر الهمزة وانها لانكار الفعل والايذان باستحالته
في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان انكارا لحال التي يقع عليها الفعل قلت

ثم يحييكم ثم اليه ترجعون

حال الشيء تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان انكار حال الكفر لها تابع
ذات الكفر وردها انكار الذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ
وتحريره انه اذا انكر ان يكون للكفر هيئة حال يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك من حال وصفة
عند وجوده وحال انه يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق البرهاني والواو
في قوله وكنتم امواتا للحال فان قلت فكيف صح ان تكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الامير
الا ان تضمر قد قلت لم يدخل الواو على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى
ترجعون كانه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب
آبائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحيوة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم فان قلت
بعض القصة ماض وبعضه مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا
وقت وجود ما هو حال عنه فالحاضر الذي وقع حالا قلت هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون
وانتم عالمون بهذه القصة وبادئها وآخرها فان قلت فقد آل المعنى الى قولك على اي حال تكفرون
في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته قلت قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف الانكار وان انكار
الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قلت
ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم فلم يتصل بالاحياء الثاني والرجوع قلت
قد تعلموا من العلم بها بالدلائل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم ولئن جهلوا توقعا ندوا
والاموات جمع ميت كالاقوال في جمع قيل فان قلت كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا وانما
يقال ميت فيما صح فيه الحيوة من بعد قلت بل يقال ذلك لعادم الحيوة لقوله بلدة ميتا
وآية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في الروح والاحساس
فان قلت فما المراد بالاحياء الثاني قلت يجوز ان يراد به الاحياء في القبر وبالرجوع النشور
وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء فان قلت لم كان العطف الاول بالفاء والاعقاب بثم
قلت لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخ واما الموت فقد تراخى عن الاحياء والاحياء
الثاني لذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا وان اريد به احياء القبر فهو يلتحق العلم
بتراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ عن النشور فان قلت من اين الدل اجتماع الكفر مع القصة
التي ذكرها الا انها مشتملة على آيات يتقاضى تصرفهم عن الكفر على العلم جلائلها ان تشكروا ولا تكفرون

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ

قلت بحتمل الامرين جميعا لان ما عدده آيات وهي مع كونها آيات من اعظم النعم لكم
لاجلكم والانتفاع به في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فظاهر واما الانتفاع الديني فالنظر
فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالآخرة وثوابها وعقابها
لاشتماله على اسباب المآنس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر
الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع المؤذيات كالنيران والصواعق والتباع والوحوش
والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشياء التي يصح ان ينتفع بها ولم تجر
مجرى المحظورات في العقل خلقت في الاصل مباحة مطلقا للناس احد ان يتناولها ويستنفع بها فان قلت
هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت الى اراد بالارض الجهات
السفلية دون الغبراء كما ذكر السماء وتراد الجهات العلوية جاز ذلك لان الغبراء وما فيها واقعة
في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني والاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوت
العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان
يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيته بعد خلق ما في
الارض من غير ان يزيغ فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى
الى فوق والضمير في فسواهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسير كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء
والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه الاول والمعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه
واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن او اتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا
محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجاتها ومنافعهم ومصالحهم فان قلت
ما فرق بين معنى الاستواء الى السماء وقضاه ثم اعطاه معنى التراخي والمهلة قلت ثم هو سنا لما
بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين
آمنوا على انه لو كان يعني التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به لان المعنى انه حين قصد الى السماء لم يحدث
فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها خلقا آخر فان قلت انا يناقض هذا قوله والارض
بعد ذلك دحيها قلت لا لان دحو الارض لتقدم خلقه خلق السماء وانما دحوها فنتاجها
وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر ثم دحاها منها فاخرج منها الماء والمرعى
ثم اخرج الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في اوسطها وبسط منها الارض فذلك قوله كانتا

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ

الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

رتقا وهو الارتتاق واذ نصب باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا والملائكة جمع ملاك كالشمائل في جمع
شمأل والحاق التاء لتأنيث الجمع وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدأ والخبر وما قولك
في الارض خليفة فكائنا مفعوليه ومعناه مصيرا في الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره والمعنى
خليفة خلفه لانهم كانوا سكان الارض يخلفهم فيها آدم صلوات الله عليه وذريته فان قلت
فهلا قيل خلائف او خلفاء قلت اريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه
كما يستغنى بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفهم او خلقا يخلفهم فوجد الذكر وقرئ
خليفة بالقاف ويجوز ان يريد خليفة يعني ان آدم كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي
انا جعلناك خليفة في الارض فان قلت لاي غرض اخبرهم بذلك قلت ليسألوا ذلك
السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة
في وقت استخلافهم وتنبيها ليعلم عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم
ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة اتجعل فيها تعجب من ان يستخلف
مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير فان قلت
من اين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب قلت عرفوه باخبار من الله او من جهة
اللوح او ثبت في علمهم ان الملائكة وجدوهم الخلق المحدثون وكل خلق سواهم ليحلوا على صفتهم او
قاسوا احد الثقلين على الآخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل تكوين الارض الملائكة وقرئ يسفك
بضم الفاء ويسفك ويسفك من اسفك وسفك والواو في ونحن للحال كما تقول اتحسن الى فلان وانا
احق منه بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح في الارض والماء وقدس
في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويجوز ان يكون في موضع الحال اي نسبح حامدين لك ونقدسك بحمدك انعاما
علينا بالتوفيق واللطف لم تقل من عبادك اعلم ما لا تعلمون او اعلم من المصالح في ذلك ما خفي عليكم فان قلت
هلا بين لهم تلك المصالح قلت ليثني العباد اذا علموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم
وجه الحسن والحكمة على انه قد بين لهم بعض ذلك فيما اتبعه من قوله وعلم آدم الاسماء كلها واشتقاقهم
آدم من الادمة ومن ادیم الارض لانه خلق منها واشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس
من الابلاس وما آدم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون على فاعل كآزر وعابر وعابد
وشالخ وفالغ واشباه ذلك الاسماء كلها او اسماء المسميات فحذف المضاف اليه للعلم به وما
مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا يخلو من مسمى وعوض من ضمير اللام لقوله واشتغل الراس شيبا فان قلت

ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك
لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما

هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلم آدم اسميات الاسماء
قلت لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله انبئوني باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم
فلما انبأهم باسمائهم فما علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات ثم قال انبئهم بهؤلاء وانبئهم بهم وجب
تعليق التعليم بها فان قلت فما معنى تعليمه اسماء المسميات قلت اراءه الاجناس التي خلقها
وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من
المنافع الدينية والدنيوية ثم عرضهم على الملائكة او عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم
وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت ان كنتم صادقين يعني في زعمكم اني استخلف
في الارض مفسدين سفاكين للدماء وارادة للشر عليهم وان فيهم من يستحقه من الفوائد العلمية التي هي اصول
الفوائد كلها ما يستاهلون لاجله ان يستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض اجمل من ذلك المصالح
في استخلافهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض استحضارا لقوله
ظهر انه اعلم ما لا تعلمون الى انه جاء به على وجه ابسط من ذلك واشرح وقرئ وعلم آدم على البناء
للمفعول وقراءة عبد الله عرضهن وقراءة ابي عرضها والمعنى عرض مسميات هن او مسميات هذه الاجناس
الغرض لا يصح في الاسماء وقرئ انبيهم بقلب الهمزة ياء وانبئهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما السجود
لله تعالى على سبيل العبادة والخضوع على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم وابوا يوسف واخوته
له صلوات الله عليهم ويجوز ان يختلف الاحوال والاوقات وقراءة ابي جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء
للاتباع ويجوز ان يحتمل الكسرة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله الا ابليس
استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا بين الظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا
ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان يكون منقطعا اي امتنع مما امر به واستكبر عنه وكان من
الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك ابى واستكبر فخرج عن امر ربه الثاني من
الشؤم والخروج من الليث والاستقرار وانت تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف
المصدر اي اكلا رغدا واسعا هنيئا وحيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما اطلق لهما الاكل
من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض
المواضع الجامعة للماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها
الغاية في الحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ ولا تقربا بكسر التاء
وهذي والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن ابن عمر انه كرهها وقال لعن الله ابا يوسف

انت وزوجك الجنة في كلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه
الشجرة فتكونا من الظالمين

فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض
عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فتلقى آدم من ربه كلمات

مكة وسوداها من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله فتكونا جزم عطف على تقربا او
نصب جواب النهي الضمير في عنها للشجرة اي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وبحقيقته فاصدر الشيطان زلتهما
عنها وعن هذه مثلها في قوله وما فعلته عن امري وقوله بلوه عن اكل وعن شرب وقيل فازلهما
عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عن مكانه وزل عني ذاك اذا ذهب
عنك وزل من الشهر كذا وقرئ فازلهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة فكان الضمير
للشجرة في عنها وقراءة عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى
صدرت وسوسته عنها فان قلت كيف توصل اليه ازلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل لو اخرج
منها فانك رجيم قلت يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب في التكرمة لدخول الملائكة ولا يمنع
ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل كان يدنو من الباب وفيهما وقيل قام عند
الباب فناداهما وروي انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به ومنهم لا يعرفون
قيل اهبطوا خطاب لآدم وحواء وابليس وقيل والحية والصحيح انه لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما
لانهما لما كانا اصلي الانس ومتشعبتهم جعلا كانهما الانس والدليل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم
لبعض عدو ويدل عليه ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من
التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض مستقرا موضع استقرار او استقرار
ومتاع وتمتع بالعيش الى حين يريد الى يوم القيمة وقيل الى الموت فتلقى تلقى الكلمات استقبلها بالاخذ والقبول
والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته بالمعنى واتصلت به فما هي قلت
قوله ربنا ظلمنا انفسنا الآية وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول يا رب اسألك بحق محمد
الا تبت علي فقال من اين علمت محمدا ولم اخلقه بعد قال يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت
رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق
اليك فقال صدقت يا آدم انه احب الخلق الي ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقت آدم
وعن ابن عباس رضي الله عنه قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في من روحك قال بلى
قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال يا رب ارأيت ان تبت واصلحت اراجعي
انت الى الجنة قال نعم والكلمة بذلك توبة آدم دون توبة حوا صلوات الله عليهما لانها كانت تبعا له كما طوى ذكر
النساء في اكثر القرآن والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله ربنا ظلمنا انفسنا فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول
فان قلت لم كرر قوله قلنا اهبطوا قلت للتاكيد ولما يتعلق به من زيادة قوله فاما يأتينكم

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ يَا بَنِي
إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ

حتى هدى فان قلت ما جواب الشرط الاول قلت الشرط الثانى مع جوابه كقولك ان جئتنى
ان قدرت احسنت اليك والمعنى فاما يأتينكم منى هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم
بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فى مقابلة قوله فمن تبع هداى فان قلت فلم جئ
بكلمة الشك وايتان الهدى كائن لا محالة قلت للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه
بعثة الرسول وانزال الكتب وانه ان لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا
لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال فان قلت الخطيئة التى هى
اهبط بها آدم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى ما جرى
بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبوه الى الغى والعصيان
ولسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة قلت ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبه
من الاخلاص والاخلاق الصالحة التى هى اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى تغليظا للخطيئة
وتعظيما لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته فى اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على
انه اخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة وفسوق عن تبع هدى على لغة هذيل فلا خوف
بالفتح اسرائيل هو يعقوب عليه السلام لقب له ومعناه فى لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بنوه ابراهيم
واسمعيل غير منصرف لوجود العلمية والعجمة وقرئ اسرائل واسرائل وذكرهم النعمة ويعتدها عليهم
ويستعظمها ويطلبها بايمانهم واراد بها ما انعم به على آبائهم فما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه
ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم عليهم من ادراك زمن محمد صلعم
المبشر به فى التورية والانجيل والعهد يضاف الى الجاهد والجاهد جميعا يقال اوفيت بعهدى او بما عاهدت
عليه كقوله ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك او بما عاهدك عليه ومعنى واوفوا بعهدى واوفوا بما عاهدتموه
عليه من الايمان به والطاعة لى كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم وايتاى فارهبون فلا تنقضوا عهدى
وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد فى افادة الاختصاص من اياك نعبد وقرئ اوف بالتخفيف او ابالغ
فى الوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها وبجوز ان يريد بقوله واوفوا بعهدى عاهدوا عليه
ووعدوه من الايمان بنبى الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله وآمنوا بما انزلت لما معكم اول كافر به اول
من كفر به او اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقوله كسانا حلة اى كل

لوجوبه

ان لا يحملوا بشكر ما

وفارهبون وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم

مصدقا

وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا
الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ

واحد مقاوهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين به من
من اوحى اليه والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث
كان امرهم على العكس كقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا
به وبجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعنى من اشرك به من اهل مكة او ولا تكونوا وانتم تعرفونه
مذكورا فى التورية موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير فى به لما معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه
فقد كفروا به والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله لما اشترى المسلم اذ تنصرا
فانه شريف الجاهلية بعد كر بالجهل يعنى ولا تستبدلوا بآياتى ثمنا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة
التى كانت لهم فى قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا لرسول الله فاستبدلوها وهى بدل قليل ومتاع
يسير بآيات الله وبالحق الذى كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل كانت
عامتهم يعطون احبارهم من زروعهم وثمارهم ويحدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشى على تحريفهم الكلم
وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرايع وكان ملوكهم يدرون عليهم الاموال ليلقوا وتجنبوا البناء التى فى
بالباطل ان كانت صلة مثلها فى قوله لئلا يستشيء بالنبى وخلطه به كان المعنى ولا تلبسوا فى التورية
ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذى كتبتم حتى لا يتميز حقها وباطلكم وان
كانت بالاستعانة كالتى فى قوله كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم
الذى تلفقونه وتلتمسوا جزم داخل تحت حكم النهى يعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع
او ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقوله لا تأكل السمك وتشرب اللبن فان قلت
لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين مختلفين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق
قلت بل هما متغايران لان لبس الحق بالباطل ان يذكر من كتبهم فى التورية ما ليس منها ولكنهم
الحق ان يقولوا لا نجد فى التورية صفة محمد صلعم او حكم كذا او يمحوا ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه وفى
مصحف عبد الله وتلتمسون بمعنى كاتمين وانتم تعلمون فى حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لهم
لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه واقيموا الصلوة يعنى صلوة المسلمين وزكوتهم وارتعوا مع الراكعين
صلعم لان اليهود لا ركوع فى صلوتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم فى دين الله ويجوز ان
يراد بالركوع الصلوة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بان يصلى مع المصلين يعنى فى الجماعة

اول

وما الحكمة فى عمر جبريل

صلى الله عليه وآله وسلم

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ

كأنه قيل واقيموا الصلوة وصلوها مع المصلين ٢ منفردين أتأمرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب
من حالهم والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر للحج ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت
وكان الاحبار يأمرون من تبعهم في السر من قرابتهم وغيرهم باتباع محمد صلعم ولا يتبعونه وقيل
كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا اتوا بصدقات ليفرقوها حابوا فيها وعن محمد بن
كعب بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تأمروننا باشياء
عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نأمركم بها ونخالف الى غيرها ونسوا انفسهم وتتركونها من البر كالمنسيات
وانتم تتلون الكتاب تبلتيت مثل قوله وانتم تعلمون يعني تتلون الكتاب التورية وفيها نعت محمد صلعم و
فيها الوعيد على الخيانة وترك البر وترغيب مخالفة القول العمل افلا تعقلون توبيخ عظيم يعني افلا تعقلون
قبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكانكم في ذلك صلوا العقول لان العقول تأباه وتدفعه
ونحوه افتأتون الذكران وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم او لما تعبدون من دون الله افلا تعقلون واستعينوا على حوائجكم الى الله بالصبر والصلوة ليكون
بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ اللسان
ودفع الوساوس ومراعاة الاداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بانه
انتصاب بين يدي جبار السموات ليسأل فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وأمر اهلك بالصلوة
واصطبر عليها او واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة عند وقوعها وكان رسول
الله صلعم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وعن ابن عباس رضي الله عنه نعي اخوه اليه اخوه قثم وهو في سفر
فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا
بالصبر والصلوة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز
ان يراد بالصلوة الدعاء والاستعانة على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله في دفعها والضمير
للصلوة او للاستعانة ويجوز ان يكون لجميع الامور التي امرهم بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي الى
قوله واستعينوا للبينة لشاقة ثقيلة من قولك كبر علي هذا الامر اذا كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فان قلت
ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل قلت لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين من
على متاعبها فاهون عليهم الا ترى الى قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم او يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده
ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون ان لا بد من لقاء الجزاء فيعملونه على حسب ذلك ولذلك
فسر يظنون بيتيقنون واما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة ظاهرة فثقلت عليه

ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون

محققين ٣

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَاتَّقُوا
يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ٢٩

كالمنافقين والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال والصنايع اجرة زائدة على مقدار عمله
فتراه يتناوله بنشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضره كانه يستلذ مناولته بخلاف عامل
يتحفزه بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلعم وجعلت قرة عيني في الصلوة وكان يقول يا بلال
روحنا والخشوع الاخبات والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة واما الخضوع فاللين والانقياد
ومنه خضعت بقولها اذا لينته واني فضلكم نصب عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين
على الجم الغفير من الناس لقوله باركنا فيها للعالمين قال رايت عالما من الناس يراد الكثرة يوما يزيد
يوم القيمة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في جدعة بن عائذ يجزي عنكم ولا تجزي
عن احد بعدك شيئا مفعول به وبجزاء يكون في موضع مصدر اي قليلا من الجزاء كقوله ولا يظلمون
شيئا ومن قرأ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قراءته الا بمعنى شيئا من الاجزاء
وقرأ ابو السمال العدوي لا تجزى نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما
فاين العائد منها الى الموصوف هو محذوف تقديره لا تجزئ فيه ونحوه
ما انشده ابو علي تروحن اجدر ان تقيلي اي اجدر بان تقيلي فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع
فيه فاجرى مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله ام مال اصابوا وفي
التنزيل ان نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس شيئا من الاشياء والاهو الانقطاع الى القطاع للمطامع
ولذلك قرئ ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل او فدية لا تفادي لانها مجادلة للمفتدي ومنه الحديث
لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة ولا فدية وقرأ وقتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل
للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم ان آباءهم الانبياء يشفعون
لهم فاوبنوا هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة نعم لانه يقال
تقضي عن نفس حقا اخلت به من فعل او ترك ثم يقال ان يقبل منها شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل
للعصاة الضمير في ولا تقبل منها الى التي للنفس يرجع الى الغاية
العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا يقبل منها شفاعة ان جاءت بشفاعة
شفيع لم تقبل منها وجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي
عنها شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من
النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسي كما تقول ثلثة انفس اصل آل اهل ولذلك يصغر
باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشان كالملوك واشباههم ولا يقال آل الـ

الطامس الاطمس والتمسح المطمئن من الارض

عدل عن هو يعرفون واذ نجيناكم من آل فرعون

يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء
من ربكم عظيم واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون

الاسكاف والحداد والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس
ولغة الفراعنة اشتقوا لفرعون فعلا اذا اعتاد تجبر وفي ملح بعضهم قد جاوز الموسى الكلوم فزاد في
افعى تفرعن وفرطه عرامه وقرئ انجيناكم ويحتمل يسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما
قال لبيد عمر بن كلثوم اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقر الخسف فينا واصله من سام
السلعة اذا طلبها كانه يبغي بيعها ويريد ونلم عليه والسوء مصدر السيئ يقال اعوذ بالله
من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما او يعني سوء العذاب والعذاب كله سيئ اشد واظلعه
كانه فتحه بالاضافة الى سائره يذبحون بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف لقوله يصاهرون
قول الذين كفروا وقرأ الزهري يذبحون بالتخفيف لقوله قطعت الثياب وقطعتها
وقرأ عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يكون على يده
هلاكه كما انذر نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله والبلاء المحنة الى اشير
بذلك الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه
مسالك لكم وقد يجيء فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرقت بين الشيئين وفرقت بين الاشياء لان البحر كانت
اثنا عشر على عدد الاسباط ما يعنيكم فيه اوجه ان انهم كانوا يسلكونه
ويفترق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بين الشيئين بما يتوسط بينهما وان ياد فرقناه بسببكم
وبسبب نجاتكم وان تكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم لقوله تدوس منا الجماجم والتريا
او تدوسها وخبر الكهنة وروي ان بني اسرائيل قالوا لموسى صلوات الله عليه اين اصحابنا الذين كانوا
يبرزون امامهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعمني على اخلاقهم السيئة فاوحى الى البحر
ان قل بعضك لبعض هذا فقال بعضها على الخلاف فصارت فيها كوى فنظروا وتساءلوا كلامهم وانتم تنظرون
الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب
ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل
اربعين ليلة لان الشهور تعرف بها والليالي وقرئ واعدنا لان الله وعد الحق الوحي ووعد هو
المجيء للميقات الى الطور من بعد مضيه الى الطور وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم من
بعد ذلك من بعد ارتكابكم الامر العظيم وهو اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا النعمة في العفو
عنكم الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التوراة
لتدل رايت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراة ونحو قوله ولقد آتينا موسى وهرون

لعلكم تشكرون واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون

واذ آتينا موسى الكتاب قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل
فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه
هو التواب الرحيم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة

الفرقان وضياء وذكرا يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا او التوراة والبرهان الفارق
بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان
انفلاق البحر وقيل النصر الذي فرق به وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد يوم بدر حمل قوله فاقتلوا
انفسكم على الظاهر وهو الاصح وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا
العبدة وروي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضي لامر الله فارسل الله
ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا بالاسية يبوسهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل
سيوفهم وقيل لهم اضربوا فلعن الله من مد طرفه او جلس جلوسه او اتقى بيد او رجل فيقولون آمين
فتقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهرون عليهما السلام وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت
السحابة ونزلت التوبة فتطهرت الشهداء من ارجاسهم وكانت القتلى سبعين الفا فان قلت ما الفرق بين الفاء
قلت الاولى للتسبيب لغير ان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا
انفسكم من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا
التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا تخلوا اما ان يتعلق بما في قول موسى عليه السلام لهم فيتعلق بشرط محذوف
كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واما ان يكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير فعلتم
ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم فان قلت من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ قلت
البارئ هو الذي خلق الخلق ابدعها من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض
بالاشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تعريض بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي براهم
بلطف حكمته على الاشكال المختلفة ابدعها من التفاوت والتنافي الى عبادة البقرة التي هي مثل في الغباوة
والبلادة في امثال العرب بلد من ثور حتى عرضوا انفسهم لسخط الله ونزول امره بان يقتل ما ركبه
من خلقهم وينتثر ما نظم من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك ويظنوها بعبادة من
لا يقدر على شيء منها قيل التائبون الذين صلحوا وقيل قالوا عشرة الاف منهم عمرة عيانا وجه
مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كان الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب
مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من الرؤية فنصبت نصبها كما ينصب الفعل قعدت
الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر وفي
هذا الكلام دليل على ان موسى عليه السلام ادعى عليهم القول وعيرهم ان رؤية الله مجوز عليه ان يكون في جهة مجال وان من

فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون
وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم

استحالة على الله الرؤية فقد جعله من جملة الأجسام أو الأعراض فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان
والجواب أنهم لما في الكفر لعبدة العجل فسلط عليهم الصعقة كما سلط على أوائل القتل تسوية بين الكفرين ودلالة
على عظمها بعظم المحنة والصاعقة ما صعقتهم أي أماتتهم قيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت
من السماء وقيل أرسل الله جنوداً أسمعوا أصواتها فخروا صعقين ميتين يوماً وليلة وموسى عليه السلام تلك صعقة
موتاً ولكن غشية بدليل قوله فلما أفاق والظاهر أنه أصابهم ما ينظرون إليه لقوله وأنتم تنظرون وقرأ
علي رضي الله عنه فأخذتكم الصعقة لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت أو نعمة الله بعد ما كفرتموها إذا رأيتم
بأس الله فيعذبكم بالصاعقة وإذا فتلتم الموت وظللنا وجعلنا الغمام تظلكم وذلك في التيه حفظ الله لهم الثياب
تسير بسيرهم تظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوءه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم
المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لكل إنسان صاع وبعث الله الجنوب فجففه عليهم
السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه كلوا على إرادة القول وما ظلمونا بعضه فظلموا بأن كفروا هذه
النعم وما ظلموا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه القرية بيت المقدس وقيل أريحا من قرى
الشام أمروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا يصلون إليها وهم لم يدخلوا
بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام وأمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكراً لله وتواضعاً وقيل السجود أن ينحنوا
ويتطأطئوا داخلين ليلاقوه دخولهم بخشوع وإخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فلم يخفضوها
ودخلوا مزحفين على أوراكهم حطة قولوا حطة من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدأ محذوف أي مسألتنا حطة
أو أمرنا حطة والأصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وإنما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل
فكلانا مبتلى والأصل صبراً على أجد صبراً وقرأ ابن أبي عبلة بالنصب على الأصل وقيل معناه أمرنا حطة أي أن نحط
في هذه القرية ونستقر فيها فإن قلت هل يجوز أن ينصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى
قولوا هذه الكلمة قلت لا يبعد والأجود أن تنصب بإضمار فعلها وينتصب محل ذلك المضمر بقولوا وقرئ
يغفر لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء ونزيد المحسنين أي من كان محسناً منكم كانت تلك الكلمة سبباً في
زيادة ثوابه ومن كان مسيئاً كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين ظلموا أي وضعوا مكان حطة قولاً غيرها يعني
أنهم أمروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه إلى قول ليس معناه يعني ما أمروا به ولم يمتثلوا أمر الله وليس
الغرض أنهم أمروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤوا بآخر مستقل بعينه ما أمروا به لم يأخذوا به كما لو قالوا
مكان حطة نستغفرك ونتوب إليك أو اللهم اعف عنا وما أشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا

بلفظه

لا لأنهم لو جاؤوا بلفظ الحنطة

على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون

وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً
قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين

بالتيه طعاماً سقاناً أو حطة جزاء استهزائهم بما قيل لهم وعدولاً عن طلب ما عند الله إلى طلب ما يشتهون
من أغراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح أمرهم وإيذاناً بأن إنزال الرجز عليهم لظلمهم وقد
جاء في سورة الأعراف فأرسلنا عليهم الآية والرجز العذاب وقرئ بضم الراء وزعمت أنه مات
منهم في ساعة بالطاعون أربعة وعشرون ألفاً وقيل سبعون ألفاً عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل
له اضرب بعصاك الحجر واللام إما للعهد والإشارة إلى حجر معلوم فقد روي أنه حجر طوري حمله معه وكان
حجراً مربعاً له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلث أعين لكل سبط عين تسيل في جدول إلى السبط الذي
أمر أن يسقيهم وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثني عشر ميلاً وقيل أهبط آدم من الجنة فتوارثوه
حتى وقع إلى شعيب فدفعه إليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل أذرمه بالأدرة
فعدا به قال له جبريل يقول الله لا ارفع هذا الحجر فإن فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته وإما للجنس
أي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم أمن أن يضرب حجراً بعينه قال وهذا الظاهر في الحجة وأبين
في القدرة وروي أنهم قالوا كيف نبالي إذا أفضينا إلى أرض ليست فيها حجارة فحمل حجراً في مخلاته فحيث ما نزلوا
ألقاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر يضربها فينبجس لقالوا إن فقد موسى عصاه مكثنا عطشاناً فأوحى
إليه أن تنبع الحجارة وكلمها لتطيعك لعلهم يعتبرون وقيل كان ذراعاً في ذراع وقيل مثل رأس
الإنسان وقيل كان من أرس الجنة طوله عشرة أذرع على طول موسى عليه السلام وله شعبتان تتقدان في الظلمة
وكان يحمل على حمار فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف فضرب فانفجرت أي فإن ضربت فقد انفجرت
كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع إلا في كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين وبفتحها
وهما لغتان كل أناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا على إرادة القول من رزق الله مما
رزقكم الله من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون وقيل الماء ينبت منه الزرع والثمار فهو رزق
يؤكل ويشرب والعثي أشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لأنهم كانوا متمادين
فيه كانوا قطاعاً فنزعوا إلى عكرمة فأجمعوا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت نفوسهم الشقاء على طعام واحد
أرادوا ما نزعوا في التيه من المن والسلوى بدل طعامنا هما طعامان فإنهم قالوا على طعام واحد
أرادوا بالواحد ما لا يختلف لا يتبدل ولكان على ما يأكله الرجل الواحد عيشه يداوم عليهما كل يوم
لا يبدلهما قيل لأبي كل فلان طعاماً واحداً يريدون به الوحدة في التبدل والاختلاف وقيل أرادوا به وحدة
أنهما ضربا واحد لأنهما نوعان من طعام أهل التلذذ والتنعم وفي قوم فلاحة أهل زراعة فإن يريد الإله
ما النباتات وغيرها من الأشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحوها وبعضها يخرج لنا يظهر لنا ويوجد

كلوا

أفسادكم

وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها

وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا
مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ

والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التي ياكلها الناس كالنعناع والكرفس
والكراث واشباهها وقرئ وثومها بالضم والقوم الحنطة ومنه قوموا لنا اي اخبزوا وقيل
الثوم وتدل عليه قراءة ابن مسعود وفومها وهو للحبوب البصل او فوق الذي هو ادنى الذي هو
اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو ادنى المحل وقريب
المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقراءة
زهير الفرقبي ادنا بالهمز من الدناءة اهبطوا مصرا وقرئ اهبطوا بالضم اي انحدروا اليه من
التيه يقال هبط الوادي اذا نزله وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين
وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ومحل الارض يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف
والتانيث لسكون وسطه تقولونه خاولونه وفيها البحة والتعريف وانما اريد به البلد فما فيه الا سبب
واحد وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد الله وقراءة الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين لقوله
ادخلوا مصر وقيل هو مصر ايهم فعرب وضربت عليهم الذلة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم
فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حيث لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على
الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون ابدا واصل مسكنة وملقعة اما على حقيقته واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة
ان تضاعف عليهم الجزية وباءوا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته
له ومكافاته اي صاروا احقاء بغضبه ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة
بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم
سلوات الله عليهم قتل الانبياء من يكون الا بغير الحق فما فايدة ذكره معناه انهم قتلوهم
بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا الا افسادا في الارض فيقتلوا وانما ينحصر وجوههم لما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا
وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وكانوا يعتقدون ان القتل عندهم وقراءة علي وغيره ويقتلون بالتشديد ذلك اشارة الى ما
عصوا بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء
وقيل هو اشارة الى ضرب الذلة والمسكنة لذلك اي الكفر وقتل الانبياء على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم
لانهم اخلوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على الجحود بالآيات وقتل الانبياء او ذلك الكفر والقتل مع ما
عصوا ان الذين آمنوا والذين هادوا بالمستهم من غير مواطاة القلوب هم المنافقون والذين هادوا والذين
تهودوا يقال هاد تهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود والنصارى وهم جمع نصران
يقال رجل نصران وامرأة نصرانة قالت نصرانة لم تحتف والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري سواء

وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ
وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

لانهم نصروا المسيح والصابئين وهو من صبا اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصارى
وعبدوا الملائكة من آمن من هؤلاء الفرق ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام دخولا اصيلا وعمل صالحا
فلهم اجرهم الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت ما محل من آمن قلت الرفع ان
جعلته مبتدأ خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف عليه خبران في الوجه الاول الجملة كما
هي وفي الثاني فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط واذ اخذنا ميثاقكم العمل على ما في التوراة ورفعنا فوقكم الطور حين
قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الاصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم
وابوا قبولها فامر جبريل فقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم
حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا ما في الكتاب
وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا
تولية ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به فلولا فضل الله عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرئ خذوا ما آتيناكم وتذكروا
واذكروا السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وان ناسا منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا ما حد
لهم فيه من التجرد للعبادة وتوفيهم واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله ابتلاهم فكانت الحيتان تجيء يوم السبت
خرطوما يوم السبت فاذا مضى تفرقت كما قال تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم
لذلك بلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد
فذلك لبثهم في الحياض هو اعتداؤهم قردة خاسئين خبران او كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الطرد
والابعاد فجعلناها اي المسخة نكالا عبرة تنكل من اعتبرها اي تمنعه ومنه النكل القيد لما بين يديها
قبلها وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون لانها مسخهم ذكرت في كتب الله لين فاعتبروا بها واعتبر بها
من بلغتهم من الآخرين او لما بين يديها لما حضرها من القرى ولما خلفها عقوبة من تاخر عنها
يدها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تاخر منها وموعظة للمتقين تخويفهم عن الاعتداء من صالحي قومهم ولكل
متقي سمعها كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتل ابن عم له بنو اخيه ليرثوه وطرحوه على مدينة ثم جاءوا يطالبون بدمه
فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوا ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اجعلنا مكان هزء
او اهل هزء او مهزوا بنا والهزء نفسه لفرط استهزائهم من الجاهلين لان الهزء في محل هذا من باب الجهل
والسفه قرئ هزوا بضمتين وهزوا بسكون الزاء نحو كفوا وكفوا وقراءة حفص هزوا بالضمتين والواو وكذلك
كفوا والعياذ واللياذ من واد واحد في قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هي سؤال عن حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا
من بقرة حية يضرب بعضها فيحيى فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان الخارجة عما عليه البقر

بيت

فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع
لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي

والفارض المسنة وقد فرضت فروضا قال خفاف بن ندبة لعمري لقد أعطيت ضيفك فارضا تساق إليه
ما تقوم على رجل وكأنها سميت فارضا لأنها فرضت سنها أي قطعتها وبلغت آخرها والبكر الفتية والعوان
النصف قال نوابغ بين البكر وعوان وقد عونت فإن قلت بين تقتضي شيئين فصاعدا
فمن أين جاز دخوله على ذلك قلت لأنه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به إلى ما ذكر من الفارض
والبكر فإن قلت كيف جاز أن يشار به إلى موتنين وإنما هو للإشارة إلى واحد مذكر
قلت جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا فعلا نائبا عن فاعل
جملة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك أفعال كثيرة وقصة طويلة كما تقول لما أحسن
ذلك وقد يجري الضمير مجرى اسم الإشارة في هذا قال أبو عبيدة قلت لرؤبة في قوله فيها خطوط
من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق إن أردت الخطوط فقل كأنها وإن أردت السواد والبلق فقل كأنهما
فقال أردت كأن ذاك وذلك والذي حسن منع الإشارة تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة
ولذلك الموضوعة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ما تؤمرون به من قولهم أمرتك الخير أو أمرتكم بمعنى مأموركم تسمية
للمفعول بالمصدر كضرب الأمير القتيل فاقع شديد ما يلون من الصفرة والصفرة يقال في التوكيد أصفر فاقع ووارس
كما يقال أسود حالك وحالك وأبيض يقق ولهق وأحمر قاني وذرحي وأخضر ناضر ومدهام وأورق خطبا
وأرمك رداني فإن قلت فاقع هنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا لصفراء قلت لم يقع
خبرا عن اللون إنما وقع توكيدا لصفراء إلا أنه أراد رفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس
بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها فإن قلت فهلا قيل صفراء فاقعة
وأي فائدة في ذكر اللون قلت الفائدة فيه التوكيد لأن اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكأنه
قيل شديدة الصفرة صفرتها هو من قولك جد جده وجنونك بجنونه وعز وهب إذا نظرت إليها خيل
إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه وعن علي رضي الله عنه من
لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة
السواد ولعله مستعار من صفرة الإبل لأن سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله عز وجل جمالة صفر وقال
الأعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر أولادها كالزبيب ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال
عن حالها وصفتها واستكشاف زيد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي صلعم لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها
لأجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم وعن بعض الخلفاء أنه كتب إلى عامله بأن يذهب
إلى قوم فيقطع أشجارهم ويهدم دورهم فكتب إليه بأيهما أبدأ فقال إن قلت كل قطع الشجرة سألتني بأي نوع

إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول
تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون

منها أبدأ وعن عمر بن عبد العزيز إذا أمرتك أن تقطع فلانا شاة سألتني أضأن أو ماعز فإن بينت
لك قلت أذكر أم أنثى فإن أخبرتك قلت أسوداء أو بيضاء فإذا أمرتك بشيء فلا تراجعني وفي الحديث أعظم
الناس جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم لأجل مسألته إن البقر تشابه علينا أي إن البقر الموصوف بالتعيين
والصفرة كثيرة فاشتبه علينا أيها تذبح وقرئ تشابه بحذف التاء وإدغامها
في الشين وتتشابهة وتتشابه وقرأ محمد ذو الشامة إن الباقر يتشابه بالياء والتشديد جاء في
الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد لو لم يقولوا إن شاء الله والمعنى إنا لمهتدون إلى البقرة المراد
ذبحها أو إلى ما خفي علينا من أمر القاتل لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب وإثارة
الأرض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها يعني الحروث والأولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الأولى
لأن المعنى لا ذلول تثير وتسقي على أن الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرأ
أبو عبد الرحمن السلمي لا ذلول هناك أي حيث هن وهو نفي لذلها ولأن توصف به فيقال هي ذلول نحو قولك
مررت بقوم لا بخل ولا جبان أي فيهم أو حيث هم وقرئ تسقي بضم التاء من أسقى مسلمة سلمها الله
من العيوب أو سلمت من العمل سلمها أهلها منه كقوله أو مغير الظهر ينبي عن ولية ما حج ربه في
الدنيا ولا اعتمرا أو خالصة اللون من سلم له كذا إذا خلص له لم يشب صفرتها بشيء من الألوان لا شية
فيها لمعة في نبتها من لون آخر سوى الصفرة في صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الأصل مصدر
وشاه وشيا وشية إذا خلط بلونه لونا آخر ومنه توريه وشي القوائم الآن جئت بالحق أي بالحقيقة
وصف البقرة وما بين إشكالها في أمرها فذبحوها أي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلها
فذبحوها وقوله وما كادوا يفعلون استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وإنهم لتطويلهم المفرط واستكشافهم
ما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وروي أنه كان في بني إسرائيل شيخ
صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم إني أستودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فنبتت
وكانت أحسن البقر وأسمنها فساومها اليتيم وأمه بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة إذ ذاك
بثلثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة فإن قلت كانت البقرة
التي تناولها الأمر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات فذبحوها
المخصوصة فما فعل الأمر الأول قلت رجع منسوخا لانتقال الحكم إلى البقرة المخصوصة

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا
كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

والنسخ قبل الفعل جائز على ان الخطاب كان لاجلها متناولا لهذه البقرة الموصوفة
كما تناول غيرها ولو وقع الذبح عليها لحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك اذا
وقع عليها بعد التخصيص واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فاختلفتم
واختصمتم في شانها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه او تدافعتم بمعنى
طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح اولان الطرح في نفسه دفع او دفع بعضكم
بعضا عن البراءة وانتم والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتل لا يترك
مكتوما فان قلت كيف اعمل مخرج وهو في معنى المضي قلت قد حكيت
ما كان مستقبلا في وقت التدارء كما يحكى الحاضر في قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين
المعطوف والمعطوف عليه وعما اذا ادارأتم وقلنا والضمير في اضربوه اما ان يرجع الى النفس والتذكير
على تاويل الشخص والانسان واما الى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون بعضها ببعض البقرة
واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى
وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الخنصر وهو اصل الاذن وقيل
الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله
كذلك يحيي الله الموتى روي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما
وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك
كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة ويريكم آياته دلايله على انه قادر على كل شيء
لعلكم تعقلون تعلمون على قضية عقولكم وان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء
الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث واما ان يكون خطابا للمنكرين
في زمن رسول الله صلعم فان قلت هلا احياه ابتداء ولم شرط في احيائه
ذبح البقرة وضربه ببعضها قلت في الاسباب والشروط حكم وفوائد وانما
شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب واداء التكليف والكتابة والاشعار بحسن
تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم والاخذ بهم في ترك
التشديد والمسارعة الى امتثال اوامر الله تعالى وارتيادهم على الفور من غير تفتيش وتكثير
سؤال ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالابوين والشفقة على الاولاد وتحصيل

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً

الهازي بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان ان من حق المتقرب الى ربه ان
يتوفق في اختيار ما يتقرب به وان يختار فتي السن غير فحيم واضح حسن اللون بريا من العيوب
يوثق من ينظر اليه وان يغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان الزيادة
في الخطا نسخ قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لما فيه الى البداء وليعلم بما امر من مس
الميت بالميت وصول الحيوة عقيبه ان الموثر هو المسبب لا الاسباب لان الموتين الحاصلين في الجسمين
لا يعقل ان يتولد منهما حيوة فان قلت فما للقصة لم تقصر على تنبيهها وكان حقها ان تقدم ذكر القتيل
والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة
واضربوه ببعضها قلت كل ما قص من قصص بني اسرائيل انما قص تقديما لما وجد
منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولما جدد فيهم من الآيات العظام وهاتان قصتان كل واحدة
منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى التقريع على الاستهزاء وترك المبادرة
الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما تبعه من الآية العظيمة
وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لو عطف على عكس لكانت قصة واحدة ولذهب
الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعد ما استوفيت الثانية استيناف قصة براسها ان
وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى تبين
انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستيناف مع تاخيرها وانهما
قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة معنى ثم قست استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب
ورقتها ونحو ثم انتم تمترون وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ
لا تؤثر فيها وذلك اشارة الى احياء القتيل او الى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة فهي كالحجارة في
قوتها مثل الحجارة او اشد قسوة منها واشد معطوف على الكاف اما على معنى او مثل اشد قسوة فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وتعضده قراءة الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة واما على او هي
في انفسها اشد قسوة والمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى منها وهو الحديد مثلا
او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة فان قلت لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة
مما يجيء منه افعل التفضيل وفعل التعجب قلت لكونه ابين وادل على فرط القسوة ووجه
آخر وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة
الحجارة وقولهم اشد قسوة وقرت قساوة وترك ضمير المفضل لعدم الالباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم

وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا
تَعْمَلُونَ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ
وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ

وقوله وان من الحجارة بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة وقرئ وان بالتخفيف وهي ان المخففة من الثقيلة التي يلزمها اللام الفارقة ومنها قوله وان كل لما جميع والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرأ مالك ابن دينار ينفجر يتشقق به قرأ الاعمش والمعنى ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منه الماء ايضا يهبط يتردى من اعلى الجبل وقرئ بضم الباء والخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به وقرئ يعملون بالياء والتاء وهو وعيد افتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يصدقوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة فيمن سلف منهم يسمعون كلام الله وما يتلونه من التورية ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله صلعم وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى عليه بالطور وما امروا به ونهوا ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا باس وقرئ كلم الله من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم شبهة في صحته وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون والمعنى كيف هؤلاء وجرفوا فلهم طامعة في ذلك واذا لقوا يعني اليهود قالوا قالوا آمنا بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا الى بعض الى الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من صفة محمد صلعم او قال المنافقون لاعقابهم يدونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فيناقضون المؤمنين ويناقضون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الاتراك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا يعني واحد يعلم جميع ما تسرون وما تعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان ومنهم اميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها الا يعلمون الكتاب التورية الا اماني الا ما هم عليه من اماني يمنيهم وان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وما يمنيهم احبارهم من ان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا اكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد من اعلاق لابن ذاب في شيء حدث به احدثني روية ام تمنيته اي اختلقته وقيل الا ما يقدرون من قولهم تمنى كتاب الله اول ليله والاستثناء من منى اذا قدر لان المتمني يقدر في نفسه ويجزم ما يتمناه وكذلك المختلق والقارئ يقدر ان كلمة كذا بعد كذا والا اماني من الاستثناء المنقطع وقرئ الا اماني

من يعمل ما عقلوه وهم يعلمون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وان خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ويعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ٤٥
فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً
قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

بالتخفيف ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على انهم في الضلال سواء لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن وهو مؤمن من العلم يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد وهو من مجاز التاكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه مما يكتبون من الرشى اياما معدودة اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما فلن يخلف الله عهده ام اما ان تكون معادلة يعني اي الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما ويجوز ان تكون منقطعة بل اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي بلى تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون من كسب سيئة من السيئات يعني كبيرة من الكبائر واحاطت به خطيئته تلك واشتملت عليه كما يحيط العدو ولم ينفصل عنها بالتوبة وقرئ خطاياه وخطياته وقيل في الاحاطة كان ذنبه اغلب من طاعته وسأل رجل الحسن فقال سبحان الله الا اراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئة المحيطة انظر في المصحف فكل آية نهى فيها الله عنها واخبرك انه من عمل بها ادخله النار فهي الخطيئة المحيطة لا تعدون اخبار في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كانه شروع في الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصر قراءة عبد الله وابي لا تعبدوا ولا تعبدون اراد القول ويدل عليه ايضا قوله وقولوا وقوله وبالوالدين احسانا اما ان يقدر وتحسنون بالوالدين او واحسنوا وقيل هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له مجرى القسم كانه قيل واذ اخذنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه اذ لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل ان لا تعبدوا ان يكون ان فيه مضمرة وان تكون ان مع الفعل بدلا من الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لانهم غيب حسنا قولا هو حسن في نفسه لا فرط حسنه وقرئ حسنا وحسنى على المصدر كبشرى ثم توليتم على طريقة الالتفات اي توليتم عن الميثاق ورضيتم به الا قليلا منكم قيل هم الذين اسلموا منهم وانتم معرضون وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا لمودة وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاخلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم

بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون

تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان
وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب

وشهادتهم والمعنى ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني أنكم قوم آخرون غير أولئك المقرين تنزيلا لتغير
الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وقوله تقتلون بيان لقوله فريقا
أنتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين وقرئ تظاهرون بحذف التاء وإدغامها
وتظاهرون بإثباتها وتظهرون بمعنى تتظاهرون أي تتعاونون عليهم وقرئ تفدوهم وتفادوهم
وأسرى وأسارى وهو ضرب الشاني ويجوز أن يكون مبهما تفسيره إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب
أي بالفداء وتكفرون ببعض أي بالقتال والإجلاء وذلك أن قريظة كانوا حلفاء الأوس والنضير
حلفاء الخزرج وكان كل فريق يقاتل مع حلفائه وإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم وإذا أسر
رجل من الفريقين جمعوا الحيين ففدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون
أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي أن نذل حلفاءنا والخزي قتل بني قريظة وإسرهم
وإجلاء بني النضير وقيل الجزية وإنما ذكره من قول منهم ذلك إلى أشد العذاب لأن عصيانه أشد
وقرئ يردون ويعملون بالياء والتاء فلا يخفف عنهم العذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم
أحد بالدفع عنهم وكذلك عذاب الآخرة الكتاب التوراة آتاه إياها جملة واحدة ويقال قفاه إذا أتبعه
من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به أتبعه إياه يعني وأرسلنا على أثره الرسل كقوله ثم
أرسلنا رسلنا تترى وهم يوشع وإشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وإرميا وعزير
وحزقيل وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وقيل عيسى بالسريانية إيشوع
ومعناه الخادم وقيل المسيح بالعبرية من النساء كالذكير من الرجال وبه فسر قول روبة قلت
لبزيزم قطره مريه ووزن مريم عند التوبيخ مفعل لأن فيعلا بفتح الفاء لم يثبت في الأبنية
كسيد وميت وعليب البينات المعجزات الواضحات والحجج كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص
والإخبار بالمغيبات وقرئ وأيدناه ومنه أجدت بالجيم إذا أطرت يقال الحمد لله الذي أجدني
بعد ضعف وأوجدني بعد فقر بروح القدس بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق وصفهما
بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل لأنهم تقدسوا عن الأصلاب
والأرحام الطواهر وقيل جبريل وقيل الإنجيل كما قال في القرآن روحا من أمرنا وقيل اسم
الله الأعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد آتينا بني إسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم فكلما جاءكم
رسول منهم بالحق استكبرتم عن الإيمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب
من شأنهم وبحوالة يريد ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم وتحتم على ذكره دخول الفاء الواطئة

فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم
وفريقا تقتلون

وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من
عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم

على المقدر هلا قيل وفريقا قتلتم هو على وجهين أن يراد الحال الماضية
لأن الأمر فظيع فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب وأن يراد وفريقا تقتلونهم بعد أن تكبروا
حول قتل محمد لولا أنبياء منكم ولذلك تحرمون وسمعته أم الشاة وقال صلعم عند موته ما زالت
أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان قطعت أبهري غلف جمع أغلف أي هي خلقة وجبلة مغشاة
بأغطية لا يتوصل إليها ما جاء به محمد ولا تفقهه مستعار من الأغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا
في أكنة فما تدعونا إليه ثم رد الله أن يكون قلوبهم مخلوقة كذلك لأنها خلقت على الفطرة والتمكن من
قبول الحق بأن الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما أحدثوا من الكفر الزائغ عن
الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الألطاف التي تكون للمتوقع إيمانهم وللمؤمنين فقليلا ما يؤمنون فإيمانا
قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو إيمانهم ببعض الكتاب ويجوز أن يكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف
تخفيف غلف جمع غلاف أي قلوبنا أوعية للعلم فنحن مستغنون عنك أي عن غيره وروي عن أبي عمرو قلوبنا
غلف بضمتين كتاب من عند الله هو القرآن مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا
على الحال كيف جاز نصبها عن النكرة إذا وصفت النكرة تخصصت
فصح انتصاب الحال عنها وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به
واستهانوا بمجيئه ولما أشبه ذلك يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على المشركين إذا قاتلوهم قالوا اللهم
انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة يقولون لأعدائهم من المشركين
قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم
ويعرفونهم أن نبيا يبعث منهم قد قرب أوانه والسين للمبالغة أي يسألون الفتح عليهم كالسين في استجاب
واستجاب وسأل بعضهم بعضا أن يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا
وحرصا على الرياسة على الكافرين أي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم
واللام للعهد ويجوز أن يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا أوليا ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس شيئا
اشتروا به أنفسهم والمخصوص بالذم أن يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم
وهو علة اشترط أن ينزل لأن ينزل أو على أن ينزل جحدوه على أن ينزل الله من فضله الذي هو الوحي
على من يشاء وتقتضي حكمته إرساله فباؤا بغضب على غضب فصاروا أحقاء بغضب متراد فإنهم كفروا
بمن الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بعيسى بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله
مغلولة وغير ذلك من أنواع كفرهم بما أنزل الله مطلق فيما أنزل الله من كل كتاب قالوا نؤمن بما أنزل علينا مقيد

بما أنزل الله بعينه أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فبؤوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا

وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ

بالتورية ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التورية وهو الحق مصدقا لما معهم
منها غير مخالف له وفيه رد لما لتعصبهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم
الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتورية والتورية لم تسوغ قتل الانبياء وانتم ظالمون بجوازه يكون حالا اي
عندكم العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها واي يكون اعتراضا يعني وانتم قوم عادتكم الظلم وكذا رفع الطور
لما يلحظ به من زيادة ليست مع الاولى مع ما فيه من التوكيد واسمعوا ما امرتم به في التورية قالوا سمعنا قولك وعصينا
امرك فان قلت فكيف طابق قوله جوابهم طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا
وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا طاعة طلعة واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم
حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون
في بطونهم نارا يكفرهم بسبب كفرهم بئسما يأمركم به ايمانكم بالتورية لانه ليس في التورية عبادة العجاجيل
واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلوتك تأمرك وكذلك اضافة الايمان اليهم وقوله
ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له خالصة نصب على الحال من الدار الاخرة
والمراد الجنة اي سالمة لكم خاصة بأسرها ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من
كان هودا او النصارى للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون فتمنوا الموت لانه من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق
اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات المتاعب كما روي عن المشركين بالجنة
ما روي ان علي رضي الله عنه يطوف بين الصفين في الحالة فقال له ابنه الحسن ما هذا زي الحاربين فقال ما بالي
لم يبال ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر
قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن الاقي
الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن اليه وعن النبي صلعم لو تمنوا الموت
لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما يتمنى على وجه الارض يهودي بما قدمت ايديهم بما اسلفوا
من موجبات النار من الكفر بمحمد صلعم وما جاء به وتحريف كتاب الله تعالى وسائر انواع الكفر والعصيان وقوله
ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا
ما اذن لكم لن يتمنوا لانهم لو تمنوه لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه من
اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن في الاسلام اكثر من الذرة وليس منهم احد نقل ذلك
التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لم يتمنوا ليس التمني
من اعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا اذا قاله قائلا تمنى وليت كلمة التمني ويجاب ان

بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين ولتجدنهم احرص الناس على
حياة

واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا

وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ
يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ

يقع التمني على في الضمائر والقلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل
انهم قالوا ذلك فان قلت لم يقولوه لانهم علموا انهم لا يصدقون قلت كم حكي عنهم من اشياء قالوها
المسلمين من الافتراء على الله تعالى وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين فيه وما امهل له الا لكذب البحت
ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا صادقين في
قولهم واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون كاذبا لانه امر خاف لا
سبيل الى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين تهديد لهم هو من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين في قولهم ولتجدنهم
وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعوله هم احرص فان قلت لم قال على حياة بالتنكير قلت
لانه اراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ولذلك كانت تمناها وقع من قراءة ابي على الحيوة ومن الذين اشركوا
محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس فان قلت الم يدخل الذين اشركوا تحت الناس
قلت بلى ولكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا لدلالة
احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لانه اذا كان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الحياة الدنيا فحرصهم
عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد حرصهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ
فان قلت لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لانهم علموا بعلمهم بحالهم انهم صائرون
الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون
لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان وعن ابن عباس رض وهو قول الاعاجم زي هزار سال وقيل ومن
الذين اشركوا كلام مبتدأ اي ومنهم ناس يودون احدهم على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم والذين
اشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه
اي وما احدهم بمزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز
ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والايحاء فان قلت يود احدهم ما موقعه
قلت هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف فان قلت كيف اتصل لو يعمر بيود احدهم
قلت هي حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو اعمر الا انه جرى على لفظ الغيبة
لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن روي ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك جاء رسول الله صلعم
وسأله عن مسائل فهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدو نادوا كان غيره لآمنا به وقد عادانا مرارا واشد ما
انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فليته يأتي على غلامنا مسكينا
فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امر بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اتيا فعلى اي حق تقتلونه

قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى
وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو

وقيل امره الله ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر رضه ارض بعالي المدينة وكان
يمر على مدراس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد اصبنا منك وانا نطمع فيك فقال والله ما اصبتم لحيتكم
ولا اسالكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم ازدادا بصيرة في امر محمد صلعم وارى آثار في كتابكم ثم سألهم
عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يأتي بالخصب
والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو
لجبريل فقال عمر رضه لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولا انتم اكذب من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان
عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر رضه فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر رضه لقد ازددت يقينا في ديني بعد ذلك اصلبت من الحمير وقرئ جبريل
بوزن قنديل وجبرئل بحذف الياء وجبريل بوزن قنديل وجبرئل بحذف الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرال بلام شديدة و
وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائيل بوزن جبراعيل ومنع الصرف للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله القدير
في نزله للقرآن ونحوه من الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل الفرط شهرته
كانه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته على قلبك اي حفظه اياك وفهمك باذن الله بتيسيره
وتسهيله فان قلت كان حق الكلام ان يقال على قلبي قلت جاءت على حكاية كلام الله تع
كما يتكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قول من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فان قلت
كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط قلت فيه وجهان احدهما ان عادى جبريل احد
من اهل الكتاب فلا وجه لمخاصمته حيث نزل كتابا مصدقا لما للكتب من يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا
له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم الثاني ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك
القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كل يحرفونه ويجحدون موافقته
له كقولك ان عاداك فلان فقد آذيته واسأت اليه افرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر
وهو مما ذكر ان التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرئ ميكال بوزن قنطار
وميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكيل كميكعل وميكئيل كميكعيل قال ابن جني اصله
العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه عدو للكافرين اراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم
لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة وهم اشرف والمعنى من عاداهم
عاداه الله ثم عاجله اشد العقاب الا الفاسقون المتمردون من الكفرة وعن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع
من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس رض قال لما صور الرسول صلعم ما جئتنا بشيء

اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من
عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم
كانهم لا يعلمون

نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت والذم في الفاسقون للجنس والاحسن ان يكون اشارة الى اهل
الكتاب اوكلما الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا وقرأ ابو التمال
بسكون الواو على ان الفاسقون يعني الذين فسقوا فكانه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهد الله
مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله الميثاق
منهم ومن آبائهم كما قيل فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم
في كل مرة والنبذ الرمي بالذمام ورفضه وقرأ ابن عبد الله نقضه فريق منهم وقال فريق منهم لان
منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون
به كتاب الله يعني التوراة لانهم يكفرهم برسول الله المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل
كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون انه كتاب الله لا يدخلهم فيه شك يعني
ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذه وراء ظهورهم مثل لتركهم وامراضهم عنه مثل لما
يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه وعن الشعبي هو بين ايديهم يقرأونه ولكنهم نبذوا
العمل به وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه
واتبعوا اي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلو الشياطين يعني واتبعوا كتب السحر والتعوذات التي كانت تتلوها
على ملك سليمان اي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون اليه اكاذيب
يلقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب يتدارسونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان
حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه تسخر
له الانس والجن والريح التي تجري بامره وما كفر سليمان تكذيب الشياطين ودفع لما حدثت به سليمان
من اعتقاد السحر والعمل به وما كفر ولكن الشياطين كفروا هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه
يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم واضلالهم وما انزل على الملكين عطف على السحر او يعلمون
ما انزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلو اي واتبعوا ما انزل وهاروت وماروت عطف
بيان للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان
كافرا ومن تجنبه او تعلمه ليلا يعمل به ولكن ليتوقاه وليلا يغتر به كان مؤمنا عرفت الشر لا
لتتوقيه كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني وقرأ
الحسن على الملكين بكسر اللام على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل وما يعلم الملكان احدا حتى
ينبهاه وينصحاه ويقولا انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا انه حق

واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر
وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر

فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن
الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من

فتكفر فيتعلمون الضمير لهاروت وماروت عليهما من احد فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم
السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله
عنده الفتور والنشوز والخلاف امتحانا منه لا ان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من
احد الا باذن الله لانه ربما احدث الله عنده فعلا من افعاله وربما لم يحدث ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم
لانهم يقصدون به الشر وفيه ان اجتنابه اصلح لتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغوائل ولقد علم لقد
اليهود ان من اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين من كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق من نصيب وبئس ما
شروا به انفسهم اي باعوها وقيل الحسل الشياطين وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتين وقد
ذكر وجه فيما بعد وقرئ هاروت وماروت بالرفع على هما هاروت وماروت وهما اسمان
اعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرئ طالحة وما يعلمان
من اعلم وقرئ من المرء بضم الميم وكسرها مع الهمز والمر بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف كقولهم
فرج واجراء الوصل مجرى الوقف وقرئ الا عش وما هم بضارين بطرح النون والاضافة الى احد والفصل
بينهما بالظرف فان قلت كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن قلت جعل الجار جزءا
من المجرور فان قلت كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم
في قوله لو كانوا يعلمون قلت معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كانهم منسلخون عنه
ولو انهم آمنوا برسول الله والقرآن واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من
عند الله خير وقرئ لمثوبة لمثوبة ومثوبة لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه
جهلهم لترك العمل بالعلم فان قلت كيف اوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو قلت
لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع في سلام عليكم لذلك فان قلت
فهلا قيل لمثوبة الله خير قلت لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون قوله ولو انهم
آمنوا تنبيها لايمانهم على سبيل الجزاء عن اراد الله ايمانهم واختيارهم له كانه قيل ولو انهم آمنوا ثم ابتداء لمثوبة
من عند الله خير كان المسلمون يقولون لرسول الله اذا لقيته عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله او راقبنا وانظرنا
وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت اليهود كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية وهي راعينا فلما سمعوا بقول
المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك السبة فنهى المؤمنون عنها وامروا
بما هو في معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى
نحفظ وقرأ عبد الله بن مسعود درضو راعونا على انهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرأ الحسن

ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم
والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما ننسخ من آية او ننسها

راعنا بالتنوين من الرعن وهو الموج اي اتقوا قولوا راعنا منونا بلا الف من عين رعينا كالدابغ ولابن الرانه
لما اشبه قولهم راعينا وكان سبابا في السبب تصنف بالرعن واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله ويلقي عليكم
من المسائل بآذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراجعة او واسمعوا سماع قبول وطاعة
ولا تكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه
تأكيدا عليهم ترك تلك الكلمة وروي ان اسيد بن معاذ سمعها منهم فقال لعنة الله عليكم لعنة الله والذي نفسي
بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت والكافرين واليهود
الذين هادوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه عذاب اليم من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب
والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء
الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله اهم يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يودون انتفاءهم احق بان يوحى اليهم
فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة
والله ذو الفضل العظيم اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله ان فضله كان عليك كبيرا روي انهم طعنوا في
النسخ فقالوا الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت
وقرئ ما ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من انسخ او ننساها وقرئ ننسها وننسها بالتشديد وننسها
وننسها على خطاب الرسول وقرأ عبد الله ما ننسك من آية او ننسخها وقرأ حذيفة ما ننسخ من آية او ننسكها
ونسخ الآية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها وهو ان يأمر جبريل بان يجعلها منسوخة بالاعلام
بنسخها ونسؤها تاخيرها واذهابها الى بدل وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل آية تذهب
بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها معا او من ازالة احدهما الى بدل ثابت آية خير منها
للعباد اي آية اهل بها اكثر للثواب او مثلها في ذلك على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله
في الخير له ملك السموات والارض فهو يملك امورهم ويدبرها ويجريها على حسب مصالحهم وهو اعلم بما يتعبدكم به من
ناسخ ومنسوخ لما بين لهم انه مالك امورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقرر هم على ذلك
بقوله الم تعلم اراد ان يوبخهم بالثقة به فيما هو اصلح لهم بما يتعبدهم به وينزل عليهم وان لا يقترحوا على رسولهم
ما اقترحه آباؤه اليهود على موسى من الاشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها اروا الله جهرة وغير
ذلك ومن يتبدل الكفر بالايمان ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل
روي انه فنحاص بن عازورا وزيد بن قيس ونفر من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة
احد الم ترونا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا

قالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم

حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله
بأمره ان الله على كل شيء قدير واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم

فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد صلعم ما عشت فقالت اليهود اما
هذا فقد صبأ وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد صلعم نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما
وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت **فان قلت**
بم تعلق قوله من عند انفسهم **قلت** فيه وجهان احدهما ان يتعلق بود على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا
عن دينكم وتميلهم ذلك من عند انفسهم ومن قبل شهواتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد
ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما ان يتعلق بحسدا اي حسدا نابعا منبعثا من اصل
نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة حتى يأتي الله بامره الذي
هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام
منهم من غير ان يأمركم بقتال او صدقة او غيرهما تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عند الله ان الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع
عنده عمل عامل الخير وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا او نصرانيا وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان
يهوديا والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا تلك امانيهم فلف بين القولين ثقة بان السامع يرجع الى كل فريق قوله
وامانيهم من الاماني التي علم من التقادير بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى
والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل **فان قلت** كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر
قلت حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن الا من هو صالوا الجحيم وقوله فانه له تارك
جهنم خالدين فيها وقرئ الا من كعب الا من كان يهوديا او نصرانيا **فان قلت** لم قيل تلك امانيهم
وقولهم لن يدخل الجنة امنية واحدة **قلت** اشير بها الى الامانيات المذكورة وهي امنيتهم ان لا
ينزل على المؤمنين خير من ربهم وامنيتهم ان يردوهم كفارا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم فلذلك الامانيات
الباطلة امانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك
امانيهم اعتراض او اريد امثال تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف اليه واقامة المضاف اليه مقامه يريد
ان امانيهم جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه والامنية المقولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة هاتوا برهانكم
هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم وهذا هدم شنيع لمذهب المقلدين وان كل قول
لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء في معنى احضر بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم
الجنة من اسلم وجهه لله من اخلص نفسه لله لا يشرك به غيره وهو محسن في عمله فلما جزاؤه الذي يستوجبه
فان قلت من اسلم وجهه كيف موقعه **قلت** يجوز ان يكون بدلا من قوله ثم يقع من
اسلم كلاما مبتدأ ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله اجره وان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف اي

اي حجتكم كقوله عند الله ان الله بما تعملون بصير وقال
ايضا قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من اسلم
عليه وجهه وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف

وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم
يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة

بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم على شيء يصح
ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فاذا نفى اطلاق اسم
الشيء عليه فقد بولغ في نفي الاعتداد به الى ما ليس بعدم وهذا كقولهم اقل من لا شيء وهم يتلون الكتاب
الواو للحال والكتاب للجنس قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من
حصل التوراة والانجيل او غيرهما من كتب الله وآمن به ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين
مصدق للثاني شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متوارية في تصديق بعضها بعضا كذلك اي مثل
ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب لعبدة الاصنام والمجوس
قالوا لكل اهل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم
وروي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلعم اتاهم احبار اليهود فتنازعوا حتى ارتفعت
اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحو وكفروا
بموسى والتوراة فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيامة بما يتميز لكل فريق منهم من العقاب الذي
استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ان يذكر ثاني مفعولي منع لا لكي تقول منعته
كذا ومثله وما منعنا ان نرسل وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف حرف الجر مع ان ولكي ان
تنصبه مفعولا له يعني منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان ما بينهما من ذكر
الله مفرط في الظلم والسبب فيه ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس
ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا وقيل منع المشركين
رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية **فان قلت** فكيف قيل مساجد الله وانما
وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام **قلت** لا باس ان يجيء
الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن اذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن اذى الصالحين وكما
قال الله تعالى ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وسعي في خرابها بانقطاع الذكر
او بتخريب البنيان وينبغي ان يراد بمن منع العموم كما اريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا
باعيانهم من اولئك النصارى او المشركين اولئك ما كان لهم ان يدخلوها اي ما كان ينبغي
لهم ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا
بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا

فما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين يحتاطون ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم

لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ولله المشرق والمغرب فأينما
تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في

ظلم الكفرة وحتوهم وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني الله قد حكم وكتب في اللوح انه ينصر المؤمنين ويقويهم
حتى لا يدخلوها الا خائفين روي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال
قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا انتهك ضربا وابلغ اليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله
صلعم الا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرئ اعبد الله الا خيفا وهو مثل
صيم وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة ولم يجوزه مالك وفرق الشافعي بين
المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم
ان تؤذوا رسول الله خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية
وعمورية ولله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله هو مالكها ومتولي امرها فأينما تولوا
فثم اي حيثما كان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام
وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في
المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية
فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان ان الله واسع
الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم فلا يحرجهم وعن ابن عمر رض نزلت في صلوة المسافر على الراحلة
اينما توجهت وعن عطاء حيث القبلة على قوم صلوا الى آنية مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم فوجدوا وقيل
معناه فأينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلوة وقرئ الحسن فأينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد
فأينما توجهوا القبلة وقالوا قرئ بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات
الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض وهو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير
والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيته ومن كان هذه الصفة لم يجانسه
ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد والتكوين في كل عوض عن المضاف اليه اي كل ما في السموات
والارض ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية
منكرون لما اضافوا اليهم فان قلت كيف جاء ما الذي لغير اولي العلم مع قوله قانتون
قلت هو كقوله سبحان ما سخر لنا وكانه جاء عاما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشانهم كقوله
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يقال بدع الشيء فهو بديع كقولك بذع الفحل فهو بذيع وبديع السموات
من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما ان السميع

عليم

وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم
تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا
ولا تسئل عن أصحاب الجحيم ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى

في قوله عز ﴿ امن يجانة الداعي اذا دعاه ﴾ يعني المسمع وفيه نظر كيف يكون من كان الثانية اي احدث
فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم لا قول في قوله اذا قالت الانساع للبطن الحق وانما
المعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف
كالمأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الا باء كذلك هذا استعادا لولادة
من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقرئ بديع السموات
مجرورا على انه بدل من الضمير في له وقرأ المنصور على المدح وقال الذين لا يعلمون وقال الجهلة
من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما
يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا او تأتينا آية حجة لا يكون لنا اتاهم من آيات الله آيات
واستهانة بها تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله اقتراحوا به قد بينا الآيات لقوم
يتيقنون فيوقنون انها آيات بحيث لا اعتراض لها والاذعان لها والاكتفاء بها من غيرها انا ارسلناك لان
تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه تسلية لرسول الله صلعم وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم
وتصميمهم على الكفر ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله
فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسأل على النهي روي انه قال ليت شعري ما فعل ابواي
فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب
كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجوز ان
يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر على استماع
خبر لا يحاشه الشامع واضجاره فلا تسأل وتعضد القراءة الاولى قراءة عبد الله ولن تسأل وقرأ ابي
وما تسأل كانهم قالوا لن ترضى عنك وان ابلغت في طلب رضاهم حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله عن
دخولهم في الاسلام فحكى الله تعالى كلامهم ولذلك قال قل ان هدى الله هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى
هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى الا ترى الى
قوله ولئن اتبعت اهواءهم اي اقوالهم التي هي اهواء وبدع بعد الذي جاءك من العلم اي الدين المعلوم
صحته بالبراهين الصحيحة الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنوا اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته ولا يحرفونه
ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله او يكتبونه بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به من المحرفين
فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى ابتلى ابراهيم ربه بكلمات

وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ
وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ

اختبره بأوامر ونواه واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما
يشتهيه العبد كانه يمتحنه ليكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ ابو حنيفة رحمه وهو قراءة ابن
عباس رضه ابراهيم ربه رفع ابراهيم ونصب ربه والمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه
اليس ام لا فان قلت الفاعل في القراءة المشهورة يلي الفعل في التقدم فتعليق الضمير به
اضمار قبل الذكر قلت الاضمار قبل الذكر ان يقال ربه ابراهيم فليس واحد منهما باضمار
قبل الذكر اما الاول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا واما الثاني فابراهيم فيه متقدم
في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه ابراهيم فان الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل الى صحته والمستكن في
فاتمهن في احدى القراءتين لابراهيم معنى فقام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان
ونحوه وابراهيم الذي وفى وفي الاخرى لله تعالى معنى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي
عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سأل ابراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث
فيهم رسولا ربنا تقبل منا فان قلت ما العامل في اذ قلت اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلى
او واذ ابتلاه كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك فان قلت فما محل موقع قال قلت
هو على الاول استيناف كانه قيل فماذا قال ربه حين اتم الكلمات فقيل قال اني جاعلك للناس اماما وعلى
الثاني جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز ان يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات ما ذكر من الاوامر
وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام قبل ذلك في قوله اذ قال له ربه اسلم وقيل في الكلمات
هن خمس في الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان
والاستحداد والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وقيل ابتلاه من شرائع الاسلام بثلثين سهما
عشر في براءة التائبون العابدون وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنون وسأل سائل
الى قوله والذين على صلواتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والنحر
وغيرهن وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة والامام اسم
من يؤتم به على زنة الآلة كالازار لما يؤتزر به اي يأتمون بك في دينهم ومن ذريتي عطف على الكاف كانه
قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك سأكرمك بمعنى وزيدا لا ينال عهدي الظالمين وقرئ الظالمو
اي من كان ظالما من ذريتك لا ينال استخلافي وعهدي اليه بالامامة وانما ينال من كان عادلا بريئا من
الظلم وقالوا في هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ۖ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا
إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ

٥٢

طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلاة وكان ابو حنيفة رحمه يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي رضه وحمل
المال اليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالامام والخليفة كالدوانيقي واشباهه وقالت له امرأته
اشرت على ابني بالخروج مع ابراهيم ومحمد ابني عبد الله ابن الحسن حتى قتل قال ليتني مكان ابنك وكان
يتولى المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد واراد وني على هدمه لهدمته لما فعلت وعن ابن عيينة
لا يكون الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما هو ليكف الظلمة فاذا نصب
من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم والبيت اسم غالب للكعبة
كالنجم للثريا مثابة للناس مثابة ومرجعا للحجاج والتجار ينتابونه ثم يثوبون اليه اي يثوب اليه
اعيان الذين يزورونه او امثالهم وامنا وموضع امن لقوله جعلناه آمنا ويتخطف الناس من حولهم وان
الجاني يأوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وقرئ مثابات لان ثم مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد
منهم سواء العاكف فيه والباد واتخذوا على ارادة القول وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون
فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي صلعم انه اخذ بيد عمر رضه فقال هذا
مقام ابراهيم فقال عمر رضه افلا نتخذه مصلى يريد افلا نثوبه لنصلي به الصلاة فيه تبركا وتيمنا
بموطئ قدم ابراهيم فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله ان رسول
الله استلم الحجر ورمل ثلثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين
وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقيل مصلى مدعى ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه
والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام ابراهيم وعن عمر رضه
انه سأل المطلب ابن ابي وداعة هل تدري اين كان موضعه الاول قال نعم فاراه موضعه اليوم وعن عطاء
مقام ابراهيم عرفة والمزدلفة والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام ابراهيم
وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا او واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به
لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها عهدنا امرنا اليهما ان طهرا بيتي بان طهرا
او اي طهرا والمعنى طهراه من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها او اخلصاه لهؤلاء
لا يغشه غيرهم والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده او اقاموا لا يبرحونه او المعتكفين من يجوز
ان يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين في الصلاة كما قال للطائفين والقائمين والركع
السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيئات المصلي او اجعل

وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله
واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس

هذا البلد أو هذا الكلام بلدا آمنا ذا أمن كقوله عيشة راضية أو آمنا من فيه كقولك ليل نائم ومن آمن منهم
بدل من أهله يعني وارزق المؤمنين من أهله خاصة ومن كفر عطف على من آمن كما عطف ومن ذريتي
على الكاف في جاعلك **فإن قلت** لم خص إبراهيم صلوات الله عليه المؤمنين حين رد عليه
قاس الرزق على الإمامة فعرف الفرق بينهما لأن الاختلاف استرعاء تختص بمن ينصح للمرعي وأبعد
الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فإنه قد يكون استدراجا للمرزوق وإلزاما للحجة له والمعنى
وارزق من كفر فأمتعه ويجوز أن يكون ومن كفر مبتدأ متضمنا معنى الشرط وقوله فأمتعه
جوابا للشرط أو ومن كفر فأنا أمتعه وقرئ فأمتعه فأضطره فألجئه إلى عذاب النار لأن
المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر إليه وقرأ أبي فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرأ
يحيى بن وثاب فأضطره بكسر الهمزة وقرأ ابن عباس رضي الله عنه فأمتعه قليلا ثم أضطره على لفظ
الأمر والمراد الدعاء من إبراهيم دعا ربه بذلك **فإن قلت** فكيف تقدير الكلام على هذه
القراءة **قلت** قال إبراهيم أو قال إبراهيم بعد مسألته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر
فأمتعه قليلا ثم أضطره وقرأ ابن محيصن فاطره بإدغام الضاد في الطاء كما قالوا اطجع وهي
لغة مرذولة لأن الضاد من الحروف الخمسة التي يذهب فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي
حروف ضم شفر يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الأساس والأصل لما فوقه وهي صفة غالبة
ومعناها الثابتة ومنه فقعد الله أي أسأل الله أن يقعدك أي يثبتك ورفع الأساس البناء عليها
لأنها إذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز أن يكون
المراد بالقواعد نفس البناء لأن كل شيء قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها
بالبناء لأنه إذا وضع سافا فوق سافٍ فقد رفع السافات ويجوز أن يكون المعنى وإذ يرفع إبراهيم
ما قعد من البيت أي استوطأ يعني جعل هيئته القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء وروي أنه كان
مؤسسا قبل إبراهيم فبنى على الأساس وروي أن الله تبارك وتعالى أنزل البيت ياقوتة من ياقوتات الجنة له
بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم لما أهبطك لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه
آدم من أرض الهند إليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا له بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام وحج
آدم أربعين حجة من أرض الهند إلى مكة على رجليه وكان على ذلك إلى أن رفعه الله أيام الطوفان إلى السماء
الرابعة فهو البيت المعمور ثم أنزل الله تعالى أمر إبراهيم ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله تعالى سحابة

إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة
لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث

أظلته وتؤدي إلى ابن على ظلها لا تزيد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة أجبل طور سيناء وطور زيتا
ولبنان والجودي وأسسه من حراء وجاء جبريل بالحجر الأسود من السماء وقيل تخضل في بيضاء فاشتد
عنه وقد خبئ فيه في أيام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما مسه الحيض في الجاهلية اسود
وقيل كان إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ربنا أي يقولان ربنا وهذا القول في محل النصب على الحال
وقد أظهر عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانهما قائلين ربنا إنك أنت السميع لدعائنا العليم بضمائرنا وبنياتنا
فإن قلت هلا قيل قواعد البيت وأي فرق بين العبارتين **قلت** في إبهامه
القواعد وتبيينها بعد الإبهام ما ليس في إضافتها لما في الإيضاح بعد الإبهام من تفخيم لشأن المبين حسبما
لك مخلصين لك أو جهنا من قولك أسلم وجهه لله مستسلمين يقال أسلم له وسلم واستسلم إذا خضع وأذعن
والمعنى زدنا إخلاصا وإذعانا لك وقرئ مسلمين على الجمع كأنهما أرادا أنفسهما وهاجرا وأجريا
التثنية على حكم الجمع لأنهما مثنى **ومن ذريتنا** واجعل من ذريتنا **أمة مسلمة لك** ومن للتبعيض
أو للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم **فإن قلت** لم خصا ذريتهما بالدعاء **قلت**
لأنهم أحق بالشفقة والنصيحة قوا أنفسكم وأهليكم نارا وإن أولاد الأنبياء إذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم
على الخير لا يبعد أن المتقدمين من العلماء والكبراء إذا كانوا على السداد كيف يتهيأ لهم أن يسددوا من وراءهم وقيل
أراد بالأمة أمة محمد صلى الله عليه وسلم **وأرنا** منقول عن رأى يعني أبصرنا وعرفنا ولذلك لم يتجاوز مفعولين أي وبصرنا
مناسك حجنا أو عرفنا ما وقيل علمنا وقرئ وأرنا بإسكان الراء قياسا على فخذ في فخذ وقد
استرذلت لأن الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاستباحها إجحاف وقرأ أبو عمرو بإشمام
الكسرة وقرأ عبد الله وأرهم مناسككم **وتب علينا** ما فرط من الصغائر أو استتابا لذريتهما **وابعث**
فيهم في الأمة المسلمة **رسولا منهم** روي أنه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان فبعث الله
فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم دعوة إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمه **يتلو عليهم آياتك** يقرأ عليهم ويلقنهم
ما يوحى إليه من دلائل وحدانيتك وصدق أنبيائك **ويعلمهم الكتاب** القرآن **والحكمة**
الشريعة وبيان الأحكام **ويزكيهم** ويطهرهم من الشرك وسائر الأرجاس كقوله ويحل لهم الطيبات
ويحرم عليهم الخبائث **ومن يرغب** إنكار واستبعاد أن يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح
الذي هو ملة إبراهيم **ومن سفه** في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لأن من يرغب
غير موجب كقولك هل جاءك أحد إلا زيد سفه نفسه امتهنها واستخف بها وأصل السفه الخفة ومنه زمام

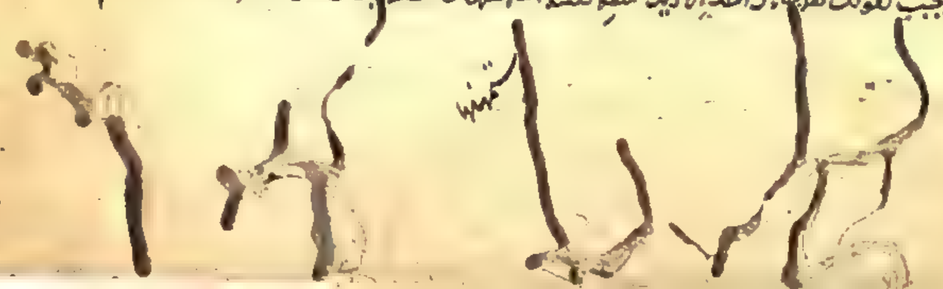

فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم
ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا

وانه في الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين
ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن

سفيه وقيل انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه ويجوز ان يكون في شذوذه
تعريف المميز نحو قوله ولا يقرأ الشعر الرقابا اجبت الظهر ليس له سنام وقيل سفه في
نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم اي في ظني والوجه الاول وكثير شاهد له ما جاء في الحديث
الكثير ان تسفه الحق وتغمص الناس وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه قط فقد بالغ في اذالة
نفسه وتحقيرها حيث خالف بها كل نفس عاقلة ولقد اصطفيناه بيان لخطاء رأي من رغب
عن ملته لان من صح الكرامة عند الله في الدارين بان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة
على الخير في الآخرة لم يكن اولى بالرغبة في طريقته منه اذ قال ظرف لاصطفيناه اي اخترناه في ذلك
الوقت او انتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه الصالح
الذي لا يرغب عن ملته مثله ومعنى قال له اسلم اخطر بباله النظر في الدلائل الموصلة الى المعرفة والاسلام
فقال اسلمت اي فنظر وعرف وقيل اسلم اذعن واطع وروي ان عبد الله بن سلام دعا ابني
اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقالا هما قد علمنا ان الله تعالى قال في التورية اني باعث من ولد
اسماعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة
وابى مهاجر ان يسلم فنزلت فنزلت قريش واوصى وصى في مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير في بها للقول
اسلمت لرب العالمين على تاويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله
اني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله كلمة باقية دليل على ان التانيث على تاويل الكلمة
ويعقوب عطف على ابراهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها ابراهيم يعقوب بنيه ايضا وقرئ
ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها ابراهيم بنيه ونافلة يعقوب يا بني على اضمار
القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه في معنى القول ونحوه قول القائل رجلان من ضبة اخبرا
انا رأينا رجلا عريانا بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار وفي قراءة ابي
وابن مسعود ان يا بني اصطفى لكم الدين اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام
ووفقكم للاخذ به فلا تموتن معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة
عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلاة ولكن
عن ترك الخشوع في حال صلوته فان قلت فاي نكتة في ادخال حرف النهي على الصلاة وليس
بمنهي عنها قلت النكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلوة فكانه قال انها كعدمها

المصطفى

وصى مسلمون

ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي
قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له

مسلمون تلك امة قد خلت

اذا لم تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله صلوا صلوة جار المسجد الا في المسجد فانه كالتصريح بقولك لجار
المسجد لا تصل الا في المسجد وكذلك المعنى في الاية اظهار ان موتهم الا على الثبات على الاسلام موت لا خير فيه
وانه ليس بموت الشهداء وان من حق هذا الموت الا يحل فيهم الموت وتقول في الامر ايضا مت وانت
شهيد وليس مرادك الامر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات وانما امرته بالموت استدادا
منك بصيغته واظهارا لفضلها على غيرها وانها حقيقة بان يحث عليها ام كنتم شهداء ام المنقطعة ومعنى
الهمزة فيه الانكار والشهداء شهيد بمعنى الحاضر ما كنتم حاضرين يعقوب عليه اذ حضره الموت
اي حين احتضر والخطاب للمؤمنين يعني ما شاهدتم وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي قيل
الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه
وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالاية منافية لقولهم فكيف
يقال لهم ام كنتم شهداء ولكن الوجه ان يكون ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف كانه قيل اتدعون
على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعني ان اوائلكم من بني اسرائيل كانوا مشاهدين
له اذ اوصى بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء وقت
حضر بكسر الضاد وهي لغة ما تعبدون من شيء تعبدون وما عام في كل شيء فاذا علم فرق بينه وبين
ما كان دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا اولو العلم وجدهم ويجوز ان يقال ما
تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول زيد تريد افقيه ام طبيب ام غير ذلك من الصفات وابراهيم
واسماعيل واسحاق عطف بيان لابائك وجعل اسماعيل وهو عمه من جملة آبائه لان العم اب والخالة
ام لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت
بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال في العباس هذا بقية آبائي وقال زيد فاعلي ابي
فاني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقراءة ابي وآله ابراهيم بطرح
آبائك وقرئ ابيك فيه وجهان ان يكون واحدا وابراهيم وحده عطف بيان له وان يكون جمعا بالواو
والنون قال وقدرنا بالابينا الها واحدا بدل من آله ابائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة
او على الاختصاص اي نريد بآله آبائك الها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع
الهاء اليه في له ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد وان تكون جملة اعتراضية موكدة اي ومن حالنا
انا له مسلمون مخلصون التوحيد او مذعنون تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابراهيم ويعقوب وبنوهما

حال

جمع

ذلك

اي من شانها اهمال المصطلح

لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴿ وقالوا كونوا هودا
أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل
إلينا وما أنزل

المؤمنون والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متأخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا
فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا بآبائهم ونحوه قول رسول الله صلعم يا بني هاشم لا يأتيني
الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تنفعكم حسناتهم
بل ملة ابراهيم او اهل ملته كقول عدي بن حاتم اني من دين يريد من اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابراهيم
وقرئ ملة ابراهيم بالرفع اي ملته ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته يعني اهل ملته وحنيفا حال من المضاف
اليه كقولك رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين الى دين الحق والحنف الميل في القدمين
وتحنف اذا مال وانشد ولكنا خلقنا إذ خلقنا حنيفا دينا عن كل دين وما كان من المشركين
تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ابراهيم وهو على الشرك قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز
ان يكون خطابا للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابراهيم يجوز ان يكون
على بل اتبعوا انتم ملة ابراهيم او كونوا اهل ملته والسبط الحفيد وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله والاسباط
حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت
اليهود والنصارى واحدا في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه بمثل ما آمنتم به من باب التبكيت لان
دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذن دين
آخر دين الاسلام في كونه حقا حتى ان آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان آمنوا بكلمة الشك
على سبيل الفرض والتقدير اي فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه
ان دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل له حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو
هذا قولك للرجل الذي تنكر عليه هذا هو الرأي الصواب فان كان عندك رأي اصوب منه فاعمل به وقد علمت
ان لا اصوب من رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رأيت لا رأي وراءه ويجوز ان يكون الباء
صلة وتكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم او فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل
شهادتكم التي آمنتم بها وقرأ ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به وقرأ أبي بالذي آمنتم به وان
تولوا عما تقولون لهم ولم يتصفوا بما هم الا في شقاق اي في شقاق وعداوة ومحادة لا غير وليسوا من طلب الحق في شيء
او وان تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان فسيكفيكهم الله ضمان من الله لاظهار رسوله عليهم وقد انجز
وعده بقتل قريظة ونفيهم واجلاء بني النضير ويجوز ان يكون ذلك كائنا لا محالة وان تأخر الى حين
وهو السميع العليم وعيد لهم اي يسمع ما يتفوهون به ويعلم ما يضمرونه من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه

وهو السميع

صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون ﴿ قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا
وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون ﴿ أم تقولون إن إبراهيم

او وعد لرسول الله يعني يسمع ما تدعوا به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو مجيبك لك
وموصلك اليه مرادك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه
وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر
النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو
تطهير لهم واذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا
آمنا وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا
الله بالايمان صبغة ولم نصبغ صبغتكم وانما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس
الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ومن احسن من الله صبغة يعني انه يصبغ
عباده بالايمان ويطهرهم به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن من صبغته وقول ونحن له عابدون
عطف على آمنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابراهيم او نصب على الاغراء
يعني عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التيامه واتساقه وانتصابها على انها مصدر مؤكد
هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام قرأ زيد بن ثابت اتحاجونا بادغام النون والمعنى
اتجادلوننا في شأن الله ح واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو انزل الله على احد لانزل علينا ونحن
احق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في انا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده
هم فوضى في ذلك لا يختص به عمر دون عمر اذا كان اهلا للكرامة ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان العمل هو اساس
الامر وبه العبرة وكما ان لكم اعمالا يعتبرها الله في اعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك ثم قال ونحن له مخلصون
فجاء بما هو سبب الكرامة اي نحن له موحدون نخلصه بالايمان فلا تستبعدوا ان يؤهل اهل اخلاصه لكرامته
بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق بان تكون النبوة فينا لانا اهل كتاب والعرب عبدة اوثان ام تقولون تحتمل
فيمن قرأ بالتاء ان تكون ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا يعني اي الامرين تأتون المحاجة في حكم الله
ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا وان تكون منقطعة بمعنى بل
اتقولون والهمزة للانكار ايضا وفيمن قرأ بالياء لا تكون الا منقطعة قل ءانتم اعلم ام الله يعني
ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ومن
اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اي كتم شهادة الله التي عنده انه شهد بها وهي شهادته لابراهيم
بالحنيفية ويحتمل معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون

وانا عليك وانحني ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله وما الله بغافل عما تعملون
تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ
وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا

بها والثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله
لمحمد صلعم بالنبوة في كتبهم وساير شهاداته ومن في قوله شهادة عنده من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان
اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله سيقول السفهاء الخفاف الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه
الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب
عن قبلة آبائه ثم رجع اليها والله لبصير جعفر الى دينهم فان قلت اي فايدة في الاخبار بقولهم
قبل وقوعه قلت فايدته ان مفاجاة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب
اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع للخصم واردّ لشغبه وقبل
الرمي يراش السهم ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم وهي بيت المقدس لله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق
والمغرب والارض كلها يهدي من يشاء من اهلها الى صراط مستقيم وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم
تارة الى بيت المقدس واخرى الى الكعبة وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا خيارا
وصي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحوه قوله عز
وانظروا الشجة يريد الوسطة بين التخيير والعجماء وصفا بالتبجح وهو وسط الظهر لانه لحق تاء التأنيث
مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعواد والاوساط محمية
محوطة ومنه قوله الطائي كانت هي الوسط المحمية فانتقضت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا وقد
اكثرت بمكة جعل اعرابي يلح فقال اعطني من سيد طاهته اراد من خيار الدنيا يراه عدولا لان الوسط عدل
بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض لتكونوا شهداء على الناس روي ان الامم يوم القيامة يجحدون
تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلعم فيشهدون فيقول
الامم من اين عرفتم فيقولون عرفنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى
بمحمد صلعم فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فان قلت هلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم او عليهم قلت
لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء
شهيد كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح
الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم فان قلت لم اخرت
صلة الشهادة اولا وقدمت آخرا قلت لان الغرض اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر

وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ
وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ
بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ
رَحِيمٌ

اختصاصهم بكون الرسول عليهم شهيدا عليهم التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل
يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول الله صلعم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم
امر بالصلوة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي تجب ان
تستقبلها الجهة التي كنت عليها او لا بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على
الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين
آمنوا كفروا الآية ويجوز ان يكون بيانا لحكمة في جعل بيت المقدس قبلة يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة
وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقبل هذا وهي
بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينقلب عنه وعن ابن عباس كانت
قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فان قلت كيف قال لنعلم ولم يزل
عالما بذلك قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما
يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل لنعلم رسول الله والمؤمنون وانما اسند علمهم اليه لانهم
خواصه واهل الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع عن الناكص كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب
فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي يلزمها اللام الفارقة
والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة او التحويلة او الحالة ويجوز ان يكون للقبلة
لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله لهم
وكانوا اهلا للطفه وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم تتاثروا بل شكر
صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة
لايمانكم وقيل لما كان يصلي الى بيت المقدس قبل التحويل فصلوته غير ضايعة عن ابن عباس رضي الله عنه لما وجه
رسول الله الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرءوف رحيم لا يضيع اجورهم
ولا يترك ما يصلحهم ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رأيك في ابن تراب فقرأ قوله الا على الذين هدى الله ثم قال
وعلى من هم وهو بزعم الرسول وختنه على ابنته واقرب الناس اليهم واحبهم وقرئ الا ليعلم على البناء للمفعول
ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان يكون من متعدية بمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت ازيد في الدار ام
عمرو وقرأ ابن ابي اسحاق على عقبيه بسكون القاف وقرأ اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها ان يكون
كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام الاصل وان هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق ثم وان كانت

تألفا لليهود

قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ

للبيرة قدى ليضيع بالتشديد قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله قد أترك القرن مصفرا أنامله تقلب وجهك تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلعم يتوقع أن يحوله إلى الكعبة لأنها قبلة أبيه إبراهيم وأدعى للعرب إلى الإيمان لأنها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل عليه والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك ولنمكنك من استقبالها من قولك وليته كذا إذا جعلته واليا له أو فلنجعلنك تلي بنفسك دون شطر بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل إليها لأغراضك الصحيحة التي أضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته شطر المسجد الحرام نحوه قال واطعن بالقوم شطر الملوك وقرأ ابن كثير تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن عازب قدم رسول الله صلعم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه إلى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف أو اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد أي جهته وتجاهه لأن استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على أن الواجب مراعاة الجهة دون العين ليعلمون أنه الحق أن التحويل إلى الكعبة هو الحق لأنه كان في بشارة أنبيائهم برسول الله صلعم أنه يصلي إلى القبلتين يعلمونه قرئ بالياء والتاء وما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط بكل آية بكل برهان قاطع أن التوجه إلى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لأن تركهم اتباعك عن شبهة تزيلها بإيراد الحجة عن مكابرة وعناد مع علمهم بأنك على الحق وما أنت بتابع قبلتهم جميع أطماعهم إذ كانوا ما جوا في ذلك على قبلتهم وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه إلى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الإضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني أنهم مع اتفاقهم على مخالفتك في هذه القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا ترجى موافقتهم لك وذلك أن اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس إخبار عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم أولى أن يمتنع من مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده وقوله ولئن اتبعت أهواءهم بعد الإفصاح عن حقيقة حالهم المعلومة عنده في قوله وما أنت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير مرليئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والإحاطة بحقيقة الأمر إنك إذا لمن الظالمين

اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين

كان أثابه محبت بفرصاد من ربه صح

حتى إذا خفق الجنح

الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولكل وجهة هو مولاها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير

الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولكل وجهة هو

الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من ترك الدليل بعد إنارته وتبع الهوى وتهييج وإلهاب للثبات على الحق فإن قلت كيف قال وما أنت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلت كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا كحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة يعرفونه يعرفون رسول الله صلعم معرفة جلية يميزونه بين غيره بالوصف المعين المتخصص كما يعرفون أبناءهم لا يشتبه عليهم أبناؤهم وأبناء غيرهم وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله فقال أنا أعلم به مني بابني قال ولم قال إني لست أشك في محمد أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه وجاز الإضمار وإن لم يسبق لذكره إذ الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الإضمار تفخيم وإشعار بأنه لشهرته وكونه علما معلوم بغير علامة وقيل الضمير للعلم أو القرآن أو تحويل القبلة وقوله كما يعرفون أبناءهم يشهد للأول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام فإن قلت لم اختص الأبناء قلت لأن الذكور أشهر وأعرف وهم أصحاب الآباء الذين ينقلون إليهم الصحف وقال فريقا منهم استثناء لمن آمن منهم أو لجهالهم الذين قال فيهم ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الحق من ربك يحتمل أن يكون الحق خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق أو مبتدأ خبره من ربك فيه وجهان أن تكون اللام للعهد والإشارة إلى الحق الذي عليه رسول الله صلعم أو إلى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق أي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك وأن يكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني أن الحق ما ثبت أنه من الله لا كالذي أنت عليه وما لم يثبت أنه من الله كالذي عليه أهل الكتاب فهو الباطل فإن قلت إذا جعلت الحق خبر مبتدأ فما محل من ربك قلت يجوز أن يكون خبرا بعد خبر وأن يكون حالا وقرأ علي رضي الله عنه الحق من ربك على الإبدال من الأول أو يكون الحق الحق من ربك فلا تكونن من الممترين في كتمانهم الحق مع علمهم أو في أنه من ربك ولكل من أهل الكتاب والأديان المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة أبي ولكل قبلة هو مولاها هو مولاها وجهه فحذف أحد المفعولين وقيل هو لله أو الله مولاها إياه وقرئ لكل وجهة على الإضافة والمعنى وكل وجهة الله مولاها فلبيت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد أبوه ضارب وقرأ ابن عامر هو مولاها أي مولى تلك الجهة قد ولاها والمعنى لكل أمة قبلة يتوجه إليها منكم ومن غيركم فاستبقوا أنتم الخيرات فاستبقوا إليها غيركم من أمر القبلة وغيره ومعنى أحد وهو أن يراد ولكل منكم يا أمة محمد وجهة أي جهة يصلي إليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه ويجوز أن يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المناسبة للكعبة

المقابلة

الشاكين

وإن ه

ولاها القبلة معنى تستقبلها بوجهه صح

موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ

وان اختلفت ايمانكم تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة وكانكم تصلونه حاضري المسجد الحرام ومن حيث خرجت ومن اي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا المامور به وقرئ يعملون بالياء والتاء وهذا التكرير لتاكيد امر القبلة وتشديد لان النسخ مظنة الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى التفصيل بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولئلا يبقى لاحد بكل شيء واحد مالم ينط بالاخر فاختلفت فوائدها الا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه ليلا يكون حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الا الكعبة الا ميلا الى دينه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء فان قلت اي حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم تحول حتى احتز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين قلت كانوا يقولون لو لا حول الى قبلة ابيه ابراهيم كما هو مذكور في نعته في التوراة فان قلت كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين قلت لانهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز ان يكون المعنى ليلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في توكيد التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابراهيم واسماعيل ابي العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون رد الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وقرئ ذيد بن علي رضي الله عنه الا الذين ظلموا منهم على ان الا للتنبيه ووقف على حجة ثم استانف منبها فلا تخشوهم ولا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا امري وما رايته مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف معناه ولاتمام نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ
قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ

ولنبلونكم ولنصيبنكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات بالجوائح والموت وبشر الصابرين المسترجعين عند البلاء بالاسترجاع تسليم واذعان وعن النبي صلعم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل خلفا صالحا يرضاه وروي انه طفئ سراج رسول الله صلعم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل اهي مصيبة قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو مصيبة وانما قال في قوله يؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل فدونه ما يقل اليه وليخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم في كل حال من ابتلائهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم وتقصير عطف على شيء او على الخوف يعني وشيء من نقص الاموال والخطابي وبشر رسول الله او لكل من يتاتى منه البشارة وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صيام رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلعم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد والصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرافة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رافة ورحمة رؤوف رحيم وللمعنى عليهم رافة بعد رافة ورحمة اي رحمة واولئك هم المهتدون لطريق الثواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله الصفا والمروة علمان للجبلين كالضمان والمقطم والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام مناسكه ومتعبداته والحج القصد والاعتمار الزيارة غلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعلام واصل يطوف يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف من طاف فان قلت كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه ان يطوف بهما قلت كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامراة زنيا في الكعبة فمسخا فنصبا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكثرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك ولقوله ومن تطوع خيرا كقوله فمن تطوع خيرا فهو خير له وبه قال ابن انس وابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم وتنصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما وعن ابي حنيفة رحمه الله واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شيء عليه وعند مالك والشافعي هو ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وقرئ من يطوع بمعنى ومن يتطوع فادغم وفي قراءة عبد الله ومن تطوع بخير ان الذين يكتمون الخ نزلت في احبار اليهود ما انزلنا في التوراة من البينات من الآيات الشاهدة على امر محمد صلعم

ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى

مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ
تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

والهدى والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه وخصصناه في الكتاب في التوراة
لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا الى ذلك البين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس
اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتاتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمؤمنون من
الثقلين واصلحوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله تعالى في كتابهم فكتموا او
بينوا للناس ما احدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون ويقتدى
بهم غيرهم من المفسدين ان الذين كفروا يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر
لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا وقرأ الحسن والملائكة والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله
لانه فاعل في التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو كانه قيل اولئك
عليهم ان لعنهم الله والملائكة فان قلت ما معنى قوله والناس اجمعين وفي الناس المسلم والكافر
قلت اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيمة يلعن بعضهم بعضا خالدين
فيها في اللعنة وقيل في النار الا انها اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا لامرها ينظرون من الانظار اي
لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة الا واحد فرد في الالهية
لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها والاله هو المستحق للعبادة بينفي غيره واثبات الرحمن الرحيم
المولي لجميع النعم اصولها وفروعها ولا يشيء سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه
وقيل كان للمشركين ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا
فات بآية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار واعتقابهما
لان كل واحد منهما يعقب الآخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة بما ينفع الناس بالذي ينفعهم كما يحمل فيها
او بنفع الناس فان قلت قوله وبث فيها عطف على انزل ام على احيا قلت الظاهر انه
عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فاحيا به الارض عطف على انزل فاتصل به وصار جميعا كالشيء
الواحد فكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة لانهم ينتفعون بالخصب ويعيشون
بالحيا وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة
وعقيما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب المسخر المذلل بين السماء والارض
الله يمطر حيث شاء لايات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون انها كلها دلائل على عظيم القدرة وباهر
الحكمة وعن النبي صلعم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ والفلك

التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض
لايات لقوم يعقلون

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ
وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ

بضمتين وتصريف الريح على الانداد امثالا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم
ويطيعونهم ويتنزلون على اوامرهم ونواهيهم واستشهد الذين بقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا
ويعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله والخضوع له كما يحب الله على انه
مصدر من المبني للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وقيل كحبهم الله اي يسوون
بينه وبينهم في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن انداده الى الله عند الشدائد
فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون
الصنم زمانا ثم يرضونه الى غيره او يأكلونه كما اكلت باهلة آلهتها من حيس عام المجاعة الذين ظلموا
اشارة الى منتحلي الانداد ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله تعالى
كل شيء يريد من العقاب والثواب دون انداده ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذ عاينوا العذاب
يوم القيمة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب
كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا وقولهم لو رأيت فلانا والبساط تاخذ وقرئ ولو ترى على خطاب الرسول
او كل مخاطب او ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول واذ في المستقبل
كقوله ونادى اصحاب الجنة اذ تبرأ بدل من اذ يرون العذاب او تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع
وقرأ مجاهد الاول على البناء للفاعل والثاني على البناء للمفعول او تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب
الواو للحال او تبرأوا في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرأ والاسباب الوصل التي كانت
بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم لو في
معنى التمني ولذلك اجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك
المراءاة الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات اي ندامات وحسرات ثالث مفاعيل اري ومعناه ان اعمالهم تنقلب
حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين من النار هم بمنزلته في قوله هم يفرحون
اللهم كل ظهيرة في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم على الاختصاص حلالا مفعول كلوا او حال
مما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة او تحريم حلال او تحليل حرام ومن للتبعيض لان كل ما في
الارض ليس بمأكول وقرئ خطوات بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطوات بضمتين وهمزة
جعلت الضمة على الطاء كانها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المسافة

اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين

والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ۝ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما
ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ۝ ومثل الذين كفروا

من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي ومما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لاخفاء به انما يأمركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اي انما يأمركم بخير قط انما يأمركم بالسوء بالقبيح والفحشاء وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه فان قلت كيف كان الشيطان مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت شبهة تزيينه وبعثه على الشر بأمر الله به كما تقول الامير يقضي بكذا وتحته رمز الى انكم بمنزلة المأمورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال إن النفس لأمارة بالسوء لما كان الانسان يطيعها فيعطيها ما اشتهت لهم الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للتنديد على ضلالهم لانه لا ضلال أضل من المقلد كانوا يقولون للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله عليه السلام فقالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم والفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الذي لا يسمع من كلام الراعي مؤنته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم الحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفتشون اهم على حق ام باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا نفس الدعاء ونداء لا يتعداه عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا والنعيق التصويت يقال للمؤذن ينعق بالصلاة قال الحطيئة فانعق بضأنك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا ۝ واما نعق الغراب فبالغين المعجمة صوت هو رفع على الذم من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته لان كل ما رزقه الله تعالى لا يكون الا حلالا واشكروا لله الذي رزقكموها

كتاب الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات

انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ
ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ۝ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب
ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم
عذاب أليم ۝ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ۝ ذلك بأن الله نزل
الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد

ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن النبي صلعم يقول الله اني وللجن والانس لفي نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري وقرئ حرم على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول وحرم بوزن كرم اهل به لغير الله اي رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ على مضطر آخر بالاستيفاء عليه ولا عاد بسد الجوعة فان قلت في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلعم احلت لنا ميتتان ودمان قلت قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة الا ترى ان القائل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك والجراد كما لو قال اكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال ولا عبرة العادة والتعارف قالوا من حلف لا يأكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة وقال الله تعالى لتأكلوا لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان سماه الله تعالى دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فان قلت فما ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت لان الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون انه شحيم في بطونهم ملاء بطونهم تقول اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لان اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي هي بدل منه قال اكلت دما ان لم اثأ بك بعضه وقال يأكلن كل ليلة اكافا اراد مثل الاكاف فسماه اكافا لتلبسه به بكونه مثله ولا يكلمهم الله تعريض بحالهم حال اهل الجنة في تكرمة الله تعالى اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل في الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن نحو قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة بهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن تريد انه لا يتعرض لذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما اصبرهم فاي شيء صبرهم يقال اصبر على كذا وصبر بمعنى وهذا اصل بمعنى فعل التعجب والذي روي عن الكسائي انه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم الي رجلان من العرب فحلف احدهما على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله فعناه ما اصبرك على عذاب الله ذلك بأن الله نزل الكتاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وان الذين اختلفوا في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق بعيد خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس او كتبهم

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ

ذلك بسبب أن الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وإن الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر
وبعضهم شعر وبعضهم أساطير في شقاق بعيد يعني أهل الكتاب لو لم يختلفوا ولم يتفرقوا لما جحدوا
هؤلاء أن يكفروا البر اسم للخير ولكل فعل مرضي أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لأهل
الكتاب لأن اليهود تصلي قبل المغرب إلى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك أنهم أكثروا الخوض
في أمر القبلة حين حول رسول الله إلى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين أن البر التوجه إلى قبلته
فرد عليهم وقيل ليس البر فيما أنتم عليه فإنه منسوخ خارج من المسجد ولكن البر ما أثبته وقيل
كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب في أمر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب أن تذهلوا شأنه عن شأن
صنوف البر أمر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة إليه بر من آمن وقام بهذه
الأعمال وقرئ ليس البر بالنصب على أنه خبر مقدم عليه وقرئ بإسناد الله بأن تولوا على إدخال الباء على
الخبر للتأكيد كقولك ليس المنطلق بزيد ولكن البر من آمن على تأويل حذف المضاف أو بر من آمن
أو يتأول البر بمعنى ذي البر أو كما قالت فإنما هي إقبال وإدبار وعن المبرد لو كنت
ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء وقرئ ولكن البار وقرأ ابن عامر ونافع
ولكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله أو القرآن على حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن
مسعود رضي الله عنه أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم
قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الإيتاء يريد أن يعطيه وهو طيب النفس
بإعطائه وقدم ذوي القربى لأنهم أحق قال عليه الصلاة والسلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك
اثنتان لأنها صدقة وصلة وقال عليه السلام أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح واطلق ذوي القربى واليتامى
والمراد الفقراء منهم لعدم إلباس والمسكين الذي أسكنه الفاقة أي الذي لا شيء له كالمسكين للذي أسكنه
وابن السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل
هو الضيف لأن السبيل تعرف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وإن جاء على
ظهر فرس وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب وإعتاقها
وقيل في فك الأسارى فإن قلت قد ذكر إيتاء المال في هذه الوجوه ثم فسره بإيتاء الزكوة
فما دل ذلك على أن في المال حقا سوى الزكوة قلت يحتمل كل وعن الشعبي أن في المال حقا سوى
الزكوة وتلا هذه الآية ويحتمل أن يكون ذلك بيان مصارف الزكوة أو يكون حثا على نوافل الصدقات والمبادرة

وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ
فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى
بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ

وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوى الزكوة والموفون عطف
على من آمن وأخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص والمدح إظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن
القتال على سائر الأعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والبأساء الفقر
والشدة والضراء المرض والزمانة صدقوا كانوا صادقين جادين في الدين عن عمر بن عبد العزيز
والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي رضي الله عنهم أن الحر يقتل بالعبد والذكر يقتل بالأنثى
أخذا بعموم الآية ويقولون هي مفسرة لما أبهم في قوله النفس بالنفس لأن تلك واردة لحكاية ما كتب في التوراة على أهلها وهذه
خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما أخبرنا وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو
مذهب أبي حنيفة رحمه الله وأصحابه أنها منسوخة بقوله النفس بالنفس والعقل صريحا بين العبد والحر
والذكر والأنثى ويستدلون بقوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم وأن التفاضل غير معتبر في الأنفس بدليل أن
جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي أنه كان بين حيين من أحياء العرب دماء في الجاهلية وكان لأحدهما
طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى والاثنين بالواحد فلما كان الإسلام
حين جاء الله بالإسلام فتداركوا وأمرهم أن يتبايعوا وأن من عفي له من أخيه شيء معناه فمن عفي له من جهة أخيه
شيء من العفو على أن كقولك شيء بزيد بعض الشيء وطائفة من الشيء ولا يصح أن يكون شيء في معنى المفعول
به لأن عفا لا يتعدى إلى مفعول به إلا بواسطة وأخوه هو ولي المقتول وقيل له أخوه لأنه من قاتل
أن ولي الدم ومطالبته به كما يقول الرجل للصاحب كذا المن بينه وبينه أخوة ملابسة أو ذكره بلفظ الأخوة
ليعطف أحدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والإسلام فإن قلت إن عفا يتعدى
بعن إلى اللام فما وجه قوله فمن عفي له قلت يتعدى بعن إلى الجاني وإلى الذنب فيقال عفوت عن
فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فإذا تعدى إلى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى
كما يقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية كأنه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغنى عن ذكر
الجناية فإن قلت هلا فسر عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به قلت لأن عفا
الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن أعفاه ومنه قوله عليه السلام وأعفوا اللحى فإن قلت فقد ثبت قولهم عفا
الله له إذا محاه وأزاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من أخيه شيء قلت عبارة قلقة في مكانها
والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها إلى أخرى
قلقة نابية عن مكانها ترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ إذا اعتضل عليه تخريج وجه المشكل من كلام

ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ولكم
في القصاص حيوة يا أولي الألباب لعلكم تتقون كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت

الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ الله منها فإن قلت لم قيل
شيء من العفو قلت لأن المخاطب إذا عفي له شيء من العفو وبعض منه بأن يعفى عن
بعض الدم أو عفي عنه بعض الورثة ثم العفو وسقط القصاص ولم يجب الدية فاتباع بالمعروف فليكن
اتباع أو فالأمر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بأن لا يعنف
به ولا يطالبه إلا مطالبة جميلة وليؤد إليه القاتل بدل الدم أداء بإحسان بأن لا يمطله ولا يبخسه
ذلك الحكم المذكور من العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لأن أهل التوراة كتب عليهم القصاص
البتة وحرم العفو وأخذ الدية وعلى أهل الإنجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت
هذه الأمة بين الثلاث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى بعد
ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل أو القتل بعد أخذ الدية فقد كان الولي يؤمن القاتل
بقبول الدية ثم يلحق به فيقتله فله عذاب أليم نوع من العذاب شديد الألم في الآخرة ومن قتادة العذاب
الأليم أن يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله عليه السلام إياي أحد قتل بعد أخذ الدية ولكم في القصاص حيوة
كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو أن القصاص قتل وتفويت الحيوة وقد جعل مكانا وظرفا للحيوة ومن أصابة
حجة البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحيوة لأن المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حيوة
عظيمة وذلك أنهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل جساس بأخيه كليب حتى كاد يفنى بكر بن وائل وكان
يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الإسلام بشرع القصاص كانت
فيه حياة أي حيوة أو نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل
لأنه إذا هم بالقتل فعلم أنه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص
سبب حيوة نفسين وقيل أراد بالحيوة هو لكم في القصص حيوة أي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص
وقيل القصص القرآن أي لكم في القرآن حيوة للقلوب كقوله روحا من أمرنا ويحيا من حي عن بينة
لعلكم تتقون أي أرشدكم إلى القصاص من استبقاء الأرواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تحاميل أهل التقوى
في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب لأفضل اختصاص بالآية إذا حضر أحدكم الموت إذا
دنا منه وظهرت أماراته خيرا مالا كثيرا عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا أراد الوصية ولديه عيال وأربع مائة دينار
فقالت إن فيه فضلا وأراد آخر أن يوصي فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف قالت كم عيالك قال
أربعة قالت إن الله أمر أن تترك كثيرا وإن هذا شيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه أن مولى له أراد

أن يوصي

أن تترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين

فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم فمن خاف من
موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا

أن يوصي وله سبعمائة فنعم وقال لو أوصى بالثلث لكان حسنا والخير هو المال وليس لكم مال والوصية فاعل كتب
وذكر فعلها للفاصل ولأنها بمعنى أن يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد ما سمعه والوصية للوارث
كانت في بدء الإسلام فنسخت بآية المواريث ونقول عليه أن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية
لوارث وتلقته الأمة بالقبول حتى لحق بالمتواتر وإن كان من الآحاد لأنهم لا يتلقون بالقبول إلا
الثبت الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث كالأبوين وقيل
هي مخالفة لآية المواريث ومعناها كتب عليكم ما أوصى به الله من تقديم الوالدين والأقربين من قوله تعالى
يوصيكم الله في أولادكم أو كتب على المحتضر أن يوصي للوالدين والأقربين بتوفير ما أوصى به الله لهم
عليهم وأن لا ينقص من أنصبائهم بالمعروف بالعدل وهو أن لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا
مصدر مؤكد أي حق ذلك حقا فمن بدله فمن غير الأوصياء من وجهه أن كان موافقا للشرع من الأوصياء
والشهود بعد ما سمعه وتحققه فإنما إثمه على الذين يبدلونه فما إثم الأوصياء المغيرين أو التبديل إلا عليهم
بتبديله دون غيرهم من الموصي والموصى له لأنهما بريئان من الحيف إن الله سميع عليم وعيد للمبدل فمن خاف
من توقع وعلم وعلمني كلامهم شايع يقولون خاف أن ترسل السماء بريدون التوقع والظن الغالب الجاري
مجرى العلم جنفا ميلا عن الحق بالخطإ في الوصية أو إثما أو تعمدا للحيف فأصلح بينهم بين الموصى لهم وهم
الوالدان والأقربون على طريق الشرع فلا إثم عليه حينئذ لأن تبديله تبديل باطل إلى حق ذكر من يبدل بالباطل
ثم من يبدل بالحق ليعلم أن كل تبديل لا يؤثم كما كتب على الذين من قبلكم على الأنبياء والأمم من لدن
آدم إلى عهدكم قال علي رضي الله عنه أولهم آدم يعني أن الصوم عبادة قديمة أصلية ما أخلى الله أمة
من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها لأصالتها وقدمها لعلكم تتقون
المعاصي لأن الصائم أطلف لنفسه وأروض لها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فعليه بالصوم فإن الصوم له
وجاء أو لعلكم تتطهرون من دنس المعاصي لأن الصوم شعارهم وقيل معناه أن كصومهم في عدد الأيام وهو
شهر رمضان كتب على أهل الإنجيل فإنهم مؤتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فصاموا خمسين يوما وقيل
كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في أسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع
وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته وقيل الأيام المعدودات عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر
كتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم أن يتقوا التطهير
بعضه يصلوا العشاء وبعد أن ناموا ثم نسخ ذلك بقوله أحل لكم ليلة الصيام الآية وهي معدودات موقتات

كتب عليكم القيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أيا ما معدودات

باجرائهم

بعدكم

فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية
طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون

بعدد معلوم او قلائل لقوله دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويتكرر فيه والكثير
يحال جملة وبحثني حثيثا وانتصاب اياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة او على سفر
او راكب سفر فعدة فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة
وقيل مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر واختلف في المرض المبيح للافطار فمن قائل
كل مرض لان الله لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما ان الكحل مسافرا ان يفطر
فلذلك كل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وسئل مالك عن
الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار
وقائل هو المرض الذي يخشى معه الصوم ويزيد فيه لقوله يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي من لا يفطر
حتى يجهده الجهد غير المحتمل واختلفوا ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن
الجراح رضي الله عنه ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت
ففرق وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضي كما فات متتابعا وفي قراءة ابي فعدة من ايام اخر
متتابعات فان قلت فكيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات
قلت لما قيل فعدة بمعنى المعدود فامر ان يصوم اياما معدودة مكانها علم انه لا يؤتى بعدد
على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة وعلى الذين يطيقونه فدية وعلى المطيقين للصيام الذين لهم عذر
بهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز
مد وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية
وقرأ ابن عباس رضي الله عنه يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه
ويقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء
ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يطيقونه واصلها يطيوقونه ويطيوقونه على انهما من فيعل وتفيعل
من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما به ديار وفيه وجهان احدهما
نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم
هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا بمعنى يطيقونه او يصومونه
جهدهم فوطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع اخيرا او الخير
وقرئ فمن يطوع بمعنى يتطوع وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وحملتم على الصوم وجهدتم

شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد
منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله

وجهدتم طاقتكم خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا وفي
قراءة ابي والصيام خير لكم الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف الى الشهر
وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن دايه للغراب باضافة الابن الى دايه
البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت فان قلت لم سمي شهر رمضان قلت التسمية
فيه عبادة قديمة فكانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه
كان ينتهم اي يتبجحهم اضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة
سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فان قلت فاذا كانت
التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء في الاحاديث من نحو قوله عليه السلام من صام
رمضان ايمانا واحتسابا من ادرك رمضان فلم يغفر له قلت هو من باب الحذف
لان من الرواة من كان يقول اعني الرطاسي حين ما اراد ابن جذيم وارتفاعه على انه مبتدأ خبره الذي
انزل فيه القرآن او على انه بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدأ محذوف وقرئ
بالنصب على صوموا شهر رمضان او على الابدال من اياما معدودات او على انه مفعول وان تصوموا ومعنى
انزل فيه القرآن ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل جملة الى سماء الدنيا ثم نزل الى
الارض نجوما وقيل انزل في شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما تقول انزل في عمر كذا وفي علي
كذا وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلاث
عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس وبينات من الهدى نصب على الحال او انزل وهو هداية للناس
الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي الى الحق ويفرق بين الحق والباطل فان قلت
ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله وهدى للناس قلت ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه
بينات من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل من وجيه وكتبه المتداولة الهادية الفارقة
بين الهدى والضلال فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر
فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذا الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة
لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر يريد الله ان يسر عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج في الدين وامركم
بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس
من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم ان من صام فعليه الاعادة وقرئ اليسر والعسر بضمتين

الراء والسين
ضم الشين وكل يريد بضم العين

ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون ﴿ وإذا سألك
عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴿ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي

الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك يعني جعله ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص في إباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الأمر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من الأدب لطيف المسلك لا يكاد يهتدي إلى تبيينه إلا الثابت المحدث من علماء البيان وإنما عدي فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه متضمنا معنى الحمد كأنه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ويعني ولعلكم تشكرون وإرادة أن تشكروا وقرئ ولتكملوا بالتشديد فإن قلت هل يصح أن يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كأنه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة أو على اليسر كأنه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريد ون ليطفئوا قلت لا يبعد ذلك والأول أوجه فإن قلت ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الإهلال فإني قريب تمثيل لحاله في سهولة إجابته لمن دعاه وسرعة إنجاحه حاجة من سأله بحال من قريب مكانه فإذا دعي أسرعت تلبيته ونحوه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وقيل صلة هو بينكم وبين دعائكم وروي أن أعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فننادي فنزلت فليستجيبوا لي إذا دعوت إلى الإيمان والطاعة كما أني أجيبهم إذا دعوني لجوابهم وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها كان الرجل إذا أمسى حل له الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلي العشاء الآخرة أو يرقد فإذا صلاها أو رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء إلى القابلة ثم إن عمر رضي الله عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه فأتى النبي عليه السلام وقال يا رسول الله إني أعتذر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة وأخبره بما فعل فقال علم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت وقرئ أحل لكم ليلة الصيام الرفث أي أحل الله وقرأ عبد الله الرفوث وهو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه كلفظ النيك وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أنشد وهو محرم ﴿ ومن تلقين بناهمينا ﴾ ﴿ إن تصدق الطير ننك لميسا ﴾ فقيل أرفثت فقال إنما الرفث عند النساء وقال كان ابن عباس يقول الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكنى به عن الجماع لأن الإيكاد يخلوا من شيء من ذلك فإن قلت لم كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد أفضى بعضكم إلى بعض فلما تغشاها باشرهن أو لمستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل أن تمسوهن

أولى أنكم لا تدعون أصم ولا غائبا

الرفث إليه نساؤكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله

أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن
وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط
الأسود من الفجر

فما استقمتم به منهن ولا تقربوهن قلت استبعادا لما وجدتم قبل الإباحة كما سماه اختيانا لأنفسهم فإن قلت لم عدي الرفث بإلى قلت لتضمينه معنى الإفضاء لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه بالملابس المشتمل عليه قلت الحمدني ﴿ إذا ما الضجيع ثنى عطفها ﴾ ﴿ تثنت فكانت عليه لباسا ﴾ فإن قلت ما موقع قوله هن لباس لكم قلت هو استئناف كالبيان لسبب الإحلال وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتناب ذلك فرخص لكم في مباشرتهن تختانون أنفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم وأثبت في اللوح من الولد بالمباشرة لا بتباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل لأنه في الجاهلية وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الإباحة بعد الحظر وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما وابتغوا وقرأ الأعمش وائتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب إن أصبتموها وقتموها وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الأبيض أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق كالخيط الممدود والخيط الأسود ما يمتد معه من غبش الليل شبههما بخيطين أبيض وأسود قال أبو داود ﴿ فلما أضاءت لنا سدفة ﴾ ﴿ ولاح من الصبح خيط أنارا ﴾ وقوله من الفجر بيان للخيط الأبيض وأكتفى به عن بيان الخيط الأسود لأن بيان أحدهما بيان للثاني ويجوز أن يكون من للتبعيض لأنه بعض الفجر وأوله فإن قلت أهذا من باب الاستعارة أم من باب التشبيه قلت قوله من الفجر أخرجه من باب الاستعارة كما أن قولك رأيت أسدا مجاز فإذا زدت من فلان بعد تشبيها فإن قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي أبلغ من التشبيه وأدخل في الفصاحة قلت لأن من شرط المستعار أن يدل عليه بالحال أو الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم أن الخيطين مستعاران فيه من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من أن يكون استعارة فإن قلت فكيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان حتى عمدت إلى عقالين أبيض وأسود فجعلتهما تحت وسادي فكنت أقوم من الليل فأنظر إليهما فلا يتبين لي الأبيض من الأسود فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله فأخبرته فضحك

ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود
الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ولا تاكلوا اموالكم

وقال انكان وساذكر لعريضا وروى انك لعريض القفا انما ذاك بياض النهار وسواد الليل قلت
غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلعم فقال انه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته والشد في
بعض اليد وبات ابن روق ٭ عريض القفا ميزانه في شماله ٭ قد انحصر من حسب القراريط شاربه ٭
فان قلت فما تقول فيما روى عن سهل بن سعد الساعدي انه نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال
اذا اراد الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبينا
له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا انه انما يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز تاخير البيان وهو يشبه
العبث حيث لا يفهم منه المراد اذ ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذن الا
الحقيقة وهي غير مرادة قلت اما من لا يجوز البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب علي
وابن عباس فلم يصح عندهم هذا الحديث واما من يجوزه فيقول ليس بحيث لا يفهم المخاطب يستفيد منه وجوب
الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح المراد به ثم اتموا الصيام الى الليل قالوا فيه دليل على جواز النية
بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تاخير الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال عاكفون في المساجد معتكفون
فيها والاعتكاف ان يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله احل لكم
ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالآن باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن لشهوة والجماع يفسد
الاعتكاف وكذلك اذا لمس او قبل فانزل وعن قتادة كان الرجل اذا اعتكف وخرج فباشر امراته
ثم رجع الى المسجد فنهاهم الله تعالى عن ذلك وقالوا فيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في مسجد وان لا يختص
به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع
والعامة على انه في مسجد جماعة وقيل مجاهد في المسجد تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله فلا تقربوها
فلا تقربوها فان قلت كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله قلت
من كان في طاعة الله والعمل بشرايعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه لئلا يقع في حيز الباطل
ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل ليتباعد عن الباطل وان
يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا عن ان يتخطاه كما قال رسول الله صلعم ان لكل ملك حمى وحمى الله تعالى
محارمه فمن يرتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيز واحد ويجوز ان يريد بحدود الله
محارمه وشرايعه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب ولا ياكل بعضكم مال بعض بالباطل
بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه ولا تدلوا بها ولا تلقوا امرها والحكومة فيها الى الحكام لتاكلوا بالتجارة

فريقا من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالقضاء مع العلم بان
المقضي له ظالم وعن النبي صلعم انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته
من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا فانما اقضي له قطعة
من النار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما
صاحبه وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم داخل في حكم
النهي او منصوب باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها
اقبح وصاحبه احق بالتوبيخ روى ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين قالا يا رسول الله
ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا ولا يكون
على حالة واحدة فنزلت مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصوم
وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان
ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احدهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من
اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر
خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر بر من اتقى ما حرم الله
فان قلت ما وجه اتصاله بما قبله قلت كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة
في تفاوتها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله تعالى لا يكون الا لحكمة بالغة ومصلحة لعباده وانظروا
في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها بر ويجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد
لما ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان
مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا
في مسايلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال واتوا البيوت من ابوابها
اي وباشروا الامور من وجوهها التي ينبغي ان تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد تعطين النفوس ورتبط القلوب
على ان جميع افعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسال عنه لما
في السؤال من الايهام بمقارفة الشك لا يسال عما يفعل وهم يسالون المقاتلة في سبيل الله هي الجهاد
لاعلاء كلمة الله تعالى واعزاز الدين الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى
هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن انس هي اول آية نزلت في القتال

وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ
وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ

بالمدينة فكان رسول الله يقاتل من قاتل ويكف عن كف او الذين ينابذونكم القتال دون من
ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان الكفرة كلهم لانهم حينئذ معادون للمسلمين
قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله عام
الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون
ان لا يفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت واطلق لهم
قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك ولا تعتدوا بابتداء
القتال او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة
او بالمفاجأة من غير دعوة حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم والثقف وجود على وجه
الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ اقرانه قال ـــــ فاما تثقفوني فاقتلوني فمن
اثقف فليس الخلود من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله صلعم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح
والفتنة اشد من القتل او الحبسة والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به اشد عليه من القتل وقيل
لبعض الحكماء ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن
التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القايل لقتل بحد السيف اهون موقعا على النفس من قتل فراق وقيل
الفتنة عذاب الاخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك اعظم من القتل في الحرم وذلك انهم كانوا يستعظمون القتل
في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي هم عليه اشد واعظم مما يستعظمونه ويجوز ان
يراد وفتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم في الحرم او من قتالهم اياكم ان قتلوكم فلا
تبالوا بقتالهم فيه ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال
قتلنا بنو فلان وبالـــــ فان قتلوكم فاقتلوهم فان انتهوا عن الشرك والقتال كقوله ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف حتى لا تكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب
فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان
وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمي جزاء الظلم
ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او ايذانا بان تعرضكم لهم بعد الانتهاء كتم ظالمين
فيسلط من يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهموا بالقعدة فقيل لهم عند خروجهم
لعمرة القضاء وكراهتهم القتال في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه

وذلك م

الهتك خرق الستر

فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
مَعَ الْمُتَّقِينَ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ

يعني هتكوا حرمة عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص او وكل حرمة يجري فيها القصاص
من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم
نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله في جاري
كونكم منتصرين من اعتدى فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم البادي في بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده
للمنقاد ولا تقبضوا التهلكة ايديكم او لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل بايديكم بانفسكم
وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى
النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع
عياله او عن الاستقتال والاخطار بالنفس او عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وروي ان
رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس القي بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصاري
نحن اعلم بهذه الآية وانما انزلت فينا صحبنا رسول الله فنصرناه وشهدنا معه المشاهد واثرناه على
اهالينا واموالنا واولادنا فلما فشا الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى اهالينا
واولادنا واموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد وحكى ابو علي
في الجليات عن ابي عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد قال فدل هذا من قول ابي عبيدة على ان التهلكة
مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوهما في الاعيان التنضبة والتفلة
ويجوز ان يقال اصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على انها مصدر من هلكل فابدلت من الكسرة
ضمة كما جاء في الجواري الجوار والمواجح والعمرة لله اي اتموا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرايطهما لوجه
الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال تمام الحج ان تقف المطايا على خمرقاء واضعة اللثام
جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم الا به وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك
روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رض وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد عجة
كوفية وحجة عمرة كوفية افضل وقيل ان يكون النفقة حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما
بشيء من التجارة والاغراض الدنيوية فان قلت هل فيه دليل على وجوب العمرة قلت
ما هو الا امر باتمامهما ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين او تطوعين فقد يؤمر باتمام الواجب
والتطوع جميعا الا ان تقول الامر باتمامهما امر بادائهما بدليل قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة والامر
للوجوب في اصله الا ان يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك

عليه م

وانهوا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدي

ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله

فيقال لك فقد دل الدليل على نفي الوجوب وهو ما روي انه قيل يا رسول الله آ العمرة واجبة مثل الحج
قال لا ولكن ان تعتمر خير لكم وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع **فان قلت** فقد روي عن ابن عباس رض
انه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر رض ان رجلا قال له اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت
بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد نظمت الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج **قلت**
كونها قرينة الحج ان القارن يقدن بينهما وانهما يقترنان في الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار
ولانها الحج الاصغر ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب واما حديث عمر رض فقد فسر الرجل كونهما
مكتوبين عليه بقوله اهللت بهما واذا اهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع من الصلوة والدليل
الذي ذكرنا اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيها فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة
من شوال في انك تامر بفرض وتطوع **وقرئ** علي وابن مسعود والشعبي رض والعمرة لله بالرفع كانهم قصدوا
بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب **فان احصرتم** يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض
او عجز قال الله تعالى الذين احصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة وما هجرك ان تكون تباعدت
عليك ولا ان احصر لك شغول وحصر فاحبسه عدو عن المضي او سجن ومنه قيل للبخيل الحصير والملك
الحصير لانه يحجب هذا هو الاكثر في كلامهم ومعناه المنع في كل شيء مثل صده واصده وكذلك قال الفراء
وابو عمرو والشيباني وعليه قول ابي حنيفة رحمه كل منع عدو كان او مرض او غيرهما معتبر في اثبات
حكم الاحصار وعند مالك والشافعي رض منع العدو وحده وعن النبي صلعم من كسر او عرج فقد حل وعليه
الحج من قابل **فما استيسر من الهدي** فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب
والهدي جمع هدية كما يقال في جدية السرج جدي **وقرئ** من الهدي بالتشديد جمع هدية كمطية ومطي يعني
فان منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدي من بعير او
بقرة او شاة **فان قلت** اين وجه تخصيص هدي المحصر **قلت** ان كان جاحدا فبالحرم
يتهيأ عند ابي حنيفة رحمه ينبعث ويحل للمبعوث على رد يوم اما رد وعند صاحبيه في ايام النحر وان كان معتمرا
فبالحرم في كل وقت عندهم جميعا ما استيسر رفع بالابتداء او فعليه ما استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر
ولا تحلقوا رؤسكم الخطاب للمحصرين الا تحللوا حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي
يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب ابي حنيفة رحمه **فان قلت**
فان النبي صلعم نحر هديه حيث احصر **قلت** كان محصره طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من

فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك
فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام

الحرم وعن الزهري ان رسول الله نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة
اميال من مكة **فمن كان منكم مريضا** فمن كان به مرض يجوز معه الحلق او به اذى من راسه وهو القمل او الجراحة
فحلق اذا احتاج فدية من صيام ثلثة ايام او صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر او
نسك وهو شاة وعن كعب بن عجرة ان رسول الله صلعم قال له لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق
راسك وصم ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك شاة وكان كعب يقول في نزلت هذه الاية وروي
انه مر به وقد تفرق راسه فقال كفى بهذا اذى وامره ان يحلق ويطعم او يصوم والنسك مصدر وقيل
جمع نسيكة **وقرئ** الحسن او نسك بالتخفيف **فاذا امنتم** الاحصار يعني فاذا لم تحصروا وكنتم في حال
امن وسعة **فمن تمتع** اي استمتع **بالعمرة الى الحج** واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله
قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج **فما**
استيسر من الهدي هو هدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة رحمه ويأكل منه وعند الشافعي رض يجري مجرى
الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعند مجوز ذبحه اذا احرم بحجته **فمن لم يجد الهدي فعليه صيام**
ثلثة ايام في الحج اي في وقته وهو اشهر ما بين الاحرامين احرام الحج واحرام العمرة وهو مذهب ابي حنيفة
والافضل ان يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلها وان مضى هذا الوقت لم يجزه الا الدم وعند
الشافعي رض لا يصام الا بعد الاحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله في الحج **وسبعة اذا رجعتم** يعني اذا فرغتم وفرغتم
من افعال الحج عند ابي حنيفة وعند الشافعي رض هو الرجوع الى اهاليهم **وقرئ** ابن ابي عبلة وسبعة بالنصب
عطفا على محل ثلثة ايام كانه قيل فصيام ثلثة ايام كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما **فان قلت**
ما فائدة الفذلكة **قلت** الواو قد تجيء للاباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين الا ترى
انه لو جالسهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا فقد ذكرت نفيا لتوهم الاباحة وايضا ففائدة الفذلكة في
كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتاكد العلم وفي امثال العرب
علمان خير من علم وكذلك كاملة تاكيد آخر وفيه زيادة توصية بصيامها وان لا يهملها ولا ينقص من
عددها كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بامر تامر به وكان مثل منزلك الله الله لا تقصر وقيل
كاملة في وقوعها بدلا من الهدي **وفي قراءة ابي** فصيام ثلثة ايام متتابعات ذلك اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة
واصحابه لا القران **لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام** عندهم ومن تمتع منهم او قرن كان عليهم دم وهو دم جناية لا ياكل
منه واما القارن والمتمتع من اهل الافاق فدمهما دم نسك ياكلان منه وعند الشافعي رض اشارة الى الحكم الذي

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ
فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ

هو وجوب الهدي او الصيام ولم يوجب عليهم شيئا وحاضروا المسجد الحرام اهل المواقيت فمن دونها الى مكة
عند ابي حنيفة رحمه وعند اهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلوة واتقوا الله في المحافظة
على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالف ليكون على حذر
عقابه لطفا لكم في التقوى اي وقت الحج اشهر كقولك البرد شهران والاشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر
ذي الحجة عند ابي حنيفة وعند الشافعي تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك ذو الحجة كله فان قلت
ما فائدة توقيت الحج بهذه الاشهر قلت فائدته ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد
ايضا في غيرها وعند ابي حنيفة ينعقد الا انه مكروه فان قلت فكيف كان الشهران وبعض الثالث اشهرا
قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه اذ وانما
يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلثة اشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال لقيته سنة كذا او
على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة او اكثر وانما لقيه في ساعة منها فان قلت ما وجه مذهب مالك
وهو مروي عن عروة بن الزبير قلت قالوا وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر رضي الله عنهما
فكانها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة وعن عمر انه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن
ابن عمر رضي الله عنه انه قال لرجل ان اطعتني انتظرت حتى اذا اهللت بالحج خرجت الى ذات عرق فاهللت منها بعمرة
وقالوا لعل من مذهب عروة جواز تاخير طواف الزيارة الى آخر الشهر معلومات معروفات عند الناس لا يشكلن
عليهم وفيه ان الشرع لم يات على خلاف ما عرفوه وانما جاء مقررا له فمن فرض فيهن الحج فمن الزمه نفسه بالتلبية
او بتقليد الهدي وسوقه عند ابي حنيفة وعند الشافعي بالنية فلا رفث فلا جماع لانه يفسده او فلا فحش
من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب ولا جدال ولا
مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين والمناهي باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لا مع الحج
انتهى كلبس الحرير في الصلوة والنظر بريبة في قراءة القرآن والمراد بالنفي وجوب انتفائها وانها حقيقة بان
لا تكون وقرئت المنفيات الثلث بالنصب والرفع وقرأ ابو عمرو وابن كثير الاولين بالرفع
والآخر بالنصب لانهما حملا الاولين على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث
على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف
مشاعر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه
سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة واخبر الله انه قد ارتفع الخلاف في الحج

وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ
لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ

واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله عليه من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة
يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان
يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق
الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط النفس حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه ويفسر قوله وتزودوا
فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم الى الآخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها وقيل كان اهل اليمن
لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم وبعدها
وتزودوا واتقوا عن الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى واتقون وخافوا
عقابي يا اولي الالباب يعني ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباب فكانه لا لب له فضلا من
ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتأثمون ان يتجروا ايام
ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق ويمنعون من يخرج بالتجارة الدواب ويقولون
هؤلاء الدواب وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون
فيها في ايام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وابيح لهم
وانما يباح لهم ما لم يشتغل عن العبادة وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رجلا قال له ان اناسا يكرون في هذا الوجه وانا
قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألت فلم يرد عليه حتى نزل عليه جناح
فدعاه فقال انتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له هل كنتم تكرون التجارة فقال وهل كانت معايشنا الا
من التجارة في الحج وقرأ ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج ان تبتغوا في ان تبتغوا افضتم دفعتم
بكثرة وهو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من
موضع كذا وصبوا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه صبحنا في دفعة وهو نحر بعيره بمجنه ويقال افاضوا في الحديث
وهضبوا فيه وعرفات علم للموقف سمي بجمع كاذرعات فان قلت هلا منعت الصرف وفيها السببان
التعريف والتانيث قلت لا يخلو التانيث اما ان يكون بالتاء التي في لفظها والتاء مقدرة
كما في حاذ فالتي في لفظها ليست للتانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المونث ولا يصح تقدير
التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المونث مانعة من تقديرها كما لا يقدر تاء التانيث في بنت لان
التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمونث كتاء التانيث فابت تقديرها وقالوا سميت بذلك لانها
وصف لابراهيم عليه فلما ابصرها عرفها وقيل ان جبريل جعل كان يدور به في المشاعر فاذا رآها

فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هديكم وان كنتم من قبله لمن
الضالين ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور

فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم وحوا فتعارفا وقيل الى الناس يتعارفون فيها والله اعلم
بحقيقة ذلك وهي من الاسماء المرتجلة لان العرفة لا تعرف في اسماء الاجناس الا انه تكون جمع عارف
وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لانه الافاضة لا تكون الا بعده وعن النبي صلعم الحج عرفة
فمن ادرك الحج فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلاة المغرب
والعشاء والمشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الطريقة وقيل المشعر الحرام
ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح
انه الجبل لما روى جابر ان النبي صلعم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا
وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقولهم عند المشعر الحرام معناه قريبا منه وذلك
للفصل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر او جعلت اعقاب المزدلفة لكونها
في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم لعبادة فوصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنه انه نظر
الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا لان آدم اجتمع
فيها مع حوا وازدلف اليها اي دنا منها وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلاتين ويجوز ان يقال وصفت بفعل اهلها
لانهم يزدلفون الى الله تعالى اي يتقربون بالوقوف فيها كما هداكم ما مصدرية او كافة والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما
هداكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لانه لا تعلموا عنه وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين
لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا ثم لتكن افاضتكم
من حيث افاض الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم
وتعظيمهم عن ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بعرفة وسائر
الناس بعرفات فان قلت فكيف موقع ثم قلت هو موقعها في قولك احسن الى الناس
ثم لا تحسن الى غير كريم ثانية بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما
فكذلك جبر امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وان احديهما
صواب والثانية خطأ وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس وهم الحمس من المزدلفة الى منى
بعد الافاضة من عرفات وقرئ من حيث افاض الناس بكسر السين اي الناسي وهو آدم من قوله ولقد
عهدنا الى آدم من قبل فنسي يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوه واستغفروا الله من مخالفتكم
في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم فاذا قضيتم مناسككم فاذا فرغتم من عباداتكم الحجية فاذكروا الله كذكركم آباءكم

ونحوه

العرفة فقد ادركت

ادركت

فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا

فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب

٦٩

فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا
بين المسجد منى وبين الجبل فيعدون فضايل آبائهم ويذكرون محاسن ايامهم او اشد ذكرا في موضع جر عطف
على ما اضيف اليه الذكر في قولك ذكركم كما تقول قريش آباءهم او قوم اشد منهم ذكرا او في موضع نصب عطف على
آبائكم يعني او اشد ذكرا من آبائكم على ان ذكرا من فعل المذكور فمن الناس من يقول معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه فان
الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اعراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين آتنا في الدنيا
اجعل ايتاءنا او اعطنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي من طلب خلاق وهو النصيب او ما
هذا الداعي في الآخرة من نصيب لان همته مقصورة على الدنيا والحسنة ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة
والكفاف والتوفيق في طلبتهم في الآخرة من الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة
الحور وعذاب النار امرأة السوء او يكتفي الداعون بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا او نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال
الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا ولهم نصيب مما دعوا
به تعظيم منه ما يستوجبونه بحسب صالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة ويبقى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال
موصوفة بالكسب كسبت ايديكم ويجوز ان يكون للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا مما كسبوا والله سريع الحساب
يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق
على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روي انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة
وروي في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة الا ايام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير
في ادبار الصلوات وعند الجمار وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق
وفي الطواف فمن تعجل في يومين النفر وتعجل واستعجل بمعنى كان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر
واستعجل وتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله وللمطاوعة اوفق لقوله ومن تأخر كما هي كذلك
في قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل لاجل المتأني في يومين
بعد يوم النحر يوم النفر وهو الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤوس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار
كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي رحمه الله ويروى عن قتادة وعن ابي حنيفة واصحابه ينفر
قبل طلوع الفجر ومن تأخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند
ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز فان قلت كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والتأخر جميعا
قلت دلالة على ان التعجل والتأخر مخير فيهما كانه قيل متعجلا او متأخرا فان قلت اليس التأخر

كذكره

او استعجل النفر

فما كسبوا والله سريع الحساب واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر

واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا
ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها

بافضل قلت بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار
وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتاخر
آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما جميعا لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفى الاثم عن المتعجل والمتاخر لاجل الحاج المتقي
ليلا يتحاج في طلبه شيء منهما فيحسب ان احدهما يرهق صاحبه آثاما في الاقدام عليه لان ذا التقوى حذر متحرز
من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله ليقضاء نسككم ويجوز ان يراد ذلك الذي من ذكره
من احكام الحج وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه كقوله هدى للمتقين يريدون وجه الله من يعجبك
قوله اي يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو
المنطق اذا لقي رسول الله اظهر له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق وقيل هو عام في
المنافقين كانت تحلو لهم السنتهم وقلوبهم امر من الصبر فان قلت ثم تعلق قوله في الحيوة الدنيا
قلت بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لان ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ
الدنيا ولا يريد به الآخرة كما تراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول فكلامه اذن في الدنيا لا في الآخرة
ويجوز ان يتعلق بيعجبك اي قوله حلو فصيح في الدنيا وهو يعجبك ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من
الخجلة والكنة او لانه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف ويقول
الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف ابي ويستشهد الله وهو
الد الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك
مواشيهم واحرق زروعهم والخصام المخاصمة واضافة الالد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او جعل الخصام
الدي على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو اشد الخصوم خصومة واذا تولى
عنك وذهب بعلانية القول واجلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل اذا تولى
واذا كان والينا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر
الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على
ان الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى وقرئ الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو ائتمن
يائتمن وروي عنه ويهلك على البناء للمفعول اخذته العزة بالاثم من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه
والزمته اياه او حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الاثم الذي ينهى عنه والزمته ارتكابه
والامر يخلي عنه ضرارا ولجاجا او على رد قول الواعظ يشري نفسه يبيعها او يبذلها في الجهاد وقيل يأمر

بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في صهيب ابن سنان اراده المشركون على ترك
الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم
فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث كلفهم
الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء السلم بكسر السين وفتحها وقرأ الاعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام
والطاعة اي استسلموا لله واطيعوا كافة لا يخرج منكم احد يده عن طاعته وقيل هو الاسلام والخطاب
لاهل الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم آمنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون كافة حالا
من السلم لانها تؤنث كما تؤنث الحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك
من انفاسها جرع على ان المؤمنين امروا بان يدخلوا في الطاعات كلها وان لا يدخلوا في طاعة دون طاعة
او في شعب الاسلام وشرائعه كلها وان لا يخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام انه استاذن رسول الله صلعم
ان يقيم على السبت وان يقرأ من التوراة في صلوته من الليل وكافة من الكف كانهم كفوا ان يخرج
منهم احد باجتماعهم فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات اي الحجج والشواهد على ان ما
دعيتم اليه الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم الا بحق وروي
ان قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه اعرابي فانكره ولم يقرأ القرآن وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول
ذلك لانه ذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه وقرأ ابو العالية زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت
وضللت اياتين الله اياتين امره كقوله او ياتي امر ربك فجاءهم باسنا ويجوز ان يكون الملجئ به محذوفا
يعني ان ياتيهم الله بياسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز في ظلل جمع ظلة وهي ما اظلك
وقرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال او جمع ظل وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون
الا ان ياتيهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل او على الغمام فان قلت لم ياتيهم العذاب في الغمام
قلت لان الغمام مظنة الرحمة فاذا انزل منه العذاب كان الامر افظع واهول لان الشر اذا جاء
من حيث لا يحتسب كان اعم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان سرا فكيف اذا جاء الشر
من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت العذاب الصاعقة من العذاب المستفظع من حيث يتوقع الغيث
ومن ثم اشتد على المتفكر من في كتاب الله قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقضي الامر واتم امر
اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرأ معاذ بن جبل رفعه وقضاء الامر على المصدر المرفوع عطفا على
الملائكة وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول لتانيث والتذكير فيهما سل امر للرسول

فاعلموا ان الله عزيز حكيم هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر
والى الله ترجع الامور

سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ
فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ

او لتنال احد وهذا السؤال سؤال تقريع كما يسأل الكفرة يوم القيمة كم آتيناهم من آية بينة على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم او من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام ونعمة الله آياته وهي اجل نعمة من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله اظهرها لتكون اسباب هدايتهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم او حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت كم استفهامية ام خبرية قلت يحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها للتقرير فان قلت ما معنى من بعد ما جاءته قلت معناه من بعد ما تمكن من معرفتها او عرفها لقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها فكانها غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوسا وسبه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها ويجوز ان يكون الله قد زينها لهم بان خذلهم حتى استحبوها واحبوها او جعل اهل الدنيا مزينين تزيينا ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحيوة الدنيا على البناء للفاعل ويسخرون من الذين آمنوا كان الكفرة يسخرون من الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن صهيب وعمار وصهيب وغيرهم اي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة لانهم في عليين من السماء وهم في سجين من الارض او حالهم عالية لحالهم لانهم في كرامة وهم في هوان او هم عالون عليهم مسيطرون يضحكون منهم كما يسيطرون وهم عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير يعني انه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان اولياؤه المؤمنون احق بها منكم فان قلت لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا قلت ليريك انه لا يعد عند الله المؤمن المتقي وليكون وعدا للمؤمنين على التقوى اذا سمعوا ذلك كان الناس امة واحدة متفقين على دين الاسلام فبعث الله النبيين يريد فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله عز وجل كان الناس امة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول الوجه فان قلت حتى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق قلت عن ابن عباس رضي الله عنه كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله نوحا ومن كان معه في السفينة وانزل معهم الكتاب يريد الجنس او مع كل واحد منهم كتابه ليحكم الله او الكتاب او النبي المنزل عليه

فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي

فيما اختلفوا فيه في الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف او ازدادوا الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب وجاءوا بنزول الكتاب سببا في شدة الاختلاف واستحكامه بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا لحرصهم على الدنيا وقلة انصافهم ومن الحق بيان لما اختلفوا فيه فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله والمؤمنين على الثبات والصبر الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لرسالته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ ام حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى ان اتيانه ذلك متوقع منتظر مثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة ومسته للمثل وهو استيفاء كان قابلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء وزلزلوا ازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول الى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر الله او بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر والتنبيه واستطالة زمان الشدة وفي هذه الغاية دليل على تناهي الامر في الشدة وتمادي في العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم انفسهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمع وراءها الا ان نصر الله قريب على ارادة القول يعني فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال ان علم له وبالرفع على انه في معنى الحال كقولك شربت اللبن حتى يجيء البعير بجرته بطنه الا انها حال ماضية محكية فان قلت كيف طابق السؤال الجواب في قوله ما انفقتم وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا ببيان المصرف قلت قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا اذا وقعت موقعها قال ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع وعن ابن عباس رضي الله عنه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكوة وعن الحسن هي في التطوع وهو كره لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى ان تكرهوا شيئا ثم اما ان يكون بمعنى الكره على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة فانما هي اقبال وادبار كانه في نفسه كراهة لشدة كراهتهم له واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز وهو مكروه لكم وقرئ السلم بالفتح على ان يكون بمعنى المصدوم كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الكره على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ
بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ
يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ

ومنه قوله تو حملته امه كرها ووضعته كرها وعلى قوله وعسى ان تكرهوا شيئا جميع ما كلفوه فان النفوس تكرهه وتنزعه وتحب خلافه والله يعلم ما يصلحكم وما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك بعث رسول الله صلعم عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عير القريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبتدعت فيه الناس لما معايشهم فوقف رسول الله العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله الغنيمة والعفو يسألك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقراءة عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير اي اثم كبير وعن عطاء انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل على انها منسوخة بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدأ واكبر خبره يعني كما يبين قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراج اهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن والفتنة الاخراج او الشرك والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز ان يعطف على الهاء في به ولا يزالون يقاتلونكم اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة او يقاتلونكم كي يردوكم وان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بانه لا يظفر به ومن يرتدد منكم ومن يرجع عن دينه الى دينهم ويطاوعهم على ردة اليه فيمت على الردة فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا من ثمرات الاسلام وباستحقاقها والموت عليها من ثواب الآخرة وبها احتج الشافعي رحمه الله على ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت عليها وعند ابي حنيفة انها تحبطها وان رجع مسلما ان الذين آمنوا والذين هاجروا روي ان عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر فنزلت اولئك يرجون رحمة الله عن قتادة رضي الله عنه هم خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل جهاد كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب نزلت في الخمس

فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا
أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ

اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا وكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت فيها اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من شربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلعم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر رضي الله عنه لو ادخلت اصبعي لم تتبعني وهذا هو الايمان حقا وهم الذين اتقوا اتقوا تقاته والخمر ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند ابي حنيفة وعن بعض اصحابه ان اقول مرارا هو حلال احب الي من ان اقول مرة هو حرام ولان اخر من الزنا فاتوب احب الي من ان اتناول منه قطرة وعند اكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك كل ما اسكر من كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لانها تسكرها اي تخمرها وكانها سميت بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب او من اليسار لانه سلب يساره وعن ابن عباس رضي الله عنه كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله فايهما قمر اخذ وبقي الآخر نادما وقيل هو الضرب بالقداح وهي الازلام والاقلام الغدر والتوأم والرقيب والهلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحر فيقسم ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين على الاول الثلثة وهي المنيح والسفيح والوغد وقال بعضهم ربح في الدنيا سهام ليس فيهن ربح واسامينهن وغد وسفيح ومنيح للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلثة وللهلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجللها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قداحا منها غير

فان قلت كيف صفة الميسر قلت كانت لهم عشرة اقداح وهي الازلام والاقلام الغدر والتوأم والرقيب والهلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحر فيقسم ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين على الاول الثلثة وهي الم

قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا
والآخرة ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم

خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم بذلك القدح ومن خرج له سهم لا نصيب له لم يأخذ
شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون
من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلعم اياكم
وهاتين الكعبتين المشؤمتين فانهما من ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين
كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما بدليل قوله فيهما اثم كبير واثمهما وعقاب الاثم
في تعاطيهما اكبر من نفعهما وهو اللذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما الى مصادقات
الفتيان ومعاشراتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم واعطياتهم وسلب الاموال بالقمار والافتخار على الارذال
وقرئ اثم كثير بالثاء وفي قراءة ابي واثمهما اقرب ومعنى الكثرة ان اصحاب الخمر والقمار يغتر
فيهما الاثام من وجوه كثيرة العفو نقيض الجهد وهو ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع
قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ويقال للافضل السهلة العفو قرئ بالرفع
والنصب وعن النبي صلعم ان رجلا اتاه ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغازي فقال خذها مني
صدقة فاعرض عنه رسول الله فاتاه من الجانب الايمن فقال مثله فاعرض عنه ثم اتاه من الجانب الايسر
فاعرض عنه فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفا لو اصابه لشجه او عقره ثم قال يجيء احدكم
بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى في الدنيا والآخرة اما ان تتعلق
بتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو اصلح لكم كما بينت لكم ان العفو
اصلح من الجهد في النفقة او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع وتجوزان يكون
اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما لتتفكروا في عقاب الاثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى تختاروا النفع
العاجل على النجاة من العقاب العظيم واما يتعلق بيبين على معنى يبين لكم الآيات في امر الدارين وفيما يتعلق
بهما لعلكم تتفكرون لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتجنبوا مخالطتهم
والقيام باموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فقيل اصلاح لهم خير مما
عليه وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فهم اخوانكم في الدين
ومن حق الاخ ان يخالط اخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح او لا يخفى على
الله من ما ظلم بافساد واصلاح فيجازيه على حسب ما اخلته فاجتنبوه ولا تتعرضوا غير الاصلاح ولو شاء
الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم وقرأ طاوس فلا اصلاح اليهم

والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم

ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا
المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار

ومعناه ايصال الصلاح اليهم وقرئ لاعنتكم بالهمزة والقاء حركتها على اللام وكذلك فلا اثم عليه
عزيز غالب يقدر ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم ولا تنكحوا
وقرئ بضم التاء اي لا تزوجوهن والمشركات الوثنيات والآية ثابتة وقيل المشركات
الوثنيات والكتابيات جميعا لان اهل الكتاب من اهل الشرك لقوله وقالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون وهي منسوخة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي
وروي ان رسول الله صلعم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان
يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق فأتته وقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت
هل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله فاستأمره فاستأمره فنزلت ولأمة مؤمنة
ولامة مؤمنة حرة كانت او مملوكة وكذلك ولعبد مؤمن ان الناس كلهم عبيد الله واماؤه ولو اعجبكم ولو كان
الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير منها مع ذلك او يكون اشارة الى المشركين والمشركات او يدعون
الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال والله يدعوا
الى الجنة يعني واولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم
ومصاهرتهم وان يؤثروا باذنه بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي يستحق به الجنة والمغفرة وقرأ الحسن
والمغفرة باذنه بالرفع اي والمغفرة حاصلة بتيسير المحيض مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا
وبات مبيتا قل هو اذى اي الحيض شيء يستقذر ويتأذى من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء
في المحيض فاجتنبوهن يعني فاجتنبوا مجامعتهن روي ان اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها
ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فراش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت اخذ المسلمون
بظاهر اعتزال الحيض فاخرجوهن من بيوتهن فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب
قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك ما يلي اهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال عليه السلام انما امرتم
ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى
كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين
وبين الفقهاء خلاف في الاعتزال فابو حنيفة وابو يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن
الحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج وروى محمد حديث عائشة ان عبد الله بن عمر امرهم ان يجامعوا الحائض

ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين

نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين

فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ
نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ

امرأته وهي حائض فقالت تشدد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها ان شاء وما روى زيد بن اسلم ان رجلا
سأل النبي صلعم ما يحل لي من امرأتي وهي حائض قال لتشد ازارها ثم شأنك باعلاها ثم قال وهذا قول
ابي حنيفة وقد جاء ما هو ارخص من هذا عن عائشة انها قالت شعار الدم وليس ما سوى ذلك وقرئ
يطهرن بالتشديد اي يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن وقرأ عبد الله يتطهرن ويطهرن بالتخفيف
والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة الى
انه له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان تغتسل وفي اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل او يمضي
عليها وقت صلوة وذهب الشافعي الى انه لا يقربها حتى تطهر وتتطهر فيجمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده
قوله فاذا تطهرن من حيث امركم الله من الحالة التي امركم الله به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين
عما يأتونه من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش او ان الله يحب التوابين
الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة الحائض
والطاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بطاهر وغير ذلك حرث لكم مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالحارث
تشبيها لما يلقى من النطف التي منها النسل بالبذور وقوله فأتوا حرثكم اي شئتم تمثيل اي فأتوهن كما
تأتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من اي
شق اردتم بعد ان يكون المأتي واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض من
حيث امركم الله فأتوا حرثكم اي شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه واشباهها في
كلام الله آداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا امثالها في محاوراتهم ومكاتباتهم
وروي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك
لرسول الله صلعم فقال كذبت اليهود ونزلت وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو
خلاف ما نهيتكم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهي
واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا لما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح
وفعل الحسنات فان قلت ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله قلت موقعه موقع البيان
والتوضيح لقوله فأتوهن من حيث امركم الله يعني ان المأتي الذي امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتقريرا
وازالة للشبهة ودلالة على ان الغرض الاصلي في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلذا تأتوهن
الا من المأتي الذي يتعلق به هذا الغرض فان قلت ما بال النساء لو نكرن جاء بغير واو وثلث مرات لم مع الواو

واجتنبوا النساء في المحيض
يجتنب
عسى
في ارجاعهن

وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٢٤
لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ

ثلاثا قلت كأن سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع في اوقات متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان
كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك
كأنه قيل يسألونك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وكذا العرضة
فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض
دونه ويصير حاجزا او مانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة ايضا المعرض للامر قال
فلا تجعلوني عرضة للوائم ومعنى الآية على الاولى ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم
او اصلاح ذات بين او احسان الى احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر
ارادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا
لتلبسه باليمين كما قال النبي صلعم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها
فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك اي على شيء مما يحلف عليه وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف
بيان لايمانكم اي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس فان قلت
ما تعلقت اللام في لايمانكم قلت بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم بزعمكم وجهان
ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض يعني لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترض كذا ويجوز ان
يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان
تبروا ومعناها على الاخرى ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فتبتذلونه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من
انزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين بالغ في الذم وجعل الحلاف مقدمة لها وان تبروا علة للنهي
اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق
به الناس فلا يصلحون به وساطتهم واصلاح ذات بينهم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره
ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد الابل لغو واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان
وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه
فعند ابي حنيفة واصحابه هو ان يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو
قول العرب لا والله وبلى والله مما يكررونه بكلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم هلم
اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الفسرة وفيه معنيان احدهما لا يؤاخذكم اولا يعاقبكم
بلغو اليمين الذي يحلف احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم اي اقترفته من اثم القصد الى الكذب فت

لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَإِنْ
عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ

اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم او لا
يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم او بما نوت
قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو
في ايمانكم قرأ عبد الله الوا من نسائهم وقرأ ابن جبير يقسمون من نسائهم فان قلت
كيف عدي بمن وهو معدى بعلى قلت قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل
يبعدون من نسائهم مولين او مقسمين وبجوزان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك للمولي منك كذا والايلاء
الحلف ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون
فيما دون اربعة اشهر لما يحكى عن ابراهيم النخعي وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في المدة بالوطء ان امكنه او بالقول
ان عجز عن الوطء وجب الفيء ولزمته كفارة اليمين وكفارة العاجز وان مضت بانت بتطليقة
واحدة عند ابي حنيفة وعند الشافعي يصح الايلاء الهبي في اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولي فاما ان يفيء
واما ان يطلق وان ابى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فان فاءوا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاءوا فيهن
فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان
يجوز ان يكون على رضا منهن اشفاقا منهن على الولد من الفصال وبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي مثل
التوبة وان عزموا الطلاق فتربصوا الى مضي المدة فان الله سميع عليم وعد على اصل رهم وتركهم الفيئة وعلى
قول الشافعي معناه فان فاءوا فان عزموا بعد مضي المدة فان قلت كيف وقع الفاء اذا كانت الفيئة
قبل انتهاء مدة التربص قلت موقع صحيح لان قوله فان فاءوا وان عزموا تفصيل القول للذين يؤلون
من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول انا نزلكم هذا الشهر فان احببتم اقمت عندكم الى آخره والاسلام له
الا ديفا الجوز فان قلت ما تقول في قوله فان الله سميع عليم وعزمهم الطلاق ما يعلم ولا يسمع قلت
الغالب ان العازم للطلاق وسكن الفيئة والضرار الراجع من معاودته وعدمه ولا بد له ان يحدث نفسه ويناجيها
بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان والمطلقات اراد المدخول بهن من ذوات
الاقراء فان قلت كيف جاز اطلاق لفظ القرء على الطهر قلت لان اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكل واحد
منهما بالاشتراك كالاسم المشترك فان قلت فما معنى الاخبار
عنهن بالتربص قلت هو خبر في معنى الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات واخراج الامر في
صورة الخبر تاكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص
فهو يخبر عنه موجودا ونحو قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كانما وجدت الرحمة

ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ٧٥

فهو يخبر عنها وبناء على المبتدأ وما زائدة ايضا فصل تاكيد ولو قيل ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة
فان قلت هلا قيل يتربصن ثلاثة قروء كما قيل تربص اربعة اشهر وما معنى ذكر الانفس قلت
في ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لهن فيه ما يستاثرن به فيحملهن على ان يتربصن وذلك
ان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويحبسنها على التربص
والقروء جمع قرء او قرء وهو الحيض بدليل قوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان
وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر
فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان الغرض الاصلي في العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ
به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت وامرأة مقرئ
وقال ابو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته الى فلانة تقرئها اي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء
فان قلت فما تقول في قوله تعالى وبعولتهن احق بردهن والطلاق الشرعي انما هو في الطهر قلت معناه مستقبلات
لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلاث وعدتهن الحيض الثلاث
فان قلت فما تقول في قول الاعشى كما ضاع فيها من قروء نسائكا قلت اراد كما ضاع فيها من عدة
نسائك لشهرة القروء عندهم في الاعتداد بهن اي مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء واستطال مدة غيبته
عن اهله كل عام لاشتغاله في الحروب والغارات وانه يجيء على نسائه مدة كمدة العدة ضايعة لا يضاجعن
فيها ازواجهن من اوقات نسائك فان القرء والقارء جاء في معنى الوقت ولم يرد حيضا ولا طهرا فان قلت
فلم انتصب ثلاثة قروء على انه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء اي يتربص مضي ثلاثة قروء او على انه
ظرف اي يتربص مدة ثلاثة قروء فان قلت لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء قلت
يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية الا ترى الى قوله بانفسهن وما
هي الا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت اكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال
منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلاثة شسوع وقرأ الزهري ثلاثة قرء بغير همز ما خلق الله في ارحامهن
من الولد او من دم الحيض وذلك اذا ارادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها ليلا ينتظر طلاقها ان تضع
وليلا يشق على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق
ويجوز ان يراد اللائي اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به وتحذيرهن ذلك فجعل كتمانهن ما في
ارحامهن كناية عن اسقاطه ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهن وان من آمن بالله وبعقابه

وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ

بِإِحْسَانٍ

سلا بحسن تحنى على مثله من العظايم والبعول جمع بعل والتاء راجعة لتانيث الجمع كما في الجزونة والنهولة ويجوز
ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني واهل بعولتهن احق بردهن من رجعتهن وفي قراءة
ابي بردهن في ذلك مدة ذلك التربص فان قلت كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنساء حقا فيها
قلت المعنى ان الرجال اذا اراد الرجعة وابتها المراة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو احق بها
لان لها حقا في الرجعة ان ارادوا بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارة
ولهن مثل الذي عليهن ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي
لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف احد الزوجين
صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب بالواجب في كونه حسنا لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت
ثيابه او خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال درجة زيادة في الحق وفضيلة قيل
المراة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها الطلاق بمعنى
التطليق كالسلام بمعنى التسليم اي التطليق الشرعي تطليقة واحدة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع
والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين منقلب
اي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحوه لكن التثنية التي يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك
وهذاذيك وذواليك وقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان تخييرهم بعد ان علمهم كيف يطلقون لئلا يمسكوا
النساء بحبس العشرة والقيام بواجبهن وبين ان يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم وقيل معناه الطلاق
الذي يقع مرتان لانه لا رجعة بعد الثلث فامساك بمعروف اي رجعة او تسريح باحسان اي ان لا يراجعها حتى تبين
بالعدة او بان لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بان يطلقها الثالثة
في الطهر الثالث وروي ان سائلا سال رسول الله صلعم اين الثالثة فقال عليه او تسريح باحسان وعند ابي
حنيفة واصحابه الجمع بين التطليقتين والثلث بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه
لما روي في حديث ابن عمر رض انه رسول الله قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة
وعند الشافعي لا باس بارسال الثلث لحديث العجلاني الذي لاعن امراته وطلقها ثلاثا بين يدي رسول الله فلم
ينكر عليه وروي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي كان تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت
رسول الله فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا اجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني
اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فاتيته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا

وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ
أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ

وانصرهم قامة واقبحهم وجها فتزلت وكان قد اصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان
في الاسلام فان قلت لمن الخطاب في قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان خفتم
ان لا يقيما حدود الله وان قلت للائمة والحكام فهؤلاء ليسوا باخذين منهن ولا مؤتيهن قلت يجوز
لا سيما ان يكون اول الخطاب للازواج وآخره للائمة والحكام لانهم الذين يامرون بالاخذ والايتاء عند
التنازع اليهم فكانهم الآخذون والمؤتون مما آتيتموهن مما اعطيتموهن من الصدقات الا ان يخافا الا
لا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث
من نشوز المراة وسوء خلقها فلا جناح عليهما فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما افتدت به
نفسها واختلعت به من بذل ما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جايز في الحكم وروي
ان امراة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر رض فاتاها في بيت الزنل ثلث ليال ثم دعاها فقال كيف
وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت اقر لعيني منهن فقال للزوج خلها ولو بقرطها قال قتادة يعني
ما لها كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له ان ياخذ منها شيئا وقرئ الا ان يخافا على البناء
للمفعول وابدال الا يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد ترك حدود الله ونحوه
واسر النحوي الذين ظلموا وتعضد قراءة عبد الله الا ان تخافوا وفي قراءة ابي الا ان يظنا ويجوز ان يكون
الخوف بمعنى الظن يقولون اخاف ان يكون كذا وافرق ان يكون يريدون اظن فان طلقها الطلاق المذكور
الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل
له من بعد ذلك التطليق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المراة كما يسند الى الرجل كالتزوج
ويقال فلانة ناكح في بني فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذي
عليه الجمهور انه لا بد من الاصابة لما روي عروة عن عائشة ان امراة رفاعة جاءت الى النبي صلعم فقالت ان رفاعة
طلقني فبت طلاقي وانه عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلعم
اتريدين ان ترجعي الى رفاعة حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وروي انها لبثت ما شاء الله ثم
رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول
الله صلعم فاتت ابا بكر رض فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال قد سمعت رسول الله حين قال لك ما قال فلا
ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال ان اتيتيني بعد مرتك هذه لارجمن قبرك فان قلت
ما تقول في النكاح المعقود بشرط التحليل قلت ذهب سفيان والاوزاعي وابو عبيد ومالك وغيرهم

فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا

إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ
فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا

إلى انه غير جائز وهو جائز عند ابي حنيفة مع الكراهة وعنه انهما ان اضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبي صلعم انه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رضي الله عنه لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما وعن عثمان رضي الله عنه لا نكاح رغبة غير مدالسة فان طلقها الزوج الثاني ان يتراجعا ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج ان ظنا ان كان في ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله ومن فسر الظن هنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد ولكن علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما يظن ظنا فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل وكذلك الغاية والامد يقولان النحويون من الابتداء الى الغاية والى انتهاء الغاية وقال اذا انتهى امده ويقع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه ودانا منه ويقال قد وصلت ولم يصل وانما شارف ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها فامسكوهن بمعروف فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة او سرحوهن بمعروف واما ان يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا كان الرجل يطلق امرأته ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا لتعتدوا ولا تظلموهن وقيل لا تلجئوهن الى الافتداء فقد ظلم نفسه بتعريضها العقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا اي جدا في الاخذ بها والعمل بما فيها وادعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا وبناء من لم يجد في الامر انما انت لاعب وهازئ ويقال كن يهوديا والا فلا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا وعن النبي صلعم ثلث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وبنبوة محمد وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به بما انزل عليكم فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن اما ان تخاطب الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا وحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج والمعنى ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن واما ان يخاطب به الاولياء في عضلهن ان يرجعن الى ازواجهن روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه ان يكون خطابا للناس لانه لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين والعضل الحبس والتضييق ومنه

فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ

ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ

عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم تخرج ؛ وانشد ابن هرمة ؛ وان قضاء يدي لكما صطنعني
عقائل قد عضلن عن النكاح ؛ وبلوغ الاجل على الحقيقة وعن الشافعي هو دليل السياق الكلامين على
افتراق البلوغين اذا تراضوا اذا تراضى الخطاب والنساء بالمعروف بما يجوز في الدين والمروءة من
الشرائط وقيل مهر المثل ومن مذهب ابي حنيفة انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فللاولياء
ان يعترضوا فان قلت لمن الخطاب في قوله ذلك يوعظ به قلت يجوز ان يكون لرسول الله
ولكل احد ونحوه ذلك خير لكم واطهر ازكى لكم واطهر من ادناس الآثام وقيل ازكى واطهر افضل
واطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمون ذا والله يعلم ما تستصلحون به من الاحكام
والشرائع وانتم تجهلونه يرضعن مثل يترضعن في انه خبر في معنى الامر المؤكد كاملين توكيد كقوله ثلثة
كاملة لانه مما يتسامح فيه فتقول اقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما وقرأ ابن عباس رضي الله
عنه يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وان يتم الرضاعة بنصب الفعل تشبيها له بما لا تحيها في التأويل فان قلت كيف اتصل قوله لمن اراد بما قبله قلت
هو بيان لمن متوجه اليه الحكم كقوله تعالى هدى للمتقين كل بيان للمهتدين به او هذا حكم لمن اراد اتمام الرضاع
وعن قتادة حولين كاملين ثم انزل الله اليسر والتخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اراد انه يجوز النقصان
وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد ان لا يكون في الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن
كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده او يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الآباء لان الاب
يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك
ولا تجبر عليه ولا يجوز استيجار الام عند ابي حنيفة ما دامت زوجة او معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز
فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق فان قلت فما بال الوالدات مأمورات بان يرضعن اولادهن
قلت اما ان يكون امرا على وجه الندب واما على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم
توجد ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستيجار وقيل اراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لهن
لاجل الرضاع وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في غير المغضوب
عليهم فان قلت لم قيل المولود له دون الوالد قلت ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم لان
الاولاد للآباء ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات ؛ وانشد لهما مؤرج المرشد ؛ فانما امهات الناس اوعية
مستودعات وللآباء ابناء ؛ فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم كالانفاق على الزوجات وانه ذكره

الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ

لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث
مثل ذلك فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما

بالوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده
شيئا بالمعروف تفسير ما يعقبه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا وقرئ لا تكلف
بفتح التاء ولا تكلف بالنون وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول
وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء وتضارر بفتحها وقرئ لا تضار بالفتح اكثر القراء وقرأ الحسن
بالكسر على النهي وهو محتمل للبناء ايضا ويبين ذلك انه قرئ لا تضارر بالجزم وفتح الراء الاولى وكسرها وقرأ
ابو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن الاعمش لا تضار بالسكون والتخفيف
وهو من ضار يضير ونوى الوقف كما نواه ابو جعفر او اختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن
كاتب عمر بن الخطاب لا تضر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه
ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تبخل عليه بالنفقة على شان الولد وان تقول بعد ما الفتها الصبي
اطلب لطيرا وما اشبه ذلك ولا يضار مولود له امرأته بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها
ولا يأخذ منها وهي تريد ارضاعه ولا يكرهها على الارضاع وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها
الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون نفيا بمعنى النهي ولن
تكون الباء من صلته او لا تضر والدة بولدها فالا تسيء غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى
الاب بعد ما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد فان قلت
كيف قيل بولدها وبولده قلت لما نهيت المرأة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا
لها عليه وان ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود
له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى
وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة ان مات المولود لئلا يلزم من يرثه ان يقوم مقامه
في ان يرزقها ويكسوها بالشرطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبي الذي
لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند ابن ابي ليلى كل من ورثه وعند ابي حنيفة من كان ذا رحم
محرم منه وعند الشافعي النفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل الاخ والاخ وابن
الاخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الاب وهو الصبي نفسه وانه ان مات ابوه وورثه وجبت
عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه وقيل على الوارث
على البارة من الابوين من قوله واجعلوا الوارث هنا فان ارادا فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح

ولا تضار زوجة

بسبب ولده

وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف
واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا

عليهما في ذلك زاد على الحولين او نقصا وهذا توسعة بعد التحديد وقيل هو في غاية الحولين لا يتجاوز
وانما اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما اما الاب فلا كلام فيه واما الام فلانها احق بالتربية وهي اعلم
بحال الصبي وقرئ فان اراد استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي
فتعديه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحت الحاجة والمعنى ان تسترضعوا المراضع اولادكم
فحذف احد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولانك كل من استنجحت وكذلك حكم كل مفعولين
لم يكن احدهما عبارة عن الاول اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله اذا قمتم الى الصلوة وقرئ
ما آتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله انه كان وعده مأتيا او مفعولا وروى شيبان عن عاصم
ما اوتيتم او ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط
الجواز والصحة وانما هو مندوب الى الاولى ويجوز ان يكون نعتا على ان يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من اجرة
ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا لشان الصبي واحتياطا في امره فامر باتيانه ناجزا
يدا بيد كانه قيل اذا اديتم اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن بالمعروف متعلق بسلمتم امروا ان يكونوا عند
تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لنفس المرضع حتى يؤمن تغيرها من تقطع
مقاذيرهن والذين يتوفون منكم على تقدير حذف المضاف اراد وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل
معناه يتربصن بعدهم كقولهم الثمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وهي قراءة
علي رضي والذي يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفى بكسر الفاء فقال
الله وكان احد الاسباب الباعثة لعلي رضي على ان امره بان يضع كتابا في النحو شاقضة هذه القراءة
يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام فقيل عشرا ذهابا
الى الليالي والايام داخلة معها ولانهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو
ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما فاذا بلغن اجلهن
فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين فيما فعلن في انفسهن من التعرض
للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع والمعنى انهن اذا فعلن ما هو منكر كان على الائمة ان يكفوهن
وان فرطوا كان عليهم الجناح فيما عرضتم به هو ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان
اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها
عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول له اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وروى ابن

يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء

ما امكن

أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا
إلا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح

المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل علي أبو جعفر محمد بن علي وأنا في عدتي
فقال قد علمت قرابتي من رسول الله وحقي وحق جدي علي وقدمي في الإسلام فقلت عفا الله لك الخطبة
في عدتي وأنت تؤخذ عني فقال أو قد فعلت إنما أخبرتك بقرابتي من رسول الله وموضعي قد دخل
رسول الله صلى الله عليه على أم سلمة وكانت عند ابن عمها أبي سلمة فتوفي عنها فلم ينزل بذلك لها منزلته
من رسول الله وهو متحامل على يده حتى أثر الحصير فيه من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة

فإن قلت ما الفرق بين الكناية والتعريض قلت الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه
الموضوع له والتعريض أن تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه جئتك لأسلم عليك
ولأنظر إليك وجمال الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكأنه إمالة الكلام إلى
عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لأنه يلوح ما تريد أو أكننتم في أنفسكم أو سترتم وأضمرتم في قلوبكم
فلم تذكروه بألسنتكم لا معرضين ولا مصرحين علم الله أنكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق
برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فإن قلت
أين المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن قلت هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم
الله أنكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي
هو الوطء لأنه مما يسر قال الأعشى ولا تقربن جارة إن سرها عليك حرام فانكحن أو تأبدا
ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لأنه سبب فيه كما قيل للنكاح إلا أن تقولوا قولا معروفا وهو
أن تعرضوا ولا تصرحوا فإن قلت بم يتعلق حرف الاستثناء قلت بلا تواعدوهن
أي لا تواعدوهن مواعدة قط إلا مواعدة معروفة غير منكرة أو لا تواعدوهن إلا بأن تقولوا أي لا
تواعدوهن إلا بالتعريض ولا يجوز أن يكون استثناء منقطعا من سر لأدائه إلى قولك لا تواعدوهن
إلا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو أن يقول لها أن نكحتك كأن كيت وكيت يريد
ما يجري بينهما تحت اللحاف إلا أن تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث وإيماء في الكلام وقيل
لا تواعدوهن سرا أي في السر على أن المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستحيى أن يعلن لأن مساترتهن
في الغالب بما يستحيى من المجاهرة وعن ابن عباس رضي الله عنه إلا أن تقولوا قولا معروفا هو أن يقول أنا أتزوج
غيرك ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الأمر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد
النكاح في العدة لأن العزم على الفعل يتقدمه فإذا نهي عنه كان عن الفعل أنهى ومعناه ولا تعزموا عقدة

عقدة

حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله
غفور حليم لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة

عقدة النكاح وقيل معناه ولا تنووا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله لا صيام لمن
لم يعزم الصيام من الليل وروي لم يبيت الصيام حتى يبلغ الكتاب أجله يعني ما كتب وفرض من العدة
يعلم ما في أنفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة
لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من إيجاب مهر إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن أو تفرضوا لهن
فريضة إلا أن تفرضوا لهن فريضة أو حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك أن المطلقة
غير المدخول بها إذا سمي لها زوجها فلها نصف المسمى وإن لم يسم لها فليس لها نصف مهر ولكن المتعة والدليل على
أن الجناح تبعة المهر قوله وإن طلقتموهن إلى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم إثبات الجناح
المنفي ثمه والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند أبي حنيفة إلا أن يكون مهر مثلها أقل
من ذلك فلها الأقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا تنقص من خمسة دراهم فلا ينقص من
نصفها والموسع الذي له سعة والمقتر الضيق الحال وقدره مقدار الذي يطيقه لأن ما يطيقه هو
الذي يختص به وقدره بفتح الدال والقدر والقدر لغتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للرجل من الأنصار
تزوج امرأة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل أن يمسها أمتعها قال لم يكن عندي شيء قال متعها
بقلنسوتك وعند أصحابنا رحمهم الله لا تجب المتعة إلا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب متاعا
تأكيد لمتعوهن يعني متعوهن متاعا بالمعروف بالوجه الذي يحسن في الشرع والمعروف هنا صفة لمتاعا أي متاعا
واجبا عليهم أو ذلك حقا على المحسنين على الذين يحسنون إلى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل
الفعل محسنين كما قال عليه من قتل قتيلا فله سلبه إلا أن يعفون يريد المطلقات فإن قلت
أي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون قلت الواو في الأول ضمير هم والنون علم
الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضمير هن والفعل مبني لأن في لفظه للعامل وهو في محل النصب
ويعفو عطف على محله والذي بيده عقدة النكاح الولي يعني إلا أن يعفو المطلقات عن أزواجهن
فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المرأة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا أو هو
يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي وقيل هو الزوج وعفوه أن يسوق إليها
المهر كملا وهو مذهب أبي حنيفة والأول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر
إلا أن يقال كان الغالب عندهم أن يسوق إليها المهر عند التزوج فإذا أطلقها استحق أن يطالبها بنصف
ما ساق إليها فإذا ترك المطالبة فقد عفا عنها أو سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم

حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين فان خفتم فرجالا او ركبانا
فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون

انه تزوج امرأة وطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وعنه انه دخل
على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كملا
فقيل له لم تزوجها قال عرضها علي فكرهت ردّه قيل فلم بعثت بالصداق قال اين الفضل والفضل
التفضل اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض وتمرّ اواه لا تسقطوا وقراء الحسن او يعفو
الذي بسكون الواو واسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيه لهما بالالف لانهما اختاها وقراء
ابو نهيك وان يعفوا بالياء وقرئ ولا تنسوا الفضل بكسر الواو والصلوة الوسطى بين الصلوات
او الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل
وهي صلوة العصر وعن النبي صلعم انه قال يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله
بيوتهم نارا وقال عليه السلام الصلوة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها
قالت لمن كتبت هذه لها المصحف اذا بلغت هذه الاية فلا تكتبها حتى املها عليك كما سمعت رسول الله
يقرئها فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر وروي عن عائشة وابن عباس والصلوة الوسطى
وصلوة العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلوتين احديهما الصلوة الوسطى اما الظهر واما
الفجر واما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها من
اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكان رسول الله
صلعم يصليها بالهاجرة ولم يكن صلوة اشد على اصحابه منها وعن مجاهد هي الفجر لانها بين صلاتي النهار
وصلاتي الليل وعن قبيصة بن ذؤيب هي المغرب لانها وتر النهار ولا تقصر في السفر من ثلث وقراء
عبد الله وعلى الصلوة الوسطى وقرأت عائشة والصلوة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقراء
نافع الوصطى وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين الله في قيامكم والقنوت ان تذكر الله قائما وعن
عكرمة كانوا يتكلمون في الصلوة فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الايدي والبصر وروي انهم كانوا
اذا قام احدهم الى الصلوة هاب الرحمن ان يلتفت بصره او يلتفت او يقلب الحصى او يحدث نفسه
بشيء من امور الدنيا فان خفتم فان كان بكم خوف من عدو او غيره فرجالا فصلوا راجلين وهو جمع
راجل كقائم وقيام او رجل يقال رجل رجل اي راجل وقرئ فرجالا بضم الراء ورجالا بالتشديد
ورجلا وعند ابي حنيفة لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي يصلون
في كل حال والراكب يومي ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم

تكونوا

والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح
عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم وللمطلقات

٨٠

تكونوا تعلمون من صلوة الامن او فاذا امنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم
من الشرايع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن وقرئ فيمن قرأ وصية بالرفع ووصية الذين
يتوفون او حكم الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم وفيمن قرأ بالنصب
والذين يتوفون وصية كقولك انما انت سير البريد باضمار تسير او الزم الذين يتوفون وصية ويدل عليه
قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول وقراء ابي متاع لازواجهم متاعا وروي عنه فمتاع
لازواجهم ومتاعا نصبه بالوصية لانها اذا اضمرت يوصون فانه نصب بالفعل وعلى قراءة ابي متاعا
نصب بمتاع لانه في معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين واعجبني ضرب لكن زيدا ضربا شديدا وغير
اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات
والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا
كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة
بقوله اربعة اشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالميراث الذي
هو الربع والثمن واختلف في السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه لا سكنى لهن فيما فعلن في انفسهن من
التزين والتعرض للخطاب من معروف مما ليس بمنكر شرعا فان قلت كيف نسخت الاية المتقدمة
المتأخرة قلت قد يكون الاية متقدمة في التلاوة وهي متأخرة في التنزيل كقوله سيقول
السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء وللمطلقات متاع عم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعد ما اوجبها
لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال حقا على المتقين كما قال ثم حقا على المحسنين وعن
سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع الواجب
والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة الم تر تنبيه لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار
الاولين وتعجيب من شانهم ويجوز ان يخاطب به من لم يره ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل
في معنى التعجيب روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم
الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان
طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فاوحى الله اليه ان ناد فيهم ان قوموا
باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل

يوصون

متاعا بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون
الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم

حماداى
بيل

إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝ وَقَاتِلُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ

دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف فيه
دليل على ان الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير الوف
مؤتلفون جمع آلف كقاعد وقعود فان قلت ما معنى قوله فقال لهم الله موتوا قلت
معناه فاماتهم وانما جيء به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيته
وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير اباء ولا توقف كقوله انما امره
اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم
يلزمه هذا ولم ينفع منه مفر فاولى ان يكون في سبيل الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به
ويستبصرون كما بصرا وليل وكما بصركم باقتصاص خبرهم اولذو فضل على الناس حيث احيا اولئك ليعتبروا
فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم البعث والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه
من الحث على القتال في سبيل الله واعلموا ان الله شديد سميع عليم يسمع ما يقوله المتخلفون والتائبون
عليم بما يضمرونه ومن وراء الجزاء اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي طلب به ثوابه والقرض الحسن
اما الجهاد في نفسها واما النفقة في سبيل الله اضعافا كثيرة قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي
كثيرة لا يعلم كنهها الا الله والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم
ليبدلكم الضيقة بالسعة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل
ابعث لنا ملكا انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي الى امره طلبوا من نبيهم
نحو ما كان يفعل رسول الله صلعم من التأمير على البعوث التي كان يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال امره
وروي انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا اميرا عليهم نقاتل قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون
والرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استيناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل
نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا وخبر عسيتم ان لا تقاتلوا
والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان
يقول عسيتم ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون
واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه طابق ظنه في توقعه كقوله هل اتى على الانسان
معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة وما لنا الا نقاتل واي داع لنا الى ترك القتال
واي غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون ما جاور بحر الروم من

وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ
إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ

مصر وفلسطين فاسروا من ابنائهم اولادهم او بعمايه وان يعين الا قليلا منهم قيل كان القليل منهم ثلثمائة وثلثة
عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد طالوت اسم
اعجمي كجالوت وداود وانما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا انه من الطول لما وصف به من البسطة
في الجسم وزيادة ان كان من الطول فعلوت منه اصله طولوت الا ان امتناع صرفه يدفع ان يكون منه الا ان
يقال هو اسم عبراني وافق وزنها كاوفق وزنا حنطة وشالحا رجلا رضيعا بسم الله الرحمن الرحيم فهو
من الطول كما لو كان عربيا وكان احد سببيه العجمة لكونه عبرانيا انى كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم
واستبعاد له فان قلت ما الفرق بين الاولين في ونحن احق ولم يوت قلت الاولى للحال والثانية
لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا وقد انتظمتهما معا في حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق
التملك لوجود من هو احق بالملك وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت
في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من احد السبطين ولا انه كان رجلا سقاء
او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساويها
الا طالوت قال ان الله اصطفاه عليكم يريد ان الله هو الذي اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض
على حكم الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة والظاهر ان المراد
بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وغيرها وقيل قد اوحي
اليه ونبئ وذلك ان الملك لا بد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما
يملأ العين جثمانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب والبسطة السعة والامتداد وروي ان الرجل
القائم كان يمد يده فينال راسه يؤتي ملكه من يشاء اي الملك غير منازع فيه او يؤتيه من يشاء من
يستصلحه للملك والله واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغني بعد الفقر عليم بمن يصطفيه
للملك التابوت صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا ينفرون
والسكينة السكون والطمأنينة وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب
كذنبه وجناحان فتئيق فيزف التابوت نحو العدو وهم يمشون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر
وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية هو رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه
وشيء من التوراة وكان رفعه الله بعد موسى فتداولته بنو اسرائيل وهم ينظرون اليه فكان ذلك آية لاصطفاء
الله طالوت وقيل كان مع موسى وهارون وابناء بني اسرائيل يستفتحون به فلما غيروا بدلوا اسرائيل

مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي
وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ

فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده

الشمشاد

وجاوزه

فليس

غلبهم عليه الكفار فكان في ارض جالوت فلما اراد الله ان يملك طالوت اصابهم بلاء حتى هلكت خمس مدائن فقالوا هذا بسبب التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة اليه طالوت وقيل كان من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين وقرأ ابن وثاب بكسر التاء بالهاء وهي لغة الانصار فان قلت ما وزن التابوت قلت يحتمل ان يكون فعلوتا او فاعولا فلا يكون فاعولا لقلة نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف اليه فهو اذن فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه ظرف يوضع فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته واما من قرأ بالهاء فاعول عند الاخفش جعل هاء بدلا من التاء لقربهما في الهمس وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء التانيث وقرأ ابو السمال سكينة بفتح السين والتشديد وهو غريب وقرب بحمله بالياء فان قلت من آل موسى والهرون قلت الانبياء من بني يعقوب بعد ما ترك ذرية هرون بن عمران هارون بن قاهث بن لاوي بن يعقوب فكانوا اولاد يعقوب آلهما ويجوز ان يراد بما تركه موسى وهارون والاسم المبهم لتفخيم شانهما فصل عن موضع كذا اذا انفصل عنه واصله فصل نفسه ثم كثر حذف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا وبحوز ان يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعنى انه انفصل عن بلده بالجنود روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بنا لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا يتبعني الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه من اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسالوا ان يجري الله لهم نهرا فقال ان الله مبتليكم بنهر باقترحتموه من النهر فمن شرب منه فمن ابتداء شربه من النهر بان كرع فيه فليس متصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاتحاد اخلاطهما وتجاورهما ويجوز ان يراد من جملتي واشياعي ومن لم يطعمه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه قال طرفة وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا الا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم ويقال ما ذقت غماضا ونحوه من الابتلاء ما ابتلي به اهل ايلة من ترك الصيد مع اتيان الحيتان شرعا بل هو اشد منه واصعب وانما عرف ذلك طالوت باخبار من النبي وان كان نبيا كما يعرف عن بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر بالسكون فان قلت من استثنى قوله الا من اغترف قلت من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتاخرة لانها قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكرع والدليل عليه قوله فشربوا منه فكرعوا فيه الا قليلا منهم =

قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ
مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا

وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ
مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ تِلْكَ آيَاتُ
اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا

بالرفع

وقرئ غرفة بالفتح يعني المصدر وبالضم يعني المغروف وقرأ ابي والاعمش الا قليل وهذا من مياههم مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق ٭ لم يدع من المال الا مسحت او مجلف ٭ كانه قال لم يبق من المال الا مسحت او مجلف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثمانية وثلثة عشر رجلا والذين آمنوا يعني القليل قال الذين يظنون يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين اعينهم لقاء الله وايقنوا او الذين تيقنوا انهم يستشهدون عن قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة وقيل الضمير في قالوا لطائفة لنا للكثير الذين انخزلوا والذين ظنوا منهم القليل الذين ثبتوا معه كانهم تفاولوا بذلك والنهر بينهما ليظهر اولئك عذرهم في الانخذال ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين لم يطيقوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش وما لوت جبارا من العمالقة من اولاد عليق بن عاد وكانت بيضته ثلثمائة رطل وثبت اقدامنا وهب لنا ما نثبت به في مواضع الحرب من قوة القلوب والقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب كان يمشي ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فاوحي اليه اشمويل ان داود بن ايشى هو الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلثة احجار دعاه كل واحد منها ان يحمله وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته وروي انه حسده واراد قتله ثم تاب وآتاه الملك في مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة والنبوة وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله الناس وتسليطه بعضهم على بعض لفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض وقيل ولولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين او لولم يدفعهم بنعمة الكفر ونزلت المتحنة فاستوصل اهل الارض تلك آيات الله يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهار بالآيات التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يدي صبي بالحق بالبرهان الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين من حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار تلك الرسل الشاهدة لها وما ذكرت قصصها في التوراة والسير او التي علمها عند رسول الله فضلنا بعضهم على بعض لما اوجب ذلك من تفاضلهم في الجنسات منهم من كلم الله منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير

وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ
مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ

وهو موسى عليه وقرئ كلم الله بالنصب وقرأ اليماني كلم الله من الكلمة ويدل عليه قولهم كلمة الله
يعني بكلماته ورفع بعضهم درجات اي ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل
منهم بدرجات كثيرة والظاهر انه اراد محمدا صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يؤته احد من الآيات المتكاثرة
المؤتية الى الف او اكثر ولو لم يؤت سوى القرآن وحده لكفى به فضلا مبينا على سائر ما اوتي الانبياء من المعجزة
الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات فهذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من
الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول احدكم او من
بعضكم يريد به الذي تعورف واشتهر بنحو من الافعال فيكون الفخم من التصريح به وانوه بطاحه وسيل
الخطيئة عن شعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال
ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم امره ويجوز ان يريد ابراهيم ومحمدا وغيرهما من اولي العزم من الرسل
وعن ابن عباس كتابي المسجل تذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وابراهيم بخلته وموسى
بتكليم الله اياه وعيسى برفعه الى السماء وقلنا رسول الله افضل منهم بعثه الى الناس كافة وغفر له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الانبياء فدخل فقال فيم انتم فذكرناه فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من
يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها فان قلت فلم خص موسى وعيسى من بين الانبياء بالذكر
قلت لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من
الفضل وهو آية من الآيات فلما كان هذان النبيان قد اوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا
دليل بين ان من يزيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذي اوتي منها ما لم يؤت
احد في كثرتها وعظمها كان هو المنوه به باحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين
ولو شاء الله مشيئة الجاء وقسر ما اقتتل الذين من بعد الرسل اختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير
بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن والتزم دين الانبياء ومنهم من كفر واعرض عنه ولو شاء الله ما
اقتتلوا كرره للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد من الخذلان والعصمة انفقوا مما رزقناكم اراد الانفاق
الواجب لاتصال الوعيد به من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه
حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم اخلاؤكم به وان اردتم ان يحط عنكم ملية ذمتكم من الواجب
لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات لان الشفاعة ثم تفيد زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون
اراد والتاركون الزكاة هم الظالمون فقال والكافرون هم الظالمون للتغليظ كما قال في آخر آية الحج ومن

الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض
من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء

تعريضا لمن لم يحج ولانه جعل ترك الزكوة من صفات الكفار في قوله ووبيل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وقرئ
لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع الحق الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء وهو اصطلاح المتكلمين الذي
يصح ان يعلم ويقدر والقيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم والسنة ما يتقدم
النوم من الفتور الذي يسمى النعاس قالت ابن الرقاع العاملي وسنان اقصده النعاس فرنقت
في عينه سنة وليس بنائم او لا يأخذه نعاس ولا نوم وهو تأكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان
يكون قيوما وعن حديث موسى عليه السلام انه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية ايكم ينام ربنا فاوحى
الله اليهم ان يوقظوه ثلاثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوتين فاخذهما والقى الله عليه
النعاس فضرب احديهما على الاخرى فانكسرتا ثم اوحى الله اليه قل لهما ان الله يمسك السموات والارض فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا من ذلك الذي يشفع عنده بيان لملكوته وكبريائه وان احدا لا يتمالك ان يتكلم
يوم القيامة الا اذا اذن له في الكلام لقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان
قبلهم وما يكون بعدهم او ما يشاهدونه في السموات والارض او ما قدموا في الدنيا وما خلفوا عليه من امر الملائكة والانبياء
من علمه من معلوماته الا بما شاء الا بما علم الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفي قوله وسع كرسيه
اربعة اوجه احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض لبسطته وسعته وما هو الا تصوير لعظمته وتخييل
فقط ولا كرسي ثم ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات بيمينه من غير تصوير قبضة وطي ويمين وانما هو تخييل لعظمة شانه وتمثيل حسي الى قوله
وما قدروا الله حق قدره والثاني علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والثالث ملكه
تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي انه خلق كرسيا هو بين يدي العرش دون السموات والارض
وهو الى العرش كاصغر شيء وعن الحسن الكرسي هو العرش ولا يؤوده ولا يثقله ولا يثقل عليه حفظهما حفظ
السموات والارض وهو العلي الشأن العظيم الملك قال الله تعالى قلت كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير
حرف عطف قلت ما منها جملة الا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين
فلو توسط بينهما عاطف لكان كما يقول العرب بين العصا ولحائها فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا
عليه غير شاغل عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شانه والرابعة لمخاطبته باحوال
الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او هو
لجلاله وعظم قدره فان قلت لم فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد من قوله عليه ما قرئت هذه

لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله
فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولي الذين

الآية الزاهرة تحفظها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة او معين لعلة يا علي علمها ولدك
واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها ومن علي رض سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية
الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق
او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر
الصحابة افضل ما في القرآن فقال لهم علي اين انتم عن آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلعم يا علي سيد
البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد
الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية
الكرسي قلت لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته
العظيمة ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكره كان افضل من سائر الاذكار وبهذا يعلم ان اشرف العلوم
واعلاها منزلة عند الله علم اهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة اعدائه فان العلوم تلقاها
مجسمة ولن ترى للئام الناس حسادا لا إكراه في الدين اي لم يجبر الله امر الايمان على الاجبار والقسر
ولكن على التمكين والاختيار ونحو قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افانت
تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي لو شاء لقسرهم على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار قد تبين
الرشد من الغي قد تميز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة فمن يكفر بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان
والاصنام والايمان بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق المحكم المأمون انفصامها انقطاعها
وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم
اعتقاده ويتيقن به وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في اهل الكتاب خاصة لانهم حصنوا انفسهم باداء
الجزية وروي انه كان لرجل نصارى من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله ثم قدما
المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله فقال للانصاري اتدخل
بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما الله ولي الذين آمنوا اي اراد ان يتولى ويلطف بهم حتى يخرجهم
بلطفه وتاييده من الكفر الى الايمان والذين كفروا اي حكموا على الكفر منهم على عكس ذلك اولياؤهم
الطاغوت يخرجونهم من النور في الدين اذ وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من جملتها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين
والذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات التي تظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة الم تر

الم تر الى الذي حاج في ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت
قال انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب

تعجب من محاجة نمرود في الله وكفره به وسوء اثره الكفر والعتو فحاج وكفر بدل ان آتاه الله الملك
متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج لان آتاه الملك على معنى ان آتاه الملك اطغاه واورثه الكبر والعتو
فحاج لذلك او على انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على ان آتاه الله الملك فكان المحاجة
كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل
الاحسان ونحو قولهم وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والثاني حاج وقت ان آتاه الله الملك فان قلت
كيف جاز ان يؤتي الله الملك الكافر قلت فيه قولان آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم
والاتباع وانما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا للعباد واذ قال نصب بحاج او بدل من
ان آتاه اذا جعل بمعنى الوقت انا احيي واميت يريد انا اعفو عن القتل واقتل وكان الاعتراض عنيدا
ولكن ابراهيم صلوات الله عليه لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته
اول شيء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة وقد بهت الذي كفر اي فغلب ابراهيم الكافر
وقرأ ابو حيوة فبهت بوزن قرئ وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر الاصنام وسجن نمرود
ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعونا اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت او كالذي اورايت
مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه لان كليهما كلمة تعجب ويجوز ان يحمل على المعنى دون اللفظ كانه قيل
اراية كالذي حاج ابراهيم او كالذي مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه
مع نمرود في سلك واحد ولكلمة التبعيد التي هي اني يحيي هذه الله بعد موتها وقيل هو عزير او الخضر اراد ان يعاين
احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم وقوله انى يحيي هذه اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة
الاحياء واستعظام لقدرة المحيي والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل هي التي
خرج منها الالوف وهي خاوية على عروشها تقديره فيما بعد يوما او بعض يوم بناء على الظن روي انه
مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غروب الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى
بقية من الشمس فقال او بعض يوم وروي ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا فوجد
التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه لم يتغير والهاء اصلية او هاء سكت واستقاء
من السنة على الوجهين لان لامها هاء او واو وذلك ان السنة تتغير بمرور الزمان وقيل اصله
يتسن من الحماء المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضي البازي ويجوز ان يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه
السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كانه لم يلبث مائة سنة وفي قراءة عبد الله فانظر الى طعامك

وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا
لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي

وهذا شراب لم يتسن وقرأ أبي لم يتسنه بإدغام التاء في السين وانظر إلى حمارك كيف تفرقت عظامه وتخرقت وكان له حمار قد ربطه ويجوز أن يراد وانظر إليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات أن يعيش مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك يريد إحياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل أتى قومه راكبا حماره وقال الناس عزير فكذبوه فقال هاتوا التورية فأخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرأ التورية ظاهرا أحد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع إلى منزله فرأى أولاده شيوخا وهو شاب فإذا حدثهم بحديث قالوا حدث مائة سنة وانظر إلى العظام وهي عظام الحمار أو عظام الموتى الذين تعجب من إحيائهم كيف ننشزها كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها من نشر الله الموتى يعني أنشرهم فنشروا وقرئ بالزاي يعني نحركها ونرفع بعضها إلى بعض للتركيب وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له أن الله على كل شيء قدير قال أعلم أن الله على كل شيء قدير بحذف الأول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما أشكل عليه يعني أمر إحياء الموتى وقرأ ابن عباس رض فلما تبين له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الأمر وقرأ عبد الله قيل اعلم فإن قلت فإن كان الحمار كما ذكرت كيف سوغ أن يكلمه الله قلت كان الكلام بعد البعث ولم يكن إذ ذاك كافرا أراني بصرني فإن قلت كيف قال له أولم تؤمن وقد علم أنه أثبت الناس إيمانا قلت ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وليلي الجواب لما بعد الذي معناه بلى آمنت ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكونا ولطمأنينة بضاعة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين ولأن علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري فأراد بطمأنينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك فإن قلت ثم تعلقت اللام في ليطمئن قلت بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك إرادة طمأنينة القلب فخذ أربعة من الطير قيل طاووسا وديكا وغرابا وحمامة فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها فأملهن واضممهن إليك قال ولكن أطراف الرماح تضربها ... وقال ... وفرع يصير الجيد وحف كأنه ... على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرأ ابن عباس رض فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره إذا جمعه نحو ضره يضره ويضره وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع أيضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا يريد ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي أرضك قيل

كيف يحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فلما تبين له ما أشكل عليه قال أعلم أن الله على كل شيء قدير

الى بعض

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ
حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

كانت أربعة أجبل وعن السدي سبعة ثم ادعهن وقل لهن تعالين بإذن الله يأتينك سعيا لما عاينت من إحياء الميت أو في سعيهن على الأرجلن فإن قلت ما معنى أمره بضمها إلى نفسه بعد أن يأخذها قلت ليتأملها ويعرف شكالها وهيآتها وخلاقها لئلا تلتبس عليه بعد الإحياء ولا يتوهم أنها غير تلك ولذلك قال يأتينك سعيا وروي أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وأن يمسك رؤوسها ثم أمره بأن يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين بإذن الله فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن إلى رؤوسهن كل جثة إلى رأسها وقرئ جزءا بضمتين وجزأ بالتنديد ووجهه أنه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف إجراء للوصل مجرى الوقف مثل الذين ينفقون لا بد من حذف مضاف أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل بإدراج حبة والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا أسند إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض وإلى الماء ومعنى إنباتها سبع سنابل أن تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر فإن قلت كيف صح هذا التمثيل والحال غير موجود قلت بل هو موجود في الذرة والدخن وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الأراضي القوية المخلة فيبلغ جنتها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير فإن قلت هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات خضر قلت هذا لما تحدث عنه قوله ثلاثة قروء ومن وقوع أمثلة الجمع متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن يشاء يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لقلة منفق لتفاوت أحوال المنفقين أو يضاعف سبع المائة ويزيد عليها أضعافها لمن يستوجب ذلك المن أن يعتد على من أحسن إليه بإحسانه ويرى أنه اصطنعه وأوجب عليه حقا له وكانوا يقولون إذا صنعتم صنيعة فانسوها ولا تعظموها ... وإن أعلاه أيدي إلى صنيعة ... وذكر بينها منة لبخيل ... وفي نوابغ الكلم صنوان من يمنح نائله ومن ... ومن يمنع نائله ويضن ... وفيها الطعم المكروه أحلى من المن وهي أمر من الإساء مع المن والأذى أن يتطاول عليه بسبب أن أليه ويعني إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى وأن تركهما خير من نفس الإنفاق كما جعل الاستقامة على الإيمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا فإن قلت أي فرق بين قولهم أجرهم وقوله فلهم أجرهم قلت الموصول لم يضمن هاهنا معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة المعنى أن الفاء فيها دلالة على أن الإنفاق به

مثل نفقتهم كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة

الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

يُنْفِقُ

استحق الاجر وطرحها عاد عن تلك الحالة قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل اذا وجد
منه ما يثقل على المسؤول او نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او وعفو من السائل لانه اذا رده ردا جميلا
عذره خير من صدقة يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتداء النكرة لاختصاصه بالصفة والله غني
لا حاجة اليه منفق يمن ويؤذي حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ في ذم
ما اتبعه كالذي ينفق ماله او لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله رياء الناس
لا يريد بانفاقه رضاء الله ولا ثواب الاخرة فمثله كمثل صفوان مثله وتقدمه التي لا ينتفع بها البتة بصفوان
هو الحجر الملس عليه تراب وقرأ سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه
صلدا اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق لا يقدرون على شيء مما كسبوا
لقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان يكون الكاف في محل النصب على الحال او لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي
ينفق فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق قلت اراد بالذي ينفق الجنس
او الفريق الذي ينفق وان من والذي يتعاقبان فكانه قيل لكن ينفق وتثبيتا من انفسهم وليقوا بذل
المال الذي هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس
اذا ربضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباعه
لشهواتها وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام
وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب
من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن على التفسير الاول للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وجذل
من نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من
انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه وتعضده قراءة مجاهد وتبيينا من انفسهم فان قلت
فما معنى التبعيض قلت معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله ونفسه
معا فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند
الله كمثل بستان جنة وهي البستان بربوة المكان المرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا اصابها
وابل مطر عظيم القطر فاتت اكلها ثمرتها ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل فان لم يصبها وابل
فطل فطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل
والطل

اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير

الكافرين ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت

مثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم

٦٦

أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا
مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ

والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب
بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل جنة وبربوة
بالحركات الثلث واكلها بضمتين الهمزة في ايود للانكار وقرئ له جنات وذرية ضعاف
والاعصار الريح التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي
بها وجه الله فاذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من اعظم
الجنان واحبها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة
وعن عمر رضي الله عنه انه سأل عنها الصحابة فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس
رضي في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين قال قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلا لعمل قال لاي
عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن
الحسن قال هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افتقر ما كان
له حيلة وان احدكم والله افتقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا فان قلت كيف قال
جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت النخيل والاعناب لما كانا
اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت مجتوية على سائر الاشجار
تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له
فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل فان قلت علام عطف قوله واصابه
الكبر قلت الواو للحال لا للعطف ومعناه ان يكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل يقال وددت
ان يكون كذا ووددت لو كان كذا فجعل العطف على المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه
الكبر من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ومما اخرجنا لكم من الحب والثمر والمعادن وغيرها فان قلت
هلا قيل وما اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الارض
قلت معناه ومن طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا
تقصدوا المال الردي منه تنفقون تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال وقرأ عبد الله ولا تأتموا
وقرأ ابن عباس رضي ولا تيمموا بضم التاء ويممه وتيممه وتأممه سواء في معنى قصده ولستم
بآخذيه وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا فيه الا بان تتسامحوا في اخذه وتترخصوا
فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبائع اغمض او لا تستقصر كانك لا تبصر

فاخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد

الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا
والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي

وقال الطرماح لم يفتنا بالوتر قوم ... رجال يرضون بالاغماض وقرأ الزهري تغمضوا
واغمض وغمض بمعنى وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرأ قتادة
تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى الا ان تدخلوا فيه وتجذبوا اليه وقيل الا ان توجدوا مغمضين وعن
الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس رض كانوا يتصدقون
بخشف التمر وشراره فنهوا عنه اي يعدكم في الانفاق الفقر ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا
وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل في الخير والشر قال الله تعالى النار وعدها
الله الذين كفروا ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الامر للمأمور والفاحشة
عند العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة لها وفضلا وان يخلف عليكم افضل
مما انفقتم او وثوابا عليه في الآخرة يؤتي الحكمة يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل
وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهكذا قرأ الاعمش وخيرا كثيرا تنكير تعظيم
كانه قال فقد اوتي اي خير كثير وما يذكر الا اولوا الالباب يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به
الحث على العمل بما تضمنت الآية في معنى الانفاق وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او في سبيل الشيطان
او نذرتم من نذر في طاعة الله او في معصيته فان الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين
ينفقون الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي او لا يفون بالنذور او ينذرون في المعاصي من انصار
ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ما في نعما تكرة غير موصوفة ولا موصوفة ومعنى نعما هي نعم
شيئا ابداؤها وقرئ بكسر النون وفتحها وان تخفوها وتؤتوها الفقراء وتعطوها اياهم فهو خير
الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فان الافضل في الفرائض ان يجاهر
بها وعن ابن عباس رض صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة
علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كانت المجاهرة بالفرائض افضل لينفي التهمة
حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤها افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان
اظهاره افضل ونكفر قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل فهو بعد الفاء او على انه خبر مبتدأ محذوف
اي ونحن نكفر او على انه جملة من فعل وفاعل مستأنفة ومجزوما عطفا على محل الفاء وما بعدها لانه
جواب الشرط وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله او للاخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما
والفعل للصدقات وقرئ الحسن بالياء والنصب باضمار ان ومعناه ان تخفوها يكن خيرا لكم وان

عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير

ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم ٨٧
وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون

وان يكون عنكم ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى
والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء بلطفه
من يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينفع
به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا توذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون وليست نفقتكم الا ابتغاء وجه
الله ولطلب ما عنده فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله وما تنفقوا من خير
يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على احسن الوجوه واجملها
وقيل جاءت اسماء بنت ابي بكر فانها امها تسألها وهي مشركة فابت ان تعطيها فنزلت وعن
سعيد بن جبير كانوا يتقون ان يرضخوا لقرابتهم من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار
في اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وعن بعض العلماء لو
كان شر خلق الله لكان لك ثواب تنفقه واختلف في الواجب فجوز ابو حنيفة رحمه صرف صدقة الفطر الى
اهل الذمة واباه غيره الجار متعلق بمحذوف والمعنى اعجبوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله
في تسع آيات ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي صدقاتكم للفقراء والذين احصروا في سبيل الله هم
الذين احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض للكسب وقيل هم اصحاب الصفة وهم
نحو من اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد
وهي مقدمته يتعلمون القرآن بالليل ويصلون النوافل بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول
الله صلعم فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس رض وقف رسول الله صلعم على اصحاب
الصفة فرآهم فقرهم وجلدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت
الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف مستغنين من اجل
تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال والالحاف الالحاح وهو اللزوم وان
لا يفارق الا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلعم ان الله
يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذيء السائل الملحف ومعناه ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا
وقيل هو نفي للسؤال والالحاف جميعا كقوله على لا حب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به
بالليل والنهار سرا وعلانية يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة
محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت والحال وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رض حين

لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَوا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوا فَمَنْ جَاءَهُ

تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية
وعن ابن عباس رضي نزلت في علي رضي لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم
سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن ابي حنيفة كان اذا مر
بفرس سمين قرأ هذه الاية الربوا كتب بالواو على لغة من يفخم كالكتب الصلوة والزكوة وزيدت الالف
بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان او المصروع
وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على
غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا ايضا من زعمهم
وان الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن ورأيتهم لهم في الجن قصص
واخبار وعجائب ذكر وانكار ذلك عندهم كانكار المشاهدات فان قلت بم يتعلق قوله من المس
قلت بلا يقومون اي لا يقومون من المس ثم الا كما يقوم المصروع وبجواز ان يتعلق بيقوم او كما
يقوم المصروع من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم القيامة متخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون
بها عند اهل الموقف وقيل يخرجون من الاجداث يوفضون الى اكلة الربوا ويسقطون كالمصروعين
لانهم اكلوا الربوا فاربا الله تعالى في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض ذلك العقاب بسبب تعاطيهم
انما البيع مثل الربوا فان قلت هلا قيل انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع فوجبان
يقال انهم شبهوا الربوا بالبيع واستحلوه وكانت شبهتهم انهم قالوا لو اشترى الرجل ثوبا يساوي
الف درهم بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين قلت جيء به على طريق المبالغة وهو انه قد
بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الجراءة شبهوا به البيع وقوله واحل الله
البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على ان القياس يهدم النص لانه جعل الدليل
على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة من ربه وعظ من الله وزجر بالنهي
عن الربوا فانتهى فتبع النهي وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم
وامره الى الله يحكم في شانه يوم القيامة وليس من امره اليكم شيء فلا تطالبوه به ومن عاد الى الربوا مرة
فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا دليل بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير
حقيقي ولانها في معنى الوعظ وقرأ ابي والحسن فمن جاءته بحق الله الربوا يذهب ببركته ويهلك المال الذي
يدخل فيه وعن ابن مسعود رض الربوا وان كثر الى قل ويربي الصدقات ما يتصدق به مال يضاعف عليه

موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا

عليه الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكوة من
مال قط كل فاد اثيم تغليظ في امر الربوا وايذان بانه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين اخذوا ما
شرطوا على الناس من الربوا وتيقنت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوها روي انها نزلت في
ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند الحل بالمال والربوا وقرأ الحسن ما بقي بقلب الياء
الفا على لغة طيء وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم
ما في العربية ما في حكمه جنت ان كنتم مؤمنين ان صح ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان وثباته امتثال
ما امرتم به من ذلك فاذنوا بحرب فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرئ فآذنوا فاعلموا بها غيركم
وهو من الاذن وقرأ الحسن فائتنوا وهو دليل لقراءة العامة فان قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله
قلت كان هذا ابلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروي انها لما نزلت
قالت ثقيف لا يدان لنا بحرب الله ورسوله فان تبتم من الارتباء فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون المديونين
بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها فان قلت هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا
قلت قالوا يكون مالهم فيئا للمسلمين وروي المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان
ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة او ذوا عسار وقرأ عثمان رض ذا عسرة على وان كان
الغريم ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا عسرة منظرة فالحكم او فالامر نظرة وهي الانظار وقرئ فنظرة
بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره او منتظره او صاحب نظرة على طريقة النسب
كقولهم مكان عاشب وبا قل بمعنى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على الامر بمعنى فسامحه بالنظرة
ويا سين بها اليه ميسرة اليه يسارا وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرئ بهما
مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وقوله واقام الصلوة
وان تصدقوا خير لكم ندب الى ان يتصدقوا بديونهم وسامحوا بها على من اعسر من غرمائهم او ببعضها كقوله
واتقوا النار التي اعدت للكافرين وقيل اريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره
الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ان خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعلم به وان علمه كانه لا يعلم وقرئ
تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف التاء ترجعون قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون
بالياء على طريقة الالتفات وقرأ عبد الله تردون وقرأ ابي تصيرون وعن ابن عباس انها
آخر آية نزلت بها جبريل وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله بعدها احدا

يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ
بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ ۚ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ

وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات اذا تداينتم اذا داين بعضكم بعضا
يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك قال رؤبة
داينت اروى والديون تقضى فمطلت بعضا وادت بعضا والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه
فان قلت هلا قيل اذا تداينتم الى اجل مسمى واى حاجة الى ذكر الدين كما قال داينت اروى ولم يقل بدين
قلت ذكر ليرجع الضمير اليه فى قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك
الحسن ولانه ابين لتنوع الدين الى موجل وحال فان قلت ما فايدة قوله مسمى قلت ليعلم ان من
حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والشهر والايام ولو قال الى الحصاد او الدياس او وجوع
الحاج لم يجز لعدم التسمية وانما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق وآمن من النسيان وابعد من الجحود
والامر للندب وعن ابن عباس رضى الله عنه ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وعنه اشهد
ان الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم فى كتابه واتلا فيه اطول آية بالعدل متعلق بكاتب صفة له
اى كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه
ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجئ مكتوبه موثقا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب
وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا ولا يأبى كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب ان يكتب
كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثايق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك اى
ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن النخعى هو فرض كفاية وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بيأب
يكتب وبقوله فليكتب فان قلت اى فرق بين الوجهين قلت ان علقته بيأب يكتب فقد نهى
عن الامتناع من الكتابة المتقيدة ثم قيل له فليكتب يعنى فليكتب له تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وان علقته
بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيدة وليملل الذى عليه الحق
ولا يكن الملى الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على شهادته فى ذمته واقراره به والاملال والاملاء
لغتان قد نطق بهما القرآن هى تملى عليه ولا يبخس منه من الحق شيئا والبخس النقص البخس النقص وقد بخسه
بطرح الهمزة وشيئا بالتشديد سفيها مجنونا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف او ضعيفا صبيا او شيخا مخرفا
او لا يستطيع الاملال هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعى به او خرس فليملل ولية الذى يملى امره من وصى ان
كان سفيها او صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يملى عنه وهو تصديق وقوله ان يملل هو فيه انه غير
مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذى يترجم عنه واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان

فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا
فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۚ وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ

على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن على رضى
لا يجوز شهادة العبد فى شئ وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتى انها جايزة ويجوز عند ابى حنيفة شهادة
الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد
رجل وامرأتان وشهادة النساء مقبولة عند ابى حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون ممن تعرفون
عدالتهم ان تضل احديهما ان لا تهتدى احديهما للشهادة بان تنساها من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه
على انه مفعول له اى ارادة ان تضل فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت
لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر
لتناسبهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عن الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما
الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحايط فادعمه واعددت السلاح ان يجئ عدو فادفعه
وقرئ فتذكر بالتخفيف والتشديد ومعناهما واحد وفتذكر وقرأ حمزة ان تضل احديهما على الشرط
فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ ان تضل احديهما على البناء للمفعول
والتانيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل احديهما الاخرى ذكرا يعنى انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر
اذا ما دعوا ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف
منزلة الكاين وعن قتادة كان الرجل يطوف فى الجواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت
كنى بالسآمة عن الكسل لان الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز ان
يراد من كثرت مداينته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغيرا وكبيرا كتابا فربما مل كثرة الكتب
والضمير فى تكتبوه للدين او الحق صغيرا او كبيرا على اى حال كان الحق من صغر او كبر ويجوز ان يكون الضمير
للكتاب والذ تكتبوه مختصرا او مشبعا ولا تملوا بكتابته الى اجله الى وقته الذى اتفق الغريمان على تسميته
ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه فى معنى المصدر او ذلكم الكتب اقسط اعدل من القسط واقوم للشهادة واعون
على اقامة الشهادة واذنى الا ترتابوا واقرب من انتفاء الريب فان قلت لم بنى افعلا التفضيل
اعنى اقسط واقوم قلت يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكونا من اقسط
من قاسط على طريقة البيت بعنى ذى قسط واقوم من قويم وقرئ ولا يساموا ان يكتبوه بالياء
فيهما فان قلت ما معنى تجارة حاضرة وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى
ادارتها بينهم قلت اريد بالتجارة ما يتجر فيه من الاموال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد

وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا

والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين
وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل هي الناقصة على ان الاسم تجارة حاضرة والخبر
تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كبيت الكتاب ؛ بني اسد هل تعلمون بلاءنا
اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ؛ اي اذا كان اليوم يوما واشهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع
مطلقا ناجزا او كاليا لانه احوط وابعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا
التبايع يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم
يشهد وعن الضحاك هي منسوخة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار يحتمل البناء للفاعل والمفعول والدليل
عليه قراءة عمر رض ولا يضارر بالاظهار والكسر وقرأ ابن عباس رض ولا يضارر بالادغام والفتح والمعنى
نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان او النهي
عن الضرر بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطي الكاتب جعله من الجعل او يحمل الشهيد مؤنة مجيئه
من بلد وقرأ الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا وان تضاروا فانه فسوق بكم وقيل ان
تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه سفر مسافرين وقرأ ابن عباس رض وابي كتابا وقال ابن عباس رض اذا اتيت
ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرأ ابو العالية كتبا وقرأ الحسن كتابا جمع
كاتب فالذي يستوثق به رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها كسقف وسقف وفرهان
لم يشترط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله درعه في غير سفر قلت
ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد امر على
سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد
وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزا الرهن في حال السفر اخذا بظاهر الاية واما القبض فلا بد منه عندهما وعند
مالك يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الدائنين بعض المديونين
لحسن ظنه به وقرأ ابن ابي اسحاق اوتمن او امنه الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء والاستغناء عن
الارتهان من قبله فليؤد الذي اؤتمن امانته جعلت المديون على ان يكون عند ظن الدائن به وامنه منه وايتمانه
له وان يؤدي اليه الحق الذي ايتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمي الدين امانة وهو مضمون لايتمانه عليه بترك الارتهان
منه والتاء ان تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال او ياء فيقول الذي ايتمن او الذي يتمن وعن عاصم انه قرأ
الذي تمن بادغام الياء في التاء قياسا على اتبه في الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة

كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه

٩٠

وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ لِلَّهِ مَا
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ

فهي في حكم الهنة وانه عاص وكذلك رأيته في رؤيا آثم خبر ان وقلبه رفع بآثم على الفاعلية كانه قيل
فانه يأثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتداء وآثم خبره مقدم والجملة خبر ان فان قلت هلا اقتصر على
قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها
ولا يتكلم بها فلما كان اثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا ترى
تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني وسمعته اذني وما عرفه قلبي ولان القلب هو رئيس
الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن
الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكانه فيه وليلا يظن ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان
فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم
من افعال سائر الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان
والكفر ومما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم
الذنوب وعن ابن عباس رض اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور
وكتمان الشهادة وقرئ قلبه كقوله سفه نفسه وقرأ ابن ابي عبلة آثم قلبه او جعله
آثما وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء لمن استوجب المغفرة
بالتوبة فما الظاهر منه او اضمر ويعذب من يشاء من استوجب العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما يخفيه الانسان
الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن
عبد الله بن عمر انه تلاها فقال لئن اخذنا الله بهذه لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فلذلك لما بلغ ابن عباس رض
فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد المسلمون من مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر
ويعذب مجزومين على جواب الشرط ومرفوعين على هو يغفر ويعذب فان قلت كيف يقرأ الجازم من
قلت يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء في اللام اجتنب مخطئ خطأ فاحشا وروي عن ابي عمرو
مخطئ مرتين انه يلحن وينبغي لمن اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات
قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرأ الاعمش
يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم ؛ كقوله يأتنا تلمم بنا في ديارنا ؛ تجد حطبا جزلا ونارا تأججا
ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل
او بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا راسه واعجبت زيدا علمه وهذا البدل واقع في الافعال وقوعه في الاسماء

لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير
آمن الرسول بما انزل اليه من ربه

وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ
وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا

لحاجة التبليغ الى البيان والمؤمنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا الى الرسول والمؤمنين كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز ان يجمع كقوله وكل آتوه داخرين قرأ ابن عباس رض وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب فان قلت كيف يكون الواحد اكثر من الجمع قلت لان اذا اريد به الواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء فاما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع لا تفرق وعن ابي عمرو يفرق بالياء على ان الفعل للكل وقرأ عبد الله لا يفرقون واحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين سمعنا اجبنا غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله بالسكون الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفه الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله يريد الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وقرأ ابن ابي عبلة وسعها بالفتح لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها فان قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه واتيانه بها كانت في تحصيله اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال ولا تؤاخذنا بالنسيان او الخطاء ان فرطنا فان قلت النسيان والخطاء متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما قلت ذكر النسيان والخطاء والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال لا ترى الى قوله وما انسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فيكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان ولانهم كانوا متقين لله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطاء فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كانه قيل ان كان النسيان والخطاء مما يؤاخذ به فانهم سبب مؤاخذة الا الخطاء والنسيان ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه الاصر العبء الذي ياصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة ابي ولا تحمل علينا بالتشديد

اي

وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت

ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين

فان قلت اي فرق بين هذه التشديدة والتي في ولا تحملنا قلت هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عمائد عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله لا تحمل علينا اصرا مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا فمن حق المولى ان ينصر عبيده او فانه ذلك عادتك او فان ذلك من امورنا التي عليك توليها وعن ابن عباس رض ان رسول الله صلعم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه صلعم من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه صلعم اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه صلعم ان الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزتاه عن قيام الليل فان قلت هل يجوز ان يقال قرأت سورة البقرة او قرأت البقرة قلت لا بأس بذلك وقد جاء في حديث النبي صلعم من آخر سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة وعن علي رض خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود رض انه دخل الجنة ثم قال آمنا والذي لا اله غيره رضي الذي انزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة والمجادلة واذا قيل قرأت البقرة لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله واسئل القرية وعن بعضهم انه كره ذلك وقال لعل قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة عن رسول الله صلعم السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف على الف لام وان يبدأ بما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم وانا فتحها لتحريك الهمزة التي بعدها حين استثقلت الكسرة للتخفيف فان قلت كيف جاز القاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا يثبت حركتها كثباتها قلت هذا ليس بدرج لان ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وانما حذفت تخفيفا والقيت حركتها على الساكن قبلها للدلالة عليها ونظير قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال فان قلت هلا دعمت الميم حركة لالتقاء الساكنين قلت لان التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف وذلك قولك هذا ابو هيثم وداود واسحق ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف توجب التحريك لحركت الميم الجائية في الف لام بميم

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحي القيوم

لا ثباتها حركتها

كثباتها

الشطاط الاستقامة تخرج القامة

فيه دلالة استثقلت اصوبها

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ
مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ

لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر فان قلت انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم ارادوا
الوقف وامكنهم النطق بساكنين فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا قلت الدليل على ان
الحركة ليست لملاقاة الساكن انه كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا
بين ساكنين كما قالوا أصيم ومديق فلما حركوا الدال علم ان حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير
لالتقاء الساكنين فان قلت فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر قلت هذه القراءة على توهم التحريك
لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة والتورية والانجيل اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والجلل
ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وقراءة الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو
دليل على العجمة لان افعيل بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب فان قلت لم قيل نزل الكتاب
وانزل التورية والانجيل قلت لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة وقراءة الاعمش
نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب هدى للناس اي لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون
بشرائع من قبلنا فستر على العموم فان قلت ما المراد بالفرقان قلت جنس الكتب السماوية
لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل او الكتب التي ذكرها كانه قال بعد ذكر الكتب الثلثة وانزل ما يفرق
به بين الحق والباطل من كتبه او من هذه الكتب او اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود
زبورا وهو ظاهر او كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس
تعظيما لشانه واظهارا لفضله بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها ذو انتقام له انتقام شديد لا يقدر
على مثله منتقم لا يخفى عليه شيء في العالم وغيرها فعبر عنه بالسماء والارض وهو مطلع على كفر من كفر
وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة وقراءة طاوس تصوركم
اي صوركم لنفسه ولتعبده كقولك كفوك كفوك اثلث مالا اذا جعلته اثلة اي اصلا وتاثلته اذا اثللته
لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا احتجاج على من زعم ان عيسى عليه السلام كان ربا كانه نبه بقوله مصور لي
الرحم على انه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال
والاشتباه متشابهات مشتبهات محتملات هن ام الكتاب اي اصل الكتاب يحمل المتشابهات
عليها وترد اليها ومثال ذلك الآيات الدالة على ان الله لا يأمر بالفحشاء امرنا مترفيها
فان قلت هلا كان القرآن كله محكما قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولته
ماخذ ولاعرضوا عما تحتاجوه فيه الى التعب فيها لتأمل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا
الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به وبالمتشابه من الابتلاء

في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم هو الذي انزل عليك
الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات

عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ان الله

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ
وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا

من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح في استخراج
معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن المعتقد
ان لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف اذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره واهمه طلب ما يوفق
بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه للمحكم ازداد
طمأنينة الى معتقده وقوة في ايمانه الذين في قلوبهم زيغ هم اهل البدع فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون
بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المعنى المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل
الحق ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تأويله وطلب ان
يأولوه التأويل الذي يشتهونه وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم اي لا يهتدي الى تأويله
الحق الذي يجب ان يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا في العلم اي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه
بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدئ والراسخون في العلم يقولون ويفسرون
المتشابه بما استأثر الله بعلمه ومعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والاول هو الوجه
ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين يعني هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به اي بالمتشابه
كل من عند ربنا اي كل واحد منه ومن المحكم من عنده او بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند
الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بالقاء
الذهن وحسن التأمل ويجوز ان يكون يقولون كلاما من الراسخين وقراءة عبد الله ان تأويله الا عند
الله وقراءة ابي ويقول الراسخون لا تزغ قلوبنا لا تبتلنا ببلاء يا تزيغ فيه قلوبنا بعد اذ هديتنا
وارشدتنا لدينك او لا تمنعنا الطافك بعد اذ لطفت بنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة وقرئ
لا يزغ قلوبنا بالياء والتاء ورفع القلوب ربنا جامع الناس ليوم او يجمعهم للحساب يوم او لجزاء يوم
كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقرئ جامع الناس على الاصل ان الله لا يخلف الميعاد معناه ان الالهية
تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يجبن شاملة والميعاد الموعد وقرأ علي رض لن تغني بسكون
الياء وهذا من الحذف فيما استقل الحركة على حروف اللين من في قوله من الله متعلق بقوله ان الظن لا يغني
من الحق شيئا والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله او من طاعة الله شيئا اي بدل رحمته وطاعته وبدل
الحق ومنه لا ينفع ذا الجد منك الجد او لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بذلك اي بدل طاعتك وعبادتك فانما
عندك وفي معناه قوله وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وقرئ وقودا بالضم يعني اهل

الدم الواو

وما يذكر الا اولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك
انت الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا لن تغني عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار

كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ
وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ

وقودها والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله وعن ابن عباس هم قريظة والنضير
الدأب مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شأنه وحاله والكاف
مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم ويجوز ان ينتصب محل
الكاف بلن تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن اولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم
النار تقول اكل لتظلم الناس كدأب ابيك تريد كظلم ابيك ومثل كان يظلمهم وان فلانا لجارف كدأب
ابيه كما حورف ابو كذبوا بآياتنا تفسير لدأبهم مما فعلوا وفعل بهم على انه جواب سؤال مقدر
عن حالهم قل للذين كفروا هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله
يوم بدر قالوا هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى عم وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى
تنظروا الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقيل جمعهم رسول الله بعد وقعة بدر في سوق
بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد
عرفتم اني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة
لئن قاتلنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم على قل لهم قولي لكل سيغلبون فان قلت اي فرق بين القراءتين
من حيث المعنى قلت معنى القراءة بالتاء الامر بان يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر
الى جهنم فهو اخبار بمعنى سيغلبون ويحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ
ومعنى القراءة بالياء الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه كانه قال اذا اليهم هذا القول الذي
هو قولي لكل سيغلبون ويحشرون قد كان لكم آية الخطاب لمشركي مكة قريش في فئتين التقتا يوم بدر
يريونهم مثليهم يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من الفين او مثلي عدد المسلمين ستمائة
وثيفا وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك معجزا لهم من
كما امدهم بالملائكة والدليل عليه قلة نافع ترونهم بالتاء او ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة
او نفسهم او مثلي انفسهم فان قلت هذا مناقض لقوله في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم قلت
قللوا اولا في اعينهم حتى اجترأ عليهم فلما التقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين
مختلفين ونظيره ما يجب الحمل على اختلاف الاحوال فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وقوله وتقوم
انهم مسؤولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى في اعينهم ابلغ في القدرة واظهار الآية وقيل يرى المؤمنون

بآياتنا اي تريده

وبين اهل الشام وقيل كان احدهما في فئة تقاتل في سبيل الله والاخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين

رأي العين

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ

المشركين مثلي المسلمين على ما قدر عليه امرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله فان يكن منكم مائة صابرة
يغلبوا مائتين بعد ما كلفوا ان يقاوم الواحد العشرة في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا
مائتين والذي وصف ضعفهم بالقلة لانه قليل بالاضافة الى عشرة الاضعاف وكان الكافرون
ثلثة امثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه وقرأ ابن مصرف يرونهم على البناء للمفعول والتاء والياء
اي يريهم الله ذلك بقدرته وقد رئي فئة تقاتل واخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب
على الاختصاص او على الحال من الضمير في التقتا رأي العين رؤية ظاهرة مكشوفة لا
لبس فيها محاينة كسائر المعاينات والله يؤيد بنصره كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو زين
للناس المزين الله سبحانه للابتلاء كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم وتدل عليه قراءة مجاهد
زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لانا لا نعلم آدميا ذم لها من خالقها حب الشهوات
جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة مجبولا على الاشتهاء بها والوجه ان يقصد
تخسيسها فيسميها شهوات لان الشهوة مستردلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال
زين للناس حب الشهوات مزجا بالتفسير لتقرر اولا في النفوس ان المزين حبه ما هو الا شهوات لا غير ثم
يفسره بهذه الاجناس فيكون اقوى لتخسيسها واد على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب
ما عند الله والقنطار المال الكثير قيل مائة رطل ذهب وعن سعيد بن جبير مائة الف دينار ولقد جاء
الاسلام يوم جاء ومكة مائة رجل قد قنطروا والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة
وبدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المطهمة او المرعية من السائمة والدابة وسومها
والانعام الازواج الثمانية ذلك المذكور متاع الحيوة الذين اتقوا عند ربهم جنات كلام مستأنف فيه دلالة
على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هذا ذلك على رجل عالم عندي رجل من صفته كيت وكيت ويجوز ان يتعلق
اللام بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جنات
بالجر على البدل من خير والله بصير بالعباد يثيب ويعاقب على الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم
فلذلك اعد لهم الجنات الذين يقولون نصب على المدح او رفع ويجوز الجر صفة للمتقين او للعباد والواو المتوسطة
بين الصفات الدالة على كمالهم في كل واحدة منها وقد مر الكلام في ذلك وخص الاسحار لانهم كانوا يقدمون
قيام الليل فيحسن طلب الحاجة بعده اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون
في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم شبهت دلالة على

بالاسحار

حسن المآب قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا انا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين

شَهِدَ اللّٰهُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلٰهَ إِلَّا

هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّٰهِ الْإِسْلَامُ

وحدانيته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الاخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشواهد في البيان والكشف وكذلك اقرار الملائكة واولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على التسوية فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا فان قلت لما جاز افراده بنصب الحال ذو المعطوفين عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز قلت انما جاز هذا لعدم الالباس كما جاز في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة او على المدح فان قلت اليس من حق المنتصب على المدح ان يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميدا نا معشر الانبياء لا نورث انا بني نهشل لا ندعى لاب قلت قد جاء نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي ما وياويح لي نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي فان قلت هل يجوز ان يكون صفة للنفي كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو قلت لا يبعد فقد رأينا هم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف فان قلت قد جعلت حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا اله الا هو قلت نعم لان الحال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي ان يكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك انا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله شجاعا وهو وجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح فان قلت هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة واولي العلم كما دخلت الوحدانية قلت نعم اذا جعلت حالا من هو او نصبا على المدح منه او صفة للنفي كانه قيل شهد الله والملائكة واولو العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط وقرأ عبد الله القائم بالقسط على انه بدل من هو او خبر مبتدأ محذوف وقرأ ابو حنيفة قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز الحكيم الذي لا يغالبه اله آخر الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في افعاله فان قلت ما المراد باولي العلم الذين عطفهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه بالفتح على ان الدين بالكسر على ان الفعل واقع عليه بمعنى شهد الله على انه او بانه وقوله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الاولى فان قلت ما فائدة هذا التوكيد قلت فائدتها ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد آذن ان الاسلام هو العدل

وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ
وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّٰهِ فَإِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ

والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شيء من الدين وفيه ان من ذهب الى تشبيه او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام وهذا بين جلي كما ترى وقرئ انه مفتوحا على ان الثاني بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع عليه وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا ايضا شاهد على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك وقرأ عبد الله ان لا اله الا هو وقرأ انه ان الدين عند الله بالاسلام وعن مقوية لقراءة من فتح الاول وكسر الثانية وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء لله فان قلت فعلام عطف هذه القراءة والملائكة واولو العلم قلت على الضمير في شهداء وجاز لوقوع الفاصل بينهما فان قلت لم كرر قوله لا اله الا هو قلت ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وانه لا اله الا تلك الذات المتميزة ثم ذكر ثانيا بعد ما قرن بها اثبات الوحدانية اثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين كانه قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل الذين اوتوا الكتاب اهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل من بعد ما جاءهم العلم ان الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق بالنبوة فينا من قريش لانهم ابيون ونحن اهل كتاب وهذا تجويز لله بغيا بينهم اي ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطأون اعقابهم شبهة في الاسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد صلعم حيث آمن به بعض وكذب بعض وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى وقيل هم اليهود واختلافهم ان موسى علم حين احتضر استنسخ التوراة سبعين حبرا من بني اسرائيل وجعلهم امناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله فان حاجوك فان جادلوك في الدين فقل اسلمت وجهي لله اخلصت نفسي وعملي لله وحده لم اجعل فيهما لغيره شركا بان اعبد واعبد آلهة معه يعني ان دين التوحيد وهو الدين القديم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحن قرأ اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة

وجهي لله ومن اتبعن

وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ

بان ما هو عليه ومن معه في اسلمت وحسن للتاصيل ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والامميين والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب واسلمتم يعني انه قد اتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسئلة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا الا سلكته هل فهمته ام انت كل ومنه قوله عز وجل فهل انتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار وتعييد بالمعاندة وقلة الانصاف لان المنصف اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق والمعاند تعب بتجلي الحجة ما يضرب اسلاما بينه وبين الاذعان وكذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلال القريحة وفي فهل انتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى النور وان تولوا لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى قرأ الحسن يقتلون النبيين وقرأ حمزة ويقاتلون الذين يأمرون وقرأ عبد الله وقاتلوا وقرأ ابي يقتلون النبيين والذين يأمرون وهم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء وقتلوا ابناءهم وهم راضون بما فعلوا به وكانوا حول قتل رسول الله والمؤمنين لولا عصمة الله وعن ابي عبيدة بن الجراح رض قلت يا نبي الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة فقال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قتلها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في الدنيا والاخرة لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الاخرة فان قلت لم دخلت الفاء في خبر ان قلت لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم يعني من يكفر فبشرهم وان لا تغيير يعني الابتداء فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت او لعل لامتنع ادخال الفاء لتغيير يعني الابتداء او توا نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن اما للتبعيض واما للبيان او حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من الالواح التورية وهي نصيب عظيم يدعون الى كتاب الله وهو التورية ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدارسهم فدعاهم الى الله فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت قال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال فهلموا الى التورية فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة في كتاب الله القرآن لانهم قد علموا انه كتاب الله ولم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه

فريق منهم وهم معرضون

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي هو آية اختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضي بينهم ان يكون اختلافا واقعا فيما بينهم وبين رسول الله ذلك التولي والاعراض بسبب تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد ايام قلائل كما طمعت اليهود والجنوبية وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم كما غرت اولئك شفاعة رسول الله في كبائرهم فكيف اذا جمعناهم فكيف يصنعون فكيف يكون حالهم وهو استفظام لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون في حال حيلة في دفعه والخلاص منه وان ما جدثوا به انفسهم وسهلوه عليها تقلل باطل وتطمع بما لا يكون وروي ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لا في معنى كل الناس كما تقول ثلثة انفس تريد ثلثة اناسي اللهم في اللهم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتعويض في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وبغير ذلك مالك الملك اي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون تؤتي الملك من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك وتنزع الملك ممن تشاء النصيب الذي اعطيته منه فالملك الاول عام شامل والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل روي ان رسول الله صلعم حين افتتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك روي ان رسول الله صلعم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلعم يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكانها مصباح في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا منزلت فان قلت كيف قال بيدك الخير فذكر الخير دون الشر قلت هذا الكلام انما وقع في الخير الذي يؤتيه المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على

تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ

رغم من اعدائكم ولان كل افعال الله تعالى من نافع وضار صادرة عن الحكمة والمصلحة فهو خير كايات الملك
ونزعه ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار وفي المخالفة بينهما وحال الحي والميت في اخراج احدهما من
الاخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر
ان يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويوتيه العرب ويعزهم
وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فاذا العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان
العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام
كما تكونون يولى عليكم نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التي
يتصادق بها ويتعاشر وقد كثر ذلك في القرآن ومن يتولهم منكم فانه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
لا تجدون قوما يؤمنون بالله الاية والحب في الله والبغض في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان من دون المؤمنين
يعني ان لكم في موالات المؤمنين مندوحة عن موالات الكافرين فلا تتولوهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في
شيء ومن يوالي الكفرة فليس من ولاية الله في شيء صح عليه اسم الولاية يعني منسلخ من ولاية الله رأسا وهذا امر معقول
فان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيتان قال تود عدوي ثم تزعم انني ... صديقك ليس الرأي عندي بعازب
فليس اخي من ودني نائي عينه ... ولكن اخي من ودني وهو في الغائب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا
من جهتهم امرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية قيل التقية تقاة وتقية كقولهم ضرب الامير لضرب رخص لهم
في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء
وانتظار زوال المانع من قهر العصي كقولك عيشي عليه كن وسطا واعش خائفا ويحذركم الله نفسه فلا تتعرضوا
لسخطه بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز ان يضمن تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن وينتصب
تقاة وتقية على المصدر كقوله اتقوا الله حق تقاته ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه من موالاة الكفار او غيرها
فلا يخفى الله يعلمه ولم يخف عليه وهو الذي يعلم ما في السموات وما في الارض لا يخفى عليه شيء قط فلا يخفى عليه
سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لان
نفسه وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا تختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات
كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها ان يحذر وتتقى
فلا يجسر احد على قبيح ولا يقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه لا محالة فلا احق به العقاب ولو علم بعض عبيد
السلطان اذا اراد الاطلاع على احواله فوكل عينه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن

وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ
بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ

بواطن امورها لا يأخذ حذره ويتثبت في امره واتقى كل ما يتوقع فيه الاستلاء به فما بال من علم ان العالم الذات
الذي يعلم السر واخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا بنفسك يوم تجد منصوب
بتود والضمير في بينه للبعيد او يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان بينها وبين
ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا ويجوز ان ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وجدت ويرتفع وما عملت
على الابتداء وتود خبره او والذي عملته من سوء تود لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح ان يكون ما شرطية لارتفاع
تود فان قلت فهل يصح ان يكون شرطية على قراءة عبد الله ودت قلت الكلام في صحته ولكن
الحمل على الابتداء والخبر اوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم واثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز ان
يعطف وما عملت على ما عملت ويكون تود حالا اي يوم تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم
او عمل السوء محضرا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحيفتهم يقرؤونه ويجوز تمنيهم بما عملوا
احضاه الله ونسوه والامد المسافة كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين وكثر قوله ويحذركم الله نفسه
ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه والله رءوف بالعباد يعني ان تحذيره نفسه وتعريفه جلالها من العلم والقدرة
من الرأفة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب
سخطه وعن الحسن من رأفته بهم ان حذرهم نفسه ويجوز ان يريد انه مع كونه محذورا لعباده وقدرته
مرجو لسعة رحمته كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم
اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى ان كنتم
مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من ارادة عبادته يرضى عنكم ويغفر
لكم وعن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن
ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه واذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه
مع ذكرها ويطرب ويتعرى ويصعق فلا تشك في انه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه
وطربه وتعريه وصعقه الا انه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعا دينه
ثم صفق وطرب وتعرى وصعق على تصورها وربما رأيت الجاهل قد ملأه ازدراء ذلك الحب عند صعقته
وخفق العامة حواليه قد ملؤوا ارديتهم بالدموع لما رقتهم من حاله وقرئ تحبون ويحببكم ويحببكم
من حمد يحمد ... قال احب ابا ثروان من حب تمر ... واعلم ان الرفق بالجار ارفق ... ووالله لولا تمرة ما
ولا كاد ادنى من عبيد ومشرق ... فان قلت يحتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا يعني فان تتولوا ويدل

الكافرين

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا

في جملة ما يقول الرسول لهم آل ابراهيم اسمعيل واسحاق واولادهما وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران
بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين الف وثمانماية سنة وذرية بدل
من آل ابراهيم وآل عمران بعضها من بعض يعني ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها منشعب من
بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي
من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان من سليمان بن داود بن
ايشي بن يهوذا ابن يعقوب بن اسحق وقد دخل في آل ابراهيم رسول الله صلعم وقيل بعضها من بعض في الدين
لقوله تع المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفاء او يعلم بان بعضهم من بعض في الدين
او سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها واذ منصوب به وقيل باضمار اذكر وامرأة عمران هي امرأة عمران
بن ماثان ام مريم البتول جدة عيسى عليه وهي حنة بنت فاقوذ وقوله اذ قالت امرأة عمران على ان آل عمران
مما يرجح ان عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى عليه والقول الآخر يرجح ان موسى نقرن بابراهيم كثيرا في الذكر
فان قلت كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول
فما ادريك ان عمران هذا هو ابو مريم البتول دون عمران الذي هو ابو مريم التي هي اخت موسى وهرون قلت
كفى بكفالة زكريا دليلا على انه عمران ابو البتول لان زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد
تزوج زكريا بنت ايشاع اخت مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة روي انها كانت عاقرا لم تلد ليلة ان عجزت
فبينا هي في ظل شجرة نظرت بطائر يطعم فرخا فتحركت نفسها للولد وتمنت فقالت اللهم ان لك علي
نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك
عمران وهي حامل محررا معتقا لخدمة بيت المقدس لا يدان عليه ولا استخدمه ولا اشغله بشيء وكان هذا النوع من
النذر مشروعا عندهم وروي انهم كانوا ينذرون هذا النذر فاذا بلغ الغلام خير بين ان يفعل والا يفعل
وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير الا للغلمان وانما انث على المعنى لان ما في بطنها كان انثى في علم الله او على
تاويل الجملة او النفس او النسمة فان قلت كيف جاز انتصاب انثى حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت
الشاة انثى قلت الاصل وضعته انثى وانما اتيت لتانيث الحال لان الحال هي الحالية في واحد كما
اتيت الاسم في ما كانت امك لتانيث الخبر ونظيره قوله تع فان كانتا اثنتين واما على تاويل الجملة او النسمة فهو ظاهر
كانه قيل اني وضعت الجملة او النسمة انثى فان قلت فلم قالت اني وضعتها انثى وما اردت الى هذا

فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت

وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا
مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ

القول قلت قالت تحسرا على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحسرت لما رأتها انها كانت
ترجوا وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تع والله
اعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهبها منه ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعت
وما علق به من عظائم الامور وان يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت
وفي قراءة ابن عباس رض والله اعلم بما وضعت على خطاب الله لها او انكار لتعليمه قدر هذا الموهوب وما علم
الله من عظم شانه وعلو قدره وقدس وضعت يعني ولعل لله تع سرا وحكمة ولعل هذا الانثى خير من الذكر
تسلية لنفسها فان قلت فما معنى قوله وليس الذكر كالانثى قلت هو بيان لما في قوله والله اعلم بما
وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما
للعهد فان قلت علام عطف قوله وإني سميتها مريم قلت هو عطف على انى وضعتها انثى
وما بينهما جملتان معترضتان كقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم فان قلت فلم ذكرت تسميتها مريم لنفسها قلت
لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لقولها
وان يصدق فيها ظنها الا ترى كيف اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان واغوائه وما يروى من
الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم
وابنها فالله اعلم بصحته فان صح فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها
فانهما كانا معصومين وكذلك كل من في صفتهما كقوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك المخلصين واستهلاله صارخا
من مس تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه ونحوه من التخييل قول
ابن الرومي * لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد * واما حقيقة المس
والنخس كما يتوهم اهل الجفو فكلا ولو سلط ابليس على الناس بنخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا
مما يلونا به من نخسه فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن فيه ووجهان احدهما ان يكون
القبول اسم ما يتقبل به الشيء كالنعوط واللدود لما ينعط به ويلد وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر
في النذر ولم تقبل قبلها الشيء في ذلك او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشاء وتصلح للسدانة
روي ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم
في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم
وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها

منهم

وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا
رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن

اختباء

عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فارتفع
قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها والثاني ان يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى
فتقبلها بذي قبول حسن او بامر ذي قبول حسن ويجوز ان يكون بمعنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجله
بمعنى استعجله وتقصاه بمعنى استقصاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا اخذه باوله وعنفوانه
قال القطامي وخير الامر ما استقبلت منه وليس بان تتبعه اتباعا ومنه المثل خذ الامر
بقوابله اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة
العائدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها وقرئ وكفلها زكريا بوزن علمها وكفلها زكريا بتشديد
الفاء ونصب زكريا والفعل لله تع بمعنى وضمها اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وتؤيدها
قراءة ابي وأكفلها من قوله فقال اكفلنيها وقرئ مجاهد فتقبلها ربها وانبتها وكفلها على لفظ الامر
في الافعال الثلثة ونصب ربها تدعوا لذلك اي فاقبلها يا ربها وربها واجعل زكريا كافلا لها وقيل
بناها زكريا وبنى محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها
وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي انه كان لا يدخل
عليها الا هو وجده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب وجد عندها رزقا كان رزقها ينزل عليها من الجنة
ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء انى لك هذا
من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب مغلقة عليك سبيل الدال
الكيل قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد وعن
النبي صلعم انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة رضي الله عنها رغيفين وبضعة لحم اثرة بها فرجع بها اليها
وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال
لها صلعم انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه الحمد لله الذي جعلك
شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله علي بن ابي طالب والحسن والحسين وجميع اهل بيته عليه حتى
شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها وان الله يرزق من يشاء من جملة كلام مريم عليها
السلام او من كلام رب العزة عز من قائل بغير حساب بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على
بحسب الاستحقاق هنا لكن في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت فقد يستفاد هنا
ومن وجيث الزمان لما رأى حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب في ان يكون له من ايتاع ولد مثل

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ٩٨
فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ

ولد اختها جنة في النجابة والكرامة على الله ومن اجلها وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت اختها كذلك
وقيل لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر ذرية ولدا والذرية تقع على الواحد
والجمع سميع الدعاء مجيبه قرئ فناداه الملائكة وقيل ناداه جبريل وانما قيل الملائكة على قولهم
فلان يركب الخيل ان الله يبشرك بالفتح على بان الله وبالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع من القول وقرئ
يبشرك ويبشرك من بشر وابشر ويبشرك بفتح الياء من بشر ويحيى ان كان اعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه
للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا بكلمة من الله مصدقا
بعيسى مؤمنا به قيل هو اول من آمن به وسمي عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وعن قوله كن من
غير سبب آخر وقيل مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة
لقصيدته والسيد الذي يسود قومه اي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه وفائقا للناس كلهم في انه لم يركب سيئة
قط وبالها من سيادة والحصور الذي لا يقرب النساء حصرا لنفسه اي منعا لها من الشهوات وقيل هو الذي
لا يدخل مع القوم في الميسر قال الاخطل وشارب مربح بالكاس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسآر
فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو آدمي وهو طفل يصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت من
الصالحين نبيا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه في الآخرة لمن
الصالحين انى يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته السن العالية
والمعنى اثر في الكبر واضعفني وكانت له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون كذلك اي يفعل الله ما يشاء
من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد من الشيخ الكاني والعجوز العاقر او كذلك الله مبتدأ وخبر اي على
نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات آية علامة اعرف
بها الحبل ليتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر قال ابن الانباري ان الله قدر على تكليم الناس ثلثة ايام وانما خص تكليم الناس
ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك
كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة فان قلت
لم حبس لسانه عن كلام الناس قلت ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء
حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها الذي طلب الآية من اجله كما انه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له آيتك ان تحبس
لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب واوقعه ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه الا رمزا الا اشارة بيد
او رأس او غيرهما واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الرموز وقرأ يحيى بن وثاب
الا رمزا بفتحتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو جمع

من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال
كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا واذكر ربك
كثيرا وسبح

بالعشي والإبكار وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك
على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ذلك من

ومن الناس دفعة كقوله يتيما تلقني فردين ترجف ❊ روانف أليتيك وتستطارا يعني الأمتار
كما يكلم الناس الأخرس بالإشارة ويكلمهم والعشي من حين تزول الشمس إلى أن تغيب والإبكار من طلوع الفجر
إلى وقت الضحى وقرئ والإكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر وأسحار يقال أتيته بكرة بفتحتين فإن قلت
الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثنى منه قلت لما أدى مؤدى الكلام وفهم فهمهم منه ما يفهم منه
سمي كلاما ويجوز أن يكون استثناء منقطعا يا مريم روي أنهم كلموها شفاها معجزة لزكريا عليها وإرهاصا لنبوة
عيسى عليه السلام اصطفاك أولا حين تقبلك من أمك وربأك واختصك بالكرامة السنية وطهرك مما يستقذر من الأقذار
وما قرفك به اليهود واصطفاك ثانيا على نساء العالمين بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لأحد
من النساء أمرت بالصلوة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلوة وأدكانها ثم قيل لها وأركعي مع
الراكعين يعني وليكن صلوتك مع المصلين أو في الجماعة أو وأنظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عداد
ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل أن يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلاته ولا يركع فأمرت بأن
تركع مع الراكعين ولا تكوني مع من لا يركع ذلك إشارة إلى ما سبق من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى يعني
أن ذلك من الغيوب التي لم تعرفها إلا بالوحي فإن قلت لم نفيت المشاهدة وإثباتها معلوم بغير شبهة
وتدل نفي استماع الأنباء من حفظها وهو موهم قلت كان معلوما عندهم علما يقينا أنه ليس من أهل
السماع والقراءة وكانوا متمكنين من الوحي فلم يبق إلا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة فنفيت على
سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بأنه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب
الطور وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم أقلامهم أن إبراهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر متقرعين وقيل هي
الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبركا بها إذ يختصمون في شأنها تنافسا في التكفل بها
فإن قلت أيهم يكفل ثم يتعلق قلت محذوف دل عليه يلقون أقلامهم كأنه قيل يلقونها ينظرون أيهم
يكفل أو ليعلموا أو يقولون المسيح لقب من الألقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله مشيحا بالعبرانية ومعناه
المبارك كقوله وجعلني مباركا أينما كنت وكذلك عيسى معرب إيشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم في
الماء فإن قلت إذ قالت ثم يتعلق قلت هو بدل من إذ قالت الملائكة ويجوز أن يبدل من إذ يختصمون
على أن الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول أتيته سنة كذا فإن قلت لم قيل عيسى بن مريم والخطاب
لمريم قلت لأن الأبناء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات فألحقت بنسبته إليها أنه يولد من غير أب فلا
ينسب إلى أمه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين فإن قلت لم ذكر ضمير الكلمة قلت
لأن المسمى بها مذكر فإن قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة أشياء الاسم منها عيسى وأما المسيح والابن

إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه

ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب أنى يكون لي ولد ولم ٩٩٠
يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون

فلقب وصفة قلت الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكأنه قيل الذي يعرف به ويتميز من
سواه مجموع هذه الثلاثة وجيها حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين أي يبشرك به موصوفا
بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي
الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه إلى السماء وصحبته للملائكة والمهد ما يهيأ للصبي
من مضجعه سمي بالمصدر وفي المهد في محل النصب على الحال وكهلا عطف عليه بمعنى ويكلم الناس في المهد طفلا وكهلا
وكهلا ومعناه ويكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الأنبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة
التي يستحكم فيها العقل ويستبان فيها الأنبياء ومن بدع التفاسير أن قولها رب نداء لجبريل يعني يا سيدي
ونعلمه عطف على يبشرك أو على وجيها أو على يخلق أو هو كلام مبتدأ وقرأ عاصم ونافع ويعلمه بالياء
فإن قلت علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله أني قد جئتكم ولما بين يدي بأني أصله بأني
قلت هو من المضايق وفيه وجهان أحدهما أن يضمر له وأرسلت على إرادة القول تقديره ويعلمه الكتاب
والحكمة ويقول أرسلت رسولا بأني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي والثاني أن الرسول والمصدق فيهما يجيء النطق
فكأنه قيل وناطقا بأني قد جئتكم وناطقا بأني أصدق ما بين يدي وقرأ اليزيدي ورسولا عطفا على كلمة
أني قد جئتكم أصله أرسلت بأني قد جئتكم فحذف الجار وانتصب الفعل وأني أخلق نصب بدل من أني جئتكم
أو جر بدل من آية أو رفع على هي أني أخلق لكم وقرئ إني بالكسر على الاستئناف أو أقدر لكم شيئا مثل صورة
الطير فأنفخ فيه الضمير للكاف أو في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا فيصير طيرا كسائر الطيور حيا
طيارا وقرأ عبد الله فأنفخها قال كالهبرقي تنحي ينفخ الفحما وقيل لم يخلق غير الخفاش لأنه
الذي ولد أعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الأمة أكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي رحمه
صاحب التفسير وروي أنه ربما اجتمع عليه خمسون ألفا من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى عليه السلام
وما كانت معجزة إلا بالدعاء وحده ولكن بإذن الله دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية وروي أنه أحيا سام بن
نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فأرنا آية فقال يا فلان أكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وقرئ تدخرون
بالذال والتخفيف ولأحل رد على قوله بآية من ربكم أني جئتكم بآية من ربكم ولأجل لكم ويجوز أن يكون مصدقا مردودا
عليه أيضا أي جئتكم بآية وجئتكم مصدقا وما حرم الله عليهم في شريعة موسى الشحوم والثروب ولحوم الإبل
والشحم وكل ذي ظفر فأحل لهم عيسى بعض ذلك قيل أحل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا
في أحلال لهم السبت وقرئ حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي من التوراة والله عز وجل
أو موسى صلوات الله عليه لأن ذكر التوراة دل عليه ولأنه كان معلوما عندهم وقرئ حرم بوزن كرم وجئتكم بآية من

ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق
لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله
وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي

فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللّٰهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَلَمَّا أَحَسَّ
عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللّٰهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللّٰهِ آمَنَّا بِاللّٰهِ

ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي قوله ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه
وقرئ بالفتح على البدل من آية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض فان قلت كيف جعل هذا القول آية من
ربه قلت لان الله تعالى جعله علامة يعرف بها ان رسول الله ايد الرسل حيث هداه للنظر في ادلة العقل والهند
ويجوز ان يكون تكرير القول جئتكم بآية من ربكم اي جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والابراء
والاحياء والانباء بالمغيبات وبغير من ولادة بغير اب ومن كلامي في المهد ومن شاء بعد ذلك وقال
عبد الله وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات واطيعوني فيما ادعوكم اليه ثم ابتدأ فقال ان
الله ربي وربكم وبعني من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله لايلاف قريش فليعبدوا ويجوز ان يكون المعنى
وجئتكم بآية على ان الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض فلما احس فلما علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك
بالحواس وليا الله من صلة انصاري مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم ينصرونني كما
ينصرني او يتعلق بمحذوف حالا من الياء اي من انصاري ذاهبا الى الله ملتجئا اليه نحن انصار الله او انصار دينه
ورسله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن ونظافتهن قال
فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا يبكينا الا الكلاب النوابح وفي وزنه الحواري وهو الكثير الحيلة وانما طلبوا
شهادته باسلامهم تأكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيمة لقومهم وعليهم مع الشاهدين مع الانبياء الذين
يشهدون لامهم او مع الذين يشهدون بالوحدانية وقيل مع امة محمد لانهم شهداء على الناس ومكروا الواو للكفار
بني اسرائيل الذين احس منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله ان رفع عيسى الى السماء
والقى شبهه على من اراد اغتياله حتى قتل والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على العقاب
من حيث لا يشعر المعاقب اذ قال الله طرف لخير الماكرين او لمكر الله اني متوفيك اي متوفي اجلك ومعناه اني عاصمك
من ان يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم ورافعك الي الى سمائي
ومقربك من ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض
من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته وقيل ممتثلك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن وقيل
متوفي نفسك بالنوم من قوله والتي لم تمت في منامها ورافعك وانت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في
السماء آمن مقربك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوك
هم المسلمون لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كفروا وكذبوا عليه من اليهود
والنصارى فاحكم بينكم تفسير للحكم قوله فاعذبهم فتوفيهم اجورهم وقرئ فيوفيهم بالياء ذلك اشارة الى ما سبق
من نبأ عيسى عليه وغيره وهو مبتدأ نتلوه خبره ومن الآيات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون

عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ وَأَمَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ
ذٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللّٰهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ

ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز ان ينتصب نتلوه بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم القرآن
وصف بصفة من هو من شيمته او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ان مثل عيسى عند الله ان شأن عيسى وحاله الغريبة
كشأن آدم وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة لحاله شبه عيسى بآدم اي خلق آدم من تراب ولم يكن ثم اب
ولا ام فكذلك حال عيسى فان قلت كيف شبه به وقد وجد هو بغير اب ووجد آدم بغير اب وام قلت
هو مشبه في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان الحالة مشاركة في بعض
الاوصاف ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة ومما في ذلك نظيران ولادة الوجود من غير اب
وام اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة
شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم كم تعبدون عيسى قالوا
ربنا لا اب له قال فآدم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لانه طبخ واحر
نفسه واحيا حزقيل ثمانية آلاف انسان فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحر
ثم قام سالما خلقه من تراب قدره جسدا من طين ثم قال له كن اي انشأه بشرا خلقا آخر فيكون حكاية حال ماضية
الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق كقول اهل خيبر محمد والخميس ونهيه عن الامتراء وجعل رسول الله صلى
عن ان يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة وان يكون لطفا لغيره فمن حاجك من النصارى
فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم تعالوا هلموا والمراد الحث بالرأي
والعزم كما تقول تعال نكلم في هذه المسئلة ندع ابناءنا وابناءكم اي يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءه وانفسه
الى المباهلة ثم نبتهل ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة
وبهله الله لعنه وابعده من رحمته من توكل ابهله من اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها واصل الابتهال هذا
ثم يستعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروي انه لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع
وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى
ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت
صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى
بلادكم فاتوا رسول الله وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها
وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو شاء الله ان
يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة فقالوا يا ابا
القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا فقال فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فَإِنْ تَوَلَّوْا
فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ

ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا قال فإني أناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ألا تغزونا
ولا تخيفنا ولا ترد نا عن ديننا على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة ألف في صفر والف في رجب وثلاثين
درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك قال والذي نفسي بيده إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا
لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس
الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرحل من
شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
أهل البيت **فإن قلت** ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك أمر يختص
به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الأبناء والنساء **قلت** ذلك الذي في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه
حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه وعلى ثقته
بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك الاستيصال إن تمت المباهلة وخص الأبناء والنساء
لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وجاذب دونهم حتى يقتل ومن كانوا يعدون
مع أنفسهم الطعائن في الحروب لتقدمهم من الهرب ويسمون النساء عنها بأدواجهم جناة الحقائق وقدمهم في الذكر
على الأنفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس مفدون بها وفيه
دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه لم ير
أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك إن هذا الذي قص عليك من نبأ عيسى لهو القصص الحق قرئ
بتحريك الهاء على الأصل وبالسكون لأن اللام تنزل منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد وهو ما فصل به
بين اسم إن وخبرها وإما مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر إن **فإن قلت** لم جاز دخول اللام على
الفصل **قلت** إذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أجوز لأنه أقرب إلى المبتدأ منه وأصلها
أن تدخل على المبتدأ ومن في قوله وما من إله إلا الله بمنزلة البناء على الفتح في لا إله إلا الله في إفادة معنى الاستغراق
والمراد الرد على النصارى في تثليثهم فإن الله عليم بالمفسدين وعيدهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا
فوق العذاب بما كانوا يفسدون يا أهل الكتاب قيل هم أهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة
سواء بيننا وبينكم مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتوراة والإنجيل وتفسير الكلمة قوله أن
نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله يعني تعالوا إليها حتى لا نقول عزير ابن
الله ولا المسيح ابن الله لأن كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع أحبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل
من غير رجوع إلى ما شرع الله كقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا

لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله

فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت
التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به

إلا ليعبدوا إلها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذونه
بقولهم قال نعم وعن الفضيل لو أني أطعت مخلوقا في معصية الخالق أو أصلحت لغير القبلة وقرئ كلمة
بسكون اللام وقرأ الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت استواء فإن تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بأنا
مسلمون أي لزمتكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا وتشهدوا بأنا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال
أو صراع أو نحوهما اعترف بأني أنا الغالب وسلم لي الغلبة ويجوز أن يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا أيها
واعترفوا بأنكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم
كان منهم وتجادلوا رسول الله والمؤمنين فيه فقيل لهم إن اليهودية إنما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد
نزول الإنجيل وبين إبراهيم وموسى ألف سنة وبينه وبين عيسى ألفان فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث
إلا بعده بأزمنة متطاولة أفلا تعقلون حتى تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها أنتم هؤلاء ها للتنبيه وأنتم
مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستأنفة مبينة للجملة الأولى يعني أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى وبيان
حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والإنجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم
ولا ذكر له في كتابيكم من دين إبراهيم وعن الأخفش ها وأنتم هؤلاء أنتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى
الاستفهام التعجب من حماقتهم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته والله يعلم علما حاججتم فيه وأنتم
جاهلون به ثم أعلمهم بأنه بريء من دينهم وما كان الأحنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن منكم أو أراد
بالمشركين اليهود والنصارى لإشراكهم بعزير والمسيح إن أولى الناس بإبراهيم إن اختصهم به واقربهم منه
من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا والذين آمنوا من أمته وقرئ
وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه واتبعوا هذا النبي وبالجر عطفا على إبراهيم ودت طائفة هم
اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا إلى اليهودية وما يضلون إلا أنفسهم وما يعود وبال الإضلال إلا عليهم لأن
العذاب يضاعف لهم بضلالهم وإضلالهم وما يقدرون على إضلال المسلمين وإنما يضلون أمثالهم من أشياعهم يا أيها
الذين آمنوا بالتوراة والإنجيل وكذبهم بها أنهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله وغيرها وشهادتهم اعترافهم
بأنها آيات الله أو تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وأنتم تشهدون نصه في الكتابين أو تكفرون بآيات الله
جميعا وأنتم تعلمون أنها حق وقرئ تلبسون بالتشديد وقرأ يحيى بن وثاب تلبسون بفتح الباء
أو تكتمون الحق مع الباطل كقوله كالابس ثوبي زور وقوله إذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا وجه النهار أوله قال
من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار والمعنى أظهروا الإيمان بما أنزل على المحمدين في أول النهار وأكفروا
به في آخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون ما بعدوا وهم أهل كتاب وعلم الأولين قد تبين لهم فيرجعون عن دينكم

فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله

وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ
أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

وقيل تواطأ اثنا عشر من احبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار من غير
اعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت
وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينهم وقيل هذا في شان القبلة لما صرفت الى
الكعبة قال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها في اول النهار ثم
اكفروا به في آخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون ولا تؤمنوا متعلق بقوله
ان يؤتى احد وما بينهما اعتراض اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون
غيرهم اراد وا اسروا تصديقكم بان المسلمين ليلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام او
يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع يعني ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان
المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة فان قلت فما معنى الاعتراض قلت
معناه ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم
وحيلكم ورياؤكم تصديقكم من المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء يريد الهداية
والتوفيق او يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار
الا لمن تبع دينكم الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم
كان اغيظ لهم وقوله ان يؤتى معناه لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لشيء آخر يعني ان ما بكم من
الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم والدليل عليه
قراءة ابن كثير ان يؤتى احد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ يعني الا ان يؤتى احد فان قلت
فما معنى قوله او يحاجوكم على هذا قلت معناه دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل به من
عندكم به من محاجتهم لكم عند ربكم ويجوز ان يكون هدى الله بدلا من الهدى والى يؤتى احد خبرا ان على معنى
قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم فيفحموا بالحجة ويدحضوا
حجتكم وقرئ ان يؤتى احد على ان النافية وهو متصل بكلام اهل الكتاب اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثل ما اوتيتم فلا يحاجونكم ويجوز ان ينتصب
ان يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كانه قيل قل ان الهدى هدى الله فلا تنكروا ان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم لان قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكار لان يؤتى احد مثل ما اوتوا عن ابن عباس رضي الله عنه ان تأمنه
بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا اوقية ذهبا فاداه اليه ومن ان تأمنه بدينار فيخاص
بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة

يختص برحمته
يقتطار يؤده اليك
من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن اهل الكتاب
من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك

إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى
اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ

عليهم والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم إلا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق
قائما على رأسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقرئ يؤده بكسر
الهاء والوصل وبكسرها بغير وصل وبسكونها وقرأ يحيى بن وثاب يتمنه بكسر التاء ودمت بكسر الدال من دام
يدام ذلك اشارة الى ترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده او ترك اداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الاميين
سبيل او لا يتطرق علينا عتاب وذم في شان الاميين يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس
اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة
وقيل بايع اليهود رجلا من قريش فلما اسلموا تقاضوه فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم
وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية
الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس رضي الله عنه انه سأله رجل فقال انا
نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ما ذا قال نقول ليس علينا في ذلك بأس
قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم يحل اكل اموالهم الا بطيبة
انفسهم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون على اثبات لما انفوه
من السبيل عليهم في الاميين او بلى عليهم سبيل فيهم وقوله من اوفى بعهده جملة مستأنفة مقررة للجملة التي
سدت مسد خبرها والضمير في بعهده راجع الى من اوفى على الكل من اوفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة
والغدر فان الله يحبه فان قلت فهذا عام يخيل انه لو اوفى اهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة
لكسبوا محبة الله قلت اجل انهم اذا وفوا بالعهود وفوا بكل شيء بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم
في كتابهم من الايمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لآمنوا به لان الكذب على الله وتحريفه
كله ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اي اتقاه من الكفر واعمال السوء فان قلت فاين الضمير الراجع من الجزاء
الى من قلت عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في عبد الله بن سلام وتحريفه
الراهب ونظرائهما من علماء اهل الكتاب يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهد عليه من الايمان بالرسول المصدق
لما معهم وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا من المال والرئاسة
والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التورية
وبدلوا صفة رسول الله واخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب الاشرف في سنة
اصابتهم ممطرة فقال لهم هل تعلمون ان هذا رجل رسول الله قالوا نعم قال فما قدمت ان اميركم واكسوكم فجزتكم
الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفته غير صفته ثم رجعوا اليه

على ان لا يضيع من بعهده
وما وجب
ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله

وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ
أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ

وقالوا غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا فخرج وما رهم وعن الاشعث بن قيس نزلت في كانت
بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلعم فقال شاهداك او يمينه فقلت إذا يحلف ولا يبالي
فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت في رجل اقام
سلعة في السوق فحلف لقد اعطي بها ما لم يعطه والوجه ان نزولها في اهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوي رجوع
الضمير في بعهد الى الله ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي
اعتداده به واحسانه اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم فان قلت اي فرق بين استحقاق فيمن يجوز عليه
النظر وفيمن لا يجوز عليه قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان التفت
اليه ولعان نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز
عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا تماما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر لتعريضهم كعب بن الاشرف ومالك
بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف
وقراء اهل المدينة يلوون بالتشديد كقوله لووا رؤوسهم وعن مجاهد وابن كثير يلوون ووجهه انهما قلبا
الواو المضمومة همزة ثم خففا بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها فان قلت اللام بم جر
الضمير في لتحسبوه قلت الى ما دل عليه يلوون السنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون
السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ لتحسبوه بالياء يعني يفعلون ذلك ليحسبه
المسلمون من الكتاب ويقولون هو من عند الله تأكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل
بالكذب وكذا قوله وما هو من عند الله انهم ليعترضون ولا يؤدون وانما يصرحون بانه في التوراة هكذا وقد انزل الله على
موسى عليه كذلك لفرط جرأتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة وعن ابن عباس رضي هم اليهود
الذين قدموا على كعب الاشرف غيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله ثم اخذت قريظة مكانه
فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى عليه وقيل ان رافع القرظي
والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان
نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك
كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق
لاهله والحكم والحكمة وهي السنة ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة
الالف والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن مجاهد الحنفية
انه حين مات رسول الله ابن عباس اليوم مات ربانيو هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل

عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب

وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ
بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ

علماء مطيعين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم العامل المعلم بما كنتم بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين
للعلم اوجب ان يكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على
خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة
حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقرئ تعلمون من التعليم وتعلمون من التعلم تدرسون
تقرؤون وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون على ان ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم وانزل
ونزل وتدرسون من التدرس ويجوز ان يكون معناه ويعني تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس
كقوله لتقرأه على الناس فيكون معنا مما يعني تدرسون من التدريس وفيه ان من علم ودرس العلم ولم يعمل
به فليس من الله في شيء وان النسب بينه وبين ربه منقطع حيث لم يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته
قرئ ولا يأمركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان احدهما ان تجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله
ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يأمر الناس
بان يكونوا عبادا له ويأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ولا
يستخف بي والثاني ان تجعل لا مزيدة والمعنى ان رسول الله صلعم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود
والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا ايتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر
الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام اظهر وينصر بقراءة
عبد الله ولن يأمركم والضمير في لا يأمركم وايامركم للبشر وقيل لله والهمزة في ايأمركم للانكار بعد
اذ انتم مسلمون دليل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه ان يسجدوا له ميثاق النبيين فيه
غير وجه احدها ان يكون على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني ان يضيف الميثاق الى النبيين اضافة
الى الموثق اليه الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كانه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء
على انفسهم والثالث ان يراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع ان يراد اهل الكتاب
وان يرد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون وتدل
عليه قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب واللام في لما آتيتكم لام التوطئة
لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما تحتمل ان تكون المتضمنة لمعنى الشرط
ولتؤمنن سادا مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرئ
لما آتيتكم وقرئ لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة وما حكم
في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل

ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين

والنبي ما كان لبشر

لا زائدة

ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين

جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه والضمائر كلها لمعنى من

فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ
مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ

لما آتيتكم الحكمة وان الرسول الذي آمركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز ان يكون ما موصولا
فان قلت كيف يجوز ذلك والعطف على آتيناكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز ان يدخل تحت حكم الصلة لانه
لا تقول الذي جاءكم رسول مصدق لما معكم قلت بلى لان ما معكم في معنى ما آتيتكم فكانه قيل آتيتكم
وجاءكم رسول مصدق له وقرأ سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة
ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الايمان به ونصرته وقيل اصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلث ميمات
وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بادغامها في الميم فحذفوا احداها فصارت لما ومعناه لمن اجل ما آتيتكم لتؤمنن
به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى اصرخي بعذي وقرئ أصرخي بالضم وبتي اصر الاسر مما يوصر
او يشد ويعقد ومنه الاصار الذي يعقد به ويجوز ان يكون المضموم لغة في اصر كحبل وحبر وان يكون
جمع اصار فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا على ذلكم من اقراركم وتشاهدكم من الشاهدين
وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للانبياء
فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد فاولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفار دخلت همزة الانكار على
الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت همزة الانكار بينهما
ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره اتولوا فغير دين الله يبغون وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على
فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعمول بالباطل وروي ان اهل الكتاب
اختصموا الى رسول الله صلعم فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم عليه وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى
به فقال صلعم كلا الفريقين بريء من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت
وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة ابي عمرو والباغين هم المتولون والراجعون جميع
الناس وقرئ بالياء مجاورا بالتاء معاطفا بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه وكرها بالسيف او
بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما
رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين امر رسول الله
صلعم بان يخبر عن نفسه وعن معه بالايمان فلذلك وحد الضمير في قل وجمع في آمنا ويجوز ان يوسط بان
يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه فان قلت لم عدي انزل في هذه الآية بحرف
الاستعلاء وفيما تقدم بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي
الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالآخر ومن قال انما قيل علينا لقوله قل وانما قيل وما انزل
بين الرسول والمؤمنين فقد تعسف الا ترى الى قوله بما انزل اليك وانزلنا اليك الكتاب وليس قوله آمنوا بالذي

علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون

لان الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء وبالمؤمنين على وجه الانتهاء

وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ
كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ

انزل على الذين آمنوا ونحن له مسلمون موحدون مخلصون انفسنا لله لا نجعل له شريكا في عبادتها ثم قال ومن
يبتغ غير الاسلام يعني التوحيد واسلام الوجه لله دينا فلن يقبل منه من الخاسرين من الذين وقعوا
في الخسران مطلقا من غير تقييد للتنبيه على ان من يبتغ غير الاسلام بالمرصاد كيف يهدي الله قوما
كيف يلطف بهم وينتهي من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم بانهم كفروا بعد
ايمانهم وبعد ما شهدوا بان الرسول حق وبعد ما جاءهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي يثبت
مثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلعم بعد ان كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة
ايمانهم من البينات وقيل نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن
ابيرق ووحوح بن الاسلت والحارث بن سويد بن الصامت فان قلت علام عطف قوله وشهدوا
قلت فيه وجهان ان يعطف على ما بلغ ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان آمنوا كقوله فاصدق
واكن وقول الشاعر ليبغ مصلين عشيرة ولانا عب ويجوز ان يكون الواو للحال باضمار قد يعني كفروا وقد
شهدوا ان الرسول حق والله لا يهدي لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم ان اللطف لا ينفعهم
الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد واصلحوا ما افسدوا وودخلوا في الصلاح قيل
نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته وارسل الى قومه ان سألوا هل لي من توبة فارسل اليه
اخوه الجلاس بالآية فاقبل الى المدينة فتاب رسول الله صلعم توبته ثم ازداد وا كفرا هم اليهود كفروا بعيسى عليه السلام
والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقرآن او كفروا برسول الله بعد ما كانوا
به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم
ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين وصدهم عن الايمان به وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا
ولحقوا بمكة وازدادوا كفرا ان قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وان رجعنا الى المدينة نافقنا
باظهار التوبة فان قلت قد علم ان المرتد كيف ما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى
لن تقبل توبتهم قلت جعلت علامة عن الموت على الكفر لان الذي لا يقبل توبته من الكفار هو
الذي يموت على الكفر كانه قيل ان اليهود او المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا ما يموتون على الكفر داخلون في
جملة ما يقبل توبتهم فان قلت فلم قيل في احدى الآيتين لن تقبل بغير فاء وفي الاخرى فلن تقبل
قلت قد اوذن بالفاء ان الكلام بني على الشرط والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت
على الكفر وبترك الفاء ان الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما تقول الذي جاءني له درهم
ثم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم فان قلت فحين كان معنى لن تقبل توبتهم

شاهد ليبغ مصلين عشيرة ولانا عب الا بين غرابها

جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وهم ان الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ
وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللّٰهَ بِهِ عَلِيمٌ

على الكفر

يحث الموت على الكفر ولا جعل الموت سببا لعذابهم وازدياد همم الكفر بما فيه ذلك من قساوة
القلوب وركوب الزين وجعل الموت على الكفر قلت لأنكم من مبتدأ مزيدا للكفر
يوجب الإسلام ولا يموت على الكفر فإن قلت فما فائدة هذه الكناية أعني أن يكون على الكفر
لامتناع قبول التوبة قلت الفائدة فيها جليلة وهي التخليط في شأن أولئك الفريق من الكفار
وإبداؤها لهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي أغلظ الأحوال وأشدها ألا ترى أن الموت
على الكفر إنما يخاف من أجل اليأس من الرحمة ذهبا نصب على التمييز وقرأ الأعمش ذهب
بالرفع ردا على مثل ما يقال عندي عشرون نفسا رجال فإن قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به
قلت هو كلام محول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض
ذهبا وبجوازه ولو افتدى بمثله كقوله ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه والمثل
يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه وأبو يوسف وأبو حنيفة
تريد مثله ولا هيثم الليلة وقضية ولا أبا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل أبي حسن كما أنه يزاد
في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد أنت وذلك أن المثلين يسد أحدهما مسد الآخر فكأنا في حكم شيء واحد
وإن يزاد فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا قد تصدق به ولو افتدى به أيضا لن يقبل منه
وقرئ فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض على البناء للفاعل وهو الله عز وعلا ونصب ملء
وملء الأرض بتخفيف الهمزة بين لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون لن تبلغوا حقيقة البر ولن
تكونوا أبرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي
تحبونها وتؤثرونها كقوله أنفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله يفعلون إذا أحبوا شيئا
جعلوه لله وروي أن أبا طلحة قال يا رسول الله إن أحب أموالي إلي بيرحاء
فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال رسول الله صلعم بخ بخ ذاك مال رابح أو مال رابح وإني أرى
أن تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة أفعل يا رسول الله فقسمها في أقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس
له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل رسول الله صلعم أسامة بن زيد فكأن زيدا وجد في نفسه وقال
إنما أردت أن أتصدق به فقال رسول الله صلعم إن الله قد قبلها منك وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى
الأشعري أن يبتاع له جارية من سبي جلولاء فتم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت أعجبته فقال الله
يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فأعتقها وتزوجها وروي أن ابن عمر ضحى بشاة
فجاء بها فقال مهزولة فقال خشيت أن أذبحها فذكرت يوم حاجتكم إليه فقال أنت

للطي

كان

عليهم

أمامه

كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ
تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَمَنِ افْتَرَى عَلَى

أن يوم حاجتي إليه يوم أوضع في جفرتي وقرأ عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على أن
من في مما تحبون للتبعيض ونحوه أخذت من المال ومن في من شيء لتبيين ما تنفقوا أو من أي شيء كان
طيب تحبونه أو خبيث تكرهونه فإن الله عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه كل الطعام كل المطعومات
أو كل أنواع الطعام والحل مصدر يقال حل الشيء حلا كقولك ذلك المدابة ذلا وعن الرجل عزا وفي حديث
عائشة رضي الله عنها كنت أطيب لحله وحرمه ولذلك استوى به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل
لهم والذي حرم إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام على نفسه لحوم الإبل وألبانها وقيل العروق كان به عرق
النسا فنذر إن شفي أن يحرم على نفسه أحب الطعام إليه وكان ذلك أحب إليه وقيل أشارت عليه الأطباء
باجتنابه ففعل وذلك بإذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى أن الطعام كله لم يزل حلالا لبني إسرائيل من
قبل إنزال التوراة وتحريم ما حرم عليهم منها ظلم وبغي لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي
حرموه هو إسرائيل على نفسه فتبعوه في تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب حيث أرادوا براءة ساحتهم مما
نعي عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم إلى قوله عذابا أليما وفي قوله وعلى الذين
هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وخصوا
ما غلظهم واشتدوا منه وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا
بأول من حرمت عليه وما هو إلا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى إبراهيم ومن بعده من بني إسرائيل وهلم
جرا إلى أن انتهى التحريم إلينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي
والظلم والصد عن سبيل الله وأكل الربا وأخذ أموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما
ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم من نوع الطيبات عقوبة لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها أمر بإلزامهم بكتابهم
وتبكيتهم بما هو ناطق به من أن تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما
يدعون فروى أنهم لم يجسروا على إخراج التوراة وخافوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق
النبي صلعم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه فمن افترى على الله الكذب بزعمه أن ذلك كان محرما على بني إسرائيل
قبل إنزال التوراة من بعد ما ألزمهم من الحجة القاطعة فأولئك هم الظالمون المكابرون الذين سيصفونه من أنفسهم
ولا يلتفتون إلى البينات قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون ثبت أن
الله صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وهي ملة الإسلام التي عليها محمد ومن آمن
معه حتى تخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم إلى تحريف كتاب الله لتسوية
أغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي أحلها الله لإبراهيم ولمن تبعه وضع للناس صفة لبيت والواضع هو

في الوصف

بعد ما حلت لهم إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين إن أول بيت وضع للناس

لِلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ
وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ

الله عز وجل تدل عليه قراءة من قرأ وضع للناس بتسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله بيتا للناس
جعله متعبدا فكانه قال انه اول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلعم انه سئل من اول من حج للناس فقال
المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال اربعون سنة وعن علي رضي الله عنه ان رجلا له اهو اول بيت قال
قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واول من بناه ابراهيم
ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبنته قريش وعن ابن عباس رضي هو اول
بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل الارض بالفي
عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو اول بيت بناه آدم في الارض وقيل لما
اهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت ولقد طفنا قبلك بالفي عام وكان في موضعه قبل آدم
بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان فلما اتم آدم بالروحاء يطوف به ملائكة السموات للذي ببكة للبيت
الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم البيطر والبيطار في اسم موضع بالدهنا
ونحو من الاعتقاب امر رابت وراتم وحمى مغرطة ومغبطة وقيل مكة البلد وبكة موضع
المسجد وقيل اشتقاقهما من بكه اذا زحمه لزدحام الناس فيها وعن قتادة يبكّ الناس بعضهم بعضا
الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت ببكة وهي الزحمة قال
اذا القريب اخذته بكة فخلوه حتى يبكّ بكة وقيل تبك اعناق الجبابرة اذا تدخلها لم يقصدها
جبار بسوء قصمه الله مباركا كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب
وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف لان التقدير الذي ببكة هو العامل فيه
المقدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم مقام ابراهيم عطف
بيان لقوله آيات بينات فان قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد قلت فيه وجهان احدهما
ان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابراهيم عليه من تاثير قدميه
في حجر صلد كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة والثاني اشتماله على آيات لان اثر القدم في الصخرة الصماء
آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والاستة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات
الانبياء عليهم السلام ابراهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة
الوف سنة آية ويجوز ان يراد فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع
كالثلثة والاربعة ويجوز ان تذكرهما لان الآيتان وتطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كانه قيل فيه آيات بينات
مقام ابراهيم وامن من دخله وكثير سواهما ونحو في طي الذكر قوله حبس كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم

آية م

اِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

من العبيد وثلث من موالينا ومنه قوله عليه حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في
الصلاة وقراءة ابن عباس رضي والحسن ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة آية بينة على
التوحيد وفيها دليل على ان مقام ابراهيم واقع وحده عطف بيان فان قلت كيف اجزت ان يكون
مقام ابراهيم والامن عطف بيان للآيات وقوله ومن دخله كان آمنا جملة مستانفة اما ابتدائية
واما شرطية قلت اجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان آمنا دل على امن داخله
فكانه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن داخله الا ترى انك لو قلت فيه آية بينة من دخله
كان آمنا صح لانه في معنى قولك فيه آية بينة امن من دخله فان قلت كيف كان سبب هذا الامر
فيه قولان احدهما انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابراهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه
قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسماعيل انزل حتى يغسل راسك فلم
ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر
حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه ومعنى ومن دخله كان آمنا معنى قوله اولم يروا انا جعلنا حرما
آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابراهيم عليه ربنا اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل
جريرة ثم لجا الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج
منه وعند ابي حنيفة رحمه من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنا فالتجا الى الحرم لم يتعرض له الا انه
لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار وعن النبي صلعم من
مات في احد الحرمين بعث في يوم القيامة آمنا وعنه عليه الجنة والبقيع يوخذ باطرافهما وينثران في الجنة
وما بين تامكة والمدينة ومن ابن مسعود رضي وقف رسول الله صلعم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ
مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون
الجنة بغير حساب ويشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي عليه من صبر
على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام من استطاع بدل من الناس وروي
ان رسول الله صلعم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه اكثر العلماء وعن ابن
الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد
والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر ان يوجر نفسه
فهو مستطيع وقيل في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بها كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك
يجب عليه الحج والضمير في اليه للبيت او للحج وكل ما تؤدي الى الشيء فهو سبيل اليه وفي هذا الكلام انواع من التوكيد

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ قُلْ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ

والتشديد منها قوله ولله على الناس حج البيت يعني ان حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن اداءه
والخروج عن عهدته ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التاكيد احدهما
ان الابدال تثبيت للمراد وتمكين له والثاني ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين
مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلعم من مات ولم يحج
فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء
عنه وذكر ما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة
على الاستغناء عنه بدليل انه اذا استغنى عن العالمين تناول الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء
الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي وقع بيان عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج
الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله اهل الاديان كلهم فخطبهم
فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن
به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلعم حجوا قبل ان لا تحجوا حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن
ابن مسعود رضي الله عنه لو تركنا الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا وقرئ حج البيت بالكسر والله شهيد الواو للحال والمعنى لم
تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد صلعم والحال ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم عليها وهذه الحال توجب
ان لا تجترئوا على الكفر بآياته قرأ الحسن تصدون من صددته عن سبيل الله عن دين حق علم انه سبيل الله
التي امر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه
بجهدهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعوجوا
لمثله تبغونها عوجا تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة فان قلت كيف يبغونها عوجا وهو مجال
قلت فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على الناس حتى توهموا ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى
لم تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله عن وجهها ونحو ذلك والثاني انكم تبغون انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء
ما يتأتى لكم من وجود المطاعن العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها
لم ضال مضل او انتم شهداء بين اهل دينكم عدول تثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم امورهم وهم الاحبار
وما الله بغافل وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال قيل مر شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر
شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه
ذلك حيث تآلفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال بالنا بهم اذا اجتمعوا من قرار

قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون

فان قدم البيت اتى الله وروي حجوا قبل ان لا تحجوا

١٠٧

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
كَافِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ

فامر غلاما من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما
اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس فتفاخر القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا
وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي صلعم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى اطفأ فقال أتدعون الجاهلية وانا
بين اظهركم بعد اذ هداكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان
وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلعم فما كان يوم اقبح اولا واحسن
آخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجيب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر
والحال ان آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية وبين اظهركم رسول الله صلعم
ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه ويجوز ان يكون جيئا لهم على الالتجاء اليه في
دفع شرور الكفار ومكايدهم فقد هدي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت
كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما
ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده حق تقاته واجب تقويه وما يحق منها وهو القيام بالواجب واجتناب
المحارم ويجوز فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن علي الله
هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو ان لا تاخذ في الله لومة
لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابيه او ابنه وقيل ان يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة
من اتقى كالتؤدة من اتأد ولا تموتن معناه ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادركك
الموت كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو لا تأتيني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان
ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان قولهم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لما
يستظهر به ويوثق بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق من انقطاعه وان يكون الحبل
استعارة للعهد والاعتصام لوثوقه بالعهد او ترشيحا لاستعارة الحبل عاينا سببه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم
بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه او واجتمعوا على التمسك بعهده وهو الايمان والطاعة او بكتابه لقول
النبي صلعم القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد
ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم ولا تفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف كما اختلفت اليهود والنصارى
او كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق
ويزول معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها بما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك
بالاسلام كانوا في الجاهلية الاحن والعداوات والحروب المتواصلة فالف الله بين قلوبهم بالاسلام

وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم
تهتدون ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون

وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا اخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد وقد
تقدم بينهم وانتم الاختلاف وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت
بينهم العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى ان اطفأها الله بالاسلام والتقريع بنعمة الله
وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا فيها فانقذكم منها بالايمان
والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانما انث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال كما شرقت صدر القناة من
الدم وشفا الحفرة وشفتها جرفها بالتذكير والتانيث ولا يهما واو الا انها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث
محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة فان قلت كيف جعلوا على حرف حفرة من النار قلت
لو باتوا على ما كانوا عليه وتعاطوا النار فمثلت حينئذ لهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين
على الوقوع فيها كذلك مثل البيان البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى ولتكن منكم
أمة من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف
والمنكر وعلم كيف يرتب الامر فيه فاقامه وكيف يباشره فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف
الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة
وينكر على من لا يزيد انكاره الا تماديا او على من لا انكار عليه عبث كالانكار على اصحاب الشافعي والحنفيين
واضرابهم وقيل من للتبيين يعني وكونوا امة تامرون لقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون واولئك هم
المفلحون هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلا وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف
وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم وعنه عليه السلام من امر بالمعروف فهو خليفة الله في ارضه
وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي عليه السلام افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شفى الفاسق
وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة يأتي على الناس زمان يكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل يجيء في جزائه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن
والامر بالمعروف تابع للمامور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر فواجب كله لان
جميع المنكر تركه واجب لانه اضافه بالفتح فان قلت ما طريق الوجوب قلت قد اختلف فيه الشيوخ
رحمهم الله فعند ابي علي العقل وعند ابي هاشم السمع وحده فان قلت ما شرائط النهي قلت ان يعلم
الناهي ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يأمن ان ينكر الحسن وان يكون منهيا عنه وان يعلم ان الواقع قبيح الذي عنه وانما
يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب على ظنه ان المنهي يزيد في منكراته وان لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر
لانه عبث فان قلت فما شروط الوجوب قلت ان يغلب على ظنه وقوع المعصية بحال يرى الشاذب

على المنكر واولئك هم المفلحون

ذلك

١٠٨

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم
عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم

قد تحيا الشرب الخمر باعداد الآلة وان لا يغلب على ظنه ان انكاره حفيظة مضرة عظيمة فان قلت
كيف يباشر الانكار قلت يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر
فالتدرج فاصلح اسهلها ثم قال فقاتلوا فان قلت فمن يباشره قلت كل مسلم تمكن منه
واختص بشرائطه وقد اجمعوا ان من رأى غيره تاركا للصلاة وجب عليه الانكار لانه معلوم فيجب لكل احد
وان على الانكار الذي يستحق بالقتال الامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها فان قلت
من يؤمر وينهى قلت كل مكلف وغير المكلف اذا فهم بضرب غيره كالصبيان والمجانين ويمنع
الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلاة ليعرفوا عليها فان قلت هل يجب على
مرتكب المنكر ان ينهى عما يرتكبه قلت نعم يجب عليه ترك ارتكابه والانكار واجبان عليه فيتركه
احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف
بن عبد الله يقول لا اقول لك لا افعل وانت تفعل ما يقول ودد الشيطان لو ظفر بهذا منكم فلا يأمن احد
بمعروف ولا ينهى عن منكر فان قلت كيف قيل يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف قلت الدعاء
الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فخص بالعام ثم عطف
عليه الخاص ايذانا بفضله والصلوة الوسطى كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم
البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وعلى الحق وقيل هم هذه الامة وهم المشبهة والمجبرة
واشباههم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب الظرف وهو هم او باضمار اذكروا وقرئ تبيض
وتسود بكسر حرف المضارعة وتبياض وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة فنور كان من اهل نور
الحق وسم بياض النور واشراقه وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه
ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكدره واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة
من كل جانب نعوذ بالله وسعة رحمته من ظلمة الباطل واهله اكفرتم فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب
من حالهم والغلاظ عن انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله بعد اعترافهم به قبل مجيئه
وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون
وقيل اهل البدع والاهواء وعن ابي امامة رضي الله عنه هم الخوارج ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه
ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت ادیم السماء وخير قتلى تحت ادیم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له
ابو غالب الشيخ تقول برأيك ام شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة قال فما شك بعد دمعت عيناك قال رحمة لهم
كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم اخذ بيده فقال ان بادر منهم كثيرا فاعاذك الله منهم

منع

مقالة

الكفر بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون

واما الذين ابيضت وجوههم

قال بلى سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم

فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ تِلْكَ آيَاتُ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ
ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ

وقيل هم جميع الكفار لاعراضهم عما اوجبه الاتحاد حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى فتى
رحمة الله في نعمته وهي الثواب المخلد فان قلت كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله ففي رحمة الله قلت
موقع الاستيناف كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون ولا يظعنون عنها ولا يموتون تلك آيات الله
الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء بينة توجبانه وما الله
يريد ظلما فيأخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن ونكرة ظلما وقال للعالمين على
معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه فيجازي من يجازي عن تصنع بارادة التباع والرضا بها كانه عبارة عن
وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق يدل على انقطاع طارئ ومنه قوله
تعالى وكان الله غفورا رحيما ومنه قولك كنتم خير امة كانه قيل وجدتم خير امة وقيل كنتم في علم الله خير امة وقيل
كنتم في الامم مذكورين بانكم خير امة موصوفين به اخرجت اظهرت وقوله تامرون كلام مستانف بين
به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم وتؤمنون بالله جعل
الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من آمن ببعض ما يجب الايمان به من رسول وكتاب او بعث
او حساب او عقاب او ثواب او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكانه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله ولو
آمن اهل الكتاب مع ايمانهم بالله لكان الايمان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما آثروا دينهم
على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا
ما هو خير مما آثروا دين الباطل لاجله مع الفوز بما وعد به على الايمان من ايتاء الاجر مرتين منهم المؤمنون
كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر لن يضروكم الا اذى الا ضررا مستصغرا
على اذى يقول من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ولا يضروكم
بقتل او اسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن اسلم منهم لانهم كانوا
يؤذونهم بالتثليق بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بانهم لا يقدرون ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى الضرب
يبالي به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل فان قلت
هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون قلت عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار ابتداء كانه قيل ثم اخبركم
انهم لا ينصرون فان قلت فاي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى قلت لو جزم لكان نفي النصر مقيدا
بمقاتلتهم كتولية الادبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا كانه قال ثم شانهم وقصتهم التي اخبركم عنها
وابشركم بها بعد التولية انهم مخذولون منتفي عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم امر

ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا

إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا

وكان كما اخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر فان قلت فما الذي عطف عليه هذا
الخبر قلت جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم اذا يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم انهم لا ينصروا
فان قلت فما معنى التراخي فيه قلت التراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم
اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار فان قلت ما موقع الجملة التي فيها المؤمنون لو لم يذكر قلت
[illegible] مما كالاستثناء واذا على طريقة الاستطراد عند اجراء ذكر اهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان
فان من شانه كيت وكيت لذلك جاء من غير عاطف بحبل من الله في محل النصب على الحال بتقدير الا معتصمين او متمسكين
او ملتبسين بحبل من الله وهو استثناء من اعم عام الاحوال المعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال
اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين او اعتزامهم فقط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم
الى الذمة لما قتلوا من الجزية وباءوا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت
على اهله فهم ملازمون في المسكنة غير خالعين وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب
الذلة والمسكنة والبواء بغضب الله او ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء ثم قال ذلك بما
عصوا او ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب استحقاق سخط
الله وان سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحو فما خطبكم انهم اغتروا واخلدوا الرتوا
وقد سوا عنده واكلهم اموال الناس بالباطل الصغير ليسوا سواء امة اهل الكتاب او ليس اهل الكتاب مستوين
وقوله من اهل الكتاب امة قائمة كلام مستانف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تامرون بالمعروف بيانا
لقوله كنتم خير امة قائمة مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام يعني استقام وهم الذين اسلموا منهم
وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لانه ابين لما يفعلون وادل على حسن صورة امرهم وقيل
يعني صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى صلاة العشاء ثم خرج
الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ
هذه الآية وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان لامة اي امة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصلتين كانت
في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم
ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الايمان باليوم الآخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة
في الخير غرة الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به وانه الفوز على التراخي واولئك الموصوفون
بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز ان يريد

وَكَانُوا يَعْتَدُونَ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ

وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ
أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

بالصالحين المسلمين فلن تكفروه لما جاء وصف الله عز وعلا بالشكر في قوله والله شاكر حليم في معنى توفيه
الثواب نفي عنه نقيض ذلك فان قلت لم عدي الى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول شكر النعمة
وكفرها قلت ضمن معنى الحرمان فكأنه قيل فلن تحرموه يعني فلن تحرموا جزاءه وقرئ يفعلوا ويكفروه
بالياء والتاء والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يقبل عند الله اهل التقوى الصدقة
الريح الباردة نحو الصرصر قال رؤبة تعدلن اثاويين تصرهم ٭ نكباء صر باصحاب الجلاب ٭ كما قالت
ليلى الاخيلية ٭ ولم تغلب الخصم الالد وتملأ الجفان سديفا يوم نكباء فان قلت فما معنى قوله كمثل ريح
فيها صر قلت فيه اوجه احدها ان الصر في صفة الريح يعني الباردة فوصف بها القرة يعني فيها
قرة صرة كما تقول برد بارد على المبالغة والثاني ان يكون الصر مصدرا في الاصل يعني البرد فجيء به على اصله والثالث
ان يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ومن قولك ان فلانا يعطيني فلان فني الله كاف وكافل قال
وفي الرحمن للضعفاء كاف وكما يقال رايت فيك اسدا اي انت اسد والمراد به المبالغة شبه ما كانوا ينفقون
من اموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالريح الذي حبسته البرد
فاهلكت حرثا وقيل هو ما كانوا ينفقون على الله مع كفرهم وقيل ما انفقوا في عداوة رسول الله فضاع عنهم
لانهم لم يبلغوا بانفاقه ما انفقوه لاجله وشبه بحرث قوم ظلموا انفسهم ولم يقتصر بقوله اصابت الحرث او اصابت
حرث قوم قلت لان الغرض تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب على الكلية حتى لا يبقى منه شيء وحرث
الكافرين الظالمين هو الذي يذهب على الكلية لا منفعة لهم فيه في الدنيا ولا في الآخرة واما حرث المسلم المؤمن
فلا يذهب على الكلية لانه ان كان يذهب صورة فلا بد ان لا يذهب معنى لما فيه من حصول الاعواض لهم في الآخرة والثواب
بالصبر على المصاب فان قلت الغرض تشبيه ما انفقوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي طحنته الصر والكلام
غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون مثلا بالريح قلت هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله كمثل
الذي استوقد نارا ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل ريح وهو الحرث
وقرئ تنفقون بالتاء وما ظلمهم الله الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم
حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب الحرث الذين ظلموا انفسهم او وما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن
ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن انفسهم يظلمونها هم
ولا يجوز ان يراد ولكنه انفسهم يظلمون على اسقاط ضمير الشأن لانه انما يجوز في الشعر ٭ بطانة الرجل وليجته
خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه بسره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعار وعن النبي
صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه بلا تتخذوا وبطانة

آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ

لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ
أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ
وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

على الوصف او بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم خبالا في الامر يألوا اذا قصر فيه ثم استعمل
متعديا الى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا ولا انقصكه
والخبال الفساد ودوا ما عنتم ودوا عنتكم على ان ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة واصله
انخباض العظم بعد جبره اي تمنوا الا يضركم في دينكم ودنياكم اشد الضرر وابلغه قد بدت البغضاء من افواههم
لانهم لا يتمالكون مع ضبط انفسهم وتجاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وعن قتادة
قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وفي قراءة عبد الله قد
بدا البغضاء قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه
ان كنتم تعقلون ما يبين لكم فعملتم به فان قلت كيف وقع هذه الجمل قلت يجوز ان يكون لا يألونكم
صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كأنه قيل بطانة غير آليكم خبالا بادية بغضاؤهم وانما قد بينا فكذلك
مبتدأ واحسن منه وابلغ ان تكون مستأنفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ها للتنبيه وانتم مبتدأ
واولاء خبره او انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم
في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وقيل اولاء موصول تحبونهم صلته والواو في وتؤمنون
للحال وانتصابها من لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما
بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ونحو
فانهم يأملون كما تأملون وترجون من الله ما لا ترجون ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان
والاول اعم قال الحارث بن ظالم المري ٭ فاقتل اقواما لنا اعزة ٭ يعضون من غيظ رؤوس
الابهام قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما
يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتباد ان الله عليم بذات
الصدور فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو
كلام داخل في جملة المقول او خارج منها فان قلت فكيف معناه على الوجهين قلت
اذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله
عليم بما هو اخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان شيئا من اسراركم يخفى عليه واذا
كان خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني اعلم ما هو اخفى من
ذلك وهو ما اضمروه في صدورهم لم يظهروه بالسنتهم ويجوز ان لا يكون ثم قول وان يكون قوله قل موتوا بغيظكم
امرا لرسول الله بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام

إِنْ يَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا
لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ

واظهارهم به كانه قيل حدثت نفسك بذلك الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع والسيئة
ماكان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشتفون بما اصابهم من
الشدة فان قلت كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة قلت المس مستعار لمجيء الصابة
فكان المعنى واحد الا ترى الى قوله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة اصابك من حسنة فمن الله وما
اصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسته البشر جذوعا واذا مسته الخير منوعا وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم
عنه من موالاتهم او وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في احتنابكم محارمه كنتم في كنف الله
فلا يضركم كيدهم وقرئ لا يضركم من ضاره يضيره ويضركم على ان ضمة الراء اتباع ضمة الضاد كقولك
مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو
بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء اذا اردت ان تكيد من يحسدك فازدد فضلا في نفسك ان الله بما تعملون
من الصبر والتقوى وغيرهما محيط فيجازيكم عليه وقرئ بالتاء بمعنى انه عالم بما تعملونه فيك
عداوتكم فيما قهرهم عليه واذكر اذ غدوت من اهلك بالمدينة وهو غدوة ليلة احد من حجرة عائشة رضي الله عنها
ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلعم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم
يدعه قط قبلها فاستشار فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله
ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان
اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان
رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم اخرج بنا الى هؤلاء الكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام
قد رايت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت
كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة فقال رجال من الصحابة
قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لامته
فلما راوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله والوحي ياتيه وقالوا اصنع يا رسول الله
ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة واصبح بالشعب
من احد يوم السبت للنصف من شوال فتبوأ على رجليه فجعل صف اصحابه للقتال كانما يقومهم القداح
اذا رأى صدرا هاربا قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن
جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا بنو المؤمنين تعبئة لهم وقرأ عبد الله
للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيئ للقتال مواطن ومواقف وقد اتسع في قود وقام حتى اجرى جاد

مواقفه

يا رسول الله

وتدعوهم

وَإِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ

واستعمل للتوعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق قبل ان تقوم من مقامك من مجلسك وموضع
حكمك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمايركم اذ همت بدل من اذ غدوت او عامل فيه بمعنى سميع عليم والطائفتان
حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان خرج رسول الله صلعم في الف
وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلثة آلاف ووعدهم الفتح ان صبروا فالخزرج عبد الله بن ابي بثلث
الناس وقالوا قوم غلام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزام الانصاري فقال انشدكم الله في نبيكم
وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله وعن
ابن عباس رضي الله عنه اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث
نفس وكما لا تخلوا النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال
المكروه كما قال عمرو بن الاطنابة اقول لها اذا جاشت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي حتى قال معاوية
عليكم بحفظ الشعر فقد كنت اضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتت حتى اقول عمرو بن الاطنابة ولو كانت
عزيمة لما ثبتت مهزا الولاية والله ع يقول والله وليهما وبحوز ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما
لهما تفشلا ولا يتوكلان على الله فان قلت ما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الآية والله ما يسرنا
انا لم نهم بالذي همما به وقد اخبرنا الله بانه وليهما قلت معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم
من الشرف بثناء الله ع وانزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية وان تلك الهمة غير المأخوذ بها لانها لم تكن عن
عزيمة وتصميم كانت سببا للتولي والفشل الجبن والخور وقرأ عبد الله والله وليهم كقوله وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا امرهم بان يتوكلوا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل
فما يسرهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة والاذلة جمع قلة والذلة جمع الكثرة وجاء بجمع القلة
ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك انهم خرجوا
على النواضح يعتقبون النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد وقلتهم انهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر
وكان عدوهم في حال كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة
كان لرجل يسمى بدرا فسمي به فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون نعمكم ما انعم به عليكم من نصرته
او لعلكم تنعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول ظرف لنصركم
على ان يقول لهم ذكر يوم بدر او بدل ثان من اذ غدوت على ان يقول لهم يوم احد فان قلت كيف يصح
ان يقول لهم يوم احد ولم تنزل فيه الملائكة قلت قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا
عن الغنايم ولم يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله فلذلك لم تنزل الملائكة ولو ثبتوا على ما شرط عليهم لنزلت

أَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا
وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ

وانما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويتقوا بنصر الله ومعنى الن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلثة الاف من الملائكة وانما جيء بلن الذي هو لتاكيد النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالايسين من النصر وبلى ايجاب لما بعد لن يعني بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا يمددكم باكثر من ذلك العدد مسومين للقتال ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره الى غزوة اخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول ابي حنيفة رحمه الله مسئلة على الفور على التراخي وهو مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث والمعنى انهم ان يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتاخر نزولهم عن اتيانهم يريد ان الله يعجل نصرتكم ويبشر فتحكم ان صبرتم واتقيتم وقرئ منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاي يعني منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها يعني معلمين ومعلمين انفسهم او خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها وعن مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلعم انه قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت وما جعله الله الهاء راجع الى ما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم بانكم تنصرون ولتطمئن به قلوبكم كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمانينة لقلوبهم وما النصر الا من عند الله الا من عند المقاتلة اذا شكا ذوا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الجنة ويربط على قلوب المجاهدين العدل الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه لما يدبر من المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته يعني كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قوله الطيب كبت حاسدا واري عدوا هو من الكبد والتوبة والام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله او بقوله وما النصر الا من عند الله او يتوب عطف على ما قبله وليس لك من الامر شيء اعتراض والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يخزيهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان يتوب منصوب باضمار ان وان بتوب في حكم اسم واحد معطوف بالواو على الامر او على شيء او ليس تعذيبهم وقيل او بمعنى الا ان كقولك لاسيرن او تعطيني حقي على معنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب عليهم فتفرح بحالهم

شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ

وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَاتَّقُوا

او يعذبهم فتستريح منهم وقيل شجه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله لعله ان فيهم من يؤمن عن الحسن رحمه الله يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه ويعذب من يقيم ظالما واتباعه قوله او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون تقرير بين لمن يشاء وانهم المتوب عليهم او الظالمون وكان اهل الجاهلية والبدع يتصامون ويتعامون عن آيات الله فيخبطون خبط عشواء ويطيبون انفسهم بما يفترون على ابن عباس رضي الله عنهما من قولهم يكفيه الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة نهي عن الربوا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون واتقوا النار التي اعدت للكافرين كان ابو حنيفة رحمه الله يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار التي اعدت للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد امر ذلك بما اتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تامل هذه الآيات وامثالها لم يحدث نفسه بالطماع الفارغة والتمني على الله وفي ذلك والى العمل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال الناس ما قالوا لم يخف على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابة رضا الله وعن التوصل الى رحمته وثوابه مضارعا جعفر اهل المدينة والشام سارعوا بغير واو وقرأ الباقون بالواو وينصره قراءة ابي وعبد الله وسابقوا ويعني المسارعة الى المغفرة الاقبال على ما تستحقان به عرضها السموات والارض اي عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض السماء والارض والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما علم الناس من خلقه وابسطه وخص العرض لانه في العادة ادنى من الطول المبالغة كقوله بطائنها من استبرق وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض في السراء والضراء في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون ما ان ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من كثير او قليل كما يحكى عن بعض السلف انه تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها تصدقت بحبة عنب وفي جميع الاحوال لانهم لا يخلون من حال مسرة ومضرة لا تمنعهم ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس او في جنس فانه لا يدع الاحسان واضح بذلك الانفاق لانه اشق شيء على النفس واذلها لعلى الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت اعظم الاعمال الحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين كظم القدرة اذا ملأها وشدقاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك على ملء نفسه منه بالصبر ولا يظهره اثرا وعن النبي صلعم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا وعن عائشة رضي الله عنها ان خادما لها اغاظها فقالت لله در

الله

اتقاء النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ

هذا مذهب المعتزلة

المعدّ

وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا

المتقون ما تركت الذي غيظ شفاه والعافين عن الناس اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه وروي ينادي مناد يوم
القيامة اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة انه رطانة للتقييد وقد غضب على
رجل فخلاه وعن النبي صلعم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين
يجوز ان يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون وان تكون للعهد فيكون اشارة الى هؤلاء والذين
عطف على المتقين اذا جعلت للمتقين وللتائبين وقوله اولئك اشارة الى الفريقين ويجوز ان يكون والذين مبتدأ وخبره
اولئك فاحشة فعلة متزايدة القبح او ظلموا انفسهم او اذنبوا اي ذنب كان مما يؤاخذون به وقيل الفاحشة
الزنا وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا الله
تذكروا عقابه او وعيده او نهيه او حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا لذنوبهم
فتابوا عنها لقبحها لا ناديل عافين ومن يغفر الذنوب الا الله وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب
من الذنب عند الله كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وان عدله يوجب المغفرة للتائب لان العبد اذا
جاوز الاعتداء والتنصل بالعصيان ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة
وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وان الذنوب وان جلت فان عفو الله اجل وكرمه اعظم والمعنى انه
وحده معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يصروا ولم يقيموا على قبيح
فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلعم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي سبعين كبيرة مع الاستغفار
والصغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فعل الاصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى ولم يقيموا ممن يصرون
على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الآيات بيان
قاطع ان الذين آمنوا على ثلث طبقات متقون وتائبون ومصرون وان الجنة للمتقين والتائبين دون المصرين
ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه قال اجر العاملين بعد قوله جزاؤهم لانهما في معنى واحد وانما
خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على ان ذلك جزاء واجب على عمل واجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروي
ان الله عز وجل اوحى الى موسى ما اقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي
وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة نوع من الغرور وارتجاء الرحمة
ممن لا يطيع جنون وجهالة وعن الحسن يقول الله يوم القيمة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها
باعمالكم وعن رابعة البصرية انها كانت تتنفس وترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس
والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن
يريد ما سنه الله في الامم المكذبين من وقايعه كقوله وقتلوا تقبيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ثم لا تجد

قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين

هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون
ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها

ولنا ولغيرنا سنة الله التي قد خلت من قبل هذا بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم
على النظر في مصارع المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعني انه مع
كونه بيانا وتبيينا للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للمتقين اتقوا من المؤمنين ويجوز ان يكون قوله قد خلت
جملة معترضة للحث على الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين ويكون قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص
وبين من امر المتقين والتائبين والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله لرسوله والمؤمنين عما اصابهم يوم
احد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم او لا يوهنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا
تحزنوا على من قتل منكم وجرح وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا
منكم يوم احد او وانتم الاعلون شأنا لان قتلاكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم
في الجنة وقتلاهم في النار او هي بشارة لهم بالعلو والغلبة اي وانتم الاعلون في العاقبة وان ضد ما لهم الغالبون
ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي يعني ولا تهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله
وقلة المبالاة باعدائه او بالاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله وينبئكم به من الغلبة قرح بفتح
القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم الالم وقرأ ابو العالية
قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم يوم بدر
ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى ان لا تضعفوا ونحوه لا يهنون في ابتغاء القوم
كلما نالوا منكم وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر
رسول الله فان قلت فكيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين قلت
بل كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى قوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى
اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون وتلك الايام نداولها صفة ونداولها
خبره ويجوز ان يكون تلك الايام مبتدأ وخبرا كما تقول هي الايام نبليها كل جديد والمراد بالايام اوقات الظفر
والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله وهو من اثبات الكتاب فيوما علينا و
يوما لنا ويوما نساء ويوما نسر وفي امثالهم الحرب سجال وعن ابي سفيان انه صعد الجبل يوم احد فكث
ساعة ثم قال ايل ابن ابي كبشة ايل ابن ابي قحافة ايل ابن الخطاب فقال عمر رضي هذا رسول الله صلعم
وهذا ابو بكر وهذا انا عمر قال ابو سفيان نعم يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا
في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد خبنا اذن وخسرنا ان لنا ولكم مثل المحاورة قال
يوم لنا ويوم علينا فلا يزال مداولا في الناس بين ممثل وسماع يقال داولت بينهم الشيء فتداولوه وليعلم الله

بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين

وَلِيُمَحِّصَ اللّٰهُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِيْنَ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ
اللّٰهُ جَاهَدُوْا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصّٰبِرِيْنَ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ

الذين آمنوا فيه وجهان احدهما ان يكون المعلل محذوفا معناه وليميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التعليل فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان منكم من غير المثابت والثاني انه عز وجل لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها وقيل معناه وليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني ان يكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وانما جنح الى الايذان بان المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم ان البعد سنة ما يجري عليه من المصائب فلا يشعر ان الله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ منكم شهداء وليكرم منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد او ليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة يعني انه صبركم من الشدايد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيل الله المخلصين من الذنوب والتمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو اصلح لهم وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه الانكار وما يعلم الله يعني ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه شعبة منه تقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما يعني لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدلت على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني ان يفعل كذا ولما تريد ولم يفعل وانما التوقع فعله وقدري ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل اراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن وقراءة الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على ان الواو للحالية كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا فكانوا يتمنون ان يحضروا مشهدا مع رسول الله ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين الحوا على رسول الله في الخروج الى المشركين وكان رايه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تتمنون الموت قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رايتموه وانتم تنظرون اليه رايتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله بالجاهم ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده فان قلت كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم قلت قصد بتمني الشهادة الى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهله الى ذلك المتضمن كما ان من اشرب دواء الطبيب الناصح قاصدا الى حصول الملاء مولا من الشفاء ولا يخطر بباله ان في جرعة منفعة واحسان الى عدو الله وتفويقا لصناعته ولقد

وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم
ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين وما كان لنفس

قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ان فيه جرعة منفعة واحسان الى عدو الله وتفويقا لصناعته حين يحضر الى موته وقيل الى روحكم الله ؛ لكنني اسال الرحمن مغفرة ؛ وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا ؛ او طعنة بيدي جراء مجهزة ؛ بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا ؛ حتى يقولوا اذا مروا على جدثي ؛ ارشدك الله من غاز وقد رشدا لما دعى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه اقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه رسول الله فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفاوا وجعل رسول الله يدعو الى عباد الله حتى انحاز اليه طائفة من اصحابه فلما رهقهم على هيئتهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت وروي انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم والمعنى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه افان مات الفاء معلقة بالجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلعم لا للانقلاب عنه فان قلت لم ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل قلت لكونه مجوزا عند المخاطبين فان قلت اما علمه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس قلت هذا مما يختص به العلماء منهم وذوي البصيرة لا ترى انهم سمعوا بخبر قتله فهربوا على انه يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم ولا تنقلب على الاعقاب لا دبارا كان رسول الله صلعم يقوم به من امر الجهاد وغيره وقبل الارتداد وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلعم واسلامه فلن يضر الله شيئا يعني فاضر انفسه لان الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا كانس بن النضر واضرابه وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الله الاسلام فيما فعلوا المعنى ان موت الانفس بحال ان يكون الا

ان تموت الا باذن الله

كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ
نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ

بمشيئة الله تع فاخرجه مخرج فعل لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا ان ياذن الله فيه تنبيهاً وان ملك الموت
هو الموكل بذلك فليس له ان يقبض نفساً الا باذن الله وهو على معنيين احدهما تحريضهم على الجهاد وتهجينهم
على لقاء العدو باعلامهم ان الحذر لا ينفع وان احداً لا يموت قبل بلوغ اجله وان فوض الى الملك واقتحم الجادة
والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند غيبة العدو والتفافهم عليه واسلام قومه له نخوة للمختلس من الجزع
والكلالة وتاخير الاجل كتاباً مصدر مؤكد لان المعنى كتب الموت كتاباً موجلاً موقتاً له اجل معلوم
لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم احد نؤته منها اي من
ثوابها وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وقرئ يؤته
وسيجزي بالياء فيهما قرئ قاتل وقتل وقتّل بالتشديد والفاعل ربيون او ضمير النبي
ومعه ربيون حال عند يعني قتل كائناً معه ربيون والتراءة بالتشديد تنصر الوجه الاول عن سعيد بن
جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلث فالفتح على القياس والضم
والكسر من تغييرات النسب وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن
الجهاد بعده وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل
رسول الله صلعم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق
عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان وما كان قولهم الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف
الى انفسهم مع كونهم ربانيين تصغيراً لها واستقصاراً والدعاء بالاستغفار منها مقدماً على طلب تثبيت الاقدام
في مواطن الحروب والنصرة على العدو ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع اقرب الى الاستجابة فاتاهم
الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدم
وانه هو المعتد به عنده تزهيداً في عرض الدنيا والله يريد الآخرة آه تطيعوا الذين كفروا قال علي رض نزلت
في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن ان تستنصحوا اليهود
والنصارى وتقبلوا منهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبهة في الدين ويقولون لو كان نبياً حقاً لما غلب
ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوماً له ويوماً عليه وعن السدي
ان تستكينوا لابي سفيان واصحابه وتستامنوهم يردوكم الى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار وان على
المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم وعلى شورتهم حتى لا يستهويهم الى موافقتهم بل الله
مولاكم اي ناصركم لا تحتاجون معه الى نصرة احد وهو خير وقرئ بالنصب على اطيعوا الله مولاكم سنلقي
قرئ بالنون والياء والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم احد فانهزموا

فَانْقَلَبُوا خَاسِرِينَ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ سَنُلْقِي فِي
قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ

مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ
إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ ١١٥

الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا
شيئاً قتلناهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستاصلوهم فلما عزموا على القوا الله الرعب في قلوبهم
فاستكانوا بما اشركوا بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم به ما لم ينزل سلطاناً
الى لم ينزل الله باشراكها حجة فان قلت كان هناك حجة حتى يقال لها الله فيصح لهم الاشراك قلت
لم يعن ان هناك حجة لهم انما لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان تقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها
جميعاً كقولك لا ترى الضب بها ينجحر ولقد صدقكم الله وعده وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى
في قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ومجوز ان يكون الوعد قوله سنلقي في قلوب الذين
كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يتم لهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من اين
اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك ان رسول الله صلعم جعل احداً خلف ظهره واستقبل المدينة
واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل
المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يحصونهم
يقتلونهم قتلاً ذريعاً حتى اذا فشلوا والفشل الجبن وضعف الرأي وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم
المشركون فما موقفنا ههنا وقال بعضهم لا نخالف امر رسول الله فمن ثبت كانه عبد الله بن جبير امير الرماة في نفر
دون العشرة وهم الذين يقول منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة وهم الذين ارادوا الدنيا
فلما رأى المشركون خلو الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين وهم في الشدائد وكانت حبا حتى
هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحنكم بالصبر على المصائب ثم اتاكم على الامان
عنها ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان امر رسول الله والله ذو فضل على
المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء اديل لهم او اديل عليهم لان
في البلاء رحمة كما ان النصرة رحمة فان قلت اين مفعول حتى اذا قلت محذوف تقديره حتى اذا
فشلتم منعكم نصره ويجوز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم اذ تصعدون نصب بصرفكم او بقوله
ليبتليكم او باضمار اذكر والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال صعد في الجبل واصعد في الارض
يقال اصعدنا من مكة الى المدينة وقرأ الحسن تصعدون يعني في الجبل وتعضدون الاولى قراءة ابي
تصعدون في الوادي وقرأ ابو حيوة تصعدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعد في السلم وقرأ
الحسن تلوون بواو واحدة وقد ذكرناه وجهها وقرئ يصعدون ويلوون بالياء والرسول يدعوكم
كان يقول الى عباد الله الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخريكم في ساقتكم ورجالتكم الاخرى

فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ
بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً

وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس وآخرهم كما تقول في أولهم وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم
الأولى فأثابكم عطف على صرفكم أي فجازاكم الله غما جزاء صرفكم عنهم وابتلاكم بسبب غم إذ تقولون
رسول الله بعصيانكم له وغما مضاعفا غما بعد غم متصلا بغم من الاغتمام بما أرجف به من قتل رسول
الله والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة لكيلا تحزنوا لتتمرنوا على تجرع الغموم وتصغر
باحتمال ما حمل الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار ويجوز
أن يكون الضمير في فأثابكم للرسول أي فآساكم في الاغتمام وكافأكم ما نال به من كسر الرباعية والشجة
وغير بما غمه فأثابكم غما اغتمه لأجلكم بسبب غم اغتممتموه لأجله ولم يثبكم على عصيانكم ومخالفته
من مرة واحدة فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما أصابكم من
غلبة العدو أنزل الله الأمن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن
أبي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه
وما أحد إلا وهو يميل تحت حجفته وعن ابن الزبير لقد رأيتني مع رسول الله صلعم حين اشتد علينا الخوف
فأرسل الله علينا النوم والله إني لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الأمر
شيء ما قتلنا ها هنا وأمنة الأمن وقرئت أمنة بسكون الميم كأنها المرة من الأمن ونعاسا بدل من
أمنة ويجوز أن يكون مفعول وأمنة طائفة منه مقدمة عليه كقولك رأيت راكبا رجلا أو مفعولا له بمعنى
نعستم أمنة ويجوز أن يكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة أو على أنه جمع آمن كبار وبررة يغشى قرئ
بالياء والتاء رفعا على النعاس أو على الأمنة طائفة منكم هم أهل الصدق واليقين وطائفة هم المنافقون قد أهمتهم
أنفسهم طلبهم الراحة أنفسهم لأمر الدين وأهم رسول الله والمسلمين أو قد أوقعتهم أنفسهم وما جبلت عليه في الهموم
وإن شبحانهم في التشكيك والتثبيت غير الحق في حكم المصدر ومعناه يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن
يظن به وظن الجاهلية بدل منه ويجوز أن يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية وغير الحق تأكيد يظنون كقولك هذا
القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق تريد الظن المختص بالملة
الجاهلية ويجوز أن يراد ظن أهل الجاهلية أي لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون يقولون لرسول الله
يقولون هل لنا من الأمر من شيء معناه هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب فيما وعدونا النصر والإظهار على العدو
قل إن الأمر كله لله وأولياء المؤمنين وهو النصر والغلبة كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وإن جندنا لهم الغالبون
يخفون في أنفسهم ما لا يبدونه وكل معناه يقولون كل فيما يظهرون هل لنا من الأمر من شيء سؤال المؤمنين المستبشر
وهم فيما يبطنون على النفاق يقولون في أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقول كل لهم إن الأمر كله لله لو كان لنا من الأمر

قرئ أمنة وطائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم

ما أنزل الله بها من سلطان

يقولون في أنفسهم

يقولون لو كان لنا من الأمر شيء

مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ
مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

شيء أي لو كان الأمر كما قال محمد إن الأمر كله لله ولأوليائه وأنهم الغالبون لما غلبنا قط ولما
قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم يعني من علم الله منه أنه يقتل ويصرع في هذه
المصارع وكتب في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لبرز من بينكم الذين علم الله
أنهم يقتلون إلى مضاجعهم وهي مصارعهم ليكون ما علم أنه يكون والمعنى أن الله كتب في اللوح قتل من يقتل
من المؤمنين وكتب مع ذلك أنهم الغالبون لعلمه أن العاقبة في الغلبة لهم وأن دين الإسلام يظهر على
الدين كله وأن ما ينكبون به في بعض الأوقات تمحيص لهم وتدريب في الشهادة وحرص على الشهادة
مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من شيء يعنون لم نملك شيئا من
التدبير حيث خرجنا من المدينة إلى أحد وكان علينا أن نقيم ولا نبرح كما كان رأي عبد الله بن أبي وغيره
ولو ملكنا من التدبير شيئا لما قتلنا في هذه المعركة قل إن التدبير كله لله يريد أن الله عز وعلا قد
دبر الأمر كما جرى ولو أقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم وقدر
كتب عليهم القتال وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل ولبرز بالتشديد وضم الباء وليبتلي
الله وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الإخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل
ذلك أو فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص فإن قلت كيف مواقع الجملتين بعد قوله وطائفة
قلت قد أهمتهم صفة الطائفة ويظنون صفة أخرى أو حال بمعنى قد أهمتهم أنفسهم ظانين
واستيناف على وجه البيان لبلية قبلها ويقولون بدل من يظنون فإن قلت كيف صح أن يقع ما هو مثالة
من الأمر به من الإخبار بالظن قلت كانت مسلمتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز إبداله
منه ويخفون حال من يقولون وقيل إن الأمر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون
والأجود أن يكون استينافا أستثنى لهم طلب منهم الزلل ودعاهم إليه ببعض ما كسبوا من ذنوبهم ومعناه
أن الذين انهزموا يوم أحد كان السبب في توليهم أنهم كانوا أطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك
منعهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان إياهم هو التولي وإنما
دعاهم إليه بذنوب قد تقدمت لهم لأن الذنب يجر إلى الذنب كما أن الطاعة تجر إلى الطاعة وتكون
لطفا فيها وقالت المعتزلة استزلهم بقبول ما زين لهم من الجنبة وقيل بعض ما كسبوا هو
تركهم المركز الذي أمرهم رسول الله بالثبات فيه فجرهم ذلك إلى الهزيمة وقيل ذكرهم تلك الخطايا
فكرهوا لقاء الله بها فأخذوا الجهاد حتى يصلحوا أمرهم ويجاهدوا على حال مرضية فإن قلت
لم قيل ببعض ما كسبوا قلت هو كقوله ويعفو عن كثير ولقد عفا الله عنهم لقوله تعالى واستغفر لهم

بلايا الصدور إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ
إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ

إن الله غفور رحيم للذنوب حليم لا يعاجل بالعقوبة وقالوا لإخوانهم أي لأجل إخوانهم كقوله وقالوا
الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه ومعنى الأخوة اتفاق الجنس أو النسب إذا ضربوا
في الأرض إذا سافروا فيها وابتعدوا للتجارة أو غيرها أو كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى في قوله
عفي الجياض أجون وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء فإن قلت كيف قيل إذا ضربوا مع قالوا
قلت هو على حكاية الحال الماضية كقولك حين يضربون في الأرض فإن قلت ما متعلق ليجعل
قلت قالوا وقالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم على أن اللام مثلها في ليكون لهم عدوا
وحزنا أو لا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة
ويعود منها قلوبكم فإن قلت ما معنى إسناد الفعل إلى الله قلت معناه أن الله تعالى عند
اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقادهم
فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدر فعل الله عز وعلا كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا
كأنما يصعد في السماء ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم
حسرة في قلوبهم لأن مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم تغيظهم وتغمهم والله يحيي ويميت
رد لقولهم أو الأمر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد وكما يشاء وعن خالد بن
الوليد أنه قال عند موته ما في موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة وها أنا ذا أموت كما يموت العير فلا نامت
أعين الجبناء والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء يعني الذين كفروا لمغفرة جواب
القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لإلى الله تحشرون كذب الكافرين الذين في زعمهم أن من سافر من
إخوانهم أو غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك كيلا يكون سببا لانقطاعهم عن الجهاد ثم قال لهم ولئن
قتلتم عليكم ما تخافون من الهلاك بالموت أو القتل في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا
وعن ابن عباس رضي الله عنه خير من طلائع الأرض ذهبة حمراء وقرئ بالياء أو بجمع الكفار ولئن متم أو قتلتم
لإلى الله تحشرون الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه وإدخال اللام
على الخبر المنبئ عن شأن ليس بالخفي وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات
وما مزيدة للتوكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم
وبمعنى الرحمة ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى آثاهم غنائم وأباحهم بالمباشرة
بعد ما خالفوه وعصوا أمره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من
حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد منهم فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله إنما

ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم

واستغفر لهم

وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين
إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم

للشفقة عليهم وشاورهم في الأمر يعني في أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم ولما فيه من
تطييب نفوسهم والرفع من أقدارهم وعن الحسن قد علم الله ما به إليهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من
بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه ما رأيت أحدا أكثر
مشاورة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل شاورهم في الأمر وقرئ وشاورهم
في بعض الأمر فإذا عزمت فإذا قطعت الرأي على شيء بعد المشورة فتوكل على الله في إمضاء أمرك على الإرشاد
الأصلح فإن ما أصلح لك لا يعلمه إلا الله لا أنت ولا من تشاوره وقرئ فإذا عزمت بضم التاء بمعنى
فإذا عزمت لك على شيء وأرشدتك إليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك أحدا إن ينصركم الله كما نصركم يوم بدر
فلا أحد يغلبكم وإن يخذلكم كما خذلكم يوم أحد فمن ذا الذي ينصركم وهذا تنبيه على أن الأمر كله لله وعلى وجوب
التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده فلا أحد أولى
من توكلك ليس لك من يحسن إليك من بعد فلان تريد إذا جاوزته وقرأ عبيد بن عمير وإن يخذلكم من ذا
إذا جعله مخذولا وفيه ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله والتأييد وتحذير من المعصية وما يستوجبون
به العقوبة بالخذلان وعلى الله فليخص المؤمنون ثقتهم بالتوكل والتفويض إليه لعلمهم أنه لا ناصر سواه وأن إيمانهم
يوجب ذلك ويقتضيه يقال غل شيئا من المغنم غلولا وأغل إغلالا إذا أخذ في خفية ومنه قيل للجاري إذا سرق شيئا من اللحم
مع الجلد وأغل الحقد الكامن في الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من يغلل يأت بما غل يوم القيامة يحمله على عنقه وقوله
هدايا الأمراء غلول وعنه ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه لا غلل ولا إسلال ويقال أغله إذا وجده غالا
كقولك أحلمه وأبخله ومعنى وما كان لنبي أن يغل أنه ما صح له ذلك يعني أن النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرأ على البناء
للمفعول فهو راجع إلى المعنى الأول معناه وما صح له أن يوجد غالا إذا كان غالا وفيه وجهان أحدهما أن يبرأ
رسول الله من ذلك ويتنزه ويستدل على عصمته بأن النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيئا منه وأن
لا يستن بأفعاله كما روي أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله أخذها
وروي أنها نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله من
أخذ شيئا فهو له وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألم أعهد إليكم أن لا تبرحوا المراكز حتى يأتيكم
أمري فقالوا تركنا بقية إخواننا وقوفا فقال بل ظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم والثاني أن يكون نهيا للنبي
لرسول الله على ما روي أنه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي أن يعطي
قوما ويمنع آخرين بل عليه أن يقسم بالسوية وسمي جمعان بعض الغزاة غالا تغليظا وتقبيحا لصورة الأمر ولو قرئ
أن يغل بمعنى يخون لجاز بيانا لأن يأتي الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث يأتي به يوم القيامة يحمله

من يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون

أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير

هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون

لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين

أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير

وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين

وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون

الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون

فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون

يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين

الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم

الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل

فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم

إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين

ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم

إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم

ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين

ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم

كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون أفمن اتبع رضوان الله
كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس

على عنقه وروى الا لا اعرفن احدكم يأتي ببعير له رغاء وبشاة له ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول
لا املك لك من الله شيا فقد بلغتك وعن بعض خلفاء الاعراب انه سرق ناقة منه فتليت عليه الاية
فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحل ويجوز ان يراد ياتي بما احتمل من وباله وتبعته واثمه
فان قلت هلا قيل هم يوفيها كسب لتتصل به قلت جرى بعام دخل تحته كل كاسب من الغالب
وغير الغالب تتصل به وهو ابلغ لانه اذا علم الغالب ان كل كاسب خيرا او شرا مجزي موفى جزاءه علم انه غير
متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسبوه وهم لا يظلمون اي يعدل بينهم في الجزاء كل جزاء على قدر كسبه هم درجات
اي هم متفاوتون كما يتفاوت الدرجات كقولهم انصبت لدينة تعتريهم درجاتي ام هم ريح السيول
وقيل ذو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت
بين الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها لقد من
الله على المؤمنين اي من امن مع رسول الله صلعم من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون ببعثته
من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فان قلت فما وجه المنة
عليهم في ان كان من انفسهم قلت اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه
عنه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة فكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفي كونه
من انفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة فاطمة
رضي الله عنها من انفسهم او من اشرفهم لان عدنان ذرو ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن
عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش
محمد صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به ابو طالب لتزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه
بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر
مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس
ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به ذلك المعنى وهو والله بعد هذا له نبأ
عظيم وخطر جليل وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم وفيه وجهان ان يراد لمن من الله على
المؤمنين وقت بعثه يتلو عليهم اياته بعدما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويذكيهم
ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات والخبائث وقيل
ويأخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة بعدما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة اي
العلوم وان كانوا من قبل بعثة الرسول لفي ضلال مبين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها

وبين

أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم
إن الله على كل شيء قدير وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم

وبين النافية وتقديره وان الشان والحديث كانوا من قبل في ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه اصابتكم
مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين واسر سبعين ولما نصب تعلم واصابتكم في محل الجر باضافة لما
اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم والى هذا نصب لانه مقول الهمزة للتقرير والتقريع فان قلت
ملام عطفت الواو هذه الجملة قلت على ما مضى من قصة احد ولقد صدقكم الله وعده ويجوز ان تكون
معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حين كذا انى هذا من اين هذا كقوله انى لكم هذا لقوله من عند انفسكم
وقوله من عند الله والمعنى انتم السبب فيما اصابكم باختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز
وعن علي رضي الله عنه لاخذكم الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم ان الله على كل شيء قدير فهو قادر
على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيبكم بمثلها وبمصيبة منكم اخرى وما اصابكم يوم احد يوم التقى جمعكم وجمع
المشركين فهو كائن باذن الله اي بتخليته استعار الاذن للتخلية الكفار وان لم يمنهم منهم ليبتليهم لان الاذن
مخل بين المأذون له ومراده وليعلم وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء
ونفاق هؤلاء وقيل لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا وانما لم يقل نافقوا لانه جواب لسؤال اقتضاه
دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز ان يقتصر الصلة على نافقوا
ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للاخرة كما يقاتل المؤمنون وبين ان
يقاتلوا ان لم يكن لهم غير الاخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه
ياسا لنفاقهم ودعلهم وذلك ما روي ان عبد الله بن ابي الخزرج بلغاية فقيل له فقال ذلك وقيل
او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه
وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كثر نصر لو امكنني ابعث داري واخفت بكثر من ثغور المسلمين
فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا اراد اكثر سوادهم ووجه آخر
وهو ان يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه خطأ
رايكم وذلكم عن الصواب ليس بشيء ولا يقال للقاء النفس الى المهلكة قتال انما هو القاء بالنفس الى المهلكة لان راي
عبد الله في الاقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعني انهم
قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين
وقالوا ما قالوا ابتعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم اهل الكفر اقرب
نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخذال تقوية للمشركين يقولون بافواههم لا يتجاوز
ايمانهم افواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وان

وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ۝ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ
فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي

ايمانهم موجود في افواههم معدوم في قلوبهم ظلا ان صفة المؤمنين في مواطاة قلوبهم لافواههم والله
اعلم بما يكتمون من النفاق بما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رايهم والشماتة بهم وغير
ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا باماراتٍ وانا اعلم كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا
في اعرابه اوجه ان يكون نصبا على الذم او على الرد على الذين نافقوا او رفعا على هم الذين قالوا او على
الابدال من واو يكتمون ويجوز ان يكون مجرورا بالاسم الضمير في افواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء
حاتم لاخوانهم لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم احد او اخوانهم في النسب في سكنى الدار
وقعدوا اي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو اطاعنا اخواننا فيما احدثوا به من القعود ووافقونا فيه لما
قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين معناه قل ان كنتم صادقين في انكم
وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا يعني ان ذلك الدفع
غير مغني عنكم لانكم ان دفعتم القتل الذي هو احد اسباب الموت لم تقدروا على دفع باقي اسبابه المبثوثة ولا
بد لكم من ان يتعلق بكم بعضها روي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا فان قلت
فقد كانوا صادقين في انهم دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين قلت
معناه ان النجاة من القتل يجوز ان يكون سببها القعود عن القتال وان يكون غيره لان اسباب النجاة كثيرة
وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان سبب نجاتكم القعود وانكم صادقون في مقالتكم
وما انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه اخر ان كنتم صادقين في قولكم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني انهم
لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرءوا عن انفسكم الموت استهزاء بهم اي ان
كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا ولا تحسبن خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لكل احد وقرئ بالياء ولا يحسبن رسول الله او ولا يحسبن حاسب ويجوز ان يكون قتلوا فاعلا ويكون
المتقدم ولا تحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي ولا تحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا فان قلت كيف
جاز حذف المفعول الاول قلت هو في الاصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ في قوله احياء والمعنى هم
احياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ ولا يحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد واحياء بالنصب على
معنى لا يحسبنهم احياء عند ربهم مقربون عند ذو زلفى كقوله فالذين عند ربك يسبحون مثل ما يرزق سائر
الاحياء يأكلون ويشربون وهو تاكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله فرحين
بما اتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم
احياء مقربين مجللهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في

سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين

في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل

بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ
مِنَ اللّٰهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّٰهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلّٰهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ

قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ويستبشرون باخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم اي لم
يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم
لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم ان لا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا
خلفهم من المؤمنين وهو انهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال
الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في
نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واحماد لحال من يبذل نفسه في خير فيقتفي مثله اخوانه في الله ويبشرون
المؤمنين بالفوز في المآب وكرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
من ذكر النعمة والفضل وان ذلك اجر لهم على ايمانهم يجب في عدل الله وحكمته ان يحصله لهم ولا يضيعه وقرئ
وان الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء وعلى الجملة اعتراض وعن قراءة الكسائي
وتعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع الذين استجابوا مبتدأ خبره للذين احسنوا او صفة للمؤمنين او نصب
على المدح روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا احد
الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه
القرح فتجالدوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ومن في
للذين احسنوا منهم للتبيين مثلها في قوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة الذين
استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت له عائشة ان ابويك من الذين
استجابوا لله والرسول تعني ابا بكر والزبير الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم روي ان ابا سفيان
نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج
ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فالقى نعيم بن مسعود الاشجعي
وقدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان يلتقي بموسم بدر وانه هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه
الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكني اخرج حاجا ولم اخرج ناويا ذلك حتى اراه فالحق بالمدينة فثبطهم
ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت
منكم احد الا شريدا فتريدون وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم احد وقيل لما رأى سفيان ركب من
عبد القيس يريدون المدينة للميرة جعل لهم حملا بعيرين من زبيب ان ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال عليه السلام والذي
نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة

الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل

ان تخرجوا

فانقلبوا بنعمة وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم
إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه فلا تخافوهم وخافون

التي قالها ابراهيم عليه حين القي في النار حيث وافوا بدرا واقاموا بها ثماني ليال وكان معهم تجارات فباعوها واصابوا
خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيش السويق وقالوا
انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاولون المثبطون والآخرون ابو سفيان واصحابه فان قلت كيف قيل
الناس اولا نعيم هو المثبط وحده قلت قيل ذلك لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس
البرود وما له الا فرس واحد وبرد نعيم وحده قال ذلك لم يخل ناس من اهل المدينة يضاهونه ويصلون
جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه فان قلت الام رجع الى المستكن في زادهم قلت الى المقول
الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا والى مصدر قالوا
فقال كقولك من صدق كان خيرا له والى الناس اذا اريد به نعيم وحده فان قلت كيف زادهم نعيم او
مقوله ايمانا قلت لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عند النبي والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام
كان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايمان بتناصر الحجج ولان خروجهم على ان تثبيطه الى
وخمة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل وعن ابن عمر
قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل
صاحبه النار وعن عمر رضي الله عنه انه كان ياخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا وعنه لو وزن ايمان
ابي بكر رض بايمان هذه الامة لرجح به حسبنا الله حسبنا الله او كافينا يقال احسبه الشيء اذا كفاه والدليل
على انه بمعنى المحسب انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته لكونها في معنى اسم الفاعل
غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم المولى اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله وهي السلامة
وجذا العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة كقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم
سوء لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو واتبعوا رضوان الله بخروجهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم
بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطاء رايهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروي
انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم الشيطان خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم المثبط
هو الشيطان ويخوف اولياءه جملة مستانفة بيان لتثبيطه او الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر
والمراد بالشيطان نعيم او ابو سفيان ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف كما مر بمعنى انما ذلكم قول الشيطان اي
قوله بليس لعنه الله يخوف اولياءه يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه ويدل عليه قراءة بن عباس
وابن مسعود رض يخوفكم اولياءه وقوله فلا تخافوهم وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول
الله صلعم فان قلت فالام يرجع الضمير في فلا تخافوهم على هذا التفسير قلت الى الناس في قوله ان

ان كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا
يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا

ان الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافون فجاهدوا مع رسولي وسارعوا
الى ما يامركم به ان كنتم مؤمنين يعني ان الايمان يقتضي ان تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا تخشوه احدا الا الله
يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم
ارتدوا عن الاسلام فان قلت ما معنى قوله ولا يحزنك من حق الرسول ان يحزن لنفاق من نافق وارتداد
من ارتد قلت معناه لا يحزنوك لخوف ان يضروك ويعينوا عليك الا ترى الى قوله انهم لن يضروا
الله شيئا يعني انهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وبالهم
عليهم بقوله يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة او نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك
ابلغ ما خذ به الانسان نفسه فان قلت هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا في الآخرة واي فائدة في ذكر الارادة
قلت فائدته الاشعار بان الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين
سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين مريد ان لا يرحمهم
ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اما ان يكون تكريرا لذكرهم للتاكيد والتسجيل عليهم بما اضاف اليهم واما
ان يكون عاما للكفار والاول خاصا بمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام او على العكس وشيئا نصب على
المصدر لان المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر الذين كفروا فيمن قرا بالتاء نصب اما على لهم خير لانفسهم
بدل منه او ولا تحسبن اما على للكافر من خير لهم وان مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم
يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن ان املاءنا خير وكانه حقها في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت
في الامام مفصولة فلما خالفت وتتبع سنة الامام في خط المصاحف فان قلت كيف صح مجيء البدل ولم
يذكر الا احد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد قلت صح ذلك من حيث ان
التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحي من الترك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك
ويجوز ان يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال
الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وهو فيمن قرا بالياء رفع والفعل متعلق بان وما في حيزه والاملاء لهم تخليتهم
وشانهم مستعار من املاء الفرس اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو امهالهم واطالة عمرهم والمعنى
ولا تحسبن ان الاملاء خير لهم من منعهم وقطع آجالهم انما نملي لهم ما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون
الاولى وهذه جملة مستانفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل لم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا
اثما فان قلت كيف جاز ان يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى في املائه لهم قلت هو علة للاملاء
وما كل علة بغرض الا ترى تقول قعدت عن الغزو للعجز والنفقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شيء منها

الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ولا تحسبن الذين كفروا انما
نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين

مَا كَانَ اللّٰهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلٰى مَا اَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتّٰى يَمِيْزَ الْخَبِيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ
اللّٰهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَجْتَبِيْ مِنْ رُّسُلِهٖ مَنْ يَّشَآءُ فَاٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهٖ

بغرض لك وانما هي علل واسباب فكذلك ازدياد الاثم جعل علة للاملاء وسببا فيه فان قلت
كيف يكون ازدياد الاثم علة للاملاء كما كان العجز علة للقعود عن الجهاد قلت لما كان في علم الله
المحيط بكل شيء انهم مزدادون اثما فكأن الاملاء وقع من اجله وبسببه على طريق المجاز وقرأ يحيى
بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا
لهم زيادة الاثم كما يفعلون وانما هو ليتوبوا ويدخلوا في الايمان وقوله انما نملي لهم خير لانفسهم اعتراض
بين الفعل ومعموله ومعناه ان املاءنا خير لانفسهم ان عملوا فيه وعرفوا انعام الله عليهم بتنفيسه
المدة وترك المعاجلة بالعقوبة فان قلت فما معنى قوله لهم عذاب مهين على هذه القراءة قلت
معناه ولا يحسبوا ان املاءنا لزيادة الاثم وللتوبيخ والواو للحال كأنه قيل ليزدادوا اثما معدّ لهم عذاب
مهين اللام لتأكيد النفي على ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين بالمخلص والمنافقين حتى يميز الخبيث
من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز من ميز وفي رواية عن ابن كثير يميز من
اماز بمعنى ميز فان قلت لمن الخطاب في انتم قلت للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص
والنفاق كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه
لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه واخباره
باحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب وما كان الله ليؤتي احدا منكم علم الغيب فلا تتوهموا عند اخبار
الرسول بنفاق الرجل واخلاص الآخر انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها ولكن
الله يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بأن في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الاخلاص
فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات ويجوز ان يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز
الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا المخلص الذي امتحن الله قلوبهم كبذل
الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم
ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فان ذلك مما استأثر
الله به وما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب فيخبر بمضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها
ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبر ببعض المغيبات فآمنوا بالله ورسله بان تقدروه حق قدره
وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وان تؤمنوا لهم مثل ايمانهم بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله
ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء وعن السدي قال الكافرون ان كان محمد
صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر ولا تحسبن من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا اي ولا تحسبن بخل الذين

فنزلت

وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتيهم الله من فضله هو خيرا لهم

١٧١

بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُوْنَ مَا بَخِلُوْا بِهٖ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَلِلّٰهِ مِيْرَاثُ السَّمٰوٰتِ
وَالْاَرْضِ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ لَقَدْ سَمِعَ اللّٰهُ قَوْلَ الَّذِيْنَ قَالُوْٓا اِنَّ اللّٰهَ فَقِيْرٌ

يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله او ضمير احد ومن جعل فاعله
الذين يبخلون كان المفعول الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ
حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل وقرأ الاعمش بغير هو سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم اي سيلزمون
وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفيه امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاءت بحلية يسبت ويذم وقيل يجعل
ما بخل به الزام الطوق من الزكوة حية يطوق بها في عنقه يوم القيامة تنهش من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه
وتقول انا مالك وعن النبي صلى الله عليه وسلم في مانع الزكوة يطوق بشجاع اقرع وروي تلدغ بشجاع اسود وعن الفعي سيطوقون
يطوق من نار ولله ميراث السموات والارض اي ولله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون
عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقرئ بما تعملون بالتاء
والياء فالتاء على طريق الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر قال ذلك اليهود حين سمعوا قول
الله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلوا اما ان يقولوا على اعتقاد لذلك او على استهزاء بالقرآن
وايهما كان فالكلمة عظيمة لا يقدر رسول الله على تمردين في كفرهم ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له
كفاءه من العقاب سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لانتساخه كما يثبت المكتوب
فان قلت كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب في هذا قيل ولقد كتبنا قلت ذكر وجود السماع
اولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لنعاقبنا ابدا اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم
الانبياء وجعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بأنه في العظم اخواه وبأن هذا ليس باول ما ارتكبوه من العظائم
وانهم اصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى عامر بن فنحاص يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة
وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص لليهودي ان الله فقير حين سألنا القرض
فلطمه ابو بكر في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكا الى رسول الله وجحد
ما قاله فنزلت ونحو قولهم يد الله مغلولة ونقول لهم ذوقوا ونلتقم منهم بان نقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب
الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه احس وذق وقال ابو سفيان لحمزة رضي ذق عقق
وقرأ حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء وقرأ الحسن والاعمش سيكتب
بالياء وتسمية الفاعل وقرأ ابن مسعود ويقال ذوقوا وذلك اشارة الى ما تقدم من عقابهم وذكر الايدي
لان اكثر الاعمال يزاولن بهن فجعل كل امر كالواقع بالايدي على سبيل التغليب فان قلت فلم عطف قوله
وان الله ليس بظلام للعبيد على ما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شيئا كالجزاء لجرائم السيئات

الهنة العيش

وبحق انبياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد

الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ
قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ

في استحقاق التعذيب قلت معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم ومن العدل ان يعاقب المسيء منهم
ويثيب المحسن عهد الينا امرنا في التوراة واوصانا بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الآية الخاصة وهي
ان يؤتينا قربانا تنزل نار من السماء فتأكله كما كان انبياء بني اسرائيل تلك آيتهم كان يقرب بالقربان فيقوم النبي
فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لم يأكل النار القربان لم يجب الايمان للرسول
الآتي به لكونه آية ومعجزة فهو اذن وسائر الآيات سواء فلا يجوز ان يعينه الله من بين الآيات وقد
الزمهم الله ان انبياءهم جاءوهم بالبينات الكثيرة التي اوجبت عليهم التصديق وجاءوهم ايضا بهذه التي
اقترحوها فلم قتلوهم ان كانوا صادقين في ان الايمان لازم لهم بآياتها وقرئ بقربان بضمتين وبضمة
السلطان فان قلت ما معنى قوله وبالذي قلتم قلت معناه وبمعنى الذي قلتموه من قولكم
قربان تأكله النار وموداه كقوله ثم يعودون لما قالوا اي لمعنى ما قالوا في مصاحف اهل الشام وبالزبر وهي
الصحف والكتاب المنير التوراة والانجيل والزبور وهذه تسلية لرسول الله من تكذيب قومه وتكذيب
اليهود وقرأ اليزيدي ذائقة الموت على الاصل وقرأ الاعمش ذائقة الموت بطرح التنوين
مع النصب كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا فان قلت كيف اتصل به قوله وانما توفون اجوركم قلت
اتصاله به على ان كلكم تموتون لا بد لكم من الموت ولا توفون اجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما
توفونها يوم قيامكم عن القبور فان قلت فهذا يوهم لغير ما يروى ان القبر روضة من رياض الجنة
او حفرة من حفر النيران قلت كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها
تكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الاجور الزحزحة التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة
فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به والظفر بالبغية للفوز وركب النجاة من سخط الله
والعذاب المرصد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما تذكر به عندك الفوز في المآب وعن
النبي صلعم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر
ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق العباد شبه الدنيا بالمتاع الذي
يدلس على المستام ويخدع حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن
جبير انما هذه لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ حوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم
على احتمال ما يلقون من الاذى والشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها لقوها وهم مستوثقون لا يدهشهم ما
يرهق من يصيبه الشدة فينكرها وتتمرن منها نفوسهم والبلاء في الانفس القتل والاسر والجراح وما يرد عليها
من انواع المخاوف والمصائب وفي الاموال الانفاق في سبيل الله وما يقع فيها من الآفات وما يصعب من اعمال التجارات

فَإِنْ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ
وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ

وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَإِذْ أَخَذَ
اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ

المطاعن في الدين الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف من هجائه
لرسول الله صلعم وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير فان ذلك فان الصبر والتقوى
من عزم الامور من معزومات الامور او مما يجب العزم من الامور او مما عزم الله ان يكون يعني ان ذلك
عزم من عزمات الله لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا واذ اخذ الله واذكر وقت اخذ الله ميثاق اهل الكتاب
لتبيننه الضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل
له الله لتفعلن فتبدوه وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق الكتاب وتأكيد عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ
وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه نصب عينه والقاه بين عينيه ويفيد دليلا على انه مأخوذ على
العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تهييل على الظلمة وتطييب لنفوسهم
واستجلاب لمسراتهم او لجر منفعة وحطام دنيا او لتقية فما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيره ان ينسب
اليه غيرهم وعن النبي صلعم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس ان قال لوهب اني اريت الله سوف
يعذبك بهذا الكتاب فقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد
من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي رض ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا
حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وقرئ ليبيننه ولا يكتمونه بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله
وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن ولا تحسبن خطاب لرسول الله واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني
بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقدير لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فايذين وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء على
خطاب المؤمنين ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما على ان الفعل للرسول وقرأ ابو عمرو بالياء وفتح الباء
في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا
يحسبن انفسهم الذين يفرحون فايزين فلا يحسبنهم تأكيد ومعنى بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال
الله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا لقد جئت شيئا فريا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى اعطوا
ومن على ربه ما اوتوا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة روي ان رسول الله صلعم سأل اليهود عن شيء في التورية فكتموه اياه
الحق واخبروه بخلافه وارووه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل
من وعيدهم لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق
مما سألتهم ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما اوتوا بما اوتوا من علم التورية وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمانهم
رسول الله ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابراهيم حيث ادعوا ان ابراهيم كان على اليهودية وانهم على دينه وقيل
انهم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله فلما قفل اعتذروا اليه بانهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا اليه بترك الخروج

طهوره هو ولا تشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم

صادقين فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ

وقيل هم المنافقون يفرحون بما أتوا من اظهار الايمان للمسلمين وما فقهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويحبون ان يحمدوا بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لاباطنهم الكفر ويجوز ان يكون شاملا لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا بالديانة والزهد وبما ليس فيه ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم وهو على كل شيء قدير فهو قادر على عقابهم لاياتي دلالة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته لاولي الالباب الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب النظر وفي التصاريح الصفاء اشارة عينيك من زينة هذه الكواكب واجلها في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا في حكمة مدبرها قبل ان يشارف بك الفناء ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر رضي الله عنهما اخبرني بأعجب ما رأيت من رسول الله صلعم فبكى واطال ثم قال كل امره عجب اتاني في ليلتي فدخل معي في لحافي حتى جلد جلدي ثم قال ذريني اتعبد ربي الليلة في عبادة فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب ما سرك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال وما لي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلعم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض وحكي ان الرجل من بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلاثين سنة اظلته سحابة فعبدها فمكث ثلاثين سنة فلما نسيانهم نام فقالت له امه لعله اخطأ فرطت منك في مدتك قال ما اذكر قالت لعلك نظرت من تحت السماء ولم تنظر من قال لعل قال فما اذيت الا من ذلك يذكرون الله ذكرا دائما على اي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر في اغلب احوالهم وعن ابن عمر رضي الله عنه وعروة بن الزبير وجماعة انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم اما قال الله يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم وعن النبي صلعم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون في هذه الاحوال على حسب استطاعتهم قال رسول الله صلعم لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومئ ايماء وهذه حجة للشافعي رحمه الله في اضجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعند ابي حنيفة رحمه الله يستلقي حتى اذا وجد خفة قعد ومحل على جنوبهم نصب على الحال عطفا على ما قبله كانه قيل قياما وقعودا ومضطجعين ويتفكرون في خلق السموات والارض ويأبى عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها

الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض

رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ
النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا

وما ذهب فيها تأمل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شأن الصانع وكبرياء سلطانه وعن سفيان الثوري انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع رأسه الى السماء فلما رأى الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبي صلعم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم والسماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال النبي صلعم عبادة كالتفكر وقيل التفكر تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل احسان ولا استنارت بمثل الفكر وروي عن النبي صلعم تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو على القلب لا في احد لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول او يقولون ذلك وهم في محل الحال يعني يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو ان تجعله مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصله قوله فقنا عذاب النار جزاء من يخلق ولم يطع فان قلت هذا اشارة الى ما فما قلت الى المخلوق على ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون في مخلوق السموات والارض او فيما خلق منها ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض لانها في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وان يخلق شيئا بغير حكمة فقنا اخزيته فقد اخزيته فقد بالغت في اخزائه وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه كلامهم من اراد كرم الصمان فقد اراد كل ومن سقى فلانا فقد سقى وما للظالمين اللام اشارة الى من يدخل النار والعلم بان من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته وجعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره ولو ذكر الوصف او الحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان او قوله فان قلت فاي فائدة في الجمع بين المنادي ويناديه قلت ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشأن المنادي ثم ارسال منادي اعظم من منادي ينادي للايمان ونحو قولك مررت بهادي يهدي للاسلام وذلك ان المنادي اذا اطلق ذهب الوهم الى منادي للجنب او لطفاء النائبة او لاغاثة المكروب او لكفاية بعض النوائل او لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق ويهدي لسداد الرأي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت من شأن المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا وليكذا وندبه له واليه وناداه له واليه وذلك ان معنى الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادي هو الرسول ادعوا الى الله ادعو الى سبيل ربكم وعن محمد بن كعب القرظي ان آمنوا اي آمنوا او بان آمنوا ذنوبنا كبائرنا سيئاتنا صغائرنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم مورودين في جملتهم

ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار

رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ
الْمِيعَادَ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ

والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب على رسلك على هذه صلة الوعد في قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك الى قوله كيف اتبع ذلك المنادي للايمان وهو الرسول وقوله آمنا وهو التصديق ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل يحملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الاعداء فان قلت كيف دعوا الله بانجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد وهو باب من التجاء الى الله والخضوع له كما كان الانبياء عليهم السلام يستغفرون مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه والالتجاء اليه والذل بين سيماء العبودية يقال استجاب له واستجابه فلم يستجبه عند ذلك يجيب اني لا اضيع قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة القول وقرئ لا اضيع بالتشديد من ذكر او انثى بيان للعامل بعضكم من بعض او بجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الآخر من اصله او كائنة منه لغرط اتصالكم به واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروي ان ام سلمة قالت يا رسول الله ايذكر الله الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين علموا هذه الاعمال السنية الفايقة وهم المهاجرون عن اوطانهم فارقوا اهليهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشأوا بما ساءهم المشركون من الخسف والاذى في سبيلي من اجلي وبسببي يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا وغزوا المشركين واستشهدوا وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا بالتشديد وقتلوا بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل ثوابا في موضع المصدر المؤكد يعني اثابة او تثويبا من عند الله لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم وعنده بمثل او يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه به وملكه وان لم يكن بحضرته وهنا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يتوسل اليه ويتضرع وتكون ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وحسن الاثابة من اجتماع المشاق في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع اطماع الكسالى المتهتكين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا اليه بالدول بالجهل والغباوة وروي عن جعفر الصادق رض من جهد بدا من فقال خمس مرات ربنا انجاز الله ما خاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية وعن الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رفع الدعاء وما يستجاب به فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلعم او لكل احد او لا تنظر الى ما هم عليه

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ

قوله على ارادة القول يعني وقال انه لا اضيع

مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ

سعة الرزق والمتقلب مذهب ودرك العاجل واصابة حظوظ الدنيا ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الارض وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس رض هم اهل مكة وقيل هم اليهود روي ان ناسا من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فان قلت كيف جاز ان يغتر رسول الله بذلك حتى ينهى عن الاغترار به قلت فيه وجهان احدهما ان يتبع القوم ومقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم والثاني ان رسول الله كان يغضو ويحاذر فاكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين فلا تطع المكذبين وهذا في النهي نظير قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين آمنوا آمنوا وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لان التقلب لو غر لاغتر به فمنع السبب ليمنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر مبتدا محذوف او ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد اراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة او في جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب او اراد انه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل قال رسول الله صلعم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع وبئس المهاد وشأ ما مهدوا لانفسهم النزل والنزل ما يقام للنازل قال ابو النجم الضبي وكنا اذا جاء الجبان بالجيش ضفنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز ان يكون بمعنى مصدر كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله وما عند الله من الكثير الدايم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزايل وقرأ وسلمة بل مجارب والاعمش نزلا بالتسكين وقرأ يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد وان من اهل الكتاب عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عم فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى اصحمة عطية بالعربية وذلك انه لما مات نعاه جبريل الى رسول الله صلعم فقال لهم اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع وظهر له سرير الى ارض الحبشة فابصر سريره فكبر اربعا وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما كقوله وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان من في معنى الجمع لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من احبارهم وكبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم او ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعدوه في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين يؤتكم كفلين من رحمته ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الاجر ويجوز

وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب

يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

ان يراد ان ما توعدون آت قريب بعد ذكر الموعد اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا اعداء الله في الجهاد او غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب كانوا اقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا للشدة وصعوبته ورابطوا واقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو بما امكنكم من رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلعم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لم يفطر ولا ينتقل عن صلوته الا لحاجة عن رسول الله صلعم من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرأ التوراة التي يذكر فيها الاعمال يوم القيامة صلى الله وملائكة

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس يا بني آدم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل واحد وهو نفس آدم ابيكم فان قلت علام عطف قوله وخلق منها منها زوجها قلت فيه وجهان احدهما ان يعطف على محذوف كانه قيل من نفس واحدة انشاها وابتدأها وخلق منها زوجها وانما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها ومن انه انشاها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من اضلاعها وبث منهما نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفهما بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها والثاني ان يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا أيها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلعم والمعنى خلقكم من نفس آدم لانهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الماضية فان قلت الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وحسن التأليف ان يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يوجبها او يدعو اليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكر موجبا للتقوى وداعيا اليها قلت لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على شيء كان قادرا على كل شيء ومن اعتقد ان عقاب العصاة في الآخرة يؤدي الى ان يتقي العقاب عليه ويخشى عقابه ولا يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها او اراد بالتقوى تقوى خاصة وهي ان يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث خلقكم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لما في السورة وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو خالق تساءلون به تتساءلون به فادغمت التاء في السين وقرئ تساءلون بطرح التاء الثانية او يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وانا شدك الله والرحم او تسألون غيركم بالله

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ

والرحم فقيل تتعاطفون موضع تتعاطفون للجمع كقولك رأيت الهلالين وترآءيناه وتنصره قراءة من قرأ تساءلون به مهموزا وغير مهموز وقرئ والارحام بالرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والارحام امامكم او ان تعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وتنصره قراءة ابن مسعود وبه تساءلون والارحام والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لان الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد فكما لا في قولك مررت به وبزيد وهذا غلام زيد شديد الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره اشبها العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجبت تكريره الخافض كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد الا في ضرورة قوله فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والايام من عجب والرفع على انه مبتدأ خبره محذوف كانه قيل والارحام كذلك على معنى والارحام مما يتقى او والارحام مما يتساءل به والمعنى انهم كانوا يقدمون بالرحم خالقا وكانوا يتساءلون بذلك الله والرحم فقيل لهم اتقوا الله الذي خلقكم واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الارحام فلا تقطعوها او واتقوا الله الذي تتعاطفون بذكره وبذكر الرحم وقد آذن الله عز وعلا اذ قدم الارحام باسمه ان صلتها مسببة بمكانه كما قال تعالى تعبدون الا اياه وبالوالدين احسانا وعن الحسن اذا سألك بالله فاعطه واذا سألك بالرحم فاعطه وللرحم حجنة عند العرش وعنه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل نشف به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه السلام لتخبروا لتطلقوا فقال يقول لا تزوجوهن وذلك ان يضع ولد في الحلال لم تسع قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام واول صلته ان يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فانما للعاهر الحجر ثم يختار له الصحة ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله اليتامى الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الدرة اليتيمة والدرة اليتيمة وقيل اليتم في الآدميين من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الامهات فان قلت لم يفصح اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى قلت فيه وجهان ان يجمع على يتمى كما مرضى لان اليتم من وادي الآفات والاوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كاسارى وبحوز ان يجمع على فعايل لجريان اليتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس فيقال يتايم ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل وقام عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله صلعم يتيم ابي طالب اقبالا على القياس واما حكاية للحال التي كان عليها صغيرا شيئا في حجره توضيحا له واما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فما هو الا تعليم شريعة لا لغة يعني انه اذا احتلم لم يجر عليه احكام الصغار فان قلت فما معنى قوله وآتوا اليتامى اموالهم قلت

وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ
حُوبًا كَبِيرًا وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا

اما ان يراد باليتامى الصغار وبايتائهم الاموال ان لا يطمع فيها الاولياء والاوصياء وولاة السوء
وقضاته ويكفوا عنها ايديهم الخاطفة حتى يأتي اليتامى اذا بلغوا سالمة غير مجذوذة واما ان يراد
الكبار تسمية لهم يتامى على القياس او لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها
على ان فيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان اونس منهم الرشد قبل ان
يزل عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ
طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلعم فنزلت فلما سمعه العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله
من الحوب الكبير فدفع ماله اليه فقال النبي صلعم ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل له ان يعيش جنته
فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي صلعم ثبت الاجر وبقي الوزر قالوا يا رسول الله
قد عرفنا ان ثبت الاجر كيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال علم ثبت اجر الغلام وبقي الوزر على والده ولا
تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو ماكلكم وما ابيح لكم من المكاسب
ورزق الله المبثوث في الارض فتأكلوه مكانه او لا تتبدلوا الرديء الخبيث وهو اختلاط اموال اليتامى بالرديء
الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز مثل التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر
بمعنى الاستيخار قال ذو الرمة فياكرم السكن الذين تحولوا عن الدار والمستخلف المتبدل اراد ويا لؤم
ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو ان يعطي رديا ويأخذ جيدا وعن السدي ان يجعل شاة سمينة مكان
مهزولة وهذا ليس بتبدل انما هو تبديل الا ان يكاد صريحا فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي
ولا تأكلوا اموالهم حالا اموالكم ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها اليها في الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم
واموالهم قلة مبالاة بحال الطفل لكم وتسوية بينه وبين الحلال فان قلت قد حرم عليهم اكل مال اليتامى
وحدا مع اموالهم فلم ورد النهي عن اكله معها قلت لانهم اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم
الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح ابلغ والذم احق ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعي عليهم
فعلهم وقبح بهم ليكون ازجر لهم والحوب الذنب العظيم ومنه قوله علم ان طلاقا ام ايوب لحوب فكانه قيل
انه كان ذنبا عظيما كبيرا وقرأ الحسن حوبا بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا ونظيره
الحوب والحاب القول والقال والطرد والطرد ولما نزلت الاية في اليتامى وما فيه اكل اموالهم من الحوب الكبير
خاف الاولياء ان يلحقهم الحوب بترك الاقساط في حقوق اليتامى واخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل
منهم ربما كانت تحته العشر من الازواج والثمان والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم
ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقلوا عدد المنكوحات لان من

وان يؤتوها

مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ

تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لانه انما وجب ان يتحرج من الذنب
ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى
فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تجمعوا جمعا حرمات وقيل كان
الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن
فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم ان لا تقسطوا في
يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال للاناث اليتامى كما يقال وهو جمع يتيمة على القلب
كما قيل ايامى والاصل ايايم وستايم وقرأ النخعي تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها في ليلا يعلم يريد
وان خفتم ان تجوروا ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لان من ما جنح كالتي في آية التحريم وقيل ما ذهابا
الى الصفة ولان الاناث من العقلاء نحت مجرى العقلاء ومنه قوله او ما ملكت ايمانكم مثنى وثلاث
ورباع معدولة عن اعداد مكررة وانما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغتها وعدلها عن
تكررها وهي كلمات يعرفن بلام التعريف تقول فلان ينكح فالثلاث والرباع ومجامعهن النصب على الحال معنا
طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد مثنى مثنى وثلاث ثلاثا واربعا اربعا فان قلت
الذي اطلق للناكح في الجمع ان يجمع بين ثلاثة او ثلاث او اربع فما معنى التكرير في مثنى وثلث ورباع قلت
الخطاب للجمع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذي اطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا
هذا المال وموالف درهم درهمين درهمين وثلثة ثلثة واربعة اربعة ولو افردت لم يكن له معنى فان قلت
فلم جاء العطف بالواو دون او قلت كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا
هذا المال درهمين درهمين او ثلثة ثلثة او اربعة اربعة اعلمت انه لا يسوغ لهم ان يقتسموه على احد انواع هذه
القسمة وليس لهم ان يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز
الجمع بين انواع القسمة التي دلت عليه الواو وتجويز ان الواو دلت على اطلاق ان ياخذ الناكحون من اراد واحد
نكاحها من النساء على طريق الجمع ان شاؤا مختلفين في تلك الاعداد وان شاؤا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء
ذلك وقرأ ابراهيم وثلث وربع على القصر من ثلث ورباع فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد كما
خفتم ترك العدل فيما فوقها فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع ناسا فان الامر كله يدور مع العدل
فاينما وجدتم العدل فعليكم وقرئ فواحدة بالرفع على الملتفع واحدة او فكلمة واحدة او فحسبكم واحدة
او ما ملكت ايمانكم سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري
انهن اقل تبعة واقصر شغبا واخف مؤنة من الامهات الا عليكم اكثرت منهن ام اقللت عدلت بينهن في القسم ام لم تعدل

ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ

عزلت عنهن ام لم تعدل وقد ابن ابي عبلة من ملكت ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسرى ادنى
الا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان هو لا اذا مال ومنه ان فلان عايل وعال الحاكم
في حكمه اذا جار وروي ان اعرابيا حاكم عليه حاكم فقال له اتعول علي وقد روت عايشة رض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا تعولوا الا تجوروا والذي حكي عن الشافعي رض انه فسر الا تعولوا الا تكثر عيالكم فوجهه ان يجعل من قولك عال الرجل
عياله يعولهم كقولك عانهم يعونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة
على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام العلم وايمة الشرع ورؤس المجتهدين حقيق
بالحمل على الصحة والسداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا وقد روي عن عمر بن الخطاب رض لا تظنن
بكلمة خرجت من فيّ اخيك سوءا وانت تجد لها في الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي
شاهدا بانه كان اعلى كعبا واطول باعا في علم كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا واساليب
فيسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات فان قلت كيف يقال عيال من تسرى وفي التسري نحو ما
في الهمايين قلت ليس كذلك لان الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري ولذلك جاز العزل
عن التسري بغير اذنهن فكان المتسري مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوج الواحدة بالاضافة
الى تزوج الاربع وقد اعطاء وس ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير
الشافعي رض من حيث المعنى الذي قصده صدقاتهن مهورهن وفي حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة
وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن وصدقاتهن بضم الصاد وسكون
الدال جمع صدقة بوزن غرفة وقرئ صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة كقولك
في ظلمة ظلمة نحلة من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة او نحلا ومنه حديث ابي بكر رض الحق
انت نحلتكه جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكانه قيل
وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة او اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحال من المخاطبين
او آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات او منحولة معطاة عن طيبة
الانفس وقيل النحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة ونحلة الاسلام
خير النحل وفلان ينتحل كذا او يدين به والمعنى آتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول له او يجوز ان يكون
حالا من الصدقات اي دينا من الله شرعه وفرضه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا
يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك الناشئة لمن تولد لك هنت يعنون ناخذ مهرها فتنفع به
بالكل او تعظمه الضمير منه جاء بجمع اسم الاشارة كانه قيل عن شيء من ذلك كما قال الله تعالى قل أؤنبئكم بخير

نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي

من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من افواه العرب ما روي عن روبة انه قيل له في قوله كانه في الجلد
توليع البهق فقال اردت كانه ذاك او يرجع الى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق لانك لو قلت وآتوا
النساء صدقاتهن لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله فاصدق وكن من الصالحين لانه في الاصل اصدق بجزوما فلما
جاء بالفاء نصبه فعطف وكن على اصل اصدق لان الفاء عارضة كانه قيل اصدق ونسا تمييز وتوحيدها لان
الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات
غير مخبثات بما يضطر من اليه الهبة من مكافاة اخلاقكم وسوء معاشرتكم فكلوه فانفقوه قالوا فان وهبت له
ثم طلبت منه بعد الهبة علم انها لم تطب نفسا وعن الشعبي ان رجلا اتى مع امراته شريحا في عطية اعطتها
اياه وهي تطلب ان ترجع فقال الرجل اليس قد قال الله تعالى فان طبن لكم قال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه
ومنه اقيلها فيما وهبت ولا اقيله من تحدثني وحكي ان رجلا من آل ابي معيط اعطته امراته الف دينار صداقا
كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمه الى عبد الملك بن مروان فقال الرجل اعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد
الملك فاين الآية التي بعدها فلا تاخذوا منه شيئا ارددن عليها وعن عمر رض انه كتب الى قضاته ان النساء
يعطين رغبة ورهبة فايما امراة اعطت ثم ارادت ان ترجع فذلك لها وعن ابن عباس رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل
عن هذه الآية فقال هي اذا جادت لزوجها بالعطية طايعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يواخذكم الله تعالى
به في الآخرة وروي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يرجع احدهم في شيء مما ساق الى امراته فقال الله تعالى ان طابت
نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة فكلوه سائغا هنيئا وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط
حيث بنى الفرض على طيب النفس فقيل فان طبن ولم يقل فان وهبن او سمحن اعلاما بان المراعى هو تجافي نفسها
عن الموهب طيبة وقيل فان طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فان طبن لكم عنها معنا هو تحليل الموهب ومن
الليث بن سعد لا يجوز تبرعها الا باليسير ومن الاوزاعي لا يجوز تبرعها اما لم تلد او تقيم في بيت زوجها سنة ويجوز
ان يكون تذكير الضمير لينصرف الى الصداق الواحد فيكون مثنا ولبعضه ولو انث لتناول ظاهره جملة الصداقات كلها
لان بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا الهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص
فيه وقيل الهنيء ما يلذ به الآكل والمريء ما يحمد عاقبته وقيل هو ما يتساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام من
الحلقوم الى رأس المعدة المريء لمرور الطعام فيه وهو انثياعه ومما وصف به المصدر اذا كلا هنيئا مريئا او حال من الضمير
في كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين
كانه قيل هنئا مرئا وتنكيرهما عن التقليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة السفهاء المبذرون اموالهم الذين
ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدري لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء واضافة الاموال اليهم لانها

قال الشيخ رد عليه

جَعَلَ اللّٰهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا
وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ

من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم فما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات
والدليل على انه خطاب للاولياء في اموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم جعل الله لكم قياما او تقومون
بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكانها في انفسها قيامكم وانتعاشكم وترك حسنة قيما يعني قياما كما
جاء جودا يعني عياذا وقرأ عبد الله بن عمر رضي قواما بالواو وقوام الشيء ما يقام به كقولك هو ملاك الامر
لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اتركك مالك تحت يدي الله عليه خير من ان احتاج الى
الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بنو العباس وعن غيره وقيل له انك تذكر
من الدنيا قال ليس اذكر من الدنيا لقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج
احدكم كان اول ما يأكل دينه ورتما اوجد في جنازة فقالوا له اذهب ليلا ذكائك وارزقوهم فيها واجعلوها
مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى يكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فلا يأكلها الانفاق وقيل
هو امر لكل احد ان لا يخرج ماله الى احد من السفهاء فيسب او احمق او امرأة يعلم انه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده
قولا معروفا قال ابن جريج عدة ان رشدتم سلمنا اليكم اموالكم وعن عطاء اذا ربحت اعطيتك وان غنمت
في غزاتي جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن حسن وجبت عليك نفقة فقل عافانا الله واياك بارك الله فيك
وكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته ونفرت منه لقبحه
فهو منكر وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم وذوقوا اموالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا تبينتم
منهم رشدا اي هداية دفعتم اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ وبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح
عنده والطلب حاله مقصود به وهو التوالد والتناسل والايناس الاستيضاح فاستعير للتبين واختلف
في الابتلاء والرشد فالابتلاء عند ابي حنيفة واصحابه ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يحسن منه
والرشد التهدي الى وجوه التصرف وعن ابن عباس رضي الصلاح في العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعي
الابتلاء ان يتتبع احواله وتصرفه في الاخذ والاعطاء ويتفحص مخايله وميله الى التمرن والرشد الصلاح في الدين
لان الفسق مفسدة للمال فان قلت فان لم يؤنس منه رشد الى حد البلوغ قلت عند ابي حنيفة
رض ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان مدة بلوغ الذكر بالسن ثمانى عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة
معتبرة في تقدير احوال الانسان لقوله عليه السلام مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشدا او لم يؤنس وعند
اصحابه لا يدفع اليه بعد البلوغ بايناس الرشد فان قلت ما معنى تنكير الرشد قلت معناه نوعا من
الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد ومخايله من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد فان قلت
كيف نظم هذا الكلام فان قلت ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها

مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ
كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ

الجمل كالتي في قولك فارقت القتلى تجر دماؤها بدجلة ماء دجلة اشكل والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية
من اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط يبلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم
جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى
وقت بلوغهم فان استحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد وقرأ ابن مسعود فان احسستم
قال احسن به فمن اليه تنوس وقرئ بفتحتين ورشدا بضمتين اسرافا وبدارا مسرفين ومبادرين
كبرهم اي اسرافكم ومبادرتكم كبرهم تقولون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فيستردوها
من ايدينا ثم قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعفف عن اكلها
ولا يطمع ويقتنع بما رزقه الله من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير يأكل قوتا مقدرا
محتاطا في تقديره على وجه الاجرة او استقراضا على ملاءة ذلك من الاختلاف ولفظ الاكل بالمعروف
والاستعفاف مما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها وعن النبي صلعم ان رجلا قال له اني جرد
يتيما افاكل من ماله قال اطعم بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله فقال افاضربه قال مما كنت
ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس رض ان ولي اليتيم قال له اني اشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي
ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جربانها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في
الحلب وعنه يضرب بيده مع ايديهم فليأكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابراهيم لا يلبس
الكتان والخلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم القرمة ويتبزل
نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول
عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر اداه وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب
فضل اللبن وركب الظهر وليس ما يسره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر
تأجل وعن عمر بن الخطاب رض اني انزلت نفسي من مال الله منزلة والي مال اليتيم ان استغنيت استعففت
وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعف ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة
فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك بعد من التخاصم والتجاحد وادخل
في الامانة وبراءة الساحة الا ترى انه اذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه
وعند مالك والشافعي لا يصدق الا بالبينة فكان في الاشهاد استحباب من توجه الحلف المفضي الى التهمة
او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض فعليكم
بالتصادق واياكم والتكاذب للاقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم مما قل منه او كثر

فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا للرجال نصيب
مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر
نصيبا مفروضا

نَصِيبًا مَفْرُوضًا وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم
مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا

بدل من مما ترك بتكرير العامل ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مفروضا مقطوعا
واجبا لهم من ان يجوزوه ولا يستاثروا به ولا يستأثر به ويجوز ان ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله
فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة روي ان اوس بن صامت الانصاري ترك امرأة ام كحة وثلث بنات
فزوى ابناعمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكانوا اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاصاغر
ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلعم في مسجده
الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما ان لا تغيرا من مال اوس شيئا
فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين
والباقي ابني العم واذا حضر القسمة او قسمة التركة اولوا القربى من لا يرث فارزقوهم منه الضمير للمال
الوالدان والاقربون وهو امر على الندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم
هؤلاء فرضخوا بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله تعالى على ذلك تاديبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة
لضرب له حد ومقدار كما غيره من الحقوق وروي ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر رضي قسم ميراث
ابيه وعائشة رضي الله عنها حية فلم يدع في الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الآية وقيل هو على الوجوب
وقيل هو منسوخ بآية الميراث كالوصية عن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها
مما تهاون به الناس والقول المعروف ان يلطفوا لهم قولا ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم
ويستقلوا ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعي ادركنا الناس وهم يقتسمون على القرابات
والمساكين واليتامى من العين يعني اناء الورق والذهب فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين
وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم لوح ما في حين صلة للذين والمراد بهم الاوصياء امروا
بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم
عليهم وان يقدروا ذلك في انفسهم ويتصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون الخطاب
على اليتامى من الضياع ويقال هم الذين مجلسوه الى المريض فيقولون ان ذنبك لا يغفره عنك من الله شيئا فقدم مالك
يستغرقه بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم انهم لو كانوا
ويجوز ان يتصل بما قبله وان يكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء اقاربهم واليتامى
والمساكين وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضايعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الجوع
والخيبة فان قلت ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين قلت معناه وليخش الذين
صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب

خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا لهم

١٢٩

سَدِيدًا إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا
وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ

كانهم وكانهم كما قال الخنساء خلفتهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع
لقد زاد الحوادث الى جنابي انحن من الضعاف اجاذراه يرين اليوم بعدي وان يشربن رنقا بعد صافي
وقرئ ضعفاء وضعفى كسكارى وسكارى والقول السديد من الاوصياء ان لا يوبخوا اليتامى ويكلموهم
كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم يا بني ويا ولدي ومن الجالسين الى المريض ان يقولوا
له اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف باولادك مثل قول رسول الله لسعد اتك ان تترك ولدك اغنياء
خير من ان تتركهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون ان لا يبلغ الوصية الثلث وان
الخمس افضل من الربع والربع من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم ان يلطفوا القول ويهلوه للحاضرين ظلما ظالمين
او على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته في بطونهم ملاء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال
كلوا في بعض بطنكم تعفوا ومعنى يأكلون نارا يأكلون ما يجر الى النار فكانه نار في الحقيقة وروي انه يبعث
آكل مال اليتيم يوم القيمة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل
مال اليتيم في الدنيا وقرئ سيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها سعيرا نارا من النيران جهنم
الوصف يوصيكم الله يعهد اليكم ويأمركم في اولادكم في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال
تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر والانثى حظ
الذكر قلت ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولان قوله للذكر مثل حظ الانثيين
قصد الى بيان فضل الذكر وقوله للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى ما كان قصدا الى بيان فضله
كان ادل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره عنه ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود
الآية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتماحكوا في حظهن حتى يجرمن مع الاخوة من القرابة
بمثل ما يدلون به فان قلت فان حظ الانثيين الثلثان فكانه قيل للذكر الثلثان قلت
اريد حال الاجتماع لا الانفراد واذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين والمعنى حال الانفراد
فالابن يأخذ المال كله والبنتان تأخذان الثلثين والدليل على ان الفرض حكم الاجتماع انه اتبعه حكم الانفراد
وهو قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم فحذف الراجع اليه لدلالة
مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم فان كن نساء فان كانت البنات او المولودات نساء خلصا ليس معهن
رجل يعني بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين يجوز ان يكون خبرا ثانيا لكان وان يكون صفة للنساء واو نساء زائدة
على اثنتين وان كانت واحدة وان كانت البنت او المولودة واحدة منفردة فلها النصف ليس معها اخرى فلها
النصف وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والتاء بالنصب وفق لقوله فان كن نساء وقرأ

وضعافا في م

نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف

وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ

ثبت بين ثابت النصف بالضم والضمير في ترك للميت لان الآية لما كانت في الميراث علم ان التاء للميت فان قلت قوله للذكر مثل حظ الانثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الاولاد لا لبيان حظ الانثيين فكيف صح ان يرد قوله فان كن نساء وهو لبيان حظ الاناث قلت وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا انه طابقه شيء وتبين حظ الانثيين مع اخيهما كان كانه مسوق للامرين جميعا فلذلك صح ان يقال فان كن نساء قال فان قلت هل يصح ان يكون الضمير ان في كن وكانت مبهمين ويكون نساء واحدة تفسيرا لهما على ان كان تامة قلت لا ابعد ذلك فان قلت لم قيل فان كن نساء ولم يقل وان كانت امرأة قلت لان الغرض ثم خلوصهن اناثا لا ذكر فيهن ليتبين بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الانثيين وبين انفرادهن واريد ههنا ان يتبين بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها فان قلت قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن ولم يذكر البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما بالهم لم يذكره قلت اما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس ابى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله فان كن نساء فوق اثنتين فاعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف واما سائر الصحابة فقد اعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قد دل على ان حكم الانثيين حكم الذكر وذلك ان الذكر كما يجوز الثلثين مع الواحدة فالانثيان كذلك يجوز الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قيل فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فان كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للانثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكنهن لئلا يعلم ان حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل ان البنتين استرحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما اوجب الله للاختين ولم يريدوا ان يقصروا بهما عن حظ من هما بعد رحما منهما وقيل ان البنت لما وجب لها مع اخيها الثلث اذا كانت مع اخت مثلها ويكون لاختها معها مثل ما يجب لها كان يجب لها ايضا مع اخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان وابويه الضمير للميت ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على السوية وعلى خلافها فان قلت هلا قيل ولكل واحد من ابويه السدس وما فائدة في ذكر الابوين اولا ثم في الابدال قلت لان في الابهام والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا وتشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير والسدس مبتدأ خبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن والولد يقع

كانت اجرى ان يجب لها النصف

على الذكر والانثى ويختلف حكم الابوين في ذلك فان كان ذكرا اقتصر بالاب على السدس وان كان ابنة عصب مع اعطاء السدس فان قلت قد بين حكم الابوين في الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلامه الثلث واي فائدة في قوله وورثه ابواه قلت معناه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث فما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس مما ترك لانه اذا ورثه ابواه كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس رض والمعنى ان الابوين اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت ما العلة في ان كان لها ثلث ما بقي دون ثلث المال قلت فيه وجهان احدهما ان الزوج انما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية في قسمة ما وراءه والثانية خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا بين الامرين فلو ضرب لها الثلث كحالة الرد اي حط نصيبه عن نصيبها الا ترى ان امرأة لو تركت زوجا وابوين خطا للزوج النصف وللام الثلث والباقي للاب جازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم اليه ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين فان كان له اخوة فلامه السدس الاخوة يحجبون الام عن الثلث وان كانوا لا يرثون مع الاب فيكون لها السدس وللاب خمسة الاسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا عند ابن عباس رض وعنه انهم يا خذون السدس الذي حجبوا عنه الام فان قلت فكيف صح ان يتناول الاخوة الاخوين والجمع خلاف التثنية قلت الاخوة في الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في افادة الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق بقول الاخوة عليه وقد روي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للهمزة الا انها لا تكسر في قوله وجعلنا ابن مريم وامه آية من بعد وصية متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وجعل كانه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية يوصى بها وقد قرئ يوصى بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا فان قلت ما معنى او قلت معناها الاباحة وانه ان كان احدهما او كلاهما قدم على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن او ابن سيرين فان قلت لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة قلت لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها ماخوذة من غير عوض كان اخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها فكان ادا وها مظنة للتفريط بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى اداء فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجهها والمسارعة الى اخراجها مع الدين ولذلك بكلمة او للتسوية بينهما في الوجوب ثم اكد ذلك ورغب فيه بقوله آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي من آبائكم وابنائكم الذين يموتون اي من اوصى منهم ام من لم يوص يعني ان من اوصى ببعض ماله نفعتكم الثواب بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا وامضه جدوى من تلك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل

ان الاب لا يرث مع الابن الا السدس بدليل انه يفرض عليها اذا

السدس من بعد وصية يوصى بها او دين آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا

فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَلِيمًا وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ
لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ

ثواب الآخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الظن الا انه فان فهو في الحقيقة الا بعد الزمن وثواب الآخرة وان كان آجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى وقيل ان الابن ان كان ارفع درجة من ابيه في الجنة سأل ان يرفع ابوه اليه فيرفع وكذلك الابن ان كان ارفع درجة من ابنه سأل ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا وقيل تدرون الله الفرايض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال على غير حكمة وقيل الاب تجب عليه النفقة على الابن اذا احتاج وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدري ايهما اقرب نفعا وليس شيء من هذه الاقاويل على ما يليق للعين ولا يجاوب لان هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض ان يؤكد ما اعترض بينه وبينا سبه والقول ما تقدم فريضة نصبت نصب المصدر المؤكد او فرض ذلك فرضا لان الله كان عليما بمصالح خلقه حليما في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها فان كان لهن ولد منكم او من غيركم جعلت الخارجة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن وان كان رجل يعني الميت ويورث من ورث او يورث منه وهو صفة لرجل وكلالة خبر كان او وان كان رجل موروث منه كلالة او يجعل يورث خبر كان وكلالة حال الضمير في يورث وقد مر يورث ويورث بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حال او مفعول به فان قلت ما الكلالة قلت ينطلق على ثلثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس مولودا والدمن الخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد من كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كنت عن جبن والكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى آليت لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت للقرابة من جهة الولد والوالد لانها بالاضافة الى قرابتها كالة ضعيفة واذا جعل صفة للموروث والوارث فمعنى ذي كلالة كما تقول فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كالحاجة والنفاقة للاحتمال فان قلت فان جعلتها اسما للقرابة في الآية فعلام تنصبها قلت على انها مفعول لها او يورث لرجل الكلالة او يورث غيره لاجلها فان جعلت يورث على البناء للمفعول من اورث فما وجهه قلت الرجل هو الوارث لا الموروث فان قلت فالضمير في قوله فلكل واحد منهما الى من يرجع قلت الى الرجل والى اخيه واخته وعلى الاول اليهما فان قلت اذا رجع الضمير اليهما افادا استواءهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الانثى فهل يبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه قلت نعم لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه سئل عن الكلالة فقال اقول فيه برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة ما خلا

مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ

فلهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل يورث كلالة او امرأة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار

وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ

الولد والوالد وعن عطاء والضحاك ان الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو الوارث وقد اجمعوا على ان المراد اولاد الام وتدل عليه قراءة ابي ولد اخ او اخت من الام وقراءة سعد بن ابي وقاص ولد اخ او اخت من ام وقيل انما استدل على ان الكلالة ههنا الاخوة للام خاصة بما ذكر في آخر السورة من ان للاختين الثلثين وان للاخوة كل المال فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا على الثلث شيئا انه يعني بهم الاخوة للام والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الاخوة الاخياف والاعيان واولاد العلات وغيرهم غير مضار حال او يوصى بها وهو غير مضار لورثته وذلك ان يوصي بزيادة على الثلث او يوصي بالثلث فما دونه ويتبعه مضارة ورثته ومخاصمتهم لاوجه الله وعن قتادة كره الله الضرار في الحيوة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين وعن ابراهيم ان يوصي بدين ليس عليه ومعنى الاقرار وصية من الله مصدر مؤكد او يوصيكم بذلك وصية مفروضة من الله ويجوز ان تكون منصوبة بغير مضار اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادة على الثلث او وصية من الله بالورثة وان لا يتعنتهم عالمة باسراره في الوصية وتنصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة والله عليم بمن جار او عدل في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد فان قلت في يوصي غير الرجل اذا جعلته الموروث فكيف تعمل اذا جعلته الوارث قلت كما عملت في قولهم فلهن ثلثا ما ترك لانه علم ان التارك والموصي هو الميت فان قلت فاين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها على ما لم يسم فاعله قلت يضمر موصى منتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثم موصيا كما قال يسبح له على ما لم يسم فاعله فعلم ان ثم مسبحا فاضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح كان غير مضار حالا عن ما يدل عليه يوصى بها تلك اشارة الى الاحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة الموقفة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق يدخله قد يجيء بالياء والنون وكذلك يدخله نارا وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال فان قلت هل يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا قلت لا لانهما جريا على غير من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها يأتين الفاحشة يرتكبنها يقال اتى الفاحشة وجاء بها وغشيها وبرحها بمعنى وفي قراءة ابن مسعود ومن يأتين بالفاحشة والفاحشة الزنا لذيادتها في القبح على كثير من القبائح فامسكوهن في البيوت قيل معناه فاجلدوهن جلدات بعد ان كان ذلك عقوبة لهن في اول الاسلام ثم نسخ بقوله الزانية والزاني الآية ويجوز ان يكون غير منسوخة بان يقال ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة وتوضيحا بامساكهن في البيوت بعد ان يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن سبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال او يجعل الله لهن سبيلا هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لانه لم يكن شرعا في ذلك الوقت فان قلت ما معنى يتوفى الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كانه قيل او يميتهن الموت قلت يجوز ان يجعل الله لهن سبيلا

وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ
كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ

يزاد حتى يتوفاهن الموت كقوله الذين يتوفيهم الملائكة ان الذين توفيهم الملائكة قيل تتوفيكم ملك الموت او حتى
يأخذهن الموت ويستوفي ارواحهن واللذان يأتيانها منكم يريد الزانية والزاني فآذوهما فوبخوهما وذموهما
وقولوا لهما أما استحييتما اما خفتما الله فان تابا واصلحا وغيرا المجال فاعرضوا عنهما واقطعوا التوبيخ والمذمة
فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل ان يكون خطابا للشهود العاثرين على سترهما ويراد بالايذاء ذمهما
وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عنهما ولا تعترضوا لهما وقيل
نسخت الاولى في السحاقات وهذه في اللواطيين وقرئ واللذان بتشديد النون واللذان بالهمزة
وتشديد النون التوبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته وغفر له يعني انما القبول والغفران واجب على الله لهؤلاء
بجهالة في موضع الحال يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعوا اليه السفه والشهوة لا مما يدعوا اليه
الحلم والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته من قريب من زمان قريب والزمان
القريب ما قبل حضرة الموت الا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت
الذي لا يقبل فيه التوبة فيما وراء ذلك في حكم القريب وعن ابن عباس رض قبل ان ينزل به سلطان الموت
وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وروي ان ابا موسى عن النبي صلعم
ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين
اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة
ما لم يغرغر فان قلت ما معنى من في قوله من قريب قلت معناه التبعيض اي يتوبون بعض زمان
قريب كانه سوى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا فهي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان
فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد فان قلت ما فائدة قوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما
التوبة على الله لهم قلت قوله انما التوبة على الله اعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله
فاولئك يتوب الله عليهم علة بانه يفي بما وجب عليه واعلام بان الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب
والذين يموتون عطف على الذين يعملون السيئات سوى بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين
ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول الاحوال الآخرة فكما ان الميت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك
المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما اناة التدبير والاختيار اولئك اعتدنا لهم في الوعيد نظير قوله فاولئك
يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين ان الامرين كائنان لا محالة فان قلت من المراد بالذين يعملون السيئات اهم
الفساق من اهل القبلة ام الكفار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد الكفار لظاهر قوله وهم كفار وان
يراد الفساق لان الكلام انما وقع في التائبين والاعراض عنهما ان تابا واصلحا ويقوية قوله وهم كفار وارد على سبيل التغليظ

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا
آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ

لقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وقوله فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر
لان من كان مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر لانه لا يحتوي على ذلك الا
قلب مصمت كانوا يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بانواع من الظلم فنهوا عن ذلك كان الرجل
اذا مات له قريب من اب او اخ او حميم عن امرأة ليقع توبه عليها وقال انا احق بها من كل احد فيقيم لا يحل لكم ان
ترثوا النساء كرها اي تأخذوهن على سبيل الارث كما تجاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات وقيل
كان يمسكها حتى تموت فيقيم لا يحل لكم ان تمسكوهن حتى ترثوا منهن لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل
ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة بولدها اذا اختنقت
رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه الا ان يأتين بفاحشة مبينة وهي النشوز وبكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله
بالبذاء والسلاطة الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع ويدل عليه قراءة ابي الا ان
يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها ان يسألها الخلع وقيل كانوا اذا اصاب
امرأته فاحشة اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وعن ابن عباس وعن ابن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على
بطنها وعن قتادة لا يحل له ان يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه تعني وان زنت وقيل نسخ ذلك بالحدود وكانوا
يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول
فان كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو صلح الدين واحمد وادنى
الى الخير واحبت ما هو مفسدة ذلك ولكن انظروا في اسباب الصلاح وكان الرجل اذا طمحت عينه الى استلاف
امرأة بيت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج غيرها فقيل
وان اردتم زوج الزوجة القنطار المال العظيم من قنطرت الشيء اذا رفعته ومنه القنطرة لانها بناء مثبت قال
كقنطرة الرومي اقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد وعن عمر رض انه قام خطيبا فقال ايها الناس ما تقولون
بصدق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا او تقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول الله صلعم ما اصدق امرأة
من نسائه اكثر من ثنتي عشرة اوقية فقامت اليه امرأة يا امير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله
يقول وآتيتم احديهن قنطارا فقال عمر رض كل احد اعلم من عمر ثم قال لاصحابه تسمعون مني اقول مثل هذا فلا تنكرونه
علي حتى ترد علي امرأة ليست من اعلم النساء والبهتان ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو بريء منه
لانه يبهت عند ذلك اي يتحير وانتصب بهتانا على الحال او باهتين وآثمين او على انه مفعول له وان لم يكن غرضا
لقوله قعد عن القتال جبنا والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كانه قيل واخذن منكم ميثاقا غليظا
او بافضاء بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشر من يوما قرابة فكيف بما يجري

وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ
سَبِيلًا حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ

بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل هو قول الولي عند العقد انكحك على ما في كتاب الله من امساك بمعروف
او تسريح باحسان وعن النبي صلعم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم
فروجهن بكلمة الله وكانوا ينكحون زوجاتهم وناس منهم ربما يقتونهم من ذوي مروآتهم ويستونه نكاح المقت
وكان المولود عليه يقال له المقتي ومن ثم قيل ومقتا كانه قيل هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت
في المروة ولا مزيد على ما يجمع القبحين وقرئ لا تحل لكم بالتاء على ان ترثوا بمعنى الوراثة وكرها بالفتح
والضم من الكراهة والاكراه وقرئ بفاحشة مبينة من بانت بمعنى تبينت او بينت كما قرئ مبينة
بكسر الياء وفتحها ويجعل الله بالرفع على انه في موضع الحال وآتيتم احديهن يوصل همزة احديهن كما قرئ
فلتم عليه فان قلت تعضلوهن ما وجه اعرابه قلت النصب عطفا على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي
اولا يحل لكم ان ترثوا النساء ولا ان تعضلوهن فان قلت اي فرق بين تعديته ذهب بالباء وبينها
بالهمزة قلت اذا عديت بالباء فمعناه الاخذ والاستصحاب كقوله فلما ذهبوا به واما الاذهاب
فكالازالة فان قلت الا ان ياتين هذا الاستثناء قلت هو استثناء من اعم عام الظرف
او المفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان ياتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة من العلل
الا لان ياتين بفاحشة فان قلت من اي وجه صح قوله فعسى ان تكرهوا شيئا جزاء للشرط قلت
من حيث ان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا لبس فيما تحبون
فان قلت كيف استثنى ما قد سلف مما نكح اباؤكم قلت كما استثنى غيره من قولهم من قوله ولا
عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه
وسد الطريق اليه لا اباحته كما يعلق بالمحال في التابيد في نحو لم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل في سم الخياط
معنى حرمت عليكم امهاتكم تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ولان تحريم نكاحهن هو الذي يعم
من تحريمهن كما يعم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله وقرئ وبناتُ الاخت
بتخفيف الهمزة وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمي المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا ولذلك
زوج المرضعة ابن وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته
واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من كان من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه
ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع
كتحريم النسب الا في مسئلتين احديهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج اخت ابنه
من الرضاع لان المعنى في وطئ النسب امها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز في

وبناتُ الاخ وبناتُ الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم

مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ
مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ

الرضاع لان المانع في النسب وطئ الاب اياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع من نسائكم متعلق بربائبكم
ومعناه ان الربيبة من المراة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها فان قلت هل يصح
ان يتعلق بقوله وامهات نسائكم قلت لا لوجوه اما ان يتعلق بهن وبالربائب فيكون حرمتهن
وحرمة الربائب غير مبهمتين واما ان يتعلق بهن دون الربائب فتكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب
مبهمة فلا يجوز الا ولان المعنى حينئذ مع احد المتعلقين خلاف معناه مع الاخر والثالث اذا قلت وامهات نسائكم من
نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النساء وتميز المدخول بهن من غير المدخول بهن
واذا قلت وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات رسول
الله صلعم من خديجة وليس بصحيح ان يعني بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز الثاني
لان ما يليه هو الذي يستوجب التعليق به ما لم يعترض امر لا يرد الا ان تقول اعلقه بالنساء والربائب
واجعل من للانفصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فاني لست منك ولست مني اي انا
من ردي والرد مني وامهات النساء متصلات بالنساء لا بهن اي امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن
لا بهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على ان تحريم امهات النساء بمجرد العقد وتحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله وقد
روي عن النبي صلعم في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه قال لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له
ان يتزوج امها وعن عمر وعن عمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هن مرسلة فارسلوا
ما ارسل الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ابهموا ما ابهم الله الا ما روي عن علي وابن عباس وزيد وابن عمر
وابن الزبير انهم قدروا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا هكذا
وعن جابر بن زيد انه وعن سعيد بن المسيب عن زيد اذا ماتت عند فاخذ ميراثها كان ان تخلف على امها
واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت مقام الدخول في ذلك كما اقام مقامه في باب المهر وسيجيء
ولد الربيب المراة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربها كما يربب ولده في غالب الامر ثم اتبع فيه
نسبا لذلك وان لم يربها فان قلت ما فائدة قوله في حجوركم قلت فائدته التغليب للتحريم وان
لا حتضانكم لهن او لكونهن بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم اذا دخلتم بامهاتهن وتمكن بعضكم جاكم
الزواج وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال الحقيقة بان تجروا اولادهن
مجرى اولادكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم وعن علي رضي الله عنه انه شرط ذلك في التحريم وبه اخذ
داود فان قلت ما معنى دخلتم بهن قلت هو كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب
يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابي حنيفة وعن عمر رضي الله عنه انه خلا

تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ
النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ

الجزء الخامس

بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق ان امرأة ابتاع جارية بعد موته وقال انما اشتريت لم اصب منها الا ما يحرم على ولدي من اللمس والنظر وعن الحسن في الرجل يملك الامة فيعزلها لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحماد بن ابي سليمان اذا نظر الى فرج امرأة فلا ينكح امها وابنتها وعن الاوزاعي اذا ادخل بالام فعلها ولمسها بيده واغلق الباب وارخى الستر فلا يحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع وجد الذين من اصلابكم دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلعم زينب بنت جحش الاسدية بنت عمته امية بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال عز وجل لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وان تجمعوا في موضع الرفع عطف على المحرمات اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم في الآية تحريم النكاح واما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمان وعلي رضي انهما قالا احلتهما آية وحرمتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجع على التحريم وعثمان التحليل الا ما قد سلف ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات القراء بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرف انه قرأ بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن بالتزويج فهن محصنات ومحصنات الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وان كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق

وذات حليل انكحتها رماحنا ... حلال لمن يبني بها لم تطلق

كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله ذلك كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم فان قلت علام عطف قوله واحل لكم قلت على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اي كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلك ويدل عليه قراءة اليماني كتب الله عليكم واحل لكم وروي عن اليماني كتب الله عليكم على الجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم ومن قرأ واحل لكم على البناء للمفعول فقد عطفوه على حرمت ان تبتغوا مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم باموالكم التي جعل الله لكم قياما مبايعة حال كونكم محصنين غير مسافحين ليلا تضيعوا اموالكم وتنفقوها انفاقكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والاموال المهور وما يخرج في المناكح فان قلت اين مفعول تبتغوا قلت يجوز ان يكون مقدرا وهو النساء والاجود ان لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون تبتغوا بدلا من ما وراء ذلكم والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني وما ذبني من الحدين فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فآتوهن اجورهن عليه فاسقط الراجع اليها لانه لا يلتبس كقوله ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط منه ويجوز

فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا
وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ

ان يكون ما في معنى النساء ومن للتبعيض او للبيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن اجورهن من المهر ثوابا على البضع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة فيما تراضيتم من بعد الوجوب الفريضة فيما تحط عنه من المهر او تهب له من كله او تزيد لها على مقدار وقيل فيما تراضيا به من مقام او فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلثة ايام حين فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت كان الرجل ينكح المرأة وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غيره ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر رضي لا اوتى برجل تزوج امرأة الى اجل الا رجمتها بالحجارة وعن النبي صلعم انه اباحها ثم قال يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس رضي هي محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرأ فما استطعتم به منهن الى اجل مسمى ويروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف الطول الفضل يقال لفلان على فلان طول او زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طايل قال لقد زاد بي حبا لنفسي انني ... بغيض الى كل امرئ غير طايل ومنه قولهم ما لي بهذا طايل اي شيء يعتد به لماله فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان والمحصنات ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة قال ابن عباس رضي من ملك ثلثمائة درهم فقد وجبت عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي رضي واما ابو حنيفة رضي فيقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة ويفسر الآية بان من لم يملك نواشر الحرة على ان النكاح هو الوطء فله ان ينكح امة وفي رواية عن ابن عباس رضي انه قال وفما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وكذلك قوله من فتياتكم المؤمنات الظاهر ان لا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب اهل الحجاز وعند اهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة المؤمنة افضل فحاز على الفضل الاعلى الوجوب واستشهدوا على ان الايمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع علمنا انه ليس بشرط فهن على الاتفاق ولكنه افضل فان قلت لم كان نكاح الامة مخطا عن نكاح الحرة قلت لما فيه من اتباع الولد الام في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع الى الناكح ومهانة والعفة من صفات المؤمنين وقوله من فتياتكم اي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين فان قلت فما معنى قوله والله اعلم بايمانكم قلت معناه ان الله اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان وتجانسكم ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة والمرأة افضل في الايمان من الرجل وحق المؤمنين ان لا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل الاحساب والانساب

من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم

بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ
غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ

وهذا تأنيس بنكاح الإماء وتذكير للاستنكاف **بعضكم من بعض** إنتم وإرقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم
في الإيمان لا يفضل حر عبدا إلا بتقوى جاز نكاحه فيه بإذن أهلهن إشعار بأن إذن الموالي في نكاحهن ويحتج به لقول أبي حنيفة
أن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن لأنه اعتبر إذن الموالي لا عقدهم **وآتوهن أجورهن بالمعروف** أدوا
إليهن مهورهن بغير مطل وضرار وإحواج إلى الاقتضاء واللي **فإن قلت** الموالي هم المالكون مهورهن لأنهن واجب
أداؤها إليهم لا إليهن فلم **وآتوهن قلت** لأنهن وما في أيديهن مال المولى فكأن أداءها أداء إلى المولى أو على
أن أصله فآتوا مواليهن فحذف المضاف **محصنات** عفائف لا زناة الأخلاء في السر كأنه قيل غير مجاهرات
في السفاح ولا مستسرات له **فإذا أحصن** بالتزويج **وقرئ** أحصن نصف ما على المحصنات أي الحرائر من العذاب
من الحد كقوله وليشهد عذابهما ويدرأ عنها العذاب ولا رجم عليهن لأن الرجم لا يتنصف **فإن أتين** أي نكاح
الإماء **بفاحشة** من خاف العنت منكم لمن خاف الإثم الذي تؤدي إليه غلبة الشهوة وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر
فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر أعظم من مواقعة المآثم وقيل أريد به الحد لأنه إذا أمن بها خشي أن
يواقعها فيحد فيتزوجها وأن تصبروا في محل الرفع على الابتداء وصبركم عن نكاح الإماء متعففين خير لكم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم الجواري صلاح البيت والإماء هلاك البيت **يريد الله ليبين لكم** فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين
كما زيدت في لا أبا لك لتأكيد إضافة الأب والمعنى يريد الله أن يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وأن يهديكم
أعمالكم وأن يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم **ويتوب عليكم**
ويرشدكم إلى الطاعات أن قمتم بها كانت كفارات لسيئاتكم فيتوب عليكم ويكفر لكم **والله يريد أن يتوب عليكم** إن فعلوا ما
ما تستوجبون أن يتوب عليكم **ويريد الذين يتبعون الشهوات** الزناة الذين يتبعون الشهوات **أن تميلوا ميلا عظيما** وهو الميل عن القصد والحق
ولا ميل أعظم منه لمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون
نكاح الأخوات من الأب وبنات الأخ وبنات الأخت **يريد الله أن يخفف عنكم** فلما حدثهم الله قالوا فأنكم تحلون بنت الخالة والعمة
والخالة والعمة عليكم حرام فأنكحوا بنات الأخ والأخت فنزلت يقول يريدون أن تكونوا زناة مثلهم **يريد الله أن**
يخفف عنكم بإحلال نكاح الأمة وغير من الرخص **وخلق الإنسان ضعيفا** لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات
وعن سعيد بن المسيب ما أيس الشيطان من بني آدم قط إلا أتاهم من قبل النساء فقد أتى على ثمانون سنة
وذهب إحدى عينيه وأنا أعشق بالأخرى وإني أخوف ما أخاف على فتنة النساء **وقرئ** أن يميلوا
بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات **وقرأ** ابن عباس وخلق الإنسان على البناء للفاعل ونصب الإنسان
وعنه نظم ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت **يريد الله ليبين لكم**
والله يريد أن يتوب عليكم والله يريد أن يخفف عنكم إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه إن الله لا يغفر أن يشرك به إن الله

أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ
مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا

لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم **بالباطل** بما لم تبحه الشريعة
من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا **إلا أن تكون تجارة** إلا أن تقع تجارة **وقرئ** تجارة
على أن تكون التجارة تجارة **عن تراض** منكم والاستثناء منقطع معناه ولكن إن قصدوا كون تجارة عن تراض أو ولكن
تكون تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة أي تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لأن
أسباب الرزق أكثر متعلق بها والتراضي رضى المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الإيجاب والقبول وهو مذهب
أبي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رضي الله عنه تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين **ولا تقتلوا أنفسكم** من كان من جنسكم من المؤمنين
وعن الحسن لا تقتلوا إخوانكم أو لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاص أنه تأول به في التيمم
خوفا لهم فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقرأ** علي ولا تقتلوا بالتشديد **إن الله كان بكم رحيما** ما نهاكم عنه
بضرب من الرحمة عليكم وقيل معناه إنه أمر بني إسرائيل بقتل أنفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم
وكان بكم يا أمة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ذلك إشارة إلى القتل أو من يقدم على قتل
النفس **عدوانا وظلما** إفراط وتعد **فسوف نصليه نارا** وكان ذلك على الله يسيرا **وقرئ** عدوانا بالكسر **ونصليه** بتخفيف اللام وتشديدها
ونصليه بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله عز وجل أو لذلك لكونه
سببا للصلي نارا نارا مخصوصة شديدة العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لأن الحكمة تدعو إليه ولا صارف عنه
من ظلم ونحوه **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه** **وقرئ** كبير ما تنهون عنه أو ما كبر من المعاصي التي نهاكم الله عنها
والرسول نكفر عنكم سيئاتكم نمح ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم ونجعلها كأن لم تكن إذ زيادة
الثواب المستحق على اجتناب الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيئات والكبيرة والصغيرة إما وصفتا
بالكبر والصغر باعتبار فهما إما إلى طاعة أو معصية أو ثواب فاعلهما والتكفير إماطة المستحق من العقاب
بثواب أزيد أو بتوبة والإحباط نقيضه وهو إماطة الثواب المستحق لعقاب أزيد أو بندم على الطاعة وعن
علي رضي الله عنه الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف والربوا وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب
بعد الهجرة وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن الكبائر أهي سبع
فقال هي إلى سبعمائة أقرب لأنه لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروي إلى سبعين **وقرئ** يكفر بالياء ومدخلا بضم الميم وفتحها بمعنى المصدر والمكان فيهما **ولا تتمنوا** نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل
الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لأن ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم
بأحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق أو قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض
فعلى كل أحد أن يرضى بما قسم له علما بأن ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة له **ولا تحسدوا** أخاه على

وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض

للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله
ان الله كان بكل شيء عليما ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون

حظه للرجال نصيب مما اكتسبوا جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط
او القبض كسبا له واسألوا الله من فضله ولا تتمنوا نصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد
وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء في الدنيا لنا سهمان ولهن سهم واحد فتمنوا ان يكون لنا
اجران في الآخرة على الرجال ولهن اجر واحد فقالت ام سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه
على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت مما ترك تبيين لكل اي ولكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون
من المال جعلنا موالي ورثة يلونه ويحرزونه او ولكل قوم جعلنا منهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف والكلام مبتدأ وخبر كما تقول لكل من خلقه الله
انسانا من رزق الله اي جعلنا من رزق الله او ولكل احد جعلنا موالي مما ترك على ان من صلة موالي لانه في
معنى الوراث وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون كانه قيل من هم فقيل الوالدان
والاقربون والذين عاقدت ايمانكم مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله فآتوهم نصيبهم
ويجوز ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز ان يعطف على الوالدان ويكون المضمر في فآتوهم
للموالي والمراد بالذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي
هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وأرثك وتطلبني وأطلبك وتعقل عني وأعقل
عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب يوم الفتح فقال لا كان من حلف
في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام وعند ابي حنيفة رحمه الله
لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافا للشافعي
وقيل المعاقدة التبني ومعنى عاقدت ايمانكم عاقدهم ايديكم وما تحتموهم وقرئ عقدت بالتشديد
والتخفيف بمعنى عقدت عهودكم ايمانكم قوامون على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على
الرعايا وسموا قوامين لذلك والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا يعني انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب
تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب
والاستطالة والقهر وقد ذكر وفي فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب
والنبوة والوحي وان منهم الانبياء والعلماء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان والخطبة
والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند ابي حنيفة والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب
في الميراث والجمعة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم اصحاب
اللحى والعمائم وبما انفقوا من اموالهم في المهور والنفقات وروي ان سعد بن الربيع وكان

نقيبا

والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم
ان الله كان على كل شيء شهيدا الرجال قوامون على النساء
بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات

اي ورثاء
مما ترك

حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن
في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا وان خفتم
ان الله كان عليا كبيرا

نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال افرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع
القصاص واختلفت في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل
لا قصاص الا في الجرح والقتل واما اللطمة ونحوها فلا قانتات مطيعات قائمات بما عليهن للازواج حافظات
للغيب الغيب خلاف الشهادة اي حافظات لما وجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن
حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء ان نظرت اليها سرتك وان
امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل للغيب كالسر اي بما حفظ الله
لهم حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج في كتابه وامر رسوله فقال استوصوا بالنساء خيرا او بما حفظهن
الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعد
بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة اي حافظات
للغيب بالامر الذي يحفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة
لهم وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فاصلحوا اليهن شؤونها ونشوصها
ان تعصي زوجها ولا تطيعن اليد واصله الانزعاج في المضاجع في المراقد اي لا تدخلوهن تحت التحف
وهي كناية عن الجماع وقيل هو ان يولي ظهره في المضجع وقيل المضاجع بيوتهن التي يبتن فيها
اولا بايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع وذلك لتعرف احوالهن وتحقق امرهن في النشوز امرهن
بوعظهن اولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه اكرهوهن
على الجماع وارتبطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا يجب ان يكون ضربا
غير مبرح لا يكسر لها عظما ولا يشين الوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم عاتق سوطك حيث يراه اهلك وعن
اسماء بنت ابي بكر الصديق كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا غضب على احداهن ضربها بعود
المنجل حتى يكسر عليها ويروى عن الزبير ابيات ولولا هنوها حولها لخبطتها فلا تبغوا عليهن سبيلا
فازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ وانتهوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد حسن
الطاعة والانقياد وترك النشوز ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم
من قدرتكم على من تحت ايديكم ويروى ان ابا مسعود الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به
رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح به ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام او ان الله كان
عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شانه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عنه

هنوه

الهاء راجعة الى الضمير
وقرئ بضم الهاء

شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ
بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ

يجب عليكم إذا وقع شقاق بينهما أصله شقاقا بينهما فأضيف الشقاق إلى الظرف على طريق الاتساع كقوله
بل مكر الليل والنهار وأصل بل مكر الليل والنهار وعلى أن جعل البين مشتاقا والليل والنهار ماكرين على
قولهم نهاره صائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجرى ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء حكما من
أهله رجلا متقشفا ورعا يصلح لحكومة العدل والإصلاح بينهما وإنما كان بعث الحكمين من أهلهما لأن الأقارب
أعرف ببواطن الأحوال وأطلب للصلاح وأيما يسكن إليهم نفوس الزوجين وتبرز إليهم ملء ضمائرهما من
الحب والبغض وإرادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الأجانب
ولا يجبان أن يطلعوا عليه فإن قلت فهل يلزمان الجمع بينهما والتفريق إن رأيا ذلك قلت قد اختلف
فيه فقيل ليس إليهما ذلك إلا بإذن الزوجين وقيل ذلك إليهما وما جعلا حكمين إلا وإليهما بناء الأمر
على ما يقتضيه اجتهادهما وعن عبيدة السلماني شهدت عليا رضي الله عنه وقد جاءه امرأة وزوجها ومع كل واحد
فئام من الناس فأمر هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال علي رضي الله عنه للحكمين أتدريان ما عليكما إن عليكما إن رأيتما
أن تفرقا فرقتما وإن رأيتما أن تجمعا جمعتما فقال الزوج أما الفرقة فلا فقال علي رضي الله عنه كذبت والله لا تبرح حتى
ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت المرأة رضيت بكتاب الله لي وعلي وعن الحسن بحكمان وليس ثمة وعن
الشعبي ما قضى الحكمان جاز والآية في يريدا إصلاحا خطاب للحكمين وفي يوفق الله بينهما للزوجين إن قصدا
إصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك في وساطتهما وأوقع الله بطيب
نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والألفة واليقين في نفوسهما المودة والرحمة وقيل الضمير في
للحكمين أي إن قصدا إصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة
ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل الضمير في للزوجين أي إن يريدا إصلاح ما
بينهما وطلب الخير وأن يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الألفة ويبدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء
مودة إن الله كان عليما خبيرا يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين لو أنفقت ما في الأرض جميعا
ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم وبالوالدين إحسانا وأحسنوا بهما إحسانا وبذي القربى وبكل من
بينكم وبينه قربى من رحم أو غيرها والجار ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب الذي جوار
بعيد وقيل الجار القريب النسب والجار الأجنبي وأنشد لبيد بن قيس لا يجتمعنا جار ود أبدا
ذو رحم وجار جنب وقرئ والجار ذا القربى نصبا على الاختصاص كما قرئ على الصلوات والصلاة
الوسطى تنبيها على عظم حقه لأن الأيدي بحق الجوار والقربى والصاحب بالجنب هو الذي صحبك بأن حصل
بجنبك إما رفيقا في سفر وإما جارا لملاصقتك وإما شريكا في تعلم علم أو حرفة وإما قاعدا إلى جنبك في مجلس أو مسجد

وبالقرب بالقربى وبالجار ذي القربى وبالجار الجنب

إحسانا وبذي القربى والصاحب بالجنب وابن السبيل

وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا

أو غيره ممن أدنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك أن تراعي ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة إلى الإحسان
وقيل الصاحب بالجنب المرأة وابن السبيل المسافر المنقطع به وقيل والضيف والمختال التياه
المهول الذي يتكبر عن الكرام أقاربه وأصحابه ومماليكه فلا يتحفهم ولا يلتفت إليهم وقرئ والجار
الجنب بفتح الجيم وسكون النون الذين يبخلون بدل من قوله من كان مختالا فخورا أو نصب على الذم ويجوز أن
يكون رفعا عليه وأن يكون مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون أحقاء بكل ملامة
وقرئ بالبخل بضم الباء وفتحها وبفتحتين وضمتين أو يبخلون بذات أيديهم ويمنعونها من غيرهم
فيأمرونهم بأن يبخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد في أمثال العرب البخل من الصنين بنايل غيره وإن امرأ
ضنت يداه على امرئ بنيل يد من غير بخيل ولقد رأينا من يلي بداء البخل من إذا طرق سمعه أن أحدا
جاد على أحد شخص به وجل جبوته واضطرب ودارت عيناه في رأسه كأنما نهب رحله وكسرت
خزانته ضجرا من ذلك وحسرة على جوده وقيل هم اليهود كانوا يأتون رجلا من الأنصار يتنصحون
لهم ويقولون لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يأتون وقد عابهم بكتمان نعمة الله وكما
وآتاهم من فضله الغني والتفاخر على الناس وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن ترى نعمته عليه
وبنى عامل للرشيد قصرا جنانا قصر فأتم به عنده فقال الرجل يا أمير المؤمنين بئسما أتى بنعمته
فاجتنبت أن أسدك بالنظر إلى آثار نعمتك فأعجبه كلامه وقيل نزلت في شأن اليهود الذين كتموا
صفة رسول الله رياء الناس للتجارة وليقال ما أسخاهم وما أجودهم لا ابتغاء وجه الله وقيل نزلت
في مشركي مكة المنفقين أموالهم في عداوة رسول الله فساء قرينا حيث جعلهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز
أن يكون وعيدا لهم بأن الشيطان يقترن بهم في النار وماذا عليهم وأي تبعة ووبال عليهم في الإيمان والإنفاق في
سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والإفكل منفعة ومصلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ماضر لك لو عفوت
وللعاق ماكان يرد ذلك لو كنت بارا وقد علم أنه لا مضرة ولا مرزية في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتخييل
لكان المنفعة وكان الله بهم عليما وعيد الذرة النملة الصغيرة وفي قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن
عباس رضي الله عنه إذا دخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فتطاير كل واحد من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من أجزاء
الهباء ذرة في الكثرة ذرة وفيه دليل أنه لو نقص من الأجر أدنى شيء وأصغره أو زاد في العقاب لكان ظلما وأنه
لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة وإن تك حسنة وإن يكن مثقال الذرة حسنة وإنما أنث
خبر المثقال لكونه مضافا إلى مؤنث وقرئ بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها لاستحقاقها
عند الثواب في كل وقت من الأوقات المستقبلة غير المتناهية وعن عثمان رضي الله عنه أنه قال لأبي هريرة رضي

والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها

وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا
بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ

بأبي هنك انك تقول سمعت رسول الله صلعم يقول ان الله تع يعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة
لا بل سمعته يقول ان الله تع يعطيه التي التي حسنة ثم تلا هذه الآية والمراد الكفر لا التوحيد ويؤت من لدنه اجرا
عظيما ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته
وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف من الضعف وضعف وقرأ ابن هرمز نضاعفها بالنون
فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله
وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا وعن ابن مسعود رض انه قرأ سورة النساء
على رسول الله صلعم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلعم وقال حسبنا لو تسوى بهم الارض
لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض
سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم
وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا
ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على افواههم عند ذلك وتكلمت ايديهم وارجلهم بتكذيبهم
والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنون ان يسوى بهم الارض وقرئ تسوى بحذف التاء
من تسوى يقال سويته فتسوى كحولته فتحول وتسوى بادغام التاء في السين كقوله يتسمعون
وماضيه استوى كانت روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من اصحاب
رسول الله صلعم حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب قدموا احدهم
ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت فكانوا لا يشربون في اوقات الصلوات
فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نهوا عن الخمر ايضا ومعنى لا تقربوا
الصلوة لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا
مواضعها وهي المساجد كقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم
لقوله وهو يسكر سناتهم كل الديوة وقرئ سكارى بفتح السين وسكرى على ان يكون جمعا نحو هلكى وجوز
ان السكر علة تلحق العقل او مفرد بمعنى وانتم جماعة سكرى كقولك امرأة سكرى وسكرى بضم السين
لجماعة على ان يكون صفة للجماعة وحكى جناح بن حبيش كسلان وكسلى بالفتح والضم ولا جنبا عطف على قوله وانتم
سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب يستوي فيه
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجتناب الا عابري سبيل استثناء من
عامة احوال المخاطبين وانتصابه على الحال فان قلت كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها قلت

يعني الارض ولا يكتمون الله حديثا يا ايها الذين
حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري
سبيل حتى تغتسلوا

وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ ١٢٨
تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

كانه قيل لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا وانتم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل
عبارة عنه ويجوز ان لا يكون حالا ولكن صفة لقوله جنبا اي ولا تقربوا الصلوة جنبا غير عابري سبيل اي
جنبا متيممين غير معذورين فان قلت كيف تصح صلوتهم على الجنابة لعذر السفر قلت اريد
بالجنب الذين لم يغتسلوا كانه قيل لا تقربوا الصلوة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين وقال من
فسر الصلوة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد جنبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء او كان الماء فيه
او اعتلم فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون عن الماء
المسجد فرخص لهم وروي ان رسول الله صلعم نادى لا يجنبن احد الا وهو في المسجد او يمر فيه وهو جنب الا علي بن ابي طالب
بيته كان في المسجد فان قلت اذا دخل في حكم الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون واهل الجنابة
فمن يتعلق الجزاء الذي هو الامر بالتيمم عند عدم الماء منهم قلت الظاهر انه متعلق بهم جميعا وان
المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك السفر اذا عدموا
ايضا والمحدثون واهل الجنابة كذلك اذا لم يجدوا بعض الاسباب وقال ابو حنيفة الذي يصيب الصعيد وجه
الارض ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده وسح لكان ذلك طهورا وهو مذهب
ابي حنيفة رحمه فان قلت فما يصنع بقوله في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم الى المرافق
منه وبعضه وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه قلت قالوا ان من لابتداء الغاية فان قلت
قولهم انها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم احد من العرب من قول القائل مسحت برأسه من الدهن ومن الماء
ومن التراب الا معنى التبعيض قلت سبب ما كما تقول والاذعان للحق احق من المراء ان الله كان
عفوا غفورا كناية عن الترخيص والتيسير لانه من كانت عادته ان يعفو عن الخطائين ويغفر لهم آثار ان
يكون مسترا غير معتسر فان قلت كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين
والجنبين والمرض والسفر سببان من اسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب
لوجوب الغسل قلت اراد سبحانه وتع ان يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون الماء في التيمم
بالتراب فخص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض
والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر واعوز الماء لخوف
عدو او سبع او عدم آلة استقاء او ارهاق في مكان لا ماء فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر
وقرئ من غيط قيل هو تخفيف غيط كهين في هين والغيط بمعنى الغائط الم تر من رؤية القلب
وعدي بالى على معنى الم ينته علمك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم اوتوا نصيبا من الكتاب حظا من علم التوراة

عفوا غفورا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب

يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ
وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ

وسلم احبار اليهود يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى وسوا لبقاء على اليهودية بعد وضوح الايات لهم على
صحة نبوة رسول الله صلعم وانه هو النبي الذي بشرت به الانبياء في التورية والانجيل ويريدون ان تضلوا انتم ايها المؤمنون
سبيل الحق كما ضلوا وتنحرفوا في سلكهم لا كما يضلهم ضلالتهم بل يحبون ان يضل معهم غيرهم وقرئ ان يضلوا بالياء
بفتح الضاد وكسرها والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء واطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم
ولا تستنصحوهم في اموركم ولا تستشيروهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فثقوا بولايته ونصرته دونهم والجاوا
بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم من الذين هادوا وبيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونظيره
وقوله والله اعلم وكفى بالله وكفى بالله جملة توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض او بيان لاعدائكم
وما بينهما اعتراض او صلة لنصيرا او ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا ويجوز ان
يكون كلاما مبتدأ على ان يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون كقول
وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح او منهما تارة اموت فيها يحرفون الكلم عن
مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد اماروه عن مواضعه التي وضعه
الله فيها وازالوه عنها وذلك نحو تحريفهم الرجم عن موضعه في التورية بوضعهم آدم طوال وتحريفهم الرجم
بوضعهم الجلد بدله فان قلت كيف قيل ههنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه قلت اما عن مواضعه
فعلى ما نبهتك من ازالته عن مواضعه التي وجبت حكمة الله فيها بها اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه واما من
بعد مواضعه فالمعنى انه كانت له مواضع هو فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه
ومعناه والمعنيان متقاربان وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة
قولهم غير مسمع حال من المخاطب اي اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اي اسمع منا مدعوا
عليك بالا سمعت لانه اذا اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع وكان اصم غير سمع قالوا ذلك ايذانا على انه قولهم لا سمعت دعوتك
مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيئا او اسمع غير
مسمع كلاما ترضاه فيحمل عنه نابه ويجوز على هذا ان يكون غير مسمع مفعولا لاسمع او اسمع كلاما غير مسمع اياك
لان اذنك لا تعيه تمجه عنه ويحتمل المدح اي اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلانا اذا سبه وكذلك
قولهم راعنا فكانوا يخرجونه بالذم وهذا يرسول الله صلعم يكلمونه بكلام مجمل يموهون به الشتيمة والاهانة
ويظهرون به التوقير والاكرام ليا بالسنتهم فتلا بها وتحريفا اي يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يصفون
راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم لما
يظهرونه من التوقير نفاقا فان قلت كيف جاؤا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما مدحوا وقالوا سمعنا

سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم
وطعنا في الدين ولو انهم قالوا
سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم

١٢٩

وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا
بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى

وعصينا قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولم يواجهوه بالسب ودعاء السوء وجوز
ان يقولوا فيما بينهم ويجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به وقرأ ابي وانظرنا
من الانظار وهو الامهال فان قلت لم يرجع الضمير في قوله لكان خيرا لهم قلت الى انهم قالوا لو ان المعنى
ولو ثبت قولهم سمعنا واطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم واقوم واعدل واسد ولكن لعنهم الله بكفرهم او خذلهم بسبب كفرهم
وابعدهم عن الطاعة فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا او ضعيفا وكيف لا يعبؤون به ومع ايمانهم بمن خلفهم مع كفرهم بغيره
او اراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه او عديم التشكي والا قليلا منهم قد آمنوا ان نطمس وجوها
ان نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفاء
مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب الآخر ردتها على
ادبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فنشكلها الى خلف والاقفاء الى قدام ووجه آخر وهو ان يراد بالطمس
القلب والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجوههم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم
ونلبسهم صغارهم وادبارهم او نردهم الى حيث جاؤا منه وهي اذرعات الشام يريد اجلاء بني النضير
فان قلت لمن الراجع في قوله او نلعنهم قلت للوجوه ان اريد الوجهاء او لاصحاب الوجوه لان المعنى
من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات او نلعنهم او نخزيهم بالمسخ
كما مسخنا اصحاب السبت فان قلت فاين وقوع الوعيد قلت هو مشروط بالايمان وقد آمن منهم ناس
وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة ولان الله اوعدهم باحد الامرين بطمس وجوه
منهم او بلعنهم فان كان الطمس تبديل احوال رؤسائهم او اجلاءهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره
فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ الا ترى الى قوله قل هل انبئكم
بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت وكان امر
الله مفعولا فلا بد ان يقع احد الامرين ان لم يؤمنوا فان قلت قد ثبت ان الله لا يغفر الشرك لمن تاب منه وانه لا يغفر
ما دون الشرك من الذنوب الا بالتوبة فما وجه قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قلت
الوجه ان يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين الى قوله لمن يشاء كانه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر
لمن يشاء ما دون الشرك على ان المراد بالاول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدنانير ويبذل
القناطير لمن يشاء تريد لا يبذل الدنانير لمن لا يستاهله ويبذل القناطير لمن يستاهله فقد افترى اثما او اراد تركبه وهو
مفتعل من الاثم كونه الذي يذكر ذنوبهم اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة
الا هود او نصارى وقيل جاء رجال من اليهود الى رسول الله صلعم باطفالهم هل على هؤلاء ذنب قالوا لا قالوا والله ما نحن الا
مثلهم فقالوا

ان نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما الم تر الى الذين يزكون انفسهم

بَلِ اللّٰهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُوْنَ فَتِيْلًا ۝ اُنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُوْنَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ
وَكَفٰى بِهٖٓ اِثْمًا مُّبِيْنًا ۝ اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِيْنَ اُوْتُوْا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتٰبِ يُؤْمِنُوْنَ

لجبتهم ما عملناه بالنهار كفرنا بالليل وما عملناه بالليل كفرنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها
بزكاء العمل وزيادة التقوى والزلفى عند الله فان قلت اما قال رسول الله صلعم والله اني لامين في السماء امين في
الارض قلت انما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل الا ترى اليهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه ربه وشاقوا
من شهد الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه او شهد له من لا يعلم بل الله يزكي من يشاء اعلام بان تزكية الله هي التي تعتد
بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو اهل للتزكية ومعنى يزكي من يشاء يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء
فرضهم به ولا يظلمون اي الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جنايتهم او من يشاء يثابون على كل عمل
ولا ينقص من ثوابهم وتحقيق فلا تزكوا انفسكم هو اعلم من اتى كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم عند الله ازكياء
وكفى بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر آثامهم الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان وذلك
ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهود نزلا مكة مع جماعة من اليهود فجاء قريش الى محادثة رسول الله
صلعم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكره فاسجدوا لاصنامنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا
فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان انحن اهدى سبيلا
ام محمد فقال كعب ما ذا يقول محمد قالوا يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت
نسقي الحاج ونفك العاني ونفري الضيف ونسقي الماء وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا ووصف اليهود بالبخل والحسد وهما
شر خصلتين يمنعون ما اوتوا من النعمة ويتمنون ان تكون لهم نعمة غيرهم فقال ام لهم نصيب من الملك ثم قال فاذا لا يؤتون
اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذن لا يؤتون احدا مقدار نقير لبخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة
كالفتيل والقطمير والمراد بالملك اما ملك اهل الدنيا واما ملك الله كقوله قل انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا
لامسكتم خشية الانفاق وهذا اوصف لهم بالشح واحسن طباقه تطبيق من القمان ويجوز ان يكون معنى الهمزة
في ام للانكار انهم قد اوتوا نصيبا من الملك وكانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كما يأتي احوال الملوك وانهم
لا يؤتون احدا مما يملكون شيئا وقرأ ابن مسعود رض فاذن لا يؤتوا على الحال اذن علما الذي هو النصب وهي ملغاة في قراءة
العامة كانه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا اذن ام يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله والمؤمنين على انكار الحسد واستنباطه
وكانوا يحسدونهم على ما آتيهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب
والحكمة آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله من فضله مثل ما اوتي اسلافه وعن ابن
عباس هم الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان وقيل استكثروا نساء داود وقيل استكثر من النساء
وقد كان لداود مائة وتسعون ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم من آمن به وآمن من حديث آل ابراهيم ومنهم من
صد عنه واكتفى علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله ومنهم من انكر نبوته او من آل ابراهيم من آمن بابراهيم ومنهم من كفر

مُلْكًا عَظِيْمًا ۝ فَمِنْهُمْ مَّنْ اٰمَنَ بِهٖ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفٰى بِجَهَنَّمَ
سَعِيْرًا

الناس

اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِاٰيٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيْهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُوْدُهُمْ بَدَّلْنٰهُمْ جُلُوْدًا
غَيْرَهَا لِيَذُوْقُوا الْعَذَابَ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَزِيْزًا حَكِيْمًا ۝ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ

من لدن لقوله غنهم مهتد ولتبين منهم فاسقون بدلناهم جلودا غيرها ابدلناهم اياها فان قلت كيف يعذب مكان
الجلود العاصية جلود لم تعص قلت العذاب للجلد الحساسة وهي التي عصت لا للجلد وعن فضيل لجعل النضيج
غير نضيج وعن رسول الله صلعم تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين مرة يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس
ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اراد امل على عزك وزادك فيه عزا لا يمتنع عليه شيء
مما يريد بالمجرمين حكيما لا يعذب الا بعدل من يستحقه ظليل صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل
ليل ويوم ايوم وما اشبه ذلك وهو ما كان فيئا لا هو وبه فيه وداء لا تنتهي الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد
وليس ذلك الا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما يزلفنا اليه الفيوء تحت ذلك الظل وفي قراءة عبد الله سيدخلهم
بالياء ان تؤدوا الامانات تسليمها اهلها الخطاب عام لكل احد في امانة وقيل نزلت في عثمن بن طلحة بن عبد الدار
وكان سادن الكعبة وذلك ان رسول الله صلعم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى
ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلويت علي بن ابي طالب يده واخذه منه وفتح ودخل رسول
الله وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان
يرد اليه المفتاح ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي اكرهت واذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شأنك قرآنا
وقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلعم جاء جبريل واخبر رسول الله صلعم ان السدانة في اولاد
عثمان ابدا وقيل هو خطاب للولاة بادائهم الامانات والحكم بالعدل على التوحيد نعما يعظكم به ما اما ان تكون منصوبة
موصوفة بيعظكم به وانما اندرجت موصولة كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص
بالمدح محذوف او نعم ما يعظكم به ذلك وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل في الحكم سميعا بصيرا فيما
امركم به من اداء الامانات الى اهلها وان تحكموا بالعدل امرا الناس بان يطيعوهم ويبذلوا على قضاياهم والمراد باولي الامر
منكم امراء الحق لا امراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما يجمع بين
الله ورسوله والامراء الموافقين لهما في ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهي عن اضدادهما كالخلفاء الراشدين
ومن تبعهم باحسان وكانت الخلفاء يقولون اطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة لي عليكم وعن ابي جاد انت
مسلمة بن عبد الملك قال لما اسلم امرتم بطاعتنا في قوله واولي الامر منكم قال ايسر قد رفعت عنكم اذا خالفتم الحق
بقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل هم امراء السرايا وعن النبي صلعم من اطاعني فقد اطاع
الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع اميري فقد اطاعني ومن يعص اميري فقد عصاني وقيل هم العلماء الذين
يدلون الناس الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فان تنازعتم في شيء فان اختلفتم انتم واولو الامر
منكم في شيء من امور الدين فردوه الى الله ورسوله اي ارجعوا الى الكتاب والسنة وكيف يلزم طاعة امراء الجور وقد جمع

ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ
وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا

الله الامر بطاعة اولي الامر بما لا يبقى معه شك وهو ان امرهم اولا باداء الامانات وبالعدل في الحكم وامرهم آخرا بالرد
الى الكتاب والسنة فيما اشكل وامراء الجور لا يؤدون امانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون بشيء الى كتاب ولا الى
سنة انما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين سماهم اولي الامر عند الله ورسوله واحق
اسمائهم اللصوص المتغلبة ذلك اشارة الى الرد او الرد الى الكتاب والسنة خير لكم واصلح واحسن تاويلا واحسن
عاقبة وقيل احسن تاويلا من تاويلكم انتم روي ان بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلعم
ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما اجتمعا الى رسول الله فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال هلم نتحاكم
الى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق اكذلك قال نعم فقال
عمر رضي مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا
اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله
انت الفاروق والطاغوت كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا لانه تعاطى فيه الطغيان وعدل عن رسول الله عليه السلام او عن
التشبيه بالشيطين والتنبيه باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان دليل
قوله وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم وقرئ بما انزل وما انزل على البناء للمفاعل وقرأ
عباس بن الفضل ان يكفروا بها ذهابا بالطاغوت الى الجمع كقوله اولياءهم الطاغوت يخرجونهم وقرأ الحسن
تعالوا بضم اللام على انه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما ليت به بالة واصلها ما ليته كعاقبة كما قال
الكسائي في آية اصلها آتيته فاعلة فحذفت اللام فلما حذف اللام وقعت واو الجمع بعد اللام من تعالى فضمت
فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول اهل مكة تعالين بكسر اللام الهلالية وفي شعر الهذلي تعالين اقاسمكن الهموم تعالين
والوجه فتح اللام فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني انهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون امرا ولا يوردونه
اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وارتهامهم لك عند ذلك في الحكم ثم جاؤك حين يصابون
فيعتذرون اليك ويحلفون ما اردنا بتحاكمنا اليه غيرك الا احسانا الى الخصم وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك
ولا تنحيا لحكمك فنرجو عنا بذلك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني الاعتذار
عند حلول باس الله وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله فقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا
احسانا وتوفيقا حيث علمنا محكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به فاعرض عنهم لا لتعاظمهم
لمصلحة في استبقائهم ولا تندد عليهم بالموعظة بما هم عليه وقل لهم في انفسهم قولا بليغا بالغ في وعظهم بالتوبيخ
والانذار فان قلت ما تعلق قوله في انفسهم قلت بقوله بليغا اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في انفسهم
قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو الوعيد بالقتل والاستيصال ان لم ينتهوا عن النفاق

انفسهم قولا بليغا

وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك
فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما

واطلع قرائحهم واخبرهم ان ما في قلوبهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه
المكافأة الا لاظهاركم الايمان واسراركم الكفر واضمار فان فعلتم ما تكلفون به عطاءكم لم يبق الا السيف او تعلق
بقوله قل لهم او قل لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا والا انزل الله بكم ما انزل
بالمجاهدين بالشرك من انتقامه وشر من ذلك واعظ او قل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مثالا لهم
بالمبضعة الانهاء في السر انجح وفي الايجاز ادخل قولا بليغا يبلغ منهم فيؤثر فيهم وما ارسلنا من رسول وما ارسلنا
رسولا قط الا ليطاع باذن الله بسبب اذن الله في طاعته وبامره المبعوث اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عن
الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ويجوز ان يراد بتيسير الله
وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من النفاق مستصلين مما ارتكبوا
فاستغفروا الله من ذلك بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك بعد قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم
الى الله واستغفر لوجدوا الله توابا لعلموا توابا الى التائب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات
تفخيما لشان رسول الله وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فلا وربك معناه
فوربك كقوله فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتاكيد وجوب العلم ولا يؤمنون
جواب القسم فان قلت هلا نحت انها زيدت لتظاهر لا في لا يؤمنون قلت يأبى ذلك استواء النفي
والاثبات فيه وذلك قولك فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم فيما شجر بينهم فيما اختلف
بينهم ومنه الشجر لتداخل اغصانه حرجا ضيقا لا يضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا لان الشاك في
ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا ويذعنوا لما تاتي به من قضايك لا يعارضونه بشيء من قولك
سلم لامر الله واسلم له وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة وتسليما تاكيد للفعل بمنزلة
تكريره كانه قيل ويسلموا تسليما لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل
في شان الزبير وحاطب بن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله صلعم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل
فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب وقال ان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله ثم قال اسق
يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوعب حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير بما رأى فيه السعة
له ولخصمه فلما احفظه رسول الله استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم حرضه على المقداد فقال لمن كان القضاء
فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه فنزلت فوثب يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول
الله ثم يتهمونه في قضائه يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حيوة موسى فدعانا الى التوبة منه فقال اقتلوا
انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله

فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا
قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ

ليعلم نبي الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر
فقال رسول الله صلعم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن
عمر بن الخطاب انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت الاية في شان حاطب
ونزلت في شان هؤلاء ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم
انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه الا نفر قليل منهم وهذا توبيخ عظيم
والرفع على البدل من الواو في فعلوا وقرئ الا قليلا بالنصب على اصل الاستثناء او على الا فعلا قليلا ما
يوعظون به من اتباع رسول الله وطاعته والانقياد لما يامره ويحكم به لانه الصادق المصدوق الذي لا ينطق
عن الهوى لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا لايمانهم وابعد من الاضطراب فيه واذا جواب لسؤال مقدر
كانه قيل وماذا يكون لهم ايضا بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا لآتيناهم من لدنا اجرا جزاء من لدنا اجرا
عظيما كقوله ويؤت من لدنه اجرا عظيما في ان المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته اجرا لانه تابع للامر
بالثبات والايتاء والهداية والتوفيق لازدياد الخيرات الصديقون افاضل صحابة الانبياء الذين
تقدموا في تصديقهم كابي بكر الصديق رض وصدقوا في اقوالهم وافعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث
وعد وامر افقة اقرب رسول عبادا الله لله وارفعهم درجات عنده وحسن اولئك رفيقا فيه معنى التعجب
كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا فيه ولا استقلال بمعنى التعجب تشرى وحسن بسكون السين يقول المتعجب
حسن الوجه وحسك وحسن الوجه وحسك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق والخليط في استواء
الواحد والجمع ويجوز ان يكون مفردا يبين به الجنس في باب الكيفيين وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلعم كان شديد
محبة رسول الله صلعم قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول
الله عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني لم اكن اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى
القاك فذكرت الآخرة فخفت انه لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في
منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال صلعم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد
حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكى ذلك عن جماعة من الصحابة ذلك مبتدأ
والفضل صفته ومن الله الخبر ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والفضل من الله خبر والمعنى ان ما اعطى المطيعون
من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم تبعا لثوابهم وكفى بالله عليما بجزاء
من اطاعه او اراد ان فضل المنعم عليهم ومنزلتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما بها
فهو يوفقهم على حسب احوالهم خذوا حذركم الحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر يقال اخذ حذره اذا يتيقظ واحترز

بالله عليما يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات
او انفروا جميعا

من الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى

وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ
أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ
مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ

من الخوف كانه جعل الحذر الة التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى اخذروا واحترزوا من العدو
ولا تلقوه من انفسكم فانفروا اذا انفرتم لملاقاة العدو اما ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية واما جميعا
او مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وقرئ فانفروا بضم الفاء اللام في لمن
للابتداء بمنزلتها في قوله ان الله لغفور وفي ليبطئن جواب قسم محذوف تقديره وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن
والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه ما استكن في ليبطئن والخطاب لعسكر رسول الله صلعم
والمبطئون منهم المنافقون لانهم كانوا يخذلون معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد
وبطاء بمعنى ابطاء كعتم بمعنى اعتم اذا ابطاء وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال بطاء على فلان وابطاء
عليه وبطؤ نحو ثقل وبقال ما ابطاء به بل فيعدى بالباء ويجوز ان يكون منقولا من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد
ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافقين عبد الله ابي وهو الذي ثبط الناس يوم
احد فان اصابتكم مصيبة من قتل او هزيمة فضل من الله من فتح او غنيمة ليقولن وقرأ الحسن ليقولن
بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لان قوله لمن ليبطئن في معنى الجماعة وقوله كان لم تكن بينكم وبينه مودة
اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني والمعنى كانه لم يتقدم له معكم مودة لان
المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر
انه تهكم لانهم كانوا اعدى عدو للمؤمنين واشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودة الا على وجه العكس تحكما
بحالهم وقرئ فافوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز معنى التمني فيكونا متمنيين جميعا
ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف يعني فانا افوز في ذلك الوقت يشرون يبيعون ويشترون ويبيعون قال ابن مفرغ
وشريت برد اليتن من بعد برد كنت هاما فالذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة هم المبطئون غلبوا باذعانهم
ما بهم من النفاق ويخلصون الايمان بالله ورسوله ويجاهدون في سبيل الله حق الجهاد والذين يبيعون هم المؤمنون
الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن
القتال فليقاتل الثابتون الخلصون وعد المقاتلين في سبيل الله ظافرا او مظفورا به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده
في اعزاز دين الله والمستضعفين فيه وجهان ان يكون مجرورا عطفا على سبيل الله اي في سبيل الله وفي خلاص
المستضعفين ومنصوبا على الاختصاص يعني واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله عام
في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من ايدي الكفار من اعظم الخير واخصه والمستضعفون هم الذين
اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى
الشديد فكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح

القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا
الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت

حتى جعل الله لهم من لدنه خيرولي وناصر وهو محمد صلعم فتولاهم احسن التولي ونصرهم اقوى النصر ولما اخرج منه
استعمل عتاب بن اسيد قرا فامنه الولاية والنصرة كما ارادوا قال ابن العباس كان ينصر الضعيف من القوي
حتى كانوا اعزها من الظلمة فان قلت لم ذكر الولدان قلت تسجيلا بانواط ظلمهم حيث بلغ اذاهم
الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وامهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولاة المستضعفين كانوا يشرون صبيانهم في
دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس عم وكما ورد في السنة باخراجهم
في الاستسقاء وعن ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز ان يراد بالرجال
والنساء الاحرار والحرائر وبالولدان العبيد والاماء لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل
للولدان والوليد الولدان للتغليب المذكور على الاناث كما يقال الآباء والاخوة فان قلت لم ذكر الظالم
وموصوفه مونث قلت هو وصف للقرية الا انه مسند الى اهلها فاعطي اعراب القرية لانه صفتها
وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم اهلها ولو انث فقيل الظالمة اهلها لجاز لتانيث
الموصوف ولكن لاسناده الى الاهل يذكر ويونث فان قلت هل يجوز من هذه القرية الظالمين اهلها قلت
نعم كما تقول التي ظلموا اهلها على لغة من يقول اكلوني البراغيث ومنه واسروا النجوى الذين ظلموا رغب
الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا باخبارهم انهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم
يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين الى جنب كيد الله لكل كيد
اضعف شيء واوهنه كفوا ايديكم اي كفوها عن القتال وذلك ان المسلمين كانوا بمكة فيمن من مقاتلة الكفار
ما داموا بمكة وكانوا يتمنون ان يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة كره فريق منهم لاشتداده الدين
ولا رغبة به ولكن نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول
فان قلت ما محل كخشية الله من الاعراب قلت محله النصب على الحال من الضمير في يخشون اي يخشون
الناس مثل اهل خشية الله او مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله
واشد معطوف على الحال فان قلت لم عدل عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم يقل يخشون
خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله قلت ان في ذلك قوله او اشد خشية لانه وما عطف عليه
في حكم ولو قلت يخشون الناس اشد خشية فتنصب خشية وانت تريد المصدر انما تقول اشد خشية فتجره
واذا نصبتها لم يكن اشد خشية الا بمعنى عن الفاعل حالا منه اللهم الا ان تجعل الخشية خاشية وذات خشية
على قولهم جد جده فيتم ان معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية
الله ويجوز على هذا ان يكون محل اشد جر وانما عطفا على خشية الله تريد كخشية الله او كخشية اشد خشية منها

قتل لهم
اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية
اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا
الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال

لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى
ولا تظلمون فتيلا اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان

لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت آخر كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق
ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من اجوركم على شاق القتال فلا تتركوه عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء
لو يدركم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كانه قيل فيدركم الموت وشبه بقول القائل من يفعل الحسنات
الله يشكرها ويجوز ان يقال حمل على ما يقع موقع اينما تكونوا ونحوا اينما تكونوا كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا
سواء وليسوا بصالحين فرفع كما رفع نعيم بقول الغلاء غايب مالي ولا حرم وهو قول نحوي سيبويه ويجوز ان
يقال بقوله ولا تظلمون فتيلا او ولا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم اينما تكونوا في ملاحم حروب او غيرها
ثم ابتدأ قوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على اينما تكونوا والبروج الحصون
مشيدة مرفعة وقرئ مشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وقرأ نعيم بن ميسرة
مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وانما الشاعر قارضها السيئة تقع على
البلية والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تع وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقال
ان الحسنات يذهبن السيئات والمعنى وان تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها الى الله وان تصبهم بلية
من قحط وشدة اضافوها اليك وقالوا هي من عندك وما كانت الا بشومك كما حكى الله عن قوم موسى وان تصبهم سيئة
يتطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك وروي عن اليهود لعنت انها لما تشاءمت
برسول الله صلعم فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها فرد الله عليهم بقوله قل كل من عند الله
يبسط الارزاق ويقبضها على حسب المصالح فلا يكادون يفقهون حديثا فيعلموا ان الله هو الباسط القابض وكل
ذلك صادر عن حكمة وصواب ثم قال ما اصابك يا انسان خطابا عاما من حسنة اي من نعمة واحسان فمن الله تفضلا
منه واحسانا وامتنانا واحتجاجا وما اصابك من سيئة او من بلية ومصيبة فمن عندك لان السبب فيها ما اكتسبت
يداك وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب
ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وارسلناك للناس رسولا
او رسولا للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم انت رسول العرب والعجم كقوله وما ارسلناك الا كافة يا ايها
الناس اني رسول الله اليكم جميعا وكفى بالله شهيدا على ذلك فما ينبغي لاحد ان يخرج من طاعتك وانما عكس من يطع الرسول
فقد اطاع الله لانه لا يأمر الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما امر به والانتهاء عما نهى عنه
طاعة لله وروي انه قال من اجابني فقد اجاب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا
الرجل لقد قارب الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى ثم قال
ومن تولى عن الطاعة فاعرض عنه فما ارسلناك الا نذيرا لا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم اعمالهم وتجازيهم عليها وتعاقبهم

نصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء
القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن

وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ
يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ

لقوله وما انت عليهم بوكيل ويقولون اذا امرتم بشيء طاعة بالرفع اي امرنا وشأننا طاعة ويجوز النصب بمعنى اطعنا طاعة وهذا من قولك امرتهم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحو قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له كيف اصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كانه قال امري وشأني حمد الله ولو نصبت حمد الله وثناء عليه كان على القول والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها بيت طائفة زورت طائفة وسوت غير الذي تقول خلاف ما قلت وامرت به او خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم ابطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بها يقولون ويظهرون والتبييت اما من البيوتة لانه قضاء الامور وتدبيرها بالليل يقال هذا امر بيت بليل ومنه بيات الشعر لانه الشاعر يدبره ويسويها والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحايف اعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد او يكتبه في جملة ما يوحي الى الملك فيطلعك على اسرارهم فلا يجدوا الى الطاعة يعني عنهم فاعرض عنهم ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله فان الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم اذا قوي حال الاسلام وعز اهله وقرئ بيت طائفة بالادغام وتذكير الفعل لان تانيث الطائفة غير حقيقي فلانها في معنى الفريق والنوع تدبر الامر تامله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تامل يعني تدبر القرآن تامل معانيه وتبصر ما فيه لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا فتتفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائقة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق اخبار علم انه ليس الا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه احد سواه فان قلت اليس نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين كانها جان فوربك لنسألنهم اجمعين يوم يومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان من الاختلاف قلت ليس باختلاف عند المتدبرين منهم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال ولا استنباط للامور كانوا اذا بلغهم خبر من سرايا رسول الله من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله والى اولي الامر منهم كبراء الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يؤثرون منهم لعلمه لعلم تدبيره ما اخبروا به الذين يستنبطونه الذين يستخرجونه تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايد العدو قيل كانوا يقفون من رسول الله على امين ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوا اليهم وكانوا هم الذين لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطونه تدبيره كيف يدبرونه وما يأتونه ويذرونه فيه وقيل كانوا يسمعون من اناس

القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا
تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ

المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وقالوا سكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر او يتلقونه منهم ويستخرجونه على من جهتهم يقال اذاع السر واذاع به قال اذاع به في الناس حتى كان بعلياء نار اوقدت بقرقرى وبجوز ان يكون المعنى فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وقرئ لعلمه بالتاء لان اللام كقوله فان احمده يتحمد كما ضحك بالذل من الدم ذوت صبحناه وغاديه والنبط الماء يخرج من البير اول ما تحفر وانباطه واستنباطه استخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من الحوادث والدلائل ولولا فضل الله عليكم ورحمته وبعثه الرسول وانزال الكتاب والتوفيق لاتباعه لاتبعتم الشيطان لبقيتم على الكفر الا قليلا منكم او الا اتباعا قليلا لما ذكر في الآية قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال فقاتل في سبيل الله اذا فرضوك وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك لا الجنود فان شاء نصرك وحدك كما نصرك وجوك الالوف وقيل دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفيان واعد رسول الله اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يأتوا على احد ولم يتبعهم احد الى خروج وجاء وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي ولا تكلف بالنون وكسر اللام او لا تكلف بجزم الا نفسك وحدها وحرض المؤمنين وما عليك في شأنهم الا التحريض فحسب لا التعنيف عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا وهم قريش وقد كف بأسهم فقتل بالاسر سبعين وقال هذا عام قحط وما كان منهم الا السويق ولا يأكلون الا في عام مخصب فرجع بهم والله اشد بأسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا الشفاعة الحسنة هي التي دعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر او جلب اليه خير ولم يشفع بها وجه الله ولم توخذ عليها رشوة وكانت بغير جاه لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما كلمت في حاجتك ولا اكلم فيما بقي منها وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك المنصب والدعوة على المسلم بضد ذلك مقيتا شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا واقتات على الشيء قال الزبير بن عبد المطلب وذي ضغن كففت النوء عنه وكنت على اساءته مقيتا وقال النمر بن تولب الى الفضل كلت اذا جئت حسبت اي على الحساب مقيت واشتقاقه من القوت لان الله يمسك النفس ويحفظها الاحسن فيها ان يقول وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان يزيد وبركاته اذا قال ورحمة الله وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم

اخراجه

بأسا واشد تنكيلا من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا

اللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّٰهِ
حَدِيثًا فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ

قال السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله فقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله
وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فأين ما قال الله وإذا حييتم
لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله أو ردوها أو أحسنوها بمثلها ورد السلام ورجعه جوابه بمثله لمن الجيب برد قول
المسلم ويكره وجواب التسليمة واجب والتحيات ما وقع بين الزيادة وتركها وعن ابن يوسف رحمه من قال لآخر
إقرأ فلان السلام وجب عليه أن يفعل وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس رضي الرد واجب
وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه إلا نزع منهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد
السلام في الخطبة وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والأذان والإقامة وعن ابن يوسف
لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام أو غيره
وذكر الطحاوي أن المستحب في السلام على الطهارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يتيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل إذا دخل
على امرأته ولا يسلم على أجنبية ويسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير
على الكبير والأقل على الأكثر وإذا التقيا ابتدأ وعن أبي حنيفة لا يحسن بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا سلم
عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم ما قلتم فإنهم كانوا يقولون السام عليكم ولا تقل ورحمة الله وروي لا تبدأ اليهودي
بالسلام وإن بدأك فقل وعليك وعن الحسن يجوز القول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فإنها استغفار وعن
الشعبي إذا قال النصراني سلام عليك وعليك السلام ورحمة الله فقيل له أليس في رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء
في أن يبدأ أهل الذمة بالسلام إذا دعت إلى ذلك حاجة بحق وروي ذلك عن النخعي وعن أبي حنيفة رحمه الله لا تبدأ بسلام
في كتاب ولا غيره وعن ابن يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم وإذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى وأرسل من الأنبياء
لدعاء يصلحه في دنياه على كل شيء حسيبا أي على كل شيء من التحية وغيرها إلا هو إما خبر المبتدأ وإما اعتراض والخبر
ليجمعنكم ومعناه الله والله ليجمعنكم ليوم القيامة أو ليحشرنكم إليه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم
من القبور أو قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن أصدق من الله حديثا لأنه عز وعلا صادق لا
يجوز عليه الكذب وذلك أن الكذب مستقبح يصارف عن الإقدام عليه وهو قبيح وجه قبحه الذي هو كونه كذبا والغنيان
عن الشيء بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب إلا لأنه محتاج إلى الكذب لجر منفعة أو دفع مضرة وهو غني عنه
إلا أنه يجهل غناه أو هو جاهل بقبحه أو هو سفيه يعرف قبح الصدق والكذب ولكن يأخذه الهوان ولا يبالي بما يأتي
وربما كان الكذب جاريا على حكمه من الصدق وعن بعض الشعراء أنه عوتب على الكذب فقال لو عرفت ما في الكذب
بعد ما فارقته وقيل للكذاب هل صدقت قط فقال لولا أني صادق في قولي لما قلتها فكان الحكيم الغني
الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح فينبغي نصب على الحال

عليكم أي

فقال

أي يحاسبكم

وَاللّٰهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللّٰهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ
فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ

لقوله مالك قائلا روي أن قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى البدو مقتلين باجتواء المدينة
فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال
بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا إلى رسول الله إنا على ديننا وما أخرجنا
إلا اجتواء المدينة وأردنا شيئا حتى نأتيه إلا بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله يوم أحد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون
الذين أغاروا على الرعاء وقتلوا بسارا وقيل هم قوم أظهروا الإسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم اختلفتم
في شأن قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم لم تتخذوا القول بكفرهم والله أركسهم أو ردهم في حكم
المشركين كما كانوا عما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله أو أركسهم في الكفر بأن خذلهم
حتى ارتكسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم أتريدون أن تهدوا أن تجعلوا من جملة المهتدين من أضل الله جعله
من جملة الضلال وحكم عليه بذلك وخذله وقد حكم بكفرهم أركسهم وركسوا فيها فتكونون عطف على تكفرون ولو نصب
على جواب التمني لجاز والمعنى ودوا لو تكفرون فتكونون معهم شركاء فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء فلا تتولوهم
وإن آمنوا حتى يظاهروا إيمانهم بهجرة صحيحة في سبيل الله ورسوله لا لغرض من أغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها بداوة ولا
تعرب فإن تولوا عن الإيمان الظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا
في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وإن فعلوا كل الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم إلا الذين يتصلون استثناء من قوله
فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون إلى قوم ينتهون إليهم ويتصلون بهم وعن أبي عبيدة هو من الانتساب وصلت إلى
فلان واتصلت به إذا انتميت إليه وقيل إن الانتساب لا أثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله بني هاشم
من هو من أنسابهم والقوم من الأسلميين كان بينهم وبين رسول الله عهد وذلك أنه قادم وقت خروجه إلى مكة هلال
ابن عويمر الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل إليه هلال وجاء إليه فله من الجوار مثل الذي لهلال
وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح أو جاءوكم لا يخلو من أن يكون معطوفا على صفة قوم كأنه قيل إلا الذين
يصلون إلى قوم معاهدين أو قوم مستكنين عن القتال لأنكم ولا عليكم أو على صلة الذين كأنه قيل إلا الذين يتصلون بالمعاهدين
أو الذين لا يقاتلونكم والوجه على العطف على الصلة لقوله فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله
لكم عليهم سبيلا بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقد أمر أن كفهم عن القتال إحدى حسنيين استحقاقهم
لنيل التعرض عنهم وترك الإيقاع بهم فإن قلت كل واحد من الاتصالين لا تأثير في صحة الاستثناء واستحقاق
إزالة التعرض من الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالمكانين لأن الاتصال بهؤلاء أو بهؤلاء دخول في حكمهم فهلا جوزت
أن يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فإن اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالمكانين واختلاطهم بهم وتجريدهم
على سننهم قلت هو جائز ولكن الأول أظهر وأجدى على أسلوب الكلام وفي قراءة أبي بينكم وبينهم ميثاق

صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم
فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم

جاؤكم حصرت صدورهم بغير واو وجهه أن يكون جاؤكم بيانا ليصلون أو بدلا واستينافا أو صفة بعد صفة لقوم حصرت
صدورهم في موضع الحال بإضمار قد والدليل عليه قراءة من قرأ حصرة صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد
صفة محذوف على أو جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلعم
غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض أن يقاتلوكم عن أن يقاتلوكم أو كراهة أن يقاتلوكم فإن قلت
أيمنعهم أن يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ما كانت كما فتهم إلا لقذف الله الرعب في قلوبهم
ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه وكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين لذلك معنى التسليط
فلقاتلوكم بالتخفيف والتشديد فإن اعتزلوكم فإن لم يتعرضوا لكم وألقوا إليكم السلم أي الانقياد والاستسلام
وقرئ بسكون اللام مع فتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم ستجدون آخرين
هم قوم من أسد وغطفان كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا
ونكثوا عهودهم كلما ردوا إلى الفتنة كلما دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين أركسوا فيها قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه
وكانوا شرا فيها من كل عدو حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم
وانكشاف حالهم في الكفر والغدر وإضرارهم بأهل الإسلام أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم في قتلهم وما كان
لمؤمن وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله وما كان لنبي أن يغل وما يكون لنا أن نعود أن يقتل مؤمنا ابتداء
قتلا إلا خطأ إلا على وجه الخطأ فإن قلت هم انتصب خطأ قلت إما مفعول له أي ما ينبغي له أن
يقتله لعلة من العلل إلا للخطأ وهذا وجه وجوز أن يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الأحوال إلا في حال الخطأ وأن يكون
صفة للمصدر أي قتلا خطأ والمعنى أن من شأن المؤمن أن ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة إلا
إذا وجد منه خطأ من غير قصد بأن يرمي كافرا فيصيب مسلما أو يرمي شخصا على أنه كافر فإذا هو مسلم وقرئت
خطأ بالمد وخطأ بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروي أن عياش بن أبي ربيعة وكان أخا أبي جهل لأمه أسلم
وهاجر خوفا من قومه إلى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلعم فاشتدت أمه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف
حتى يرجع فخرج أبو جهل ومعه الحارث بن زيد بن أبي أنيسة فأتياه وهو في أطم فقتلا منه أبو جهل في الأشهر
والحارث وقال أليس محمد يحثكم على صلة الرحم أنصرف وبرة أمك وأنت على دينك حتى تنزل وذهب معهما فلما
نسجا من المدينة كتفاه وجلد كل واحد منهما مائة جلدة فقال الحارث هذا أخي فما أنت يا جارث لله علي
إن وجدتك خاليا أن أقتلك وقدما به على أمه فحلفت لا يحل كتافه أو يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك وأسلم
الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر بإسلامه فأخذ سيفه فقتله ثم أخبر بإسلامه فأتى رسول
الله صلعم فقال قتلته ولم أشعر بإسلامه فنزلت فتحرير رقبة والتحرير الإعتاق والحرر والعتيق الكريم لأن
خطاء فتحرير رقبة مؤمنة ودية

مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير
رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله

لأن الكرم في الإحرار كما أن اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرمها وجرى الوجه أكرم موضع منه
ومنه قولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل أي لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلان
يملك كذا رأسا من الرقيق والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الإسلام عند عامة العلماء وعن الحسن
لا تجزئ إلا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزئ الصغيرة وقاس عليها الشافعي رضي الله عنه كفارة الظهار فاشترط
الإيمان وقيل لما أخرج نفسا مؤمنة عن جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفسا مثلها في جملة الأحرار لأن
الإيمان وقيل لما أخرج نفسا مؤمنة عن جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفسا مثلها في جملة الأحرار لأن
الإيمان قيد الرق كما أحياها من قبل أن الرقيق ممنوع من تصرف الأحرار مسلمة إلى أهله مؤداة إلى ورثته
يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء يقضى منها الدين وتنفذ الوصية وإذا
لم يبق وارث فهي لبيت المال لأن المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله صلعم أنا وارث من لا وارث له
وعن عمر رضي الله عنه يقضي بدية المقتول فجاءت امرأة تطلب ميراثها من عقله فقال لها اعلمي أن ميراثك منه الدية للعصبة
الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب إلي رسول الله يأمرني أن أورث امرأة
أشيم الضبابي من عقل زوجها أشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل
لا يقضى منها دين ولا ينفذ وصية وعن ربيعة أن عمر ألزم الجنين وجدها وذلك خلاف قول الجماعة
فإن قلت على من يجب الرقبة والدية قلت على القاتل لأن الرقبة في ماله والدية تحملها عنه
العاقلة فإن لم يكن له عاقلة ففي بيت المال فإن لم يكن في ماله إلا أن يصدقوا ومعناه العفو كقوله
إلا أن يعفون ونحوه وأن تصدقوا خير لكم وعن النخعي لم كل معروف صدقة وقرئ إلا أن يتصدقوا
فإن قلت بماذا تعلق أن يصدقوا وما محله قلت تعلق بعليه أو بمسلمة كأنه قيل وتجب عليه الدية أو
وتسلم إلا حين يتصدقون وعليه فمحلها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز
أن يكون حالا من أهله بمعنى إلا متصدقين من قوم عدو لكم من قوم كفار أهل حرب وذلك نحو رجل أسلم في قومه
الكفار وهو بين أظهرهم لم يهاجر فقتل فقاتله الكفار إذا قتله خطأ وليس على عاقلته لأهله شيء لأنهم
كفار محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم يأتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم
خطأ لأنهم يظنونه كافرا مثلهم وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين وأهل
الذمة من الكتابيين فحكمه كحكم مسلم من المسلمين فمن لم يجد رقبة يعني لم يملكها ولا يتوصل إليها فعليه
صيام شهرين متتابعين توبة من الله قبولا ورحمة من تاب الله عليه إذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه
أو تقلكم من الرقبة إلى الصوم توبة منه هذه الآية من التهديد والإيعاد والإرعاد والإبراق والإرهاب وخطب
غليظ ومن ثم روي عن ابن عباس رضي الله عنه ما روي من أن توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ
لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ

مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا

اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد والا فقتل ذنب يجوز التوبة وناهيك بجرم الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وفيه ان هذا الشان بليان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل شطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤن هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث الفظيعة وقول ابن عباس مع التوبة ثم سلاتهم اشعبتهم وطناعيتهم الفارغة وابتاعهم هواهم وما تخيل اليهم منانيهم ان يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ثم ذكر الله سبحانه وتعالى التوبة في قتل الخطاء لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع واي تحسم ولكن لا حيوتن تنادي فان قلت هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر قلت ما ابين الدليل فيها وهو تناول قوله ومن يقتل المؤمن قاتل كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم الغير التائب بدليل مثله فتبينوا وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوروا فيه من غير روية وقرئ السلم والسلام وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية اهل الاسلام لست مؤمنا وقرئ مؤمنا بفتح الميم من آمنه اذا لم يشرك واصله ان سرية من سليم رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غير فغنمتهم سرية لرسول الله صلعم كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل الجاء غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا وكبر وتبعهم قال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ من السوء فرصة لنا خذ ماله كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحقنت دماؤكم واموالكم من غير اشتراط الاطلاع على مواطأة قلوبكم لسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تتثبتوا واظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا ان تهليل هذا لا يتاء القتل لا لصدق النية فسلمهم فتجعلون سلما الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله وقوله فتبينوا تكرير الامر بالتبين ليؤكد عليهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهاونوا في القتل وكونوا محترزين

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ

دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ

محتاطين في ذلك غير اولي الضرر قرئ بالحركات الثلث فالرفع صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم او حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض والعاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وعن زيد بن ثابت انت الى جنب رسول الله صلعم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان تدضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف لمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم قال اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال غير اولي الضرر قال زيد انزلها الله وحدها فالحقتها والذي نفسي بيده لكأني انظر الى ملحقها عند صدعي في الكتف وعن ابن عباس رضي لا يستوي القاعدون عن زيد والخارجون اليها وعن مقاتل الى تبوك فان قلت معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فايدة نفي الاستواء قلت معناه ان كان ما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد لياتك القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحو هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اريد به التحريك من جمية الجاهل وانفته ليهتاب به الى التعلم وليهضم نفسه عن ضعة الجهل الى شرف العلم فضل الله المجاهدين جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير اولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف وكلا وعد الله كل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن النبي صلعم ان بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت ايديهم تهوي الى الجهاد وهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره فان قلت قد ذكر الله تعالى مفضلين درجة ومفضلين درجات فما هم قلت اما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الاضرار واما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية فان قلت لم نصب درجة واجرا ودرجات قلت نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل كانه قيل فضلهم تفضيلة ونظيره قولك ضربه سوطا يعني ضربة وانما اجملا نقد انتصب بفضل لانه في معنى اجرهم اجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات بنصب درجة كقولك ضربه اسواطا يعني ضربات كانه قيل وفضلهم تفضيلات ونصب اجرا عظيما على انه حال من النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما يعني ومغفرة لهم ورحمة مغفرة ورحمة توفيهم يجوز ان يكون ماضيا كقوله من قرأ توفتهم ومضارعا يعني تتوفاهم كقراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت يعني الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها او يكونهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم

ان

قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً
فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ

في حال ظلمهم أنفسهم قالوا قال الملائكة للمتوفين فيم كنتم في أي شيء كنتم من أمر دينكم وهم ناس من أهل مكة أسلموا
ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة **فإن قلت** ليس هذا صحيح وقوع قوله كنا مستضعفين في الأرض جوابا عن قولهم
فيم كنتم وكان حق الجواب أن يقولوا كنا في كذا أو لم نكن في شيء **قلت** معنى فيم كنتم التوبيخ بأنهم لم يكونوا في شيء من
الدين حيث قدروا على الهجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف
وأنهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها أي
ألم تكن قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من إظهار دينكم ومن الهجرة إلى رسول الله صلعم
كما فعل المهاجرون إلى أرض الحبشة وهذا دليل على أن الرجل إذا كان في بلد لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يجب لبعض
الأسباب والموانع عن إقامة الدين إلا بهجره أو علم أنه في غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة حقت عليه المهاجرة
وعن النبي صلعم من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق إبراهيم
ونبيه محمد عليهما السلام اللهم إن كنت تعلم أن هجرتي إليك لم تكن إلا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك
المرجو من فضلك والبغية من رحمتك وصل جواري لك بقاؤي عند بيتك بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة ثم استثنى
من أهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك وروي أن
رسول الله صلعم بعث بهذه الآية إلى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة أو ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فإني من
المستضعفين والله لا أبيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها إلى المدينة وكان شيخا
كبيرا فمات بالتنعيم **فإن قلت** كيف أدخل الولدان في جملة المستثنين من أهل الوعيد كأنهم كانوا يستحقون الوعيد
مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا **قلت** الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين وقادرين
لا يكونون كذلك وأما الولدان فلا يكونون إلا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لأن سبب خروج الرجال والنساء
من جملة أهل الوعيد إنما هو كونهم عاجزين فإذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة
هذا أريد بالولدان الأطفال ويجوز أن يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف
وإن أريد العبيد والإماء البالغون فلا سؤال **فإن قلت** الجملة التي هي لا يستطيعون ما موقعها **قلت**
هي صفة للمستضعفين أو للرجال والنساء والولدان وإنما جاز ذلك والجمل نكرات لأن الموصوف وإن كان فيه حرف
التعريف فليس لشيء بعينه كقوله ولقد أمر على اللئيم يسبني **فإن قلت** لم قيل عسى الله أن يعفو عنهم بكلمة
الإطماع **قلت** للدلالة على أن ترك الهجرة أمر مضيق لا توسعة فيه حيث إن المضطر البهر الاضطرار من
حقه أن يقول عسى الله أن يعفو عني فكيف بغير مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قوما أو يغارمهم على رغم
أنوفهم والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الأنف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل إذا فارقته

من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله
عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله

وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا
وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ
أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ

وهو يكون مهاجرا ترك المنزلة بالهجرة بذلك قال النابغة الجعدي أطوي بلادا بأركانها عزيز المراغم والمذهب وقرئ
مدركا قوي ثم يدركه الموت بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقيل رفع الكاف منقول عن الهاء كأنه أراد أن يقف
عليها ثم نقل حركة الهاء إلى الكاف كقوله من غدر ق سبني لم أضربه **وقرئ** يدركه بالنصب على إضمار أن كقوله
وألحق بالحجاز فأستريحا فقد وقع أجره على الله فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فإذا وجبت
جنوبها ووجبت الخمس سقط قدرها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه وروي في قصة جندب
بن ضمرة أنه لما أدركه الموت أخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك
عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره أصحاب رسول الله فقالوا لو توفي بالمدينة لكان أتم أجرا وقال المشركون
وهم يضحكون ما أدرك هذا ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض دنيوي من طلب علم أو حج أو جهاد أو ضرب
في بلاد ليزداد فيها طاعة أو قناعة أو زهدا في الدنيا أو انتغاء رزق طيب فهي هجرة إلى الله ورسوله وإن أدركه الموت
في طريقه فأجره واقع على الله **الضرب** في الأرض السفر وأدنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند أبي حنيفة
مسيرة ثلاثة أيام ولياليها لأن السفر اسم لما يطول وشيء الأقدام على القصد ولا اعتبار بأبطاء الضارب وإسراعه فلو سافر
مسيرة ثلاثة أيام ولياليها لم يقصر ولو سافر مسيرة يوم في ثلاثة أيام لم يقصر وعند الشافعي أدنى مدة السفر
أربعة برد مسيرة يومين وقوله فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة ظاهر التخيير ذهبت الشافعي إلى أن القصر
روي عن النبي صلعم إذا أنتم في السفر وعن عائشة رضي الله عنها اعتمر رسول الله من المدينة إلى مكة حتى
إذا قدمت مكة قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي قصرت وأتممت وصمت وأفطرت فقال أحسنت يا عائشة
وما عاب علي علي وكان عثمان رضي الله عنه يتم ويقصر وعند أبي حنيفة رحمه الله القصر عزيمة غير رخصة لأن عمر
عمر صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة رضي الله عنها أول ما فرضت الصلوة
فرضت ركعتين فأقرت في السفر وزيد في الحضر **فإن قلت** فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح أن تقصروا
قلت كأنهم ألفوا الإتمام فكانوا مظنة لأن يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا في القصر فنفي عنهم الجناح لتطييب
أنفسهم بالقصر وليطمئنوا إليه **وقرئ** تقصروا من أقصر وجاء في الحديث أقصروا الخطبة يعني تقصيرها وقرأ
الزهري تقصروا بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله إن خفتم
أن يفتنكم الذين كفروا وأما في حال الأمن فبالسنة وفي قراءة عبد الله من الصلوة أن يفتنكم ليس فيها إن خفتم
على أنه مفعول له يعني كراهة أن يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض لما يكره وإذا كنت فيهم فأقمت لهم
الصلوة يتعلق بظاهره من يرى صلوة الخوف بعد رسول الله صلعم حيث شرط كونه فيهم وقال من رآها
بعده أن الآية نزلت عند رسول الله صلعم في كل عصر قوام مما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل إمام

أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة

ركعتين

مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ
طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ

يقول حاضر الجماعة في حال الخوف عليهم ان يؤمهم كما امر رسول الله الجماعة التي كانت تحضرها والضمير في فيهم للذين
فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك فصل بهم وليأخذوا اسلحتهم الضمير للمصلين
واما لغيرهم فان كان للمصلين فقالوا ياخذوه من السلاح مما لا يتخلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ونحوهما وان
كان لغيرهم فلا كلام فيه فاذا سجدوا فليكونوا يعني غير المصلين من ورائكم يحرسونكم وصفة صلوة الخوف عند ابي حنيفة
ان يصلي الامام باحدى الطائفتين ركعة ان كانت الصلوة ركعتين والاخرى بازاء العدو ثم تقف هذه بازاء العدو
العدو وتاتي الاخرى فيصلي بها الركعة ويتم صلوته ثم تقف هذه بازاء العدو وتاتي الاولى فتؤدي الركعة
بغير قراءة وتتم صلوتها ثم تجلس وتاتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلوتها والسجود على ظاهره عند
ابي حنيفة رحمه الله وعند مالك يجيء الصلوة لان الامام يصلي عند بطائفة ركعة ويقف قائما حتى تتم صلوتها
وتسلم وتذهب ثم يصلي بالثانية ركعة ويقف قاعدا حتى تتم صلوتها ويسلم بهم ويعتد ولتات طائفة اخرى
لم يصلوا فليصلوا معك وتبرى وامتعتكم فان قلت كيف جمع بين الاسلحة وبين الحذر في الاخذ
قلت جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة في الاخذ
وجعلا ماخوذين وفي قوله والذين تبوؤا الدار والايمان جعل الايمان مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك
جمع بينه وبين الدار في التبوؤ فيميلون عليكم فيشدون عليكم شدة واحدة ورخص لهم في وضع الاسلحة ان تثقل عليهم
جملتها بسبب ما يلحقهم من مطر او يضعفهم من مرض وامرهم مع ذلك باخذ الحذر ليلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو
فان قلت كيف طابق الامر بالحذر قوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا قلت الامر بالحذر
من العدو يوهم توقع غلبته واعتراض فيضعف عنهم ذلك الايهام باخبارهم انما الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم
عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر ليس لذلك وانما هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
فاذا قضيتم الصلوة فاذا صليتم في حال الخوف والقتال فاذكروا الله فصلوها قياما مسايفين ومقاتلين وقعودا
جاثين على الركب مرامين وعلى جنوبكم متحنين بالجراح فاذا اطمانتم حين تضع الحرب اوزارها وامنتم فاقيموا
الصلوة فاتموها ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والارتجاج ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا
مفروضا او وقتا لا يجوز اخراجها عنه او وقتها على اي حال كنتم خوف او امن وهذا ظاهر على مذهب الشافعي رضي الله عنه
في الجابر الصلوة على المجاهد في حال المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة كلما امكن وقتها فاذا اطمانتم فعليه
فعليه القضاء واما عند ابي حنيفة رضي الله عنه فهو معذور في ترك الصلوة الى اطمينان وقيل معناه فاذا قضيتم صلوة الخوف
فادعوا واذكروا الله حامدين مكبرين مستبحين داعين بالنصرة والتاييد في كافة احوالكم من قيام وقعود واضطجاع
فان ما انتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه والتجاء اليه فاذا اطمانتم فاذا امنتم فاقيموا الصلوة

على المؤمنين كتابا موقوتا

الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم
فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان
بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا
اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا فاذا
قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمانتم
فاقيموا الصلوة ان الصلوة كانت

فاتموها

وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ
مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

فانتوها ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال والتعرض بهم ثم الزمهم
الحجة بقوله ان تكونوا تألمون ليس بما تكابدونه من الالم بالجرح والقتل مختصا بكم انما هو امر مشترك بينكم
وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم انهم يصبرون عليه ويحتسبون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى منهم بالصبر
لانكم ترجون من الله ما لا يرجون من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب العظيم في الاخرة وقرأ الاعرج
ان تكونوا تألمون بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا وقوله فانهم يألمون كما تألمون تعليل وقتادة فانهم
يتألمون كما تألمون وروي ان هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتوكلوا وكان الله عليما حكيما لا يكلفكم شيئا ولا
يأمركم ولا ينهاكم الا لما هو عالم به مما يصلحكم روي ان طعمة بن ابيرق احد بني ظفر سرق درعا من جاره اسمه
قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود
فالتمس الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما لهم بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل
اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله
فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله ان يفعل وان
يعاقب اليهودي وقيل هم ان يقطع يده فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة
ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله بما اراك الله مما اوحى اليك وعن عمر رضي الله عنه لا يقولن احدكم قضيت
بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه ولكن اجتهدوا رايكم لا ان الرأي من رسول الله كان مصيبا لان الله كان
يريه اياه وهو منا الظن والتكلف ولا تكن للخائنين خصيما ولا تكن لاجل الخائنين مخاصما للبرآء يعني لا تخاصم
اليهود لاجل بني ظفر واستغفر الله مما هممت به من عقاب اليهود وعن قتادة يختانون انفسهم يخونونها بالمعصية كقوله علم
الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية الصناع خيانة لانفسهم من حيث انها تضر بانفسهم كما جعلت ظلما لانها تضر
راجع اليهم فان قلت لم قيل للخائنين ويختانون انفسهم وكان السارق طعمة وحده قلت لوجهين
احدهما ان بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في الاثم والثاني انه جمع ليعمهما ولطعمة وكل من خان
خيانته فلا يخاصم لخائن قط ولا يجادل عنه فان قلت لم نهوا ابتداء على المبالغة قلت كان الرجل
عاتبه من طعمة بما مر في الخيانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمته من لم يشك في حاله وقيل اذا عثرت من رجل
على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر رضي الله عنه انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذا اول سرقة سرقها
فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يأخذ عبده في اول مرة يستخفون ويستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ذمهم
ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خافية من سرهم وكيدهم
بيتوا ما لا يرضى من القول وهو تبييت مبادئ القتل والخديعة من قتلهم مع علمهم ان كانوا مؤمنين انهم في حضرته لا يستترون
بالمعاصي عن الناس مما ارتكبوه من الخيانة والتهمة من قتلهم مع علمهم ان كانوا مؤمنين انهم في حضرته لا يستترون
بالمعاصي عن الناس مما ارتكبوه من الخيانة والتهمة من قتلهم مع علمهم ان كانوا مؤمنين انهم في حضرته لا يستترون
بالمعاصي عن الناس مما ارتكبوه من الخيانة والتهمة من قتلهم مع علمهم ان كانوا مؤمنين انهم في حضرته لا يستترون

إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا هَاأَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ
جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ

ولا غفلة ولا غيبة وليس المراد الكشف الصريح والافتضاح يبيتون يدبرون ويزورون واصله ان يكون بالليل ما لا
ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف بريئا فان قلت
كيف سمي التدبير قولا وانما هو معنى في النفس قلت لما حدث بذلك نفسه سمي قولا على المجاز ويجوز
ان يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان بيته وتوريكه الذنب على اليهودي ها انتم هؤلاء
ها للتنبيه انتم واولاء مبتدأ وخبر وجادلتم جملة مبينة لوقوع اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى
انتم حاتم تجودها لكم وتؤثرعلى نفسك ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى
ها هنا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه وقرأ عبد الله
عنه او عن طعمة وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره كما
فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب
دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون
منه ولقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه فانما يكسبه على نفسه اولا يتعداه ضرره الى غيره فليتوب على نفسه
من كسب السوء وخطيئة صغيرة او انما او كبيرة ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا وانما اذنب
الاثم آثم وبريئا البرئ باهت فهو جامع بين الامرين وقرأ معاذ بن جبل رض ومن يكتسب بكسر الكاف
والسين المشددة واصله يكتسب ولولا فضل الله عليك ورحمته وعصمته والطافه وما اوحى اليك من الاطلاع
على سر تبييتهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بان
الجاني هو صاحبهم فقد روي ان ناسا منهم كانوا يعلمون كذب القصة وما يضلون الا انفسهم لان وبال تعليمهم وما
يضرونك من شيء لان ما عملت ظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وعلمك ما لم تعلم
من خفيات الامور وضمائر القلوب او من امور الدين والشرائع ويجوز ان يراد بالطائفة بنو ظفر وبرجع
الضمير في منهم الى الناس وقيل الآية في المنافقين فقيل لا خير في كثير من نجويهم من تناجي الناس الا من امر بصدقة
الا نجوى من امر على انه مجرور بدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد ويجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع
بمعنى لكن ولكن من امر بصدقة في نجواه الخفية وقيل المعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف وقيل
هو عام في كل جميل ويجوز ان يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن النبي
صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وسمع سفيان رجلا يسأل
اشد هذا الحديث فقال الم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم فهو هذا بعينه او ما سمعته يقول والعصر ان
الانسان لفي خسر فهو هذا بعينه وشرط في استحباب الاجر العظيم ان ينوي فاعل الخير عبادة الله والتقرب

وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ
إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ

ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ
مَصِيرًا إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ

اليه وان يبتغي به وجه الله خالصا لان الاعمال بالنيات فان قلت كيف قال الا من امر ثم قال ومن يفعل ذلك قلت
قد دل الامر بالخير لدلالته على فاعله لانه اذا دخل الامر مدخل الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك
فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم ويجوز ان يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر بالفعل كما يعبر به عن سائر
الافعال وقرئ يؤتيه بالياء ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم وهو
دليل على ان الاجماع حجة لا يجوز مخالفتها كما لا يجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله عز وجل جمع بين اتباع سبيل
غير المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كمشاقة الرسول نوله
ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال بان نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وقرئ ونصليه
بفتح النون من صلاه وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه الى مكة ان الله لا يغفر ان يشرك به تكرير للتأكيد
وقيل كرر لقصة طعمة وروي ان مشركا وقيل جاء شيخ من العرب الى رسول الله فقال اني شيخ منهمك
في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراءة
على الله ولا مكابرة له وما تورطت طرفة عين اني اعجز الله هربا وانني لنادم تائب مستغفر فما حالي عند الله
فنزلت وهذا الحديث نص في ان يشاء بالتائب من ذنبه الا اناثا في اللات والعزى ومناة وعن الحسن
لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات
الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقرئ انثا جمع انيث او اناث ووثنا واوثانا بالتخفيف
والتثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد واسد وقلبت الواو الفا نحو اجوه في وجوه وقرأت عائشة رضي الله عنها
اوثانا وان يدعون وان يعبدون بعبادة الاصنام الا شيطانا لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه
فجعلت طاعتهم له عبادة ولعنة الله وقال لاتخذن صفة لشيطانا يعني شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا
القول الشنيع نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا فرضته لنفسي من قولهم فرض له في العطاء وفرض الجند رزقه
قال الحسن من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار ولامنينهم الاماني الباطلة من طول
الاعمار وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك
وتبتيكهم الآذان فعلهم بالبحائر كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا
على انفسهم الانتفاع بها وتغييرهم خلق الله فقئ عين الحامي واعفاء عن الركوب وقيل الخصاء وهو
قول عامة العلماء وهاج في البهائم وثنا في بني آدم فجفوه وعند ابي حنيفة رحمه الله شرب الخصيان واستخدامهم
لان الرغبة فيهم تدعو الى اختصائهم وقيل فطرة الله هي دين الاسلام وقيل الحسن ان عكرمة
يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود رض هو الوشم وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات

ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا

وَعْدَ اللّٰهِ حَقًّا وَمَنْ اَصْدَقُ مِنَ اللّٰهِ قِيْلًا لَيْسَ بِاَمَانِيِّكُمْ وَلَا اَمَانِيِّ اَهْلِ الْكِتٰبِ مَنْ
يَعْمَلْ سُوْٓءًا يُّجْزَ بِهٖ وَلَا يَجِدْ لَهٗ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَلِيًّا وَّلَا نَصِيْرًا وَمَنْ يَّعْمَلْ مِنَ الصّٰلِحٰتِ

والمستوشمات المغيرات خلق الله وقيل التحنث وعد الله حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد
لغيره ومن اصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ فان قلت ما فايدة هذه التوكيدات قلت معارضة
مواعيد الشيطان الكاذبة وامانيه الباطلة كقوله تعالى يعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا تعريضا للعباد في ايثار
ما يستحقون به تجنب وعد الله على ما يتجرعون في عاقبته غصص اخلاف الشيطان في ليس ضمير وعد الله اي
ليس ينال ما وعد الله من الثواب بامانيكم ولا بامانيّ اهل الكتاب والخطاب للمسلمين لانه لا يبقى وعد الله
الا لمن آمن به ولذلك ذكر اهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الايمان بوعد الله وعن مسروق والعدوي من ذ
المسلمين وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم امانيهم المغفرة
حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل وقيل
ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن
اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي قبله فنزلت ويحتمل ان يكون الخطاب للمشركين لقولهم
ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا وتبين ما لاوولد الذي عند الجنة وكان اهل الكتاب
يقولون نحن ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما معدودة ويعضده تقدم ذكر اهل الشرك قبله وعن مجاهد
ان الخطاب للمشركين قوله من يعمل سوءا يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر تمني اهل الكتاب نحو من قوله
بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله لن تمسنا النار الا اياما
معدودة واذا ابطل الله الامانيّ واثبت ان الامر كله معقود بالعمل وان من يصلح عمله فهو الناجي ومن اخطأه بعمله
فهو الهالك بتدبير الامر ووضع ووجب قطع الامانيّ وحسم المطامع والاقبال على العمل الصالح ولكنه نصح لا يغني
الا اذا وقع اليه الاذعان فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض اراد
ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو تكليف وفي
وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكوة وتسقط عنه الصلوة في بعض الاحوال والثانية لتبيين الابهام
في من يعمل فان قلت كيف خصص الصالحون بانهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك قلت فيه وجهان
احدهما ان يكون الراجع في ولا يظلمون لعامل السوء والمعمول الصالحات جميعا والثاني ان يكون ذكر عند احد
الفريقين والاعلى ذكر عند الآخر لان كلا الفريقين يجازون باعمالهم لا تفاوت بينهم ولان ظلم المسيء ان يزاد
في عقابه وارحم الراحمين حاوم الله لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه واما المحسن فله ثوابه وتوابه
الثواب من فضل الله هي في حكم الثواب بجاز ان ينقص من الفضل الذي ليس بواجب فكان نفي الظلم دالا على انه لا يقع
نقصان في الفضل اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله وجعلها سالمة لا يعرف لها ربا ومعبودا وهو محسن وهو عامل
سواه

١٥١

حَنِيْفًا وَاتَّخَذَ اللّٰهُ اِبْرٰهِيْمَ خَلِيْلًا وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَكَانَ اللّٰهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ مُّحِيْطًا وَيَسْتَفْتُوْنَكَ فِي النِّسَآءِ قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيْكُمْ فِيْهِنَّ وَمَا يُتْلٰى عَلَيْكُمْ فِي

للحسنات تاركا للسيئات حنيفا مائلا من المتبع او من ابراهيم كقوله بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين
وهو الذي تحنف اي مال عن الاديان كلها الى دين الاسلام واتخذ الله ابراهيم خليلا مجاز عن اصطفايه واختصاصه
بالكرامة يضعه كرامة الخليل عند خليله ولتخليل المخالّ وهو الذي يخالك اي يوافقك في خلالك او يسايرك في طرق
من الخلّ وهو الطريق في الرمل او يسد خللك كما يسد خللها او يدخلك مدخل ذلك ويجعل فان قلت ما موقع
هذه الجملة قلت هي جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم والجوادث
جمة فايدته تاكيد وجوب اتباع ملته لانه من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا كان حريا بان يتبع ملته
وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى وقيل ان ابراهيم علم بعث الحق خليله بمصر في ازمة
اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريد للاضياف
فاجتاز غلمانه بمطحن يشتد فلما قربها الغرابين حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم ساءه الخبر فقال من اين
فجعلت عيناه وعمدت امراته الى غرارة سنها فاخرجت اجمل جواريه واختزنت واستقبلها ابراهيم فاشتم ريحه
الخبز فقال من اين لكم هذا فقالت امراته من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله
خليلا ولله ما في السموات وما في الارض متصل بذكر الصالحين والطالحين ومعناه ان له ملك اهل الجنة
والارض فطاعته واجبة عليهم وكان الله بكل شيء محيطا فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم ان
يختاروا لانفسهم ما هو اصلح لها ما يتلى في محل الرفع اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى من قوله
وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك اعجبني زيد وكرمه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب
خبره على انها جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وان العدل والنصفة في حقوق
اليتامى من عظائم الامور المدفوعة الى الله عند الله التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها والمخلي بها ظالم
منها ومن عظائم الله ونحوه في تعظيم القرآن وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز ان يكون مجرورا على القسم
كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم ايضا لمعنى التعظيم وليس بسديد ان يعطف على
المجرور في فيهن لاختلافهما من حيث اللفظ والمعنى فان قلت بم تعلق قوله في يتامى النساء قلت في الوجه
الاول بموصول يتلى اي يتلى عليكم في معناهن ويجوز ان يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن واما في الوجهين الاخيرين
فبدل الاغير فان قلت الاضافة في يتامى النساء وما هي قلت اضافة لمعنى من كقولك عندي سحق عمامة
وقرى لي يتامى النساء بياء على قلب همزة ايامى يا لا تؤتونهن ما كتب لهن وقرى ما كتب الله لهن اي ما فرض
لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه وماله فان كانت جميلة تزوجها وان كانت دميمة عضلها
عن التزوج حتى تموت فيرثها وترغبون ان تنكحوهن يحتمل في ان تنكحوهن الحاقهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن

الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب الله لهن وترغبون ان تنكحوهن

وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ
اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ

وروى ان عمر بن الخطاب كان اذا اجاء وطا اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال تزوجها غيرك والقسط هنا من غير منكم وان كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها فانت احق بها والمستضعفين مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية انما يورثون القوام بالامور دون الاطفال والنساء ويجوز ان يكون خطابا للاوصياء كقوله ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ان تقوموا مجرور كالمستضعفين يعني يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم والامر الثاني احدا يتضمنهم خافت من بعلها توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله والمارارة والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة وان يؤذيها بسب او ضرب والاعراض ان يعرض عنها بان يقل محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض الاسباب من طعن في سن او دمامة او شيء في خلق او خلق او ميل الى اخرى او غير ذلك فلا باس بهما في ان يصلحا بينهما وقرئ يصالحا ويصلحا ويصطلحا واصلح اصبر في اصطبر صلحا في معنى مصدر كل واحد من الافعال الثلثة ومعنى الصلح ان يصالحا على ان تطيب له المرأة عن القسمة او عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلعم وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها وكما روي ان امرأة اراد زوجها ان يطلقها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني وذرني اقوم على ولدي وتسمح لي في كل شهر بما فقال ان كان هذا يصلح فانت احق بذلك فاقرها او وهب له بعض المهر او كله او النفقة فان لم تفعل فليس له الا ان يمسكها باحسان او يسرحها والصلح خير من الخصومة شرعا من النشوز وهذا اعتراض وكذلك قوله واحضرت الانفس الشح ومعنى احضار الانفس الشح ان الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا تنفك عنه يعني انها مطبوعة عليه والغرض ان المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها وتهب قسمتها والرجل لا يكاد يسمح بان يقسم لها وان يمسكها اذا رغب عنها واحبت غيرها وان تحسنوا الملاقاة على ما يكون والتزهد من واجبهم فيهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي اليه الاذى وكان عمر ابن حطان الخارجي من ادم بني آدم وامرأته من احلامهم فاجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال ما لك قالت خرجت على اني واياك من اهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة الشاكرين والصابرين ولن تستطيعوا ومحال ان تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ونقصان فيما يجب لهن فرفع ذلك عنكم تمام العدل وغايته وما كلفتم منه الا ما تستطيعون بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لان تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة وعن النبي صلعم انه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تأخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عائشة رض كانت احب اليه وقيل ان العدل بينهن امر صعب شاق

وان تحسنوا الرجال
وان تتقوا النساء فان الله كان غفورا رحيما
معنى تصالحا
كان بما تعملون
تستطيعوا

فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ
كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ
وَاسِعًا حَكِيمًا

بالغ من التسوية جدا يوهم انه غير مستطاع لانه يجب ان يسوي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والمجامعة والمضاجعة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد يحصر يأتي من ورائه نحو الخادع من وجد الاستطاعة هذا اذا كن محبوبات كلهن فكيف اذا مال القلب مع بعضهن فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضا منها يعني ان اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قال هل هي الا حظة او تطليق او صلف وبين ذلك تعليق وفي قراءة ابي فتذروها كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وروي ان عمر بن الخطاب رض بعث الى ازواج رسول الله صلعم بمال فقالت عائشة لم كل ازواج رسول الله بعث عمر مثل هذا قالوا بعث الى التسعيات بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت لما رفع راسه فان رسول الله يعدل بينهن في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتهم لهن جميعا وكان لحاذ امرأتان فاذا كان عند احديهما لم يتوضأ في بيت الاخرى فما تبالي الطاعون فدفنهما في قبر واحد وان تصلحوا ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل يغفر الله لكم وان يتفارقا يعني وان يفارق كل واحد منهما صاحبه يغن الله كلا بردته زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنأ من عيشه والسعة الغنى والمقدرة والواسع الغني المقتدر من قبلكم متعلق بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الذين اوتوا الكتاب اسم للجنس يتناول الكتب السماوية ان اتقوا بان اتقوا او تكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول وقوله وان تكفروا فان لله عطف على اتقوا لان المعنى امرناهم وامركم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله والمعنى ان لله الخلق كله فهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم كلما فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من الامم السالفة ووصيناكم ان اتقوا الله يعني وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده لستم بها مخصوصين انهم بالتقوى يجدون عنتا وهاينا لون العجائب في العاقبة وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما في سمواته وارضه من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا للحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد منهم وتكرير قوله لله ما في السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لان الخشية والتقوى اصل الخير كله ان يشأ يذهبكم يفنكم ويفنهم كما اوجدكم وانشأكم ويأت بآخرين ويوجد انشاء آخرين مكانكم او خلقا آخرين غيركم وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء اراده وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله صلعم من العرب ان يشأ يذهبكم ويأت بناس آخرين يوالونه ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلعم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا

وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا
أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ

الذين

وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا

يطلب احدهما دون الآخر والذي يطلبه اختهما لان من جاهد لله خالصا لم تخطئه الغنيمة ولم من ثواب الآخرة
ما الغنيمة الى جنبه كلا شيء فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ان اراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط قوامين بالقسط مجتهدين
في اقامة العدل حتى لا تجوروا شهداء لله تقيمون شهادتكم لوجه الله كما امرتم باقامتها ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة
على انفسكم او اوليائكم واقاربكم فان قلت الشهادة على الوالدين والاقربين ان يقول اشهد ان فلانا على والده كذا
او على اقاربه فما معنى الشهادة على النفس قلت هي الاقرار على نفسه لان معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها وكون
الشيء على القائل فما معنى الشهادة على النفس او على آبائكم او اقاربكم وذلك ان يشهد على من تقوم عليه من سلطان ظالم
او غيره ان يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه او فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه فالله
اولى بهما بالغني والفقير اي بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة مصلحة لهما لما شرعها لانه اعلم بعباده و
من كل ناظر فان قلت لم ثنى الضمير في اولى بهما وكان حقه ان يوحد لان قوله ان يكن غنيا او فقيرا في معنى ان يكن
احد هذين قلت قد رجع الضمير الى ما دل عليه قوله ان يكن غنيا او فقيرا لا الى المذكور لهذلك فثنى ولم يثنه
وهو جنس الغني وجنس الفقير كانه قيل اولى بجنسي الغني والفقير اي بالاغنياء والفقراء وفي قراءة ابي فالله اولى
بهم وهي شاهدة على ذلك وقرأ عبد الله ان يكن غني او فقير على كان التامة ان تعدلوا يحتمل العدل والعدول كانه
قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا وتعرضوا وان تلووا السنتكم
عن الشهادة بالحق او حكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها وقرئ وان تلوا او تعرضوا بمعنى وان
وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم عن اقامتها فان الله كان بما تعملون خبيرا وبجزائكم عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين
ومعنى آمنوا اثبتوا على الايمان ودوموا عليه وازدادوه والكتاب الذي نزل من قبل المراد به جنس ما انزل على الانبياء
قبله من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه وقرئ كتابه على ارادة الجنس وقرئ نزل وانزل على البناء للفاعل وقيل
الخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروي انه لعبد الله بن سلام واسد واسيد
ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام بن سلام وحبت عبد الله وسلمة بن اخيه ويامين بن يامين آتوا رسول الله وقالوا
يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال لهم بل آمنوا بالله
ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين كانوا قبل
يا ايها الذين آمنوا نفاقا آمنوا اخلاصا فان قلت كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذي انزل من قبل وكانوا مؤمنين
بالتورية والانجيل قلت كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما انزل من الكتب فامروا ان يؤمنوا
بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح ايمانا بها لان طريق الايمان به هو الحجة ولا اختصاص لها ببعض الكتب
دون بعض فلو كان ايمانهم بما آمنوا به لاجل الحجة لآمنوا بكل كتاب يحق آمنوا ببعضه علم انهم لم يعتبروا الحجة فلم يكونوا بما

ابن سلام

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ
بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا
وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي

حديث عنوه انكم
اذا مثلهم ان المنافقين
والكافرين في جهنم
جميعا

ايمانا وهذا الذي اراد عز وجل في قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم
الكافرون حقا فان قلت لم قيل نزل على رسوله وانزل من قبل قلت لان القرآن نزل منجما في عشرين سنة
بخلاف الكتب قبله ومعنى قوله ومن يكفر بالله الآية ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل لان الكفر ببعضه كفر بكله الا ترى كيف
قدم الامر بالايمان به جميعا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة
التي تفيدها اللام والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص الثابت والمعنى ان الذين تكرر منهم الارتداد
وجدد منهم ازدياد الكفر والاصرار عليه يستبعد منهم ان يخرجوا مما يستحقون به المغفرة ويتوجهون اللطف من ايمان
صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوبهم ولكل الذين هذا دينهم قلوب قد غمرت بالكفر وتمرنت على الردة وكان الايمان
اهون شيء عندهم وادونه حيث يبدو لهم ليكرة بعد اخرى وليس المعنى انهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة
ونصحت توبتهم لم تقبل منهم ولم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل الطاقة واستفراغ الوسع ولكنه استبعاد
لدوامهم على الكفر واستغراب وانه امر يكاد يكون وهكذا نهي الفاسق الذي تكرر منه التوبة ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يؤمن منه الثبات
والغالب انه يموت على شر حال واسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتورية وموسى ثم كفروا بالانجيل وعيسى
ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد بشر المنافقين وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم والذين نصب على الذم او رفع
بمعنى اريد الذين او هم الذين وكانوا يأتون اليهود ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض ليتم امر محمد فتولوا اليهود
فان العزة لله جميعا بيده يعطيها من يشاء وللذين كتب لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم وقال والله العزة ولرسوله
وللمؤمنين أن إذا سمعتم معنى أن المخففة من الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم او نزل عليكم ان الشأن كذا والشأن
ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل لا في موضع النصب بنزل فيمن قرأه به والمنزل
عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره
وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزئون به فنهى المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين
فيه فكان اخبارا لليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان
الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار هم المنافقون فقيل لهم انكم اذا مثل الاحبار في الكفر انكم
جامع المنافقين والكافرين يعني القاعدين والمقعود معهم فان قلت الضمير في قوله فلا تقعدوا معهم لمن
يرجع قلت لمن نزل عليه يكفر بها ويستهزأ بها كانه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها
فان قلت لم يكونون مثلهم بالمجالسة اليهم في وقت الخوض قلت لانهم اذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي
بالكفر كافر فان قلت فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين قلت
لانهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان تركهم انكارا لرضاهم الذين يتربصون بالمؤمنين

الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب
قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيمة
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
واذا قاموا الى الصلوة قاموا
كسالى ولا يذكرون الله
الا قليلا

يتحذرون واما صفة للمنافقين او نصب على الذم منهم يتربصون بكم اى ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق
الم نكن معكم مظاهرين فاشركونا في الغنيمة الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم
ونمنعكم من المسلمين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومنعوا في قتالكم وقوينا في مظاهرتكم
عليكم فهاتوا نصيبنا لنا مما اصبتم وقرئ ونمنعكم بالنصب باضمار ان قال الجاحظ الم اكن احاجزكم ويكون بيني وبينكم الذرة
والاخاء فان قلت لم سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشان المسلمين وتحقيرا
لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين امر عظيم يفتح له ابواب السماء حتى تنزل على اوليائه واما ظفر الكافرين فما هو الا
حظ دنى ولمظة من الدنيا يصيبونها يخادعون الله يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر
وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والاموال في الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل
من النار في الاخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة واجلال باس ونقمة وتعبدهم والخادع اسم فاعل من خادعته
فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه وقيل يعطون نورا كما يعطى المؤمنون فيضيء لهم ويمشي نور المؤمنين
ينادون انظرونا نقتبس من نوركم كسالى قرئ بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى في سكران او يقومون
متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا على كره من طيبة نفس ورغبة يراؤن الناس يقصدون بصلوتهم
الرياء والسمعة ولا يذكرون الله الا قليلا لانهم ما وجدوا مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه وكيف يذكرون
الله بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا في الندرة وهلم ترى كثيرا من المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام
والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق به اوقاته لا يفتر عنه ويجوز ان يراد
بالقلة العدم فان قلت ما معنى المراءاة وهي مفاعلة من الرؤية قلت فيها وجهان احدهما ان المرائي
يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني ان يأتي من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس بمعنى راءاهم كقولك
نقح وناعمه وفنقه وفانقه وعيش مفانق روى ابو زيد رأت المرأة المرأة الرجل اذا امسكتها لترى
وجهه وتدل عليه قراءة ابن ابي اسحق يرؤونهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم او يبصرونهم اعمالهم ويراؤنهم كذلك
مذبذبين اما حال من قوله ولا يذكرون من يراؤن او يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او منصوب بتقدير الذم ومعنى
مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر فهم متردد بينهما محيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب
عن كلا الجانبين اي يذاد ويدفع فلا يثبت في جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرجوان الزلزال الذبذبة فيها تكرير
ليس في الذب كانه المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه وقرأ ابن عباس رضي مذبذبين بكسر الذال يعني يذبذبون
قلوبهم او دينهم او ارائهم او يعني يتذبذبون كلما جاء صلصل وتصلصل بمعنى وفي مصحف عبد الله متذبذبين عن

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم
لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله
شاكرا عليما

اي جعفر مذبذبين بالدال الغير المعجمة وكان المعنى اخذهم تارة في ذبة وتارة في ذبة فليسوا عاضين على ذبة
واحدة والذبة الطريقة ومنها ذبة قريش وذلك اشارة الى الكفر والايمان او الى هؤلاء المنسوبين الى هؤلاء فيكونوا مذبذبين
والى هؤلاء ولا منسوبين الى هؤلاء ينصوا مشركين لا تتخذوا الكافرين اولياء لا تتخذوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود
وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء سلطانا حجة بينة يعني انه ولاية الكافرين بينة على النفاق وعن صعصعة
بن صوحان انه قال لابن اخ له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فان الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن والله
يحق عليك ان تخالص المؤمن الدرك الاسفل الطبق الذي في قعرهم والنار سبع دركات سميت بذلك
لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم ادراك جهنم فان قلت
لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت لانه مثله في الكفر وضم اليه الاستهزاء بالاسلام واهله
ومداجاتهم واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المؤمنون
المخلص واخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين فهم اصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين
وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فينالون كونهم معهم ويسامونهم فان قلت من المنافق قلت
هو في الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر واما تسمية من ارتكب بعض ما نهي عنه بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلاة
متعمدا فقد كفر ومنه قوله عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا
وعد اخلف واذا ائتمن خان وقيل الجذبة من المنافق فقال الذي يضيف الاسلام ولا يعمل به وقيل لابن
عمر انك تدخل على السلطان وتتكلم بكلام فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن اتى
على النفاق زمان وهو مقروع فيه فاصبح قد عمم وقلد واعلن سيفا يعني الحجاج ما يفعل الله بعذابكم ايتشفي به
من الغيظ ام يدرك به ثأرا ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضرا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي لا يجوز عليه
شيء من ذلك وانما هو امر اوجبته الحكمة ان يعاقب المسيء فان قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد انعدم من انفسكم استحقاق
العذاب وكان الله شاكرا مثيبا موفيا اجوركم عليها حق ملكركم وايمانكم فان قلت لم قدم الشكر على الايمان قلت
لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة الظاهرة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة
المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان وكانه اصل التكليف ومدار الامر من ظلم من الجهر
من ظلم استثناء من الجهر الذي كانه قيل لا يحب الله الجهر من المظلوم وما وان يدعو على الظالم ويذكر بما فيه من السوء وقيل هو ان يسمى
بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل نصاف رجل قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا فهو تعب على الشكاية
فنزلت وقرئ على من ظلم على البناء للفاعل للانقطاع او لكن الظالم راكب هواه لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز ان
يأذن من ظلم مرفوعا كانه قيل لا يحب الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ماجاني زيد الا عمرو يعني ما جاءني الا عمرو ومنه

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ
وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ آمَنُوا
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا

يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ثم حث على العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار
بعد ما اطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الاجتناب اليه والا فضل عنده والادخل في الكرم والتخلق والعبودية
وذكر ابداء الخير واخفاءه تشبيبا للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وانه مكانه في باب الخير
وتنبيطا والدليل على ان العفو هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير ما خفاه قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يعفو عن
الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله او آمنوا بالله
وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله ورسله جميعا لما ذكرنا من العلة ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان يتخذوا
دينا وسطا بين الايمان والكفر ولا يجهر بصاحبك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اي طريقا وسطا في القراءة
وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد اخطأوا فانه لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك قال اولئك هم الكافرون حقا
وهو كونهم كاملين في الكفر اي هم الكاملون في الكفر وحقا تاكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا او حق ذلك
حقا وهو كونهم كاملين في الكفر او هو صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه
فان قلت كيف جاز دخول بين على احد وهو يقتضي شيئين فصاعدا قلت ان احدا عام في الواحد المذكر
والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رايت احدا فتقصد العموم الا تراك تقول الاثنين فلان والاثنان فلان والثلاثة فلان
ولم يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة ومنه قولهم لستن كاحد من النساء سوف نؤتيهم اجورهم معناه ان
ايتاءها كائن لا محالة وان تاخر فالغرض توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متاخرا روي ان كعب بن الاشرف
وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلعم ان كنت نبيا صادقا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى
فنزلت وقيل كتابا الى فلان وكتابا الى فلان بانك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك على سبيل
التعنت قال الحسن ولو سالوه لكي يتهيؤا لجحد عطائهم وفيما آتاهم كتابة فقد سالوا موسى جواب لشرط مقدر
معناه ان استكبر شيء ما سالوه منك فقد سالوا موسى اكبر من ذلك وانما اسند السؤال اليهم والوجد من آبائهم في ايام
موسى وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت جهرة عيانا
يعني ارنا الله جهرة بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا امرا جائزا لما سموا ظالمين ولما اخذتهم الصاعقة
كما سال ابراهيم عليه السلام ان يريه احياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق
وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم حين تاب عليهم فلما عزموا
واخذوا بالقتل والسيوف تناسقط عليهم فيا لكم من سلطان مبين بينا لهم بسبب صنائعهم لمخاطبهم فلا ينقضوه
وقلنا لهم والطور مظل عليهم ادخلوا الباب سجدا ولا تعدوا في السبت وقد اخذنا منهم الميثاق على ذلك وقولهم
سمعنا واطعنا وبلوناهم على ان يقولوا عليه ثم نقضوه بعد وقرئ ولا تقتدوا ولا تعتدوا بادغام التاء في الدال فيهما

يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ
فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ
الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا

وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا
غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ
عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ
شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا
فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ

نقضهم فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد فان قلت بم تعلقت الباء وما حسن التوكيد قلت اما ان يتعلق بمحذوف
وكانه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا واما ان يتعلق بقوله حرمنا عليهم على ان قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله
فبما نقضهم ميثاقهم واما التوكيد فمعناه تحقيق ان العقاب او تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما عطف عليه
من الكفر وقتل الانبياء وغير ذلك فان قلت هلا زعمت ان المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع
الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم قلت لم يصح هذا
التقدير لان قوله بل طبع الله عليها بكفرهم ردّ وانكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك انهم ارادوا بقولهم
قلوبنا غلف ان الله خلق قلوبنا غلفا اوعية لكتبه لا يتوصل اليها يعني من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا لو شاء
الرحمن ما عبدناهم وكذهب الجبرة اخذلهم الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع
عليها لا ان تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا محتملة من قبوله فان قلت علام عطف قوله وبكفرهم قلت
الوجه ان يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما يتبع قوله وقالوا قلوبنا غلف على وجه
الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم فان قلت ما معنى الجمع بالكفر سوطوفا على ما فيه ذكره
سواء عطف على ما قبل حرف الاضراب او على ما بعده وهو قوله وكفرهم بآيات الله وقوله بكفرهم قلت
قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد فعطف بعض كفرهم على بعض وعطف مجموع المعطوف عليه
كانه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم
مريم وافتخارهم بقتل عيسى على عاقبتاهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا والبهتان العظيم
هو التزنية فان قلت كانوا كافرين بعيسى على اعداء له عابدين لقتله يسمونه الساحر بن الساحرة والفاعل
ابن الفاعلة فكيف قالوا انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله قلت قالوه على وجه الاستهزاء
لقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية
عنهم رفعا لعيسى عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما ارادوا به مثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم
الارض مهادا روي ان رفطا من اليهود سبوه وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم
العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبها قردة وخنازير فاجمعت اليهود على قتله فاخبر الله بانه
يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل
الجنة فقال رجل انا منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى فلما اراد رفعه
قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى والقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى
ثم اختلفوا فقال بعضهم انه الله لا يصح قتله وقال بعضهم انه قد قتل وصلب وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا

وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا

وان كان صاحبنا فاين عيسى وقال بعضهم رفع الى السماء وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا
فان قلت شبه مسند الى ما اذا ان جعلته مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه وان اسندته
الى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر قلت هو مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كانه قيل
ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز ان يسند الى ضمير المقتول لان قوله انا قتلنا يدل عليه كانه قيل ولكن وقع شبه لهم من
قتلوه الا اتباع الظن استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن
فان قلت قد وصفوا بالشك والشك ان لا يترجح احد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن ان يترجح احدهما
فكيف يكونون شاكين ظانين قلت اريد انهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة تلقفوا
ذلك وما قتلوه يقينا وما قتلوه قتلا يقينا او ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم انا قتلنا المسيح او يجعل
يقينا تاكيدا لقوله وما قتلوه كقولك وما قتلوه حقا او حق انتفاء قتله حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما اذا
بالغ فيه علما وفيه تهكم لانه اذا نفى عنهم العلم نفيا كليا بجعل الاستغراق مقتل وما علموه علم يقين واحاطة لم يكن
الا تهكما بهم ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن
به ونحن وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها والمعنى وما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى
وبانه عبد الله ورسوله اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن
حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأها احد الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال لي اولى بالحسن من اليهود والنصارى
فاضربن عنقه فلا يسمع منه ذكر فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا
عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت فقال آمنت انه عبد نبي وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله
فهو من انه عبد الله ورسوله حين لا ينفعه وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني حدثني
علي بن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية او من موعدها قال الحكم فقلت
له ما اردت الى ان تقول حدثني محمد بن علي بن الحنفية قال اردت ان اغيظه يعني بزيادته اسم علي لانه مشهور بابن
الحنفية وعن ابن عباس انه فسر كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى
يحدث بها شفتيه قال وان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى
يؤمن به وتدل عليه قراءة ابي الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وان منهم احدا الا ليؤمنون به قبل موتهم
لان احدا يصلح للجمع فان قلت ما فائدة الاخبار بايمانهم بعيسى عند موتهم قلت فائدة الوعيد وليكون
علمهم بانهم لا بد لهم من الايمان به عن قريب عند المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعدها لهم وتنبيها على معاجلة الايمان
في اوان الانتفاع به وليكون الزاما للحجة لهم وكذلك قوله ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى

وبجرنه علما

النصارى

فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه
واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون
بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم
اجرا عظيما

النصارى على انهم دعوه ابن الله وقيل الضمير لعيسى يعني وان منهم احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب
الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء في اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن به
حين تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع
الابل والنمور مع البقر والذياب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى
ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز ان يريد انه لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن به على ان الله
يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به
يرجع الى الله وقيل الى محمد فبظلم من الذين هادوا نبأ ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم
ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات التي حرمت عليهم ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الالبان وكلما اذنبوا ذنبا صغيرا او كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم
وغيرها وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا بالباطل بالرشوة التي كانوا ياخذونها من سفلتهم
في تحريف الكتاب لكن الراسخون يريد من امن منهم كعبد الله بن سلام واضرابه والراسخون في العلم الثابتون فيه
المتقنون المستبصرون والمؤمنون يعني المؤمنون والمؤمنون من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء
ويؤمنون خبره والمقيمين نصب على المدح ولبيان فضل الصلوة وهو باب واسع قد كسر سيبويه على امثلته وشواهد
ولا يلتفت الى ما نقلوا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب
العرب ومالهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغنى عليه ان الثناء بتفضيل الاولين الذين شملهم في التورية وشملهم
في الانجيل كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب الطاعنين عنه من ان يتركوا في كتاب الله تلاوة يستدها من بعدهم
وخوفا من ان يلحقوهم وقيل هو عطف على ما انزل اليك او يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلوة وهم الانبياء وفي
مصحف عبد الله والمقيمون بالواو وعن قراءة ما كتبتها في دينا والجحدري وعيسى الثقفي انا اوحينا اليك جوابا لاهل
الكتاب عن سؤالهم رسول الله ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شانه في الوحي اليه كشان سائر الانبياء
الذين سلفوا وقرئ زبورا بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب ورسلا نصب بفعل مضمر في معنى وحينا اليك وهو ارسلنا وبيانا
وما اشبه ذلك او بما قبله قصصناهم وفي قراءة ابي ورسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسل وعن ابراهيم وحفص من شاء
انهما قرآ وكلم الله بالنصب ومن مدح التفاسير انه من الكلم والمعنى وجرح الله موسى باظفار المحن ومخالب
الفتن رسلا مبشرين ومنذرين الا وجه ان ينتصب على المدح ويجوز انتصابه على التكرير فان قلت كيف يكون للناس
على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصب الله من الادلة التي تدل على المعرفة والرسل في افهامهم لم
يتوصلوا الى المعرفة الا بالنظر في تلك الادلة ولا عرفوا انهم رسل الله الا بالنظر فيها قلت الرسل مبينون عن الله ما

انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده وانبينا ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى
وايوب ويونس وهرون وسليمن وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك
وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما

لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا
وكان ذلك على الله يسيرا يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله

وباعثون على النظر بما نزلت علماء اهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما جاء به من تفصيل امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرائع
فكان ارسالهم اناحة للعلة وتقيما لالزام الحجة ليلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فهو تفضلنا من سنة
الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له قراءة السلمي لكن الله يشهد بالتشديد فان قلت الاستدراك لا بد له من
مستدرك فما هو في قوله لكن الله يشهد قلت لما سأل اهل الكتاب ان ينزل عليهم كتابا من السماء وتعنتوا بذلك
واجمع عليهم بقوله انا اوحينا اليك لكن الله يشهد يعني انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد وقيل لما نزل انا اوحينا اليك
قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات
كما تثبت الدعاوى بالبينات وشهادة الملائكة شهادتهم بانه حق وصدق فان قلت هم يجاهرون لو قالوا لهم
ان الملائكة يشهدون بذلك قلت يجاهرون بانه يعلم بشهادة الله لانه لما علم باظهار المعجزات انه بصحته علم
ان الملائكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته فان قلت ما معنى قوله انزله بعلمه وما موقعه
من الجملة التي قبله قلت معناه ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو ما لا يقدر على نظمه واساليب تعجيزه
كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لانه بيان للشهادة وان شهادته بصحته انه انزله بالنظم
المعجز الفائت للقدر وقيل انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه وقيل انزله بما علم من مصالح
العباد مشتملا عليه ويحتمل انه انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين يرصد من الملائكة والملائكة يشهدون
بذلك كما قال في آخر سورة الجن الا ترى الى قوله واحاط بما لديهم وقال احاطة بمعنى العلم وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد
غيره لان التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا قال اي شيء اكبر شهادة قل الله كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي
او كان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين اصحاب كبائر لانه لا فرق بين الفريقين في انه لا يغفر لهما الا بالتوبة ولا
ليهديهم طريقا لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل الى جهنم ولا يهديهم يوم القيامة الا طريق جهنم يسوقهم اليها
له عنه فآمنوا خيرا لكم وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما دعاهم الى الايمان وعلى الانتهاء عن
التثليث علم انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم اي اقصدوا او ائتوا خيرا لكم فما انتم فيه من الكفر والتثليث وموالاة
والتوحيد لا تغلوا في دينكم غلت اليهود في حط المسيح عن منزلته جعلته مولود الغير وشدد وغلت النصارى في
رفعه عن منزلته حيث جعلوه الها ولا تقولوا على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد قرأ جعفر بن محمد
انما المسيح بوزن السكيت وقيل لعيسى كلمة الله وكلمته منه لانه وجد بكلمته وامره لا غير من غير واسطة اب ولا
نطفة وقيل له روح الله وروح منه لذلك لانه ذو روح وجد من غير جسد ومن ذي روح كالنطفة المنفصلة من الاب
الحي وانما اضيفت اخواتها من عند الله وقديمة خالصة ومعنى القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها ثلثة
خبر مبتدأ محذوف فان صحت الحكاية عنهم انهم يقولون هو جوهر واحد ثلثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن

الاقانيم جمع اقنوم وهو الاصل

في السموات وما في الارض وكان الله عليما حكيما يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم
رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد
قد بينا ما نشهد بك بهذا انزله

سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة
المقربون

واقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن العلم وباقنوم روح القدس الحيوة
فتقدير الله ثلثة والاقنوم الهة ثلثة والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بان الله والمسيح والمريم ثلثة آلهة
وان المسيح ولد الله من مريم الا ترى الى قوله ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله والجمهور المستفيضة عنهم انهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الاب والام ويدل عليه قوله
انما المسيح عيسى بن مريم فاثبت انه ولد مريم اتصل بها اتصال الاولاد بامهاتهم وان اتصاله بالله تعالى من حيث
انه رسوله موجود بامره وابتداعه جسدا حيا من غير اب فينبغي ان يتصل به اتصال الابناء بالآباء وقوله سبحانه
ان يكون له ولد وحكاية الله اوثق من حكاية غيره ومعنى سبحانه ان يكون له ولد استبعده من ان يكون له ولد وقرأ
الحسن ان يكون بكسر الهمزة ورفع النون اي سبحانه ما يكون له ولد على ان الكلام جملتان له ما في السموات وما
في الارض لتنزهه عما نسب اليه يعني ان كل ما فيها خلقه وملكه فكيف يكون بعضه ملكه جزءا منه على ان الجزء انما
يصح في الاجسام وهو متعال من صفات الاجسام والاعراض وكفى بالله وكيلا يوكل اليه الخلق كله امورهم فهو الغني عنهم
وهم الفقراء اليه لن يستنكف لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك ومنه
الملائكة المقربون ولا من هو اعلى منه قدرا واعظم منه خطرا وهم الملائكة المكرمون الذين حول العرش كجبريل
وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم فان قلت من اين دل قوله ولا الملائكة المقربون على ان المعنى ولا من فوقه
قلت من حيث ان علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك ان الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع
المسيح عن منزلة العبودية فوجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو ارفع منه درجة كانه قيل لن يستنكف
الملائكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم ارفع الملائكة
درجة واعلاهم منزلة ومثاله قول القائل ما مثله من يجاود حاتم ولا البحر والامواج يلتج زاخر لا شبهة
في انه قصد بالبحر ذي الامواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الآية قوله ولن ترضى عنك
اليهود ولا النصارى حتى يعتدوا بالفرق البين وعن علي رضي الله عنه عبيد الله على التصغير وروي ان وفد نجران
قالوا لرسول الله لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال وأي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال
انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت اي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا انتم ولو كان له موضع
استنكاف لكان هو اولى بان يستنكف لان العار الصق به فان قلت علام عطف قوله ولا الملائكة قلت
لا يخلو اما ان يعطف على المسيح او على اسم يكون او على المستتر في عبدا لما فيه من معنى الوصف لله بالتعبد معنى العبادة وقولك
مررت برجل عبد اخوه فالعطف على المسيح هو الظاهر اذ لا وجه لما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو ان المسيح لم يأنف
ان يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية او ان يعبدوا الله هو ومن فوقه فان قلت قد جعلت الملائكة هم

ومنه الثلج الابحر الثجاجا
وقوله الله يأنف منه بعد

وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ
وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا

جماعة عبد الله في هذا العطف فما وجه قلت فيه وجهان احدهما الزيادة ولكل واحد من الملائكة او من
الملائكة المقربون ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجازا واما اذا عطفتهم على الضمير في عبدا
فقد طاح هذا السؤال قرئ فيحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل
لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك رجع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه
وحمله ومن خرج عليه نكل وصحة ذلك او عمين احدهما ان يحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما
يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به والثاني
وسواء الاحسان الى غيرهم مما يقربهم فكانه داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
فسيعذب بالحسرة اذا راى اجور العاملين وما يصيبه من عذاب الله البرهان والنور المبين القرآن او ارادا بالبرهان
دين الحق او رسول الله وبالنور المبين ما بينه ويصدقه من الكتاب المجيد رحمة منه وفضلا في ثواب مستحق
وتفضل وهديهم اليه اليه عبادته صراطا مستقيما وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم روي انه آخر ما نزل
من الاحكام كان رسول الله صلعم في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله فقال اني اختاركم آخذ من
ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله فقال له كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت ان امرؤ هلك
ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة لا النصب على الحال لان هلك امرؤ غير ذي ولد
والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز ان يقع على الذكر والانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت الا في
مذهب ابن عباس وتالاخت التي هي اب وام او اب دون التي لام لان الله فرض لها النصف وجعل اخاها عصبة
وقال للذكر مثل حظ الانثيين واما الاخت للام فلها السدس في آية المواريث سوى بينها وبين اخيها وهو يرثها و
اخوها يرثها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن لها ولد لكن الابن يسقط الاخ دون البنت
فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فان الابن نظير في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد قلت بين حكم
انتفاء الولد وكل حكم انتفاء الوالد لبيان السنة وهو تولي علم الفرائض باهلها فلا يبقى فلا ولي عصبة ذكر
والاب اولى من الاخ وليسا باولى لحكمين بين احدهما بالكتاب والآخر بالسنة ويجوز ان يذكر حكم انتفاء الولد على
حكم انتفاء الوالد لان الولد اقرب الى الميت من الوالد فاذا ورث الاخ عند انتفاء الاقرب فلاولى ان يرث عند انتفاء الابعد
ولان الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعا فكان ذكر انتفاء احدهما دالا على انتفاء الآخر فان قلت الى من
يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله فان كانتا اثنتين وان كانوا اخوة قلت اصله فان كان من يرث بالاخوة اثنتين
وان كان من يرث بالاخوة ذكورا فانا قال وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت امك فما انت ضمير من لمكان تانيث
الخبر كذلك ثنى وجمع من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكور

وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا
وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم
حرم ان الله يحكم ما يريد يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت
الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا

ان تضلوا مفعول له ومعناه كراهة ان تضلوا عن البين صلعم من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مومن ومومنة
ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن حرر وبرئ من الشرك وكان في مشية الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وعشرون وثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

يقال وفى بالعهد واوفى به والموفون بعهدهم والعقود العهود الموثقة شبه بعقد الحبل ونحوه قال الحطيئة قوم اذا عقدوا
عقد الجار لم يشدوا العناج وشدوا فوقه الكربا وهي عقود الله التي عقدها على عباده والزمها اياهم من مواجب
التكاليف وقيل ما يعقدونه بينهم من عقود المناكح والمحالفة وغيرها والظاهر انها
عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله احلت لكم وما
بعد البهيمة كل ذات اربع في البر والبحر واضافتها الانعام للبيان وهي الاضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه
البهيمة من الانعام الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم من القرآن من نحو قوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم آية
تحريمه والانعام الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كانهم ارادوا ما يماثل الانعام
ويلابسها من جنس البهائم فطرا جدا وعدم الارتياب فاضيفت الى الانعام لملابسة الشبه غير محلي الصيد نصب على الحال
من الضمير في لكم او احلت لكم هذه الاشياء محلين الصيد وعلى الاستثناء انتصابه عن قوله اوفوا بالعقود
وقوله وانتم حرم حال عن محلي الصيد كانه قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون ليبلوكم
يختبر عليكم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام وتعلم انه حكمة ومصلحة والحرم جمع حرام وهو المحرم الشعائر جمع
شعيرة وهي علم من مناسك الحج اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال
التي هي علامات الحج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر والتلبس بالحرام شهر الحج والهدي ما اهدي
الى البيت وتقرب به الى الله من النسائك وجمع هدية كما يقال حدي في جمع جدية السرج والقلائد جمع قلادة
وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة مزادة او لحاء شجر او غيره وآمين المسجد الحرام قاصدوه وهم الحجاج والعمار يبتغون
واحلال هذه الاشياء ان يتهاون بحرمة التعليم وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدث في شهر الحج ما يصد عنه
به الناس عن الحج وان يتعرض للهدي بالغصب او بالمنع من بلوغ محله واما القلائد فيتهما وجهان احدهما ان يراد بها
ذوات القلائد من الهدي وهي البدن ويعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لانها اشرف الهدي كقوله
وجبريل وميكائيل كانه قيل والقلائد منها خصوصا والثاني ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي
عن التعرض للهدي على معنى ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال ولا تبدين زينة من نهي عن ابداء الزينة
مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ولا آمين ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام يبتغون فضلا من ربهم وهو الثواب

وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر
والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب حرمت عليكم الميتة والدم
ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح
على النصب

وتعاونوا وإن يرضى عنهم إلا أن تعترضوا القوم هذه صفتهم توطيئا لهم واستنكارا أن يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة وعن
النبي صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن ابن مسعود
فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخة وعن ابن عباس كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى
الله المسلمين أن يمنعوا أحدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نسخ ذلك فيما المشركون بقوله فلا يقربوا المسجد
الحرام وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم وقيل ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء
الرضوان بأن المشركين كانوا يظنون في أنفسهم أنهم على شيء وأن الحج يقربهم إلى الله فوصفوهم بأنهم عرضة لأن
يظنهم وقرأ عبد الله ولا آمي البيت الحرام على الإضافة وقرأ حميد بن قيس الأعرج أبو صفوان مولى بني أسد بن
عبد العزى الأعرج المكي من قريش أخو عمر بن قيس مع مجاهد وعطاء روى عنه مالك بن أنس والثوري يبتغون
بالتاء على خطاب المؤمنين فاصطادوا الإباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كأنه قيل فإذا حللتم فلا جناح عليكم أن
تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء وقرئ وإذا أحللتم يقال حل المحرم
وأحل جرم يجري مجرى كسب في تعديه إلى مفعول واحد وإلى اثنين تقول جرمه ذنبا نحو كسبته إياه
ويقال أجرمه ذنبا على نقل المتعدي إلى مفعول بالهمزة إلى مفعولين كقولهم أكسبته ذنبا وعليه قرأ عبد الله ولا يجرمنكم
بضم الياء وأول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثاني أن تعتدوا وأن صدوكم بفتح الهمزة متعلق
بالشنآن والشنآن شدة البغض وقرئ بسكون النون والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لأن صدوكم عن الاعتداء
ولا يحملنكم عليه وقرئ أن صدوكم على أن الشرطية وفي قراءة عبد الله إن يصدوكم ومعنى صدهم إياهم عن المسجد الحرام
منع أهل مكة رسول الله والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء والانتقام منهم بالكافر مكروههم وهما
وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والإغضاء ولا تعاونوا على الإثم والعدوان على الانتقام والتشفي ويجوز أن يراد
العموم لكل بر وتقوى وكل إثم وعدوان فيتناول المحرم العفو والانتصار كان أهل الجاهلية يأكلون هذه المحرمات
البهيمة التي تموت حتفا أنفها والنصيذة وهو الدم في المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من ذلك وما أهل لغير
الله به أي رفع الصوت لغير الله به وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي خنقوها حتى ماتت
أو انخنقت بسبب والموقوذة التي أثخنوها ضربا بعصا أو حجر حتى ماتت والمتردية التي تردت من جبل أو في بئر فماتت والنطيحة
التي أخذها أخرى فماتت بالنطح وما أكل السبع بعضه إلا ما ذكيتم إلا ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح
وتشخب أوداجه وقرأ عبد الله والمنطوحة وفي رواية عن ابن عمرو والسبع بسكون الباء وقرأ ابن عباس
وما ذبح على النصب كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها
بذلك ويتقربون به إليها تسمى الأنصاب والنصب واحد قال الأعشى وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

معنى الجملة

لعاقبة والله فيكل فاعبدا
خاص

وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم
دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم
يسألونك ماذا أحل لهم

موجع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد وأن تستقسموا بالأزلام وحرم عليكم الاستقسام بالقداح
كان أحدهم إذا أراد سفرا أو غزوا أو نكاحا أو أمرا من معظم أمره أجال ثلاثة أقداح وهي مكتوب على بعضها أمرني ربي
وعلى بعضها أمرني ربي ونهاني ربي وبعضها غفل فإن خرج الأمر مضى لطيته وإن خرج الناهي أمسك وإن خرج الغفل أجالها عودا
فيعني الاستقسام طلب معرفة ما قسم له وما لا يقسم له بالأزلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور وعلى الأنصاب المعاومة ذلكم
فسق الإشارة إلى الاستقسام أو إلى تناول ما حرم عليهم لأن المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا فإن قلت
لم كان استقسام المسافر وغيره بالأزلام لتعرف الحال فسقا قلت لأنه دخول في علم الغيب الذي استأثر به
علام الغيوب وقال لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله واعتقاد أن إليه طريقا والى استنباطه وقوله
أمرني ربي ونهاني ربي افتراء على الله وما يدريه أنه أمره أو نهاه فالكهنة والمنجمون بهذه المثابة وإن كان أراد بالرب
الصنم فقد روي أنهم كانوا يجيلونها عند أصنامهم فأي ظاهر اليوم لم يرد به يوما بعينه وإنما أراد الزمان الحاضر وما
يتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالأمس شابا وأنت اليوم أشيب فلا تريد بالأمس الذي
قبل يومك ولا باليوم يومك ونحو الآن في قوله الآن لما أبيض مسربتي وعضضت من نابي على جذم وقيل
أريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم يئسوا من
أن يبطلوه وأن ترجعوا محلين لهذه الخبائث بعد ما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم أن يغلبوه لأن الله عز
وجل وفى بوعده من إظهاره على الدين كله فلا تخشوهم بعد إظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وأنتم الأعلون مقهورين
مغلوبين بعد ما كانوا غالبين واخشون واخلصوا لي الخشية أكملت لكم دينكم كفيتكم أمر عدوكم وجعلت اليد العليا
لكم كما يقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد إذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا إلى أغراضهم ومباغيهم
أو أكملت لكم ما تحتاجون إليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس والأصول
الاجتهاد وأتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وأن لم يحج
بعدكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان أو أتممت نعمتي عليكم بإكمال أمر الدين والشرائع كأنه قال اليوم أكملت لكم دينكم
وأتممت عليكم نعمتي بذلك لأن النعمة أتم من نعمة الإسلام ورضيت لكم الإسلام دينا اخترته لكم من بين الأديان
وآثرته لكم بإكمال أمر الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الإسلام دينا وأن هذه أمتكم أمة واحدة فإن قلت
بم اتصل قوله فمن اضطر قلت بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعترض به معنى التحريم وكذلك ما بعده لأن تحريم
هذه الخبائث من تمام الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل فمن اضطر
إلى الميتة أو إلى غيرها في مخمصة في مجاعة غير متجانف لإثم غير منحرف إليه كقوله غير باغ ولا عاد فإن الله غفور له يؤاخذه
بذلك في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده ماذا أحل لهم كأنه قيل يقولون لك ماذا أحل لهم وإنما لم يقل ماذا أحل لنا حكاية

قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ
وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ

لما قالوا لك يسألونك على بلفظ الغيبة كما تقول اقسم زيد ليفعلن ولو قيل ليفعلن واحل لنا لكان صوابا وماذا ابتداء
واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبائث
المآكل سألوا عما احل لهم منها فقيل احل لكم الطيبات اي ما يلتذ بتخبيث منها وهو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب او سنة
او قياس مجتهد وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات اي احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف او لجعل ما
ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والباز
والشاهين والكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك مأخوذ من الجيل وطرق التأديب
والتثقيف والتثقيف من الكلب لان التأديب اكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه او لان
السبع يسمى كلبا ومنه قوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد او من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة ويقال
هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم فان قلت ما فائدة هذه الحال وما يغني
عنها بعلمتم قلت فائدتها ان يكون من تعلم الجوارح بحيث يثق في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب وتعلمون من
حال ثانية او استيناف وفيه فائدة جليلة وهي ان على كل آخذ علما ان يأخذه من اقبل اهله علما واحزمهم درايه واطولهم
على الطايفه وحقايقه وان اجتاح الى ان يضرب اليه آباط الابل فلم من آخذ عن غير متقن قد ضيع ايامه وعض
عند لقاء النجارين انامله مما علمكم الله من علم التكليب لان الهام من الله ومكتسب بالعقل او مما عرفكم ان تعلمون
من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعايه وامساك الصيد عليه وان لا يأكل منه وقرئ
مكلبين بالتخفيف وافعل وفعل يشتركان كثيرا والامساك على صاحبه ان لا يأكل منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل
منه فلا تأكل انما امسك على نفسه وعن علي رض اذا اكل الثلثين فلا تأكل وفرق العلماء فاشترط في سباع البهائم ترك
الاكل لانها تؤدب بالضرب ولم يشترط في سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الاكل اصلا ولم يفرق بين امساك
الكل والبعض وعن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله عنهم واذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله
عليه فكل فان قلت الام رجع الضمير في قوله واذكروا اسم الله عليه قلت اما ان يرجع الى ما امسكن
على معنى وجوب التسمية عليه اذا ادركتم ذكاته اولى لما علمتم من الجوارح او سموا عليه عند ارساله وطعام الذين اوتوا الكتاب
قيل هو ذبائحهم وقيل جميع مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى وعن علي رض انه استحل نصارى بني تغلب
وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي وعن ابن عباس رض سئل عن ذبائح نصارى
العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب
عند ابي حنيفة وقال صاحباه صنفان صنف يقرون الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرون كتابا ويعبدون
نجوما فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم

اضراب صاحبه اي عوده وكذا التضرية

وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ

وقد روي عن ابن المسيب انه قال اذا كان المسلم مريضا فامر المجوسي ان يذكه الله ويذبح فلا بأس وقال ابو ثور كقوله
وان امر بذلك في الصحة فلا بأس وقد اساء وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين
لما ساغ اطعامهم المحصنات الحرائر والعفائف وتخصيصهن حث على تخير المؤمنين لنطفهم والاماء من المسلمات
يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح العفائف منهن واما الاماء الكتابيات فعند ابي حنيفة هي كالمسلمات وخالفه
الشافعي رض وكان ابن عمر رض لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول لا اعلم
شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى وعن عطاء قد كان الله المسلمات وانما قصر لهم يومئذ محصنين اعفاء ولا
متخذي اخدان صدايق والخدن يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان بشرايع الاسلام وما اجل الله وحرم واذا
قمتم الى الصلوة كقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وكقولك اذا ضربت لعمرو فاستعد بالله تريد عليه ان المراد ارادة الفعل
فان قلت لم جاز ان يعبر عن ارادة الفعل بالفعل قلت لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وارادته له
وهي قصده اليه وميله وخلوص داعيته فكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الانسان لا يطير والرجل لا يبصر
او لا يقدر ان يطير وله بصر وعن الارادة بالفعل في قوله تعالى يريدون ان ينقض فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض
عبر عن ارادة الفعل بالفعل وذلك لان الفعل مسبب عن القدرة والارادة فاقيم المسبب مقام السبب للملابسة
بينهما ولرجحان الكلام ونحن من اقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدأ الذي
هو سبب الجزاء الذي هو مسبب عنه وقيل معنى قمتم الى الصلوة قصدتموها لان من توجه الى شيء وقام اليه كان
قاصدا له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام اليه فان قلت ظاهر الاية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة به
محدث وغير محدث فما وجهه قلت يحتمل ان يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمؤمنين المحدثين خاصة
وان يكون للندب وعن رسول الله صلعم والخلفاء بعده انهم كانوا يتوضؤون لكل صلوة وعن النبي صلعم من توضأ على
طهر كتب الله له عشر حسنات وعنه عليه السلام انه كان يتوضأ لكل صلوة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات
الخمس بوضوء واحد فقال عمر رض صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيان الجواز فان قلت
هل يجوز ان يكون الامر شاملا للمحدثين وغيرهم لهم على وجه الايجاب ولهم على وجه الندب قلت لان
تناول الكلمة الواحدة لمعنيين مختلفين من باب الالغاز والتعمية وقيل كان الوضوء لكل صلوة واجبا الى ان فرض
ثم نسخ الى تقييد الغاية مطلقا فاما دخولها في الحكم وخروجها لما يريد مع الدليل فما فيه دليل على الخروج قوله تعالى فنظرة
الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا في كلتا الحالين
معسرا وموسرا وكذلك لو قال الصيام الى الليل لدخل الليل لوجب الاعسار وبما فيه دليل على الدخول قوله تعالى فاقطعوا ايديهما
من اولها الى آخرها لان الكلام مسوق لحفظ اليد كلها ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم بانه

وانك لتهدي الى صراط مستقيم

بالمحدثين اشعر بان الصلوة في الاصل اسم للدعاء

وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم
من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله
ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه

سل يشهى إلى بيت المقدس من غير أن يدخله وقوله إلى المرافق وإلى الكعبين لا دليل فيه على أحد الأمرين فأخذ كافة العلماء
بالاحتياط فجعلوا بدخولها في الغسل وأخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدير الماء على
مرفقيه وامسحوا برؤوسكم المراد إلصاق المسح بالرأس وما مسح بعضه ومسح عليه بالمسح كلاهما ملصق للمسح بالرأس
وقد أخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب أو أكثره على اختلاف الرواية وأخذ الشافعي باليقين فأوجب أقل ما
يقع عليه اسم المسح وأخذ أبو حنيفة ببيان رسول الله وهو ما روي أنه مسح على ناصيته وقدمه الناصية بربع الرأس
قرأ حمزة والكسائي وأرجلكم بالنصب فدل على أن الأرجل مغسولة فإن قلت فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح
قلت هي للمجاورة لأن الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للإسراف المذموم المنهي
عنه فعطفت على الثالث الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل إلى الكعبين
مجرور بالقرابة المماسة لظن ظان يجعلها ممسوحة لأن المسح لم يضرب له غاية في الشريعة وعن علي رضي الله عنه أنه قد أشرف
على قوم من الأعراب يتوضأون وهم يجرون فقال ويل للأعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا وبذلك كونها
مغسولة وعن ابن عمر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ قوم وأعقابهم بيض تلوح فقال ويل للأعقاب من النار وفي رواية
جابر ويل للعراقيب وعن عمر رضي الله عنه أنه رأى رجلا يتوضأ فترك باطن قدمه فأمره أن يعيد الوضوء وذلك للتغليظ
عليه وعن عائشة رضي الله عنها لأن تقطعا أحب إلي من أن أمسح على القدمين بغير خفين وعن عطاء والله ما علمت
أن أحدا من أصحاب رسول الله مسح على القدمين وقد ذهب بعض الناس إلى أن ظاهر العطف فأوجب المسح وعن الحسن أنه
جمع بين الأمرين وروي عن الشعبي نزل القرآن بالمسح والغسل سنة وقرأ الحسن وأرجلكم بالرفع بمعنى وأرجلكم
مغسولة أو ممسوحة على التعليل وقرئ فاطهروا أو فطهروا أبدانكم وكذلك ليطهركم وفي قراءة عبد الله فأموا صعيدا
ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حيث لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ليطهركم بالتراب إذا أعوزكم
الماء وليتم نعمته عليكم وليتم برخصه أنعامه عليكم بعزائمه عليكم لعلكم تشكرون نعمته فتثيبكم واذكروا
نعمة الله عليكم وهي نعمة الإسلام وميثاقه الذي واثقكم به إذ عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي أخذه
على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقالوا وقالوا
سمعنا وأطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان عدي يجر منكم بحرف الاستعلاء مضمنا
معنى فعل يتعدى به كأنه قيل ولا يحملنكم ويجوز أن يكون قوله أن تعتدوا بمعنى على أن تعتدوا فحذف مع أن قوله عليه السلام
من اتبع على ملة فليتبع سنة عيسى إنجيل وقرئ شنآن بالسكون وتطيره في المصادر ليتان والمعنى لا يحملنكم بغضكم
للمشركين على أن تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بأن تنتصروا منهم وتشفوا قلوبكم من الصغائن بارتكاب ما
يحل لكم من مثلة أو قذف أو قتل أولاد أو نساء أو نقض عهد أو ما أشبه ذلك اعدلوا هو أقرب للتقوى لها هم

وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب
الجحيم يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم
واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا
وقال الله إني معكم

أولا أن يحملكم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيدا وتشديدا ثم استأنف فذكر لهم
وجه الأمر بالعدل وهو قوله أقرب للتقوى أي العدل أقرب إلى التقوى وأدخل في مناسبتها أو أقرب إلى التقوى لكونه لطفا
فيها وفيه تنبيه عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار الذين أعداء الله إذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه
مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه لهم مغفرة وأجر عظيم بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كأنه قال فقيل لهم
وعدا فقيل أي شيء وعدهم لهم مغفرة وأجر عظيم ويكون على إرادة القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة أو على إجراء
وعد مجرى قال لأنه ضرب من القول أو يجعل وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تكلما على قوله سلام
على نوح كأنه قيل وعدهم هذا القول وإذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة
والأجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيامة فيسرون به ويستبشرون إليه ويهون عليهم السكرات
والأهوال قيل الوصول إلى الثواب روي أن المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا إلى الصلاة صلاة الظهر يصلون
معا وذلك بعسفان في غزوة ذي أنمار فلما صلوا ندموا ألا كانوا ألبوا عليهم فقالوا إن لهم بعدها صلاة هي
أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم يعنون صلاة العصر وهموا بأن يوقعوا بهم إذا قاموا لها فنزل جبريل بصلاة الخوف
وروي أن رسول الله أتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنه يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري
خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه في صفة وهموا بالفتك به
وعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة ليطرحها عليه فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبر فخرج وقيل نزل منزلا وتفرق
الناس في الغضاة يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحه بشجرة فجاء أعرابي فسل سيف رسول الله ثم أقبل
عليه فقال من يمنعك مني قال الله ثلاثا فشام الأعرابي السيف فصاح رسول الله بأصحابه فأخبرهم وأتى
أن يعاقب بقاله بسط إليه لسانه إذا تمطى وبسط اليد إذا بطش فبسطوا إليكم أيديهم والسنتهم بالسوء ومعنى
بسط اليد متعلق إلى المبطوش به الأذى إلى قولهم فلان يبسط الباع ومديد الباع بمعنى فكف أيديهم عنكم فمنعها
أن تبسط إليكم لما استقرت بنو إسرائيل بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالمسير إلى أريحا أرض الشام
وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم إني كتبتها دارا وقرارا فاخرجوا إليها وجاهدوا من فيها وإني
ناصركم وأمر موسى أن يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم فاختار
النقباء وأخذ الميثاق على بني إسرائيل وتكفل لهم به النقباء وساروا فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء وحذرهم
يتجسسون فرأوا أجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا وجبنوا قومهم وقد نهاهم موسى عن ذلك فنكثوا الميثاق إلا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا وهوشع بن نون من سبط أفرايم بن يوسف وكانا من النقباء
والنقيب الذي ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها كالقبيل والعريف لأنه يتعرفها إني معكم إني ناصركم ومعينكم

لئن أقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا لأكفرن عنكم سيئاتكم
ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل فبما نقضهم
ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال

عزرتموهم نصرتموهم ومنعتموهم من أيدي العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرئ
بالتخفيف يقال عزرت الرجل إذا أجللته وكنفته والتعزير والتأنيب من واد واحد ومنه لا تعزر قل نصرا مؤزرا أي
قويا ولقد أخذنا ميثاقهم بالإيمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا يقيمون فيهم العدل ويأمرونهم بالمعروف
وينهونهم عن المنكر واللام في لئن أقمتم موطئة مؤكدة للقسم وفي لأكفرن جواب له وهذا الجواب ساد مسد جواب
القسم والشرط جميعا بعد ذلك الشرط المؤكد المحقق بالوعد العظيم فإن قلت من كفر بعد قبل ذلك أيضا فقد ضل
سواء السبيل قلت أجل ولكن الضلال بعد الظهور أعظم وأعظم لأن الكفر إنما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فإذا
زادت النعمة زادت قبح الكفر وتمادى لعناهم طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم
الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية خذلناهم ومنعناهم الألطاف حتى قست قلوبهم أو أملينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى
قست وقرئ عبد الله قسية أي ردية مغشوشة من قولهم درهم قسي وهو من القسوة لأن الذهب والفضة الخالصين
فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسي والقاسي بالإدغام والإمالة والقاسي بالإدغام والإمالة على اليبس والصلابة
وقرئ قسية بكسر القاف للإتباع يحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم لأنه لا قسوة أشد من الافتراء على الله وتغيير
وجيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا مما ذكروا به من التوراة يعني أن تركهم وإعراضهم عن
التوراة أغفال لأمر عظيم أو قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة وزلت أشياء منها عن حفظهم وعن ابن
مسعود رض قد ينسى العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان بمحمد صلعم
وبيان نعته ولا تزال تطلع على خيانة من هؤلاء عادتهم وما جبلوا عليه أسلافهم كانوا يخونون الرسل وهو كقوله
يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله
أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس وفرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة قال
حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الأديم وقرئ على خيانة منهم إلا قليلا منهم وهم الذين
آمنوا منهم فاعف عنهم يعني على مخالفتهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وقيل فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما
سلف لهم ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم من قوم موسى أي مثل ميثاقهم بالإيمان بالله والرسل وبأن لا
يخالفوا أخذنا من النصارى ميثاقهم بذلك فما زالت النصارى قلت لأنهم إنما سموا
أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا نحن أنصار الله ثم اختلفوا نسطورية ويعقوبية وملكانية
أنصار الشيطان فأغرينا فألصقنا والإغراء من غرى بالشيء إذا لزمه ولصق به وأغريناه غيره ومنه الغراء الذي
يلصق به بينهم بين فرق النصارى المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود ونحن وكذلك نؤلي بعض الظالمين بعضا
أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض يا أهل الكتاب خطاب لليهود والنصارى مما كنتم تخفون من أوصاف

يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط
مستقيم لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه

رسول الله ومن نحو الرجم ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يبينه إذا لم تضطر إليه مصلحة دينية ولم يكن فيه فائدة إلا
انتضاح حكم وصفته قال الله من بيانه وكذلك الرجم وما فيه إحياء شريعة وإماتة بدعة وعن الحسن ويعفو عن كثير
منكم لا يؤاخذ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك وإبانته ما كان خافيا
على الناس من الحق أو لأن ظاهره الإعجاز من اتبع رضوانه من آمن بهم سبل السلام طرق السلامة والنجاة من عذاب
الله أو سبل الله قولهم إن الله هو المسيح معناه بنى القول على أن حقيقة الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى
قوم يقولون ذلك وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدي إليه حيث اعتقدوا أنه يخلق ويحيي ويميت ويدبر
أمر العالم فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئا إن أراد أن يهلك من دعوى ألوهية المسيح وأمه دلالة على
أن المسيح عبد مخلوق كسائر العباد وأراد بعطف من أراد في الأرض على المسيح وأمه أنهما من جنسهم لا أنثى وتسدهما وبينهم
في البشرية يخلق ما يشاء أراد يخلق من ذكر وأنثى ويخلق من أنثى من غير ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وأنثى كما خلق آدم عم
أو يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك فيجب أن ينسب إليه وسلم
ينسب إلى البشر المجرى على يد أبناء الله أشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل لأشياع ابني جنيب هو عبد الله بن
عظام الزبير الجنيبون وكما يقول رهط مسيلمة نحن أنبياء الله ويقول أتباع الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك
قال فلم يعذبكم بذنوبكم فإن صح أنكم أبناء الله وأحباؤه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم
فتمسخون وتمسكم النار إياما معدودات على زعمكم ولكنتم أبناء الله لكنتم من جنس الأبناء فلا عليكم للقبائح ولا تستوجبون
العقاب ولكنتم أحباء لما تعصيون ولما عاقبكم بل أنتم بشر من جملة من خلق من البشر يغفر لمن يشاء ومنهم أهل الطاعة
ويعذب من يشاء وهم العصاة يبين لكم إما أن يقدر المبين ومعه الدين والشرائع وحذفه لظهوره أو ورد الرسول لتبيينه
أو يقدر ما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره أو لا يقدر ويكون المعنى يبين لكم البيان ومجيء النصب على الحال أي مبينا لكم وعلى
يبين متعلق بجاءكم على حين فترة من الرسل وانقطاع من الوحي أن تقولوا كراهة أن تقولوا أو لئلا تقولوا فقد جاءكم متعلق بمحذوف
أي لا تعتذروا فقد جاءكم وقيل كان بين عيسى ومحمد صلعم خمسمائة وستون سنة وقيل ستمائة وقيل أربعمائة وثلاث
وستون وعن الكلبي كان بين نوح وموسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة وألف نبي وبين عيسى ومحمد أربعة أنبياء
ثلثة من بني إسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي والمعنى الاستئناف عليهم وأن الرسول بعث إليهم حين
انطمست آثار الوحي أحوج ما يكون إليه ليهتدوا ويعتدوا لعظم نعمة من الله وفتح باب الرحمة ولئلا يحتجوا فلا يقولوا
عذابا لم يرسل إليهم منذرا ينذرهم عن غفلتهم جعل فيكم أنبياء لأنه لم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء
وجعلكم ملوكا لأنه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم وأن الملوك تكافئوا فيهم لكثرة الأنبياء وقيل كانوا خدما كين
في أيدي القبط فأنقذهم الله فيسر لهم أنفسهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم

وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ۝ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ
فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ
قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا

وقيل من له مال لا يحتاج إلى تكلف الأعمال وتحمل المشاق مالم يؤت أحدا من العالمين من فلق البحر والغرق
العدو وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغيره كل من الأمور العظام وقيل أراد عالمي زمانهم إلا أرض المقدسة
أرض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض الأردن وقيل
سماها الله لإبراهيم حين أنزل ولده حين رفع على الجبل فقيل له انظر فلك ما أدركه بصرك وكان بيت المقدس قرار
الأنبياء ومسكن المؤمنين كتب الله لكم قسمها لكم وسماها أو خطها في اللوح أنها لكم ولا ترتدوا على أدباركم ولا تنقلبوا
على أعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا قيل لما جاءتهم النقباء بحال الجبابرة رفعوا أصواتهم بالبكاء
وقالوا ليتنا متنا بمصر وقالوا تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا إلى مصر ويجوز أن يراد لا ترتدوا على أدباركم في دينكم
بمخالفتكم أمر ربكم وعصيانكم نبيكم فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة الجبار فعال من جبر على الأمر بمعنى أجبر عليه وهو العالي الذي أجبر الناس على ما يريد قال رجلان هما كالب ويوشع من الذين يخافون الله ويخشونه
كأنه قيل رجلان من المتقين ويجوز أن تكون الواو لبني إسرائيل والراجع إلى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافهم
بنو إسرائيل وهم الجبارون وهما رجلان منهم أنعم الله عليهما بالإيمان فآمنا قالا لهم أي للجبابرة اقتحموا عليهم
فلا تخافوهم وارجعوا إليهم فإنكم غالبوهم يشجعانهم على قتالهم وقراءة من قرأ يخافون بالضم شاهدة له وكذلك أنعم الله
عليهما كأنه قيل من المخوفين وقيل هو من الإخافة ومعناه من الذين يخوفون من أنعم بالتذكرة والموعظة أو
يخوفهم ويعيذ الله بالعقاب فإن قلت ما محل أنعم الله عليهما قلت إن أنتظم مع قوله من الذين يخافون في حكم
الوصف لرجلان فمجرور وإن جعل كلاما معترضا فلا محل له فإن قلت من أين علما أنهم غالبون قلت
من جهة أخبار موسى بذلك وقوله كتب الله لكم وقيل من جهة غلبة الظن وما تبينا من سعادة الله في نصرة رسله وما جربا من
صنع الله لموسى في قهر أعدائه وما عرفا من جبن الجبابرة والباب باب مدينتهم لن ندخلها نفي لدخولهم في المستقبل على وجه
التأكيد لا يزيل وأبدا تعليق للنفي المؤكد بالزمن المتطاول وما دامو فيها بيان للأبد فاذهب أنت وربك أجريا على
يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهبت تريد معنى الإرادة والقصد للجواب كأنهم قالوا أردنا أم
والظاهر أنهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة واستهزاء وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفائهم
وقسوة قلوبهم التي عهدوا منها الجهل وسألوا بها رؤية الله جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما بتعودهم ويحكى أن موسى
وهارون خرا لوجوههما قتلاهم لشدة ما ورد عليهما فقوا بدعائهما ولا يبعد أن قول الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في
قوله لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا لما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة
الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به إلا هارون علم قال رب إني لا أملك لنصرة دينك إلا نفسي وأخي وهذا من البث والجهد
والتشكي إلى الله والحسرة ورقة القلب التي مثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة نحو قول يعقوب إنما أشكو بثي

قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين

وحديث أبي الله وعن علي رضي الله عنه أنه كان يدعو الناس إلى نصره بالكوفة ليلا فقال أيها الناس فما أجابه إلا رجلان فقال لقنبر الصلاة
ودعا لهما وقال إن تتعاونا مما أريد وذلك في أعراب أخي وجهه أن يكون منصوبا عطفا على نفسي وعلى الضمير في إني بمعنى
إني لا أملك إلا نفسي وأخي إلا أملك نفسه ومرفوعا عطفا على محل إن واسمها كأنه قيل إنا لا أملك إلا نفسي وهرون كذلك
لا يملك إلا نفسه أو على الضمير في لا أملك وجاز للفصل بمفعول أملك والعطف على الضمير المنصوب المتصل بالمفعول
ضعيف لجوده لا يتكرر في الكلام فإن قلت إما كانا معه الرجلان المذكوران قلت كانا لم يثبتهما كل الوثوق
ولم يطمئن إلى ثباتهما لما ذاقوا على طول الزمان وانصرام الصحبة من أحوال قومه وتلونهم فلم يذكر إلا النبي المعصوم
الذي لا شبهة في أمره ويجوز أن يقول فلك الندرة ضجر عندما سمع منهم تعليلا لإلى يوافقه ويجوز أن يريد ومثل هرون أخي في
على دين فافرق فافصل بيننا وبينهم بأن تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم بما يستحقون وهو في معنى الدعاء عليهم ولذلك
فصل به قوله فإنها محرمة عليهم على وجه التسبيب له فباعد بيننا وبينهم وما خلصنا من صحبتهم كقوله ونجني
من القوم الظالمين فإنها فإن الأرض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها فإن قلت كيف توفق
بين هذا وبين قوله التي كتب الله لكم قلت فيه وجهان أحدهما أن يراد كتبها لكم بشرط أن تجاهدوا أهلها فلما
أبوا الجهاد قيل فإنها محرمة عليهم والثاني أن يراد فإنها محرمة عليهم سنة فإذا مضت أربعون كان ما كتب مقدورا
أن موسى سار بمن بقي من بني إسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح أريحا وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل لما
مات موسى بعث يوشع نبيا فأخبرهم بأنه نبي الله وأن الله أمره بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه وسار بهم إلى
أريحا وقتل الجبابرة وأخرجهم وصفا الشام كله لبني إسرائيل وقيل لم يدخل الأرض المقدسة أحد ممن قال إنا لن
ندخلها وهلكوا في التيه ونشأت ناشئة من ذرياتهم فقاتلوا الجبابرة ودخلوها والعامل في الظرف إما محرمة
وإما يتيهون في الأرض أو يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون لطريقها والتيه المفازة التي يتاه فيها وروي أنهم لبثوا أربعين
سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى إذا أمسوا إذا هم حيث ظعنوا عنه وكان الغمام يظلهم
من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم وأظفارهم
ولهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله فإن قلت وهم كانوا ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره ومن معاينون
قلت كما ينزل بعض النوازل على العصاة تعريكا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك مثل الوالد المشفق
يضرب ولده ويوبخه ليتأدب ويتشفق ولا يقطع عنه معروفه وإحسانه فإن قلت هل كان معهم في التيه موسى
وهرون عليهما السلام قلت اختلف في ذلك لم يكونا معهم إن كان عقابا وقد طلبت الله أن يفرق بينهما وبينهم
وقيل كانا معهم إن كان ذلك رحمة لهما وسلامة لهما عقوبة كالنار لإبراهيم وملائكة العذاب وروي أنهما
ماتا في التيه ومات موسى بعد فيه بسنة ودخل يوشع أريحا بثلاثة أشهر ومات الفتيان في التيه بعقوبة الله كالذين يوشع

فلا تأس على القوم الفاسقين ۝ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر
قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين ۝ لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني
أخاف الله رب العالمين

فلا تأس فلا تحزن عليهم لأنه ندم على الدعاء عليهم فقيل إنهم أحقاء بأنفسهم بالعذاب فلا تحزن ولا تندم هما
ابنا آدم لصلبه قابيل وهابيل أو حواء لأن الله أوحى إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل أجمل
وأسماهما فلما حسد عليها أخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما تقبل نوجها فتقبل قربان هابيل بأن
نزلت نار فأكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان من بني إسرائيل بالحق تلاوة
ملتبسة بالحق والصحة أو اتلم نبأه ملتبسا موافقا لما في كتب الأولين أو بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد
لأن المشركين وأهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله ويعنون عليه أو اتل عليهم وابن محق صادق وأذقرنا
نصب بالنبأ أو قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت ويجوز أن يكون بدلا من النبأ أو عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت
على تقدير حذف المضاف والقربان اسم ما يتقرب به إلى الله من نسيكة أو صدقة كالأنفحة اسم ما يجلى
يعطى يقال قرب صدقة وتقرب بها لأن تقرب مطاوع قرب قال الأصمعي تقربوا قرب الضبع فيعدى بالباء
حتى يكون بمعنى قرب فإن قلت كيف كان قوله إنما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لأقتلنك قلت لما كان
الحسد لأخيه حاملا له على قتله دل بأنه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال إنما أتيت من قبل تقصيري لا من قبل تقصيرك
لأن من قبلك لم تقتلني وما لك لا تتحاب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول فأجابه بكلام حكيم
مختصر جامع لمعان وفيه دليل على أن الله تعالى لا يقبل طاعة إلا من مؤمن متق بما أنعامه على الأشر العاملين أعمالهم وعن
عطاء بن عبد الله أنه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت قال أني أسمع الله يقول إنما يتقبل الله
من المتقين ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك قيل كان أقوى من القاتل وأبطش منه ولكنه تحرج عن قتل أخيه
واستسلم خوفا من الله لأن الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت قال مجاهد وغيره إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك أن تحمل
إثم قتلي لك إلى قتلك فإن قلت كيف يحمل الإثم قلت له ولا تبدو أنت وذاك أحرى قلت المراد بمثل إثمي
على الاتساع في الكلام كما تقول قرأت قراءة فلان وكتبت كتابته تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد
يستعمل غيره ومعنى قوله لعلم المستهتان ما قاله فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم على أن البادئ عليه إثم سبه ومثل إثم
سبه صاحبه لأنه كان سببا فيه إلا أن الإثم مخطوط عن صاحبه معفو عنه لأنه مكافئ في دافع عن عرضه إلا ترى إلى قوله
ما لم يعتد المظلوم لأنه إذا اخترع من حد المكافأة واعتدى لم يسلم فإن قلت فحين كف هابيل عن قتل أخيه واستسلم
وتحرج عما كان محظورا في شريعته من الدفع فأين الإثم حتى يتحمل إثم مثله فيجتمع عليه الإثمان قلت هو مقدر فهو
يتحمل مثل المقدر كأنه قال إني أريد أن تبوء بمثل إثمي لو بسطت إليك يدي وقيل بإثمي بإثم قتلي وإثمك الذي من أجله
لم يتقبل قربانك فإن قلت فكيف يريد شقاء أخيه وتعذيبه بالنار قلت كان ظالما وجزاء الظالم
حسن جائز أن يراد الأمر بتركه إلى قوله وذلك جزاء الظالمين وإذا جاز أن يريد الله جاز أن يريد الأمر لأنه لا يريد الأمر

فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ۝ فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة
أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين ۝ من أجل ذلك كتبنا على
بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا

حسن والمراد بالإثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب فإن قلت لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ
اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت ما أنا بباسط قلت ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع ولذلك
أكده بالباء المؤكدة للنفي فطوعت له نفسه قتل أخيه فوسعت له وبسرته من طاع له المرتع وقرأ الحسن فطاعت
وفيه وجهان أن يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل وأن يراد قتل أخيه كأنه دعا نفسه إلى الإقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع
وأن للزيادة الربط كقولك حفظت لزيد مالا وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة
في موضع المسجد الأعظم فبعث الله غرابا روي أنه أول قتيل قتل على وجه الأرض من بني آدم ولما قتله تركه بالعراء لا
يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه
ثم القاه في الحفرة فقال يا ويلتى أعجزت وروي أنه لما قتله اسود جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه
فقال ما كنت وكيلا عليه فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وروي أن آدم لم يكن بعد قتله مائة سنة إلا يضحك
وأنه رثاه بشعر وهو كذب مختلق وما الشعر إلا الحجر المنحول وقد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر ليريه
ليريه الله أو ليريه الغراب أو ليعلمه لأنه لما كان سببا تعليمه فكأنه قصد تعليمه على سبيل المجاز سوأة أخيه
عورة أخيه ويا ويلتى يا ويل احضري فهذا أوانك وأصله أن يتكشف من حسد والسوأة الفضيحة لقبحها قال يا ويلتى للسوأة السوأى أو للفضيحة
الظليمة فكني بها عنها فأواري بالنصب على جواب الاستفهام وقرئ بالسكون على أنه أواري أو على التسكين
في موضع النصب للتخفيف من الناظرين على قتله لما تعب فيه من حمله وتحير في أمره وتبين له من عجزه وتلمذ للغراب
واسوداد لونه وسخط أبيه ولم يندم ندم التائبين من أجل ذلك بسبب ذلك وبعلته وقيل أصله من أجل شرا
إذا جناه يا جلة أجلا ومنه قوله وأهل خباء صالح ذات بينهم قد احتفروا في عاجل أنا آجله كأنك قلت من
أجل فعلت كذا أردت من أن جنيت فعلته وأوجبته ويدل عليه قولهم جرا كل أمرئ أن جرته يعني
جنيته وذلك إشارة إلى القتل المذكور من أن جنيه ذلك القتل الذنب وجرته كتبنا على بني إسرائيل ومن لابتداء
الغاية وابتداء الكتب والشأن من أجل ذلك ومثل فعلت كذا من أجل كذا وقد يقال أجل كذا بحذف الجار
وإيصال الفعل كما قال أجل أن الله قد فضلكم وقرئ من أجل ذلك بحذف الهمزة وفتح النون لإلقاء حركتها عليها
وقرأ أبو جعفر من أجل ذلك بكسر الهمزة وهي لغة فإذا خففت كسر النون سليما لكسرة الهمزة عليها بغير نفس
بغير قتل نفس ليقتص منها أو بغير فساد عطف على نفس حتى أو بغير فساد في الأرض وهو الشرك وقيل
قطع الطريق ومن أحياها ومن استنقذها من بعض أسباب الهلكة قتل أو غرق أو حرق أو هدم أو غير ذلك
فإن قلت كيف شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم قلت لأن كل النفوس يدل بعضها على بعض من الكرامة
على الله وثبوت الحرمة فإذا قتل فقد أهين ما كرم الله وهتكت حرمته وعلى العكس فلا فرق إذا بين الواحد
ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا بعد ذلك في الأرض لمسرفون ۝ إنما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم

فإن قلت كيف يريد شقاء أخيه وتعذيبه بالنار قلت كان ظالما وجزاء الظالم حسن جائز أن يراد الأمر بتركه إلى قوله وذلك جزاء الظالمين وإذا جاز أن يريد الله جاز أن يريد الأمر لأنه لا يريد الأمر

الإثم

فإن قلت كيف يريد شقاء أخيه وتعذيبه بالنار

مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ
وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ

والحجج في ذلك فإن قلت فما الفائدة في ذكر ذلك قلت تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب ليتحرى الناس
عن الجسارة عليها ويتراجعوا في الحامات على وجهها لأن المتعرض لقتل النفس اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا
عظم ذلك عليه فتبعثه وكذلك الذي اراد احياءها وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم
ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن يا ابن آدم ارأيت لو قتلت الناس جميعا أكنت تطيق ان يكون لك عمل
يجازى ذلك فيغفر لك به كلا انه شيء سولت لك نفسك والشيطان فكذلك اذا قتلت واحدا بعد ذلك بعد ما كتبنا
عليهم او بعد ما جئتهم بالآيات المشتملة على الوعيد بعظمة ما يحاربون الله ورسوله يحاربون رسول الله وجماعة
المسلمين في حكم محاربته ويسعون في الارض فسادا مفسدين او لاجل سعيهم في الارض لمكان على طريق الفساد نزل
منزلة ويفسدون في الارض فانتصب فسادا على المعنى وهو ناه يكون مفعولا له او للفساد من لفت في قوم هلال
بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله فقطعوا عليهم وقيل في العرنيين قاوون
اليهود الذين جمعوا بين القتل واخذ المال قتل وصلب من افرد القتل قتل ومن افرد اخذ المال قطعت يده لاخذ المال
ورجله لاخافة السبيل ومن افرد الاخافة نفي من الارض وقيل هذا حكم كل قاطع الطريق كانوا كانوا وصفا ومعنا
ان يقتلوا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ قال ابو حنيفة ومحمد
يصلبت حيا ويطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اخذوا المال او ينفوا من الارض اذا لم
يقدروا على الاخافة وعن جماعة منهم الحسن والنخعي ان الامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من غير
تفصيل والنفي الحبس عند ابي حنيفة وعند الشافعي النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب هو هارب فزعا وقيل
ينفى من بلده وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة وناصع وهو من بلاد الحبشة خزي ذل وفضيحة
الا الذين تابوا استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة وانما حكم القتل والجراح واخذ المال فالى الاولياء
ان شاؤا عفوا وان شاؤا استوفوا وعن علي رضي الله عنه ان الحارث بن بدر جاء تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته
ودرأ عنه العقوبة الوسيلة كل ما يتوسل به ويتقرب من قرابة او صنيعة او غير ذلك استعيرت لما يتوسل اليه
به الى الله من فعل الطاعات والمعاصي وانشد للبيد ألا كل ذي لب إلى الله
وابل ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه وعن النبي
صلى الله عليه وسلم يقال للكافر يوم القيامة ارأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت
ايسر من ذلك ولو مع ما جئت بخبر فان قلت لم وحد الراجع في قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيئان قلت
هو قوله فان وقيتان بالعزيمة او على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة ويجوز ان يكون الواو في ومثله بمعنى مع فيتوحد
المرجع اليه فان قلت فهلا نصب المفعول معه قلت لما يدعيه من الفعل لان التقدير لو ثبت ان لهم ما في

الارض

يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم والسارق
والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن
الله غفور رحيم ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير

١٦٥

الارض قرأ ابو واقد الليثي بضم الياء من اخرج وفتحها الباقون وعن ابن عباس روي عن
عكرمة الاعرابي نافع بن الازرق قال لابن عباس ارأيت قوما يخرجون من النار وقد قال الله
وما هم بخارجين منها قال ويحك اقرأ ما قبلها هذا للكفار ثم اللغة الجبن وليس بكافر هو وقد هم ولكنه
ما فيه من حديث ابن الازرق ابن عم رسول الله وهو من الطهر اعضاد من قريش واضلاد من بني عبد المطلب وهو
جبن الامة وبخرها ومفتشرها بالخطايا الذي جسر على عمله الجهد من اهل الدنيا وروى ابن عكرمة وابن عباس
الحديث شرحه ما فيه المدينة والسارق والسارقة رفعهما على الابتداء والخبر محذوف وعند سيبويه كانه قيل وفيما
فرض عليكم السارق والسارقة او حكمهما او وحكم آخر وسلاه بن المحاربين والسيد فاقطعوا ايديهما ودخول الفاء
لتضمن معنى الشرط والذي سرق والذي سرقت لا تقطعوا ايديهما والجر بالواو يحتمل معنى الشرط وقرأ
عيسى بن عمر بالنصب في فعلهما ما سيبويه على قراءة العامة لان الفعل اذا فسره ما يجري مجرى الاسم جاز فيه ما جاز في
ونحوه فقد صفت قاوبكما الكتب تشبيه المصاف اليه من تشبيه المضاف به وما يدل بالهمزة من الهاء
عبد الله والسارقون والسارقات فاقطعوا والسارق والسارقة في الشريعة من هتك حرز مثله بالغ عشرة دراهم
الحرز المكان المعد لحفظ المال والذي يجب به القطع عشرة دراهم وهو مذهب ابي حنيفة من قطع يسرق ربع دينار او ثلاثة
مفعول لهما فمن تاب من السارق بعد ظلمه من بعد سرقته واصلح امره بالتوبة عن ابن عباس قال الله يتوب عليه
وسط بينه وبين العباد والتوبة ليكون دليلا على ان الاسلام وما بعده من الذنوب مغفورة لا يستحق عند ابي حنيفة واصحابه وعند الشافعي في احد قوليه
اسقطه من يشاء من يجب في الكتاب والحدود والمحصنين من المسلمين والتابعين وتسلل تنسل حد الحد
الا من تاب بالتوبة ليكون دليلا على ان الاسلام وما بعده من الذنوب مغفورة لا يستحق عند ابي حنيفة واصحابه وعند الشافعي في احد قوليه
والحياة والكلام في الشتائم حين فان قلت لم قدم التعذيب على المغفرة قلت لتقدم السرقة
على التوبة يحزنك تحزن كل بضم الياء وكسر الزاي والحيلولة والحيلولة بينهم وبين ابنائهم والمسارعة المنافقين في الكفر
مما يلوح منهم من آثار الكفر والنفاق وسمن هذه الشرائع فانه تأمر عليهم وكانوا يخبرون بما لا يسمع فيه النساء
يعني وقع فيه الفساد سماعون لقوم آخرين لم يأتوك سماعون لقوم آخرين لم يأتوك
لم يحضروها وانما فعلوا ذلك بانفسهم معنى قوله لم يأتوك انه قال الذين هادوا سماعون للكذب
اليهود قوم سماعون ويجوز ان يعطف على سماعون الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم او الذين
هادوا ويجوز ان يعطف على سماعون الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم او الذين
هادوا ويجوز ان يكون خبرا لمبتدأ محذوف هم سماعون للكذب يحرفون الكلم عن مواضعه من بعد
يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده من الحرف الآخر من الحروف يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه
الله صلى الله عليه وسلم وتجافوا عنه لما اقترفتم من شدة البغضاء وتجاوز عن الاذى فاقبلوه من الاذى
يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم
ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك

يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن
تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم
سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا

في العداوة الذين لا يقدرون أن ينظروا إليك وقيل سماعون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل أن يكذبوا عليه أن يستحلوا ما سمعوا
منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتحريف سماعون من رسول الله أجل قوم آخرين من اليهود وجههم عيونا ليبلغوا
ما سمعوا منه وقيل السماعون هم قريظة والقوم الآخرون يهود خيبر يحرفون الكلم يميلونه ويزيلونه عن مواضعه
التي وضعها الله فيها فيضعونه بغير مواضعه بعد أن كان ذا مواضع إن أوتيتم هذا المحرف فالزموه واعملوا به واعلموا أنه الحق واعملوا به وإن لم تؤتوه وأفتاكم محمد بخلافه فاحذروا إياكم وإياه فهو الباطل والضلال ورووا أن
شريفا من خيبر زنى بشريفة ومهما محصنان وجدتهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فتشاوروا بطائفة
من قريظة ليسألوا رسول الله عن ذلك وقالوا إن أمركم محمد بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فأمرهم
بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال لهم جبريل اجعلوا بينكم وبينهم ابن صوريا فقال أهل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور
يسكن فدك فقال له ابن صوريا قالوا وهو أعلم يهودي على وجه الأرض وبعثوا إليه حكما فقال له رسول الله أنشدك
الله الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه
هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت أن أكذب أن ينزل علينا العذاب
ثم سأل رسول الله عن أشياء وكان يعرفها من أعلامه فقال أشهد أنك رسول الله وأنك رسول الله الذي الهاري
اليهود بالذي بشرهم المرسلون فآمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب مسجده ومن يرد الله فتنته ترك
مبتوتا وخذلانه فلن تملك من الله شيئا فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يؤمنوا بآيات الله
لم يرد بهم الله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم التسحيت كل ما لم يحل كسبه وهو من سحته إذا استأصله لأن
مسحوت البركة كما قال تمحق الله الربوا والربوا باب ثم وقرئ المسحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح
السين على لغة المصدر من سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا يأخذون الرشا على الأحكام ويحلون
الحرام وعن الحسن كان الحاكم يغدو إلى باب السلطان إذا أتاه أحد منهم برشوة جعلها في كمه فإذا رآها أباه وتكلم بحاجته فيسمع
منه ولا ينظر إلى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب وحكي أن عاملا قدم من عمله فجاءه قوم فقدم إليهم البراذين
وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال أعدلت من القوم نحن كما قال الله سماعون للكذب أكالون للسحت
وكان النبي صلى الله عليه وسلم مخيرا إذا تحاكم إليه أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم وبين أن لا يحكم وعن عطاء والنخعي والشعبي
أنهم إذا ارتفعوا إلى حكام المسلمين فإن شاءوا حكموا وإن شاءوا أعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وأن احكم بينهم بما
أنزل الله وعند أبي حنيفة إذا جاءكم إلينا قضينا عليهم بحكم الإسلام وإذا زنى منهم رجل بمسلمة أو سرق من مسلم شيئا
أقيم عليه الحد ولأهل الحجاز لا يرون إقامة الحد وعليهم رجم اليهوديين لأنهم قد فعلوا على شرعكم وهو أعظم من الحد وهو
يقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية فلن يضروك شيئا لأنهم كانوا يتحاكمون إليه إلا لطلب الأيسر

وأن احكم بينهم بما أنزل الله
إن الله يحب المقسطين

وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين إنا أنزلنا التوراة
فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله
وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم
الكافرون

والهون عليهم كالجلد مكان الرجم فإذا أعرض عنهم وأبى المحاكمة إليهم شق عليهم وتكرهوا إعراضه وكانوا خلقاء
بأن يعادوه ويضاروه فأمر الله رسوله بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم وكيف يحكمونك تعجيب من
تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وتكذيب بوجوب أن الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الإيمان به ثم يتولون من بعد ذلك
ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم الذي يرضون به وما أولئك بالمؤمنين بكتابهم كما يدعون أو وما
أولئك بالكاملين في الإيمان على سبيل التهكم بهم فإن قلت فيما حكم الله ما موضعه من الإعراب قلت نصب
إما أن ينتصب حالا من التوراة وهي مبتدأ خبره عندهم وإما أن ينتصب خبرا عنها كقولك وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله
وإما أن لا يكون له محل ويكون جملة مبينة لأن عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد يفعل كذا وأغنى عليك بالصواب
فاصنع فإن قلت لم أنث التوراة قلت لأنها نظيرة لمؤاة ودوداة ونحوهما في كلام العرب فإن قلت
كلام عطف ثم يتولون قلت على يحكمونك فيها هدى تهدي إلى الحق والعدل ونور تبين ما أشكل من الأحكام الذين
أسلموا صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات الجارية على الله سبحانه للتفصيل والتوضيح وأريد بإجرائها
التعريض باليهود وأنهم بعداء من ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم في القديم والحديث وأن اليهودية بمعزل منها وقوله
للذين أسلموا للذين هادوا مناد على ذلك والربانيون والأحبار والزهاد والعلماء من ولد هرون الذين التزموا الحديث
النبيين وجاءوا دين اليهود بما استحفظوا من كتاب الله بما سألهم أنبياؤهم حفظه من التوراة أو بسبب سؤال أنبيائهم
إياهم أن يحفظوه من التغيير والتبديل وهو في حيز كتاب الله للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لئلا يبدل أو لأنهم
يحكم بأحكام التوراة النبيون بين موسى وعيسى والذين هادوا بحملهم على أحكام التوراة لا يتركونهم أن يعدلوا عنها كما فعل
رسول الله من حملهم على حكم الرجم وإرغام أنوفهم وإيابه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون والأحبار بالحمل
بسبب ما استحفظهم أنبياؤهم من كتاب الله والقضاء بأحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز أن يكون الضمير في استحفظوا
للأنبياء والربانيين والأحبار جميعا فيكون الاستحفاظ من الله أو كلفهم الله حفظه وأن يكونوا عليه فلا تخشوا الناس
نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وإدهانهم فيها وإمضائها على خلاف ما أمروا به من العدل لخشية سلطان ظالم
أو خيفة أذية أحد من الرعايا والأصدقاء ولا تشتروا ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا بآيات الله وأحكامه ثمنا قليلا وهو
الرشى وابتغاء الجاه ورضاء الناس كما جرت عادة اليهود كتاب الله وغيروا أحكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة
فهلكوا ومن لم يحكم بما أنزل الله مستهينا به فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حين
جحدوا آيات الله بالاستهانة وتمرد بأن حكموا بغيرها وعن ابن عباس أنها في الكافرين والظالمين والفاسقين أهل الكتاب
وعنه نعم القوم أنتم ما كان من حلو فلكم وما كان من مر فلأهل الكتاب من محمد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر
فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذه في أهل الإسلام والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود هو عام

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ
بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ
وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ

وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ

في اليهود وغيرهم وعن حذيفة انتم اشبه الامم سمتا بمن مضى اسرائيل لتركبن طريقتهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة
غير اني لا ادري اتعبدون العجل ام لا في مصحف ابي وانزلنا الله عليهم في اسرائيل فيها وفيه وان الجروح قصاص والموضحات
كلها قديمات منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل ان النفس لان المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء
كتبنا مجرى قلنا واما لانه بمعنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يتلى عليه الكتب والقراءة تقول كتبت اسم الله به
وقرأت سورة انزلناها ولذلك قال الزجاج لو قرئ انه بالكسر لكان صحيحا او للاستيناف والمعنى فرضنا عليهم
فيها ان النفس مأخوذة بالنفس متولة بها اذا قتلتها بغير حق وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع
بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص ذات قصاص هو من المقاصة ومعناه
ما يمكن فيه القصاص ويعرف المساواة عن ابن عباس كانوا لا يتعادون الرجل بالمرأة فنزلت فمن تصدق من اصحاب
الحق به بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة له فالمتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله من سيئاته بما تصدق به الموازنة
لسائر طاعاته وعن عبد الله بن عمرو يهدم منه ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل هو كفارة للجاني اذا اجاز ورثة
صاحب الحق سقط عنه مالزمه وفي قراءة ابي فهو كفارة له يعني فالمتصدق كفارة او الكفارة التي استحقها لا تنقص
منها وهو تعظيم لما فعل كقوله فاجره على الله وترغيب في العفو فقيته مثل عقبته اذا اتبعته ثم يقال فقيته بفلان
وعقبته به فقفيته على الثانية بزيادة الباء فان قلت فاين المفعول الاول في الآية قلت هو محذوف
والظرف الذي هو على آثارهم كالساد مسده اذا قفى به على اثره فقد قفى به اياه والضمير في آثارهم للنبيين
في قوله يحكم بها النبيون الذين اسلموا وقرأ الانجيل بفتح الهمزة فانه اعجمي خرج بالعجمة عن ذوات
العربية كاجرج هابيل وآخر ومصدقا عطف على محل فيه هدى ونور وحال النصب على الحال وهدى وموعظة يجوز
ان ينتصبا على الحال لقوله مصدقا وان ينتصبا مفعولا لهما لقوله وليحكم كانه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الانجيل
وليحكم بما انزل الله فيه من الاحكام فان قلت فان نظمت هدى وموعظة في سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم
قلت اصنع به ما صنعت بهدى وموعظة بجعلهما مفعولا لهما فاقدر وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله آتيناه
اياه وقرئ وليحكم على لفظ الامر بمعنى وقلنا ليحكم وروي في قراءة ابي وان ليحكم بزيادة ان مع الامر على ان ان
موصولة بالامر كقوله كتب الله لاغلبن بان تم كانه قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل وقيل ان عيسى
عليه السلام كان متعبدا على التورية من الاحكام لان الانجيل مواعظ وزواجر والاحكام فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم
اهل الانجيل بما انزل الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والاصل لقائل ان يقول لعله
وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية فان قلت اي فرق بين التعريفين في قوله وانزلنا اليك
الكتاب وقوله لما بين يديه من الكتاب قلت الاول تعريف العهد لانه يعني به القرآن والثاني تعريف الجنس

وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ
عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ

يعني به جنس الكتب المنزلة ويجوز ان يقال هو للعهد لانه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الاطلاق وانما اريد به
نوع معلوم منه وهو ما انزل من السماء سوى القرآن ومهيمنا ورقيبا على ما بين الكتب لانه يشهد لها بالصحة
والثبات وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم اي هو مؤتمن عليه بان حفظ من التغيير والتبديل كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه والذي هيمن عليه الله عز وجل او لجنا لانه في كل بلد لو حرف حرف منه او حركة او سكون لتبرأ عليه كل احد
ولا شمأز وارادين ومنكرين كمن ولا تتبع يعني ولا تنحرف فلذلك عدي بعن كانه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق
متبعا اهواءهم لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة وقرئ بجعلنا وشاب بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا
في الدين تجرونه عليه وقيل هذا دليل على انا غير متعبدين بشرائع من قبلنا لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على شريعة
واحدة او ذوي امة واحدة او دين واحد لا اختلاف فيه ولكن اراد ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة هل تعملون بها
مذعنين معتقدين انها مصالح فقد اختلفت على حسب اختلاف الاحوال والاوقات معترفين بان الله هو الذي يتعبد بها لعلمه بما
تقتضيه الحكم ام تتبعون الشبه وتنكرون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها وتسابقوا نحوها الى الله مرجعكم
استيناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات فيبئكم فيخبركم بما كنتم تختلفون من امر الدين الناصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم
ومفرطكم في العمل فان قلت وان احكم بينهم معطوف على ماذا قلت على الكتاب في قوله وانزلنا اليك الكتاب
كانه قيل وانزلنا اليك الحكم وبان احكم على ان وصلت بالامر لانه فعل كسائر الافعال ويجوز ان يكون معطوفا على بالحق
او انزلنا بالحق وبان احكم ان يستوي عن بعض ما انزل الله اليك ان يفتنوك عنه ويستميلوك وذلك ان كعب بن اسد
وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا له يا محمد
قد عرفت انا احبار اليهود واشراف القوم وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم
اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك ففي ذلك رسول الله فنزلت فان تولوا عن الحكم بما انزل الله اليك واراد واعنه
فاعلم ايذانا بان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني بذنب التولي عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم
موضع ذلك واراد ان لهم ذنوبا جمة كثيرة لا يعد ولا يحد هذا لتعظيم بعضها واحدها وهذا الابهام لتعظيم التولي
واستدلالهم على ارتكابه ونحو البعض في هذا الكلام في قوله تعالى او تبعض بعض النفوس حمامها اراد نفسه وانما
قصد تفخيم شأنها بهذا الابهام كانه قال نفسا كبيرة نفيسة اي نفس كما ان التنكير يعطي معنى التكثير وهو في معنى
البعضية فكذلك اذا صرح بالبعض لتناسقون لمتمردون في الكفر معتادون فيه يعني ان التولي عن حكم الله من التمرد
العظيم والاعتداء في الكفر افحكم الجاهلية يبغون فيه وجهان احدهما ان قريظة والنضير طلبوا اليه ان يحكم بما
كان يحكم اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وروي ان رسول الله صلعم قال لهم القتلى سواء فقالوا لا نرضى بذلك
نرضى بذلك فنزلت والثاني ان يكون تعريضا لليهود بانهم اهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه
منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا
دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا

في هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع إلى وحي من الله وعن الحسن هو عام في كل من يبتغي غير حكم الله والحكم
حكمان حكم بعالم وحكم بجهل فهو حكم الشيطان وسئل طاوس عن الرجل ينصر بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية
وقرئ تبغون بالتاء والياء وقيل التلمس الحكم الجاهلية يبغون بفتح الحكم على الإبدال وإيقاع يبغون خبرا
واسقاط اللام عنه كاسقاطها عن الصلاة في هذا الذي يصف الله وعن الصفة في الناس يخالف رجل امرأته
ورجل أكمه وعن الحالة في مورث بحيث يضرب بيد
نجران أو نظير من حكام الجاهلية فأرادوا بسؤالهم أن يكون حكما كحكام التبديل حكما كأولئك الحكام اللام في قوله
لقوم يوقنون للبيان كاللام في هيت لك وهذا الاستفهام
أن الإعدال من الله ولا أحسن حكما منه لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتؤاخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة
المؤمنين ثم علل النهي بقوله بعضهم أولياء بعض أو إنما يوالي بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر
فإنكم بخلاف دينهم ولولائهم ومن يتولهم منكم فإنه من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد
في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترائي نارا هما ومن تشبه بقوم فهو منهم
في كتاب النصارى لأنكم وهم إذا أعانهم لا ولا تأمنوهم إذا خونهم الله ولا تدنوهم إذا أقصاهم الله وروي أنه قال
له أبو موسى إن لي كاتبا نصرانيا أفلا أستعين به فقال ما لك قاتلك الله ألا اتخذت حنيفا
فاصبحت الساعة واستغنى عنه بغيره إن الله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين ظلموا أنفسهم بالخيانة
الله الطاعة ويجعلهم مقتدى لهم يسارعون فيهم يتلمسون في موالاتهم ويبعثون فيها ويعتذرون بأنهم لا يأمنون أن تصيبهم
دائرة من دوائر الزمان أو صرف من صروفه ودولة من دولة فيحتاجوا إليهم وإلى معونتهم وعن عبادة بن الصامت
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لي موالي من يهود كثيرا عددهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله
ورسوله فقال عبد الله بن أبي إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالي فيهم يهود بني قينقاع فعسى الله
أن يأتي بالفتح لرسول الله على أعدائه وإظهار المسلمين أو أمر من عنده يقطع شأفة اليهود ويجليهم عن بلد الحرم
فيصبح المنافقون نادمين على ما جنوا به أنفسهم وذلك أنهم كانوا يتكهنون فيما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون ما نظن
الذين يتربصون لدائرة تكون للدولة والغلبة لهم وقيل أو أمر من عنده أو أن يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم بإظهار
أسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم وقيل أو أمر من عند الله لا يكون فيه للناس فعل كبني النضير
الذين طرح الله في قلوبهم الرعب فأخربوا بأيديهم من غير أن يوجف عليهم بخيل ولا ركاب ويقول الذين آمنوا ترى
بالنصب عطفا على أن يأتي وبالرفع على أنه كلام مستأنف أو ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو
وهي في مصاحف مكة والمدينة والشام كذلك على أنه جواب قائل يقول لماذا يقول المؤمنون فقيل يقول الذين

فهو حكم الله

وتستنصرونهم

أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين يا أيها الذين آمنوا من يرتد
منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه

آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا فإن قلت لم يقولون هذا القول قلت إما أن يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم
واغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق في الإخلاص لأهؤلاء الذين أقسموا لكم بأغلظ الأيمان أنهم أولياؤكم ومعاضدوكم
على الكفار وإما أن يقولوه لليهود كأنهم جاءوهم بالمعاضدة والنصرة كما جاء الله عنهم وإن قوتلتم لننصرنكم حبطت
أعمالهم من جملة قول المؤمنين أو رطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي أعين الناس وفيه بيان التعجب كأنه
قيل ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم أو من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الأعمال وتعجيبا من سوء حالهم فيكم من
يرتد ومن يرتد دهوة الإمام بدالين وهو من الخاصيات التي أخبر عنها في القرآن قبل كونها وقيل إن أهل
الردة أحدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم ملك ريشهم ذو الخمار وهو الأسود العنسي وكان كاهنا
تنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل وأبا موسى
فأهلكه الله على يدي فيروز الديلمي ليلة قتله وأخبر رسول الله بقتله ليلة قتله فقتله المسلمون وقبض رسول الله من
الغد وأتي الخبر في آخر شهر ربيع الأول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله
إلى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك فلما جاء من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن
الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فجاء بها أبو بكر رضي الله عنه والمسلمون وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة
وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام أراد في جاهليتي وإسلامي وبنو أسد قوم طليحة
بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله خالدا فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه وسبع في عهد أبي بكر
رضي الله عنه فزارة من قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل
وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت الحارث المتنبئة إلى أن رجعت نفسها مسيلمة الكذاب
وفيها يقول أبو الطاهر المهدي في كتابه استنصر واستغفر من أتت سجاح ووالها مسيلمة كذابة ولبدة
قوم أشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله المسلمين بأبي بكر رضي الله عنه وفرقة واحدة
في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الأيهم نصرانية اللطمة وسير إلى بلاد الروم بعد إسلامه فسوف يأتي الله بقوم
قيل لما نزلت أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى الأشعري فقال قوم هذا وقيل هم الفرس أهل اليمن وقيل هم الأنصار وقيل أهل اليمن
لذة وبجيلة وثلثة آلاف من أبناء الناس جاهدوا يوم القادسية وقيل هم الأنصار وقيل أهل اليمن رسول الله
عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه ثم قال لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس
يحبهم ويحبونه محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته ولا يتعاظمون ما يوجب سخطه وغضبه عتابه ونحبه
الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم وينعم عليهم ويرضى عنهم وأنا ما يعتقد أهل الناس
وأعلامهم للعام وأهله وأمتهم للشرع والمؤمنين خاصة وإن كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة ما التهاء شيئا

أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء والله واسع عليم إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون

ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم
هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين وإذا ناديتم إلى
الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما
أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون قل هل أنبئكم بشر من ذلك

١٦٩

ليس صح أن يكون لعلي رضي والفظ لفظ جماعة قلت جرى على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب
الله سبحانه في مثل فعله فينا لو مثل ثوابه وليبينه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان
وتفقد الفقراء حتى إن لزمهم أمر لم يتمهلوا التأخير وهم في الصلاة لم يؤخروه إلى الفراغ منها فإن حزب الله من القائمة
الظاهر مقام المضمر ومعناه فإن حزب الله الغالبون ولكنهم بذلك عدلوا إعلاما لكونهم حزب الله وأصل الحزب القوم يجتمعون
لأمر حزبهم ويحتمل أن يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتصم بحبل
الغالب روي أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما
فنزلت يعني إن اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح أن يقابل باتخاذكم إياهم أولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن
والمنابذة وفصل المستهزئين بأهل الكتاب الكفار وإن كان أهل الكتاب من الكفار إطلاقا للكفار على المشركين
خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين أشركوا وقرئ والكفار بالنصب والجر ويعضده قراءة أبي
ومن الكفار واتقوا الله في موالاة الكفار وعيبها إن كنتم مؤمنين صفة لازمة لا زمانية حقا يأبى موالاة أعداء الدين
اتخذوها المضير للصلاة وللمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله
قال حرق الكاذب فدخل خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت هو وأهله
وقيل فيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب بالمنام وجد لا يعقلون لأن لعبهم وهزؤهم من أفعال السفهاء
والجهلة فكأنهم لا عقل لهم قرأ الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون
إلا الإيمان بالكتب المنزلة كلها وأن أكثركم فاسقون فإن قلت علام عطف قوله وأن أكثركم فاسقون قلت
فيه وجوه منها أن يعطف على أن آمنا يعني وما تنقمون منا إلا الجمع بين إيماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الإيمان كأنه
قيل وما تنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الإسلام وأنتم خارجون منه ويجوز أن يكون على تقدير حذف
المضاف أي واعتقادكم أنكم فاسقون ويجوز أن يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف كأنه قيل وما تنقمون منا
إلا الإيمان لقلة إنصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه تغيير الحسن بنسقكم تعميم ذلك عليهم وروي
أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من أحبار اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال أؤمن بالله وما أنزل إلينا
إلى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا
دينا شرا من دينكم فنزلت عن نعيم بن ميسرة وأن أكثركم بالكسر ويحتمل أن ينتصب أن أكثركم بفعل محذوف
يدل عليه هل تنقمون أو لا تنقمون أن أكثركم فاسقون أو يرتفع على الابتداء والخبر محذوف أو فسقكم ثابت معلوم عندكم
لأنكم علمتم أنا على الحق وأنكم على الباطل إلا أن حب الرياسة وكسب الأموال يدعكم تتصنعوا ذلك أشار إلى المنقوم
ولا بد من حذف مضاف قبله أو قبل من تقديره بشر من أهل ذلك أو دين من لعنه الله كقوله قل أفأنبئكم بشر من ذلك

مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر
مكانا واضل عن سواء السبيل واذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما
كانوا يكتمون

النار او في محل الجر على البدل من شر وقرئ مثوبة ومثالها مشوبة ومشوبة فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان
فلم جاءت في الاساءة قلت وضعت المثوبة مختصة موضع العقوبة على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع
ومنه فبشرهم بعذاب اليم فان قلت الخاقون من الفريقين هم اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة قلت
كان اليهود لعنوا بدعوى ان المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة
والفريقين من اهل الاسلام في اعلم ودعوكم وعبد الطاغوت عطف على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت وفي قراءة
ابي وعبدوا الطاغوت عطفا على القردة وعابدي وعباد وعبد وعبد ومعناه الغلو في العبودية كقولهم رجل حذر
وفطن للبليغ في الحذر والفطنة قال ابي لبني ان اسكم ابة واحدة وان اباكم عبد وعبدة بعد حطم وعبيد
وعبد بضمتين جمع عبيد وعبدة بوزن كفرة وعبد واصله عبدة فحذفت التاء للاضافة وهو كخدم في جمع خادم وعبد
وعباد واعبد وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع لمعنى وعبد الطاغوت فيهم او بينهم وعبد الطاغوت
يعني صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك امير اذا صار اميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه الله
فان قلت كيف جاز ان يجعل الله منهم عباد الطاغوت قلت فيه وجهان ان يخذلهم حتى يعبدوها
والثاني ان يحكم عليهم بذلك ويصفهم به كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل الطاغوت العجل
وعن ابن عباس نفر اطاعوا الكهنة وكل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده وقرأ الحسن الطواغيت وقيل
وجعل منهم القردة اصحاب السبت والخنازير كفار اهل مائدة عيسى عم وقيل كل المسخين من اصحاب السبت
خنازير منهم قردة ومثلهم مسخوا خنازير وروي انها نزلت لما كان المسلمون يغيرون اليهود ويقولون يا اخوة
القردة والخنازير فيكسرون وجوههم اولئك الملعونون الممسوخون شر مكانا جعلوا الشر الذي هو المكان وهي اهله
وفيه مبالغة ليست في قولك اولئك شر واضل لدخوله في باب الكناية التي هي اخت الحسن نزلت في ناس من اليهود
كانوا يدخلون على رسول الله صلعم ويظهرون له الاسلام نفاقا فاخبره الله بسرائرهم وانهم يخرجون من مجلسه كما دخلوا
لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيره يا الله وهو اعلم بكفرهم وقوله بالكفر وبه حالان اي دخلوا كافرين وخرجوا
كافرين لتقدير ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وهم قد دخلوا فيهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد لتقريب الماضي
من الحال ولمعنى آخر وهو ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان رسول الله متوقعا لظهور الله ما كتم
فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا آمنا او قالوا ذلك وهذه حالهم الاثم الكذب وقيل الاثم ما يختص به
الاثم والعدوان الظلم وقيل الاثم الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الاثم ما يختص به والعدوان
ما يتعداهم الى غيرهم والمسارعة في الشيء التهافت فيه بسرعة لبئس ما كانوا يصنعون كانهم جعلوا آثم من

وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء
وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة كلما اوقدوا
نارا للحرب اطفاءها الله

متلبس المنافيين لان كل عامل لا يسمى صانعا وكل عمل لا يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وكان الحسن
يذهب الى ان المعاصي معه الشهوة التي تدعو اليه وتحمل على ارتكابها واما الذي بهذا فلا شهوة معه في فعل غيره فاذا
فرط في الانكار كان اشد جهلا من الواقع ولعمري ان هذه الاية مما يقذ السامع وينبو على العلماء تاويلهم وعن ابن عباس
نعم هي اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله
تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عندهم
بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا نحو نطقت كفاه بكذا لان هاهنا معتقبان على حقيقة واحدة حتى انه يستحيل في مثل ان يعطي عطاء واسعا
ولا ينفعه الا بالاشارة من غير استعمال يد ولا بسط وتصورها اعتبار ان متعاقبتان للبخل والجود وقد استعملوها حيث لا يصح
اليد لقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكلت نداه تلاعه ووهاده وقد جعل لليد الشمال يدا في قوله اذا
اصبحت بيد الشمال زمامها ويقال بسط الناس كفيه في صدري مجلس الملك الناس الذي هو من المعاني لا من الاعيان
لقائل ومن لم ينظر في علم البيان ذهب عن تبصر حجة الصواب في تاويل امثال هذه الآية ولم يتخلص من يد الطاعن اذا له
عيبت به فان قلت فوجه ان قوله يد الله مغلولة عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غلت ايديهم ومن حقه ان يطابق
ما تقدمه والا تناقض الكلام وزل عن سننه قلت يجوز ان يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والتقتير ومن ثم كانوا
اكثر خلق الله وانكدهم ونحو بيت الحماسة ثقيت وغرقت والخرقت عن العلى ويجوز ان يكون دعاء عليهم بقول الزبيدي
حقيقة يقالونه في الدنيا الشاذي وفي الآخرة مقرنين باغلال الجهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز كما
تقول سبني سب الله دابن او قطعه فالسب اصله القطع فان قلت كيف جاز ان يدعوا الله عليهم بما هو قبيح
وهو البخل والنكد قلت المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقتضيه قلوبهم فيبذلون بخلا الى بخلهم ونكدا
الى نكدهم وبما هو سبب عن البخل والنكد من صرف العباد عنهم وسوء الحدوثة التي تجرهم وتمزق اعراضهم فان قلت
لم ثنيت اليد في بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة قلت ليتناول رد قولهم وانكار البخل واثبات
اثبات غاية السخاء والجود له ونفي البخل عنه وذلك ان غاية ما يبذله السخي عادة من نفسه ان يعطيه بيديه جميعا فنبه
المجاز على ذلك وقرئ ولعنوا بسكون العين في مصحف عبد الله بل يداه بسطان يقال يد بسط بالمعروف مبسوطة
وناقة سرح يلفق كيف يشاء تاكيد للوصف بالسخاء ودلالة على انه لا يتفق الا مقتضى الحكمة والمصلحة روي
ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا فلما عصوا الله في مهل صلعم وكذبوه كف الله تعالى ما بسط
عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص من عازوراء يد الله مغلولة ورضي بقوله الاخرون فاشركوا فيه وليزيدن
يزداد دون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بايات الله والقينا بينهم العداوة فكلهم ابدا مختلفون وتاويلهم
شتى لا يتفق اتفاق بينهم ولا تعاضد كلما اوقدوا نارا لحرب اراد وا محاربة احد غلبوا وقهروا ولم يقم نصر من الله على احد

ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم
ولأدخلناهم جنات النعيم ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت
أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل

قط وقد أتاهم الإسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا حكم التوراة فبعث الله بخت نصر ثم أفسدوا فسلط عليهم
فطوس الرومي ثم أفسدوا فسلط عليهم المجوس ثم أفسدوا فسلط عليهم المسلمين وقيل كلما جاءوا رسول الله نصر عليهم وعن
قتادة لا يلبث اليهود بهذه الأرض بعد الأرض منذ ذل الناس ويسعون ويجتهدون في الكيد للإسلام ومحو ذكر رسول الله من بينهم
ولو أن أهل الكتاب مع ما عددنا من سيئاتهم آمنوا برسول الله وبما جاء به وقرنوا إيمانهم بالتقوى التي هي الشرط
في الفوز بالإيمان لكفرنا عنهم تلك السيئات ولم نؤاخذهم بها ولأدخلناهم مع المسلمين الجنة وفيها أعلام يوطئ
اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة رحمة الله وفتحه باب التوبة على كل عاص وإن عظمت معاصيه
وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى وأن الإيمان لا ينجي ولا يسعد إلا مشفوعا بالتقوى كما قال الحسن هذه
العهود فما بين الطنابيب ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله
وما أنزل إليهم من سائر كتب الله لأنهم مكلفون الإيمان بجميعها فكأنها أنزلت إليهم وقيل هو القرآن لوسع الله عليهم
الرزق وكانوا قد قحطوا وقوله لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم عبارة عن التوسعة وفيه دلالة أوجه أن يفيض عليهم
بركات السماء وبركات الأرض وأن يكثر الأشجار المثمرة والزروع المغلة وأن يرزقهم الجنان اليانعة الثمار
يجتنون ما يتدلى منها من رؤوس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة عادلة
طائفة آمنت في عداد رسول الله وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى
وساء ما يعملون فيه معنى التعجب كأنه قيل وكثير منهم ما أسوأ عملهم وقيل هم كعب بن الأشرف وأصحابه والروم بلغ
ما أنزل إليك أي شيء أنزل غير مراقب في تبليغه أحدا ولا خائف أن ينالك مكروه فإن لم تفعل وإن لم تبلغ جميعه كما
أمرتك فما بلغت رسالته وقيل رسالاته فلم تبلغ إذن ما كلفت من أداء الرسالات ولم تؤد منها شيئا قط
وذلك أنهم تؤدي بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعا كما أن من لم يؤمن ببعض الأنبياء كان كمن لم يؤمن بكلهم لأن الكل
يدليه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا غير مؤمن به وعن ابن عباس رضي الله عنه
إن كتمت آية لم تبلغ رسالته وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فأوحى الله إلي إن لم تبلغ
رسالاته عذبتك وضمن لي العصمة فقويت فإن قلت ووقوع قوله فما بلغت رسالاته جزاء للشرط ما وجه صحته
قلت فيه وجهان أحدهما أنه إذا لم يمتثل أمر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كأنه لم يبعث رسولا كان أشبه
بالإغفال بالشناعة فقيل إن لم تبلغ منها أدنى شيء وإن كانت كلها واحدة فأنت كمن ركب الأمر الشنيع الذي هو كتمان كلها
كما عظم قتل النفس بقوله فكأنما قتل الناس جميعا والثاني أن يراد فإن لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله من العقاب
فوضع السبب موضع المسبب وبعضهم قد علم فأوحى الله إلي إن لم تبلغ رسالاته عذبتك والله يعصمك عدة من الله
بالحفظ والكلاءة والله يضمن لك العصمة من أعدائك فما عذبك في مراقبتهم فإن قلت أين ضمان العصمة وقد شج

والمحنة

قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من
ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين
إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون

في وجهه وكسرت رباعيته قلت المراد أنه يعصمه من القتل وفيه أن عليه أن يحتمل كل ما دون النفس في ذات
الله فما أشد تكاليف الأنبياء عليهم السلام وقيل نزلت بعد يوم أحد والناس الكفار بدليل قوله إن الله لا يهدي
القوم الكافرين ومعناه أنه لا يمكنهم مما يريدون إنه الوكيل من الهلاك وعن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت
فأخرج رأسه من قبة آدم فقال انصرفوا أيها الناس فقد عصمني الله لستم على شيء أو على دين يعتد به حتى
تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وكذبهم فإن ضرر ذلك راجع إليهم لا إليك وفي المؤمنين غنى عنهم والصابئون رفع
على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز إن من اسمها وخبرها كأنه قيل إن الذين آمنوا والذين
هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وأنشد سيبويه شاهدا وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في
شقاق أو فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك فإن قلت هلا زعمت أنه ارتفاعه للعطف على محل إن واسمها قلت
لا يصح قبل الفراغ من الخبر لا تقول إن زيدا وعمرو منطلقان فإن قلت لم لا يصح والنية به التأخير فكأنك قلت
إن زيدا منطلق وعمرو قلت لأن إذا دخلت دخلت عطفا على محل إن واسمها والعامل في محلهما هو الابتداء فيجب
أن يكون هو العامل في الخبر لأن الابتداء ينتظم الجزئين في علم كما ينتظمهما إن في عملها فلو رفعت الصابئون المنوية
به التأخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بإن لم تعملها فيهما وأنت تعملين مختلفين فإن قلت فقولوا والصابئون
معطوف على ما بعده من معطوف عليه فما هو قلت هو مع خبره الجزء من جملة معطوفة على جملة قوله إن الذين
آمنوا إلى آخره والمحل لها بالمحل الذي عطفت عليها فإن قلت ما التقديم والتأخير الثابتين فما فائدة
هذا التقديم قلت فائدته التنبيه على أن الصابئين يجانب عليهم أن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فما الظن
بغيرهم وذلك أن الصابئين أبين هؤلاء المحدود ذين ضلالا وأبعد تيها وما بعدوا صابئين إلا لسلوكهم صبأ وأعرض الأديان
كلها أو خرجوا كما أن الشاعر قدم قوله وأنتم تنبيها على أن المخاطبين أولى بالوصف بالبغاة من قومه حيث
عاجل به قبل خبر الذي هو بغاة ليدل على أن قومه في البغي قبلهم مع كونهم أولى فيه وأثبت قدما فإن قلت
فلو قيل والصابئين وإنما لم لكان التقديم حاصلا قلت لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لأن الواو فيه
عن موضعه كليا وإنما يقال مقدم ومؤخر للذي له التأثير في مكانه ويجري هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام
فإن قلت كيف قيل الذين آمنوا ثم قيل من آمن قلت فيه وجهان أن يراد بالذين آمنوا أبناء السنتهم
ومن المنافقون وأن يراد بمن آمن من ثبت على الإيمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه فإن قلت فما محل
من آمن قلت إما الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما
هي خبر إن وإما النصب على البدل من اسم إن وما عطف عليه أو من المعطوف عليه فإن قلت فأين الراجع إليها

لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون
وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون
لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من

آية ١٧١

اسمان قلت محذوف تقديره من آمن منهم كما جاء في موضع آخر وقرئ والصابيون بياء صريحة وهو
من تخفيف الهمزة كقراءة من قرأ يستهزيون والصابئون وهو من صبئوت إذا خرجت من دين إلى دين
لأنهم صبوا إلى اتباع الهوى والشهوات
ولم يتبعوا أدلة العقل والسمع وفي قراءة أبي والصابيين بالنصب وبها قرأ ابن كثير وقرأ عبد الله يا أيها
الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون لقد أخذنا ميثاقهم بالتوحيد وأرسلنا إليهم رسلا ليقفوهم على ما يأتون
ويذرون في دينهم كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف رسول منهم بما لا تهوى
أنفسهم بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع فإن قلت أين جواب الشرط
فإن قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون لا يصلح أن يكون جوابا لأن الرسول الواحد لا يكون فريقين ولا يحسن أن يقول إن
أكرمت أخاك أكرمت قلت هو محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كأنه قيل كلما جاءهم
رسول ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستأنف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم فإن قلت لم جيء باحد الفعلين
ماضيا وبالآخر مضارعا قلت جيء بيقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا للحالة
الحال الشنيعة للتعجيب منها وقرئ أن لا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على أن أن هي المخففة من الثقيلة أصله
أنه لا تكون فتنة فخففت أن وحذف ضمير الشأن فإن قلت كيف دخل فعل الحسبان على أن التي هي للتحقيق
قلت يزل الحسبان لقوته في صدورهم منزلة العلم فإن قلت فأين مفعولا حسب قلت سدت
يشتمل عليه صلة أن وأن مع المسند والمسند إليه مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو إسرائيل أنهم لا يصيبهم من الله فتنة
أي بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة فعموا عن الدين وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله عليهم
ثم عموا وصموا كرة ثانية بطلبهم المحال الجهل المعقول في صفات الله وهو الرؤية وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير
عماهم الله وصمهم أو رآهم وصمهم بالعمى والصمم كما يقال نكسته إذا ضربته بالنكس لتغير منهم بدل من الضمير وعلى
قولهم الكاذب إذا عيث أو هو خبر مبتدأ محذوف وقرئ وليكن كثير منهم لم يفرق عيسى عليه السلام بينه وبينهم في أنه عبد مربوب
كمثلهم وهو احتجاج على النصارى أنه من أشرك بالله في عبادته أو فيما هو مختص به من صفاته وأفعاله فقد حرم الله
عليه الجنة التي هي دار الموحدين أو حرمه دخولها ومنعه منها كما يمنع المحرم من المحرم عليه وما للظالمين من أنصار من كلام
الله على أنهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما نقلوا إلى عيسى عليه السلام ذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصروهم فيما نقلوه وردوه
ولكن وإن كانوا متظاهرين له بذلك وزاعمين من تقدمهم أو من قول عيسى عليه السلام معنى ولا ينصركم أحد فيما تقولون ولا يساعدكم
عليه لاستحالته ويدل عن المعقول أو ولا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله من في قوله وما من إله إلا إله واحد
للاستغراق وهي المقدرة التي مع إلا التي لنفي الجنس في قولك لا إله إلا الله والمعنى وما إله قط في الوجود إلا إله موصوف
بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له ومن في قوله لقد كفر الذين كفروا منهم للبيان كالتي في قوله فاجتنبوا الرجس

أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة
كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا
ولا نفعا والله هو السميع العليم قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا

آية ١٧٢

من سلم وثاب فإن قلت فهلا قيل ليمسهم عذاب أليم قلت في إقامة الظاهر مقام المضمر فائدة وهي تكرير
الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة أخرى وهي الإعلام في تفسير الذين كفروا بأنهم الكاملون
من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب أليم أو نوع شديد الألم من العذاب كما تقول أعطني من
عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الأجناس التي يجوز أن يتناولها عشرون ويجوز أن يكون
للتبعيض على معنى ليمسن الذين يقعون على الكفر منهم لأن الكفر منهم لا من كل أمتهم تابوا من النصرانية أفلا يتوبون الاستفهام
الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد حثا لهم عليه وفيه تعجيب من إصرارهم والله غفور رحيم يغفر
لهم إن تابوا ولغيرهم قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول وما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء
بآيات من الله كما أتوا بأمثالها إن أبرأ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله فقد أحيي العصا وجعلها حية تسعى وفلق البحر
وطمس على يد موسى وإن خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى وأمه صديقة وما أمه أيضا إلا كبعض
النساء المصدقات للأنبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما إلا منزلة بشرين أحدهما نبي والآخر صالحي فرأيت أشبه
عليكم أمرهما حيث وصفتموهما بما لم يوصف به مثلهما من الأنبياء وصالحاتهم مع أن الأمتين ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه
من الوجوه ثم صرح بتجوزهما عما نسب إليهما في قوله كانا يأكلان الطعام لأن من اجتاح إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه
من الهضم والنقص لم يكن إلا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وأمزجة مع شهوة وقدرة وغير ذلك مما يدل
على أنه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الأجسام يتبين لهم الآيات أي الأعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم ليؤفكون
ليأفكون أنى يصرفون عن استماع الحق وتأمله فإن قلت ما معنى الترامي في قوله ثم انظر قلت معناه بين العجيب يعني أنه
بين لهم الآيات بيانا عجيبا وإن أعراضهم عنها أعجب منه ما لا يملك هو عيسى أو شيئا لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم به الله من
البلايا والمصائب في الأنفس والأموال وإن ينفعكم به من صحة الأبدان والسعة والخصب وكل ما يستطيعه من الأشياء
من المضار والمنافع فيما يراد الله وتمكينه فكيف لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على أنه من مناف الربوبية حيث جعله لا يستطيع
ضرا ولا نفعا وصفة الرب أن يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته والله هو السميع العليم متعلق بأتعبدون أي
أتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون أو أتعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذي
يصح أن يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك إلا وهو حي قادر فيه الحق صفة للمصدر أي لا تغلوا في دينكم غلوا غير
الحق أو غلوا باطلا لأن الغلو في الدين على وجهين حق وهو أن يتحصن عن حقائقه ويفتش عن أسراره ومعانيه ويجتهد في تحصيل
حجج كما يفعل المتكلمون من أهل العدل والتوحيد وغلو باطل وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه عن الأدلة إتباعا للشبه كما
يفعل أهل الأهواء والبدع قد ضلوا من قبل هم أسلافهم النصارى كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وأضلوا كثيرا ممن
تابعهم على التثليث وضلوا لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه نزل الله لعنهم

على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا
يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم
خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون لتجدن
اشد الناس عداوة للذين

في الزبور على لسان داود وفي الانجيل على لسان عيسى وقيل الف اهل ايلة لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم
العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر اصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعد ما اكل من المائدة
عذابا لم تعذبه احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل بايديهم
اسلة ولا صحت ذلك مما عصوا ام لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سببه المسخ الا لاجل المعصية والاعتداء الشنيع
آخر ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه ثم قال لبئس ما كانوا
يفعلون للتعجيب من سوء فعلهم موكدا ذلك بالقسم فيا جسارة على المسلمين في اعراضهم عن باب التناهي من المناكير
وقلة عنايتهم به كانه ليس من ملة الاسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب
فان قلت ليس فيه وقوع ترك التناهي عن المنكر فضلا عن المعصية والاعتداء قلت من قبل ان الله عز
وجل امر بالتناهي وكان الاخلال به معصية وهو اعتداء ولان في التناهي حثا للفساق فكان تركه على عكسه
فان قلت ما معنى وصف المنكر بفعلوه ولا يقال النهي بعد الفعل قلت معناه لا يتناهون عن معاودة
منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله كما ترى امارات الحرص في الفسق والآية تسوقهم وتنهاهم
فيتناهون ويجوز ان يراد كانوا لا ينتهون ولا يستمعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على فعله يقال تناهى عن الامر
وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه ترى كثيرا منهم هم منافقو اهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم ان
سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم وجملة الرفع كانه قيل لبئس زادهم الى الآخرة سخط الله عليهم ولو كانوا يؤمنون
ايمانا خالصا غير نفاق ما اتخذوا المشركين اولياء يعني ان موالاة المشركين ينبئ انها دليل على نفاقهم وان ايمانهم ليس
بايمان ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم وتناقضهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون
ما اتخذوا المشركين اولياء كما لم يوالهم المسلمون وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق ولين عريكة
النصارى وسهولة انقيادهم وميلهم الى الاسلام وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين بل بتقديم
تقدم قدمهم هنا بتقديمهم على الذين اشركوا وكذلك فعل في قوله ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين
اشركوا ولعرى انهم لكذلك واشد عن النبي صلعم ما خلا يهوديان يسلم الا همتا بقتله وعلل سهولة مأخذ
النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بان منهم قسيسين ورهبانا اي علماء وعبادا وانهم قوم فيهم تواضع واستكانة
ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل بين على ان العلم انفع شيء واعدل الى الخير وادلة على الفوز
حتى علم القسيسين وكذلك علم الآخرة والتجافي عن العاقبة وان كان في راهب في البراءة من الكبر وان كانت في نصرانية
ووصفهم الله برقة القلوب انهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو ما يحكى عن النجاشي انه قال لجعفر بن
ابي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يغرونه عليهم ويتطلبون غرتهم عنده هل في

امنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون

اذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين
وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم يا ايها الذين

آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم

آباهم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب اليها فقرأها الى قوله ذلك عيسى بن مريم وقرأ سورة طه الى قوله
هل اتيك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله وهم سبعون رجلا حين قرأ
عليهم رسول الله صلعم سورة يس فبكوا فان قلت بم تعلقت اللام في قوله للذين آمنوا قلت بعداوة
ومودة على ان عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين اشد العداوة واظهرها وان مودة النصارى اختصت المؤمنين
اقرب المودات واحلاها ومودة اولئك اصحابها وصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت
ثم وصف العداوة والمودة بالشدة والاقرب فان قلت ما معنى تفيض من الدمع قلت معناه
تمتلئ من الدمع حتى يفيض لان الفيض ان يمتلئ الاناء او غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو
من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من اقامة المسبب مقام السبب فصدرت المبالغة في وصفهم بالبكاء
فجعلت اعينهم كانها تفيض بانفسها او تسيل من الدمع من اجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا فان قلت
اي فرق بين من ومن في قوله مما عرفوا من الحق قلت الاولى لابتداء الغاية على ان فيض الدمع ابتداؤه
ونشأ من معرفة الحق وكان من اجله وبسببه والثانية لتبيين المفضول الذي هو ما عرفوا ويحتمل معنى التبعيض
على انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم وبلغ منهم فكيف اذا عرفوا كله وقرأوا القرآن واحاطوا بالسنة وقرئ تفيض
اعينهم على البناء للمفعول ربنا آمنا المراد به انشاء الايمان والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين مع امة محمد الذين
هم شهداء على سائر الامم يوم القيمة لنكونوا شهداء على الناس وقالوا لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وما
لنا لا نؤمن انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع في انعام الله عليهم بصحبة الصالحين
وقيل اشاروا الى قومهم لهم ذاهبا بهم بذلك واراد وانا لا نؤمن بالله وحده لانهم كانوا مثلثين وذكر
ليس بايمان بالله ومحل لا نؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك ما لك قائما والواو في ونطمع واو الحال
فان قلت ما العامل في الحال الاولى والثانية قلت العامل في الاولى ما في اللام من معنى الفعل
كانه قيل اي شيء حصل لنا غير مؤمنين وفي الثانية يعني هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الاولى لانكار لزومها وقلت
وما لنا ونطمع لم يكن كلاما ويجوز ان يكون ونطمع حالا من لا نؤمن على انهم انكروا على انفسهم انهم لا يوجدون الله
ويطمعون مع ذلك ان يصحبوا الصالحين وان يكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا لا نجمع بين الايمان بالله والطمع في الاطلاع
لان الكافر ما ينبغي له ان يطمع في صحبة الصالحين قرأ الحسن فاثابهم الله بما قالوا بما تكلموا به عن اعتقاد
واخلاص من قولك هذا قول فلان اي اعتقاده وما يذهب اليه طيبات ما احل الله لكم ما طاب ولذ من الحلال ومعنى
لا تحرموا لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها ترهبا منكم
وتقشفا وروي ان رسول الله صلعم وصف القيمة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا

ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون
لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط
ما تطعمون أهليكم

في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على أن لا يتزوجوا صائمين قائمين وأن لا ينامو على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا
يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلعم فقال لهم إني لم أومر
بذلك إن لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي
النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت وروي أن رسول الله كان يأكل الدجاج والفالوذج وكان يحب
الحلواء والعسل وقال لا يأكل المؤمن حلوا يحب الحلاوة وعن ابن مسعود رضي أن رجلا قال له إني حرمت الفراش فتلا هذه
الآية وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك وعن الحسن أن داعيا دعاه إلى الطعام ومعه فرقد السبخي وأصحابه فقعدوا
على المائدة وعليها ألوان من الدجاج المسمن والفالوذج وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن أهو
صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الألوان فأقبل الحسن عليه وقال يا فرقد أترى لعاب النحل بلباب البر بخالص
السمن يعيبه مسلم وعنه أنه قيل له فلان لا يأكل الفالوذج ويقول لا أؤدي شكره قال أيشرب الماء البارد قال
نعم قال إنه جاهل أن نعمة الله عليه في الماء البارد أكبر من نعمته عليه في الفالوذج وعنه إن الله تعالى أدب عباده
فأحسن أدبهم قال لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا وأطلعوا ولا عذر قوما
زووا عنهم فقصروا ولا تعتدوا ولا تتعدوا حدود الله ما أحل لكم إلى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات
أو جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا أوليا لورود النهي على
عقيبه أو أراد ولا تعتدوا بذلك كلوا مما رزقكم الله من الوجوه الطيبة حلالا حال كونه مما رزقكم الله واتقوا
الله تأكيد للتوصية بما أمر به وزاده تأكيدا بقوله الذي أنتم به مؤمنون لأن الإيمان به يوجب التقوى في الانتهاء
إلى ما أمر به وعما نهى عنه اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عائشة رضي أنها
سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو مذهب الشافعي وعن مجاهد هو الرجل يحلف
على شيء يرى أنه كذلك وليس كذلك وهو قول أبي حنيفة رحمه بما عقدتم الأيمان بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها
بالقصد والنية وروي أن الحسن سئل عن لغو اليمين وكان عند الفرزدق فقال يا أبا سعيد دعني أجب عنك فقال
ولست بمأخوذ بلغو تقوله إذا لم تعقد عاقدات العزائم وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم إذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لأنه كان معلوما عندهم أو بنكث ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته
فكفارة نكثه والكفارة الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أو تستر ما من أوسط ما تطعمون من أقصده لأن
منهم من يسرف في إطعام أهله ومنهم من يقتر وهو عند أبي حنيفة رحمه نصف صاع من بر أو صاع من غيره
لكل مسكين أو يغديهم ويعشيهم وعند الشافعي رحمه مد لكل مسكين وقرأ جعفر بن محمد أهاليكم بسكون
الياء والأهالي جمع أهل كالليالي في جمع ليلة والأراضي في جمع أرض وقولهم أهلون كقولهم أرضون بسكون الواو وأنا

أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم
كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام
رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في
الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون

نسلين الياء في حال النصب والتخفيف كما قالوا رأيت معديكرب تسليها الياء بالألف أو كسوتهم عطف على محل
من أوسط وقرئ بضم الكاف وهي قدوة في قدوة وأسوة في أسوة والكسوة ثوب يغطي العورة وعن ابن
عباس كانت العباءة تجزي يومئذ وعن ابن عمر رضي إزار وقميص أو رداء أو كساء وعن مجاهد ثوب
جامع وعن الحسن ثوبان أبيضان وقرأ سعيد بن المسيب وإبراهيم أو كاسوتهم أو مثل ما تطعمون أهليكم
إسرافا كان أو تقتيرا لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم ولكن تواسون بينهم وبينهم فإن قلت ما محل الكاف
قلت الرفع تقديره أو إطعامهم كإسوتهم أي كإطعامهم إن لم تطعموهم الأوسط أو تحرير رقبة بشرط
الشافعي رحمه الإيمان قياسا على كفارة القتل وأما أبو حنيفة وأصحابه فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة في كفارة
سوى القتل فإن قلت ما معنى أو قلت التخيير وإيجاب إحدى الكفارات الثلث على الإطلاق
بأيتها أخذ المكلف فقد أصاب فمن لم يجد إحداها فصيام ثلاثة أيام متتابعات عند أبي حنيفة لمسكا بقراءة
أبي وابن مسعود رضي فصيام ثلاثة أيام متتابعات وعن مجاهد كل صوم متتابع إلا قضاء رمضان ويخير في
كفارة اليمين ذلك المذكور كفارة أيمانكم ولو قيل تلك كفارة أيمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك الأشياء إلى تأنيث الكفارة
والمعنى إذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بأن الكفارة إنما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف
والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه ويجوز عند الشافعي بلا إلا إذا لم يعقد الحالف بل
تبروا فيها ولا تحنثوا أراد الإيمان لأن الحنث فيها معصية لأن الأيمان اسم جنس يجوز إطلاقه على بعض الجنس وعلى
كله وقيل احفظوها بأن تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها أنها وأنها كذلك مثل ذلك البيان
يبين الله لكم آياته أعلام شريعته وأحكامه لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه إنما
الخمر والميسر التأكيد من سنن التصدير بإنما ومنها أنه قرنهما بعبادة الأصنام ومنه قوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن
ومنها أنه جعلهما رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الأوثان ومنها أنه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان لا يأتي
منه إلا الشر البحت والمحض ومنها أنه أمر بالاجتناب ومنها أنه جعل الاجتناب عن الفلاح فإذا كان الاجتناب فلاحا كان
الارتكاب خيبة وبحثة ومنها أنه ذكرهما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض بين أصحاب الخمر
والقمار وما يؤديان إليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلوات وقوله فهل أنتم منتهون من أبلغ ما
يزدجر به كأنه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون أم أنتم
على ما كنتم عليه كان لم تؤعظوا ولم تزجروا فإن قلت اللام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه قلت
إلى المضاف المحذوف كأنه قيل إنما شأن شارب الخمر والميسر وتعاطيهما أو ما أشبه ذلك فإن قلت كيف قال رجس من عمل الشيطان
فإن قلت لم جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام أولا ثم أفردهما آخرا قلت لأن الخطاب مع المؤ

كل

وجوهها

منين

وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ليس على الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا
والله يحب المحسنين يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله

وأنصابهم مما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر والإخبار
أن ذلك جميعا من أعمال أهل الجاهلية وأهل الشرك فوجب اجتنابه بأسره وكأنه لا مباينة بين من عبد صنما وأشرك
بالله في علم الغيب وبين من شرب خمرا وقامر ثم أفردهما بالذكر ليبرئ أن المقصود بالذكر الخمر والميسر قوله وعن
الصلاة اختصاص للصلاة من بين الذكر كأنه قيل وعن الصلاة خصوصا واجتهدوا وكونوا جديين في أمرهم إذا أجزلوا
دعاءهم إلى الجد ثم إلى اتقاء كل سيئة وعلى كل حسنة ويجوز أن يراد واحذروا عاقبة أمركم في الخمر والميسر وفي ترك طاعة
الله في ترك طاعة الله والرسول فإن توليتم فاعلموا أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول إلا أن الرسول ما كلف إلا البلاغ المبين
بالآيات وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتموه رفع الجناح عن المؤمنين في أي شيء طعموا من مستلذات
المطاعم ومشتهياتها إذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها وآمنوا وثبتوا على الإيمان والعمل الصالح وازدادوا ثم
اتقوا وآمنوا ثم ثبتوا على التقوى والإيمان ثم اتقوا وأحسنوا ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي وأحسنوا أعمالهم أو أحسنوا
إلى الناس وآسوهم مما رزقهم الله من الطيبات وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف
بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر فنزلت يعني أن المؤمنين لا جناح عليهم في شيء
طعموه من المباحات إذا اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا على معنى أن أولئك كانوا على هذه الصفة فلا
عليهم وهكذا أحوالهم في الإيمان والتقوى والإحسان ومثاله أن يقال لك علي دين فيما فعلت جناح وقد علمت
أن ذلك أمر مباح فكقوله ليس على أحد جناح في المباح إذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا تريد أن زيدا تقي مؤمن
محسن وأنه غير مؤاخذ بما فعل ثم ثلث عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان
يغشاهم في رحالهم فيتمكنون من صيده أخذا باليد وطعنا بالرماح ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز من
يخاف عقاب الله وهو غائب عنه ممن لا يخافه فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه ممن اعتدى بعد ذلك
بعد ذلك الابتلاء فالوعيد لاحق به فإن قلت ما معنى التقليل والتصغير في قوله بشيء من الصيد قلت
قلل وصغر ليعلم أنه ليس بمنتهى من الفتن العظام التي تدحض عندها أقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الأرواح
والأموال وإنما هو شبيه بما ابتلي به أهل أيلة من صيد السمك وأنهم لم يثبتوا عنه فكيف بثباتهم عند ما هو
أشد منه وقرأ إبراهيم ينالهم بالياء حرم جمع حرام كرم في جمع رمح والتعمد أن يقتله وهو ذاكر
لإحرامه وعالم أن ما يقتله مما يحرم عليه قتله فإن قتله وهو ناس لإحرامه أو رمى صيدا وهو يظن أنه ليس
بصيد فإذا هو صيد أو قصد رمي غير صيد فعدل السهم عن رميته فأصاب صيدا فهو مخطئ فإن قلت
الإحرام يستوي فيه العمد والخطأ فما بال التعمد مشروطا في الآية قلت لأن مورد الآية فيمن تعمد فقد روي
أنه عرض في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له أتقتل الصيد وأنت

فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين

وأنت محرم فنزلت ولأن الخطأ أصل فعل المتعمد والخطأ ألحق به للتغليظ ويدل عليه قوله ليذوق وبال أمره ومن عاد
ينتقم الله منه وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير لا أرى في الخطأ شيئا
إلا بالسنة لأن العمد في الآية وعن الحسن روايتان فجزاء مثل ما قتل برفع جزاء ومثل ما قتل جميعا يعني فعليه جزاء يماثل من
الصيد وهو عند أبي حنيفة قيمة المصيد تقوم حيث صيد فإن بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين أن يهدي من
النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين أن يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وأن
يصوم عن طعام كل مسكين يوما فإن فضل أقل من طعام مسكين صام عن يوما أو تصدق به وعند محمد والشافعي مثله
نظيره من النعم فإن لم تجد له نظيرا في النعم عدل إلى قول أبي حنيفة رحمه الله فإن قلت فما يصنع من يفتر المثل بالقيمة
بقوله من النعم وهو تفسير للمثل وبقوله هديا بالغ الكعبة قلت قد خير من أوجب القيمة بين أن يشتري
بها هديا أو طعاما ويصوم كما خير الله تعالى في الآية فكأن قوله من النعم بيانا للهدي بالمشتري بالقيمة في أحد وجوه
التخيير لأن من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فما هذا فقد جزى مثل ما قتل من النعم على أن التخيير الذي في
الآية بين أن يجزي بالهدي أو يكفر بالإطعام أو الصوم إنما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف إذا قوم
ونظر بعد التقويم أي الثلاث يختار فأما إذا عدل إلى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فإذا كان شيئا لا
نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الإطعام والصوم فغيره نبو عن الآية ألا ترى إلى قوله أو كفارة طعام مساكين
أو عدل ذلك صياما كيف خير بين الأشياء الثلاثة ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتقويم وقرأ أبو عبد الله فجزاؤه مثل
ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الإضافة وأصله فجزاء مثل ما قتل نصب مثل يعني فعليه أن يجزي مثل ما قتل
ثم أضيف كما تقول يعجبني ضرب زيد وقرأ السلمي على الأصل وقرأ من قاتل فجزاء مثل ما قتل نصبهما
يعني فليجز جزاء مثل ما قتل وقرئ الحكم من النعم بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه كما قالوا
ما قتل واعدل منكم حكما عدلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على أن المثل القيمة لأن التقويم مما يصلح
له الفقهاء دون الشهادة وعن قبيصة أنه أصاب ظبيا وهو محرم فسأل عمر بن الخطاب وعبد الرحمن
بن عوف فأمره أن يذبح فقال قبيصة لصاحبي وأنا أعلم أمير المؤمنين حتى يسأل غيره فأقبل عليه ضربا بالدرة وقال أتقتل
الظبي وأنت محرم قال الله يحكم به ذوا عدل منكم فأنا عمر وهذا عبد الرحمن وقرأ محمد بن جعفر ذو عدل
منكم أراد يحكم به من عدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل أراد الإمام هديا حال من جزاء فيمن وصفه بمثل لأن الصفة
خصصته فقربته من المعرفة أو بدل من مثل فيمن نصبه أو من محله فيمن جره ويجوز أن ينتصب حالا عن الضمير
في به ووصف هديا ببالغ الكعبة لأن إضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة أن يذبح بالحرم فأما التصدق
به فحيث شئت عند أبي حنيفة وعند الشافعي في الحرم فإن قلت هم يدفع كفارة من نصب جزاء قلت

أو عدل ذلك صيامًا ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام
أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعًا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرمًا واتقوا
الله الذي إليه تحشرون

بجعلها خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل الواجب عليه كفارة أو يقدر فعليه أن يجزي جزاء أو كفارة فيعطفها على أن يجزي وقرئا وطعام كفارة طعام مساكين على الإضافة وهذه الإضافة بيانية كأنه قيل أو كفارة من طعام مساكين لقولك خاتم فضة يعني خاتم من فضة وقرأ ابن عامر أو كفارة طعام مسكين وإنما وحد لأنه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال على الجنس وقرئا أو عدل ذلك بكسر العين والفرق بينهما أن العدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والإطعام وعدله ما عادله في المقدار ومنه عدلا الحمل لأنه كل واحد منهما عدل الآخر حتى اعتدلا كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح ونحوه ونحوهما الحمل والحمل وكذلك شاة الذبح الطعام وصيامًا تمييز للعدل كقولك لي مثله رجلًا والخيار في ذلك إلى قاتل الصيد عند أبي حنيفة وأبي يوسف وعند محمد إلى الحكمين ليذوق متعلق بقوله فجزاء فعليه أن يجازى ليذوق سوء عاقبة هتكه حرمة الإحرام والوبال المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء الثقل عليه من قولهم فاخذناه أخذًا وبيلًا أي ثقيلًا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ عفا الله عما سلف لكم من الصيد في حال الإحرام قبل أن تراجعوا رسول الله وتسألوه عن حكمه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية من أنهم كانوا يتعبدون بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرمًا ومن عاد إلى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي فينتقم الله منه ينتقم خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء ونحن نؤمن بأن من ارتد فلا يخلد في النار يعني ينتقم منه في الآخرة واختلف في وجوب الكفارة على العائد فعن عطاء وإبراهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح أنه لا كفارة عليه تعلقًا بالظاهر وإن لم يذكر الكفارة وصيد البحر مصيداته أحل لكم صيد البحر وطعامه ما يطرح منه وهو الطافي وحده أبو حنيفة لأن صيد البحر ما يصاد فيه على أن تفسير الآية عنده أحل لكم صيد حيوان البحر وأن تطعموه متاعًا لكم مفعول له أو أحل لكم تمتيعًا لكم وهو المفعول له بمنزلة قوله وجهنا إليه إسحاق ويعقوب نافلة في باب الحال أو قوله متاعًا لكم مفعول له مختص بالطعام كما أن نافلة حال مختصة بيعقوب يعني أحل لكم طعامه تمتيعًا لقطانكم يأكلونه طريًا ولسيارتكم يتزودونه كما تزود موسى عليه السلام في مسيره إلى الخضر وقرئ وطعمه صيده البحر ما صيد منه وما يقذفه فيه وإن كان يعيش في الماء في بعض الأوقات كالطير الماء عند أبي حنيفة واختلف فيه فهم من حرم على المحرم كل شيء يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس وعن أبي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير رضي الله عنهم أجازوا للمحرم أكل ما صاده الحلال وإن صاده لأجله إذا لم يدل ولم يشر ولذلك ما ذبحه قبل إحرامه وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه وعند مالك والشافعي واحد لا يباح له ما صيد لأجله فإن قلت ما يصنع أبو حنيفة بعموم قوله صيد البر قلت قد أخذ أبو حنيفة بالمفهوم من قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم

عند أبي حنيفة

لحيكم

جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله
يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله
غفور رحيم ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو
أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم

ما سلف ظاهره أن صيد المحرمين دون صيد غيرهم لأنهم المخاطبون فكأنه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر وهو يخرج منه صيد غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم وقرأ ابن عباس رضي الله عنه وحرم عليكم صيد البر أو الله عز وجل وقرئ ما دمتم بكسر الدال فعل بقول دام يدام البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما يجيء الصفة كذلك قيامًا للناس انتعاشًا لهم في أمر دينهم ودنياهم ونهوضًا إلى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما يتم من أمر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وأرباح منافعهم وعن عطاء ابن أبي رباح لو تركوه عامًا واحدًا لم ينظروا ولم يؤخروا والشهر الحرام والشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لأنه اختص صار من بين الأشهر بإقامة موسم الحج فيه شائعًا قد عرفه الله وقيل عنى به جنس الأشهر الحرم والهدي والقلائد والمقلد منه خصوصًا وهو البدنة لأن الثواب فيه أكثر وهلم الحج معروف ذلك إشارة إلى جعل الكعبة قيامًا للناس أو إلى ما ذكر من حفظ حرمة الإحرام بترك الصيد وغيره لتعلموا أن الله يعلم كل شيء علمه وهو عالم بما يصلحكم ويفسدكم مما أمركم به وكلفكم شديد العقاب لمن انتهك محارمه غفور رحيم لمن حافظ عليها ما على الرسول إلا البلاغ تشديد في إيجاب القيام بما أمر به وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط لا يستوي الخبيث والطيب يعني عند الله وإن كان قد أعجبكم بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على الطيب القليل فإن ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يؤدي إلى النقصان في الخبث وفوات الطيب وهو حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم فاتقوا الله وآثروا الطيب وإن قل على الخبيث وإن كثر ومن حق هذه الآية أن يكتب بها وجه الجبين إذا افتخروا بالكثرة كاثر سعدان سعدان كثير ولا تبذخ من سبذ وفاؤه ولا تضرا لا يريد بمثل شرد هما يريد عدد فاه جلهم بل كلهم بتر وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين أراد المسلمون أن يواقعوهم فنهوا عن الإيقاع بهم وإن كانوا مشركين الحلة النطية والمعطرة عليها العنبر قول إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها عن تكاليف شاقة عليكم إن أنتم سألتم وكلفكم إياها تغمكم وتشق عليكم وندبوا على السؤال عنها وذلك كما روي أن سراقة بن مالك أو عكاشة بن محصن قال يا رسول الله أكل عام فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد مسألته ثلث مرات فقال صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك أن أقول نعم لوجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة السؤال واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فخذوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن وإن سألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين ظهرانيكم يوحى إليه تبد لكم تلك التكاليف التي تسوءكم وتوصلوا بتحملها فتعرضوه أنفسكم لغضب الله بالتفريط فيها عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا إلى مثلها والله غفور رحيم لم يعاجلكم بها

عنها عفا الله م

والله لو قلت نعم لوجبت و م

قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام
ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله
وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون

يعظكم بعقوبته فإن قلت كيف قال لا تسألوا عن أشياء ثم قال قد سألها عنها قلت الضمير
في سألها يرجع إلى أشياء وهي تجب تعديته بعن وإنما هو راجع إلى المسألة التي دل عليها لا تسألوا يعني قد سأل
هذه المسألة قوم من الأولين ثم أصبحوا بها أو بسببها كافرين وذلك أن بني إسرائيل كانوا يسألون
أنبياءهم عن أشياء فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها
ذكر بحروا أذنها أي شقوها وخرموا ذكرها ولم تطرد عن ماء ولا مرعى وإذا لقيها المحرم لم يركبها ولا سماها
البحيرة وكان يقول الرجل إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة
في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل إذا أعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث وإذا
ولدت الشاة ذكرا فهو لهم وإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم وإذا نتجت
من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما
جعل الله من ذلك ولا أمر به التحريم والتسييب وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم ما حرموا يفترون على الله الكذب
وأكثرهم لا يعقلون فلا يميزون بين التحريم والإباحة حتى ينتهوا ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارهم الولاة
قوله أولو كان آباؤهم واو الحال قد دخلت عليها همزة الإنكار وتقدير إحسابهم ذلك ولو كان آباؤهم
لا يعلمون شيئا ولا يهتدون والمعنى أن الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدي وإنما يعرف اهتداؤه بالحجة كان
المدعوون ينعون أنفسهم حسرة على أهل العتو والعناد من أهل الكتاب يتمنون دخولهم في الإسلام فقيل لهم عليكم
أنفسكم وما كلفتم من إصلاحها والمشي بها في طريق الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم إذا كنتم مهتدين كما قال
عز وجل لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكذلك من يتأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي
ولا يزال يتذكر مخازيهم ومناكيرهم فهو مخاطب به وليس المراد بذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن من
تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وإنما هو بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه وعن ابن مسعود
أنها قرئت عنده فقال إن هذا ليس بزمانها إنها اليوم مقبولة ولكن يوشك أن يأتي زمان تأمرون فلا
يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم فمن على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه وشرط لعدمه وجود زمان
تأويلها قيل معنى قال إذا جعلوها السيف والسوط والسجن وعن أبي ثعلبة الخشني أنه سئل عن ذلك
فقال سألت عنها خبيرا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت
شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع أمر العوام فإن من ورائكم
أيام الصبر فيه كقبض على الجمر للعامل فيهم مثل خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل إذا أسلم قال والده
سفهت آباءك ولأموتن فنزلت عليكم أنفسكم عليكم من أسماء الفعل بمعنى الزموا أصلاح أنفسكم ولذلك جزم جوابه

يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران
من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان
بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين ١٧٧

وعن نافع عليكم أنفسكم بالرفع وقد يضركم وفيه وجهان أن يكون خبرا مرفوعا وتنصرح قراءة أبي حيوة لا يضيركم
وأن يكون جوابا بالجزم وإنما ضمت أبناء الضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة والأصل لا يضرركم ويجوز
أن يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضار يضير ويضور ارتفع اثنان على أنه خبر المبتدأ الذي هو
شهادة بينكم على تقدير بينكم شهادة اثنين أو على أنه فاعل الذي هو شهادة على معنى فيما فرض عليكم أن
يشهد اثنان وقرأ الشعبي شهادة بينكم وقرأ الحسن شهادة بالنصب والتنوين على أن يقيم شهادة اثنان
وإذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي إبداله منه دليل على وجوب الوصية وأنها من الأمور اللازمة
التي لا ينبغي أن يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور أماراته بلوغ الأجل منكم من أقاربكم
من غيركم من الأجانب إذا أنتم ضربتم في الأرض يعني إن وقع الموت في السفر ولم يكن معكم أحد من عشيرتكم
فاستشهدوا أجنبيين على الوصية وجعل الأقارب أولى لأنهم أعلم بأحوال الميت وبما هو أصلح وهم لها أنصح وقيل
منكم من المسلمين ومن غيركم من أهل الذمة وقيل هو منسوخ لا يجوز شهادة الذمي على المسلم وإنما جازت
الإسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر وعن مكحول نسخها قوله وأشهدوا ذوي عدل منكم وروي
أنه خرج بديل ابن أبي مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدي بن بداء وتميم بن أوس وكانا
نصرانيين تجارا إلى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه وأمرهما
أن يدفعا متاعه إلى أهله ومات ففتشا متاعه فأخذا إناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب
فغيباه فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالإناء فجحدا فرفعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسهما فتحلفوهما
وتصرفوهما للتحليف من بعد الصلاة من بعد صلاة العصر لأنه وقت اجتماع الناس وعن الحسن بعد صلاة العصر
وبعد الظهر لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث بديل أنهما لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر
ودعى عديا وتميما فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الإناء بمكة فقالوا اشتريناه من تميم وعدي وقيل
في صلاة أهل الذمة وهم يعظمون صلاة العصر إن ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى إن ارتبتم في
شأنهما وأتهمتموهما فحلفوهما وقيل إن ارتبتم بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وإن ارتبتم الوصيان
فليس بمنسوخ تحليفهما وعن علي رضي الله عنه أنه كان يحلف الشاهد والراوي إذا اتهمهما والضمير في به للقسم وفي كان
للقسم أي لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا ولا نحلف بالله كاذبين لأجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا
على معنى أن هذه عادتهم في صدقهم وأمانتهم أبدا وإنهم داخلون تحت قوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو
على أنفسكم أو الوالدين والأقربين شهادة الله أداء الشهادة التي أمر الله بحفظها وتعظيمها وعن الشعبي أنه وقف
على شهادة ثم ابتدأ والله بالمد على طريق القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على ما ذكر سيبويه

فإن عثر على أنهما استحقا إثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان
بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذا لمن الظالمين ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة
على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين

الى منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وقرئ للملائكة
بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام نون من فيها لقوله عاد لؤلئ فإن قلت ما موقع تحبسونهما
قلت هو استيناف كلام كأنه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما فإن
قلت كيف فسرت الصلاة بصلاة العصر وهي مطلقة قلت لما كانت معروفة عندهم بالتحليف
بعدها اغنى ذلك عن التقييد كما لو قلت في بعض ائمة الفقه اذا صلى أخذ في الدرس علم انها صلاة الفجر ويجوز ان
يكون اللام للجنس وان يقصد بالتحليف على الصلوة وان يكون الصلوة لطفا في السبق بالصدق وناهية عن
الكذب والزور وان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فإن عثر فإن اطلع على انهما استحقا اثما او فعلا ما اوجب
اثما واستوجبا ان يقال انهما من المأثمين فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين استحق عليهم الاثم
ومعناه من الذين جنى عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وفي قصة بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان
من ورثته انه آناء صاحبيهما وان شهادتهما احق من شهادتهما قال الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما
وارتفاعهما على مقام الاولياء كأنه قيل ومن هما فقيل الاوليان وقيل بدل من الضمير في يقومان او من مقامهما آخران
ويجوز ان يرتفعا باستحق من الذين استحق عليهم انتداب الاولين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال وترى
الاولين على انه وصف للذين استحق عليهم مجرورا او منصوبا على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة
لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرأ الحسن الاولان ويحتج به
من يرى رد اليمين على المدعي وابو حنيفة واصحابه لا يرون ذلك فوجهه عندهم ان الورثة لما ادعوا عليهما
النصرانيين انهما اختانا مخلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما فانكر الورثة فكانت اليمين على الورثة
فإن قلت فما وجه قراءة استحق عليهم الاوليان على البناء للفاعل وهو علي وابن عباس قلت
معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما
كذبهما الكاذبين ذلك الذي تقدم من بيان الحكم ادنى ان يأتي الشهداء على نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها
او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل
واسمعوا سماع اجابة وقبول يوم يجمع بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كأنه قيل واتقوا الله
يوم جمعه او ظرف لقوله لا يهدي او لا يهديهم طريق الجنة يوم يجمع او ينصب باذكر اذكر اذ يوم يجمع الله
الرسل كان كيت وكيت وماذا منتصب بأجبتم انتصاب مصدره على معنى اي اجابة اجبتم ولما ورد الجواب لقيل

نشاهد ان آخران

قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك
بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة
الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت

لفيل ماذا اجبتم فإن قلت ما معنى سؤالهم قلت توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخا للوائد
فإن قلت كيف يقولون لا علم لنا وقد علموا بما اجيبوا قلت يعلمون ان الغرض بالسؤال توبيخ اعدائهم
فيكلون الامر الى علمه واحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء اجابتهم اظهار التشكي والالتجاء الى ربهم في الانتقام
منهم وذلك اعظم على الكفرة وافت في اعضادهم واجلب لحسراتهم وسقوطهم في ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكي
انبيائه عليهم ومثاله ان ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نلبة قد عرفها السلطان واطلع على
لبها وعزم على الانتضاء له منه فيجمع بينهما ويقول ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتنكيته
فيقول انت اعلم بما فعل لي تفويضا للامر الى علم السلطان فيه والتكال عليه واظهارا لشكايته وتعظيما لما جل به
منه ويقبل من هول ذلك اليوم يفتضحون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما تثوب عقولهم بالشهادة على امهم
وقيل هذا ساعة طلوع ملك ومخوف لانك علام الغيوب ومن علم الخبايا لم يخف عليه الظواهر التي منها
اجابة الامم لرسلهم فكأنه لا علم لنا الى جنب علمك وقيل لا علم لنا عاكان منهم بعدنا وانما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم
امرك وقد راوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين وقرئ علام الغيوب بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك
انت اي انك الموصوف باوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص او على النداء او هو صفة
لاسم ان اذ قال الله بدل من يوم يجمع والمعنى انه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وبتعديد ما انعم به
عليهم من الآيات العظام فكذبوهم وعقروهم سحرة او جاءوا بواحد التصديق بما ايدناك به ان اتخذوهم آلهة كما قال بعض من اسلم
فيما انعم على عيسى من البينات والمعجزات هذا سحر مبين واتخذوه بعضهم والهة الهين ايدتك تقوية وقرئ
آيدتك على افعلتك بروح القدس بالكلام الذي يحيى به الدين واضافة القدس اليه لانه سبب الطهر من اوضار الآثام
والدليل عليه قوله تكلم الناس وفي المهد في موضع الحال اي تكلمهم طفلا وكهلا الا ان في المهد فيه دليل على حدث الطفولة
وقيل روح القدس جبريل عليه السلام ايدته لتثبيت الحجة فإن قلت ما معنى قوله في المهد وكهلا قلت معناه
تكلمهم في حالتين لا حالتين من غير ان يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين الكهولة الذي وقت كمال العقل وبلوغ الاشد
والحد الذي يستنبأ فيه الانبياء والتوراة والانجيل خصصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لان المراد بهما جنس الكتاب
والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير بأني بتشبيهي فتنفخ فيها
الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى عليه السلام وينفخ فيها والراجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه كما من
تخبيه في شيء وكذلك الضمير في فتكون تخرج الهيئة تخرجهم من القبور وتعقرهم قيل اخرج سام بن نوح وجالينوس وامرأة وجارية
واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله وقيل لما قال الله لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر ويأكل
الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول من كل يوم رزقه لم يكن له بيت يخرب ولا ولد يموت انما امس بات اوحيث ادركه الوادين

الوضع الذي والتسم الطفولة م

أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك
أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم
أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون

مدتهم على السنة الرسل مسلمون مخلصون من اسلم وهو لله عيسى بجعل النصب على اتباع حركة الاسم كقولك
يا زيد بن عمرو وهي اللغة الفاشية ويجوز ان يكون مضموما كقولك يا زيد بن عمرو والدليل عليه قوله اجاز بن عمرو كان خيرا
لان التخيير لا يكون الا في المضموم فان قلت كيف قالوا هل يستطيع ربك قلت كلام لا يريد منه عن
مؤمنين معظمين لهم ولكن قوا عيسى عليه السلام لهم معناه اتقوا الله ولا تسألوا في الاقتراح واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا
ما تشتهون من الآيات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها ان كنتم مؤمنين ان كانت دعواكم للايمان صحيحة وقرئ تستطيع
وتسأل اي هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله والمائدة الخوان اذا كان عليه
الطعام وهي من ماد اذا اعطاه ورفده كأنها تميد من تقدم اليه وتأتي عليها من الشاهدين من تشهد عليها عند الذين
لم يحضروها من بني اسرائيل او تكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عالمين عليها على ان عليها في موضع الحال
وكانت دعواهم ارادة ما ذكروا لكن دعواهم للايمان والاخلاص وانما سألوا عيسى ليلزموا الحجة ويدل عليهم العذاب
اذا خالفوا وقرئ ويعلم بالياء على البناء للمفعول وتعلم وتكون بالتاء والضمير للقلوب اللهم اصله يا الله فحذف
حرف النداء وعوضت منه الميم ورد بانه لا يقال يا الله تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن
ثم اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور والعادة ولذلك يقال يوم عيد وكأن معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرئ
عيد الله تكن علامة لعبادك وتعلم بها من يؤمن ويرتد ولنا وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل
ديننا ولمن يأتي بعدنا وقيل يأكل منها آخر الناس كما يأكل اولهم ويجوز للمتقدمين منا والاتباع وفي قراءة زيد
لاولينا وآخرينا والتانيث بمعنى الامة والجماعة وآية علامة على صحة نبوتي والضمير لا اعذبه للمصدر كقولك اريد به العذاب
ما يعذب به لم يكن بد من الباء وروي ان عيسى عليه السلام لما اراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت سحابة
حمراء بين غمامتين غمامة فوقها واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت من بين يديه فبكى عيسى وقال اللهم
اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم احسنكم عملا يكشف عنها ويذكر
اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين انت اولى بذلك فقام عيسى فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل
وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك يسيل دسمها وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها
من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى
الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله اهذا طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه
شيء اخترعه بالقدرة الغالبة كلوا مما سألتم واشكروا يمدكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا
من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت
الى مكانها ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروي انهم لما سمعوا بالشرطية ومعنى قوله فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه

بعد ايمانهم واخلاصهم

مر ما وضع اسمه بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاءهم ما ادعوا قبل اذ قالوا قالوا ان دعواهم كانت باطلة وانهم كانوا كاذبين

وقوله هل يستطيع ربك

انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه

وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي
أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب
ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت
الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد

قالوا لا نريد فلم تنزل وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكان عيدا الى يوم القيمة لقوله وآخرنا والصحيح انها نزلت سبحانك تنزيها ان يكون لك شريك ما يكون لي ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله في نفسي في قلبي والمعنى تعلم معلومي ولا اعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه فقيل في نفسك لقوله في نفسي انك انت علام الغيوب تأكيد للجملتين على الاولى ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب وان ما يعلمه علام الغيوب لا يخفى على علام علمه اليه آن في قوله ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر اما فعل القول واما فعل الامر وكلاهما لا وجه له اما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير ان تتوسط بينهما حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم الا اعبدوا الله واما فعل الامر فمسند الى ضمير الله عز وجل فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لان الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها موصولة بالفعل لم تخل من ان يكون بدلا مما امرتني به او من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم لان البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم الا عبادته لان العبادة لا تقال وكذلك اذا جعلت بدلا من الهاء لانك لو اقمت ان اعبدوا الله مقام الهاء فقلت الا ما امرتني بان اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول بغير راجع اليه من صلته فان قلت فكيف يصنع قلت يحمل فعل القول على معناه لان معنى ما قلت لهم الا ما امرتني به ما امرتهم الا بما امرتني به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز ان يكون ان موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا وكنت عليهم شهيدا رقيبا كالشاهد على المشهود عليهم امنعهم من ان يقولوا ذلك ويتدينوا به فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الادلة وانزلت عليهم من البينات وارسلت اليهم من الرسل ان تعذبهم فانهم عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين آيا تك مكذبين لانبيائك وان تغفر لهم فانك انت العزيز القادر على الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب

فان قلت المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وان تغفر لهم قلت ما قال انك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على ان فقال ان تعذبهم عذبتهم لانهم استحقوا بالعذاب وان تغفر لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لان المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول بل متى كان المجرم اعظم جرما كان العفو عنه احسن قدري هذا يوم ينفع بالرفع والاضافة وبالنصب على انه ظرف لقال واما على ان هذا مبتدأ والظرف خبره ومعناه هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم ينفع ولا يجوز ان يكون فتحا كقوله يوم هم بارزون لانه مضاف الى متمكن وقراءة الاعمش يوم ينفع بالتنوين كقوله واتقوا يوما لا تجزي فان قلت ما معنى قوله ينفع الصادقين صدقهم ان اريد صدقهم في الآخرة فليست الآخرة بدار العمل وان اريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لان الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق فيما يجيب يوم القيمة قلت معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم وعن قتادة

إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم
لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم

فان اسرتني في موضع النصب لكان الاصل ما امرتهم الا بما امرتني به وان كان الاصل ما امرتهم الا بما امرتني به لكان الاسم بدلا من الهاء في به وان كان الاصل ما امرتهم الا ان اعبدوا الله لكان الاسم بدلا من الهاء في به

بسم الله الرحمن الرحيم

لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير

الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون

هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون وهو الله في السموات وفي

الارض يعلم سركم وجهركم

متكلما ان تكلما يوم القيمة اما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق وعدا يصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا

فلم ينفعه صدقه واما عيسى عليه فكان صادقا في الحيوة وبعد الممات فنفعه صدقه فان قلت زن السموات

والارض العقلاء وغيرهم لهذا غلب العقلاء فقيل ومن فيهن قلت ما تناول الاجناس كلها تناولا

عاما الا ترى كيف تقول اذا رايت شبحا من بعيد ما هو قبل ان تعرف اعاقل هو ام غير فكان اولى بارادة العموم عن رسول الله صلعم

من قرا سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية وهي مائة وستون وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى احدث وانشاء كقوله

وجعل الظلمات والنور والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والفرق

بين الخلق والجعل ان الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كانشاء شيء من شيء او تصيير شيء شيئا او نقله عن مكان الى

مكان ومن ذلك جعل بعضها زوجا وجعل الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار وجعلنا كم

ازواجا اجعل الالهة الها واحدا فان قلت لم افرد النور قلت للقصد الى الجنس كقولهم والملك على اليمين او

لان الظلمات كثيرة لانه ما من جنس من اجناس الاجرام الا وله ظل وظلمة هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار

فان قلت علام عطفت ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قلت اما على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلق

لانه ما خلق الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته واما على قوله خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه

احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه فان قلت فما معنى ثم قلت استبعاد ان يعدلوا به بعد وضوح

آيات قدرته وكذلك انتم تمترون استبعاد لان تمتروا فيه بعد ثبات انه يحييهم ويميتهم ويبعثهم ثم قضى اجلا واجل مسمى

عنده اجل القيمة وقيل الاجل الاول ما بين ان خلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل

الاول النوم والثاني الموت فان قلت المبتدا والنكرة اذا كان خبرا ظرفا وجب تاخيره فلم جاز تقديمه في قوله

واجل مسمى قلت لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك فان قلت الكلام السابق

ان يقال عندي ثوب جيد وعبد كيس وما اشبه ذلك فما اوجب التقديم قلت اوجبه ان المعنى واي اجل مسمى

عنده تعظيما لشان الساعة فلما جرى على هذا المعنى وجب التقديم في السموات متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيها

ومنه قوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او هو المعروف بالالهية او المتوحد بالالهية فيهما او هو الذي يقال له

الله فيهما لا يشرك به في هذا الاسم ويجوز ان يكون الله في السموات خبرا بعد خبر على معنى ان الله وانه في السموات والارض يعني انه

عالم بما فيهما لا يخفى عليه شيء كانه قال وانه فيهما فان قلت كيف وقع قوله يعلم سركم وجهركم قلت ان اردت المتوحد

بالالهية كان تقريرا لالهيته الذي استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده وكذلك اذا جعلت في السموات خبرا بعد خبر والاول

ويعلم ما تكسبون وما تاتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق

لما جاءهم فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم

في الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم

وانشانا من بعدهم قرنا آخرين

هو يعلم سركم وجهركم او خبر ثالث ويعلم ما تكسبون من الخير والشر فيثيب عليه ويعاقب من في من آية للاستغراق وفي

من آيات ربهم للتبعيض يعني وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار الا كانوا عنها

معرضين تاركين للنظر فيها يلتفتون اليه ولا يرفعون به راسا لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب فقد كذبوا مردود على كلام

محذوف كانه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هي اعظم آية واكبرها وهو الحق لما جاءهم يعني القرآن الذي

تحدوا به على تباين لهجتهم في الفصاحة فعجزوا عنه فسوف ياتيهم انباء الشيء الذي كانوا به يستهزءون وهي القرآن او اخباره

واحواله يعني سيعلمون بما كنتم شيئا استهزءوا وسيظهر لهم انه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند ارسال العذاب عليهم في

الدنيا او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وعلو كلمته مكن له في الارض جعل مكانا ونحوه امكن له ومنه قوله انا مكنا له في

الارض او لم نمكن لهم وانما مكنت في الارض فاثبتت فيها ومنه قوله ولقد مكناكم فيه والتقارب للجنبين جمع بينهما

في قوله مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم والجنبين لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا ونحوه وخولهم من البسطة في الاجسام

والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا والسماء المظلة لانه الماء ينزل منها الى السحاب والسحاب والمطر

والمدرار المغزار فان قلت ان قلت فاين في ذلك التقاء قرن آخرين بعدهم قلت الدلالة على ان الله

يتعاظمه ان يهلك قرنا ويخرب بلادهم فانه قادر على ان يبقي مكانهم آخرين يعمرهم بلاده كقوله ولا يخاف

عقباها كتابا مكتوبا في قرطاس في رق فلمسوه بايديهم ولم يقتصروا بهم على الرؤية كيلا يقولوا سكرت ابصارنا فيبقى لهم

علة لقالوا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره لقضي الامر لقضي امرهم لاهلكهم ثم لا ينظرون بعد نزوله

طرفة عين امهالهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلعم وهي آية لا شيء ابين منها وايقنوا ثم لا يؤمنون

كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة لم يكن بد من اهلاكهم كما اهلك اصحاب المائدة وانما لانه يزول الاختيار الذي

هو قاعدة التكليف عند نزول الملك فيجب اهلاكهم وانما لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت ارواحهم من هول

ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار اشد من قضاء

الامر لان مفاجاة الشدة اشد من نفس الشدة ولو جعلناه ملكا ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم

كانوا يقولون لو انزل الينا رسولا ملك وما يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لجعلناه رجلا

لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل على رسول الله صلعم في اعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يقوون مع

رؤية الملائكة في صورهم وللبسنا ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ فانهم يقولون اذا رأوا الملك في

صورة الانسان هذا انسان وليس بملك فاذا قال لهم الدليل على انني ملك اني جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق باني ملك

مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة في كفرهم بآيات البينة وقرئ ابن محيصن ولبسنا بلام واحدة وقرئ الزهري

ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون

ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون قل سيروا في
الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين قل لمن ما في السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة
ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون وله ما سكن في الليل والنهار
وهو السميع العليم

وللتشنيع عليهم ما يلبسون بالتشديد ولقد استهزئ تسلية لرسول الله عما كان يلقى من قومه فحاق بهم فأحاط
بهم الشيء الذي كانوا يستهزؤن به وهو الحق حيث أهلكوا من أجل الاستهزاء به فإن قلت ما الفرق بين قوله
فانظروا وبين قوله ثم انظروا قلت جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكأنه قيل سيروا لأجل
النظر ولا تسيروا سير الغافلين وأما قوله سيروا في الأرض ثم انظروا فمعناه إباحة الأمرين السير في الأرض
للتجارة وغيرها من المنافع وإيجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك ثم لتباعد ما بين الواجب والمباح
لمن ما في السموات والأرض سؤال تبكيت وقل لله تقرير لهم أي هو لله لا خلاف بينهم وبينكم ولا تقدرون أن
تضيفوا شيئا منه إليه غيره كتب على نفسه الرحمة أي أوجبها على ذاته في هدايتكم إلى معرفته ونصب الأدلة لكم على توحيده
بما أنتم مقرون به من خلق السموات والأرض ثم وعدهم على إغفالهم النظر وإشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء
بقوله ليجمعنكم إلى يوم القيامة فيجازيكم على شركم وقوله الذين خسروا أنفسهم نصب على الذم أو رفع أو ابتداء الذين
خسروا أو أنتم الذين خسروا أنفسهم فإن قلت أين جعل عدم إيمانهم مسببا عن خسرانهم والأمر على العكس
قلت معناه الذين خسروا أنفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون وله عطف على لله ما سكن
في الليل والنهار من السكن وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وهو السميع العليم يسمع
كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان أولى غير الله ضمن الاستفهام دون الفعل الذي
هو اتخذ لأن الإنكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان أولى بالتقديم ونحوه أفغير الله تأمروني أعبد
أيها الناس أغير الله أبغيكم إلها فاطر السموات بالجر صفة لله وبالرفع على المدح وقرأ الزهري وعمرو بن عبيد ما عرفت
ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأتها وهو يطعم ولا
يطعم وهو يرزق ولا يرزق كقوله ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون والمعنى أن المنافع كلها من عنده
ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وروي أن المأمون سأل يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على
بناء الأول للمفعول والثاني للفاعل والضمير لغير الله وقرأ الأشهب وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل
وفسر بأن معناه وهو يطعم ولا يستطعم وحكى الأزهري أطعمت بمعنى استطعمت ونحو أقدرت ويجوز أن يكون
المعنى وهو يطعم ناسا ولا يطعم آخرين لحكمة كقولك هو يعطي ويمنع ويبسط ويقدر ويغني ويفقر وأول من
أسلم لأن النبي سابق أمته في الإسلام كقوله وأنا أول المسلمين وكقول موسى سبحانك تبت إليك وأنا أول
المؤمنين ولا تكونن وقيل لي لا تكونن من المشركين من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه الله الرحمة العظمى
وهي النجاة كقولك إن أطعت زيدا مزجوعه فقد أحسنت إليه تريد فقد أتممت الإحسان إليه أو فقد أدخله الجنة لأن
من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه في ذلك

وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده
وهو الحكيم الخبير قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ
أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون الذين
آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين

١٨١

اليوم فقد رحمه يعني من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوما أو مذكورا قبله
وهو العذاب ويجوز أن ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به أو من يصرف الله عنه ذلك اليوم أو هوله فقد رحمه
وتنصر هذه القراءة قراءة أبي من يصرف الله عنه وإن يمسسك الله بضر من مرض أو فقر أو غير ذلك من البلايا فلا قادر
على كشفه إلا هو وإن يمسسك بخير من غنى أو صحة فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على إدامته أو إزالته فوق عباده تعلو
للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كالقول وإنما فوقهم قاهرون الشيء أعم العام لوقوعه على كل ما يصح أن يعلم ويخبر فيقع على
القديم والجرم والعرض والمستقيم ولذلك صح أن يقال لله عز وجل شيء لا كالأشياء كما تقول معلوم لا كسائر المعلومات
ولم يصح جسم لا كالأجسام وأراد أي شهيد أكبر شهادة فوضع شيئا مقام شهيد ليبالغ بالتعميم قل الله شهيد بيني
وبينكم يحتمل أن يكون تمام الجواب عند قوله قل الله يعني الله أكبر شهادة ثم ابتدئ شهيد بيني وبينكم أو هو شهيد بيني
وبينكم وأن يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لأن الله على أن الله عز وجل إذا كان هو الشهيد بيننا وبينهم فالكبرى
شهادة شهيد له ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين من أهل مكة أو لأنذركم به وأنذر كل بلغه القرآن من العرب
والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه إلى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا صلى الله عليه وسلم
أئنكم لتشهدون تقريعهم مع إنكار واستبعاد قل لا أشهد شهادتكم الذين آتيناهم الكتاب يعني اليهود والنصارى
يعرفونه يعرفون رسول الله بحليته ونعته الثابت في الكتابين معرفة خالصة كما يعرفون أبناءهم بحلاهم ونعوتهم لا يخفون
عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لأهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال الذين خسروا أنفسهم
من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين لا يؤمنون به جمعوا بين أمرين متناقضين فكذبوا على الله طلبا لحجة عليه
وكذبوا بالحجة ثبت بالحجة البينة والبرهان الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا وقالوا الله أمرنا
بها وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا إليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا القرآن
والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول ويوم نحشرهم كأن كيت وكيت فنقول للذين أشركوا على جهة التوبيخ
في التخويف أين شركاؤكم آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقوله الذين كنتم تزعمون معناه تدعون فحذف المفعولان
لدلالة المعنى عليهما وقرئ يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما وإنما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ ويجوز أن يشاهدوهم
لأنهم حينئذ لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكأنهم غيب عنهم وأن يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ
لينفردوا بهم في الساعة التي جعلوا لهم الدعاء فيها فيبرؤا منكم كما برئ منهم ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا
من الذنوب به ويجوز أن يراد ثم لم يكن جوابهم إلا أن قالوا فيه فتنة لأنه كذب وقرئ تكن بالتاء وفتنتهم بالنصب
والتأنيث أن قالوا الوقوع الخبر هنا كقوله من كانت أمك وقرئ بالياء ونصب الفتنة وبالياء والتاء مرفوعا الفتنة
وقرئ ربنا بالنصب على النداء وضل عنهم وغاب عنهم ما كانوا يفترونه أو يفترون الألوهية وشفاعته فإن قلت

ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا
بها حتى اذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين وهم ينهون عنه وينأون
عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب
بآيات ربنا ونكون من المؤمنين

كيف يصح ان يكذبوا حين يطلعون على حقائق الامور على ان الكذب والجحود لا وجه لمنفعته قلت المعنى
ينطق بما ينفعه ومما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا لا تراهم يقولون ربنا اضرحنا منها فان عدنا فانا ظالمون
وقد ايقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضي عليهم واما قول من يقول ما كنا
مشركين عند انفسنا وما علمنا انا على خطاء في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم يعني في الدنيا فتمحل
وتعسف وتحريف لافصح الكلام الى ما هو عي وافحام لان المعنى الذي ذهبوا اليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه
ولا منطبق عليه وهو باب عنه اشد النبو وما ادري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون
له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون بعد قوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه
كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القرآن روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد
والنضر وعتبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله فقالوا للنضر يا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي
جعلها بيته بمكة ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم من القرون الماضية
فقال ابو سفيان اني لارى حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت والاكنة على القلوب والوقر في الآذان مثل في نبو قلوبهم
ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه اسناد الفعل اليه ذاته وهو قوله وجعلنا للدلالة على انه امر ثابت فيهم له
يزولعنهم كانهم مجبولون عليه او من حكاية ما كانوا ينطقون به من قولهم وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
وقرأ طلحة وقد بكسر الواو حتى اذا جاءوك مجادلوك هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاءوك يقول الذين
كفروا يجادلونك في موضع الحال ويجوز ان يكون للحكاية ويكون اذا جاءوك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم يجادلونك
حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى انه تكذيبهم الآيات ان لهم يجادلونك ويناكرونك وتفسير مجادلتهم بانهم
يقولون ان هذا الا اساطير الاولين فيجعلون كلام الله واصدق الحديث خرافات واكاذيب ومن الغاية في التكذيب
وهم ينهون الناس عن القرآن وعن الرسول واتباعه ويثبطونهم عن الايمان به وينأون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون
وان يهلكون بذلك الا انفسهم ولا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله وقيل هو ابو طالب
لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا الى ابي طالب وارادوا رسول
الله سوءا فقال والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر
بذاك وقر منه عيونا ولا عليك ان تلقى بذلك سبة لو جدتني سمحا بذاك مبينا فنزلت ولو ترى جوابه محذوف تقديره
ولو ترى لرأيت امرا شنيعا وقفوا على النار اوردوها حتى يعاينوها واطلعوا عليها اطلاعا من تجنبهم او ادخلوها فعرفوا
مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا يا ليتنا نرد
ثم تمنيهم ثم ابتدأوا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين الايمان كانهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه

معناه

بيته

الاثبات

وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا
فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو
وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون

١٨٢

الاثبات وشبهه سيبويه بقولهم دعني وانا لا اعود تركتني او لم تتركني ويجوز ان يكون معطوفا على نرد او حالا
على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فدخل تحت حكم التمني فان قلت يدفع ذلك قوله وانهم
لكاذبون لان المتمني لا يكون كاذبا قلت هذا تمني قد تضمن معنى العدة فجاز ان يتعلق به التكذيب كما يقول
الرجل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك واكافئك على صنيعك فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزقه مالا ولم يحسن
الى صاحبه ولم يكافئه كذب كانه قال ان رزقني الله مالا احسن اليك وكافأك على الاحسان وقرئ ولا نكذب ونكون
بالنصب باضمار ان على جواب التمني ومعناه ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من النار
من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا من انهم عاينوا على انهم لو
ردوا لآمنوا وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسترونه وقيل هو في اهل الكتاب
وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه
من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم لا يفون به وقالوا عطف على لعادوا او ولو ردوا لكفروا
وقالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل معاينة القيمة ويجوز ان يعطف على قوله وانهم لكاذبون على معنى وانهم
لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم وقفوا على ربهم بحذف
الجر المتوسع والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقيل
عرفوا حق التعريف قال مردود على قول قائل ماذا قال لهم اذ وقفوا عليه فقيل اليس هذا بالحق وهذا تعيير من
الله لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو الحق وما هو الباطل بما كنتم
تكفرون بلقاء الله بلوغ الآخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه في موضع آخر وحتى غاية لكذبوا او الخسران
لان خسرانهم لغاية ذلك وما لانهم التكذيب الى حسرتهم وقت مجيء الساعة فان قلت اما يعتبرون عند
موتهم قلت لما كان الموت وقوعا في احوال الآخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمي باسمها او لانه
قال رسول الله صلعم من مات فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة بغتة
فجاءة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة او على المصدر كانه قيل بغتتهم الساعة بغتة فرطنا فيها الضمير للحيوة
الدنيا جيء بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة او للساعة على معنى قصرنا في شانها وفي الايمان بها كما تقول
فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله بحلولها وازرارهم على ظهورهم كقوله فبما كسبت ايديكم لانه اعتبر حمل
الاثقال على الظهور بكسب اليدين كما يزرون بيسر شيئا يزرونه وزرهم كقوله ساء مثلا القوم جعل
اعمال الدنيا لعبا ولهوا لانتفاء الاعمال يعني ولا يعقب منفعة كما يعقب اعمال الآخرة المنافع العظيمة وقوله للذين
يتقون دليل على ان ما سوى اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عباس ولدار الآخرة وقرئ يعقلون بالياء والتاء

قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد
كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك
من نبإ المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في

قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون

قد نعلم يعني ربما الذي يحزنك لزيادة الفعل وكثرته كقوله ولكنه قد يهلك المال نابله والهاء في انه ضمير الشان
ليحزنك بفتح الياء وضمها والذي يقولون هو قولهم ساحر كذاب لا يكذبونك بالتشديد والتخفيف من كذبه اذا جعله كاذبا
في نعمه وكذبه اذا وجده كاذبا والمعنى انه تكذيبك امر راجع الى الله لانك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في
الحقيقة وانما يكذبون الله بجحود آياته والاستهانة بكتابه فالله عز وجل ينفسك انهم كذبوك وانت صادق وليتسلك
عن ذلك ما هو اهم وهو استعظام كفرهم بجحود آيات الله والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض
الناس انهم يهينونك وانما اهانوني ومن هذه الطريقة قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل فانهم
لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم
يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي ابا جهل فصافحه وقال انا لا نكذبك شيئا ولكنهم كانوا يجحدون وكان
ابو جهل يقول ما نكذبك وانك عندنا لمصدق وانما نكذب ما جئت به وروي ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل
يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال والله ان محمدا لصادق وما كذب قط
ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقوله ولكن الظالمين
من اقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة على انهم ظلموا في جحودهم ولقد كذبت تسلية لرسول الله وهذا دليل على ان قوله
على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك ما اهانوك ولكنهم اهانوني على ما كذبوا
واوذوا على تكذيبهم وايذائهم ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم
لهم المنصورون ولقد جاءك من نبإ المرسلين بعض انبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين كان يكبر عليه
النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزلت لعلك باخع نفسك انك لا تهدي من احببت وان كان كبر عليك اعراضهم
فان استطعت ان تبتغي نفقا منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها او سلما في السماء
فتأتيهم منها بآية فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وتهالكه عليه وانه لو استطاع ان يأتيهم
بآية تحت الارض او من فوق السماء لفعل رجاء ايمانهم وقيل كانوا يقترحون الآيات وكان يود ان يجابوا اليها لتمادت
حرصه على ايمانهم فقيل له ان استطعت كذا فافعل لكن لا تقدر على انه لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا لعلهم يؤمنون
ويجوز ان يكون ابتغاء النفق في الارض او السلم في السماء هو الاتيان بالآية كانه قيل لو استطعت النفوذ في ما تحت
الارض او الترقي في السماء لفعلت لعل ذلك يكون لكرامة يؤمنون عندها وحذف جواب ان كما تقول ان شئت
ان تقوم بنا اليه فلان نزوره ولو شاء الله لجمعهم على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة
فلا تكونن من الجاهلين بل الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلاف الحكمة انما يستجيب الذين يسمعون يعني ان الذين تحرص على
ان يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وانما يستجيب من يسمع كقوله انك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون قالوا لولا نزل عليه آية

ثم اليه يرجعون قالوا لولا نزل عليه آية ثم قل ان الله قادر على ان
ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون قل ارأيتكم ان اتيكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون
وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم قل ارأيتكم ان اتيكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون

١٨٢

على الجاهلية الى الاستجابة بانه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيامة ثم اليه يرجعون للجزاء فكان قادرا على هؤلاء
الموتى بالكفر ان يجيبهم الى الايمان وانت لا تقدر على ذلك وقيل معناه وهؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون
فحينئذ يسمعون وانما قبل ذلك فلا سبيل الى اسماعهم وقرئ يرجعون بفتح الياء ولولا نزل عليه آية نزل بمعنى انزل وقيل كان
ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث لان تأنيث آية غير حقيقي وجمع للفصل وانما قالوا ذلك مع
تكاثر ما انزل من الآيات على رسول الله لتركهم الاعتداد بما انزل عليه كانه لم ينزل عليه شيء من الآيات عنادا منهم قل ان الله قادر
على ان ينزل آية تضطرهم الى الايمان كفلق الجبل على بني اسرائيل ونحوها او آية ان جحدوها عاجلهم العذاب ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان الله قادر على ان ينزل تلك الآية وان صارفا من الحكمة يصرفه عن انزالها امم امثالكم مكلفة ارزاقها وآجالها واحوالها
ما فرطنا ما تركنا وما اغفلنا في الكتاب في اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم نكتبه ولم نثبته او جعلناه مثبتا
مختصا به ثم الى ربهم يحشرون يحشر الامم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينتصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء
من القرناء فان قلت كيف قيل الامم مع افراد الدابة والطائر قلت لما كان قوله وما من دابة ولا طائر في سياق النفي
على معنى الاستغراق ومعناه انه يقال وما من دابة ولا طائر جعل قوله الا امم على المعنى فان قلت هلا قيل وما من
دابة ولا طائر الا امم امثالكم وما معنى زيادة قوله في الارض ويطير بجناحيه قلت معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة
كانه قيل وما من دابة قط في جو السماء وما يطير بجناحيه الا امم امثالكم محفوظة احوالها غير مهمل امرها فان قلت
فما الغرض في ذكر ذلك قلت الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة
الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ لها وناظر عليها مهيمن على احوالها لا يشغله شأن عن شأن وان المكلفين
ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان وقرأ ابن ابي عبلة ولا طائر بالرفع على المحل كانه قيل وما دابة
ولا طائر وقرأ علقمة ما فرطنا بالتخفيف فان قلت ليت اتبع قوله والذين كذبوا بآياتنا قلت
لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لمن به بينة وينادي على عظمته قال والمكذبون منهم لا يسمعون كلام المنبه
بكم لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات الكفر فهم خافتون عن تأمل ذلك والتفكر فيه ثم قال ايذانا بانهم من اهل الطبع من يشأ
الله يضلله ويخذله ويخلهم ضلالا لم يلطف بهم اذ ليس من اهل اللطف ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم الى يلطفه
لان اللطف يجدي عليه ارأيتكم اخبروني والتقرير للتنبيه لا لمحل له من الاعراب لان تقول ارأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت
الكاف محلا لكنت كانك قلت تقول ارأيت زيدا ما شأنه وهو خلف من القول ومنقول الى استخبار محذوف تقديره
ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله اغير الله تدعون يعني تخصونه بالدعاء فيما عادتكم
اذا اصابكم ضر ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعونه اليه ما شاء هو تنبيها
لتشفعوا ان شاء وانما اراد ان يتفضل عليكم ولم تكن مفسدة وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم او لا تذكرونها في ذلك الوقت لعلمكم انه

ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات

مخوفة بذكر ربكم وجدله اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله اغير الله تدعون كانه قيل ارأيتكم اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله فان قلت ان علقت الاستخبار به فاصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله او اتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين قلت قد اشرت الى الكشف المنفية وهو قوله ان شاء ايانا بان فعل كان له وجه من الحكمة الا انه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة اوجب منه البأساء والضراء البؤس والضر وقيل البأساء التخطي بالجوع والضراء المرض ونقصان الانفس والاموال والمعنى ولقد ارسلنا اليهم الرسل فكذبوهم فاخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء اي تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء من الصحة والسعة وصنوف النعم لنواجههم بها حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الخير والنعم كيد واعلى الفرح والبطر من غير انتداب للشكر ولا تصدر لتوبة واعتذار اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون واجمون متحيرون آيسون فقطع دابر القوم الذين آخذهم لم يترك منهم احدا واستؤصلت شأفتهم والحمد لله رب العالمين ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وانه من اجل النعم واجزل القسم وقرئ فتحنا بالتشديد ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان يصمكم ويعميكم وختم على قلوبكم بان يفطر عليها ما يذهب عنها فهمكم وعقلكم يأتيكم بها او يأتيكم بذلك اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة او على اخذ وختم يصدقونه يعرضون عن الآيات بعد ظهورها لما كانت البغتة ان يقع الامر من حيث لا يشعر به ويظهر الماراة قبل البغتة او حسن وعن الحسن ليلا او نهارا وقرئ بغتة وجهرة هل يهلك الا مثل هلاك تعذيب وسخط القوم الظالمون وقرئ هل يهلك بفتح الياء الا مشركون وملذبون من آمن منهم وجاء تابه واطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم يسلم ليتلقى بهم ويفرح عليهم الآيات بعد وضوح امرهم بالبراهين القاطعة واصلح ما يجب اصلاحه فما كانت جعل العذاب مما شأنه ان يفعل بهم ما يريد من الاهلاك ومنه قولهم لقيت منه الامرين والاقوزين لقيت صعب اجمع العقلاء وقوله اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا الا قول الا ادعى ما يستبعد في العقول ان يكون البشر مثلكم خزائن الله ومن فسر بين الخلق وارزاقه واني من الملائكة الذين هم اشرف جنس خلق الله وافضله واقربه منزلة منه اذا لم ادع الالهية ولا ملكية لانه ليس بعد الالهية منزلة ارفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدوا دعواي وتستنكروها وانما ادعي ما كان مثله كثير من البشر وهو النبوة هل يستوي الاعمى والبصير مثل الضال والمهتدي ويجوز ان يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع اولم تتفكروا في امري فتعلموا ان ادعى المستقيم وهو النبوة والحال وهو الالهية او الملكية فلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين اشباه العمياء او فتعلموا انه

وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء

اي ما اوحيت اليك بالبشارة وتخويف ما يوحى الى ما يدل منه فان قلت اعلم الغيب ما محله من الاعراب قلت النصب عطفا على محل قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول كانه قال لا اقول لكم هذا القول ولا هذا القول وانذر به الضمير راجع الى قوله ما يوحى الي والذين يخافون ان يحشروا الى قوم داخلون في الاسلام مقرون بالبعث الا انهم مفرطون في العمل فينذرهم بما اوحي اليه لعلهم يتقون اي يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين واما اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث واما ناس من المشركين علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون المتمردين منهم فامر ان ينذرهم قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا يعني يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشور فالمخوف انما هو الحشر على هذه الحال ذكر غير المتقين من المسلمين وامر بانذارهم ليتقوا بما ارد فيهم ذكر المتقين منهم وامر بتنحيتهم واكرامهم وان لا يطيع فيهم من يراد اخراجهم خلافا في ذلك واثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم او عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل معناه يصلون صلوة الصبح والعصر ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله يريدون وجهه والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته روي ان رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله صلعم لو طردت هؤلاء عبيدنا يعنون فقراء المسلمين ومنهم عمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم وازواج جماعتهم وكان عليهم جباب من صوف جلسنا اليك وجالسناك فقال عليه ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئناك فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت قال نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي قال له لو فعلت حتى ننظر الى ما يصيرون قالوا فاكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة ودعا عليا ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر من مقالته قال سلمان وخباب وصهيب فينا نزلت وكان رسول الله صلعم يقعد معنا ويدنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات ما عليك من حسابهم من شيء كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شيء حتى تطرد لهم بالاخلاص وبارادة وجه الله في اعمالهم على معنى وان كان الامر على ما يقولون عند الله فما لك من الامر اعتبار الظاهر والاتسام بسيت المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى فان قلت ما معنى قوله من حسابهم من شيء حتى ضم اليه وما من حسابك عليهم من شيء قلت قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى في قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا يستقيم هذا المعنى الا بالجملتين جميعا كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى تطردهم ايمانهم وبركة

فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا
أليس الله بأعلم بالشاكرين وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل
منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل
المجرمين

لحرض عليه الا ان تطرد المؤمنين فتطردهم جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز ان يكون عطفا على
فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما مسبب عن طردهم وقرئ بالغدوة والعشي وكذلك فتنا بعض الناس
ببعض اي ابتليناهم بهم وذلك ان المشركين كانوا يقولون للمسلمين أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا اي انعم
عليهم بالتوفيق لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء ومنهم العبيد والفقراء
انكار لان يكون امثالهم على الحق ومنوا عليهم فيه ايام بالخير وجمع والقى الذكر من بيننا لو كان خيرا لما سبقونا
اليه ومعنى فتنا ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول لانه لا يقول مثل هذا
الا مخذول مفتون اليس الله باعلم بالشاكرين اي الله اعلم بمن يتبع منه الايمان والشكر فيوفقه وبمن يصمم
على الكفر فيخذله ويمنعه التوفيق فقل سلام عليكم اما ان يكون امرا بابلاغها بتبليغ سلام الله اليهم واما ان
يكون امرا بان يكون بدأهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة
من جملة ما يقولهم ليسرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم وقرئ انه فانه بالكسر على الاستئناف
كان الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل منكم وبالفتح على البدل من الرحمة بجملتها في موضع الحال اي عمله وهو
جاهل وفيه معنيان احدهما انه فاعل فعل الجهلة لان من عمل ما يؤدي الى الضرر في العاقبة فهو عالم بذلك
او ظان فهو من اهل السفه والجهل لا من اهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر على انها قالت عنيزة
زوجتها جهلت على حمد ولم تكن جاهلا والثاني انه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم الا يقدم
على شيء حتى يعلم حاله وتبينه وقيل انها نزلت في عمر حين اشار باجابة الكفرة الى ما سألوا ولم يعلم
انها مفسدة وقرئ لتستبين بالتاء والياء مع رفع السبيل لانها تذكر وتؤنث وتبينت والمعنى ومثل
ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة احوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه
ومن ترى فيه امارة القبول وهو الذي يخاف اذا جمع ذكر القيمة ومن دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده
ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل لتميز طرقهم وتجرت
ما ركب في من ادلة العقل وما اثبت من ادلة السمع من عبادة ما تعبدونه من دون الله وفيه استجهال لهم ووصف
بالافتحام فيما كانوا فيه على بصيرة قل لا اتبع اهواءكم اي لا اجاريكم في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من
اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من اراد اصابة الحق
ومجانبة الباطل قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من الهدى في شيء يعني انكم كذلك وطالبني
ان يكون الهوى متبعا تبعا لما يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة من ربي ومعنى قوله اني على بينة من ربي وكذبتم به
اني من معرفة ربي والعلم بمعبوده على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به غيره يقال انا على

وشل ذلك الفتن العظيم فتنا

بينة

بينة من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان قد ثبت عندك بدليل ثم عقبه بما دل به على استعظام تكذيبهم بالله وشدة
غضبه عليهم وانهم احقاء بان يغاضبوا بالعذاب المستأصل فقال ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي
استعجلوا في قولهم فامطر علينا حجارة من السماء ان الحكم الا لله في تأخير عذابكم يقص الحق اي القضاء الحق في كل
ما يقضي من التأخير والتعجيل في اقسامه وهو خير الفاصلين اي القاضين وقرئ يقص الحق اي يتبع الحق
والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص اثره ولو ان عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب
لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانتصافا به ولتخلصت منكم سريعا والله اعلم بالظالمين
وبما يجب في الحكمة من كفرتهم وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي ومن القرآن وكذبتم به اي بالبينة وذكر
الضمير على تأويل البيان والقرآن فان قلت بم انتصب الحق قلت بانه صفة لمصدر يقص اي يقص
القضاء الحق ويجوز ان يكون مفعولا به من قولهم قص الاثر اذا اقتصه او يقص الحق ويبينه وفي قراءة عبد
الله يقضي الحق فان قلت لم استطلت الياء في اللفظ قلت لاجتماع الكلمتين اللفظ وسقوطها في اللفظ
لالتقاء الساكنين جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في الخزائن ويعلم فتحها فهو
التوصل الى ما في الخزائن والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هي جمع مفتح بفتح الميم وهو
الخزانة ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كانه قيل وما تسقط من شيء من هذه الاشياء
الا يعلمه وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها الا ان معنى الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين واحد والكتاب
المبين علم الله او اللوح وقرئ ولا حبة ولا رطب بالرفع وفيه وجهان ان يكون عطفا على محل من ورقة وان
يكون على الابتداء وخبره الا في كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امرأة في الدار وهو الذي يتوفاكم بالليل الخطاب
للكفرة اي انتم منسدجون في الليل كله كالجيف ويعلم ما جرحتم ما كسبتم من الاثام فيه ثم يبعثكم فيه ثم يبعثكم من
النوم في شأن ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار ومن اجله كتوكل فيكم دعوتين فيقول
في ايقاظكم ليقضى اجل مسمى وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على الاعمال اجالهم ثم اليه
مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم حفظة ملائكة حافظين
لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن ابي حاتم السجستاني انه كان يكتب عن الاصمعي كل شيء يلفظ من فوائد
العلم حتى قال اصحب فيه انت شبيه للحفظة تكتب لفظ اللفظة فقال ابو حاتم وهذا ايضا مما يكتب فان
قلت الله تعالى غني بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها قلت فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا
انه قد رتب عليهم والملائكة الذين هم اشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض
على رؤوس الاشهاد في مواقف القيمة كان ذلك ازجر لهم عن القبيح وابعد من التسويف وتفويت سلفنا الى استوفيت

توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين قل من ينجيكم
من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها
ومن كل كرب ثم انتم تشركون قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم

روحه وهم ملك الموت واعوانه وعن مجاهد جعلت الارض له مثل الطست يتناول من يتناوله وما من اهل بيت
الا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين وقدري توفاه يجوز ان يكون ماضيا ومضارعا بمعنى يتوفاه ويعضدونا بالتخفيف والتشديد
فالتعزيز الثاني والتاخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد لا ينقصونه فيما امروا به ولا يزيدونه فيه ثم ردوا الى الله
اي الى حكمه وجزائه مولاهم مالكهم الذي يلي عليهم امورهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق الا له الحكم يومئذ لا حكم
لغيره وهو اسرع الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب وقدري الحق بالنصب على المدح كقولك لله الحق ظلمات
البر والبحر مجاز عن محاوفها واهوالها يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم مكفهر ويوم ذو كواكب اشتد ظلمته حتى
عاد كالليل ويجوز ان يراد ما يشقون عليه من الخسف في البر والغرق في البحر بذنوبهم فاذا دعوا وتضرعوا لكشف الله
عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتها لئن انجيتنا على ارادة القول من هذه الظلمة والشدة وقدري ينجيكم بالتخفيف
والتشديد وخفية بالضم والكسر هو القادر هو الذي حرفوه قادرا هو الكامل القدرة عذابا من فوقكم كما امطر على قوم
لوط وعلى اصحاب الفيل وارسل على قوم نوح الطوفان او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من
فوقكم من قبل اكابركم وسلاطينكم ومن تحت ارجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو جند المطر والنبات
او يلبسكم شيعا او يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال
بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله وكتيبة لبسها بكتيبة حتى اذا التبست ومن رسول الله صلعم
سألت الله ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم
فمنعني واخبرني جبريل ان فناء امتي بالسيف وعن جابر بن عبد الله لما نزل من فوقكم قال رسول الله صلعم اعوذ بوجهك
فلما نزل او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا قال هاتان اهون ومعنى الهزة الوعيد باحد اصناف العذاب المعدودة والضمير
في قوله وكذب به راجع الى العذاب وهو الحق اي كذب به ان ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم امنعكم
من التكذيب اجبارا انما انا منذر لكل نبأ لكل شيء ينبأ به وشيء انباؤكم بانهم يعذبون وايعادهم به مستقر وقت
استقراره وحصوله لا بد منه وقيل الضمير في به للقرآن يخوضون في آياتنا في الاستهزاء بها والطعن فيها
وكانت قريش في انديتهم يفعلون ذلك فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فلا بأس
ان تجالسهم حينئذ واما ينسينك الشيطان وان شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد
الذكرى بعد ان تذكر النهي وقدري ينسينك بالتشديد ويجوز ان يراد وان كان الشيطان ينسيك قبل التذكر قبح
مجالسة المستهزئين لانها مما تكرهه العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها فنهناك عليه معهم وما
على الذين يتقون من حسابهم من شيء وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن عليهم
ان يذكروهم كراهة ان اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم لعلهم يتقون لعلهم يجتنبون الخوض

من شيء ولكن ذكرى لعلهم
يتقون

وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا
شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا
يكفرون قل اندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين
في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين ١٨٦

جباه او كراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون الضمير للذين يتقون اي يذكرونهم ارادة ان يثبتوا على تقواهم ويزدادوا
وروي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف
فرخص لهم فان قلت ما محل ذكرى قلت يجوز ان يكون نصبا على ولكن يذكرونهم ذكرى اي تذكيرا
او رفعا على ولكن عليهم ذكرى ويجوز ان يكون عطفا على محل من شيء كقولك ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم
يأبى ذلك اتخذوا دينهم لعبا ولهوا او دينهم الذي كان يجب له ان يأخذوا به لعبا ولهوا وذلك ان عبادة الاصنام
وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن
جنس الهزل دون الجد او اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به
واستهزؤا وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويغرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين واهل
الكتاب اتخذوا اعيادهم لهوا ولعبا غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال
بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم وذكر به اي بالقرآن ان تبسل نفس مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب
ويرتهن بسوء الكسب لسببها واصل الابسال المنع لان المسلم اليه يمنع المسلم قال وابسالي بغير
جرم ومنه هذا عليك بسل او حرام محظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه والابسال الاسد لما فيه من شدة
البسور يقال بسر الرجل اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه وان تعدل كل عدل
وان تفد كل فداء والعدل الفدية لان الفادي يعدل المفدي بمثله وكل عدل نصب على المصدر وفاعل يؤخذ
قوله منها لضمير العدل لان العدل هنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ واما في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى
فصح اسناده اليه اولئك اشارة الى المتخذين دينهم لعبا ولهوا قيل نزلت في ابي كرب حين دعا ابنه عبد
الرحمن الى عبادة الاوثان قل اندعوا نعبد من دون الله الصنم والنافع والضار يقدر على نفعنا ولا مضرتنا ونرد على
اعقابنا راجعين الى الشرك بعد اذ انقذنا الله منه وهدانا للاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي
ذهبت به مردة الجن والغيلان في الارض في المهمه حيران تائها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع له اصحاب
يستهوونه اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى ائتنا يقولون له ائتنا فيتبعهم ويترك الطريق المستوي او سمي الطريق المستقيم بالهدى
يقولون ائتنا وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لاجيبهم ولا ياتيهم وهذا مثل على ما تزعمه العرب وتعتقده ان الجن
يستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه كالذي يتخبطه الشيطان فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع
لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم قل ان هدى الله وهو الاسلام هو الهدى وحده وما وراءه
ضلال وغي ومن يبتغ غير الاسلام دينا فاذا بعد الحق الا الضلال فان قلت ما محل الكاف في قوله كالذي استهوته
قلت النصب على الحال من الضمير في نرد على اعقابنا اي انكص مشبهين من استهوته الشياطين فان قلت

اذا اخذوا بها ولعب دينهم وغيبة دنياهم

وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون
قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر
أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض

ما معنى استهوته قلت هو استفعال من هوى في الأرض إذا ذهب فيها كأنه معناه طلبت هويه وحيرت
عليه فإن قلت ما معنى أمرنا قلت النصب عطفا على محل أن هدى الله هو الهدى على أنهما متوالان
كأنه قيل قل هذا القول وقل أمرنا للإسلام فإن قلت ما معنى اللام في لنسلم قلت هي تعليل للأمر
بمعنى أمرنا وقيل لنا أسلموا لأجل أن نسلم فإن قلت فإذا كان هذا وارد في شأن أبي بكر رض فكيف قيل
للرسول قل ادعوا قلت للاتحاد الذي كان بين رسول الله والمؤمنين خصوصا بينه وبين الصديق
رض فإن قلت علام عطف قوله وأن أقيموا قلت على موقع لنسلم كأنه قيل وأمرنا أن نسلم وأن
أقيموا ويجوز أن يكون التقدير وأمرنا لأن نسلم ولأن أقيموا أو للإسلام ولإقامة الصلاة قوله الحق
مبتدأ ويوم يقول خبر مقدم عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى
الحين والمعنى أنه خلق السموات والأرض قائما بالحق والحكمة وحين يقول لشيء من الأشياء كن فيكون
ذلك الشيء قوله الحق والحكمة أو يكون شيئا من السموات والأرض وسائر المكونات لا عن حكمة وصواب
ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقولك لمن الملك اليوم ويجوز أن يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول
لقوله الحق أو لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق وانتصاب اليوم بمحذوف دل عليه قوله بالحق كأنه قيل وحين
يكون ويقدر يقوم بالحق عالم الغيب هو عالم الغيب ولي وتنا عن المدح آزر اسم أبي إبراهيم وفي كتب التواريخ
أن اسمه بالسريانية تارخ والأقرب أن يكون وزن آزر فاعل مثل تارخ وعابر وعازر وفالغ وما
أشبهها من أسمائهم وهو عطف بيان لأبيه وقيل آزر اسم صنم فيجوز أن يتخذه للزومه عبادته كما
نري ابن قيس الرقيات اللاتي كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات وفي شعر بعض المحدثين ادعى بأسماء
بنت أبي قبيلها كأن أسماء أضحت بعض أسمائي أو أريد يا عابد آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه
وقرئ إذ تتخذ أصنامآلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزائدة ساكنة وذال منصوبة
منونة وهو اسم صنم ومعناه أتعبد إذا على الإنكار ثم قال تتخذ أصنامآلهة تثبيتا لذلك وتقويما
وهو داخل في حكم الإنكار لأنه كالبيان له فإنما جزم عليه الليل عطف على قال إبراهيم لأبيه وقوله وكذلك
نري إبراهيم جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير
نعرف إبراهيم ونبصره ملكوت السموات والأرض يعني الربوبية والإلهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده
ما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه الطريق الاستدلال وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونري حكاية
حال ماضية وكان أبو قومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب فأراد أن ينبههم على الخطأ في
دينهم وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤد إلى أن شيئا منها لا يصح أن يكون

فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي فلما أفلت قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي
لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون
إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله
وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون

١٨٧

آلهة القيام دليل الحدوث فكان وراءها محدثا أحدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها
وسيرها وسائر أحوالها هذا رد قول من يتصنع خصمه مع علمه أنه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه
ليرد ذكره أدعى إلى الحق وأبجح من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة لا أحب الآفلين لا أحب عبادة الأرباب
المتغيرين من حال إلى حال المنتقلين من مكان إلى مكان الحاجبين بستر فإن ذلك من صفات الأجرام بازغا
مبتدأ في الطلوع لئن لم يهدني ربي تنبيه لقومه على أن من اتخذ القمر آلهة وهو نظير الكواكب في الأفول فهو ضال
وأن الهداية إلى الحق بتوفيق الله ولطفه هذا أكبر من باب استعمال التصفية أيضا مع خصومه إني بريء مما تشركون
من الأجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض للذي دلت هذه المحدثات
عليه وعلى أنه مبتدعها ومبتدئها وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله والأول أظهر لقوله لئن
لم يهدني ربي وقوله يا قوم إني بريء مما تشركون فإن قلت لم احتج عليهم بالأفول دون البزوغ وكلاهما
انتقال من حال إلى حال قلت الاحتجاج بالأفول أظهر لأنه انتقال مع خفاء والاحتجاب فإن قلت
ما وجه التذكير في هذا ربي والإشارة للشمس قلت جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد
أو لهم ما جاءت حاجتك ومن كانت تلك ولم تكن فتتكلف الإتيان قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن
شبهة الثانيث لأن إبراهيم قال في صفة الله علام ولم يقولوا علامة وكان العلامة أبلغ احترازا عن علامة التأنيث
وقرئ نري إبراهيم ملكوت السموات بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية وحاجه قومه
قال أتحاجوني في الله وكانوا حاجوه في توحيد الله ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك وقد هداني يعني إلى التوحيد
ولا أخاف ما تشركون وقد خوفوه أن معبوداتهم تصيبه بسوء إلا أن يشاء ربي شيئا إلا وقت مشيئة ربي شيئا
يخاف فحذفت الوقت يعني إلا أخاف معبوداتكم في وقت قط لأنها لا تقدر على منفعة ولا مضرة إلا إذا شاء
ربي أن يصيبني بمخوف من جهتها إذا أصابتني ذنبا استوجبت أنزل المكروه مثل أن يرجمني بكوكب أو بشقة
من الشمس أو القمر ويحملها قادرة على مضرتي وسع ربي كل شيء علما أفلا يعلم علما أفلا يستبعد أن يكون في أمر الله علم
أنزل المخوف من جهتها أفلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف أخاف تخويفكم شيئا
ما دون الخوف لا يتعلق به ضرر يوجه وأنتم لا تخافون ما يتعلق به كل خوف وهو إشراككم بالله ما لم ينزل بإشراكه
سلطانا أو حجة لأن الإشراك لا يصح أن يكون عليه حجة كأنه قال وما لكم تتركون على الأمن ولا تتركون على أنفسكم الأمن
في موضع الخوف ولم يقل فأينا أحق بالأمن أنا أم أنتم احترازا من تزكية نفسه فعدل عنه إلى قوله فأي الفريقين
يعني فريقي المشركين والموحدين ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن
إيمانهم بمعصية تنسقهم والمعنى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس وتلك إشارة إلى جميع ما احتج به إبراهيم على قومه من

آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا
مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا
وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَمِنْ آبَائِهِمْ

قوله فبهداهم جزم عليه الليل الى قوله وهم يهتدون ومعنى آتيناها ارشدناه ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء
يعني في العلم والحكمة وقرئ بالتنوين ومن ذريته الضمير لنوح او لابراهيم وداود عطف على نوحا او وهدينا
داود ومن آبائهم في موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا بعض آبائهم ولو اشركوا مع فضلهم وتقدمهم
وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك آتيناهم الكتاب
يريد الجنس فان يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة او بالنبوة هؤلاء يعني اهل مكة قوما هم الانبياء المذكورون
ومن تابعهم بدليل قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وبدليل قوله فان يكفر بها هؤلاء بما قبله وهم
وقيل هم اصحاب النبي صلعم وكل من آمن به وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل الملئكة واذ من الانصار انهالهم
وعن مجاهد هم الترس ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به
ويتعهده ويحافظ عليه والباء في بها صلة كافرين وفي بكافرين تاكيد النفي فبهداهم اقتده فاختص هداهم
بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله وتوحيده واصول
الدين دون الشرائع فانها مختلفة ومن هدى ما لم تنسخ فاذا نسخت لم يبق هدى فخلاف اصول الدين فانها
هدى ابدا والهاء في اقتده للوقف تسقط في الدرج واستحسن ايثار الوقف لثبات الهاء في المصحف وما قدروا
الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم حين انكروا بعثة الرسل والوحي عليهم وذلك
من اعظم رحمته واجل نعمة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين وشدة
بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من انكار النبوة والقائلون هم اليهود بدليل قراءة
من قرأ تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وانما قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول الله فالزموا
ما لزمهم من الاقرار به من انزال التورية على موسى وادرج تحت الالزام توبيخهم وان نعي عليهم سوء حملهم لكتابهم
وتحريفهم وابداء بعض واخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى للناس حتى غيروه وبعضوه وجعلوه
قراطيس مقطعة وورقات متفرقة ليستكثروا مما راموا من الرياء والاخفاء وروي انه مالك بن الصيف من احبار
اليهود وروسائهم قال له رسول الله صلعم انشدك بالذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر
السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مال الذي يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت على عمر فقال
ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني فتدعوه وجاؤا بكتاب كعب
ابن الاشرف وقيل القائلون قريش وقد الزموا انزال التورية لانهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى
والتورية وكانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم الخطاب
لليهود او علمتم على لسان محمد صلعم مما اوحي اليه ما لم تعلموا انتم وانتم حملة التورية ولم يعلمه آباؤكم الاقدمون

آللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ۚ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى
لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۚ وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ

قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر
أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ

الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب
لمن آمن من قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم قل الله انزله الله فانهم لا يقدرون على ان ينكروه
ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد اقامة الحجة وبيان الحق كان في عمل الصبي
عليه انما انت لاعب ويلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويجوز ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان
يكون صلة له او لذرهم مبارك كثير المنافع والفوائد ولتنذر معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كانه قيل
انزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب وللانذار وقرئ لينذر بالياء والتاء وسميت مكة ام القرى
لانها مكان اول بيت وضع للناس ولانها قبلة اهل القرى كلها ومحجهم ولانها اعظم القرى شانا وليعض الحجا ودين
فمن يلق في بعض الثريات رجله فام القرى ملقى رجال ومنبتان والذين يؤمنون بالآخرة يصدقون
بالعاقبة ويخافونها يؤمنون بهذا الكتاب وذلك ان اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى من
بهذا الكتاب وخص الصلوة لانها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت لطفا له في المحافظة على اخواتها افترى على الله
كذبا زعم ان الله بعثه نبيا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وهو مسيلمة الحنفي الكذاب او كذاب صنعاء
الاسود العنسي وعن النبي صلعم رايت فيما يرى النائم كان في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي واهماني
فاوحي الي ان انفخهما فنفختهما فطارا عني فاولتهما الكذابين الذين انا بينهما كذاب اليمامة وكذاب
صنعاء الاسود العنسي ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله هو عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي كان يكتب
لرسول الله فكان اذا املى عليه سميعا عليما كتب عليما حكيما واذا قال كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين الى آخر الآية عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال
عليه اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا
لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحارث وروي
والمستهزئون ولو ترى جوابه لرأيت امرا عظيما اذ الظالمون يريد الذين ذكرهم من اليهود المتنبئين فيكون اللام للعهد
ويجوز ان يكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء وامثالهم وغمرات الموت شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء
فاستعيرت للشدة الغالبة باسطوا ايديهم يبسطون اليهم ايديهم يقولون هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم
وهذه عبارة عن العنف في السياق والالجاء والتشديد في الازهاق من غير تنفيس واهمال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم
الملازم يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف في المطالبة ولا يمهله ويقول له اخرج الي مالي عليك الساعة ولا ادعك مكانك
حتى انزعه من احداقك وقيل معناه باسطوا ايديهم عليهم بالعذاب اخرجوا انفسكم خلصوها من ايدينا اليوم تجزون
على الخلاص اليوم تجزون بجزاء ان يريد وقت الاماتة وما يعذبونه به من شدة النزع وان يريدوا الوقت الممتد

وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ
الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى
يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا وَالشَّمْسَ

المنطلق والذين يأخذهم فيه الموت في البرزخ والقيامة والهون الهوان الشديد واضافة العذاب اليه لكونه
به بجعل سببه تريد العراقة في الهوان والتمكن فيه عن آياته تستكبرون فلا تؤمنون بها فرادى منفردين من
اموالكم واولادكم وما حرصتم عليه وآثرتموه من دنياكم وعن اوثانكم التي زعمتم انها شفعاؤكم وشركاء الله كما خلقناكم
اول مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن
الآخرة وراء ظهوركم لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم فيكم شركاء في استعبادكم لهم حين
دعوهم آلهة وعبدوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفي استعبادهم وقرئ فرادا بالتنوين وفرادى مثل ثلاث
وفردى مثل مكرى فان قلت كما خلقناكم في اي محل قلت في محل النصب صفة لمصدر محذوف
اي مجيئا مثل خلقناكم تقطع بينكم وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد اوقع الجمع بينهما على اسناد
الفعل اليه مصدرا بهذا التاويل ومن رفع فقد اسند الفعل اليه الظرف كما تقول قويل خلقكم واما بينكم وفي
قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وعن مجاهد اراد الشق الذي
في النواة والحنطة يخرج الحي من الميت الحيوان والنامي من النطف والبيض والحب والنوى ويخرج هذه
الاشياء الميتة من الحيوان والنامي فان قلت كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد
قوله يخرج الحي من الميت قلت عطفه على فالق الحب والنوى لان فالق الحب والنوى بالنبات والشجر
الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فالق الحب والنوى بالنبات والشجر
النامي من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان الا ترى الى قوله يحيي الارض بعد موتها ذلكم
الله ذلكم المحيي المميت هو الله الذي يحق له الربوبية فانى تؤفكون فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره
الاصباح مصدر سمي به الصبح وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وانشد قوله افنى رياحا وبنى رياح
تناسخ الامساء والاصباح بالكسر والفتح مصدران وجمعه مشي وصبح فان قلت فما معنى فالق
الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال تعالى فلق الصبح فيه وجهان احدهما
ان يراد فالق ظلمة الاصباح ومنه الخبر شر الناس آخر الليل ومنقضاه الذي يلي الصبح والثاني ان يراد فالق
الاصباح الذي هو عمود الصبح الفجر عن بياض النهار واسفاره قالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر
وسموا الفلق الفجر فلقا يعني منادق وقال الطائي وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه وقرئ فالق الاصباح وجاعل
الليل بالنصب على المدح وقرأ النخعي فالق الاصباح وجعل الليل السكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن استيناسا
به واستراحا اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن لانه يستأنس بها الا ترى كيف سموها المؤنسة والليل
يطمئن اليه الثوب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز ان يراد وجعل الليل ساكنا فيه من قوله لتسكنوا فيه والشمس

والقمر قدرا بالحركات الثلاث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل او وجعل الشمس والقمر حسبانا او بعطفا
على محل الليل فان قلت كيف يكون لليل محل والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف في معنى المضي ولا تقول
زيد ضارب عمرا امس قلت ما هو في معنى المضي وانما هو دال على جعل مستمر في الازمنة المختلفة وكذلك فالق الحب
وفالق الاصباح كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان والجر عطف على لفظ الليل والدفع على الابتداء
والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا او محسوبان حسبانا ويجيء جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على
حسبانه لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كالحسبان بالكسر مصدر حسب
ونظيره الكفران والشكران فكما شاء تعالى جعلهما حسبانا او ذلك التسيير بحساب معلوم تقدير العزيز الذي قهر بما
سخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما في ظلمات البر والبحر في ظلمة الليل بالبر والبحر واضافتها اليهما لملابستهما لها
او شبه مغيبهما بالطرق بالظلمات مستعار فان المستقر كان المستودع اسم مكان مثله او مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل
والمستودع اسم مفعول فالمعنى فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب او مستقر فوق الارض ومستودع تحتها او فمنكم
مستقر ومنكم مستودع فان قلت لم قيل يعلمون مع ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر انشاء بني آدم قلت
كأن انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة الطف وادق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه
الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له فاخرجنا به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من اصناف
النامي بمعنى ان السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف مختلفة كما قال تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على
بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات خضرا نيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وتنا تنعقب
من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل وقنوان رفع بالابتداء ومن النخل
خبر ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا للدلالة اخرجنا
عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حبا متراكبا كان قنوان عنده معطوفا على حب والقنوان
جمع قنو ونظيره صنو وصنوان وقرئ بضم القاف وبفتحها على انه اسم جمع كركب وراكب وفعلان ليس من زنات
التكسير دانية سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول ولا يراد النخلة وان كانت صغيرة
ينالها القاعد فانها تأتي بالبسر تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة
وترك البعيدة لان النعمة فيها اظهر ودل بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر وقوله وجنات من اعناب
فيه وجهان احدهما ان يراد وثم جنات من اعناب اي مع النخل والثاني ان تعطف على قنوان على معنى وحاصلة او مخرجة
من النخل قنوان وجنات من اعناب اي من نبات اعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شيء اي
واخرجنا به جنات من اعناب وكذلك قوله والزيتون والرمان والاحسن ان ينتصبا على الاختصاص كقوله والمقيمين

الصلاة انا ذلك تفاوت الجزئيات المعلومة وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر
والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد
فصلنا الآيات لقوم يفقهون وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه

خضرا نيئا غضا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان

مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون وجعلوا
لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع
السموات والارض انى يكون له ولد

الصلة لفصل هذين الصنفين مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا والتفاعل
والتفاعل يشتركان كثيرا وقرئ متشابها وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان
كذلك كقوله كنت منه ووالدي بريئا والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم وذلك دليل
على التعهد دون الاهمال انظروا الى ثمره اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به
وانظروا الى حاله كيف ينضجه ويعيده شيئا جامعا للمنافع وملاذ نظرا اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة
مقدر ومدبر وناقلة من حال الى حال وقرئ وينعه بالضم يقال ينع الثمر ينعا وينعا وقرأ ابن محيصن
ويانعه وقرئ شركاء ان جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا كان
شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول فان قلت فما فائدة التقديم قلت فائدته استعظام
ان يتخذ لله شريك من كان ملكا او جنيا او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع
كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين والمعنى اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم كما يطاع
الله وقيل هم الذين زعموا ان الله خالق الخير وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار وخلقهم وخلق الجاعلين
لله شركاء ومعناه وعلموا ان الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من الخلق شركاء للخالق وقيل
الضمير للجن وقرئ وخلقهم اي واختلاقهم للافك يعني وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله تعالى في قولهم والله
امرنا بها وخرقوا له وخلقوا له اي افتعلوا له بنين وبنات وهو قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول
قريش في الملائكة يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسيل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت
العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله ويجوز ان يكون من
خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات
وقرأ ابن عمر وابن عباس وجرحل بمعنى وزقروا له اولاد الزور مخرف معنى الحق الى الباطل بغير
علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا من خطاء او صواب ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر ورؤية
بديع السموات والارض من اضافة صفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر اي بديع شعره او هو بديع
في السموات والارض كقولك فلان ثبت القدم اي ثابت فيه والمعنى ان عديم النظير والمثل فيهما وقيل البديع
بمعنى المبدع وارتفاعه على انه خبر مبتدأ محذوف وهو مبتدأ وخبر اني يكون له ولد او فاعل تعالى وقرئ الجن
ردا على قوله وجعلوا لله او على سبحانه جعله بدلا من الضمير في سبحانه وبالنصب على المدح وفيه ابطال الولد
من ثلثة اوجه احدها ان مبتدع السموات والارض وهي اجسام عظيمة لا يستقيم ان يوصف بالولادة لان الولادة
من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما والثاني ان الولادة لا تكون الا عن زوجين من جنس واحد وهو
حتى يكون والدا

متعال

ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء
فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير قد جاءكم
بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ وكذلك نصرف الآيات وليقولوا

١٩٠

متعال عن مجانسة فلم يصح ان يكون صاحبة فلم يصح الولادة والثالث انه ما من شيء الا وهو خالقه والعالم به
ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج وقرئ ولم يكن له صاحبة بالياء وانما جاز الفصل
لقوله لقد ولد الاخيطل ام سوء ذلكم اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده اخبار
مترادفة ومعنى الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اي ذلكم الجامع لهذه الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة
على معنى ان من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال
وهو على كل شيء وكيل يعني وهو مع تلك الصفات ماكل لكل شيء من الارزاق والآجال رقيب لا تدركه الابصار هو الجوهر اللطيف
الذي دكه الله في حاسة النظر به يدرك المبصرات فالمعنى ان الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال
عن ان يكون مبصرا في ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان في جهة اصلا او تابعا كالاجسام والهيئات
وهو يدرك الابصار وهو اللطيف ادراكه للمدركات يدل على تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها يدل اصلا وهو تابعا
اللطيف وهو اللطيف يلطف عن ان يدركه الابصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الابصار لانه لطف
عن ادراكه وهذا من باب اللف قد جاءكم بصائر من ربكم هو وارد على لسان رسول الله صلعم لقوله وما انا عليكم بحفيظ
والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز
على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر فمن ابصر الحق وآمن فلنفسه ابصر وايا ها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه
عمي واياها ضر بالعمى وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم وليقولوا
جواب محذوف تقديره وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست اي دارست
العلماء ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة
في درست اي اشتد درسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست وتدارست
اليهود محمدا وجاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز ان يكون الفعل للآيات وهي اهلها اي دارست
اهل الآيات وحملتها محمدا وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد ودارسات على هي دارسات اي قديمات
او ذات درس كعيشة راضية فان قلت ما الفرق بين اللامين في ليقولوا وليبينه قلت
الفرق بينهما ان الاولى مجاز والثانية حقيقة وذلك ان الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست
ولكن لانه حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه وجعل ليقولوا كما قيل لينبيته
فان قلت الاسم يرجع الضمير في قوله لينبيته قلت الى الآيات لانها في معنى القرآن كانه قيل وكذلك
نصرف القرآن او الى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز
ان يراد فيمن قرأ درست ودارست ودرست الكتاب ودارسته فيرجع الى الكتاب لتقدم الا هو

لا تدركه الابصار لانه متعال عن المجانسة

وأعرض عن المشركين ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل ولا تسبوا
الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم
فينبئهم بما كانوا يعملون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات

اعتراض أكد به إيجاب اتباع الوحي لما قبله من الإعراض ويجوز أن يكون حالا من ربك وهي حال مؤكدة كقوله وهو الحق
مصدقا ولا تسبوا الآلهة الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله وذلك أنهم قالوا لعنته قولوا لآلهتكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم لئلا تهيجوا عن سب آلهتنا أو لئلا يجوا الهلك وقيل كان المسلمون يسبون أصنامهم فنهوا لئلا
يكون سبهم سببا لسب الله فإن قلت سب الآلهة حق وطاعة فكيف صح النهي عنه وإنما يصح النهي عن المعاصي
قلت ربما كان طاعة علم أنها تكون مفسدة فتخرج عن أن تكون طاعة فيجب النهي عنها لأنها معصية ثم لأنها طاعة
كالنهي عن المنكر وهو من أجل الطاعات فإذا علم أنه يؤدي إلى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهي عن ذلك النهي
كما يجب النهي عن المنكر فإن قلت فقد روي عن الحسن وابن سيرين أنهما حضرا جنازة فمشى محمد نساء فرجع
فقال الحسن لو تركنا الطاعة لأجل المعصية لأسرع ذلك في ديننا قلت ليس هذا مما نحن بصدده لأن حضور
الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فإنهن يحضرنها حضر الرجال أو لم يحضروا بخلاف سب الآلهة
وإنما خيل إلى محمد رحمه الله مثله حتى نبه عليه الحسن عدوا ظلما وعدوانا وقرئ عدوا بضم العين وتشديد
الواو بمعناه يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء وعن ابن كثير عدوا بفتح العين بمعنى أعداء بغير علم
على جهالة بالله وإنما يجب أن يذكر به لذلك زينا لكل أمة مثل ذلك التزيين زينا لكل أمة من أمم الكفار سوء عملهم
أو خليناهم وشأنهم ولم نكرههم حتى حسن عندهم سوء عملهم أو أمهلنا الشيطان حتى زين لهم أو زينا في زعمهم
وقولهم إن الله أمرنا بهذا وزينه لنا فيبنيهم فيوبخهم عليه ويعاقبهم ثم إلى ربهم مرجعهم لئن جاءتهم آية من قترحاتهم
ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وهو قادر عليها ولكنه لم ينزلها لعلمه بموجب الحكمة وإنما الآيات عند الله
فكيف أجيبكم إليها وأنتم لا تدرون بذلك وذلك أن المؤمنين كانوا يطمعون في إيمانهم إذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال عز وجل
وما يدريكم أنهم لا يؤمنون على معنى أنكم لا تدرون ما سبق علمي به من أنهم لا يؤمنون ألا ترى إلى قوله كما لم يؤمنوا به أول
مرة وقيل إنها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق أنك تشتري اللحم وقال امرؤ القيس عوجا على الطلل المحيل
لأننا نبكي الديار كما بكى ابن خذام ويقويها قراءة أبي لعلها إذا جاءتهم لا يؤمنون وقرئ إنها بالكسر على أن الكلام
قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال إنها إذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من
جعل لا مزيدة في قراءة الفتح وقرئ وما يشعرهم أنها إذا جاءتهم لا يؤمنون أو يحلفون بأنهم عند مجيئها يؤمنون
وما يشعرهم أن يكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنون بها ونقلب
أفئدتهم وأبصارهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكمه وما يشعركم أنهم لا يؤمنون وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم وأبصارهم
أو نطبع على قلوبهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم

أو لعلها

معنى وما يشعركم

ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن
يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى
بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى إليه أفئدة الذين
لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا

191

وما يشعركم أنا ننزلهم فيطغيانهم أو نحيلهم وشأنهم ولا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقرئ ويقلب
ويذرهم أو الله عز وجل وقرئ بالنون وقرئ وتقلب أفئدتهم وأبصارهم على البناء للمفعول ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة
كما قالوا لولا أنزل علينا الملائكة وكلمهم الموتى كما قالوا فأتوا بآبائنا وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما قالوا وأتيت بالله
والملائكة قبيلا قبيلا كفلا بصحة ما بشرنا به وأنذرنا أو معاينة وقيل قبلا مقابلة وقرئ قبلا أي
عيانا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله مشيئة إكراه واضطرار ولكن أكثرهم يجهلون فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون
به من حال قلوبهم عند نزول الآيات أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أن هؤلاء لا يؤمنون إلا أن يضطرهم فيطمعون
في إيمانهم إذا جاءت الآية المقترحة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وكما خليناك بينك وبين أعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك
من الأنبياء وأعدائهم لم نمنعهم من العداوة ولما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب
والأجر وانتصب شياطين على البدل من عدوا أو على أنهما مفعولا القول وجعلوا لله شركاء الجن يوحي بعضهم إلى
بعض يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس وكذلك يوحي بعض الجن إلى بعض وبعض الإنس إلى بعض وعن مالك بن
دينار أن شيطان الإنس أشد علي من شيطان الجن إني إذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الإنس
يجيئني فيجرني عيانا خذها واخذها على غش ولو شاء ربك ما فعلوه ما فعلوا ذلك أو ما أوحى بعضهم
إلى بعض زخرف القول بأن يكفهم ولا يخليهم وشأنهم ولتصغى جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي
عدوا على أن اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر والضمير في إليه يرجع إلى ما رجع إليه الضمير في قوله أو ولتميل
إلى ما ذكر من عداوة الأنبياء ووسوسة الشياطين أفئدة الكفار وليرضوه لأنفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون
من الآثام أفغير الله أبتغي حكما على إرادة القول أو قل يا محمد أفغير الله أطلب حكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا
من المبطل وهو الذي أنزل إليكم الكتاب المعجز مفصلا مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق
وعليكم بالإنذار ثم عضد الدلالة على أن القرآن حق بعلم أهل الكتاب بأنه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له
فلا تكونن من الممترين من باب التهييج والإلهاب كقوله ولا تكونن من المشركين أو فلا تكونن من الممترين في أن أهل الكتاب
يعلمون أنه منزل بالحق ولا يدنيك بجحود أكثرهم وكفرهم به وجوز أن يكون فلا تكونن خطابا لكل أحد على معنى أنه إذا
تعاضدت الأدلة على صحته وصدقه فما ينبغي أن يمتري فيه أحد وقيل الخطاب لرسول الله خطاب لأمته
وتمت كلمات ربك أي تم كل ما أخبر به من وعد ووعيد وصدق وعدل لا مبدل لكلماته لا أحد يبدل شيئا من ذلك
بما هو أصدق وأعدل وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة ربك أي ما تكلم به وقيل هي القرآن وإن تطع
أكثر الناس يضلوك لأن الأكثر في غالب الأمر يتبعون أهواءهم ثم قال إن يتبعون إلا الظن ومن ظنهم أن آباءهم كانوا على
الحق فهم يقلدونهم وأنهم لا يخرصون يقدرون أنهم على شيء أو يكذبون في أن الله حرم كذا وأحل كذا وقرئ بمن

عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ﴿ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين ﴾ وما لكم ألا تأكلوا
مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون باهوائهم
بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين ﴿ وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم
سيجزون بما كانوا يقترفون ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين

يضل بضم الياء اي يضله الله فكلوا مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون
للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تأكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم او مات حتف انفه وما ذكر اسم الله عليه هو
المذكى بسم الله وما لكم الا تأكلوا واي غرض في ان لا تأكلوا وقد فصل لكم وقد بين لكم ما حرم عليكم وهو
قوله وحرمت عليكم الميتة وقرئ فصل لكم ما حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو الله عز وجل الا ما اضطررتم
اليه فما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بفتح الياء وضمها او يضلون فيحرمون
ويحللون باهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة ظاهر الاثم وباطنه ما اعلنتم منه وما اسررتم قيل
وما علنتم وما نويتم وقيل ظاهر الزنا في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر وانه لفسق الضمير راجع الى مصدر
الفعل الذي دخل عليه حرف النهي يعني وان الاكل منه لفسق او الى الموصول على ان اكله لفسق او جعل ما لم يذكر اسم الله عليه
في نفسه فسقا فان قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان او عمد قلت
قد تأول قوله وما لم يذكر اسم الله عليه بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه كقوله او فسقا اهل لغير الله به ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من
المشركين ليجادلوكم بقولهم ولا تأكلون مما قتله الله وهذا يمنع تأويل من تأول بالميتة انكم لمشركون اي من اتبع غير
الله في دينه فقد اشرك به ومن حق ذي البصيرة ان لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيف ما كان لما يدل في الآية
من التشديد العظيم وان كان ابو حنيفة رخص في النسيان دون العمد ومالك والشافعي فيهما مثل الذي هداه الله
بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين الحق والمبطل والمهتدي والضال الذي كان ميتا فاحياه الله
وجعل نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين جلابيبهم ومن بقي على الضلالة بالخابط
في الظلمات لا يتخلص منها ولا يتخلص ومعنى قوله كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون
فيها انهار اي صفتها هذه ومعنى قوله فيها انها زين للكافرين اي زينه الشيطان او الله عز وعلا على قول زينا
لهم اعمالهم ويدل عليه قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك
جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها لذلك ومعناه خليناهم ليمكروا وما كلفناهم من المكر وخص الاكابر لانهم هم الحاملون
على الضلال والمأكولون بالناس كقوله اخذ ناصيته فيها وقرئ اكبر مجرميها على تقديم اكبر قومهم واكابر قومهم
وما يمكرون الا بانفسهم لان مكرهم يحيق بهم وهذه تسلية لرسول الله صلعم وتقديم موعد بالنصرة عليهم روي ان الوليد بن
المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك اني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وروي ان ابا جهل قال زاحمنا بنو
عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا
وحي كما ياتيه فنزلت ونحوها قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة الله اعلم كلام مستأنف للانكار عليهم

ليوحون الى اوليائهم

فيها ومما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون

واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم

حيث يجعل رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون ﴿ فمن يرد
الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء
كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم
يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون

وان الله لا يصطفي للنبوة الا من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه سيصيب الذين اجرموا
من اكابرها صغار وقماءة بعد كبرهم وعظمهم وعذاب شديد في الدارين من الاسر والقتل وعذاب النار فمن يرد الله ان
يهديه ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الا من له لطف يشرح صدره للاسلام يلطف به حتى يرغب في الاسلام وتسكن
اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد ان يضله ان يخذله ويخليه وشأنه وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا
يمنع الطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد
حرجا بالكسر وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر كأنما يصعد في السماء كأنما يزاول امرا غير ممكن من صعود السماء مثل
فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة ويضيق عنه المقدرة وقرئ يصعد واصله يتصعد ويصاعد واصله يتصاعد
ويصعد من صعد ويصعد من اصعد يجعل الله الرجس يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به
التوفيق من الطيب او اراد الفعل المؤدي الى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وهذا صراط
ربك وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على انه حال مؤكدة
لقوله وهو الحق مصدقا لهم لقوم يذكرون دار السلام دار الله يعني الجنة اضافها الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة
من كل آفة وكدر عندهم في ضمانه كما تقول لفلان عندي عشرون ألفا وذخيرة لهم يعملون لاجلها كقوله فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهو وليهم محبهم او ناصرهم على اعدائهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم
او متولي امرهم بجزاء ما كانوا يعملون ويوم يحشرهم منصوب بمحذوف اي واذكر يوم يحشرهم قلنا يا معشر الجن ويوم
يحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان عالما يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم والجن هم
الشياطين قد استكثرتم من الانس اضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم اتباعكم يحشرهم كلهم الجم الغفير كما تقول
استكثر من الجنود واستكثر فلان من الاشياع وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم واستمعوا الى
وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى اسباب التوصل
اليها وانتفع الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في اغوائهم وقيل استمتاع الانس
بالجن ما في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وان الرجل كان اذا نزل واديا قال اعوذ برب
هذا الوادي يعني به كبير الجن واستمتاع الجن بالانس اعتراف الانس لهم بانهم يقدرون على الدفع عنهم واجارتهم لهم
وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعني يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الغوي
والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم خالدين فيها الا ما شاء الله اي يخلدون في عذاب النار الا مدة
عذاب الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا من الزمهرير ما يمنع بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون
الرحيل الى الحميم او يكون من قول الموتور الذي ظفر بواتر ولم يدل يحرق عليه انيابه وقد طلب اليه ان ينفس عن خناقه

الموتور الذي قتل قتيله ولم يدرك بثأره

إن ربك حكيم عليم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون يا معشر الجن والإنس ألم
يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم
الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها
غافلون

اهللي الله أن نفت عنك إلا إذا شئت وقد علم أنه لم يشأه إلا التشفي منه بأقصى ما يقدر عليه من التعنيف
والتشديد فيكون قوله إلا إذا شئت من أشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه
اطماع أن ربك حكيم يفعل شيئا لا بموجب الحكمة عليم بأن الكفار يستوجبون عذاب الأبد نولي بعض الظالمين بعضا
نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الإنس ونجعل بعضهم أولياء بعض يوم القيامة على جهة
التوبيخ ألم يأتكم رسل منكم واختلف في أن الجن هل بعث إليهم رسل فبعض يقول بعضهم بظاهر الآية ولم يفرق بين
مكلفين ومكلفين أن يبعث إليهم رسول من جنسهم لأنهم بشر آنس وله ألف وقال آخرون الرسل من الإنس خاصة
وإنما قيل رسل منكم لأنه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك وأن كان من أحدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
وقيل أراد رسل الرسل من الجن إليهم كقوله ولوا إلى قومهم منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل أن يبعث
محمد يبعثون إلى الإنس ورسول الله صلى الله عليه إلى الجن والإنس قالوا شهدنا على أنفسنا حكاية لتصديقهم وإيجابهم قوله
ألم يأتكم لأن الهمزة الداخلة على نفي إتيان الرسل للإنكار فكان تقريرا وقولهم شهدنا على أنفسنا اقرار منهم
بأن حجة الله لازمة لهم وأنهم محجوجون بها فإن قلت ما لهم معترفين في هذه الآية جاحدين في قوله والله ربنا
ما كنا مشركين قلت تتفاوت الأحوال والمواطن في ذلك اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في
بعض البعض أو يريد شهادة أيديهم وأرجلهم وجلودهم حين يختم على أفواههم فإن قلت لم كرر ذكر شهادتهم
على أنفسهم قلت الأولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف
لقلة نظرهم لأنفسهم وأنهم قوم غرتهم الحيوة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة أمرهم أن اضطروا إلى
الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وإنما قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم
ذلك إشارة إلى ما تقدم من بعثة الرسل إليهم وإنذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك وأن لم يكن
ربك مهلك القرى بظلم على أن أن هي التي تنصب الأفعال ويجوز أن يكون مخففة من الثقيلة على معنى أن الشأن
والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ولك أن تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر
هؤلاء مقطوع بظلم بسبب ظلم أقدموا عليه أو ظالما على أنه لو أهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان
ظلما وهو متعالي عن الظلم وعن كل قبيح ولكل من المكلفين درجات منازل مما عملوا من جزاء أعمالهم وما ربك بغافل
عما يعملون بشيء منه يخفى عليه مقادير أعمالهم وما يستحق عليه من الجزاء وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم
ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف لمنفعتهم للمنافع الدائمة إن يشأ يذهبكم أيها العصاة ويستخلف من بعدكم
ما يشاء من الخلق المطيع كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل
سفينة نوح عليه السلام مصدر يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن ويجيء المكانة بمعنى المكان ومكانة ومقام
مكون

وإن كل لما جميع لدينا محضرون وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته
فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم
مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به
فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم
الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات
النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا
ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم ذلك
ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور ذلك بأن الله يولج الليل في النهار
وأن الله سميع بصير ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير ألم تر أن الله
أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير له ما في السموات وما في الأرض وإن الله لهو
الغني الحميد ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض
إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤف رحيم وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور لكل أمة جعلنا
منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم وإن جادلوك فقل الله أعلم بما
تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض
إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم
وما للظالمين من نصير وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون
بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير يا أيها الناس
ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا
لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز الله يصطفي من الملائكة
رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور يا أيها الذين آمنوا
اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم
وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول
شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى
ونعم النصير

وجاهدوا في الله حق جهاده وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين
إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث
والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو
يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم
وليلبسوا عليهم دينهم

١٩٢

ومقامه وقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم من أمركم واقصوا استطاعتكم وإمكانكم واعملوا على
جهتكم وحالكم التي أنتم عليها يقال للرجل إذا أمر أن يثبت على ما أنت عليه لا تنحرف عنه إني عامل على مكانتي
التي أنا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فإني ثابت على الإسلام وعلى مصابرتكم فسوف تعلمون أينا لمن
العاقبة المحمودة وطريقة هذا الأسلوب أمر مطرطقة قوله اعملوا ما شئتم ومعنى التخلية والتعجيل على المأمور
بأن لا يأتي منه إلا الغدر فكأنه مأمور به وهو واجب عليه حتم ليس له أن ينفضي عنه ويعمل بخلافه فإن قلت
ما موضع من قلت الرفع إذا كان بمعنى أي وعلق عنه فعل العلم أو النصب إذا كان بمعنى الذي عاقبة
الدار العاقبة الحسنى التي خلق الله هذه الدار لها وهذا طريق من الإنذار لطيف المسلك فيه إنصاف في المقال
وأدب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بأن المنذر محق وأن المنذر مبطل كانوا يعينون أشياء من
حرث ونتاج لله وأشياء منه لآلهتهم فإذا رأوا ما جعلوه للأصنام تركوه لها واعتلوا بأن الله غني وإنما ذلك
لحرمتهم آلهتهم وإيثارهم لها وقولهم مما ذرأ فيه أن الله كان أولى بأن يجعل له الزاكي لأنه هو الذي ذرأه وزكاه
ولا يرد ذلك إلى ما لا يقدر على ذرء ولا تزكية بزعمهم وقرئ بالضم أو قد زعموا أنه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع
لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لأنهم أشركوا بين الله وبين أصنامهم في القربة فلا يصل إلى الله إلا ما يصل إلى
الوجوه التي كانوا يصرفونه إليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين فهو يصل إلى شركائهم من النفاق
عليها بذبح نسائك عندها والإجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون في إيثار آلهتهم على الله وجعلهم ما لم يشرع
لهم وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربات بين الله والآلهة أو ومثل ذلك التزيين البليغ
الذي علم من الشياطين أو من سدنة الأصنام زينوا لهم قتل أولادهم بالوأد أو بنحرهم للآلهة وكان الرجل يحلف
في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما ليجزرن أحدهم كما حلف عبد المطلب وقرئ زين على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم
بإضمار فعل دل عليه زين كأنه قيل لما قيل زين لهم قتل أولادهم من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم وأما قراءة ابن عامر
قتل أولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف
فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج وزج القلوص أبي مزاده فكيف بعد في الكلام
المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف شركائهم
مكتوبا بالياء ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم لسوغ له ذلك ضرورة عن هذا
الارتكاب ليردوهم ليهلكوهم بالإغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوه عليهم وينقصوه ودينهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل
حتى أدخلوا عليهم الشرك وقيل دينهم الذي وجب أن يكونوا عليه وقيل معناه وليوقعوهم في دين ملتبس
فإن قلت ما معنى اللام قلت إن كان التزيين من الشياطين فهي على حقيقة التعليل وإن كان من السدنة

ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم
وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا
ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم
إنه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا
وما كانوا مهتدين

فعال بمعنى الصيرورة ولو شاء الله مشيئة قسر ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل أو ما فعل الشياطين
أو السدنة المزينين أو المرداء أو اللبس وجميع ذلك إذا جعلت الضمير جاريا مجرى اسم الإشارة وما يفترون
ما يفترونه من الإفك أو افتراءهم حجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث
والواحد والجمع لأنه حكم حكم الأسماء غير الصفات وقرأ الحسن وقتادة حجر بضم الحاء وعن ابن عباس حجر
وهو من التضييق وكانوا إذا اعتنوا الشيء وحرمه وأنعامهم لأنهم قالوا لا يطعمها إلا من نشاء بعضوة خدم
الأوثان والرجال دون النساء وأنعام حرمت ظهورها وهي البحائر والسوائب والحوامي وأنعام لا يذكرون
اسم الله عليها في الذبح وإنما يذكرون عليها أسماء الأصنام وقيل لا يحجونه عليها ولا يركبونه على ظهورها
والمعنى أنهم قسموا أنعامهم فقالوا هذه أنعام حجر وهذه أنعام محرمة الظهور وهذه أنعام لا يذكر عليها اسم الله ثم
جعلوها أجناسا بهوائهم ونسبوا ذلك التجنيس إلى الله افتراء عليه أو فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء وانتصابه
على أنه مفعول له وحال أو مصدر وكذلك قولهم ذكر في معنى الافتراء كأنهم قالوا يقولون في أجنة البحائر والسوائب
ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور ولا يأكل منه الإناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والإناث وأنث
خالصة للحمل على المعنى لأن ما في معنى الجنة وذكر محرم للحمل على اللفظ ونظيره ومنهم من يستمع إليك حتى
إذا خرجوا من عندك ويجوز أن يكون التاء للمبالغة مثلها في راوية الشعر وأن يكون مصدرا وقع موقع الخالص
كالعافية أو ذو خالصة وتدل عليه قراءة من قرأه خالصة بالنصب على أنه قوله للذكور ناهو الخبر وخالصة مصدر مؤكد
ولا يجوز أن يكون حالا متقدمة لأن المجرور لا يتقدم حاله وقرأ ابن عباس خالصه على الإضافة وفي مصحف عبد الله
خالص وإن تكن ميتة وإن يكن في بطونها ميتة وقرئ وإن تكن بالتأنيث على وإن تكن الجنة ميتة وقرئ
أهل مكة ميتة بالتأنيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير في قوله فهم فيه شركاء لأن الميتة تحتمل ذكرا وأنثى
فكأنه قيل وإن تكن ميتة فهم فيه سواء سيجزيهم وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم
من قوله وتصف ألسنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام فنزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين يئدون بناتهم
مخافة السبي والفقر سفها بغير علم لخفة أحلامهم وجهلهم بأن الله هو رازق أولادهم لا هم وقرئ قتلوا
بالتشديد ما رزقهم الله من البحائر والسوائب وغيرها أنشأ جنات من الكروم معروشات وغير معروشات
متروكات على وجه الأرض لم تعرش وقيل المعروشات ما في الأرياف والقرى مما غرسه الناس واعتنوا
به فعرشوه وغير معروشات ما أنبته الله وجنى في البراري والجبال فهو غير معروش وقال الزجاج
إذا جعلت له دعائم وسكا تعطف عليه القضبان وسقف البيت عرش مختلفا أكله في الطعم واللون والحجم
والرائحة وقرئ أكله بالضم والسكون وهو شاذ الذي يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا

وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات مختلفا أكله

والقضب واحد القضبان وهي الأغصان

عليه ومختلفا حال مقدرة لأنه لم يكن وقت الإنشاء كذلك كقوله فادخلوها خالدين وقدرئ ثمره بضمتين
فإن قلت ما فائدة قوله إذا أثمر وقد علم أنه إذا لم يثمر لم يؤكل منه قلت لما أبيح لهم الأكل
من ثمره قيل إذا أثمر ليعلم أن أول وقت الإباحة وقت إطلاع الثمر لئلا يتوهم أن الإباحة إذا أدرك
وأينع وآتوا حقه يوم حصاده الآية مكية والزكوة إنما فرضت بالمدينة وأريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين
يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر وقيل مدنية والحق هو الزكوة المفروضة ومعناه ولا تبخلوا
في إيتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الإيتاء ولا تسرفوا في الصدقة كما
روي عن ثابت بن قيس أنه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيئا إلى منزله ولا تبسطها كل البسط
فتقعد ملوما محسورا جهولا وفرشا عطف على جنات أو وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح أو يتخذ
من وبره وصوفه الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم
سماها أينة من الأرض لطافة أجرامها مثل الفرش المفروش ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند
أنفسكم كما فعل أهل الجاهلية ثمانية أزواج بدل من حمولة وفرشا اثنين زوجين اثنين يريد الذكر والأنثى كالجمل والناقة
والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد إذا كان وحده فهو فرد وإذا كان معه غيره من جنسه سمي كل
واحد منهما زوجا وهما زوجان قوله خلق الزوجين الذكر والأنثى والدليل عليه قوله ثمانية أزواج ثم فسرها بقوله من الضأن
اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط أن يكون معه آخر تسميتهم
الدجاجة كاسا بشرط أن يكون فيها خرق والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وقرئ بفتح العين وقرأ الحسن
ومن المعزى وقرئ اثنان على الابتداء الهمزة في آلذكرين للإنكار والمراد بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز
وبالأنثيين الأنثى من الضأن والأنثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى أنكار أن يحرم الله من جنس الغنم ضأنها ومعزها
شيئا من نوعي ذكورها وإناثها ولا مما تحمل إناث الجنسين وكذلك الذكران من جنس الإبل والبقر والأنثيان منهما وما تحمل إناثهما
وذلك أنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة وأولادها كيفما كانت ذكورا وإناثا ومختلطة تارة وكانوا
يقولون قد حرمها الله فأنكر ذلك عليهم بتوبيخهم بعلم أخبروني بأمر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم إن كنتم صادقين
في أن الله حرم أم كنتم شهداء ومعنى الهمزة الإنكار يعني أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم وذلك المشاهدة على مذهبهم
لأنهم كانوا لا يؤمنون برسول ثم يقولون الله حرم هذا الذي تحرمه فلذلك بهتهم في قوله أم كنتم شهداء على معنى أحرفتم التوصية
به مشاهدين أنكم لا تؤمنون بالرسل فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب إليه تحريم ما لم يحرم ليضل الناس وهو عمرو بن
لحي من خزاعة الذي بحر البحائر وسيب السوائب فإن قلت كيف فصل بين بعض المحدود وبعضه ولم يوال بينه
قلت قد وقع التفاصيل بينهما اعتراضا غير أجنبي من المحدود وذلك أن الله عز وجل من على عباده بإنشاء الأنعام

الأنعام الأنثيين سموني بعلم إن كنتم صادقين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين

قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس
أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا

لمنافعهم وبإباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على مزعمهما تأكيد وتشديد للتحليل والاعتراضات في الكلام إنشاء الإنكار فيما أوحي إليه تنبيه على أن التحريم إنما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الأنفس محرما طعاما يحرمنا من المطاعم التي حرمتموها إلا أن يكون الشيء المحرم ميتة أو دما مسفوحا مصبوبا سائلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق بعد الذبح أو فسقا عطف على المنصوب قبله سمي ما أهل لغير الله فسقا لتوغله في باب الفسق ومنه قولهم ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وأهل صفة له منصوبة المحل ويجوز أن يكون مفعولا له من أهل إذا أهل لغير الله به فسقا فإن قلت فلم لم يعطف أهل والأم يرجع للضمير في به على هذا التأويل قلت يعطف على يكون ويرجع الضمير إلى ما رجع إليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة إلى أكل شيء من هذه المحرمات غير باغ على مضطر مثله بتأكل لمواساته ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله فإن ربك غفور رحيم لا يؤاخذه والظفر ما له إصبع من دابة أو طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم ذلك عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما كقولك من زيد أخذت ماله تريد بالإضافة بعض زيادة الربط والمعنى أنه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما إلا الشحوم الخاصة وهي الثروب وشحوم الكلى وقوله إلا ما حملت ظهورهما يعني إلا ما اشتملت على الظهور والجنوب من السخفة أو الحوايا أو ما استمل على الأمعاء أو ما اختلط بعظم وهو شحم الألية وقيل الحوايا عطف على شحومهما أو بمن لتبيين قولهم جالس الحسن وابن سيرين ذلك الجزاء جزيناهم وهو تحريم الطيبات ببغيهم بسبب ظلمهم وإنا لصادقون فيما أوعدناه العصاة لا نخلف ما وعدناه أهل الطاعة فإن عصوا وبغوا أنجزنا بهم الوعيد وأحللنا بهم العقاب فإن كذبوك في ذلك فقل إن الله واسع الرحمة وإنه لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودا وكرما فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لأهل طاعته ولا يرد بأسه مع سعة رحمته عن القوم المجرمين فلا يغتر برجاء رحمته عن خوف نقمته سيقول الذين أشركوا إخبار بما سوف يقولونه ولما قالوا قال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يعنون بكفرهم وشركهم إن شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما أحل الله بمشيئة الله وإرادته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك مذهب الجبرية بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم أي جاءوا بالتكذيب المطلق لأن الله عز وجل ركب في العقول وأنزل في الكتب ما دل على غناه وبرائته من مشيئة القبائح وإرادتها والرسل أخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وإرادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله وهذا دليل العقل والسمع وبأن ظهر حتى ذاقوا بأسنا حتى أنزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من أمر معلوم يصح به الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه لنا وهذا من التهكم والشهادة بأن مثل قولهم محال أن يكون له حجة أن تتبعون إلا الظن

قل لله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون
أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون
بالآخرة وهم بربهم يعدلون قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين
إحسانا ولا تقتلوا أولادكم

في قولكم هذا وإن أنتم إلا تخرصون تقدرون أن الأمر كما تزعمون أو تكذبون وقرئ كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف قل فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم فلو شاء لهداكم أجمعين منكم ومن مخالفيكم في الدين فإن تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي أن تعلقوا دين من يخالفكم أيضا بمشيئته فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لأن المشيئة تجمع بين ما أنتم عليه وبين ما هم عليه هلم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع فإن جاءوا بشهدائهم وقد جاءوهم فإن قلت كيف أمره باستحضار شهدائهم الذين يشهدون أن الله حرم ما زعموا تحريمه ثم أمره بأن لا يشهد معهم قلت أمره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء أنهم ليسوا على شيء لتساوي أقدام الشاهدين والمشهود لهم في أنهم لا يرجعون إلى ما يصح التمسك به وقوله فإن شهدوا يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا ولا تصدقهم لأنه إذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لأنه لو تبع الدليل لم يكن إلا مصدقا بآيات موحد الله فإن قلت هلا قيل قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا وأي فرق بينه وبين المنزل قلت المراد أن يحضروا شهداءهم الذين علم أنهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتقدون شهادتهم ليهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فأضيف الشهداء إلى ذلك مجيء بالذين للدلالة على أنهم شهداء معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل هلم شهداءكم يشهدون لكان معناه هاتوا الذين شهدوا بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وذلك ليس بالغرض وينافضه قوله فإن شهدوا فلا تشهد معهم تعالى من الخاص الذي صار عاما واصله أن يقول من مكان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى سموا به كل طلب وما حرم منصوب بأتل الذي هو تعالوا أتل الذي حرمه ربكم أو بحرم بمعنى أتل أي شيء حرم ربكم لأن التلاوة من القول وأن في أن لا تشركوا مفسرة ولا للنهي فإن قلت هلا قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت أن لا تشركوا بدلا مما حرم قلت وجب أن لا يكون لا تشركوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهي لأن الطاعات الأوامر جلبها وهي قوله وبالوالدين إحسانا وأوفوا وإذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله أوفوا فإن قلت فما تصنع بقوله وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وإنما يستقيم عطفه على أن لا تشركوا إذا جعلت أن هي الناصبة للفعل حتى يكون الفعل المعنى نفي الاشتراك والتوحيد وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيما قلت أجعل قوله وأن هذا صراطي مستقيما علة للاتباع بتقدير اللام كقوله وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا بمعنى ولأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر كأنه قيل واتبعوا صراطي لأنه مستقيم وأتبعوا صراطي مستقيما فإن قلت إذا جعلت أن مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب أن يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك وما بعده فما دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالأوامر قلت

من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم
الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ
أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى

لما وردت هذه الأوامر مع النواهي وتقدمهن جميعا فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم أن التحريم راجع
إلى أضدادها وهي الإساءة إلى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله من إملاق من
أجل فقر ومن خشيته كقوله خشية إملاق ما ظهر منها وما بطن مثل قوله ظاهر الإثم وباطنه إلا بالحق كالقصاص
والقتل على الردة والرجم إلا بالتي هي أحسن إلا بالخصلة التي هي أحسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره
والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ أشده فادفعوه إليه بالقسط بالتسوية والعدل لا نكلف نفسا إلا وسعها إلا ما يسعها
ولا تعجزه وإنما أتبع الأمر بإيفاء الكيل والميزان ذلك لأن مراعاة الحد من القسط الذي هو زيادة فيه ونقصان
مما يجري مجرى الجور فأمر ببلوغ الوسع وإن ما وراءه معفو عنه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيره
من أهل قرابة القائل فما ينبغي أن يزيد أو ينقص كقوله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين وقرئ وأن هذا صراطي
بتخفيف أن وأصله وأنه هذا صراطي على أن الهاء ضمير الشأن والحديث وقرأ الأعمش وهذا صراطي وفي مصحف
عبد الله وهذا صراط ربكم وفي مصحف أبي وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة في الدين من اليهودية
والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات فتفرق بكم فتذرقكم أيادي سبا عن سبيله عن صراط الله المستقيم
وهو دين الإسلام وقرئ تتفرق بإدغام التاء وروى أبو وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خط خطا
ثم قال هذا سبيل الله ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا هذه
الآية وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وعن ابن عباس رضي الله عنه هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل
إنهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الأحبار والذي نفس كعب بيده إن هذه الآيات
لأول شيء في التوراة فإن قلت علام عطف قوله ثم آتينا موسى الكتاب قلت على وصاكم به فإن قلت
كيف صح عطفه عليه وثم والإيتاء قبل التوصية بدهور قلت هذه التوصية قديمة لم تزل توصي بها كل أمة
على لسان نبيها كما قال ابن عباس رضي الله عنه محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكأنه قيل ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا
وحيا ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى الكتاب وأنزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل نظم
السورة من قوله ووهبنا له إسحاق ويعقوب تماما على الذي أحسن تماما للكرامة والنعمة على الذي أحسن على من كان محسنا
صالحا يريد جنس المحسنين ويدل عليه قراءة عبد الله على الذين أحسنوا أو أراد به موسى عليه السلام تتمة للكرامة على العبد الذي
أحسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما أمر به أو تماما على الذي أحسن موسى من العلم والشرائع من أحسن الشيء إذا أجاده
معرفة أو زيادة على علمه على وجه التتميم وقرأ ابن أبي إسحاق تمام على الذي أحسن على الذي هو أحسن بحذف المبتدأ كقوله
مثلا ما بعوضة برفع الرفع أو على الذي هو أحسن دين وأرضاه وآتينا موسى الكتاب تماما كاملا
على أحسن ما يكون عليه الكتب على الوجه والطريق والطريق الذي هو أحسن وهو معنى قول الكلبي أتم الله الكتاب على أحسنه

أو أتم الله لموسى

وهذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم

وصاكم به لعلكم تتقون

في التقديم

وأوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون

وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين
أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم

١٩٦

أن تقولوا كراهة أن تقولوا أو لئلا تقولوا على طائفتين يريدون أهل التوراة وأهل الإنجيل وإن لما في إن المخففة من الثقيلة واللام
هي الفارقة بينها وبين النافية والأصل وإنه كنا عن دراستهم غافلين على أن الهاء ضمير الشأن عن دراستهم عن قراءتهم أي
لم نعرف مثل دراستهم لكتابهم أهدى منهم لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا وغزارة حفظنا لأيام العرب ووقائعها
وخطبها وأشعارها وأسجاعها وأمثالها على أنا أميون وقرئ أن يقولوا أو يقولوا بالياء فقد جاءكم بينة من ربكم
تبكيت لهم وهو على قراءة من قرأ يقولوا على لفظ الغيبة أحسن لما فيها من الالتفات والمعنى أن صدقتم فيما كنتم تعدون
من أنفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من أجاسن الحذوف فمن أظلم ممن كذب بآيات الله بعدما عرف
صحتها وصدقها أو تمكن من معرفة ذلك وصدف عنها الناس فضل وأضل سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا
سوء العذاب كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب الملائكة ملائكة الموت والعذاب
أو آيات ربك أو بآيات ربك بدليل قوله أو يأتي بعض آيات ربك يريد آيات القيامة والهلاك الكلي وبعض
الآيات أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغيره كل وعن البراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان
والدابة والدجال ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن لم تكن آمنت من قبل صفة لقوله نفسا وقوله أو كسبت في
إيمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى أن أشراط الساعة إذا جاءت وهي آيات ملجئة مضطرة ذهب أوان التكليف
عندها فلم ينفع الإيمان نفسا غير مقدمة إيمانها من قبل ظهور الآيات ومقدمة إيمانها غير كاسبة خيرا فلم يندرج
كالذي بين النفس الكافرة إذا آمنت في غير وقت الإيمان وبين النفس التي آمنت في وقتها ولم تكسب خيرا للعالم
أن قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغي أن ينفك إحداهما عن الأخرى حتى يقول صاحبها ويعد
والمراد بالشقوة والهلاك قل انتظروا إنا منتظرون وعيد وقرئ أن يأتيهم الملائكة بالياء والتاء وقرأ ابن
سيرين لا ينفع بالتاء لكون الإيمان مضافا إلى ضمير الموت الذي هو بعضه كقولك ذهبت بعض أصابعه فرقوا دينهم
اختلفوا كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية
إلا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وتفترق أمتي
على ثلث وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وقرئ فارقوا أي تركوه
وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تشيع إماما لها ليست منهم في شيء من التوالي عنهم وعن تعذيبهم وقيل من عقابهم وقيل
هي منسوخة بآية السيف عشر أمثالها على إقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات أمثالها وقرئ
عشر أمثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا أقل ما وعد من الأضعاف وقد وعد بالواحد سبعمائة ووعد ثوابا بغير
فلا يجزى إلا مثلها

من كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون هل ينظرون إلا أن تأتيهم
الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في
إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم
بما كانوا يفعلون من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها

وهم لا يظلمون قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل إن
صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين قل أغير الله أبغي
ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم

حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافات السيئات عدل وهم لا يظلمون لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم
فيه نصب على البدل من محل إلى صراط لأن معنى هداني صراطا بدل قوله وهداكم صراطا مستقيما والقيم فيعل من
قام كسيد من ساد وهو أبلغ من القيام وقرئ قيما والقيم مصدر بمعنى القيام وصف به وملة إبراهيم عطف
بيان وحنيفا حال من إبراهيم أن صلاتي ونسكي وعبادتي وتقربي كلها وقيل ذبحي وجمع بين الصلاة
والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي من مناسك الحج ومحياي ومماتي وما آتيه في حيوتي
وأموت عليه من الإيمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه وبذلك من الإخلاص أمرت وأنا أول
المسلمين لأن إسلام كل نبي متقدم على إسلامي أغير الله أبغي ربا جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهتهم والهمزة
للإنكار أي منكرا أن أبغي ربا غيره وهو رب كل شيء فكيف أبغي غيره وكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال
قل أغير الله تأمروني أعبد ولا تكسب كل نفس إلا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم جعلكم
خلائف الأرض لأن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فخلفت أمته سائر الأمم أو جعلكم يخلف بعضهم بعضا أو هم خلفاء
الله في أرضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض في الشرف والرزق ليبلوكم فيما آتاكم من نعمة الجاه
والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغني بالفقير إن ربك سريع العقاب
لمن كفر نعمته وإنه لغفور رحيم لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لأن ما هو آت قريب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح والتحميد فمن قرأها الأنعام
صلى عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الأنعام يوما وليلة

سورة الأعراف مكية غير ثلاث آيات واسألهم عن القرية إلى إذ أخذنا الجبل وهي مائتان وأربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم كتاب خبر مبتدأ محذوف أي هذا كتاب أنزل إليك صفة
له والمراد بالكتاب المسمى فلا يكن في صدرك حرج أي شك منه كقوله فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك سمي الشك حرجا
لأن الشاك ضيق الصدر حرجه كما أن المتيقن منشرح الصدر منفسحه أو لا تشك في أنه منزل من الله أو حرج من
تبليغه لأنه كان يخاف قومه وتكذيبهم له وإعراضهم عنه وأذاهم فكان يضيق صدره من الرد والانبساط له فأمنه الله
ونهاه عن المبالاة بهم فإن قلت ثم تعلق قوله لتنذر قلت بأنزل إليك لأنذر به أو بالنهي لأنه إذا لم يخشهم
أنذرهم وكذلك إذا أيقن أن من عند الله شجعه اليقين على الإنذار لأنه صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على
عصمته فإن قلت فما محل ذكرى قلت يحتمل الحركات الثلاث النصب بإضمار فعلها كأنه قيل لتنذر به وتذكر
تذكيرا أو الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطف على كتاب أو بأنه خبر مبتدأ محذوف والجر للعطف على أن تنذر أي للإنذار
والذكرى فإن قلت النهي في قوله فلا يكن جيء متوجها إلى الحرج فما وجه قلت هو من قولهم لا أريتك ههنا

فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين

اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون وكم من قرية أهلكناها
فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين فلنسألن
الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين

اتبعوا ما أنزل إليكم من القرآن والسنة ولا تتبعوا من دونه من دون الله أولياء أي ولا تتولوا من دونه من
شياطين الجن والإنس فيحملوكم على عبادة الأوثان والأهواء والبدع ويضلونكم عن دين الله وما أنزل إليكم
وأمركم باتباعه وعن الحسن يا بن آدم أنزلت باتباع كتاب الله وسنة محمد والله ما نزلت آية إلا وتحب
أن تعلم فيم أنزلت وما معناها وقرئ ما كل من دينا ولا تتبعوا من الابتغاء ومن بمعنى غير الإسلام دينا
ويجوز أن يكون الضمير في من دونه لما أنزل على ولا تتبعوا من دون دين الله دين أولياء قليلا ما تذكرون حيث
تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرئ تذكرون بحذف التاء ويتذكرون بالياء وقليلا نصب بتذكرون
أي تتذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتأكيد القلة فجاءها فجاءوا أهلها بياتا مصدر واقع موقع الحال بمعنى
بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وقولهم قائلون حال معطوفة على بياتا كأنه قيل فجاءهم بأسنا
بائتين أو قائلين فإن قلت هلا يقدر حذف المضاف الذي هو الأهل قبل قرية أو قبل الضمير في أهلكناها
قلت إنما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فإن القرية تهلك كما يهلك أهلها وإنما قدرناه قبل الضمير
في فجاءها كقوله أو هم قائلون فإن قلت لم يقال جاءني زيد هو وفارس بغير واو وبالواو في قوله هم قائلون
قلت قد رد بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد راجلا أو هو فارس وأطلق
زيد هو فارس لم يحتج فيه إلى الواو لأن الذكر قد عاد على الأول والصحيح أنها إذا عطفت على حال لتبلها جاز فيها الواو
استقلالا لاجتماع جهتي العطف لأن فاء الحال هي واو العطف استكثرت للعطف فقولك جاءني زيد راجلا
أو هو فارس كلام فصيح وأردفه على جاءني زيد هو فارس قبيح فإن قلت فما معنى قوله أهلكناها
فجاءها بأسنا والإهلاك إنما هو بعد مجيء البأس قلت معناه أردنا إهلاكها كقوله إذا قمتم إلى الصلاة وإنما
خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لأنهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما أشد
وأفظع وقوم لوط أهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة فما كان دعواهم ما كانوا يدعونه من دينهم
ويتخلصون من مذهبهم إلا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم إنا كنا ظالمين فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم
إلا قولهم هذا لأنه لا يستغاث من الله بغير من قولهم دعواهم يا ويلنا ويجوز فما كان معناهم دأبهم إلا اعترافهم لعلمهم أن
الدعاء لا ينفعهم وأن لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم أنفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب خبر لكان
وإن قالوا رفع اسم له ويجوز العكس فلنسألن الذين أرسل إليهم مسند إلى الجار والمجرور وهو إليهم ومعناه فلنسألن
المرسل إليهم وهم الأمم يسألهم عما أجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين وكيف
عما أجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم المرسلين فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل إليهم ما كان منهم
أي عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم فإن قلت

والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين
خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون
ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين

فاذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم قلت معناه التوبيخ والتقريع والتقرير اذا
قالوا به بألسنتهم وشهد عليهم أنبياؤهم والوزن يومئذ الحق يعني وزن الاعمال واليقين بين راجحها وخفيفها
ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته او الوزن يوم يسأل الله الامم ورسلهم الوزن الحق او العدل وقرئ
القسط واختلف في كيفية الوزن فقيل يوزن صحف الاعمال ميزانه لها لسان وكفتان يتعلق اليه الخلائق تأكيدا للحجة
واظهارا للنصفة وقطعا للعذر لانه كما يسألهم عن اعمالهم فيعترفون بها بألسنتهم ويشهد بها أيديهم وأرجلهم
وجلودهم ويشهد عليهم الانبياء والملائكة والارض كما ثبت في صحيح فيقرونها في موقف الحساب وقيل هي
عبارة عن القضاء السوي والحكم العدل فمن ثقلت موازينه أو موزونه او من رجحت اعماله الموزونة
التي لها وزن وقدر وهي الحسنات او ما توزن به حسناتهم وعن الحسن وحق لميزان توضع فيه الحسنات
ان يثقل وحق لميزان ان توضع فيه السيئات ان يخف بآياتنا يظلمون يكذبون بها ظلما لقوله فظلموا بها مكناكم
في الارض جعلناكم فيها مكانا او ملكناكم واقدرناكم معايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب
وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح الياء وعن ابن عامر انه همز على التشبيه بصحائف ولقد خلقناكم
ثم صورناكم يعني خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك الا ترى الى قوله ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم من الساجدين ممن سجد لآدم لا في ان تسجد صلة بدليل قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدي ومثلها ليئلا يعلم اهل الكتاب ولئلا يعلم فان قلت ما فائدة زيادتها قلت توكيد معنى
الفعل الذي يدخل عليه وتحقيقه كانه قيل ليتحقق علم اهل الكتاب وما منعك ان تحقق السجود وتلزمه
نفسك اذ امرتك لان امرتك لك بالسجود اوجبه عليك وحتمه حتما لا بد لك منه فان قلت لم سأله عن
المانع من السجود وقد علم ما منعه قلت للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله
وازدرائه باصل آدم وانه خالف امر ربه معتقدا انه غير واجب عليه لما رأى ان سجود الفاضل للمفضول خارج
من الصواب فان قلت كيف قوله انا خير منه جوابا لما منعك وانما الجواب ان يقول منعني كذا
قلت قد استأنف قصة اخبر فيها وهو انكار للامر واستبعاد ان يكون عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة
فضله عليه وهو ان اصله من نار واصل آدم من طين فعلم منها الجواب وزيادة عليه وهي انكار الامر
واستبعاد ان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كانه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعدا ان يؤمر بما
امر به فاهبط منها من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين
المتكبرين من الثقلين فما يكون لك فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين من اهل الصغار
والهوان على الله وعلى اوليائه لتكبرك كما تقول للرجل قم صاغرا اذا اهنته وفي ضده قم راشدا وذلك انه

قال ما منعك ان تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين

عند الله وعند اوليائه

لما اظهر الاستكبار ايئس الضعفاء وعن عمر رضي من تواضع لله رفعه الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن
تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض قال فأنظرني قلت لم اجيب الى استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده
ويغويهم قلت لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من اعظم الثواب في حكمه حكم ما خلق في
الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ والمشاهي وما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده فيما
اغويتني فبسبب اغوائك اياي لاقعدن لهم وهو تكليفه اياه ما وقع به الغوي ولم يثبت كما ثبت الملائكة مع كونهم
افضل منه ومن آدم انفسا ومناصب عن الامر بالسجود فجعلني الآثم على معصيتك والمغوي فبسبب غوائك
في الغي لاجتهدن في اغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم فان قلت بم تعلقت الباء فان
تعلقها بلاقعدن تعترض عنده لام القسم لا تقول والله لزيدن لآمرنه قلت تعلقت بفعل القسم المحذوف
تقديره فبما اغويتني اقسم بالله لاقعدن لهم بالاغواء لانه كان تكليفا والتكليف من اجل افعال الله لكونه
تعريضا للسعادة الابدية فكان جديرا بان يقسم به ومن تكاذيب المجبرة ما حكوا عن طاوس لقوم اوثقام فقام
الرجل فقيل له الرجل اتقول هذا لرجل فقيه فقال ابليس اتقوا منه قال ربما اغويتني ثم ابتدأ الاقعدن والباء للالصاق
اذا دخل حرف الجر على ما لا يستهزأ به قليل غاذ واصل الغي الفساد ومنه غوى الفصيل اذا انتفخ والبشم الفساد
لاقعدن لهم صراطك المستقيم لاعترضن لهم على طريق الاسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطع على السابلة وانتصابه
على الظرف لقوله كما عسل الطريق الثعلب وشبهه الزجاج بقولهم ضربت زيدا الظهر والبطن او على الظرف
والبطن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه قعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك
فعصاه فأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتترك فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له
تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل ثم لآتينهم من الجهات الاربع التي يأتي منها العدو في الغالب
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن شمائلهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف الجاوزة
عليهم بخيلك ورجلك فان قلت كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة
قلت المفعول فيه عدي اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية في ذلك اختلفت في هذا
وكانت لغة توخذ ولا تتأس وانما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما اعتادهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله
وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجانبا
عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجانبين وغيره كما ذكرناه في تعال ونحو من المفعول به
قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعلي عليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدأ
الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه يعني في انهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لمرة يقع في
بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وعن شتيق ما من صباح الا وشيطان على اربعة مراصد

صراطك المستقيم

الى يوم يبعثون قال فبما اغويتني لاقعدن لهم
ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم

ولا تجد اكثرهم شاكرين قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين ويا آدم
اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان
ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او

من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ وانى
لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني الضيعة على عيالي فاقرأ وما من دابة الا على الله رزقها واما
من قبل يميني فيأتيني من قبل الثناء في العاقبة فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات
فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولا تجد اكثرهم شاكرين قال تظنيا بدليل قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه
وقيل سمعه من الملائكة باخبار الله لهم مذءوما من ذأم اذا ذام وقرأ الزهري مذوما بالتخفيف مثل
مسول في مسئول واللام في لمن تبعك موطئة للقسم ولا ملأن جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط وهو تبعك ومنهم تغليب
ضمير المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد
وهو قوله لاملأن جهنم منكم اجمعين على ان الملائكة في محل الابتداء ولمن تبعك خبر ويا آدم وقلنا يا آدم وقرئ
هذي الشجرة والاصل الياء والهاء بدل منها يقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه وسوس الحلي وهو
فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس
له ومسوس اليه وهو الذي يلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه القاها
اليه ليبدي جعل ذلك غرضا له ليسوء مما اذا رأيا ما يوشاه منه وان لا يطلع عليه مكشوفا في الطباع مستبشعا
في العقول فان قلت ما اللام المضمومة في ووري ثم تقلب همزة كما في آوى وأصل قلت لان الثانية
مدة كالف وادى وقد جاء في قراءة عبد الله اودي بالقلب لان تكونا ملكين لان الكراهة ان تكونا ملكين
وفيه دليل على ان الملكية بالمنظر الاعلى وان البشرية تالية مرتبتها وكلا الوجهين ملكين بكسر اللام لقوله وملك
لا يبلى من الخالدين من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين وقرئ من سوآتهما بالتوحيد وسوآتهما
بالواو المشددة وقاسمهما واقسم لهما اني لكما لمن الناصحين فان قلت المقاسمة ان تقسم لصاحبك
ويقسم لك تقول قاسمت فلانا جالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى وتقاسموا بالله لنبيتنه قلت كانه
قال لهما اقسم لكما اني لمن الناصحين وقال لهما اقسم بالله انكما لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم او اقسم
لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم
فدليهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة بغرور بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة انما يخدع المؤمن بالله و
وعن ابن عمر رضي الله عنه اذا رأى جحرا من جحر طاعة وجشع صدقة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق
فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها آخذين في الاكل
منها وقيل الشجرة هي السنبلة وقيل شجرة الكرم بدت لهما سوآتهما ظهرت لهما
عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني وعن

او ضيعة العيال
اولادي

فدلاهما فاسقطهما
فلما ذاقا الشجرة
بدت لهما سوآتهما

ان كان

وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان
الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها
تموتون ومنها تخرجون

سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار وعن وهب كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر يقال طفق
يفعل كذا اي جعل يفعل كذا وقرأ ابو السماك وطفقا بالفتح يخصفان ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها
كما يفعل يخصف النعل بان يجعل طرقة على طرقة ويوثق بالشيور وقرأ الحسن يخصفان بكسر الخاء وتشديد
الصاد واصله يختصفان وقرأ الزهري يخصفان من اخصف وهو منقول من خصف يخصفان انفسهما وقرئ
يخصفان من خصف للتشديد ومن ورق الجنة قيل كان ورق التين الم انهكما عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه
على الخطأ حيث لم يحذرا ما حذرهما الله من عداوة ابليس وروي انه قال لآدم الم اكن لكما منهما متحدثا من شجر الجنة
مذ رأيتها عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك
الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد ودرس وذرى
وعجن وخبز وسمي ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما لانفسهما وقال لتكونن من الخاسرين على عادة الاولياء
والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم العظيم من الحسنات اهبطوا خطاب لآدم وحيوا
وابليس وعصاكم لبعض عدو في موضع الحال او متعادين يعاديها ابليس ويعاديانه مستقر استقرار او موضع استقرار
ومتاع وانتفاع بعيش الى حين الى انقضاء آجالكم وعن ثابت البناني لما اهبط آدم وحضرته الوفاة احاطت
به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فانما اصابني الذي اصابني فيك فلما توفي غسلته
الملائكة بماء وسدر وتأرا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض
الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده ثم اتى الارض منزلا من السماء لانه قضى ثم وكيت منه وانزلنا لكم من الانعام
ثمانية ازواج والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته او انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري
سوآتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرأ عثمان رضي الله عنه ورياشا
جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى ولباس الورع والخشية من الله وارتفاعه على الابتداء وخبره اما الجملة
التي هي ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر
واما المفرد الذي هو خير وذلك صفة للمبتدأ كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير ولا تخلو الاشارة من ان
يراد تعظيم لباس التقوى او تكون اشارة الى اللباس الواري للسوآت لان مواراة السوآت من التقوى تفضيلا له على
لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وفي قراءة
عبد الله والذي ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر
وغيرها مما يتقى به في الحرب وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا وريشا ذلك من آيات
الله الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني انزال اللباس لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية

يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا
ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون

يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ
هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا
وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ قُلْ أَمَرَ رَبِّي

واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا بان التستر باب عظيم من ابواب التقوى لا يفتننكم الشيطان لا يخدعنكم ان لا تدخلوا الجنة كما خدع ابويكم بان اخرجهما منها بنزع عنهما لباسهما حال كونه اخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا في ان نزع عنهما انه يريكم هو تعليل للنهي وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله وقبيله وجنوده من الشياطين وفيه دليل بين ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم انفسهم ليس في استطاعتهم وان زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرفة انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون خليناهم بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم واطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر ابلغ من الاول فان قلت علام عطف وقبيله قلت على الضمير في يريكم المؤكد بهو والضمير في انه ضمير الشان والحديث وقرأ اليزيدي وقبيله بالنصب وفيه وجهان ان يعطف على اسم ان وان يكون الواو بمعنى مع اذا عطف على اسم ان وهو الضمير في انه كان راجعا الى ابليس الفاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب واذا فعلوها اعتذروا بان آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله امرهم بان يفعلوها وكلاهما باطل من العذرين احدهما التقليد والتقليد ليس بطريق للعلم والثاني افتراء على الله تعالى والحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنهانا عنه وعن الحسن ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله تعالى اذا فعلوا فاحشة قل ان الله لا يأمر بالفحشاء لان فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يأمر بفعله اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار لصنائعهم القبيحة اليه وشهادة على انه مبني قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة بالقسط بالعدل وما قام في النفوس انه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد واقيموا وجوهكم وقل اقيموا وجوهكم او اقصدوا عبادته مستقبلين اليها غير عادلين الى غيرها عند كل مسجد في كل وقت سجود او في كل مكان سجود وهو الصلاة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة مبتغين بها وجه خالصا كما بدأكم تعودون كما انشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة فريقا هدى وهم الذين اسلموا اي وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة اي كلمة الضلالة وعلم الله انهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله وفريقا بفعل يفسره ما بعده كانه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين اولياء اي تولوهم بالطاعة فيما امروهم به وهذا دليل على ان علم الله لا اثر له في ضلالهم وانهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطين دون الله خذوا زينتكم اي ثيابكم ولباس زينتكم عند كل مسجد كلما صليتم او طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس ان امرأة كانت تطوف بالبيت وعلى فرجها خرقة فقال بعض الطائفين ليت لنا ثوبا مثل ثوب فلانة فلا نطوف عراة فسمعت فقالت ويح غيابة ويلة المسجد وان طاف فرجي عليه ضرب وانثر عنه منه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب قد عصينا فيها وقيل نساء لا يتبعن الذنوب كما تبعوا

وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ
مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ

الذنوب من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلاة وكان لهم طوافا في ايام حجهم لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فانا احق ان نفعل فنيل لهم كلوا واشربوا ولا تسرفوا وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وحكي ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال العالي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه قال وما هي قال قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر عن رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا اصول الطب في الفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عوده فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا زينة الله من الثياب وكل ما يتجمل به والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام في من انكار تحريم هذه الاشياء وقيل كانوا اذا اصابوا طيبا من الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها قالوا هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم القيامة لا يشركهم فيها احد فان قلت هلا قيل هي للذين آمنوا ولغيرهم قلت ليدل على انها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة وان الكفرة تبع لهم كقوله ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على انه خبر بعد خبر الفواحش ما ظهر منها وما بطن ما تفاحش قبحه من الزنا والسحاق وقيل ما يتعلق بالفروج والاثم عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر والبغي الظلم والكبر افرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا فيه تهكم لانه لا يجوز ان ينزل برهانا بان يشرك به غيره وان تقولوا على الله وان تفتروا الكذب من التحريم وغيره ولكل امة اجل وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل في اجل معلوم كما نزل بالامم وقرئ فاذا جاء آجالهم وقال ساعة لانها اقل الاوقات وفيات في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة بين يديك اقصر وقت واقربه اما يأتينكم هي ان الشرطية ضمت الى ما المؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها نون التوكيد والخفيفة فاذا قلت فما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى فمن اتقى وأصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تأتيكم بالتاء فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ما كتب لهم من الارزاق والاعمار حتى اذا جاءتهم رسلنا حتى غاية لينالهم نصيبهم واستيفاؤهم له او الى وقت وفاتهم ومتى حتى التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام هنا الجملة الشرطية ومتى اذا جاءتهم رسلنا قالوا ويتوفونهم حال من الرسل اي متوفيهم والرسل ملك الموت واعوانه وما وقعت موصولة باين في خط المصحف وكان حقها ان تفصل لانها موصولة بمعنى اين الآلهة الذين تدعون ضلوا غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافا منهم بانهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وانهم لم يجدوه في العاقبة قال ادخلوا ويقول الله تعالى

في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا ادارکوا فيها جميعا قالت
أخرهم لأوليهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت أولهم
لأخرهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا

يوم القيامة لأوليكم الذين قال فيهم فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته وهم كانوا العرب في أمم في موضع
الحال أو كائنين في جملة أمم وفي عدادهم مصاحبين لهم أو داخلين في النار مع أمم قد خلت من قبلكم وتقدم ذكرها لكم لعنت
أختها التي ضلت بها وقدوة بها حتى إذا ادارکوا فيها أو تدارکوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار قالت أخراهم منزلة
وهي الأتباع والسفلة لأوليهم منزلة وهي القادة والرؤس ومعنى لأوليهم لأجل أوليهم لأن خطابهم مع الله لا معهم
ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا مضاعفا لكل ضعف من القادة والأتباع كانوا ضالين مضلين ولكن لا يعلمون وقرئ بالتاء
والياء فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف أو قد ثبت أن لا فضل لكم علينا
وأنا متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب من قول القادة أو من قول الله لهم جميعا لا تفتح لهم أبواب
السماء لا يصعد لهم عمل صالح إليه يصعد الكلم الطيب كلمة التوحيد لأن الكتاب لا يرى إلا في عليين وقيل إن الجنة في السماء
فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم إليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد أرواحهم إذا ماتوا كما تصعد
أرواح المؤمنين وقيل لا تنزل عليهم البركة ولا يأتيهم من الخير فتحنا أبواب السماء وقرئ لا تفتح
بالتشديد ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء والبناء للفاعل ونصب الأبواب على أن الفعل للآيات وبالياء على أن الفعل
لله تعالى وقرأ أبو حيوة بضم الجيم في الجمل بوزن القفل وسعيد بن جبير الجمل بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن القفل
والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الجبل ومعناها القلس الغليظ من جبال السفن وجعلت جملة واحدة
وعن ابن عباس أن الله تعالى أحسن تشبيها من أن يشبه بالجمل يعني أن الجمل مناسب للخيط الذي يشك في سم
الإبرة والبعير لا يناسبه لأن قراءة العامة أوقع في سم الإبرة مثل في ضيق المسلك يقال أضيق من خرت
الإبرة وقالوا للذليل الماهر خريت لاهتدائه في المضايق المشبهة بأخرات الإبر والجمل مثل في عظم الجرم
قال جسم الجمال وأحلام العصافير أن الرجال ليسوا بجمل يراد منهم الأجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون
أبدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج الإبرة بباب واسع في ثقب الإبرة عن ابن مسعود رضي الله عنه سئل عن الجمل فقال زوج
الناقة استعجالا للسائل وأشار إلى أن طلب معنى آخر تكلف وقرئ في سم بالحركات الثلاث وقرأ
عبد الله في سم الخيط والخياط والخيط كالجذام والجذم ما يخاط به وهو الإبرة وكذلك مثل هذا الجزاء الفظيع
نجزي المجرمين أبو ذر أن الإجرام هو السبب الموصل إلى العقاب أن كل من أجرم عوقب وقد كرره فقال وكذلك نجزي
الظالمين لأن كل مجرم ظالم لنفسه بها له فراش غواش بالرفع كقوله وله الجوار المنشآت
في قراءة عبد الله لا تكلف نفسا إلا وسعها جملة معترضة بين المبتدأ والخبر في الترغيب في الإسلام وأنه لا يكلف
وصف الواصف من النعيم الخالد للتعظيم بما هو في الوسع وهو الإمكان الواسع الغير الضيق من الإيمان والعمل
الصالح وقرأ أبو عمرو لا تكلف نفس من كان في قلبه غل على أخيه في الدنيا نزع منه فسلت قلوبهم وطهرت وإن كان

ونزعنا ما في صدورهم من غل
يجري من تحتهم الأنهار

ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون
عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون

بينهم أي التواد والتعاطف وعن علي رضي الله عنه إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم هدانا لهذا
أي وفقنا الموجب هذا الفوز العظيم وهو الإيمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي اللام لتوكيد النفي يعني أنا
كنا نستقيم أن يكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه وفي مصاحف أهل الشام ما كنا لنهتدي بغير واو على
أنها جملة موضحة للأولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكأن لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا
واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تعبدا كما ترى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يمتنع
أن لا يقول للفرح لا للقربة أن تلكم الجنة أن مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا بأنه تلكم الجنة أورثتموها
والضمير ضمير الشأن والخبر بعده أي أن الشأن والحديث أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون
بسبب أعمالكم لا بتفضل كما يقول المبطلة أن في أن قد وجدنا يحتمل أن تكون مخففة من الثقيلة وأن تكون مفسرة كالتي
سبقت آنفا وكذلك أن لعنة الله على الظالمين وإنما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة بأصحاب النار وزيادة
في غمهم وليكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين وهو مالك يا سر الله فينا
بينهم نداء يسمع أهل الجنة وأهل النار وقرئ أن لعنة الله بالتشديد والنصب وقرأ الأعمش إن
لعنة الله بكسر أن على إرادة القول وعلى إجراء أذن مجرى قال فإن قلت هلا قيل ما وعدكم كما قيل
ما وعدنا وبدأ قلت حذف ذلك تخفيفا للدلالة وعد نا عليه ولتأتي أن يقول الطلق لبنا ولكلهما وعد الله للبعث
والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة لأنهم كانوا مكذبين بذلك وكان الموعود كله مما ساءهم وما نعيم
أهل الجنة والعذاب لهم فأطلق الكل وبينهما حجاب يعني بين الجنة والنار أو بين الفريقين وهو السور المذكور
في قوله فضرب بينهم بسور وعلى الأعراف وعلى أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار ومن أعاليه
جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك رجال يعرفون كلا من أهلهما دخولا في الجنة لقصورهم أعمالهم
كأنهم المرجوون لأمر الله يجلسون بين الجنة والنار ليأذن الله لهم في دخول الجنة يعرفون كلا من زمرة السعداء
والأشقياء بسيماهم بعلاماتهم التي أعلمهم الله تعالى بها ليلهم ذلك ويعرفهم الملائكة إذا نظروا إليهم أصحاب الجنة نادوهم
بالتسليم عليهم وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار وأمامهم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا
إلى رحمته أن لا يجعلهم معهم ونادوا رجالا من رؤساء الكفرة يقولون لهم أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة إشارة
إلى أهل الجنة الذين كان الرؤساء يستهينون بهم ويحقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون
أن الله لا يدخلهم الجنة أدخلوا الجنة يقال لأصحاب الأعراف أدخلوا الجنة وذلك بعد أن يحبسوا على الأعراف وينظروا إلى
الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون وفائدة ذلك بيان أن الجزاء على قدر الأعمال وأن التقدم والتأخر
على حسبها وأن أحدا لا يسبق الأمر عند الله إلا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنده إلا بتخلفه فيه وليرغب الصامون

ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون
وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة

لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما
رزقكم قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا
فاليوم ننسيهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بايتنا يجحدون ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم

في حال السابقين ويحرصوا على احراز قصبهم وليتصوروا ان كل احد يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب ان
يوسم بها من اهل الخير والشر فيه تدع المسيء عن اساءته ويزيد المحسن في احسانه وليعلم ان العصاة يوبخهم كل
احد حتى اقصر الناس علما وقوله اذا صرفت ابصارهم فيه ان صارفا يصرف ابصارهم ليتطرفوا فيستعيدوا ويرى نحوا
وقرأ الاعمش واذا قلبت ابصارهم وقرئ ادخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرأ عكرمة دخلوا الجنة
فان قلت كيف لائم هاتين القرائتين لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون قلت تاويله ادخلوا الجنة او دخلوا
الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فان قلت ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون قلت
لا محل له لانه استيناف كانه سئل لما سئل عن حال اصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون يعني حالهم انهم دخول
الجنة استئناف عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز ان يكون له محل
بان يقع صفة لرجال ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق وقرئ
تستكثرون من الكثرة افيضوا علينا فيه دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من غيره من الاشربة لدخوله
في حكم الافاضة ويجوز ان يراد افيضوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا
وانما يطلبونه ذلك مع يأسهم من الاجابة اليه حيرة في امرهم كما يفعل المضطر المتحير حيرتهم على الكافرين
منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر كقوله حرام على عيني ان تطعما الكرى
فاليوم ننسيهم نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير ولا يذكرونهم به كما نسوا لقاء يومهم هذا
كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروا ببالهم ولم يهتموا به فصلناه على علم عالمين كيف نفصل احكامه ومواعظه
وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيما قيما غير ذي عوج وقرأ ابن محيصن فصلناه بالضاد المعجمة بمعنى
فضلناه على جميع الكتب عالمين انه اهل للتفضيل عليها وهدى ورحمة حال من منصوب فصلناه كما انه على علم
حال من مرفوعه والتاويل الاعاقبة امره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد
قد جاءت رسل ربنا بالحق اي تبين وصح انهم جاؤا بالحق فرد جملة والحق معطوف على الجملة التي قبلها داخلة معها
في حكم الاستفهام كانه قيل هل لنا شفعاء او هل نرد وارفعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل يضرب
زيد ولا يطلبك فعل آخر يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع او نرد وقرأ ابن ابي اسحق او نرد بالنصب
عطفا على فيشفعوا او يكون او بمعنى حتى اي او يشفعون لنا حتى نرد فنعمل وقرأ الحسن ينصب نرد ورفع نعمل
بمعنى فنحن نعمل يغشي الليل النهار وقرئ يغشى بالتشديد او يلحق الليل بالنهار او النهار بالليل يحثهما حثيثا
والدليل على الثانية قراءة حميد بن قيس يغشي الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار او يذكر النهار الليل
ويطلبه حثيثا حسن الملائمة لقراءة حميد بامره بمشيئته وتصريفه وهو متعلق بمسخرات او خلقهن حال ذات تقضي

له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين
ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين وهو الذي
يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من

حكمته وتدبيره وكما يريد يصرفها سمي ذلك امرا على التشبيه كانهن مامورات بذلك وقرئ والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بالرفع ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بامره قال الا له الخلق والامر اي هو الذي خلق الاجناس وهو
الذي صرفها على حسب ارادته تضرعا وخفية نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل
من الضراعة وهي الذل او تذللا وتملقا وقرئ خفية وعن الحسن رحمه الله ان الله يعلم القلب التقي والدعاء
الخفي ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير ولا يشعر الناس به
ان كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة وعنده الزوار وما تشعر به ولقد ادركنا اقواما ما كان على الارض من
على يقدرون على ان يعملوا في السر الا يعملون في السر فيكون علانية ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء
وما يسمع لهم صوت وان كان لهم هتاف بينهم وبين ربهم وذلك ان الله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد اثنى على زكريا
فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا انه لا يحب المعتدين اي المجاوزين ما امروا
به في كل شيء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج هو رفع الصوت بالدعاء وصياح الصياح في الدعاء مكروه وبدعة
وقيل هو الاسهاب في الدعاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك
الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها ثم قرأ قوله انه لا يحب المعتدين ان رحمة الله قريب
من المحسنين كقوله وانه لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وانما ذكر قريب على تاويل الرحمة والترحم
او لانه صفة موصوف محذوف اي شيء قريب او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول كما شبه ذلك به فقيل قتيلا وانتصاره
او على انه بزنة المصدر الذي هو النقيض والضغيب او لان تانيث الرحمة غير حقيقي وقرئ نشرا وهو مصدر
نشر وانتصابه اما على الحال اي ارسل ونشر متعاقبا بان فكانه قيل نشرها نشرا واما على الحال بمعنى منتشرات ونشرا جمع
نشور ونشرا تخفيف نشر كرسل بالتخفيف من رسل وقرأ مسروق نشرا بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول كالنقض
وحسب ومنه قولهم فيم نشره وبشرا جمع بشير وبشرا بتخفيفه وبشرا بفتح الباء مصدر من بشره او باشراه
وبشرى بين يدي رحمته امام نعمته وهي الغيث الذي هو من اجل النعم واحسنها اثرا اقلت حملت ورفعت
واشتقاقه من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا سحابا ثقالا سحائب ثقالا بالماء جمع
سحابة سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا
لبلد ميت لاجل بلد ليس فيه حيا ولسقيه وقرئ ميت فانزلنا به بالبلد او بالسحاب او بالسوق وكذلك اخرجنا
به كذلك مثل ذلك الاخراج نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين اذ كل
واحد منهما اعادة الشيء بعد انشائه والبلد الطيب الارض المعنات الكريمة التربة والذي خبث الارض السبخة التي
لا تنبت ما ينتفع به باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع في مقابلة كلما

كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون ۝ لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ۝ قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين ۝ قال يا قوم
ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ۝ أبلغكم رسالات ربي

والنكد الذي لا خير فيه وقرئ يخرج نباته أي يخرجه البلد. ونبته والذي خبث صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته إلا نكدا فحذف المضاف الذي هو النبات وأقيم المضاف إليه الذي هو البلد مقامه إلا أنه كان مجرورا بإذن فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع الفاعل ويقدر ونبات الذي خبث وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر أي ذا نكد ونكدا بإسكانها للتخفيف كقولهم نزه عن الريب بمعنى نزه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله بعقله فوعاه وانتفع به كالأرض الطيبة أصابها الغيث فأنبتت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع على أثر ذكر المطر وإنزاله بالبلد الميت وإخراج الثمرات به على سبيل الاستطراد كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله وهم المؤمنون ليعتبروا فيها ويعتبروا بها وقرئ يصرف بالياء لأن يصرفها الله لقد أرسلنا جواب قسم محذوف فإن قلت ما لهم ينطقون بهذه اللام مع قد وقل فهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا قلت إنما كان ذلك لأن الجملة القسمية لا تساق إلا تأكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو مجيء قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل أرسل نوح وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح ابن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ واخنوخ اسم إدريس النبي عليه السلام وقرئ غيره بالحركات الثلث فالرفع على المحل كأنه قيل ما لكم إله غيره والجر على اللفظ والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من إله إلا إياه كقولك ما في الدار من أحد إلا زيدا وغير زيد فإن قلت ما موقع الجملتين وقوله اعبدوا الله قلت الأولى بيان لوجوب اختصاصه بالعبادة والثانية بيان للداعي إلى عبادته وهو الجد وحقا تؤدون من كانوا يعبدون من دون الله واليوم العظيم يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان قال الملأ الأشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء في ضلال في ذهاب عن طريق الثواب والحق ومعنى الرؤية رؤية القلب فإن قلت لم قال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا قلت الضلالة أخص من الضلال فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه كأنه قال ليست شيء من الضلال كما لو قيل لك لك تمر فقلت ما لي تمرة فإن قلت كيف وقع ولكني رسول استدراكا للانتفاء عن الضلالة قلت كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا في معنى كونه على صراط المستقيم فصح لذلك أن يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة وقرئ أبلغكم بالتخفيف فإن قلت كيف موقع قوله أبلغكم قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون كلاما مستأنفا بيانا لكونه رسول رب العالمين والثاني أن يكون صفة لرسول فإن قلت كيف جاز أن يكون صفة والرسول لفظ الغائب قلت جاز ذلك لأن الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب فكأنه معناه كما قال أنا الذي سمتني أمي حيدرة أو رسالات ربي ما أوحي إلي في الأوقات المتطاولة

يعني قوله إنا لنراك في ضلال مبين

أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا
ولعلكم ترحمون ۝ فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين ۝
وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون ۝ قال الملأ الذين

٢٠٢

أو في الحالين المختلفة من الأوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشائر والنذائر وبجواز أن يريد رسالاته أو إلى الأنبياء قبله من صحف جدي أدريس عليه السلام وهي ثلثون صحيفة ومن صحف شيث علم وهي خمسون صحيفة وأنصح لكم يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة وكلاهما على إيجاض النصيحة وأنها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فهي نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد المنفعتين جميعا والنصيحة أمحض من نصيحة الله ورسله وأعلم من الله ما لا تعلمون أي من صفات الله وأحواله يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم جرى بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علم نوح بوحي الله إليه أو أراد وأعلم من جهة الله أشياء لا علم لكم بها فأوحي إلي بها أو عجبتم الهمزة للإنكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل أكذبتم وعجبتم أن جاءكم من أن جاءكم ذكر موعظة من ربكم على رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك أنهم كانوا يعجبون من نبوة نوح ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين يعنون أرسال البشر ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة لينذركم ولتتقوا ليحذركم عاقبة الكفر وليوجد منكم الكفر التقوى وهي الخشية بسبب الإنذار ولعلكم ترحمون ولتتقوا بالتقوى إن وجدت منكم والذين معه قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به فإن قلت في الفلك بم يتعلق قلت هو متعلق بمعه كأنه قيل والذين استقروا معه في الفلك أو صحبوه في الفلك ويجوز أن يتعلق بفعل الإنجاء أو بأنجيناهم في السفينة من الطوفان عمين عمي القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين العمي والعامي أن العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث ونحوه قوله وضائق به صدرك أخاهم واحدا منهم من قولك يا أخا العرب للواحد منهم وأنا جعل واحدا منهم لأنهم أنهم عن رجل منهم وأعرف بحاله في صدقه وأمانته وهو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وأخاهم عطف على نوحا وهودا عطف بيان له فإن قلت لم حذف العاطف من قوله قال يا قوم ولم يقل فقال كما في قصة نوح قلت هو على تقدير سؤال السائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك قال الملأ فإن قلت لم وصف الملأ من قوم نوح قلت كانوا في أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي أسلم وكان يكتم إسلامه فأريد التفرقة بالوصف لم يكن في أشراف قوم نوح مؤمن ونحوه قوله وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وبجوز أن يكون وصفا واردا للذم لا غير في سفاهة في خفة حلم وسخافة عقل حيث تجردين قومكم إلى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز أراد وإنا لنتمكن فيها غير منفك عنها وفي إجابة الأنبياء علم من نسبهم إلى الضلال والسفاهة مما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويصبرون أذاهم على ما يكون منهم ناصح أمين أو عرفت فيما بينكم بالنصح والأمانة فما حقي إن أتهم أو أنا لكم ناصح فيما أدعوكم إليه أمين على ما

يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين

أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين

قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين

عمين كرواية الإمالة

عامين كرواية الإمالة

هود أخاهم

أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ
وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ
يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي

أقول لكم لا أكذب فيه خلفاء من بعد قوم نوح إذ خلفتموهم في الأرض وجعلكم ملوكا في الأرض قد استخلفكم فيها بعدهم وزادكم في الخلق بسطة فيما خلق من أجرامكم ذهابا في الطول والبدانة قيل كان أقصرهم ستين ذراعا وأطولهم مائة ذراع فاذكروا آلاء الله في استخلافكم وبسطة أجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحدها سرا إلى ونحو إلى وآناء وضلع وأضلاع وعنب وأعناب فإن قلت إذ في قوله إذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه قلت هو مفعول به وليس بظرف اذكروا وقت استخلافكم أجئتنا لنعبد الله وحده أنكروا واستبعدوا أن يخصوا الله وحده بالعبادة وتركوا دين آبائهم باتخاذ الأصنام شركاء معه جهلا منهم فاعليه والفاء لما صادفوا آباءهم يتدينون به فإن قلت ما معنى الجيء في قوله أجئتنا قلت فيه وجهان يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحي إليه جاء قومه يدعوهم وإن يريدوا به الاستهزاء لأنهم كانوا يعتقدون أن الله لا يرسل إلا الملائكة فكأنهم قالوا أجئتنا من السماء كما يجيء الملك وإن لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهبت تشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كأنهم قالوا أقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك فأتنا بما تعدنا استعجالا منهم للعذاب قد وقع عليكم أي حق عليكم ووجب أو قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحو قولك لمن طلب الهلال بعض الطالب قد كان ذلك وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي فقال له يا بني ما لك قال لسعني طويل كأنه ملتف في بردي حبرة فضمه إليه صدره وقال يا بني قد قلت الشعر والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب أسماء سميتموها في أشياء ما هي إلا أسماء ليس تحتها مسميات لأنكم تسمونها آلهة وليس في الألهية فيها مدخل بحال وجوده وهذا كقوله ما تعبدون من دونه من شيء ومعنى سميتموها سميتم بها من قولك سميته زيدا وقطع دابرهم استيصالهم وتدميرهم عن آخرهم وقصتهم أن عادا قد انبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صدا وصمودا والهباء فبعث الله إليهم هودا نبيا وكان من أوسطهم وأفضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فأمسك الله عنهم القطر ثلث سنين حتى جهدوا وكان الناس إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله الفرج عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم وأهل مكة إذ ذاك العماليق أولاد عليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فهمت عاد إلى مكة من أمائهم رجلا منهم قيل له مرثد بن سعد الذي كان يكتم إسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له همه ذلك وقال قد هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي أن يظهر به ثقل مقامهم عليه فحدث للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لعلهم يتنبهون من قالهم فقال معاوية ألا يا قيل ويحك قم فهيهم لعل الله

وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ
بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ

يسقيني أرض عاد إن عادا قد أمسوا ما يبينون الكلاما فلما غنتاه به قالوا إن قومكم يستغيثون من البلاء والذي نزل بهم وقد ابتلاكم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا يسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وتبتم إلى الله سقيتم وأظهر إسلامه فقالوا لمعاوية أجبر عنا مرثدا لا يقدم معنا مكة فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فأنشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك وقال اخترت السوداء فإنها أكثر هزما فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا فإن قلت ما فائدة نفي الإيمان عنهم في قوله وما كانوا مؤمنين مع إثبات التكذيب بآيات الله قلت هو تعريض بمن هو آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام كأنه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليؤذن أن الهلاك مقصور على المكذبين ونجى الله المؤمنين وقرئ إلى ثمود بمنع الصرف بتأويل القبيلة وإلى ثمود بالصرف بتأويل الحي أو باعتبار الأصل لأن اسم إبراهيم الأكبر وهو ثمود بن عامر بن إرم بن سام بن نوح وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى قد جاءتكم بينة آية ظاهرة وشاهدة على صحة نبوتي كأنه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية وآية نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل كأنه قيل أشير إليها آية ولكم بيان لمن هي له آية موجبة عليه الإيمان خاصة وهم ثمود لأنهم عاينوها وسائر الناس أخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كأنه قال لكم آية خصوصا وإنما أضيفت إلى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشأنها وأنها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة آية من آيات الله كما تقول آية الله وروي أن عادا لما أهلكت عمرت ثمود وعمروا بلادها وخلفوهم في الأرض وكثروا أعمارهم حتى كان الرجل يبني المسكن الحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وأفسدوا في الأرض عبدوا الأوثان فبعث الله إليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم نسبا فدعاهم إلى الله فلم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون لحقرتهم وأذلهم فسألوه آية فقال لأية آية تريدون قالوا تخرج معنا إلى عيد لنا في يوم معلوم لهم من السنة فندعو آلهتنا فإن استجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا أوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو وأشار إلى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء المخترجة التي شاكلت النحت فإن فعلت صدقناك وآمنا بك فأخذ صالح عليه السلام المواثيق ليؤمنن وليصدقن قالوا نعم فصلى ودعا فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا الأرحام ما بين جنبيها ألا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط

وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي
الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ

من قومه ومنع اعتقادهم ناس من رؤسائهم فكانت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتنحى فتبرك قريبا منها فيحتلبون ما شاؤا من لبنها ثم تتنحى اذا بينهم فيشربون ويتضربون قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت بطن الوادي فتهرب منها انعامهم فتنبطح في بطنه واذا وقع البرد تشتت بطن الوادي فتهرب مواشيهم لما يظهر فشق ذلك عليهم وذبحت عقرها لهم امرأة اسمها عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقيها حتى رقى جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل لعله ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغاية فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا وجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فالتجأ الله اليه ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا تأكل في ارض الله او الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل في ارضها فليس الارض لكم ولا ما فيها من النباتات من انباتكم ولا تمسوها بسوء ولا تضربوها ولا تطردوها ولا تزيدوها بشيء من الاذى اكراما لها لانها ناقة الله ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال عليه السلام يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك وقرأ ابو جعفر في رواية تأكل في ارض الله وهو في موضع الحال بمعنى آكلة وبوأكم ونزلكم والمباءة المنزل في الارض ارض الحجر بين الحجاز والشام من سهولها قصورا او تبنونها من سهولة الارض بما تعملونه منها من الرقص واللبن والآجر وقرأ الحسن تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون بادغام التاء كقوله تنحاع من ذفرى اسيل اجرة فان قلت علام انتصب بيوتا قلت على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابرهن القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب ولا القصبة قميصا وقلما في حال الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء وللذين استضعفوا للذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا فان قلت الضمير راجع الى ماذا قلت الى قومه والى الذين استضعفوا فان قلت هل اختلاف المرجعين اثر في اختلاف المعنى قلت نعم وذلك ان الراجع اذا رجع الى قومه فقد جعل من آمن مفسرا لمن استضعف منهم فدل ان استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين واذا رجع الى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل ان المستضعفين كانوا مؤمنين وكانوا

دقى او صعد

ج ٢ ص ٢٥٩ ج ٣ ص ٢٥٩

اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه شيء على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للعجب اتعلمون ان الله فوق العرش فان قلت كيف صح قولهم انا بما ارسل به مؤمنون جوابا عنه قلت سألوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله امرا معلوما مكشوفا مسلما لا يخلجه ريب كأنهم قالوا العلم بارساله وما ارسل به مما لا كلام فيه ولا شبهة لوضوحه وانارته وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة انا بالذي آمنتم به كافرون فوضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما واخذ مسلما فعقروا الناقة اسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم وان لم يباشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة انتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم وعتوا عن امر ربهم وتولوا عنه واستكبروا عن امتثال الصالحين وامر ربهم ما امر به على لسان صالح علم من قوله فذروها تأكل في ارض الله او شأن ربهم وهو دينه ويجوز ان يكون المعنى وصدر عتوهم عن امر ربهم كأن امر ربهم بترك كما كان هو السبب في عتوهم ونحوه ما في قوله وما فعلته عن امري ايتنا بما تعدنا اردوا من العذاب وانما جاز الاطلاق لانه كان معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين الرجفة الصيحة المهلكة لان الارض اضطربت تحت اهلها في دارهم في بلادهم او في مساكنهم جاثمين هامدين لا يتحركون موتى يقال للناس جثم او قعود لاجرامهم وتنكيسهم نفسه ومنه الجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها للرمي وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا ومن هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروي ان صالحا كان بعثه الى قومه فخالفه من وروى انه من ثقيف ابن رغال فقال لا تدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم فذلك قصة ابي رغال وانه دفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن فتولى عنهم الظاهر انه كان شاهدا لما جرى عليهم وانه تولى عنهم بعد ما ابصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم بتحذيره لهم ويقول يا قوم لقد بلغت فيكم وسعي ولم آل جهدا في ابلاغكم والنصيحة لكم ولكنكم لا تحبون الناصحين وبجوز ان يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منذر لهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وروي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء وتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منذر لهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وروي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم فان قلت كيف صح خطاب المؤمنين بقوله ولكن لا تحبون الناصحين قلت قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكأنه قد نصحه فلم يسمع منه حيث القى بنفسه في التهلكة يا اخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني وقلته ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية ولوطا وارسلنا لوطا واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى واذكر وقت قال لقومه اتأتون الفاحشة اتفعلون السيئة المتمادية في القبح ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلام سبقكم بها عكاشة من احد من العالمين من الاولين زيادة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض فان قلت

ربه فنصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ولوطا اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين

أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ۝ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا
أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۝ وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ۝ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ

ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة مستأنفة أنكر عليهم أولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال أئنكم أول من عملها أو على أنه جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا لم لا نأتيها فقال ما سبقكم بها أحد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به أئنكم لتأتون الرجال بيان لقوله أتأتون الفاحشة والهمزة مثلها في أتأتون الرجال للانكار والتعظيم وقرئ أئنكم على الإخبار المستأنف لتأتون الرجال من أتى المرأة إذا غشيها شهوة مفعول له أو للاشتهاء لا جاعل لكم عليه إلا مجرد الشهوة من غير داع آخر ولا ذم أعظم منه لأنه وصفهم بالبهيمية وأنه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه أو جاعلين شهوتهم تابعين للشهوة غير ملتفتين إلى النساء بل أنتم قوم مسرفون أضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التي توجب الإنكار بالقبائح وتدعو إلى اتباع الشهوات وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحد في كل شيء فمن ثم أسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد ونحو بل أنتم قوم عادون وما كان جواب قومه إلا أن قالوا يعني لما أجابوا بما يكون جوابا عما كلفهم به لوط عليه من إنكار الفاحشة وتعظيم أمرها ووبخهم بسمة الإسراف الذي هو أصل الشر كله ولكنهم قالوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الأمر بإخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصيحتهم وقولهم إنهم أناس يتطهرون تهكم بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخار بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة إذا وعظهم أبعدوا عنا هذا المتقشف وأنجونا من هذا المتزهد وأهله ومن يختص به من ذوي قرابته أو من المؤمنين من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم أي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الإناث وكانت كافرة موالية لأهل سدوم وروي أنها التفتت فأصابها حجر فماتت وقيل كانت امرأته فهلكت خمس مدائن وقيل كانوا أربعة آلاف بيت بين الشام والمدينة فأمطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطر الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل أمطر عليهم ثم خسف بهم وروي أن تاجرا منهم كان في الحرم فوقف الحجر وعين يوما حتى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه فإن قلت أي فرق بين مطر وأمطر قلت يقال مطرتهم السماء ووادٍ ممطور وفي نوابغ الكلم جرى مجرى غير مطرود حيث أن يكون غير مطرود ومعنى مطرتهم أصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال أمطرت عليهم كذا يعني أرسلت عليهم إرسال المطر فأمطرنا علينا حجارة من السماء وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل وأمطرنا عليهم مطرا وأرسلنا عليهم نوعا من العذاب المطر عجيبا يعني الحجارة الآتي إلى قوله فساء مطر المنذرين كأنه يقال لشعيب خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل تخسير للكاييل والموازين قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة بصحة نبوتي أو حجة عليكم لإيجابها عليكم الإيفاء بي والأخذ بما آمركم به والانتهاء عما أنهاكم عنه فأوفوا ولا تبخسوا فإن قلت ما كانت معجزته قلت قد وقع العلم بأنه كان له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولأنه لم يدع النبوة من غير معجزة تشهد له وتصدقه وإلا لم تصح دعواه وكان

فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم
إن كنتم مؤمنين ۝ ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا
واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان

شيئا لم يأتنا خبره أن معجزته لم تذكر في القرآن كما لم يذكر أكثر معجزات نبينا فيه ومن معجزات شعيب على ما روي من كاريزه عصى موسى التنين حين دفع إليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده أن يكون له الدرع من أو أولادها ووقوع عصي آدم على بين في المرآة العسل وغير ذلك من الآيات لأن هذه كلها كانت للحجة قبل أن تستنبأ موسى فكانت معجزات لشعيب فإن قلت كيف قيل الكيل والميزان وهلا قيل المكيال والميزان كما في سورة هود قلت أريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال أو سمي المكيال بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به أو أريد فأوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز أن يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ويقال بخسته حقه إذا نقصته إياه ومنه قيل للمكس البخس وفي أمثالهم تحسبها حمقاء وهي باخس وقيل كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم أو كانوا مكاسين لا يدعون شيئا إلا مكسوه كما يفعل أمراء الجور وروي أنهم كانوا إذا دخل الغريب بلدهم أخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم أخذوها بنقصان ظاهر أو أعطوه بدلها زيوفا بعد إصلاحها بعد الإصلاح فيها أو لا تفسدوا فيها بعد ما أصلح فيها الصالحون من الأنبياء وأتباعهم الحاملين لشرائعهم وإضافته كإضافة قولهم بل مكر الليل والنهار أو بعد إصلاح أهلها على حذف المضاف ذلكم إشارة إلى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والإفساد في الأرض أو إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى ثم خير لكم يعني في الإنسانية وحسن الأحدوثة وما يطلبونه من التكسب والتربح لأن الناس أحمدوه في مناجدكم إذا عرفوا أمانتكم الإيمانة والتسوية إن كنتم مؤمنين إن كنتم مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم ولا تقعدوا بكل صراط ولا تقعدوا بالشيطان في قوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط أي بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على أن المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله أو بمحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال أو ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغيها عوجا فإن قلت صراط الحق واحد وإن هذا صراط مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل تتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط قلت صراط الحق واحد ولكنه يتشعب إلى معارف وجزئيات وأحكام كثيرة مختلفة فكانوا إذا رأوا أحدا يشرع في شيء منها أوعدوه وصدوه فإن قلت لم يرجع الضمير في آمن به قلت إلى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح أمرهم وكلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون لمن مر بهم إن شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين وتبغونها عوجا وتطلبونها لسبيل الله عوجا أو تصفونها للناس بأنها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها أو يكون تهكما بهم يطلبونها لها ما هو محال لأن طريق الحق لا يعوج واذكروا إذ كنتم قليلا إذ مفعول به غير ظرف أي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم قيل إن مدين ابن إبراهيم فكثركم الله ووفر عددكم

عاقبة المفسدين وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير
الحاكمين قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو
لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ
نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا

تزوج بنت لوط فولدت فرعى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا وبجوز إذ كنتم مقلين فقراء
فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين أو كنتم قلة أذلة فأعزكم بكثرة العدد والعدد عاقبة المفسدين
آخر أمر من أفسد قبلكم من الأمم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد مما أصاب المؤتفكة فاعبروا
فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا أي بين الفريقين بأن ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد
للكافرين بانتقام الله منهم كقوله فتربصوا إنا معكم متربصون أو هو موعظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال
ما كان يلحقهم من أذى المشركين إلى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز أن يكون خطابا للفريقين أي ليصبر المؤمن
على أذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسومهم من إيمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب
وهو خير الحاكمين لأن حكمه حق وعدل لا يجاف فيه الحيف أو ليكونن أحد الأمرين إما إخراجكم وإما عودكم
في الكفر فإن قلت كيف خاطبوا شعيبا عليه السلام بالعود في الكفر في قولهم أو لتعودن في ملتنا وكيف أجابهم بقوله إن
عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها والأنبياء لا يجوز عليهم من الصغائر إلا ما ليس فيه تنفير
فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر قلت لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك فعطفوا على ضمير الذين
دخلوا في الإيمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن في ملتنا فغلبوا الجماعة على الواحد فجاءوا بضمير الجمع إجراء للكلام
على حكم التغليب وعلى ذلك أجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه
إلا أنه نظم نفسه في جملتهم وإن كان بريئا من ذلك إجراء لكلامه على حكم التغليب فإن قلت فما معنى قوله وما يكون لنا أن
نعود فيها إلا أن يشاء الله من عودهم في الكفر قلت معناه إلا أن يشاء الله خذلاننا ومنعنا ألطافه
لعلمه أنا لا نتبع فيه وتكون مشيئته الخبث قبيحا لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شيء علما أي هو يعلم كل شيء
مما كان وما يكون فهو يعلم أحوال عباده كيف تحول وقلوبهم كيف تتقلب كيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة
وترجع إلى الكفر بعد الإيمان على الله توكلنا في أن يثبتنا على الإيمان ويوفقنا لازدياد الإيقان ويجوز قوله إلا أن
يشاء الله جريا لقولهم في العود لأن مشيئة الله لعودهم في الكفر محال الخارج عن الحكمة أو لو كنا كارهين
الهمزة للاستفهام والواو واو الحال تقديره أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما
ينبغي لنا وما يصح ربنا افتح بيننا احكم بيننا والفتاحة الحكومة أو افتح أمرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف
بأن تنزل عليهم عذابا يتبين معه أنهم على الباطل وأنت خير الفاتحين كقوله وهو خير الحاكمين فإن قلت كيف أسلوب
قوله قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم قلت هو إخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان أحدهما أن يكون كلاما
مستأنفا فيه معنى التعجب كأنهم قالوا ما أكذبنا على الله إن عدنا في الكفر بعد الإسلام لأن المرتد أبلغ في الافتراء
من الكافر لأن الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم أن لله ندا ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وزائد عليه حيث

يزعم أنه قد تبين له ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني أن يكون قسما على تقدير حذف اللام يعني والله لقد
افترينا على الله كذبا وقال الملأ الذين كفروا من قومه أشرافهم الذين دونهم يثبطونهم عن الإيمان لئن اتبعتم شعيبا
إنكم إذا لخاسرون لمستبدلون الضلالة بالهدى كقوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم
وقيل تخسرون بإتباعه فوائد المخسر والتطفيف لأنه ينهاكم عنها ويحملكم على الإيفاء والتسوية فإن قلت
ما جواب القسم الذي وطأته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط قلت قوله إنكم إذا لخاسرون ساد مسد
الجوابين الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها وكذلك كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتداء يعني الاختصاص
كأنه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بأن أهلكوا واستؤصلوا كأنهم لم يقيموا في ديارهم لأن الذين اتبعوا شعيبا قد
أنجاهم الله الذين كذبوا شعيبا المخصوصون بالخسران العظيم دون أتباعه فإنهم الرابحون في هذا الاستيناف والابتداء
وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملأ ولأشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام
لما جرى عليهم الأسى شدة الحزن قال العجاج وانجلت عيناء من طول الأسى أشد حزنه على قومه ثم
أنكر على نفسه فكيف يشتد حزنه على قوم ليسوا بأهل الحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز أن يريد
لقد أعذرت إليكم في الإبلاغ والنصيحة والتجديد مما جل بكم فلم تسعدوا قولي ولم تصدقوني فكيف آسى عليكم
يعني أنه لا آسى عليهم لأنهم ليسوا أحقاء بالأسى وقرأ يحيى بن وثاب فكيف إيسى بكسر الهمزة لأخذنا
أهلها بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لاستكانوا من اتباع نبيهم وتعززوا عليه لعلهم
يضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويخضعوا أردية الكبر والغرة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة أي أعطيناهم بدل ما
كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا كثروا
ونموا في أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشعر والوبر إذا كثر ومنه قولهم واعفوا اللحى
وقال الحطيئة مستأسد القرباء عاد بأنه وقال ولكنا نعض السيف منها بأسوق عافيات الشحم كوم وقالوا
قد مس آباءنا الضراء والسراء وقد مس آباءنا يعني وأبطرتهم النعمة وأشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في
الدفعة الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو ابتلاء من الله لعباده فلم يبق بعد ابتلائهم
بالسيئات والحسنات إلا أن تأخذهم بالعذاب فأخذناهم أشد الأخذ وأفظعه وهو أخذهم فجأة من غير شعور
منهم اللام في القرى إشارة إلى القرى التي دل عليها قوله وما أرسلنا في قرية من نبي كأنه قال ولو أن أهل تلك القرى
الذين كذبوا وأهلكوا آمنوا بدل التكذيب وأتقوا المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض
لآتيناهم بالخير من كل وجه وقيل أراد المطر والنبات ولكن كذبوا فأخذناهم بسوء كسبهم ويجوز أن يكون
اللام في القرى للجنس فإن قلت ما معنى فتح البركات عليهم قلت تيسيرها عليهم بما يتيسر أمر الأبواب

قال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في
دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى
عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين

٢٠٧

وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون

أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون
أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها
أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من أنبائها

المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارئ اذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين البيات يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه قوله فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون ويكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا فيجوز ان يراد أو يأتيهم بأسنا بائتين أو وقت بيات أو مبيتا أو مبيتين أو يكون بمعنى تبييتا كأنهم قيل بيتهم بأسنا بياتا وضحى نصب على الظرف يقال أتانا ضحى وضحيا وضحاء والضحى في الأصل اسم لضوء الشمس اذا أشرقت وارتفعت والفاء والواو في أفأمن وأوأمن جدفا عطف دخلت عليهما همزة الانكار فان قلت ما المعطوف عليه ولم عطفت الأولى بالفاء والثانية بالواو قلت المعطوف عليه قوله فأخذناهم بغتة وقوله ولو أن أهل القرى الى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطف بالفاء لأن المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة ابعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى وقرئ أوأمن على العطف بأو وهم يلعبون يشتغلون بما لا يجدي عليهم كأنهم يلعبون فان قلت فلم دخل فعطف بالفاء قوله أفأمنوا مكر الله قلت هو تكرير لقوله أفأمن أهل القرى ومكر الله استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر ولا يستدرجه فعلى العاقل أن يكون خوفه من مكر الله كالخارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم أن ابنته قالت له ما لي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال يا بنية ان أباك يخاف البيات أراد قوله أن يأتيهم بأسنا بياتا اذا قرئ أو لم يهد بالياء كان أن لو نشاء مرفوعا بأنه فاعله يعني أو لم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم أرضهم هذا الشأن وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وأهلكنا الوارثين كما أهلكنا المورثين وان قرئ بالنون فهو منصوب كأنه قيل أو لم يهد الله للوارثين هذا الشأن يعني أو لم يبين لهم أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وانما عدي فعل الهداية باللام لأنه بمعنى التبيين فان قلت هم يتعلق بقوله ونطبع على قلوبهم قلت فيه أوجه أن يكون معطوفا على ما دل عليه معنى أو لم يهد كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم أو على يرثون الأرض أو يكون منقطعا يعني ونحن نطبع على قلوبهم فان قلت هل يجوز أن يكون ونطبع يعني وطبعنا كما كان ولو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على أصبناهم قلت لا يساعد عليه المعنى لأن القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والاصابة بها وهذا التفسير يؤدي الى خلوهم عن هذه الصفة وأن الله لو شاء لا تصفوا بها كقوله هذا بعلي شيخا فان جعلت هذا وخبر وحال ويجوز أن يكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا وأن يكون القرى ونقص خبرا بعد الخبر فان قلت ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا قلت هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك مررت بالرجل الكريم فان قلت ما معنى الاخبار عن القرى بنقص عليك من

من أنبائها قلت معناه نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوا من آيات الله من قبل مجيء الرسل أو فما كانوا ليؤمنوا الى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل أو استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل اليهم الى أن ماتوا مصرين ولا يرعوون ولا يلين شكيمتهم أو علائم في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات عليهم ومعنى اللام تأكيد النفي وأن الايمان كان منافيا لحالهم في الاصرار على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كذلك مثل ذلك الطبع الشديد يطبع على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم من عهد الضمير للناس على الاطلاق أو ما وجدنا لأكثر الناس من عهد يعني أن أكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الايمان والتقوى وأن وجدنا وأن الشأن والحديث وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والآية اعتراض ويجوز أن يرجع الضمير الى الأمم المذكورين ولأنهم كانوا اذا عاهدوا الله في ضيق ومخافة لئن أنجيتنا لنؤمنن ثم نجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى قوله اذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا كيل دخول أن المخففة واللام الفارقة ولا يدخل ذلك الا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليها من بعدهم الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم أو للأمم فظلموا بها فكفروا بآياتنا أجرى الظلم مجرى الكفر لأنهما من واحد أن الشرك لظلم عظيم أو فظلموا الناس بسببها حين أوعدوهم وصدوهم عنها وآذوا من آمن بها ولأنه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا أو كفروا بها فوضعوا الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان يقال للمظلوم هضيمة كما يقال للمكسور فارس الحلبة وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق فيه أربع قراءات المشهورة وحقيق على أن لا أقول وهي قراءة نافع وحقيق أن لا أقول وهي قراءة عبد الله وحقيق بأن لا أقول وهي قراءة أبي وفي المشهورة اشكال ولا يخلو من وجوه أحدها أن يكون مما يقلب من الكلام لأمن اللبس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر وسناه وتشقى الضياطرة بالرماح والثاني أن ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق أو لأنه مالك والثالث أن يضمن حقيق معنى جدير فيتعدى بعلى كما ضمن هيجني معنى ذكرني في بيت الكتاب اذا تغنى الحمام الورق هيجني ولو تجرعت منها أم حماد والرابع وهو أوجه أن يدخل في نكت القرآن أنه يغرق موسى عليه السلام في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد روي أن عدو الله فرعون قال له لما قال اني رسول من رب العالمين كذبت فيقول أنا حقيق على قول الحق أو واجب على قول الحق أن أكون أنا قائله والقائم به وكل يرضى بأن أنا قائلها ناطقا به فأرسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى أرض المقدسة التي هي وطنهم ومولد آبائهم وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفي وانقرضت الأسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم

قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل

قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۝ وَنَزَعَ يَدَهُ
فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ۝ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۝ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ
أَرْضِكُم فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ

فانقذهم الله وذلك لموسى عليه وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى اربعمائة عام
فان قلت كيف قال له فأت بها بعد قوله ان كنت جئت بآية قلت معناه ان كنت جئت من عند
من ارسلك بآية فأتني بها واحضرها عندي ليصح دعواك ويثبت صدقك ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك
في انه ثعبان وروي انه كان ثعبانا ذكرا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض
ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واحدث ولم يكن احدث
قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا وود
فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه موسى فعاد عصا فان قلت
بم يتعلق للناظرين قلت يتعلق ببيضاء والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولم يكن بيضاء للنظارة لم
اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمع النظارة للعجائب وذلك ما يروى انه
ادخل فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نوريا
غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى على آدم شديد الادمة ان هذا لساحر عليم اعالم بالسحر ما هو فيه فيأخذ
عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خيل اليهم العصا حية والادم ابيض فان قلت قد عزي هذا الكلام الى فرعون
في سورة الشعراء وانه قاله للملأ وعزي ههنا اليهم قلت قد قاله هو وقالوه ثم حكى قوله ثم وقولهم ههنا
او قاله ابتداء فتلقفته منه الملأ فقالوه لاعقابهم او قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يؤدي الواحد
منهم الرأي فيكلم به من يليه من الخاصة ثم يبلغه الخاصة العامة والدليل عليه انهم اجابوا في قولهم ارجه واخاه
وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وقرئ سحار او يأتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة او بخير منه
وكان هذه موامرة مع القبط وقولهم فماذا تأمرون من امرته فأمجنه بكذا اذا شاوره فاشار عليك برأي وقيل
فماذا تأمرون من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم كانه قيل قال فماذا تأمرون قالوا
ارجه واخاه اخذهما واصرفهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر امرهما وقيل احبسهما وقرئ ارجئه بالهمزة
وارجه من ارجاء وارجأ فان قلت هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا قلت هو على تقدير سائل سأل
فقال اذا جاءوه فاجيب بقوله قالوا ائن لنا لاجرا اجعلا على الغلبة وقرئ ان لنا لاجرا على الاخبار وايثار
الاجر العظيم وايجابه كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة
فان قلت وانكم لمن المقربين ما الذي عطف عليه قلت هو معطوف على محذوف سد مسد جواب الا
كانه قال اجابنا لقولهم ان لنا لاجرا نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين اي اني لا اقتصر بكم على الثواب وحده وان لكم مع الثواب
ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لان المثاب انما يتهنأ بما يصل اليه ويغتبط به اذا نال معه الكرامة والزلفة وروي انه

وجاء السحرة فرعون قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون

قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ۝ قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس
واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ۝ وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون ۝ فوقع
الحق وبطل ما كانوا يعملون ۝ فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ۝ وألقي السحرة ساجدين ۝ قالوا
آمنا برب العالمين ۝ رب موسى وهارون

قال لهم تكونوا اول من يدخل وآخر من يخرج وروي انه دعا برؤساء السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد علمنا
سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وروي انهم كانوا ثمانين الفا وقيل
سبعين الفا وقيل اربعة وثلثين الفا واختلف الرواة في اعمارهم فمن مقل ومن مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من اهل
نينوى وقيل قال فرعون لثعالب موسى الا ما هو منه يعني السحر فخيرهم اياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل
اهل الصناعات اذا التقوا كالمتناظرين قبل ان يتخاوضوا في الجدال والمتصادعين قبل ان يتآخذوا في المصراع وقولهم
واما ان نكون نحن الملقين الملقين فيه ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المنفصل بالمتصل وتعريف الخبر او تعريف
الخبر وايلام الفصل وقد سوغ لهم موسى ما نازعوه فيه ازدراء بشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التأييد
السماوي وان المعجزة لن تغلبها سحر ابدا اسحروا اعين الناس اروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة
بخلافه كقوله يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وروي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي امثال الحيات قد ملأت
الارض وركب بعضها بعضا واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم بسحر عظيم في باب السحر
وروي انهم لوثوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة وقيل جعلوا فيها الزئبق ما يأفكون ما موصولة او مصدرية
اي يأفكونه او يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه او افكهم تسمية للمأفوك بالافك وروي انها لما تلقفت حبالهم
الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة او فرقها اجزاء
لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم اي فاش
فيها من قولهم فاش وقيع وانقلبوا صاغرين وصاروا اذلة مهوتين والقي السحرة وخروا سجدا كأنما حملهم الغاية
لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم القوا عن قتادة وكانوا اول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهداء
بررة وعن الحسن نزلوا في الاسلام ونشأوا بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشأوا في بذلوا انفسهم لله
آمنتم على الاخبار فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخا لهم وتقريعا وقرئ آمنتم بحرف الاستفهام ومعناه الانكار
والاستبعاد ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة ان صنعكم هذا لجناية اجتمعتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا منها اهلها
هذا التعجيل قد تواطأتم على ذلك لتخرجوا منها القبط وتسكنوا بني اسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون لقومه
على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان وروي ان موسى عليه السلام قال للساحر الكبير لقومه من بني اذا غلبتك قال الكبير لا يغلب
لا يغلب سحر وان غلبتني لأؤمنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال فسوف تعلمون وعيد اجمله ثم فصله بقوله لأقطعن
وقرئ لأقطعن بالتخفيف وكذلك ثم لأصلبنكم من خلاف من كل شق طرفا وقيل اول من قطع من خلاف وصلب
لفرعون انا الى ربنا منقلبون فيه اوجه ان يريدوا انا بالموت لا نقلب الا الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن
لقائك او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب وانا جميعا يعني انفسهم وفرعون تنقلبك الله

قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون ۝ لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين ۝ قالوا إنا إلى ربنا منقلبون

وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ۝ وقال الملأ من قوم
فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا
فوقهم قاهرون ۝ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين ۝ قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا

فيحكم بيننا والإنكار مجازاة يقول متعابون إلى الله فما تقدر أن تفعل بنا إلا ما هو أهله لنا منه وما تنقم منا إلا أن آمنا وما تعيب
منا إلا الإيمان بآيات الله إذا رأوها وما تعيب إلا ما هو أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الإيمان ومنه قوله ولا عيب فيهم غير
أن سيوفهم أفرغ علينا صبرا واسعا واكثر علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء إفراغا وعن بعض السلف إذا أحدكم
ليفرغ على أخيه ذنوبا فما ظنك بالجبال والجمل أو صب علينا ما يطهرنا من الوضاء والآثام وهو الصبر على
ما توعدنا به فرعون وأنهم علموا أنهم إذا استعانوا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الإسلام ويذرك
عطف على ليفسدوا لأنه إذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا إلى ما دعوه فسادا وإلى تركه وترك آلهته فكأنه تركهم لذلك أو هو
جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة ۝ ألم أك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والإخاء والنصب
باضمار أن تقديره أيكون منك ترك موسى ويكون تركه إياك والهتك وقرئ ويذرك والهتك بالرفع عطفا على تذر يعني
أتذر وأيذرك أو انطلاق له ذلك أو يكون مستأنفا أو حالا على معنى أتذره وهو يذرك والهتك وقرأ الحسن
ويذرك بالجزم كأنه قيل يفسدوا كما قرئ وأكن من الصالحين كأنه قيل أصدق وقرأ أنس رض وتذرك بالتاء والنصب
أو يصرفنا عن عبادتك تذرها وقرئ ويذرك والهتك أو عبادتك وروي أنهم قالوا له ذلك لأنه وافق السحرة على الإيمان
حماية لأنفسهم فأراد وأبا لفساد في الأرض ذلك وخافوا أن يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه
أصناما وأمرهم أن يعبدوها تقربا إليه كما يعبد عبدة الأصنام الأصنام ويقولون ليقربونا إلى الله زلفى ولذلك قال
أنا ربكم الأعلى سنقتل أبناءهم يعني سنعيد عليهم ما كنا نجتاهم به من قتل الأبناء ليعلموا أنا على ما كنا عليه من الغلبة
والقهر وأنهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا وأن غلبة موسى لا أثر لها في تمكننا واستيلائنا وليذلوا يتوهم العامة
أنه هو المولود الذي تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم إلى اتباعه
وأن نستظهر بعد قال موسى لقومه استعينوا بالله قال لهم ذلك حين قال فرعون سنقتل أبناءهم فجزعوا منه وتضجروا
يسكنهم ويسليهم ويعدهم النصرة عليهم ويذكرهم ما وعد الله بني إسرائيل من إهلاك القبط وتوريثهم أرضهم وديارهم
فإن قلت لم أدخلت هذه الجملة عن الواو وأدخلت على التي قبلها قلت هي جملة مبتدأة مستأنفة
وأما وقال الملأ فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون وقوله إن الأرض لله يجوز أن يكون اللام
للعهد ويراد أرض مصر خاصة كقوله وأورثنا الأرض وأن يكون للجنس فتتناول أرض مصر وغيرها من جنس الأرض
كما قال يورثها من يشاء فأراد بالمراد الجنس وغرضه أن يتناوله تناولا أوليا والعاقبة للمتقين بشارة بأن
الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وأن المشيئة متناولة لهم وقرأ والعاقبة للمتقين بالنصب أبو
مسعود عطفا على الأرض أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل أبنائهم قبل مولد موسى إلى أن
استنبئ وإعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدونه به ويستهينون فيه من أنواع الخدم والمهن والأخوذ به من الغلظ

قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ۝ ولقد أخذنا آل فرعون
بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ۝ فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا
بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون ۝ وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها

قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم تصريح بما رمز إليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو إهلاك فرعون واستخلافهم
بعده في أرض مصر فينظر كيف تعملون فيرى الطائعين منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم
على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد أنه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف ورغيفان
فطلب زيادة لعمرو فلم يوجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر
كيف تعملون بالسنين بسني القحط والسنة من الأسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا
منها فقالوا أسنت القوم بمعنى أجدبوا قال ابن عباس رض أما السنون فكانت لبادتهم وأهل مواشيهم وأما
نقص الثمرات فكان في أمصارهم وعن كعب أتى على الناس زمان لا يحملون الثمرة لعلهم يذكرون فيتنبهوا
على أن ذلك صارم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله وبلاء الناس في حال الشدة أضرع خدودا وألين أعطافا
وأرق أفئدة وقيل عاش فرعون أربعمائة سنة ولم يمكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو أصابه في تلك
المدة وجع أو جوع أو حمى لما ادعى الربوبية فإذا جاءتهم الحسنة من الخصب والرخاء قالوا لنا هذه أي هذه
مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم تزل في النعمة والرفاهية واللام مثلها في قولك الحمد لله وإن تصبهم سيئة
من جدب وقحط يطيروا بموسى ومن معه يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما أصابنا
كما قالت الكفرة لرسول الله هذه من عندك فإن قلت كيف قيل فإذا جاءتهم الحسنة بإذا وتعريف الحسنة
وإن تصبهم سيئة بإن وتنكير السيئة قلت لأن جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه
وأما السيئة فلا تقع إلا في الندرة ولا يقع إلا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عدت أيام البلاء فهل عدت أيام
الرخاء طائرهم عند الله أي سبب خيرهم وشرهم وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لأجله ويعاقبهم
به بعد موتهم ما وعدهم الله في قوله النار يعرضون عليها الآية وطائرا إشام من وقرأ الحسن إنما طيرهم عند الله
وسواء الجمع طائر غير تكسير ونظيره التجر والركب وعند أبي الحسن هو تكسير مهما هي ما المتضمنة معنى الجزاء ضمت إليها
ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج أخرج أينما تكونوا يدرككم الموت فأما يذهبن بكم إلا أن الألف قلبت هاء
استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري ومن الناس من زعم أن مهما هي الصوت الذي يصوت
به الكاف وما للجزاء كأنه قيل كف ما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فإن قلت ما محل مهما قلت
الرفع بمعنى أي شيء تأتنا به أو النصب بمعنى أي شيء تجئنا وأي شيء تأتنا به ومن آية تبيين لها والضمير في به وبها
راجعان إليها إلا أن أحدهما ذكر على اللفظ والثاني أنث على المعنى لأنه في معنى الآية ونحو قول زهير ومهما يكن عند
امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يجوز فيها أن لا يبالي في علم العربية
تيمنها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني أعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية

فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم

الجنون

فى شئ ثم يذهب فيفسر بها تاتيا به من آية بحيث الوقت فيلحد فى آيات الله وهو لا يشعر وهذا واتا
مما يوجب الجنون بين يدى الناظر فى كتاب سيبويه فان قلت كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها
قلت ما سموها آية لاعتقادهم انها آية وانما سموها آية اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا بذلك
الاستهزاء والتلهى الطوفان ما طاف بهم وغلبهم من مطر او سيل قيل طغى الماء فوق جرفهم وذلك انهم
مطروا ثمانية ايام فى ظلمة شديدة لا يبصر فيها شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد ان يخرج من داره وقيل ارسل الله عليهم
السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بنى اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا
فى الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم وركد فمنعهم من
الحرث والبناء والتصرف فى دام عليهم سبعة ايام وعن ابى قلابة الطوفان الجدرى وهو اول عذاب وقع فيهم
فبقى فى الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك
فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلاء والزرع ما لم يعهد مثله فاقاموا شهرا فبعث الله عليهم
الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شئ حتى الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل
بيوت بنى اسرائيل منها شئ ففزعوا الى موسى ووعدوه التوبة فكشف عنهم سبعة ايام فخرج موسى عليه السلام الى الفضاء
فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحى التى جاء منها فقالوا ما نحن بتاركى ديننا فاقاموا
شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحنان فى قول ابى عبيدة كبار القردان وقيل الدبا وهو اولاد الجراد
قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان
يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان ياكل احدهم طعاما فيمتلئ قملا وكان يخرج احدهم عشرة اجربة
الى الرحى فلا يرد منها الا يسير وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اغفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا
فاخذ فى ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدرى فصاحوا وصرخوا وفزعوا
الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل عليهم بعد شهر
الضفادع فدخل بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم واطعمتهم فلا يكشف احد شيئا من طعام ثوب ولا طعام ولا شراب
الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل اذا اراد ان يتكلم وثبت الضفدع الى فيه وكانت تقتلى منها مضاجعهم
ولا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها فى القدور وهى تغلى فى التنانير وهى تقود فشكوا الى موسى
وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقى الا ان نتوب التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم
نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال انه ساحر فكان يجمع بين
القبطى والاسرائيلى على اناء واحد فيكون ما يلى الاسرائيلى ماء وما يلى القبطى دما ويستقيان من ماء واحد

آيات مفصلات واستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك
بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز
الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فاغرقناهم فى اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها

٢١١

فيخرج للقبطى الدم وللاسرائيلى الماء حتى ان المرأة القبطية تقول لجارتها الاسرائيلية اجعلى الماء فى فيك
ثم تمجه فى فمى فيصير الماء فى فيها دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك وكان يمص الشجار الرطبة فاذا مضغها صار
ماء وما الطيب لحما اجاجا وعن سعيد بن المسيب سلط عليهم النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف وروى
ان موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات وروى انه لما ادخل يده والعصا
ونقص الثمرات قال رب ان عبدك هذا عتا فى الارض فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومى
عظة ولمن بعدى آية فحينئذ بعث الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من النقم وقرأ الحسن والقمل
بفتح الكاف وسكون الميم يريد الفسل المعروف آيات مفصلات نصب على الحال وبينات مفصلات مبينات ظاهرات
لا يشكل على عاقل انها من آيات الله التى لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم او فصل بين بعضها بعض
بزمان يمتحن فيه احوالهم وينظر ايستقيمون على ما وجدوا من انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة عليهم بما جعل عندك
ما مصدرية والجعل بمعنى عندك وهو النبوة والباء اما ان يتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما ان يجعلنا
الى ما تطلب ليكون من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة او ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك ولنا
ان يكون قسما مجابا بلئن منزلا منزلة لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى اجل هم بالغوه الى حد
من الزمان هم بالغوه لا محالة فيعذبون فيه لينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون
جواب لما يعنى فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث وبادروه ولم يوفوه ولكن كما انكشف عنهم نكثوا فانتقمنا منهم
فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم واليم البحر الذى لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من
التيمم لان المستغوين به يقصدونه بانهم كذبوا بآياتنا او كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها
وقلة فكرهم فيها القوم الذين كانوا يستضعفون هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه والارض مصر
والشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاؤا فى اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية
باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق كلمة ربك الحسنى قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا الى قوله ما كانوا
يحذرون والحسنى تانيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بنى اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر
اذا مضى عليه بما صبروا بسبب صبرهم وحبسك به جانا على الصبر ودلالة على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه
ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا
الآية ومعنى خف طاش حزنا وقلة صبر ولم يدر ان رزانته اولى الصبر وقرأ عاصم فى رواية وتمت كلمات
ربك الحسنى ونظيره من آيات ربه الكبرى ما كان يصنع فرعون وقومه ما كانوا يعملون ويبنون من العمارات وبناء
القصور وما كانوا يعرشون من الجنات وهو الذى انشأ جنات معروشات او وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة

وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال
إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم
على العالمين وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم

في السماء كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون بالكسر والضم وذكر اليزيدي أن الكسر أصح وبلغني أن قراء
بعض الناس بعض الناس يعرشون من غرس الأشجار وما أحسبه إلا تصحيفاً منه وهذا آخر ما اقتص الله من
نبأ فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم أتبعه اقتصاص نبأ بني إسرائيل وما أحدث
بعد إنقاذهم من ملكة فرعون واستعبادهم ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب
رؤية الله جهرة وغير ذلك من أنواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الإنسان وأنه كما وصفه ظلوم كفار جهول كنود إلا
من عصمه الله وقليل من عباده هم الشكور وليسلي رسول الله مما رأى من بني إسرائيل بالمدينة وروي أنه عبر بهم
موسى يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكراً لله فأتوا على قوم فرقوا عليهم يعكفون على
أصنام لهم يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل وقيل
كانوا قوماً من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم وقرئ وجوزنا بمعنى أجزنا
يقال أجاز المكان وجوزه وجاوزه بمعنى جاز كقولك علا وعلاه وعلاه وقرئ يعكفون بضم الكاف
وكسرها اجعل لنا إلهاً صنماً نعكف عليه كما لهم آلهة أصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف فلذلك دخلت الجملة
بعدها وعن علي رضي الله عنه أن يهودياً قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا إلهاً ولما يجف
أقدامكم إنكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على إثر ما رأوا من الآيات العظام والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل
المطلق والكفر لأنه لا جهل أعظم مما رأى منهم ولا أشنع إن هؤلاء يعني تلك الأصنام متبر ما هم فيه مدمر مكسر
ما هم فيه من قولهم تبر إذا كان تفتيتاً ويقال للكسار الذهب التبر أي يتبر الله ويهدم دينهم الذي
هم عليه علي يدي ويحطم أصنامهم هذه ويتركها تفتيتاً وباطل ما كانوا يعملون ما عملوا شيئاً من عبادتها فيما
سلف إلا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وإن كانوا في زعمهم تقربوا بالمي الله كما قال وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثوراً وفي إيقاع هؤلاء اسماً لإن وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبراً لها وسم لعبدة الأصنام
بأنهم هم المعرضون للتبار وأنه لا يعدوهم البتة وأنه لهم ضربة لازب لا يحذرهم عاقبة ما طلبوا وينغص إليهم ما
أجهوا أغير الله أبغيكم إلهاً غير المستحق للعبادة أطلب لكم معبوداً وهو فضلكم ما نفرادوه خير من الاختصاص
بالنعمة التي لم يفضلها أحداً غيركم لتختصوا بالعبادة يسومونكم سوء العذاب يذيقونكم أشد أنواع العذاب فإن قلت
ما محل يسومونكم قلت هو استئناف لا محل له ويجوز أن يكون من الخطاب لبني إسرائيل أو من آل فرعون وذلك إشارة إلى الإنجاء
أو إلى العذاب والبلاء النعمة والمحنة وقرئ يقتلون بالتخفيف روي أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهو بمصر
أن الله يهلك عدوهم إذا أتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما أهلك فرعون سأل موسى ربه
الكتاب فأمر بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة

وإذ نقرنا لكم بلاء من ربكم عظيم وإذ أعدنا موسى

ثلاثين ليلة

وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح
ولا تتبع سبيل المفسدين ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني

كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك وقيل أوحى الله إليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب
عندي من ريح المسك فأمره الله أن تزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك وقيل أمر الله بأن يصوم ثلاثين
يوماً وأن يعمل فيها ما يتقرب به من الله ثم أنزلت عليه التوراة وكلم فيها ولقد أجمل ذكر الأربعين في سورة البقرة وفصلها
ههنا وميقات ربه ما وقته الله من الوقت وضربه له أربعين ليلة نصب على الحال أو تم بالغاً هذا العدد وهرون
عطف بيان لأخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم وأصلح وكن مصلحاً أو وأصلح
ما يجب أن يصلح من أمور بني إسرائيل ومن دعائهم إلى الإفساد فلا تتبعه ولا تطعه لميقاتنا لوقتنا الذي
وقتناه له وحددناه ومعنى اللام الاختصاص فكأنه قيل واختص مجيئه لميقاتنا كما تقول أتيته لعشر خلون
من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملائكة وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقاً به في بعض الأجرام كما خلقه
مخطوطاً في اللوح وروي أن موسى كان لا يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أربعين يوماً وأربعين ليلة
وكتب له الألواح وقيل إنما كلمه في أول الأربعين أرني أنظر إليك ثاني مفعولي أرى محذوف أرني نفسك أنظر إليك
فإن قلت الرؤية من النظر فكيف قيل أرني أنظر إليك قلت معنى أرني نفسك أجعلني متمكناً من
رؤيتك بأن تتجلى لي فأنظر إليك وأراك فإن قلت فكيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر إليّ لأن قوله أنظر إليك قلت
لما قال أرني بمعنى اجعلني متمكناً من الرؤية التي هي الإدراك علم أن الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه
فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر إليّ فإن قلت كيف طلب موسى عليه السلام وهو من أعلم الناس بالله وصفاته وما
يجوز عليه وما لا يجوز وتعالى الله عن الرؤية التي هي إدراك ببعض الحواس وذلك إنما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم
ولا عرض فمحال أن يكون في جهة ومنح الجهة الجاهلية في العقول غير لازم لأنه ليس بأول مكابرتهم وإنكارهم وكيف يكون
طالبه وقد قال حين أخذت الرجفة الذين قالوا أرنا الله جهرة أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إلى قوله تضل بها من تشاء
فتبرأ من فعلهم ودعائهم سفهاء وضلالاً قلت ما كان طلبه الرؤية إلا لتبكيت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالاً لا
وتبرأ من فعلهم وإلجاء الحجة وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في
لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نراه فأراد أن يسمعوا التصريح من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا
وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب أرني أنظر إليك فإن قلت فهلا قال أرهم ينظروا إليك قلت
لأن الله سبحانه إنما كلم موسى عليه السلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة أرادوا أن يرى موسى ذاته فيبصروه
محققاً سمعوا تسمعون سماعه إرادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى رب أرني أنظر إليك ولأنه إذا أجيب عما
طلب أنكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله وقيل له لن تكونه ذلك كان غيره أولى بالإنكار ولأن الرسول
إمام أمته وكان ما يخاطب به أو يخاطب إجماعاً إليهم وقوله أنظر إليك وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه

في العشر

الحق

وَلٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ

والتجسيم دليل انه ترجمة عن مقتر جسم وحكاية لقولهم وجل صاحب الجمل انجعل الله منظورا مقابلا بحاسة النظر فكيف من اعترف في معرفة الله من واصل بن عطا وعمرو بن عبيد والنظام وابي الهذيل والشحام وجميع المتكلمين فان قلت ما معنى لن قلت تاكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك ان لن ينفي المستقبل تقول لا افعل غدا فاذا اكدت نفيها قلت لن افعل غدا والمعنى ان فعله ينافي حالي كقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الابصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تاكيد وبيان لان المنفي هذا في لصفاته فان قلت كيف اتصل الاستدراك في قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله قلت اتصل به على معنى ان النظر الى محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو ان تنظر الى الجبل الذي يرجف بك ومن طلبت الرؤية لاجلهم كيف افعل به وكيف اجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما اقدمت عليه مما ازيل من عظم الشان كانه حزن وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد اليه في قوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فان استقر مكانه كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالارض وهذا كلام مدبج بعضه في بعض وارد على اسلوب عجيب ونظم بديع الا ترى كيف تخلص من النظر الى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشرطية في وجود الرؤية اعني قوله فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتدار وتصدى له امر وارادة جعله دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء والدكاء الكراية الناشزة من الارض كالدكة او ارضا دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء اي مدها مستوية وقرأ يحيى بن وثاب دكا اي قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا من هول ما رأى وصعق من باب فعلة يفعل نقال صعقته فصعق ويقال لها الصاعقة من صعقه اذا ضربه على راسه ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت وروي ان الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة فلما افاق من صعقته قال سبحانك انزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت اليك من طلب الرؤية وانا اول المؤمنين بانك لست مرئيا ولا مدركا بشيء من الحواس فان قلت فان كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب قلت من اجراء تلك المقالة العظيمة ان كان الغرض صحيح على لسانه من غير اذن فيه فما تظن بالعظام الله امر الرؤية في هذه الآية وكيف اجعل الجبل بطالبها وجعله دكا وكيف اصعقهم ولم يخل كليمه من نقيان ذلك مبالغة في اعظام الامر وكيف صح توبة ملتجيا الله وتاب من اجراء تلك الكلمة على لسانه وقال انا اول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين باهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسميتهم بالهلكة فانه من منصوبات شياطينهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم لجماعة سموا هواهم

قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وامر قومك يأخذوا باحسنها سأريكم دار الفاسقين

سنة وجماعة جمع اعزي موكفه قد شهوه بخلقه وتجوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفة وتفسير آخر وهو ان يريد بقوله ارني انظر اليك حتى فتى نفسك تعريفا واضحا جليا كانها رأته في جلائها بآية مثل آيات القيمة التي تضطر الخلق الى معرفتك انظر اليك اعرفك معرفة اضطرار كاية انظر اليك كما جاء في الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر يعني ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء كابصاركم القمر اذا امتلأ واستوى قال لن تطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن يحتمل قوتك تلك الرؤية المضطرة ولكن انظر الى الجبل فاني اورد عليه وانظر له آية من تلك الآيات فان ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى صعقا لعظم ما رأى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك مما اقترحت وتجاسرت وانا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك وانه شيء لا يقوم لبطشك يا موسى اصطفيتك على الناس اختركم على اهل زمانك وآثرتك عليهم برسالاتي وهي اسفار التورية وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما آتيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك فهي من اجل النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطي التورية يوم النحر فان قلت كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هرون مصطفى مثله ونبيا قلت اجل ولكنه تابعه وورد انه وزيره والكليم هو موسى والاصل في جعل الرسالة ذكروا في عدة الالواح وفي جوهرها وطولها انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبرئيل وقيل من زبرجد خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله موسى بقطعها من صخرة صماء ليتهيأ له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التورية وان طولها كان عشر اذرع وقوله من كل شيء في محل النصب مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلا بدل منه والمعنى وكتبنا له كل شيء كانوا بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل انزلت التورية وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فاني من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز ان يكون بدلا من قوله فخذ ما آتيتك والضمير في فخذها للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء او للرسالات او للتورية ومعنى بقوة بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل يأخذوا باحسنها اي فيها ما هو حسن واحسن كالانتصار والعفو والصبر فعزم ان يحملوا على انفسهم في الاخذ بما هو داخل في الحسن واكثر للثواب وائتمروا احسن ما انزل اليكم وقيل يأخذ بما هو واجب وندب لانه احسن من الجناح ويجوز ان يراد يأخذوا بما امروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف احر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كيف انفرت منهم ودمرت انفسهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين اهلكهم الله لفسقهم فيما حرمكم عليها في اسفاركم

سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد
لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين والذين
كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون واتخذ قوم موسى

وقيل دار الفاسقين جهنم وقرأ الحسن سأوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز يقال أوردني كذا وأوريته
ووجهه أن يكون من أوريت الزند كأن المعنى يبينه لي وأنبئه لأستبينه وقرئ سأوردكم وهي قراءة حسنة
يصححها قوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون سأصرف عن آياتي بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم
لأنهم لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وإنهما كانا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عظمت الدنيا نزع منها هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت
بركة الوحي وقيل سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا كما اجتهد فرعون أن يبطل آية موسى بأن جمع لها السحرة
فأبى الله إلا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز سأصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا بإهلاكهم
وفيه إنذار للخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم فيسلكهم سبيلهم بغير
الحق فيه وجهان أن يكون حالا معنى يتكبرون غير محقين لأن التكبر بالحق لله وحده وأن يكون صلة لفعل التكبر أو يتكبرون
بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم وأن يروا كل آية من الآيات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وقرأ مالك بن دينار
وأن يروا بضم الياء وقرئ سبيل الرشد والرشد والرشاد كقولهم السقم والسقم والسقام وما أسف
من ركب المفازة فإن رأى طريقا مستقيما أعرض عنه وتركه وإن رأى معتسفا مرديا أخذ فيه وسلكه ففاعل نحو
ذلك في دينه أسفه ذلك في محل الرفع والنصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم أو صرفهم الله ذلك الصرف بسببه
ولقاء الآخرة يجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول به أي ولقاؤهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها ومن إضافة
المصدر إلى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الآخرة من بعد فإنه إيابهم إلى الطور فإن قلت لم قيل
واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامري قلت فيه وجهان أحدهما أن ينسب الفعل إليهم لأن رجلا منهم
باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا والقائل والفاعل واحد ولأنهم كانوا مريدين لاتخاذه
راضين به فكأنهم اجتمعوا عليه والثاني أن يراد واتخذوه إلها وعبدوه وقرئ من حليهم بضم الحاء والتشديد جمع
حلي كثدي وثدي ومن حليهم بكسر الحاء للاتباع كدلي ومن حليهم على التوحيد وللحلي اسم ما يتحلى به من
الذهب والفضة فإن قلت لم قال من حليهم ولم يكن الحلي لهم إنما كانت عواري في أيديهم قلت الإضافة
تكون بأدنى ملابسة وكونها عواري في أيديهم كفى به ملابسة على أنهم قد ملكوها بعد الاستلاب كما ملكوا غيرها من أملاكهم
ألا ترى إلى قوله تعالى فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل جسدا بدنا ذا لحم
ودم كسائر الأجساد والخوار صوت البقر قال الحسن إن السامري قبض قبضة من تراب من أثر فرس جبريل
يوم قطع البحر فقذفه في فم العجل فكان عجلا له خوار وقرأ علي رضي الله عنه جؤار بالجيم والهمزة من جأر إذا صاح واستغاث
جسدا على البدل من عجلا ألم يروا حين اتخذوه إلها أنه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان

إلها لكان خيرا منه وكانوا ظالمين ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا
لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر
ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه

الحرمان الكلمات لتفرا البحر قبل أن تنفذ كلماته وهو الذي هدى الخلق إلى سبيل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من
الأدلة وبما أنزل في كتبه ثم ابتداء فقال اتخذوه أي اقدموا على ما أقدموا عليه من الأمر المنكر وكانوا ظالمين واضعين كل شيء
في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا أول منكر منهم ولما سقط في أيديهم ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل
لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غما فيصير يده مسقوطا فيها لأن فاه قد وقع فيها وسقط مسند إلى
في أيديهم وهو من باب الكناية وقرأ أبو السمال سقط في أيديهم على تسمية الفاعل أي وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط
الندم في أيديهم أي في قلوبهم وأنفسهم كما يقال حصل في يد فلان كذا وإنما كان محالا أن يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب
وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين ورأوا أنهم قد ضلوا وتبين ضلالهم تبينا كأنهم أبصروه بعيونهم وقرئ
لئن ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالتاء وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام النادمين كما قال آدم وحواء عليهما السلام
وإن لم تغفر لنا وترحمنا الآية غضب شديد الغضب فلما آسفونا أغضبونا أنقمنا منهم وقيل هو الحزين خلفتموني
قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب إما أن يكون لعبدة الأصنام العجل من السامري وأشياعه
أو لوجوه بني إسرائيل وهم هرون وعلماء والمؤمنون معه ويدل عليه أخلفتموني في قومي والمعنى بئس ما خلفتموني حيث
عبدتم العجل مكان عبادة الله أو حيث لم تكفوا من عبده غير الله فإن قلت أين ما يقتضيه بئس من الفاعل
والمخصوص بالذم قلت الفاعل ضمير يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة
خلفتموني بها من بعدي خلافتكم فإن قلت أي معنى لقوله من بعدي بعد قوله خلفتموني قلت معناه من بعد
ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه وإخلاص العبادة له أو من بعد ما كنت أحملهم على التوحيد وأكفهم
عما ملجت نحوه أبصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة
المستخلف من بعده ولا يخالفوه ونحو خلف من بعدهم خلف أي من بعدهم وليكن الموصوفين بالصفات الحميدة يقال عجل
عن الأمر إذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه وأعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت
والمعنى أعجلتم عن أمر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبلغتم الأمر على أن الميعاد قد بلغ آخره
ولم أرجع إليكم فجدتم أنفسكم بموتة فقيتم كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم وروي أن السامري قال لهم حين أخرج
لهم العجل وقال هذا إلهكم وإله موسى إن موسى لن يرجع وإنه قد مات وروي أنهم لبثوا عشرين يوما يليا لهما
فجعلوها أربعين ثم أخذوا ما أخذوا والقى الألواح وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه
حديث العجل غضبا لله وحمية لدينه وكان حديدا شديد الغضب كان هدوءه ألين شيء جانبا ولذلك كان أحب إلى بني
إسرائيل من موسى وروي أن التوراة كانت سبعة أسباع فلما ألقى الألواح تكسرت فرفع منها ستة أسباعها وبقي سبع
واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة وأخذ برأس أخيه أي بشعر رأسه يجره إليه بذوابته

قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم
الظالمين قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين ان الذين اتخذوا
العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين والذين عملوا
السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ولما سكت عن موسى

وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذي استفزه وذهب بفطنته وطنبا اخيه انه فتط في الكف وابن ام
قرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الاضافة وابن امي بالياء وابن ام بكسر الهمزة والميم
وقيل كان اخاه لابيه وامه فان صح فانما اضاف الام اشارة اليها انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف
والرقة واعظم للحق الواجب لها كانت مومنة فاعتد بنسبها ولانها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكر
بحقها ان القوم استضعفوني يعني انه لم يال جهده في كفهم بالوعظ والانذار وبالغ فيه طاقته من بذل القوة
في مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق الا ان يقتلوه فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما هو اشمت لهم من
الاستهانة بي والاساءة الي وقرئ فلا يشمت بي الاعداء على نهي الاعداء عن الشماتة والمراد ان لا يحل به ما يشمتون
به لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين ولا تجعلني في مواجدتك علي وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا او ولا
تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم لما اعتذر اليه وذكر له شماتة الاعداء قال رب اغفر لي ولا
ليرضى اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلا يتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه الى اخيه ولاخيه
ولاخيه ان عسى فرط في حسن الخلافة وطلب له ان يتغمده برحمته ولا تزل المنظمة لها في الدنيا والآخرة
غضب من ربهم وذلة الغضب تما امروه من قتل انفسهم والذلة خروجهم من ديارهم لان ذل الغربة مثل مضروب
وقيل هو ما نال ابناؤهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية
المفترين الكذبين على الله ولا فرية اعظم من قول السامري هذا الهكم واله موسى ويجوز ان يتعلق في الحياة الدنيا بقوله
وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا من بعد ذلك
من بعد عبادة العجل واعتذروا اليه وآمنوا واخلصوا الايمان ان ربك من بعدها من بعد تلك الوظائم لغفور لمستور عليهم مجاز
لما كان منهم رحيم منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذوا العجل ومن عداهم عظم جنايتهم او لا ثم اردفها بعظم
رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه اعظم واجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي
وجوب التوبة والانابة وما وراء طبع قارع وانبعثت باردة لا يلتفت اليها جازم ولما سكت عن موسى الغضب
هذا مثل كان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح وجر برأس اخيك اليك فترك النطق بذلك
وقطع الاغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة
والا فالقاة معوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الحمية وطرفا من تلك
الوعة وقرئ ولما تكت واسكت اي اسكته الله او اخذ باعنان الهوى وتصلبه والمعنى ولما طفي غضبه اخذ
الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ منها او كتب في النسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة لانهم يرهبون
دخلت اللام لتقدم المفعول لان تاخير الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحو للرؤيا تعبرون وتقول للضرب اختار

وقيل كان الالواح ستة وفيه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون

يعني موجدتك علي

واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي
اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير
الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال

٢١٥

موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقوله منا الذي اختير الرجال سماحة وقيل اختار
من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة حتى تاموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال
اقترعوا فمن قعد منكم فله اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يصب الاسبطين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار
من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين
قد ذهبت عنهم الجهل والصبا فامرهم موسى ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ليخرج بهم الى الطور ميقات
ربه وكان امره ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما دنى موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى يغشى
الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم
موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وانكر
عليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب اني اظن اليك يريدون ان يسمعوا الرد والانكار
من جهته فاجيب بان تراني رجف بهم الجبل فصعقوا ولما كانت الرجفة قال موسى رب لو شئت اهلكتهم
من قبل واياي وهذا تمني منه للاهلاك قبل ان يرى ما راى من تبعة طلب الرؤية كما يقول النادم على الامر
اذا راى سوء المغبة لو شاء لاهلكني قبل هذا اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني اتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم
انما طلب الرؤية تحرجا للسفهاء وتمم طلبه سفها وجهلا ان هي الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا
كلامك فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء تضل
بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك ضلالا من الله
وهدى منه لانه محنة لما كان سببا لان ضلوا واهتدوا فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع انت ولينا مولانا
القائم بامورنا واكتب لنا واثبت لنا واقسم في هذه الدنيا حسنة عافية وحيوة طيبة او توفيقا في الطاعة وفي
الآخرة حسنة الجنة هدنا اليك تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب ليعضهم
يا راكب الذنب هد هد واجد كانك هدهد وقرأ ابو جعفر التعديت هدنا اليك بكسر الهاء من هاد
يهيد اذا حرك واماله ويحتمل امرين ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول يعني حركنا اليك انفسنا واملناها او حركنا
اليك واملنا على تقدير فعلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة ويجوز عدت بالاشمام
وعدت باخلاص الضمة ينمن قال عود المريض وقول القول ويجوز على هذه اللغة ان يكون هدنا بالضم فعلنا من
هاده يهيده عذابي من حاله وصفته اصيب به من اشاء من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو
عنه مساغ لكونه مفسدة واما رحمتي فمن حالها وصفتها انها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع
ولا عاص الا وهو متقلب في نعمتي وقرأ الحسن من اساء من الاساءة فساكتب هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني

على الذين اتقوا ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون

الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم
إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي

إسرائيل للذين يكونون في آخر الزمان من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها
الذين يتبعون الرسول الذي نوحي إليه كتابا مختصا به وهو القرآن النبي صاحب المعجزات الذي هو نعته يجدونه
أولئك الذين يتبعونه من بني إسرائيل مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من
الأشياء الطيبة كالشحوم وغيرها أو ما طابت في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من
الخبث ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به أو ما خبث
في الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة ويضع الإصر الثقل الذي يأثم صاحبه أو يحبسه من الحراك
لثقله وهو مثل لثقل تكاليفهم وصعوبة نحو اشتراط قتل الأنفس في صحة توبتهم وكذلك الأغلال مثل لما كان في شرائعهم
من الأشياء الشاقة نحو بتت القضاء بالقصاص عمدا كان أو خطأ من غير شرع الدية وقطع الأعضاء الخاطئة
وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب وإحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت وعن عطاء كانت
بنو إسرائيل إذا قامت لتصلي لبسوا المسوح وغلوا أيديهم إلى أعناقهم ومن ثم تعبد الرجل ترقوته وجعل منها
طرف السلسلة وأوثقها إلى الساري يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم على الجمع وعزروه ومنعوه
حتى لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف وأصل العزر المنع ومنه التعزير الضرب دون الحد لأنه منع من معاودة
القبيح الذي يستحق به الحد والحد هو المنع والنور القرآن فإن قلت ما معنى قوله أنزل معه وإنما أنزل
مع جبريل قلت معناه أنزل مع نبوته لأن استنباءه كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به ويجوز أن يتعلق
باتبعوا أي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته وبما أمر به ونهى عنه أو واتبعوا القرآن كما
اتبعه مصاحبين له في اتباعه فإن قلت كيف تطابق هذا الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه قلت لما دعا
لنفسه ولبني إسرائيل بما هو منطو على توبيخ بني إسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله وعلى كفرهم بآيات الله العظام التي
أجراها على يد موسى عليه السلام وعرض بذلك قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون وأريد أن يكون استماحا أو طمعا في إعطائهم
الذين آمنوا برسول الله وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من أهل الكتاب بين لطفائهم وترغيبا في إخلاص الإيمان
والعمل الصالح وفي أن يحشرهم معهم ولا يفرق بينهم وبين أعقابهم من رحمة الله التي وسعت كل شيء إني رسول الله
إليكم جميعا قيل بعث كل رسول إلى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى كافة الإنس والجن وجميعا نصب على الحال من
إليكم فإن قلت الذي له ملك السموات والأرض ما محله قلت الأحسن أن يكون منتصبا بإضمار أعني وهو
الذي يسمى النصب على المدح ويجوز أن يكون جرا على الوصف وأن يحيل بين الصفة والموصوف بقوله إليكم جميعا وقوله
لا إله إلا هو بدل من الصلة التي هي له ملك السموات والأرض وكذلك يحيي ويميت ويجوز أن لا إله إلا هو بيان للجملة قبلها
لأن من ملك العالم كان هو الإله على الحقيقة ويحيي ويميت بيان لاختصاصه بالإلهية لأنه لا يقدر على الإحياء

كلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون وقطعناهم
اثنتي عشرة أسباطا أمما وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر ٢١٦

والإماتة غيره وكلماته وما أنزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمت على الإفراد وهي
القرآن أو أراد جنس ما تكلم به وعن مجاهد أراد عيسى من مريم وقيل هي الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع
خلقه وهي قوله كن وإنما قيل إن عيسى كلمة الله لخص بهذا الاسم لأنه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة
تمنى لعلكم تهتدون إرادة أن تهتدوا فإن قلت هلا قيل فآمنوا بالله وبي بعد قوله إني رسول الله إليكم قلت
عدل عن المضمر إلى الاسم الظاهر ليجري عليه الصفات التي أجريت عليه وليأتي في طريقة الالتفات من سرية البلاغة
وليعلم أن الذي وجب الإيمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه هو النبي الأمي الذي هو مؤمن بالله وكلماته
كائنا أنا أو غيري إظهارا للنصفة ونفيا من العصبية لنفسه ومن قوم موسى أمة هم المؤمنون الثابتون لما ذكر
الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حين أقدموا على العظيمتين عبادة العجل واستحالة رؤية الله ذكر أن منهم أمة
موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا
يجورون أو أراد الذين وصفهم ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به من أعقابهم وقيل إن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم
وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتزلوا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين إخوانهم
ففتح الله لهم نفقا في الأرض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون
قبلتنا وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل ذهب به ليلة الإسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا
قال هذا محمد النبي الأمي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله إن موسى أوصانا من أدرك منكم أحمد فليقرأ عليه مني السلام
ومن محمد على موسى عليهما السلام ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم
وكانوا يسبتون فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت وعن مسروق قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل ليت منهم فقال
عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من المؤمنين وهل يزيد صلاحكم عليهم شيئا من يهدي بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا
في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير والا فقد طار الخبر
بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم إلى كل أفق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله أهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في
مشارق الأرض ومغاربها إلا وقد ألقاها إليهم وملأ به مسامعهم وألزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيامة
وقطعناهم وصيرناهم قطعا أمرناهم وميزناهم بعضهم من بعض لقلة الألفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف اثنتي
عشرة أسباطا كقولك اثنتي عشرة قبيلة والأسباط أولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من
ولد يعقوب عليه السلام فإن قلت مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا قلت
لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لأن المراد قطعناهم اثني عشر قبيلة وكل قبيلة أسباط لا سبط فوضع أسباطا موضع قبيلة ونظيره بين
رماحي مالك ونهشل وإنما بدل من اثني عشرة بمعنى وقطعناهم أمما لأن كل أسباط أمة عظيمة وجماعة كثيفة العدد

فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن
والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون واذ قيل لهم اسكنوا
هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد

وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما يؤمه الآخر لا تكاد تأتلف وقرئ اثنتي عشرة بكسر الثين فانبجست فانفجرت
والمعلى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج وكيف عرفت دالج تبجسا فان قلت هلا قيل فضرب
فانبجست قلت لعدم الالباس وليجعل الانبجاس مسببا عن الانبجاس بضرب الحجر للدلالة على ان الموحى اليه
لم يتوقف عن امتثال الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به وقوله كل اناس نظير قوله اثنتي عشرة
اسباطا يريد كل امة من تلك الامم الاثنتي عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وثناء وثوام واخوات لها
وبجوزه يقال ان الاصل الكسر في التكسير والضمة بدل من الكسرة كما ابدلت في نحو سكارى وغيارى من الفتحة
وظللنا عليهم الغمام وجعلناه ظليلا عليهم في التيه وكلوا على ارادة القول وما ظلمونا وما رجع الينا ضرر ظلمهم
كما انهم النفع ولكن كانوا يضرون انفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم واذكر اذ قيل لهم والقرية بيت المقدس فان قلت
كيف اختلف العنوان هنا وفي سورة البقرة قلت لا باس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض
ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا منها وبين قوله وكلوا منها حيث شئتم اذا سكنوا القرية فتسببت كفاية
للاكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والاكل منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب او اخروها فهم جامعون
في الايجاد بينهما ونزل ذكر الرغد لاينا قصر انبائه وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران
وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استيناف مرتب على قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد
المحسنين وكذلك زيادة بيان وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون من زاد واحد وقرئ نغفر لكم خطيئاتكم
ويغفر لكم خطاياكم وخطيئاتكم على البناء للمفعول وسلهم عن القرية وسل اليهود وقرئ واسئلهم وهذا السؤال معنا
التقدير والتقديع بتقديم كذبهم وتجاوزهم لحدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التي لا تعلم الا بكتاب او وحي فاذا اعلمهم
به من لم يقرأ كتابهم علم انه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك اعلمت تميما
والقرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن ابي عمرو بن العلاء ما رايت قرويين افصح من
الحسن والحجاج يعني رجلين من اهل المدن حاضرة البحر قريبة منه راكبة لشاطئه اذ يعدون في السبت اذ يتجاوزون حد
الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ يعدون بمعنى يعتدون ادغمت التاء في الدال ونقلت حركتها
الى العين ويعدون من الاعداد وكانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت ويتم ما مورد بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة
والسبت مصدر سبت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم
وكذلك قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون وقراءة عمر بن عبد العزيز يوم اسباتهم
وقرئ لا يسبتون بضم الياء وقرأ علي رض لا يسبتون بضم الياء من اسبتوا وعن الحسن لا يسبتون على البناء
للمفعول لا يدخلون السبت ولا يوصفون بان يسبتوا فان قلت اذ يعدون واذ تأتيهم ما محلهما من الاعراب

وحيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون واذ قالت
امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم
يتقون فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الظالمين بعذاب
بئيس

قلت اما الاول فمجرور بدل من القرية والمراد باهل القرية اهلها كانه قيل وسلهم عن اهل القرية وقت عدوانهم
في السبت وهو بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا باذكر او بحاضرة واما الثاني فمنصوب بعدوان ان يكون بدلا
بعد بدل والحيتان السمك واكثر ما يستعمل العرب الحوت السمكة شرعا ظاهرة وجه الماء وعن الحسن تشرع على ابوابهم
كانها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف علينا وشرعت على فلان في بيته فرايته يفعل كذا كذلك
نبلوهم مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم واذ قالت معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب امة
منهم جماعة جامعة من اهل القرية من صلحائهم الذين تركوا التصعب الذلول في موعظتهم حتى ايسوا من قبولهم لم تعظون كانوا
لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم اي مستأصلهم ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا لتماديهم في الشر
وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة الى ربكم اي موعظتنا ابلاء عذر الى الله وليلا تنسب في النهي
عن المنكر الى بعض التفريط ولعلهم يتقون ولطمعنا في ان يتقوا بعض الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب وعظناهم
معذرة الى ربكم او اعتذرنا معذرة فلما نسوا يعني اهل القرية فلما تركوا ما ذكروا به الصالحون من امر الناس لما يئسوا
انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الظالمين المرتكبين للمنكر فان قلت الامة الذين لم تعظون من اي الفرق
هم من فريق الناجين ام المعذبين قلت من فريق الناجين لانهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا الا
مايسين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي حال المنهي
وان النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث الا ترى انك لو ذهبت الى الملكاسين
القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكلمهم مما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا للتلهي
بك واما الآخرون فانما لم يعرضوا عنهم اما لانهم لم يستحكم كما استحكم يأس الاولين ولم يجربوهم كما جربوهم او لفرط حرصهم
وجدهم في امرهم كما وصف الله رسوله في قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا لم
تعظون قوما قوما قال عكرمة فقلت لابن عباس رض فذاك الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله
مهلكهم فلم اذل به حتى عرفه انهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان روي
ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوا واختاروا السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا
بتعظيمه والحيتان تاتيهم يوم السبت شرعا بيضا كانها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تاتيهم
وكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا يسوقون
الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها ويأخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربطه في ذنبه خيطا لاخشبة
في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح الشواء فطلع في تنور فقال له ليذهب الله سبعة بك فلما لم يرعذب
اخذ يأخذ السبت القابل حوتين فلما رأوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا يخرجون سبعين الفا

بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وإذ تأذن ربك
ليبعثن عليهم إلى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور
رحيم وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات
لعلهم يرجعون

فصار أهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر ألفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم أصحاب الخطيئة فلما أبوا قال المسلمون إنا لم ننسأ كنا نقسم القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود ليلة الجمعة فأصبحوا قردة فتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود أنسباءها من الإنس بالجنس والإنس لا يعرفون أنسباءهم من القرود فجعلت القردة تأتي نسيبها فيشم ثيابه ويبكي فيقول ألم ننهكم فيقول برأسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن أكلوا والله وثم أكلة أكلها أهلها أنقلها جندا في الدنيا وأطولها عذابا في الآخرة هاه وايم الله ما حرمت أحد قوم فأكلوا أعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة أدهى وأمر بئيس شديد يقال بؤس يبؤس بأسا إذا اشتد فهو بئيس وقرئ بيئس بوزن حذر وبيئس على تخفيف العين ونقل حركتها إلى الفاء كما يقال كبد في كبد وبيئس على قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيئس على جعل بكسر الهمزة وفتحها وبيئس بوزن ديئس على قلب همزة بيئس ياء وإدغام الياء فيها وبيئس على تخفيف بيئس كهين في هيئن وبايس على فاعل فلما عتوا عما نهوا عنه فلما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن أمر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون والمعنى أن الله عذبهم بالعذاب الشديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا أي تكبروا لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ فأذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الإيذان وهو الإعلام لأن العازم على الأمر يخبر به نفسه ويؤذنها بفعله ولجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب بجواب القسم وهو قوله ليبعثن والمعنى وإذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن والمعنى وإذ حتم ربك وكتب على اليهود إلى يوم القيمة من يومهم سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية إلى المجوس إلى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد وقطعناهم في الأرض أمما فرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم منهم الصالحون الذين آمنوا منهم بالمدينة والذين وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف مخلوقون منه وهم الكفرة والفسقة فإن قلت ما محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا إلا له مقام معلوم يعني وما منا أحد إلا له مقام وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتهون فيتوبون فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول الله ورثوا الكتاب التورية بقيت في أيديهم بعد سلفهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها من الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها يأخذون عرض هذا الأدنى أي حطام هذا الشيء الأدنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الأدنى تحقير وتحقير والأدنى إما من الدنو بمعنى القرب لأنه عاجل قريب وإما من دنؤ الحال وسقوطها وقلتها وللراد ما كانوا يأخذون من شيء من الحطام وعلى تجريب الكلم للتسهيل على العامة

خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى

ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله
إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون والذين يمسكون بالكتاب
وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم
خذوا ما آتيناكم بقوة

ويقولون سيغفر لنا يؤاخذنا ما كانوا يأخذونه أي الله بما أخذنا وفاعل سيغفر الجار والمجرور وهو لنا ويجوز أن يكون الواو في الذي هو مصدر يأخذون وأن يأتهم عرض مثله يأخذوه حال والواو للحال ويرجون المغفرة مصرون عائدون إلى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح إلا بالتوبة والمصر لا يغفر له ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التورية من ارتكب ذنبا عظيما فإنه لا يغفر له إلا بالتوبة ودرسوا ما فيه ما في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه الجبرية مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار درهم يأتي على الناس زمان إن قصروا عما أمروا به قالوا سيغفر لنا لم نشرك بالله شيئا كل أمرتهم إلى الطمع خيار هم فيهم المداهنة فهؤلاء من هذه الأمة أشباه الذين ذكرهم الله وتلا الآية والدار الآخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الدنيا ومحارم الله وقرئ ودرسوا الكتاب وألا تقولوا بالتاء وأفلا تعقلون بالتاء والياء فإن قلت ما موقع قوله ألا تقولوا على الله إلا الحق قلت هو عطف بيان لميثاق الكتاب لأن المذكور في الكتاب وفيه أن إثبات المغفرة بغير توبة خروج من ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق وإن فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان ألا تقولوا مفعولا له ومعناه لئلا تقولوا ويجوز أن يكون مفسرة ولا تقولوا نهيا كأنه قيل ألم يتل عليهم لا تقولوا على الله إلا الحق فإن قلت علام عطف قوله ودرسوا ما فيه قلت على ألم يؤخذ عليهم لأنه في تقدير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه والذين يمسكون بالكتاب فيه وجهان أحدهما أن يكون مبتدأ خبره إنا لا نضيع أجر المصلحين والمعنى أن الذين يمسكون بالكتاب في معنى الذين يتقون لقوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا والثاني أن يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون فيكون قوله إنا لا نضيع اعتراضا وقرئ يمسكون بالتشديد وتنصر قراءة أبي والذين مسكوا بالكتاب فإن قلت التمسك بالكتاب يشتمل على أعمال القلوب ومنها إقامة الصلاة فكيف أفرد قلت إظهارا لمزية الصلاة لكونها عمادا الدين وفارقة بين الكفر والإيمان وقرأ ابن مسعود الذين استمسكوا بالكتاب وإذ نتقنا الجبل فوقهم قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء إذا انفتق ليقتلع الزبدة منه والظلة كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب وقرئ بالظاء من أظل عليه إذا أشرف وظنوا أنه واقع بهم وعلموا أنه ساقط عليهم وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التورية فأمر الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم إن قبلتموها عافيناها وإلا ليقعن عليكم فلما نظروا إلى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فيرى أنه لا يسقط فلذلك لا ترى يهوديا يسجد إلا على حاجبه الأيسر ويقولون من السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نسخ موسى الألواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر إلا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يقرأ عليه التورية إلا اهتز واهتز خذوا ما آتيناكم على إرادة القول أو قلنا خذوا ما آتيناكم أو قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة وعزم

وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ
أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ۝ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا
أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ۝ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ

على احتمال المشاقة وتكاليفه واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهي ولا تنسوه او واذكروا ما فيه من التعرض للثواب العظيم
فارغبوا فيه ويجوز ان يراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم ان تنفذوا من
اقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة والآية الدالة على وحدانيته لعلكم تتقون ما انتم وقرئ
ابن مسعود وتذكروا وقرئ واذكروا بمعنى وتذكروا من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل وبمعنى اخذ
ذرياتهم من ظهورهم اخذهم من اصلابهم نسلا بعد نسل واشهادهم على انفسهم وقوله الست بربكم قالوا بلى شهدنا من باب
التمثيل والتخييل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها
فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكانه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال لهم الست بربكم وكانهم قالوا بلى
انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وكلام العرب ونظيره قوله تعالى فقال لها
وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله اذا قالت الانسان
للبطن الحبلى ما ولدت فقالت هاذه الصيحة قرأ وسيعلم ان لا تؤمن وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى ان تقولوا مفعول له اي فعلنا
ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها كراهة ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه او كراهة ان تقولوا
انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قايم مقام الاخذ عليهم
في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم في الشرك ولطرح التوحيد بتنصيبه لهم فان قلت
بنو آدم وذرياتهم من هم قلت عنى ببني آدم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم
الذين كانوا في عهد رسول الله من اخلافهم للمقتدين بآبائهم والدليل على انهائه الى المشركين واولادهم قوله او تقولوا انما اشرك آباؤنا
من قبل والدليل على انهائه الى اليهود الآيات التي عطفت عليها هي والتي عطفت عليها وهي على عظمها واسلوبها وذلك قوله سلهم عن
القرية اذ قالت امة منهم واذ تأذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها
عما فعل المبطلون او كانوا السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك وتقديمهم فيه وتركه سنة لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل
البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا عن شركهم نفصلها وقرئ ذريتهم على التوحيد
وان يقولوا بالياء واتل عليهم على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها هو عالم من علماء بني اسرائيل وقيل
من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء وقيل بلعام بن بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بان كفرها ونبذها
وكان ظاهرها فاتبعه الشيطان فلحقه الشيطان وادركه وصار قرينا له او فاتبعه خطواته وقرئ فاتبعه بمعنى فتبعه
فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين روي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى ومن معه فابى وقال كيف
ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل ولو شئنا لرفعناه بها لعظمنا منزلته بالعلم من العلماء بتلك الآيات ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا ورغب فيها وقيل مال الى الشهوات فان قلت

مثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا
فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ۝ ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون ۝
من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ۝ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن

لم يعلق رفعه بمشيته ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى لو لزوم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها
لرفعناه بها وذلك ان مشيته رفعه تابعة للزوم الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كانه قيل
ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاسند ترك المشيئة باخلاده الذي هو فعله فوجب له ان يكون ولو
شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب ان يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ فمثله كمثل الكلب
فصفته التي هي في الخسة والضيعة كصفة الكلب في اخس احواله واذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه
او ترك عليه وهيج وطرد او ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه
وجد كل والا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعا وكان حق الكلام ان يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد
الى الارض فخططناه وضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فخططناه ابلغ حط لانه تمثيله بالكلب في
اخس احواله واذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه وقيل
معناه ان وعظته فهو ضال وان تركته فهو ضال كالكلب ان طردته يلهث وان تركته على حاله لهث فان قلت
ما محل الجملة الشرطية قلت النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ملهوثا دائم الذلة لهثه في الحالتين وقيل
لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا
اليهود بعد ما قرأوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وذكر القرآن المجيد وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا
يستفتحون به فاقصص قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذ سار وا نحو سيرته وذلوا
شبه زيغه ويعلمون انك حلمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم ساء مثلا القوم اي مثل القوم
او ساء اصحاب مثل القوم لما اضمر على انتصب الاصحاب مثل على التمييز لان تقديره ساء مثلا اصحاب مثل القوم
وقرأ الحجدري ساء مثل القوم وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى
الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا انفسهم
بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها هو المهتدي حمل على
اللفظ واولئك هم الخاسرون حمل على المعنى كثيرا من الجن والانس هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله ان لا لطف لهم
وجعلهم في انهم لا يفقهون اذ هاتهم الى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم الى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى
عليهم من آيات الله سماع تدبر كانهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون واسماع الآذان وجعلهم اعرق فيهم في الكفر وشدة
تمكنهم فيه وانه لا يأتي منهم الا افعال اهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيها يؤهلهم لدخول
النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه الى خالد بن الوليد بلغني ان اهل الشام اتخذوا كلبا يجمعون عليه فلا تظنكم آل المغيرة ذرأ النار
ويقال للمذرو كانه خلق في بعض الامور ما خلق فلانا الا لكذا والمراد وصف حال اليهود بما اقدموا عليه من تكذيب رسول الله

أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين
يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون
والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين أولم يتفكروا

مع علمهم أن النبي الموعود وأنهم من جملة الكثير الذين لم يكاد الإيمان يتأتى منهم كأنهم خلقوا للنار أولئك كالأنعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم أضل من الأنعام عن الفقه والاعتبار والتدبر أولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقيل الأنعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصر وهؤلاء أكثرهم يعلم أن معاده يتقدم على النار ولله الأسماء الحسنى التي هي أحسن الأسماء لأنها تدل على معاني حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الأسماء وذروا الذين يلحدون في أسمائه واتركوا التسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البلاد يقولون يا جهل يا أبا الحكم يا أبيض الوجه يا نجي أو أن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى نحو أن يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى وهو الوصف بالعدل والخير والإحسان وانتفاء شبه الخلق فيصفون بها وذروا الذين يلحدون في أوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل الإلحاد في أسمائه تسميتهم الأصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز لما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا فأخبر أن يكون كثيرا من الثقلين عاملون بأعمال أهل النار أتبعه قوله وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وعن النبي صلعم أنه كان إذا قرأها هذه لكم ولقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وعنه صلعم أن من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من أهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة إلى الدين والاستدراج استفعال من الدرجة يعني الاستصعاد والاستنزال درجة بعد درجة قال الأعشى

فلو كنت في جب ثمانين قامة ... ورقيت أسباب السماء بسلم
ليستدرجنك القول حتى تهره ... وتعلم أني عنكم غير مفحم

ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه وأدرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم ماتوا بعضهم في أثر بعض ومعنى سنستدرجهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة أحدثوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في الحامي بسبب تعاقب النعم ظانين أن سوابغ النعم أثرة من الله وتقريب ولنا هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله نعوذ بالله منه وأملي لهم عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم التبيين أن كيدي متين سماه كيدا لأنه شبيه بالكيد من حيث أنه في الظاهر إحسان وفي الحقيقة خذلان ما بصاحبهم من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة أن النبي صلعم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم إن صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت إلى الصباح أولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والأرض فيما يدل عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من أجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط

ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء

وبحمد الله الأوصاف الحسنى

بها الوصف وأن عسى أن مخففة من الثقيلة والأصل وأنه عسى على أن الضمير ضمير الشأن والمعنى أولم ينظروا في أن الشأن والحديث عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا إلى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مفاجأة الأجل وحلول العقاب ويجوز أن يراد باقتراب الأجل اقتراب الساعة ويكون من كناية التي فيها ضمير الشأن فإن قلت بم يتعلق قوله فبأي حديث بعده يؤمنون قلت بقوله عسى أن يكون قد اقترب أجلهم كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فبأي حديث بعده يريدون أن يؤمنوا إن لم يبادروا الإيمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا قوي ويذرهم بالياء والنون والرفع على الاستئناف ويذرهم بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضلل الله لا يهده أحد ويذرهم يسألونك قيل إن قوما من اليهود قالوا يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا فإنا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم أن الله قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش والساعة من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو على العكس لطولها أو لأنها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق أيان أي متى وقيل اشتقاقه من أي فعلان منه لأن معناه أي وقت وأي فعل من أويت إليه لأن البعض آوي إلى الكل منتمون إليه قال ابن جني والبحث أن يكون من أين لأنه زمان وأين مكان وقرأ السلمي إيان بكسر الهمزة مرساها إرساؤها أي وقت إرسائها أي إثباتها وإقرارها وكل شيء ثقيل رسو ثباته واستقراره ومنه رسي الجبل وأرسى السفينة والمرسى الأنجر الذي ترسى به والثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات والأرض والمعنى متى يرسيها الله أنا علمها أي علم وقت إرسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به أحدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل يكاد يخفيها من نفسه ليكون أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى الأجل الخاص وهو وقت الموت لذلك لا يجليها لوقتها إلا هو أو لا يزال خفية لا يظهر أمرها ولا يكشف خفاؤها علمها إلا هو وحده إذ جاءتها وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها أحد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غير إلى وقت وقوعها ثقلت في السموات والأرض أي كل من أهلها من الملائكة والثقلين إهمة شأن الساعة وبعده أن يجلى لهم علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه أو ثقلت فيها على أهلها بوقوعها ويخافون شدائدها وأهوالها لأن كل شيء يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها إلا بغتة إلا فجأة على غفلة منكم وعن النبي صلعم أن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه كأنك حفي عنها كأنك تبلغ في السؤال عنها لأن من بالغ في المسألة عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب مغاه المبالغة ومنه إحفاء الشارب وإحفاء البقل استيصاله وأحفى في المسألة إذا ألح وحفي بفلان وتحفى به بالغ في البر به وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقرأ ابن مسعود كأنك حفي بها أو عالم بها بليغ العلم بها وقيل عنها متعلق بيسألونك أي يسألونك عنها كأنك حفي أو عالم بها وقيل إن قريشا قالوا إن بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسألونك عنها حفي تحفي بهم فتخصهم بتعليمه وقيل لأجل القرابة كأنه

فبأي حديث بعده يؤمنون من يضلل الله فلا هادي له
ويذرهم في طغيانهم يعمهون يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها
لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما

علمها عند الله

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ
الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا

وتزري علمها عن غيرهم ولو اخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله في اخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما اوحي اليك وقيل كانك جعلت بالسؤال عنها مجتهدا وتوبيخ يعني انك تكثر السؤال عنها لانه من علم الغيب الذي استاثر الله به نفسه ولم يؤته احدا من خلقه فان قلت لم كرر يسألونك وانما علمها عند الله قلت للتاكيد ولما جاء به من زيادة قوله كانك حفي عنها وعلى هذا تكون من العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم مجاهد والحسن صاحب ابي حنيفة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه العالم بها وانه المختص بالعلم قل لا املك هو اظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب انا عبد ضعيف لا املك اجتلاب نفع ولا دفع ضر كالمالك والعبيد الا ما شاء الله من النفع والدفع عني ولو كنت اعلم الغيب لكانت حالي على خلاف ما هي من استكثار الخير واستدفاع المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى في الحروب وربحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطئا في التدابير ان انا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما بين شانه ان اعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز ان يتعلق بالنذير والبشير جميعا لان النذارة والبشارة انما تنفعان فيهم او يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا اي الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون من نفس واحدة وهي نفس آدم وجعل منها زوجها وهي حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من اضلاعه او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ليسكن اليها ليطمئن ويميل ولا ينفر لان الجنس الى الجنس اميل وبه آنس واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر بعد ما انث في قوله واحدة منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليتبين ان المراد بها آدم ولان الذكر هو الذي يسكن اليه الانثى ويتغشاها فكان التذكير احسن طباقا للمعنى والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الاتيان والمراد بالحمل الحبل حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من ثقله والكرب والاذى ولم يستثقله كما يستثقله وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها ما كان اخفه علي كبدي حين حملته مرت به فاستمرت به قامت به وقعدت وقرأ ابن عباس فاستمرت وقرأ محمد بن كعب فمرت به بالتخفيف وقرأ غيره فمارت من المرية كقوله افتمارونه وافتماروه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت به فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها كقولك اقربت وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اثقلها الحمل دعوا الله ربهما دعا آدم وحواء ربهما وما كان اسمه الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن آتيتنا ابنا وهبت لنا ولدا صالحا سويا قد صلح بدنه وبدئ من الاجهاض وقيل ولدا ذكرا لان الذكور من الصلاح والجودة والضبط في آتيتنا ولنكونن لك ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما آتاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء اي جعل اولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك فيما آتاهما اي آتا اولادهما وقد دل على ذلك قوله فتعالى الله

فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون

ليبين امه

عما يشركون حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس وما اشبه ذلك كما كان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم وجه وان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلعم وهم آل قصي الا ترى الى قوله في قصة ام عبد فيما قضى ما ذوى الله عنكم به من فخاره لا يبارى وسؤدد ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عبد مناف قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اشركا في الولد اجريت الاصنام مجرى اولي العلم في قوله وهم يخلقون بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى ايشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم يخلقون لان الله خالقهم او لا يقدر على اختلاق شيء لانه جماد وهم يخلقون لانه عبدتهم مخلوقون لهم فهم اعجز من عبدتهم ولا يستطيعون لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعوا عنها ما يعتريها من الحوادث كما يعبدهم من الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم وان تدعوهم وان تدعوا هذه الاصنام الى الهدى الى ما هو هدى ورشاد او الى ان يهدوكم والمعنى ان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ام صمتم عن دعائهم فانه لا افلاح معهم فان قلت هلا قيل ام صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية قلت لانهم كانوا اذا جاءهم امر دعوا الله دون اصنامهم كقوله واذا مسكم الضر فكانت حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل ان دعوتموهم لم يفترق الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله عبادا امثالكم وقول عباد امثالكم استهزاء بهم او قضاء لامرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت لكم انهم عباد امثالكم لا تفاضلونكم ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالكم فقال الهم ارجل يمشون بها وقيل عباد امثالكم وقرأ سعيد بن جبير ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم بتخفيف ان ونصب عبادا امثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فانيا لا ابالي بكم ولا يقول هذا الا واثق بعصمة الله وكانوا قد خوفوه آلهتهم فامره ان يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال اشهدوا الله اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ان وليي الله ان ناصري عليكم الله الذي نزل الكتاب الذي اوحى الي كتابه واعزني برسالته وهو يتولى الصالحين من عباده ان ينصر الصالحين من عباده وانبيائه ولا يخذلهم والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك لانهم صوروا اصنامهم على صورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه وهم لا يبصرون وهم لا يدركون المرئي العقوضة الجهد اخذ ما عفا لك من افعال الناس واخلاقهم وما تيسر منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلم

يشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ۝ ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون ۝ وان تدعوهم
الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ۝ ان الذين تدعون من دون الله

اقروا بها في الشرك وسموا شركاء اي ذوي شرك

يشركون اشركهم

عاكفون اشركهم

يشركون الشاكرين

الهدى

عبادا امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ۝ الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد
يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون

وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ

يتزوا ولا تعتزوا ؛ قال خذ العفو مني تستديم مودتي ؛ ولا تبطشني في سورتي حين أغضب ؛ وقيل خذ الفضل
وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكوة فلما نزلت أمر أن يأخذ منهم ما طوعا وكرها والعرف المعروف والجميل
من المعروف الأفعال وأعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم وأغض عن ما يؤذيك منهم
وقيل لما نزلت الآية سأل جبريل فقال لا أدري حتى أسأل ثم رجع فقال يا محمد إن ربك أمرك أن تصل من
قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق وليس في القرآن آية
أجمع لمكارم الأخلاق منها وإما ينزغنك من الشيطان نزغ وإما ينخسنك منه نخس بأن يحملك بوسوسته على
خلاف ما أمرت فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ والنغز الغمز ذه النخس كأنه ينخس الناس حين يغويهم على المعاصي
وجعل النزغ نازغا كما تقول جد جده وروى أنها لما نزلت الآية السابقة وهو قوله وأعرض بالمعروف قال علي يا رب
والغضب فنزل وإما ينزغنك وجوز أن يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول أبي بكر رضي الله عنه إن لي شيطانا يعتريني
طيف من الشيطان لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا قال أبي الهيثم الخيال يطيف أو هو
تخفيف طيف فيعل من طاف يطيف كميت أو من طاف يطوف كهين وقرئ طائف ويحتمل الأمرين
أيضا وهذا تأكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وأن المتقين هذه عادتهم إذا أصابهم
أدنى نزغ من الشيطان والمراد بوسوسته تذكروا ما أمر الله به ونهى عنه فأبصروا الرشد ودفعوا ما وسوس به
إليهم ولم يتبعوا نفسهم وأما إخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فإن الشياطين يمدونهم في الغي أي يكونون مددا
لهم فيه ويعضدونهم وقرئ يمدونهم يعني يعاونونهم ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن إغوائهم
حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله وإخوانهم يمدونهم كقوله قوم إذا الخيل جالوا في كواثبها أن الخبر جار على غير ما هو
له ويجوز أن يراد بالإخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق بإلى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له والأول
أوجه لأن إخوانهم في مقابلة الذين اتقوا فإن قلت لم جمع الضمير في إخوانهم والشيطان مفرد قلت
المراد به الجنس كقوله أولياء الطاغوت أجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه أي جمعه كقولك اجتمعه أو جبى إليه
فاجتباه أي اجتذبه كقولك جلبت إليه العروس فاجتلاها ومعنى لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لأنهم
كانوا يقولون إن هذه الآيات مفتريات أو هلا أخذتها منزلة عليك مقترحة قل إنما أتبع ما يوحى إلي ولست بمتقول
للآيات أو لست بمقترح لها هذا بصائر هذا القرآن بصائر من ربكم أو حجج بينة يعود المؤمنون بها بصائر بصراء
بعد العمى أو هو بمنزلة بصائر القلوب وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ظاهر وجوب الاستماع والإنصات
وقت قراءة القرآن في صلاة وغير صلاة وقيل كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت ثم صار سنة في غير الصلاة أن ينصت
القوم إذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل إذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل

التنغ مثل النخس

وقرئ طائف

وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ
الْغَافِلِينَ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ

معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه واذكر ربك في نفسك هو عام في الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح
والتهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا دون الجهر ومتكلما كلاما دون الجهر لأن الإخفاء
أدخل في الإخلاص وأقرب إلى حسن التفكر بالغدو والآصال لفضل هذين الوقتين أو أراد الدوام ومعنى
بالغدو دائما وقرئ والإيصال بين أصل أنادخل في الأصيل كالقصر والعشي وهو مطابق للغدو
ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه إن الذين عند ربك هم الملائكة ومعنى عند والقرب
من رحمة الله وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته وله يسجدون ويخصونه بالعبادة لا يشركون به غيره
وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيمة بينه
وبين إبليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة سورة الأنفال مدنية وهي ست وسبعون
آية بسم الله الرحمن الرحيم النفل الغنيمة لأنها من فضل الله وعطائه
قال لبيد إن تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله الغازي أي يعطاه زائدا على سهمه من الخمس وهو أن يقول الإمام
تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه أو قال السرية ما أصبتم فهو لكم أو فلكم نصفه أو ربعه ولا
يخمس النفل ويلزم الإمام الوفاء بما وعد منه وعند الشافعي رضي الله عنه في أحد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف بين
المسلمين في غنائم بدر في قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يقسم ولمن الحكم في قسمتها للمهاجرين أم للأنصار
أم لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لأحد غيره فيها حكم وقيل شرط
لمن كان له بلاء في ذلك اليوم أن ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين فلما بشر الله الفتح اختلفوا
فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة
تتحازون إليها إن انهزمتم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الغنم قليل والناس كثير فإن نعط هؤلاء ما شرطت لهم جردت أصحابك
فنزلت وعن سعد بن أبي وقاص قتل أخي عمير يوم بدر فقتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأعجبني فجئت
به إلى رسول الله فقلت إن الله قد شفا صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه
في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت إلا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد أنزلت سورة الأنفال فقال يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي وإنه قد صار لي فاذهب فخذه
وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من
أيدينا فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين
وقرأ ابن محيصن يسألونك عن الأنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن في
اللام وابن مسعود يسألك الأنفال الشبان ما شرطت لهم من الأنفال فإن قلت ما معنى الجمع بين ذكر الله

بسم الله الرحمن الرحيم

يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ
إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا

والرسول في قوله قل الانفال لله والرسول قلت معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما يقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس للمسلمين في قسمتها مفوض اليه رأي احد والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله ولمر به رسوله ان يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فتقاسموها على السوية ولم يستأثروا عاشرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التجاذب والتصالي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحابين متآخين في الله واصلحوا ذات بينكم وتواسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا قال ليرد بعضكم على بعض فان قلت ما حقيقة قوله ذات بينكم قلت احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى كون احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وسمي مضمرتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا انائك اجمعا يريدون ماء في الاناء من الشراب وقد جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين ان كنتم كاملي الايمان واللام في قوله انما المؤمنون اشارة اليهم اي انما الكاملون الايمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اولئك هم المؤمنون حقا وجلت قلوبهم فزعت وعن ام الدرداء الوجل في القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قال بلى قال فادع الله فان الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وخشية بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف ذكره في قوله تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة مثل وبق وفرق وفي قراءة عبد الله فزادتهم ايمانا ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للدلول عليه وآثر لقدمه وقد حملوا على زيادة العمل عن ابي هريرة الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون امورهم الى غيرهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة والصدقة حقا صفة للمصدر المحذوف اي اولئك هم الذين المؤمنون ايمانا حقا او هو مصدر مؤكد للجملة التي هي اولئك هم المؤمنون لقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا سأله امؤمن انت قال الايمان ايمانان فان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسألني عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادري أمنهم انا ام لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم يشهد له انه من اهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا وهذا تعليق

التنفيل النفل

فضل الغلظة

لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ
فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ

من يستثني في الايمان وكان ابو حنيفة ممن لا يستثني فيه وحكي عنه انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال ائتماما بابراهيم في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي فقال هلا اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال بلى لهم درجات شرف وكرامة وعلو منزلة ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم نعيم الجنة يعني لهم منافع جسيمة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب كما اخرجك ربك فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب والثاني ان ينتصب على انه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول اي الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك من بيتك وهم كارهون ومن بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق اي اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلعم فاخبر المسلمين فاهمهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم جلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدثت بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبأ فاحتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير في المثل السائر في العير والنفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى نجمع الجموع ونشرب الخمور وتقيم القينات والمعازف بدر فيتسامع جميع العرب بخروجنا وانا محمد لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ما كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة ونزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلعم اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلعم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلعم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين تطرف فضحك رسول الله صلعم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا حين بايعوه

اياك

المكارف الملاهي والعازف اللاهي بها

يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۝ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى
الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ
الْكَافِرِينَ ۝ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ

على العقبة إنا بُرآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا وكان النبي صلعم يتخوف أن لا يكون الأنصار يرون عليهم نصرته إلا على عدوّ هجم بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لعلك تريد يا رسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدّقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك فسِر بنا على بركة الله فنزل رسول الله صلعم وبسط قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله فأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر الآن إلى مصارع القوم وروي أنه قيل لرسول الله صلعم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلعم لم قال لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاكها ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وإن فريقا من المؤمنين لكارهون والحق الذي جادلوا رسول الله تلقي العير بعد ما تبين بعد إعلام رسول الله بأنهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا إلا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب ثم إلى الظفر والغنيمة مجال من يجتلي إلى القتل ويساق على الصفاة إلى الموت المتيقن وهو مشاهد له ناظر إليه لا يشك فيه وقيل كان خوفهم لقلة العدد وأنهم كانوا رجالة وروي أنه ما كان فيهم إلا فارسان إذ منصوب باضمار اذكر وأنها لكم بدل من إحدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة العير لأنه لم يكن فيها إلا أربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعُدّتهم والشوكة الحدة مستعارة من شاكة الشوك ويقال شوكة لتناسب أشباحها ومنها قولهم شاكي السلاح أي تتمنون أن يكون لكم العير لأنها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الأخرى أن يحق الحق أي يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما أمر الملائكة من تردهم للنصرة وبما قضى من قتلهم وأسرهم وطرحهم في قليب بدر والدابر الآخر فاعل من دبر إذا أدبر ومنه دابر الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستيصال يعني أنكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الأمور والله تعالى يريد ما يؤدي إلى إبدائكم وإحيائكم والله عز وعلا يريد معالي الأمور وما يرجع إلى إعزاز الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين فشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم وأعزكم وأذلهم وحصل لكم ما لا يعارض أدناه العير وما فيها وقرئ بكلماته على التوحيد فإن قلت بم تعلق قوله ليحق الحق قلت بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله من إثبات الإسلام وإظهاره وإبطال الكفر وبحقه فإن قلت أليس هذا تكريرا قلت لا لأن الحقين مختلفان وذلك أن الأول تمييز بين المرادين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة

القليب البئر

على غيرها لهم ونصرتهم عليها وإنما ما نصرهم ولا خذل أولئك إلا لهذا الغرض الذي هو سيد الأغراض ويجب أن يقدر المحذوف متأخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المجيء وقيل قد تعلق بيقطع فإن قلت بم يتعلق إذ يستغيثون قلت هو بدل من إذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون أي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا وحكي عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلعم نظر إلى المشركين وهم ألف والى أصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذ أبو بكر فألقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك إني ممدكم أصله بأني ممدكم بحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن ابن عامر إنه فتح همزة إنه ممدكم بالكسر على إرادة القول أو على إجراء استجاب مجرى قال لأن الاستجابة من القول فإن قلت هل قاتلت الملائكة يوم بدر قلت اختلف فيه فقيل نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيهما علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعد الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوا أذنابها بين أكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الأحزاب ويوم حنين وعن أبي جهل أنه قال لابن مسعود من أين الصوت الذي كان ذلك الصوت كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال أبو جهل هم غلبونا لا أنتم وروي أن رجلا من المسلمين هو شد في أثر رجل من المشركين إذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر إلى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الأنصاري رسول الله صلعم فقال صدقت ذلك من مدد السماء وعن أبي داود المازني تبعت رجلا من المشركين يوم بدر فوقع رأسه بين يدي قبل أن يصل إليه سيفي وقيل لم تقاتل وإنما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين وإلا فملك واحد كاف في إهلاك أهل الدنيا كلهم فإن جبريل أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط وأهلك بالصيحة ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك أردفه إذا أتبعه ومنه قوله ردف لكم بعض الذي تستعجلون بمعنى ردفكم وأردفته إياه إذا أتبعته ويقال أردفته كقولك أتبعته إذا جئت بعده فلا يخلو المكسور الدال من أن يكون بمعنى متبعين أو متبعين فإن كان بمعنى متبعين فلا يخلو من أن يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا أو متبعين بعضهم لبعض أو بمعنى متبعين إياهم المؤمنين أي يتقدمونهم فيتبعونهم أنفسهم أو متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين أيديهم وعلى ساقتهم ليكونوا على أعينهم وحفظهم أو بمعنى متبعين أنفسهم منزلين خمسة آلاف من الملائكة ملائكة أخريين ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ومن قرأه مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين أو متبعين وقرئ مردفين بكسر الراء وفتحها وتشديد الدال وأصله مرتدفين أو مترادفين أو متبعين من ارتدفه فأدغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الأصل أو على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدي بألف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران فإن قلت

أو متبعين غيرهم من الملائكة

وَمَا جَعَلَهُ اللّٰهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ إِذْ يَغْشَيكُمُ
النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ
عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ

فهم تعتذر لمن قوا على التوحيد ولم يفتر المردفين بارداف الملائكة أحدين والمردفين بارتداد نهم غيرهم قلت
بان المراد بالالف من قاتل منهم او الوجوه منهم الذين من سواهم اتباع لهم فان قلت الهاء يرجع الضمير في وما جعله
قلت الى قوله اني ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم فان قلت فعين قراءة بالكسر قلت اي قوله
اني ممدكم لانه مفعول القول المضمر هو في معنى القول ويجوز ان يرجع الى الامداد الذي يدل عليه ممدكم الا بشرى الا بشارة لكم
بالنصر كالتسكينة لبني اسرائيل يعني انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر
وتسكين منكم وربطا على قلوبكم وما النصر الا من عند الله يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم
وللملائكة او وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله اذ يغشيكم بدل
ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بعلي من عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وقرئ
يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز وجل وامنة مفعول له فان قلت اما وجب
ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا قلت بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس تنعسون انتصب
امنة على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون امنة يعني امنا او لامنكم ومنه صفة لها اي امنة حاصلة
لكم من الله فان قلت فعلى غير هذه القراءة قلت يجوز ان يكون الامنة بمعنى الايمان او يتعلق منه او على يغشيكم النعاس فتنعسون امنا فان قلت هل يجوز ان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل
يغشيكم اي يغشيكم النعاس لامنة على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو من اصحاب النعاس على
الحقيقة او على ان اللام في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف الا يقدم على غشيانكم والا غشيكم
امنة حاصلة له من الله لولا هي لم يغشيكم على طريق التمثيل والتخييل قلت سل تبعد فصاحة القرآن من احتماله
وله نظائر وقد الم به من قال يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك هو نفار شرود وقرئ امنة بسكون الميم
ونظير امن امنة حيي حيية ونحو امن امنة رحم رحمة والمعنى ان ما كانهم من الخوف كان يمنعهم من النوم
فلما طمأن الله قلوبهم وآمنهم رقدوا وعن ابن عباس رضي النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلوة وسوسة
من الشيطان وينزل قرئ بالتخفيف والتثقيل وقرأ الشعبي ما ليطهركم به قال من جنب ما موصولة وصلتها جر
الجنب ما جنب فكانه قيل للطهور ورجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش وقيل الجنابة لانها
من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك ان ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون في
كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم فقال لهم انتم اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم
تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش
فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من اجتبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فجزنوا حزنا شديدا فاشفقوا فانزل الله

إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ
فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللّٰهَ
وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ

المصر فظفروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلعم واصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب
واغتسلوا وتوضئوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان
وطابت النفوس والضمير في به للماء ويجوز ان يكون للربط لان القلب اذا امكن فيه الصبر والجرأة ثبتت القدم
في مواطن القتال اذ يوحي يجوز ان يكون بدلا ثانيا من اذ يعدكم وان ينتصب بثبت اني معكم مفعول يوحي وقرئ
انه بالكسر على ارادة القول او على اجراء يوحي مجرى يقول كقوله اني ممدكم والمعنى اني معينكم على التثبيت فثبتوهم
وقوله سألقي فاضربوا يجوز ان يكون تفسيرا لقوله اني معكم فثبتوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب في قلوب
الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد بالتثبيت
ان يخطروا ببالهم ما يقوى به قلوبهم ويهيج عزائمهم ونياتهم في القتال وان يظهروا ما يتيقنون به انهم يمدون
بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفونه ويهتف بالفارس فيقول اني سمعت المشركين يقولون لئن
حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه وقرئ
الرعب بالتثقيل فوق الاعناق اراد اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل وكان ايقاع الضرب عليها اجتثاثا
وتطييرا للرؤوس وقيل اراد الرؤوس لانها فوق الاعناق يعني ضربا لهام قال واضرب هامة البطل المشيح
غشيته ومهفهفا باسلة عضبا اصاب سواء الرأس فانفلقا والبنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى
فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او غير مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا
ويجوز ان يكون قوله سألقي الى قوله كل بنان معترضا بين قوله فثبتوا الذين آمنوا لتلقينا للملائكة ما يثبتونهم كانه
قال لهم قولوا لهم قولي سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب او كانهم قالوا كيف نثبتهم فقال قولوا لهم سألقي فالضاربون
على هذا هم المؤمنون وذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء وبانهم
خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لان كلا المتعاديين في شق خلاف
شق صاحبه وسئلت في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة
والمشاقة لان هذا في خصم او جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق والكاف في ذلكم لخطاب الرسول او لخطاب
كل احد وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب او العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز
ان يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه وان للكافرين عطف على ذلكم في وجهيه او نصب على ان
الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع المضمر وقرأ
الحسن وان للكافرين بالكسر زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف او يدب
دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم

واللہ

وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ
مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ
الْفَتْحُ

كثير جمّ وانتم قليل فلا تفرّقوا فضلا ان تدانوهم في العدد او تساووهم او جال من الفريقين اي اذا لقيتموهم
متزاحفين هم وانتم او حال من المؤمنين كانهم شعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين
وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ وفي قوله ومن يولهم يومئذ اشارة عليه
الا متحرفا للقتال مواكدة بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها
او متحيزا مضاجرا الى فئة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعن ابن عمر رض خرجت سرية وانا
فيهم فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون
وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رض فقال يا امير المؤمنين هلكت فررت من الزحف
فقال عمر انا فئتك وعن ابن عباس رض ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر فان قلت لم ينتصب متحرفا او
متحيزا قلت على الحال والا لغوا وعلى الاستثناء من المولين اي ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا وقرأ
الحسن دبره بالسكون ووزن المتحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز لما كسروا اهل مكة
وقتلوا واسروا اقبلوا على التناحر وكان القاتل يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلعم هذه
قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم ايدنا الذي وعدتنا فاتاه جبريل فقال له خذ قبضة من تراب
فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي رض اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه
فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم
بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر
وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع وما رميت انت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى يعني ان الرمية التي
رميتها لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها لم يبلغ اثرها الا الى ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت رمية
الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول الله صلعم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذي
لم يطقها البشر فعل الله عز وجل فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول صلعم وقرئ ولكن
الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليبلي المؤمنين وليعطيهم بلاء حسنا جميلا قال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو
وللاحسان الى المؤمنين فعلها فعل وما فعله الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم باحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن
ومحل الرفع اي الغرض ذلكم وان الله موهن معطوف على ذلكم يعني ان الغرض ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين
وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الاضافة وعلى الاصل الذي هو التنوين والنصب حال ان تستفتحوا فقد جاءكم
الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين اراد ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اقرانا
للضيف واوصلنا للرحيم وافكنا للجاني ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا وروي انهم قالوا اللهم

الفتح

انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الجندين وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم ايتنا كان اهجر واقطع
للرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين وان تنتهوا خطاب للكافرين يعني ان تنتهوا
عن عداوة رسول الله صلعم فهو خير لكم واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم وان الله قرئ بالفتح على ولان الله
مع المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذا اوجه ويعضدها قراءة ابن مسعود رض ولن يغني الله مع المؤمنين وقرئ ولن
يغني عنكم بالياء للفصل ولا تولوا قرئ بطرح احدى التاءين وادغامها والضمير لرسول الله لان المعنى واطيعوا
رسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله
فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الضمير
الى الامر بالطاعة اي ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعونه او ولا تتولوا عن رسول الله ولا تخالفوه وانتم تسمعون
او تصدقون انكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اي ادعوا السماع ولا يسمعون
لانهم ليسوا بمصدقين وكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض
الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق والمشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال ان شر الدواب
اي ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم
من شرها ولو علم الله في هؤلاء الصم البكم خيرا اي انتفاعا بالالطاف لاسمعهم لالطف بهم حتى يسمعوا سماع
المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الالطاف او لو لطف بهم
فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب
بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا
اصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب اذا دعاكم وجد الضمير كما وجد فيما قبله لان استجابة
رسول الله كاستجابته وانما ذكر احد السماعين للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث
والتحريض وروي ابو هريرة ان النبي صلعم مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما
منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لاجرم لا تدعوني اجبتك وفيه
دلالة احدهما ان هذا مما اختص به رسول الله صلعم والثاني ان دعاءه كان فرضا لم يحتمل التاخير واذا وقع مثله للمصلي
جاز ان يقطع صلوته لما يجيبه من مهام الدنيا والشرائع لان العلم حيوة كما ان الجهل موت ولبعضهم في تعيين الجهول جلته
فذاك ميت وثوبه كفن وقيل المجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص
حيوة وقيل للشهادة كقوله بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يعني انه يميته ويفوته الفرصة
التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه وعلله وردّه سليما كما يريد الله فاغتنموا هذه الفرصة

وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ۝ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ
وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله واعلموا انكم اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلب واخلاص الطاعة وقيل معناه ان الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه وتغيير نيته ومقاصده ويبدله بالخوف امنا وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك بما هو جائز على الله تعالى فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا والحجة على انه يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا آمن قوله تعالى انه يحول بين المرء وقلبه وقيل معناه انه يطلع على كل ما يخطر المرء ببالة لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكانه يحول بينه وبين قلبه وقرئ بين المرء بتشديد الراء ووجهه انه قد حذف الهمزة والقى حركتها على الراء كالخبت ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمرّ فتنة ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين اظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن لا يخلو من ان يكون جوابا للامر او نهيا بعد امر او صفة لفتنة فاذا كانت جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر تجذيرا فعمهم الله بالعذاب واذا كانت نهيا بعد امر فكانه قيل فاحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب اولاد الذنب وولده من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلت صفة على ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاء فاعذق هل رايت الذئب يعذق مقول فيه هذا القول لانه ساق فيه لون الذرعة التي هي لون الذئب ويعضد المعنى الاخير قراءة بن مسعود لتصيبن على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهم يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما نرى انا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروي ان الزبير كان يساير النبي صلى الله عليه وسلم يوما اذ اقبل علي رضي فضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلعم كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بابي انت وامي احبه كحبي لولدي او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله فان قلت كيف جاز ان يدخل النون المؤكدة في جواب الامر قلت لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم فان قلت فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم قلت التبعيض على الوجه الاول والتبيين على الثاني لان المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان الظلم اقبح منكم من سائر الناس اذا انتم نصب على انه مفعول به لا ظرف اذكروا وقت كونكم قلة اذلة مستضعفين في الارض ارض مكة قبل الهجرة يستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا لهم اعداء منافين مضادين فآواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واعلاهم جلدا وابينهم ضلالا يأكلون ولا يأكلون فكن الله لهم في البلاد

الذنب خطه

وما دريناه

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ
فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا

ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا معنى الخون النقص كما ان الوفاء التمام ومنه تخونه اذا تنقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شيء فقد ادخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكبة وخان المشتار العسل اذا انقطع فكانه لم يف به ومنه قوله وتخونوا امانتكم والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرايضه ورسوله بان لا تستنوا به وامانتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك وما له وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وروي ان النبي صلعم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله صلعم الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان المنذر وكان ناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه رسول الله صلعم اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تصدق به عن المغنين ثلث في قتل عثمان بن عفان رضي وقيل امانتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرايضه وحدوده فان قلت وتخونوا اجزم بوام نصب قلت يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وقرأ مجاهد وتخونوا امانتكم على التوحيد جعل الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم والعذاب لانه محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده والله عنده اجر عظيم فعليكم ان تتوخوا بطلب ما يودي اليه حبكم وتزهدوا في الدنيا ولا تجمعوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا انفسكم من اجلهما كقوله المال والبنون الاية وقيل هي من جملة ما نزل في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده فرقانا نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه قوله يوم الفرقان او بيانا وظهورا يشهد لك امركم ويثبت صيتكم وآثاركم في اقطار الارض من قولهم بيت افعل كذا حتى يطلع الفرقان اي طلع الفجر او مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والاخرة لما فتح الله عليه ذكر مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما اتاح الله من حسن العاقبة والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا لما اسلمت الانصار وبايعوا فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ من نجد ما الناس بتهامة دخلت مكة فسمعت

ان يتفاقم يتفاقم امره ظهر

شيخ

لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ
آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ
كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا

باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتشدوا
وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا ريب المنون فقال ابليس بئس الراي رايكم
من يعتاركم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا
يضركم ما صنع واستريحتم فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم ويأتي لكم بهم فقال ابو جهل لعنه الله رايي ان تاخذوا من كل بطن
غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبايل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش
كلهم فاذا اطلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا فتفرقوا على راي ابي جهل
مجتمعين على قتله فاخبر جبرئيل رسول الله وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن الله له في الهجرة فامر عليا رضي الله عنه فنام في مضجعه
وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا
عليا فرتهوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم ليثبتوك ليسجنوك او يوثقوك او يثخنوك بالضرب والجرح
من قولهم ضربوه حتى اثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرئ ليثبتوك
من الثبات وعن ابن عباس ليثبتوك وهو دليل لمن فسر بالايثاق ويمكرون ويخفون المكايد له ويمكر الله ويخفي الله
ما اعد لهم حتى ياتيهم بغتة والله خير الماكرين اي مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيرا او انه لا ينزل الا ما هو حق
وعدل ولا يصيب الا ما هو مستوجب لو نشاء لقلنا مثل هذا نعارضه ونصلف تحت الراعدة فانهم لم يتوانوا في
مشيتهم لو ساعدتهم الاستطاعة والا فمنهم ان كانوا مستطيعين ان يشاؤا اغلبة من تحديهم وفترهم بالعجز حتى
يفوزوا بالقدح المعلى ونوع فرط انفتهم واستنكافهم ان يغلبوا في باب المباهاة وان يماتهم فيتطاولوا باستباع المشية
ومع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على ان يتمروا رسول الله وتهالكهم ان يغمروه وقيل قايله النضر بن الحارث
المقتول صبرا جين سمع انتصار الله اجاديث القرون لو شيئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة
حديث رستم واسفنديار فزعم انه مثل ذلك وانه من جملة تلك الاساطير وهو القايل ان كان هذا هو الحق وهذا
اسلوب من الجحود بليغ يعني ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا على انكاره بالتسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او بعذاب
آخر ومراده نفي كونه حقا واذ انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاده انه ليس
بحق كتعليقه بالمحال في قولك ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة وقوله هذا هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل
التخصيص والتعيين هذا هو الحق وقرأ الاعمش هو الحق بالرفع على انه مبتدأ غير فصل ومن في القراءة الاولى فصل
ويقال امطرت السماء كقولك انجمت واسهلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الامطار في معنى العذاب
فان قلت ما فايدة قوله من السماء والامطار لا تكون الا منها قلت كانه اريد ان يقال فامطر علينا التسجيل
وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع التسجيل كما تقول صب علي مسرودة من حديد تريد درعا

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَمَا لَهُمْ
أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

بعذاب اليم او بنوع آخر من جنس العذاب الاليم يعني ان ارتداد التسجيل بعض العذاب الاليم فعذبنا به او بنوع آخر من
انواعه وعن معاوية انه قال لرجل من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امراة قال الفضل من قومي قومك حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا اليه اللام لتاكيد النفي والدلالة
على ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم غير مستقيم في الحكمة لان عادة الله وقضيته جلت ان لا يعذب قوما عذاب استيصال ما دام نبيهم
بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم والدليل على هذا الاشعار قوله وما لهم الا يعذبهم وانما
يعذبهم يصح هذا بعد اثبات التعذيب كانه قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم الا يعذبهم
وهم يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم او ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولكنهم لم يؤمنوا ولم يستغفروا ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما
كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين وما لهم الا
يعذبهم واي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وما لهم انهم
يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديبية واخراجهم رسول الله والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة
البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء وما كانوا اولياءه وما استحقوا ان يكونوا اولياء امره وانما يتاهل
ولايته من كان بريا من الشرك متقيا فكيف بالكفرة وعبدة الاصنام ولكن اكثرهم لا يعلمون كانه استثنى من كان يعلم وهو يعاند
ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم المكاء فعال من مكا يمكو اذا صفر
ومنه المكاء كانه سمي بذلك لكثرة مكايه واصله الصفير بالفم والقراء وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكاء
والبكا والتصدية التصفيق تفعلة من الصدا او من صدى يصدي اذا قوبل منه يصدوه وقرأ الاعمش وما كان
صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان فان قلت ما وجه هذا الكلام قلت هو من قوله وما كنت اخشى ان يكون عطاؤك
اداهم سودا ومجدرجة سمرا والمعنى انه وضع الفيود والسياط موضع العطاء ومنعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة
وذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا
يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته يخلطون عليه فذوقوا عذاب القتل والاسر يوم بدر بسبب كفركم
وافعالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر وقيل
قالوا لكل من كان له تجارة في العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا بما اصيب منا بدر
وقيل نزلت في ابي سفيان وقد استاجر يوم احد الفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم
اربعين اوقية والاوقية وقية اثنان واربعون مثقالا ليصدوا عن سبيل الله اي كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع

فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ لِيَمِيزَ اللَّهُ
الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ

محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك ثم تكون عليهم حسرة او يكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان ذاتها تصير
ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك فيرحموه طلقا كتب
الله لاغلبن انا ورسلي والذين كفروا والكافرون منهم الى جهنم يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه ليميز الله
الخبيث اي الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب من المؤمنين فيجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة
عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم اولئك اشارة الى الفريق الخبيث
وقيل ليميز المال الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله من المال الطيب الذي انفقه المسلمون كابي بكر
وعثمان في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم الاية واللام على
هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول يحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا وقرئ ليميز على التخفيف
قل للذين كفروا من ابي سفيان واصحابه او قل لاهل مكة هذا القول وهو ان ينتهوا ولو كان لمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا
يغفر لكم وهو قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا لما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم
لان جلهم ليسوا من ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله وقتاله بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما سلف لهم من
العداوة وان يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكروهم يوم بدر فقد مضت سنة الذين
تجبروا على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر
واسلموا غفر لهم ما سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عليه السلام الاسلام يجب
ما قبله وقال الجبائي اذا اسلم لم يبق عليه تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله ويبقى حقوق الادميين
وبه احتج ابو حنيفة ان المرتد اذا اسلم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا
بالارتداد وقرئ يغفر لهم على ان الضمير لله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي لا يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين
كله لله ويضمحل عنه كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده بصير بجازيكم عليه احسن الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا
فاعلموا ان الله مولاكم اي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته انما غنمتم ما موصولة ومن شيء بيان لما قيل من شيء حتى
الخيط والمخيط فان لله مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق او فواجب ان الله خمسه وروي الجحفي عن ابي عمرو فان لله
بالكسر ويقويه قراءة النخعي فلله خمسه والمشهور الاكثر واشهر للخبر كانه قيل فلا بد من اثبات الخمس فيه ولا سبيل
الى الاخلال والتفريط فيه من حيث انه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق
لازم وما اشبه ذلك كان اقوى لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالتسكين فان قلت كيف قسمة الخمس
قلت عند ابي حنيفة كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم لرسول الله وسهم لذوي قرباه من بني هاشم
وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم

واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول

وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا
يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

انما قال لرسول الله هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا تنكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم
وجرتنا وانا نحن وهم بمنزلة واحدة فقال لهم انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وانما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد
وشبك بين اصابعه وثلثة اسهم لليتامى وللمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم
ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين
وابن السبيل واما عند الشافعي رض فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح
المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى على غنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر
مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلث وعند مالك الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين هؤلاء
وان رأى اعطاه بعضهم دون البعض وان رأى غيرهم اولى وآثر فغيرهم فان قلت ما معنى ذكر الله وعطف الرسول
وغيره عليه قلت يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول لرسول الله كقولك والله ورسوله احق ان يرضوه وان يراد
بذكر الله ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب وان يراد بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون
متقربا به الى غيره ثم خصص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكائيل فعلى الاحتمال
الاول مذهب الشافعي وعلى الثاني ما قال ابو العالية الذي يقسم على ستة اسهم سهم لله يصرف الى مفتاح الكعبة وعند
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الخمس فيقسم بين من فيه فيأخذ منه قوته فيجعلها للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة
وقيل ان سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك ابن انس وعن ابن عباس انه كان يقسم على الله وللرسول
سهمان وسهم لقرابته حتى قبض فاجرى ابو بكر الخمس على الثلثة وكذلك روي عن عمر وعن بعده من الخلفاء وروي
ان ابا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس وقال ان مالكم ان يعطى غيركم وتزوج ايامكم وتخدم من الخادم لكم منكم ولما الفيء
منكم فهو بمنزلة ابن السبيل غني لم يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي رضي الله عنه كذلك قال ليس لنا ان
نغتني منه قصورا ولا ان نركب منه الهواذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن مالك رض انه قيل لو ان الله تعالى قال ولليتامى
والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله انه لولي الامر من بعده وعن الكلبي ان الاية نزلت
ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة اشهر ايام للنصف من شوال على رأس
عشرين شهرا من الهجرة فان قلت ثم يتعلق قوله ان كنتم آمنتم بالله قلت بمعروف يدل عليه واعلموا الخمس
ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب القرب به فاقطعوا طماعكم واقنعوا بالاربعة اخماس الباقية وليس
المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المقترن بالعمل والطاعة لان الله لم يرد العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر
وما انزلنا معطوف على بالله اي ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا كقولك وعمرا الطاعون بضمتين يوم الفرقان
يوم بدر والجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما انزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ والله على

إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن
ليقضي الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة

كل شيء قدر يقدر على الأنيص القليل على الكثير والذليل على العزيز كما تفعل بكم ذلك اليوم إذ بدل من يوم الفرقان والعدوة
شط الوادي بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدوة على قلب الواو ياء لأن بينها وبين الكسرة حاجزا غير حصين
كما في الصبية والدنيا والقصوى تأنيث الأدنى والأقصى فإن قلت كلتاهما يعلى من بنات الواو فلم جاءت أحديهما
بالياء والثانية بالواو قلت القياس قلب الواو ياء كالعليا وأما القصوى فكالفتوى في مجيئه على الأصل
وقد جاء القصيا إلا أن استعمال القصوى أكثر كما أكثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب واغيلت مع اغالت
والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة والركب أسفل منكم يعني الركب لأن يعني الذين كانوا يتوددون
العير أسفل منكم بالساحل وأسفل نصب على الظرف وهو مكانا أسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لأنه خبر المبتدأ
فإن قلت ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وأن العير كانت أسفل منهم قلت الفائدة فيه
الإخبار بعين الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهيد أسباب الغلبة له وضعف شأن المسلمين
والتباس أمرهم وأن غلبتهم في مثل هذه الحال ليست إلا صنعا من الله ودليلا على أن ذلك أمر لم يتيسر إلا بحوله وقوته
وبأهر قد يتوذ ذلك أن العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا لا يأس بها ولا ماء بالعدوة
الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الأرجل ولا يمشي إلا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم
فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشجعهم في المقاتلة عنها ثباتهم ولهذا كانت العرب تخرج إلى الحرب بظعنهم
وأموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهدهم في القتال وأن لا يتركوا ورادهم ما يجدون
لأنفسهم بالالتجاء إليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط همهم ويوطن نفوسهم على أن يثبتوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا
مستهى جهدهم وفضلا عن شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه من أمر وقعة بدر ليقضي الله أمرا كان مفعولا من
اعتزاز دينه وإعلاء كلمته حين وعد المسلمين إحدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا إليها خلعا العير راغبين
في الخروج وشخص نفر قريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله لأموالهم حتى نفروا لمنعوا غيرهم وسبب
الأسباب حتى أناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحاذون عليها حتى قامت الحرب
على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا
فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي
ما وفقه الله وسبب له ليقضي متعلق بمحذوف أي ليقضي أمرا كان واجبا أن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه
وبنى ذلك ذلك وقوله ليهلك بدل منه واستعير الهلاك والحيوة للكفر والإسلام ليصدق كفر من كفر عن وضوح بينة
وعن مخالجة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر إسلام من أسلم أيضا عن يقين وعلم بأنه دين الحق
الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك أن ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة التي كفت بعدها كان

مكابرا

وإن الله لسميع عليم إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر
ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم
ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا
الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا

مكابرة النفس مخالطها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحي بإظهار التضعيف لسميع عليم يعلم كيف يدبر من أموركم
ويسوي مصالحكم أو لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبإيمان من آمن وثوابه إذ يريكهم الله نصب بإضمار
اذكر أو مبدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بقوله لسميع عليم أي يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك في منامك في رؤياك
وذلك أن الله عز وجل أراهم آباءهم في رؤياه قليلا فأخبر بذلك أصحابه وكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن
الحسن في منامك في عينك لأنها مكان كما قيل في القطيفة المنامة لأنه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما أحسب
الرواية فيه صحيحة عن الحسن وما يلايم علو كلام العرب في فصاحته لفشلتم لجبنتم وهبتم الإقدام ولتنازعتم
في الرأي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم أي عصم وأنعم بالسلامة من
الفشل والتنازع والاختلاف إنه عليم بذات الصدور يعلم ما يكون فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع
وإذ يريكموهم الضمائر مفعولان وإذ يصوركم إياهم وقليلا نصب على الحال وإنما قللهم في أعينهم تصديقا لرؤيا
رسول الله وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود لقد قللوا في أعيننا حتى قلت
لرجل إلى جنبي أتراهم سبعين قال أراهم مائة فأسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال ألفا ويقللكم في أعينهم حتى قال قائل
منهم إنما هم أكلة جزور فإن قلت الغرض في تقليل الكفار في أعين المؤمنين ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين
في أعينهم قلت قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعد ليجترئوا عليهم فلا يتحاشون عنهم ثم تفاجأهم
الكثرة فيهابوها ويرتهبوا وتقل شوكتهم حين تلقون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله ترونهم مثليهم
رأي العين وليلا يستعدوا لهم وليعظم الاجتماع عليهم في استيضاح الآية البينة من قلتهم أولا وكثرتهم آخرا
فإن قلت بأي طريق يبصرون الكثير قليلا قلت بأن يستر الله بعضهم بشاش أو يحدث في عيونهم
ما يستقلون له الكثير كما أحدث في أعين الخيل ما يرون له الواحد اثنين قيل لبعضهم إن الأصول تدرى الواحد اثنين
وكان بين يديه ديك واحد فقال لي أرى هذين الديكين أربعة إذا لقيتم فئة إذا جاءتكم جماعة من الكفار ترك
أن يصفهم لأن المؤمنين ما كانوا يلقون الكفار والتقاء للقتال غالب فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله كثيرا
في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تفلحون
لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه إشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبا
وأكثر ما يكون همما وأن يكون نفسه مجتمعة لذلك وأن كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما خطب به المؤمنين في
أيام صفين من مشاهدة مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح
دليلا على أنهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وأن تفاقم ولا تنازعوا قرئ بتشديد التاء فتفشلوا منصوب
بإضمار أو مجزوم لدخوله في حكم النهي ويدل على التقدير بين قراءة من قرأ وتذهب ريحكم بالتاء والنصب وقراءة من قرأ
أن

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي
جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ

ويذهب بحكم بالياء والجزم والريح الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت ريح فلان
اذا دالت له الدولة ونفذ امره وهذه قوله انتظر ان قلبك الله ديث غفلتهم ام تعدون قال الريح للعادي وقيل لم يكن
قط نصر الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجذرهم بالنهي عن التنازع والاختلاف
الذي نحوا وعم لهم باحد لما التقوا رسول الله من قتلهم وذهاب ريحهم كالذين خرجوا من ديارهم هم اهل مكة حين نفروا
لحماية العير فاتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا فنشرب
بها الخمور وتعزف علينا القيان وتطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاء الناس باطعامهم فوافوها
فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم ان يكونوا مثلهم بطرين مرائين
باعمالهم وان يكونوا من اهل التقوى والخشية والخوف من خشية الله مخلصين اعمالهم لله واذكر اذ زين لهم الشيطان اعمالهم
التي عملوها في معاداة رسول الله ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته
مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم او بطل كيده حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن كان ذلك
على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت التي بينها وبين كنانة من الحرب وكاد ذلك
يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشياطين معه
رايته وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحارث
بن هشام فلما نكص قال الحارث الى اين اتخذلنا في هذه الحال فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا
فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فلما
اسلموا علموا انه الشيطان وفي الحديث ما رئي ابليس يوما اصغر ولا اذحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من
نزول الرحمة الا ما رأى يوم بدر فان قلت هلا قيل اني اخاف الله ضاربا يريد لعندنا قلت لو كان لكم
مفعولا لغالب بمعنى لاغالبا اياكم لكان الامر كما قلت ولكنه جنس تقدير لا غالب كائن لكم اذ يقول المنافقون بالمدينة والذين
في قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام وعن
الحسن هم المشركون غرهؤلاء دينهم يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم فان الله عزيز غالب يسلط القليل الضعيف على
القوي الكثير ولو ترى ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى الماضي معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى
المضارع الاستقبال واذ نصب على الظرف وقرئ يتوفى بالياء والتاء والملائكة رفعا بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز
ان يكون في يتوفى ضمير الله والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر وعن مجاهد ادبارهم استاههم ولكن الله كريم يكني
وانما خصوها بالضرب لان الضرب والنكال في ضربها اشد وابلغ عن اهل الصين ان عقوبة الزنا عندهم
ان يضربوا بطن الرجل القوي البطش عمودا من حديد كهيئة المطبق فيه وزانية ولد فيقبض فيضرب به على دبره ضربة واحدة

يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ

ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۝ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً
أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

يتوفى فيهم في مكانه وقيل يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا معطوف على ارادة القول اي ويقولون ذوقوا عذاب
الحريق اي مقدمة عذاب النار او ذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها
التهبت النار ويقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف اي لرأيت امرا فظيعا منكرا ذلك بما قدمت ايديكم يحتمل
ان يكون من كلام الله ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره وان الله عطف عليه اي ذلك العذاب بسبب
كفركم ومعاصيكم وبان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المؤمنين وقيل لظلام للمتكثير
لرجل العبيد او لان العذاب من العظم بحيث لو وزع على العباد لاستحقوا لكان المعذب مثله ظلاما بليغ الظلم متناهيه الكاف في
محل الرفع اي دأب كدأب آل فرعون وذلك شأن ما حل بهم يعني ذلك العذاب والانتقام بسبب ان الله لم يتبع لو لم يعص في جملة ان يغير
نعمة عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال فان قلت فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته
عليهم ولم يكن لهم حال مرضية فيغيرها الى حال مسخوطة قلت كما يغير الحال المرضية الى المسخوطة تغيير الحال المسخوطة
الى اسخط منها واوكد كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم الآيات البينات فكذبوه وعادوه
وتجرؤوا عليه شاعين في ارقة دمه غيروا حالهم الى اسوء مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال ومعاجلتهم بالعذاب
وان الله سميع لما يقول مكذبوا الرسل عليهم بالعداوة كدأب آل فرعون تكرير للتأكيد وفي قوله بآيات ربهم زيادة كلمة على
كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب وكل كانوا ظالمين وكلهم من غرقى القبط وقيل قريش
كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي الذين كفروا فهم لا يؤمنون اصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان وهم
بنو قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يعينوا عليه فنكثوا بان اعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا واخطأنا فنقض
عاهدهم فنكثوا وما لوا معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم الذين عاهدت منهم بدل من الذين
كفروا او الذين عاهدتهم من الذين كفروا جعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون وشر المصرين
الناكثون للعهود وهم لا يتقون الخيانة ناقضون عاقبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار فاما تثقفنهم واما تصادفنهم
وتظفرن بهم فشرد بهم من خلفهم تفرق عن مجاريهم ومناصبهم شر تنكيل والنكاية فيهم من ورائهم من الكفرة حتى
لا يجسر عليك بعدهم اجداعتبارهم وانعاظا بحالهم وقرأ ابن مسعود فشرذ بالذال المعجمة بمعنى فرق وكانه
مقلوب شذر من قولهم فصوا شذر بذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرأ ابو حيوة من خلفهم ومعناه
فافعل التشريد من ورائهم لان اذا اشرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء وارتفعه فيه لان الوراء جهة المشرد من
فاذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق بين القراءتين لعلهم يذكرون ولعل المشرد من ورائهم
يتعظون واما تخافن من معاهدين خيانة نكثا بامارات بادح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد على سواء على طريق مستو

إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ
مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ
وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا

قصد وذلك ان تظاهر لهم بنبذ العهد وتخبرهم اخبارا ممكنة فاسا انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تنابذهم الحرب
وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك ان الله لا يحب الخائنين فلما يكن منك اخفاء نكث العهد والخداع
وقيل استوائي العلم بنقض العهد وقيل استوائي العداوة والجار والمجرور في محل الحال كانه قيل فانبذ اليهم نابذا
على طريق قصد سوى او حاصلين على استوائي العلم او على انها حال من الناء المنبوذ اليهم معا سبقوا فاتوا
وافلتوا من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم بالفتح
يعني لانهم كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل الا ان المكسورة على طريقة الاستيناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ
يعجزون بالتشديد وقرأ ابن محيصن يعجزون بكسر النون وقرأ الاعمش ولا تحسبن الذين كفروا بكسر الباء وفتحها
على حذف النون الخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على ان الفعل للذين كفروا وقيل فيه اصله ان سبقوا
فحذفت ان كقوله ومن آياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود انهم سبقوا وقيل وقع الفعل على انهم
لا يعجزون على ان اصله وسبقوا في محل الحال يعني سابقين او مفلتين هاربين وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا
سبقوا فحذف المفعول لكونه مفهوما وقيل لا يحسبن الذين كفروا سبقوا وهذه الاقاويل كلها متكلفة وليت
هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنية وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت من فل المشركين من وقعة
الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القوة الرمي قالها ثلثا ومات عقبة عن سبعين
قوسا في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون والرباط اسم للخيل التي ترتبط في سبيل الله ويجوز ان يسمى بالرباط الذي
هو بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون جمع رابط كفصيل وفصال وقرأ الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع ربط
ويجوز ان يكون قوله من رباط تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل وعن ابن سيرين انه
سئل عن اوصى بثلث ماله في الحصون فقال تشترى به الخيل فترابط في سبيل الله وتغزى عليها فقيل له
انما اوصى في الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر ان الحصون الخيل لا مدر القرى ترهبون وقرئ بالتخفيف
والتشديد وقرأ ابن عباس ومجاهد تخزون به والضمير في به راجع الى ما استطعتم عدو الله وعدوكم هم اهل
مكة وآخرين من دونهم هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدي هم اهل فارس وقيل كفرة الجن
وجاء في الحديث ان الشيطان لا يدنو من صاحب فرس ولا دار فيها فرس عتيق وروي ان صهيل الخيل يرهب
الجن جمع له واليه اذا مال تعدى تانيث تانيثها وتذكيرها وسمي الحرب قال الله تاخذها ما رضيت به والحرب
تكفيك من انفاسها جرع وقرئ بفتح السين وكسرها عن ابن عباس ان الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح ان الامر موقوف على ما يرى
فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب او سلم وليس يحتم ان يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا وقرأ

يقول على الحرب

الخيل

والسلم

وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ
وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ٢٢٤
إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ

الشهب العقيلي فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف من ارتباطهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله
كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد يريد قريظة فان حسبك الله فان يحسبك الله قال جرير لقد جدت من المكا
حسبكم ان تلبسوا حلق الثياب وتشبعوا والف بين قلوبهم التاليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله من الاوس
الباهرة الى العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في ادنى شيء والقاء بين اعينهم الى
ان ينتقموا الا يكاد يتالف فيهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله واتخذوا انفسهم يؤثرون عن قوس واحدة
وذلك لما نظم الله من الفتهم وجمع بين كلمتهم من احب في الله وابغض في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب
فلا يقلبها كما يشاء ويصنع ما اراد وقيل هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما اهلك سادتهم
ورؤساءهم ودق جماجمهم ولم يكن بغضائهم امد ومنتهى وبينهما التجاور يهيج الضغائن ويديم التجاهد
والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة ان يتجنب هذه ما آثرته اختها ويكرهه وتنفر عنه فانساهم
الله ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا اعوانا وعادوا اخوانا وما ذاك الا لطيف صنعه
وبليغ قدرته ومن تبعك الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا يجوز ان عطف المجرور على
المكني ممتنع قال فحسبك والضحاك غضب عند والمعنى كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا او يكون في محل الرفع
اي كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عمر وعن سعيد بن
جبير انه اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت التحريض المبالغة في الحث
على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي على الموت او ان يحميه حرضا ويقول له ان كل حرضا
في الامر ومحرضا فيه ليرجعه ويحذر كمنه وقرئ حرض بالضاد المعجمة حكاها الاخفش من
الحرض ويقال حرضه وحرضه وحرسه بمعنى وهذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا
عشرة امثالهم من الكفار بعون الله وتاييده ثم قال بانهم قوم لا يفقهون او بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على
غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف
من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والظفر من الله وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب قيل ثم نزل عليهم ذلك وخفف عنهم
وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء فلما كثروا
بعد نزول التخفيف وقرئ ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفاء جمع ضعيف وقرئ
الفعل لمقابلة المائة بالمائة والمائة في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصيرة
في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك فان قلت لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة

الظاهر مع

عباس رض نزلت في اسلام م

إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَفْقَهُونَ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ

وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى
حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلَا كِتَابٌ
مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

لكثرتهما مرتين قبل التخفيف قلت الدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا يتفاوت لان
الحال قد تفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين
وقرئ للنبي على التعريف اسارى ويثخن بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم
اثخنه الجراحات اذا اثبتته حتى يثقل عليه الحركة والمثخن المدنف اذا ثقل من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة
يعني يذلوا الكفر ويضعفوه باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الاثر بعد ذلك
ومعنى ما كان ما صح له وما استقام هذا وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزلت فاما منا بعد واما فداء
وروي ان رسول الله صلعم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك
واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية يقوي بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم
واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء ومكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من
فلان لنسيبك فلنضرب اعناقهم فقال عليم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب
رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور
رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن
احد منكم الا بفداء او ضرب عنق وروي انه قال لهم ان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ
الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن محمد بن سيرين
كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وستة دنانير وروي انهم لما اخذوا الفداء نزلت الاية فدخل
عمر على رسول الله صلعم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء
تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه
وروي انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في القتل احب الي من عرض الدنيا حطاما
سمي حطاما لانه حدث قليل اللبث يريد الفداء والله يريد الآخرة يعني ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان
في القتل وقرئ يريدون بالياء وقرأ بعضهم والله يريد الآخرة بجر الآخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف
اليه على حاله كقوله وزاد توقد بالليل نارا والله يريد عرض الآخرة على التقابل يعني ثوابها والله عزيز يغلب
اولياءه على اعدائه ويتمكنون منهم قتلا واسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه حكيم يوخر ذلك ليؤمن ان يكثروا ويعز دينهم
لولا كتاب من الله سبق لولا حكم منه سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو انه لا يعاقب احدا بالخطاء وكان هذا
خطاء في الاجتهاد لانهم نظروا في ان استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به
على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم واقل لشوكتهم وعلى كتابة تسجيل لهم

قتلتموهم وان شئتم

فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى
ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا
خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا

الفدية التي اخذوها وقيل ان اهل بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب احد الا بعد تاكيد الحجة وتقدم
النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت
وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه فان قلت
ما معنى الفاء قلت التسبيب والسبب محذوف معناه قد اتيحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم وحلالا نصب
على الحال من المغنوم او صفة للمصدر الذي اي اكلا حلالا وقوله ان الله غفور رحيم معناه انكم اذا اتقيتموه بعد ما
فرط استباحة الفداء قبل ان يوذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم في ايديكم في ما ايديكم كانا ايديكم قابضة
عليهم وقرئ من الاسرى في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء
اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافه او يثيبكم في الآخرة وفي قراءة الاعمش يثبكم خيرا وعن العباس انه قال كنت
مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلعم ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان
علينا وكان اخذ الذين ضموا اطعام اهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروي ان رسول الله صلعم قال للعباس
افد ابني اخيك عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال
له فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ان ادركت ما يصيبني في
وجهي هذا فان حدث لي حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله والفضل فقال العباس ما يدريك فقال
اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع
عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مدنيا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فلا
ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب عشرين الفا واعطاني
زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال مكة وانا انتظر المغفرة من ربي وروي انه قدم رسول الله صلعم مال
البحرين ثمانون الفا فتوضاء لصلوة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر
على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وارجو المغفرة وقرأ الحسن وشيبة مما اخذ منكم على البناء
للفاعل وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم كما رايتم يوم بدر فيمكن منهم ان اعادوا
الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما منعوا من الفداء الذين هاجروا من دار قوا اوطانهم وقومهم حبا
لله ورسوله هم المهاجرون والذين آووهم الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم هم الانصار بعضهم اولياء
بعض اي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي
القرابات حتى نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر اي من تولي امرهم

ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا
والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا
وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق
والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض

وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ

في الميراث ووجه الكسائي ان تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كانه يتوليه صاحبه يزاول امره ويباشره فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم منهم بينكم وبينهم عهد فانه لا يجوز لكم نصركم عليهم لانهم لا يبتدئون بالقتال ذا الميثاق مانع من ذلك والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهر في اثبات الموالات بينهم كقوله في المسلمين اولئك بعضهم اولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا ومواداتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب الا ان يتركوا يتوادون بعضهم بعضا ثم قال الا تفعلوا اي الا تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا الصلة بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد نابيا وقرئ كثير بالتاء اولئك هم المؤمنون حقا لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من المال لاجل الدين وليس هذا دليلا لان هذه الاية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الوعد الكريم والاولى للامر بالتواصل والذين آمنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة كقوله والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان لحقوهم بهم وجعلهم منهم تنصيصا وترغيبا واولوا الارحام واولوا القرابات اولى بالتوارث وهو ناسخ للتوارث بالهجرة والنصرة في كتاب الله في حكمه وقسمه وقيل في اللوح وقيل في القرآن وهي آية المواريث وقد استدل به اصحاب ابي حنيفة على توريث ذوي الارحام عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته في الدنيا والله اعلم سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون آية لها عدة اسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لان فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق اي تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه فان قلت هلا صدرت بآية التسمية كما صدرت سائر السور قلت سئل عن ذلك ابن عباس عن عثمان رضي الله عنهما فقال ان رسول الله صلعم اذا نزلت عليه السورة او الآية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا اين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن ابي بن كعب انها توءمان ذلك لانه في الانفال ذكر العهود وفي التوبة نبذ العهود وسئل بن

والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ

عيينة فقال اسم الله سلام وامان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا قيل فان النبي صلعم كتب الى اهل الحديبية بسم الله الرحمن الرحيم قال لانما ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا بتاء تقول سلام على من اتبع الهدى واما النبذ فانما هو البراءة واللعنة واهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ومترس ولا باس هذا امان كله وقيل سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتا نزلتا في القتال تقرآن السابعة من الطول وقيل اختلف صحابة رسول الله صلعم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة براءة خبر مبتدأ محذوف اي هذه براءة ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة لكتيبة قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان وبجوز ان يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة وقرأ اهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد بريا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم فان قلت لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين قلت قد اذن الله في معاهدة المشركين اولا فاتفق المسلمون مع رسول الله صلعم وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد بريا مما عاهدتم به المشركين وروي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر آمنين اين شاءوا لا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامر رسول الله صلعم ابا بكر على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا راكبا العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت به الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلعم فلما لحقه قال اميرا او مامورا قال مامورا وروي ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل فقال يا محمد لا يبلغ رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع ابو بكر الى رسول الله صلعم فقال يا رسول الله اشيء نزل من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي يناديه بالآي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية وعن مجاهد ثلث عشرة آية ثم قال امرت باربع الا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل

فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان

وهي مع ما بعدها للمائدة وهذا قول ظاهر لانها معها بمثابة احدى الطول

فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين وأذان من الله ورسوله
إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم
فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم

تقسر بومئة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا
وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما امر ان لا يبلغ عنه الا رجل منهم لان
العرب عادتها في نقض عهودها ان يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف
ما يعرف بيننا في نقض العهود فاذا جاءت علته بتوليه ذلك عليا رض فان قلت الاشهر الاربعة ما هي قلت
عن الزهري ان براءة نزلت في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وصفر وشهر
ربيع الاول وعشر من ربيع الآخر وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتالهم وعلى التغليب فهي
ذو الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في
ذلك الوقت للنسي الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة فان قلت ما وجه اطلاق اكثر
العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الاشهر الحرم وقد صانها الله عن ذلك قلت قالوا قد نسخ وجوب
الصيانة وابيح قتال المشركين فيها غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا
بالقتل وفي الآخرة بالعذاب واذان ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها والوجه
لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد من قولك زيد قائم وعمرو قاعد والاذان
بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء فان قلت اي فرق بين معنى
الجملة الاولى والثانية قلت تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بها ثبت
فان قلت لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس قلت لان البراءة مختصة
بالمعاهدين والناكثين منهم واما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث عن المعاهدين
ومن لم ينكث يوم الحج الاكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج بمعظم افعاله من الطواف والنحر
والحلق والرمي وعن علي رض ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر قال يوم عرفة هذا خلاف عن دابتي وعن ابن
عمر رض ان رسول الله صلعم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر ووصف الحج
بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او جعل الوقوف بعرفة الحج الاكبر لان معظم واجباته لا تفوته اذا فات فات الحج
وكذلك ان اريد به يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر وعن الحسن سمي الحج الاكبر لاجتماع
المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم يسق ذلك قبل ولا بعد فعظم في كل قلب وصل
وكانت حذفت الهاء التي هي صلة الاذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر لان الاذان في معنى القول ورسوله عطف
على المنوي في بريء او على محل ان المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع او
بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقولهم لعمرك ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرأها فقال

إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم
إن الله يحب المتقين فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم
واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم إن الله
غفور رحيم وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه

ان كان الله تم بريا من رسوله فانا منه بريء فليبلغه الرجل الذي عرض فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر عمر رض
بتعليم العربية فان تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي والاعراض
عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير سابقين الله ولا فائتين اخذه وعقابه قلت مما استثنى الا
الذين عاهدتم قلت وجه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه
براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوا
فاتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل ان امرا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم
عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى
بين القبيلين فاتقوا الله في ذلك لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا
عليكم كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي
على رسول الله فانشده يا رب هم ليذا ناشد محلا حلفنا بيننا وابيك الاتلدا ان قريشا اخلفوك الموعدا
ونقضوا ذمامك المؤكدا وهم بيتونا بالحطيم هجدا وقتلونا ركعا وسجدا فقال عليه السلام نصرت يا عمرو ان لم انصركم
وقرئ لم ينقصوكم بالضاد معجمة او لم يتنقصوا عهدكم ومعنى فاتموا اليهم فادوه اليهم تاما كاملا كما قال
بن عباس بقي بحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم انسلخ الشهر كقولهم انجرد الشهر وسنه
جردا والاشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا
عليكم حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم وأسروهم والاخذ الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم
من التصرف في البلاد وعن ابن عباس حصروهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام كل مرصد كل ممر ومجتاز
ترصدونهم وانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر
والحصر وكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم الا قوله خلا السبيل لمن يبغي المنازعة وعن ابن عباس دعوهم واتيان المسجد الحرام
ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر واحد مرتفع بفعل الشرط مضمر يفسره
الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان من عوامل الفعل لا يدخل على غيره
والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر الحرم احد بينك وبينه ولا ميثاق فاستامنك ليسمع
ما تدعوا اليه من التوحيد والقرآن وتبيين ما بعثت له فآمنه حتى يسمع كلام الله ويطلع على حقيقة الامر
ثم ابلغه ذلك دارا التي يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت
في كل وقت وعن الحسن هي محكمة الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين الى علي رض فقال
ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل ليسمع كلام الله او يأتيه لحاجة قتل قال لان الله يقول

ذلك بأنهم قوم لا يعلمون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم
عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين كيف وإن يظهروا عليكم
لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون اشتروا بآيات

وإن أحد من المشركين الآية وعن السدي والضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ذلك الأمر
يعني الأمر بالإجارة فأجبه بسبب أنهم قوم جهلة لا يعلمون ما الإسلام وما تدعوا إليه فلا بد من إعطائهم الأمان
حتى يسمعوا فيعلموا الحق كيف استفهام في معنى الإنكار والاستبعاد لا يكون للمشركين عهد عند الله ومع اضداد
وغدرة صدورهم يعني محال أن يثبت لهم عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تجدوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتالهم
ثم استدرك ذلك بقوله إلا الذين عاهدتم ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث
كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله
إن الله يحب المتقين يعني أن التربص بهم من أعمال المتقين كيف تكرار الاستبعاد إثبات المشركين على العهد
وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال وخبرتماني أنما الموت بالقرى فكيف هاتا هضبة وقليب يريد
فكيف مات أي كيف يكون لهم عهد وحالهم أنهم إن يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تأكيد الأيمان والمواثيق لم يتفرقوا
في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وأنشد لحسان لعمرك إن الكرم من
قريش كمال السقب من إبل النعام وقيل إلا إلها وقرئ إيلا بمعناه وقيل جبريل وجبرائيل من ذلك
وقيل منه اشتق الآل بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه أن اشتقاق الإل بمعنى الحلف
لأنهم إذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه من الأل وهو الجوار وله أنين يرفع به صوته ودعا
الليها إذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق إل وسميت به لأن القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقد
الميثاق يرضونكم كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات
منهم على العهد وإبائهم القلوب مخالفة بأفواههم من الأضغان لما يجرونه على ألسنتهم من الكلام الجميل وأكثرهم
فاسقون متمردون خلعا لمروءة تزعهم ولا شمايل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي
عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجر الحدود اشتروا استبدلوا بآيات الله بالقرآن
والإسلام ثمنا قليلا ومتاع الأهواء والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم وقيل
هم الأحزاب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم منه المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشناعة فإن أبواعز
الكفر ونقض العهد فإخوانكم فهم إخوانكم على حد في المبتدأ فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم ونفصل الآيات
ونبينها وهذا اعتراض كأنه قيل وإن من تأمل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل من أحكام
المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا أئمة الكفر موضع ضمير
إشعارا بأنهم إذا نكثوا في حال المشركين الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الأوفياء من العرب
ثم آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاروا إخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الإسلام

ونفصل الآيات لقوم يعلمون وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا
أئمة الكفر

قوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم

٢٢٦

ونكثوا ما بايعوا عليه من الإيمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشيء
ثم آية الكفر وذو والرياسة والتقدم فيه لأنهم كانوا يفتون كافر غيرهم وقالوا إذا طعن الذمي في دين الإسلام
طعنا ظاهرا جاز قتله لأن العقد معقود معه على أن لا يطعن فإذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة أيمانهم لا إيمان
لهم جمع يمين وقد يجيء إيمان لهم أي لا إسلام لهم ولا يعطون الأمان بعد الردة والنكث لا سبيل إليه فإن قلت كيف
أثبت لهم الإيمان في قوله وإن نكثوا أيمانهم ثم نفاها عنهم قلت أراد أيمانهم التي أظهروها ثم قال لا إيمان
لهم على الحقيقة وأيمانهم ليس بإيمان وبه استشهد أبو حنيفة على أن يمين الكافر لا يكون يمينا وعند
الشافعي رحمه يمينهم يمين وقال معناه أنهم لا يوفون بدليل أنه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون يتعلق بقولهم فقاتلوا
آية الكفر أي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم أن يكون المقاتلة سببا في انتهائهم
عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد فإن قلت كيف لفظ آية الكفر
قلت همزة بعدها همزة بين بين أي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وإن لم
تكن بمقبولة عند البصريين ولما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز أن يكون ومن صرح بها فقوله حين
لم يخف لا يقاتلون دخلت الهمزة على لا يقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل
المبالغة نكثوا أيمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا بإخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في أمره بدار
الندوة حتى أذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه وهم بدءوكم أول مرة أي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة
لأن رسول الله صلى جاءهم أولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها إلى القتال فهم
البادئون بالقتال البادي أظلم فما يمنعكم من أن تقاتلوهم بمثله وأن تصدقوهم بالنصر كما صدقوكم وتجشمهم
بتذكر مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر أن من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد
وإخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بأن لا يترك مضادته وأن يوبخ من فرط فيها أتخشونهم
تقرير على الخشية منهم وتوبيخ عليها فالله أحق أن تخشوه فقاتلوا أعداءه إن كنتم مؤمنين يعني أن
قضية الإيمان الصحيح أن يخشى المؤمن الله وحده فقاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصح نياتهم
أن يعذبهم بأيديكم ويخزهم أسرا أو يولهم النصر والغلبة عليهم ويشف صدور طائفة من المؤمنين وهم
خزاعة قال ابن عباس رضي منهم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فشكوا
إلى رسول الله صلى يشكون إليه فقال أبشروا فإن الفرج قريب يذهب غيظ قلوبكم لما لقيتم منهم من المكروه
وقد فضل الله هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله ونبوته وتوبة بالنصب
بإضمار أن ودخول التوبة في جملة ما أجيبت الأمر من طريق المعنى والله عليم يعلم ما يكون كما يعلم ما قد

أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله
ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين
على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون إنما يعمر مساجد الله

كان حكيم لا يفعل إلا ما اقتضته الحكمة أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى
أنكم لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتميز الخالص منكم ومنهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا
وليجة أي بطانة من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ولما معناه التوقع وقد دلت على أن تبيين ذلك
واتضاحه متوقع كائن وأن الذين لم يخلصوا دينهم يتميز بينهم وبين المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف على
جاهدوا داخل في حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم المجاهدين منكم المخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة
فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله ما قيل في تريد ما وجد
ذلك شيء ما كان للمشركين ما صح وما استقام أن يعمروا مساجد الله يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام
وإنما الفتاة بالجمع فيهما وجهان أحدهما أن يراد المسجد الحرام وإنما قيل مساجد لأنه قبلة المساجد كلها وإمامها
فعامر كعامر جميع المساجد ولأن كل بقعة منه مسجد والثاني أن يراد جنس المساجد وإذا لم يصلح لأن يعمروا
جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد من طريقة طريقة
الكناية كما لو قلت فلان يقرأ وكتب الله كنت نفي لقراءة القرآن من تصريحك بذلك وشاهدين حال من الواو
في يعمروا والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى
شهادتهم على أنفسهم بالكفر ظهور كفرهم وأنهم نصبوا حول البيت أصنامهم وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف
عليها بثياب قد أصبنا فيها المعاصي وكانوا إذا طافوا شوطا سجدوا وقيل معنى قولهم لبيك اللهم لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك
وقيل قد أقبل المهاجرون والأنصار على إساءة بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يوبخ العباس
بقتال رسول الله وقطيعة الرحم وأغلظ في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقال أولكم
محاسن قالوا نعم ونحن أفضل منكم أجرا إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت حبطت
أعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة وإذا هدم أو الكبير الأعمال الثابتة الصحيحة إذا نغصها غاظ
بالمؤذن وإلى ذلك أشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على أنهم قارنوا بين الإيمان والشهادة بالكفر
على أنفسهم في حال واحدة وذلك حال غير مستقيم إنما يعمر مساجد الله وقرئ بالتوحيد وإنما يستقيم عمارة هؤلاء
وتكون معتدا بها والعمارة تتناول ما استرم منها وتمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها
للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو أجله وأعظمه وصيانتها عالم يبين له المساجد من أحاديث الدنيا فضلا
فضول الحديث وعن النبي صلعم يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب
الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الكلام في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال
عليه السلام إن لله آنية في أرضه المساجد وإن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي

لا شريك لك

الكفر

فيعتدون

من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا
من المهتدين أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد
في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا

يحثون على المزور أن يكرم زائره وعنه عليه السلام من أسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام
في ذلك المسجد ضوءه فإن قلت هلا ذكر الإيمان برسول الله قلت لما علم وشهرة الإيمان بالله
قرينة الإيمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة في الأذان والإقامة وغيرهما عليهما متقرنين مؤكدين كأنهما شيء
واحد غير منفك أحدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الإيمان بالله الإيمان بالرسول وقيل دل عليه بذكر إقامة الصلوة
وإيتاء الزكوة فإن قلت كيف قيل ولم يخش إلا الله والمؤمن يخشى الحجاج وزيد وعمرو قلت إنما كان لا يخشاها قلت
هي الخشية والتقوى في أبواب الدين وإن لم يختا على رضا غيره لتوقع مخوف وإذا اعترضه أمران أحدهما حق
الله والآخر حق نفسه أن يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها
فأريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقع الاهتداء وحسم
لأطماعهم في الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها وأملوا عاقبتها بأن الذين آمنوا وضموا إلى
إيمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى أهلا وهم زيد بن علي ولعل أعمال المشركين يقطعون
أنهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام وبخ لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض
الاغترار بالله السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره
أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وتصدق قراءة ابن الزبير وابن وثاب وحمزة السعدي
وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم
المثبتة وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعظمها بالكفر وروي أن المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج
وعمار المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت لهم اليهود أنتم أفضل وقيل أن عليا قال للعباس
يا عم ألا تهاجرون ألا تلحقون برسول الله فقال أنحن في أفضل من الهجرة أسبقي حاج بيت الله وأعمر المسجد
فلما نزلت قال العباس ما أراني إلا آتي أهلي فأدل سقايتنا فقال علي اقيموا على سقايتكم فإن لكم فيها خيرا هم أعظم درجة
عند الله من أهل السقاية والعمارة عندكم وأولئك هم الفائزون لا أنتم المختصون بالفوز دونكم يبشرهم
بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس هي في
المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من آمن ولم يتم إيمانه إلا أن يهاجر ويصارم أقاربه الكفرة وتقطع مواد الإنس
فقالوا يا رسول الله إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا
وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتي ابنه أو أبوه أو أخوه
أو بعض أقربائه فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في النفر الذين

يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات

وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم
من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين
لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض

ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي عليه السلام لا يطعم أحدكم طعم الإيمان حتى يحب في الله ويبغض في
الله حتى يحب في الله أبعد الناس ويبغض في الله أقرب الناس إليه وقرئ عشيرتكم وعشيراتكم وقرأ
الحسن عشايركم فتربصوا حتى يأتي الله بأمره وعيد عن ابن عباس رضي هو فتح مكة وعن الحسن عقوبة
عاجلة أو آجلة وهذه آية شديدة لا تدري أشد منها كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين
واضطراب حبل اليقين فلينصف لورع الناس وإنقاذهم من نفسه هل يجد عنده من الصلابة في ذات الله والثبات
على دين الله ما يستجيب دينه على الآباء والأبناء والإخوان والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها
لجلام يتولى الله عنه أجفر شيء منها المصلحة فلا يدري أي طرفيه أطول ويعويه الشيطان عن أجل حظ
من حظوظ الدين فلا يبالي كائنا وقع على الفم ذباب فطيره مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال يزيد بن الحكم
موكم موطن لو أني طعنت كما هوى باجرامه من قلة النيق منهوي واستناعه من الصرف لأنه جمع
على صيغة لم يأت عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح
مكة فإن قلت كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على المواطن قلت معناه وموطن يوم حنين
أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين على أن الواجب أن يكون
يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجبه ذلك أن قوله إذ أعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت
ناصبه هذا الظاهر لم يصح لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرين في جميعها فبقي أن يكون
ناصبه فعلا خاصا به إذا نصبت إذ ناصبا وأذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة
بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا الذين حضروا فتح مكة منضما إليهم ألفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف
وهم أربعة آلاف فيمن ضامهم من سائر أمداد العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن
نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله وقيل قاله رسول الله وقيل أبو بكر وذلك أعجبتكم كثرتكم فانهزموا
قتالا شديدا فأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة ونزل عنهم إن الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا
حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله وحده وهو ثابت في مركز لا يتحلحل ليس معه إلا ثمانية أنفس آخذا بلجام دابته
وأبو سفيان ابن الحارث بن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة جأشه
وما هي إلا من آيات النبوة وقال يا رب أين ما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا اصرخ بالناس
فنادى الأنصار فخذا فخذا ثم نادى يا أصحاب الشجرة يا أصحاب البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون
لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قتال المسلمين هذا حين
حمي الوطيس ثم أخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال للعباس ارجع إلى انظر

بما رحبت ثم ولّيتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها
وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله
غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا

٢٤٨

انظر إلى النبي عليه السلام كيف خلفهم على بغلته بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع رحبها أو مع رحبها وحقيقته
ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر أي ملتبسا بها لم أخلعها
يعني مع ثياب السفر والمعنى لم يجدوا موضعا يستصلحونه لهربكم إليه ونجاتكم لفرط الرعب كأنها ضاقت
عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم سكينته رحمته التي سكنوا بها وأمنوا وعلى المؤمنين الذين انهزموا وقيل
هم الذين ثبتوا مع رسول الله حين وقع الهرب وأنزل جنودا لم تروها يعني الملائكة وكانوا ثمانية آلاف وقيل
خمسة آلاف وقيل ستة عشر ألفا وعذب الذين كفروا بالقتل والأسر وسبي النساء والذراري
ثم يتوب أو يسلم بعد ذلك ناس منهم وروي أن ناسا منهم جاءوا فبايعوا رسول الله على الإسلام وقالوا يا رسول
الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا فقيل يسبي يومئذ ستة آلاف
نفس وأخذ من الإبل والغنم ما لا يحصى فقال إن عندي ما ترون أن خير القول الصدق فاختاروا إما ذراريكم
ونساءكم وإما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن هؤلاء جاءوا مسلمين وإنا خيرنا
بين الذراري والأموال فلم نعدل بالأحساب شيئا فمن كان بيده شيء وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن أبى
فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال إني لا أدري لعل فيكم من
لم يرض فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك إلينا فرفعت إليه العرفاء أن قد رضوا النجس مصدر يقال نجس نجسا
وقذر قذرا ومعناه ذو نجس لأن منهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس وأنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون
النجاسات أو في ملابسة لهم وجعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس أعيانهم نجسة
كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ وأهل المذاهب على خلاف هذين القولين
وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كأنه قيل إنما المشركون جنس نجس أو
ضرب نجس والكثير ما جاء بالعين الرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد في كبد فلا يقربوا المسجد الحرام فلا يحجوا
ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية بعد عامهم هذا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين أمر
أبو بكر رضي الله عنه على الموسم وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة ألا لا يحج بعد
عامنا هذا مشرك ولا يمكنون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم وعند الشافعي يمنعون من
المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء أن المراد بالمسجد الحرام الحرم
وأن على المسلمين أن لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين أن يقربوه راجع إلى نهي المسلمين من تمكينهم منه وقيل
المراد أن يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وإن خفتم عيلة أو فقرا بسبب منع
المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارتفاق والمكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه أو من

وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله

إن شاء إن الله عليم حكيم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم
الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم
صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله

تفضلا بوجه آخر فارسل السماء عليهم مدرارا فاعزرتها واكثرتهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا
الى مكة الطعام وما يعاشرونه فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن عباس ليأتين الشيطان
في قلوبهم الخوف وقال من اين تاكلون فامنهم الله بقتال اهل الكتاب واغنامهم بالجزية وقيل
بفتح البلاد والغنايم وقرئ عايلة بمعنى المصدر كالعافية او جاء عايلة ومعنى قوله ان شاء ان اوجبت
الحكمة اغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم ان الله عليم باحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب
من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين مع ما في حيز نفي عدم الايمان بالله لان اليهود مثلثة والنصارى
مثلثة وايمانهم باليوم الآخر لانهم نبه على خلاف ما يجب تحريم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما
حرم في الكتاب والسنة وعن ابي رزين لا يعملون بما في التورية والانجيل وان يدينوا دينا لحق
وان يعتقدوا دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله تعالى فلان يدين بكذا اذا
اتخذه دينا ومعتقدا سميت جزية لانها طايفة مما على اهل الذمة ان يجزوه او يقضوه او لانهم يجزون
بها من عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد اما ان يراد يد المعطي او الآخذ فمعناه على ارادة يد المعطي حتى
يعطوها عن يد مواتية غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا
اعطى بيده اذا انقاد واصحب لانه يدل على قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة
عن عنقه او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطي الى
يد الآخذ واما على ارادة يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية او انعام عليهم لان قبول الجزية
منهم وتركهم ارواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم وهم صاغرون اذلة توخذ منهم على الصغار والذل وهو ان ياتي
بها بنفسه ماشيا غير راكب يسلمها وهو قايم والمتسلم جالس وان يستقبل تكلة ويوخذ بتلبيبه
ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها ويزحم في قفاه ويسقط بالاسلام عند ابي حنيفة ولا يسقط
خراج الارض واختلف فيمن تضرب عليه فعند ابي حنيفة تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابي
وجزية على مشركي العرب وعجمهم روى الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاصنام على الجزية الا من
كان من العرب وقال اهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وادت اليكم الجزية
العجم وعند الشافعي لا توخذ من مشركي العجم والماخوذ عند ابي حنيفة في اول كل سنة من الغني الذي
له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط الغني ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية واربعون درهما
ولا يوخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي يوخذ في آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان او غنيا
له كسب او لم يكن عزير ابن الله مبتدا وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمي كعازر وعيزار وعزرا

اي عن يده

الايذاء بالعنف

وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم
الله انى يؤفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا
الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو

٢٢٩

والهجنة وتعريفها امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربيا واما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين
كقراءة من قرأ احد الله الصمد او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فقول عند مندوحة
وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس رضي الله عنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن
مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص وسبب هذا القول
ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التورية ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام
يسيح في الارض فاتاه جبريل فقال له اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التورية فاملاها عليهم عن
ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التورية في صدره وهو غلام الا انه ابنه والدليل على ان هذا القول
كان فيهم ان الآية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب فان قلت كل قول يقال
بالفم فما معنى قوله ذلك قولهم بافواههم قلت فيه وجهان احدهما ان يراد قول لا يعضده برهان فما هو الا
لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل على معاني وذلك ان القول
الدال على معنى لفظة مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب فما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان يراد
بالقول المذهب كقولهم قول ابي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بافواههم
لا بقلوبهم لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب وذلك انهم اذا اعترفوا انه لا صاحبة له لم يبق
شبهة في انتفاء الولد يضاهئون لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف
واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى ان الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى
يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي قولهم قول المشركين الملايكة بنات
الله وقيل الضمير للنصارى او يضاهي قولهم المسيح بن الله قول اليهود عزير بن الله لانهم اقدم منهم
وقرئ يضاهيون بالهمز من قولهم امراة ضهيا على فعيل وهي التي ضاهات الرجال في انها لا تحيض
وهمزتها مزيدة كما في غريض وقاتلهم الله او هم اخفاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال
لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما اعجب فعلهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق اتخاذهم اربابا انهم
اطاعوهم في المعاصي وتحليلهم ما حرم الله وتحريمهم ما احله كما يطاع الارباب في اوامرهم وكفى تسميته
اتباع الشيطان وعن عدي بن حاتم انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال
يا عدي اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله فقلت يا نبي الله لسنا نعبدهم فقال
اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وقال الفضيل
ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة واما المسيح فحين جعلوه ابن الله فقد اهلوه
للعبادة الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا

فيما يزعمون من عبادة الاحبار والرهبان والميل بالتحريم والتحليل الى الشيطان م

سبحانه عما يشركون يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره
الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن

أمرهم بذلك دلالة العقل والنصوص في الإنجيل والمسيح عليه السلام إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة سبحانه
تنزيها له عن الاشتراك به واستبعاده له ويجوز أن يكون الضمير في وما أمروا للمتخذين أربابا أي وما أمروهم
الذين هم عندهم أرباب إلا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح أن يكونوا أربابا وهم مأمورون مستعبدون
مثلهم مثل حالهم في طلبهم أن يبطلوا نبوة محمد عليه السلام بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبث
في الآفاق يريد الله أن يزيده ويبلغه إلى غاية القصوى من الإشراق والإضاءة ليطفئه بنفخه ويطمس
ليطمس ليظهر الرسول على الدين كله على أهل الأديان كلهم أو ليظهر دين الحق على كل دين فإن قلت كيف جاز أي
الله إلا كذا ولا يقال كرهت إلا زيدا قلت قد أجري أبى مجرى لم يرد ألا ترى كيف قوبل
يريدون أن يطفئوا بقوله ويأبى الله وكيف أوقع موقع لا يريد الله إلا أن يتم نوره يعني أكل الأموال وجهين إما أن
يستعار الأكل للأخذ ألا ترى إلى قولهم خذ الطعام وتناوله وإما على أن الأموال يؤكل بها فهي سبب للأكل ومنه
قوله يأكلن كل ليلة إكاف بقلي يشتري بثمن الكاف وفي تخصيص الكلام بالباطل أنهم كانوا يأخذون الرشى في الأحكام
والتخفيف والمسامحة في الشرائع والذين يكنزون الذهب يجوز أن يكون إشارة إلى الكثير من الأحبار
والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم أخذ الباطل وكنز الأموال والضن بها عن الإنفاق في سبيل
الخير ويجوز أن يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويعضده بينهم وبين الحث تنبيه على أن اليهود والنصارى تغليظا
وكالة على من يأخذهم الشح بحقوقهم من لا يعطي منكم طيبة به نفسه في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم له
وقيل نسخت الزكوة آية الكنز وقيل هي ثابتة وإنما عنى بترك الإنفاق في سبيل الله منع الزكوة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما أدى زكوته فليس بكنز وإن كان رضاضا وما بلغ أن تزكى فلم يزك فهو كنز وإن كان ظاهرا
وعن عمر رضي الله عنه أن رجلا سأله عن أرض له باعها فقال أخبرني مالك الذي اخذت بها خبئت تحت فراش أهلك قال
قال ليس بكنز قال إنما أدى زكوته فليس بكنز وعن ابن عمر رضي الله عنه كل ما أديت زكوته فليس بكنز وإن كان تحت سبع
أرضين وما لم يؤد زكوته فهو الذي ذكر الله وإن كان على وجه الأرض فإن قلت فما تصنع بما روي عن سالم
بن الجعد أنها لما نزلت قال عليه السلام تبا للفضة تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فقالوا فأي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا
وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدكم على دينه وبقوله عليه السلام من ترك صفراء وبيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد
في مئزره دينار فقال عليه السلام كية وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان قلت كان هذا قبل أن
يفرض الزكوة فأما بعد فرض الزكوة فالله أعدل وأكرم من أن يجمع عبده مالا من حيث إذن له فيه ويؤدي عنه ما أوجب
عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الأموال ويتصرفون
فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية لأن الإعراض اختيار للأفضل والأدخل في الورع والزهد في الدنيا

سبحان الله وتعالى عن الشرك
يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم
يأكلون أموال الناس بالباطل
أي لنا أخبرني عما أنا
أن الله أخبرني عما أنا
ينفقونها ولا ينفقونها

يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم
فذوقوا ما كنتم تكنزون إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق
السموات والأرض منها أربعة حرم

والإنفاق مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شيء حد وما روي عن علي رضي الله عنه أربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد فهو
كنز كلام في الأفضل فإن قلت لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان قلت ذهابا بالضمير إلى المعنى دون اللفظ
لأن كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل
ذهب إلى الكنوز وقيل إلى الأموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما أن معنى قوله فإني وقيار
بها لغريب وقيار كذلك فإن قلت لم خصا بالذكر من بين سائر الأموال قلت لأنهما قانون التمول وأثمان
الأشياء ولا يكنزهما إلا من فضلا عن حاجته ومن كثر عنده حتى يكنز مما لم يعدم سائرا جناس الأموال الحلال فكان
ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما فإن قلت ما معنى قوله يحمى عليها وهلا قيل ويحمى من قولك حمي الميسم واحميته
ولا يقول أحميت على الحديد قلت معناه أن النار تحمى عليها أي توقد ذات حمى وحر شديد كنار
حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى فإن قلت فإذا كان الإحماء للنار فلم ذكر الفعل قلت
لأنه مسند إلى الجار والمجرور أصله يوم يحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الإسناد
عن النار إلى عليها كما تقول رفعت القصة إلى الأمير فإن لم تذكر القصة قلت رفع إلى الأمير وعن ابن عامر
أنه قرأ تحمى بالتاء وقرأ أبو حيوة فيكوى بالياء فإن قلت لم خصت هذه الأعضاء قلت
لأنهم لم يطلبوا بأموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل الله إلا الأغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم
وأن تكون مادة وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالإكرام ويكلمون ويحتشمون ومن الكل الطيبات
يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن ليس ناعمة من النبات يطرحونها على ظهورهم كما ترى أغنياء زماننا
هذا لأعراضهم وطلبا لتهم من أموالهم لا يخطرون ببالهم قول النبي عليه السلام ذهب أهل الدثور بالأجور وقيل لأنهم كانوا
إذا أبصروا الفقير عبسوا وأدبروا وإذا ضمهم وإياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم وقيل
معناه تكوون على الجهات الأربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم هذا ما كنزتم على إرادة القول وقوله
لأنفسكم أو كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الأغراض التي حامت عليها وما علمتم أنكم كنزتموه
ليستضر به أنفسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقرئ تكنزون بضم النون
أو وبال المال الذي كنتم تكنزونه وبالكونكم كانزين في كتاب الله فيما أثبته وأوجبه من حكمه
وآية حكمة وصوابا وقيل في اللوح أربعة حرم ثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد
وهو رجب ومنه قوله عليه السلام في خطبته في حجة الوداع إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض
السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي
بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه وعاد الحج إلى ذي الحجة وبطل النسيء الذي كانوا

والميسم المكواة
آرد الكي

ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ
عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ

في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر قبلها في ذي القعدة ذلك الدين القيم يعني
ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القيم المستقيم دين ابراهيم واسمعيل وكانت العرب قد تمسكت به ولا تنسخه
وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم
ومنصل الاسنة حتى اجرت النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن في الحرم انفسكم ولا تجعلوا حرامها حلالا وعن
عطاء بالله ما يحل للناس ان يغزو في الحرم وفي الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت وعن عطاء الخراساني
اجلت المقاتل في الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل لا تظلموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما اعظم الشهر
الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق الاية وان كان ذلك محرما في سائر الشهور كافة حال
حال من الفاعل او المفعول مع المتقين ناصرهم حثهم على التقوى بضمان النصر لاهلها النسيء تاخير حرمة
الشهر الى شهر آخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم
ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون
من شق شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله او ليوافقوا العدة التي هي الاربعة
ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو احد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلثة عشر
شهرا او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وجل ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا من غير
زيادة زادوها والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسيء اي اذا احلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه
في العام القابل يروى انه جدد تسميته كنانة لانهم كانوا فصلوه محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني
مطاعا في الجاهلية وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول باعلى صوته ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه
ثم يقوم في القابل ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه جعل النسيء زيادة في الكفر لان الكافر كلما احدث
معصية ازداد كفرا فزادهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن اذا احدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون
وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضل على ان الفعل لله تع وقراء الزهري
ليوطئوا بالتشديد والنسيء مصدر نساه اذا اخره يقال نساه نساءا ونسأ ونسيئا كقولك سنه سنا وسناء
وسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ النسيء بوزن البديء والنسي بوزن النهي وهما تخفيف النسيء والنسيء
فان قلت ما معنى قوله فيحلوا ما حرم الله قلت معناه فيحلوا مواطاة العدة وجدها من غير تخصيص
ما حرم الله من القتال ومن تلك الاختصاص من الاشهر بعينها زين لهم سوء اعمالهم خذلهم الله فحسبوا
اعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي القوم الكافرين لا يلطف بهم بل يخذلهم وقرئ زين لهم سوء اعمالهم على البناء
للفاعل وهو الله تع انا قلتم اصله تثاقلتم وبه قراء الاعمش تثاقلتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والاخلاد فعدي

فيقول

الى الله لا يهدي القوم الكافرين يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض
ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا
اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير الا تنصروه فقد نصره الله اذ

بالى والمعنى مالكم مالتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحو اخلدتم الى الارض واتبع وقيل
مالكم الى القاعة بارضكم ودياركم وقرئ اثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الانكار والتوبيخ فان قلت
ما العامل في اذا وحرف الاستفهام ما نعه ان يعمل فيه قلت ما دل عليه قوله اثاقلتم كما في قوله تع ايذا كنا ترابا ايذا
لفي خلق جديد وما في ما لكم من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم كما تقول الحال اذا قلت ما لك قائما وكان
ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في الحر وشق عليهم وقيل ما خرج
رسول الله في غزوة تبوك الا وورى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة من الآخرة كقوله
لجعلنا منكم ملائكة في الآخرة في جنب الآخرة الا تنفروا سخط عظيم على المتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب
اليم مطلق يتناول لهذا بالدارين وانه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم في نصرة
دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير للرسول او ولا تضروه لان الله وعده ان يعصمه من الناس وان
ينصره ووعد الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم اهل اليمن وقيل ابناء فارس والظاهر
مستغن عن التخصيص فان قلت كيف جاء مجزوما جوابا للشرط قلت فيه وجهان احدهما الا
تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد ولا اقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله
على ان ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني انه اوجب له النصرة وجعله منصورا
في ذلك الوقت فلن يخذل من بعد واسند الاخراج الى الكفار كما اسند اليهم في قوله من قريتك التي
اخرجتك لانهم حين هموا باخراجه اذن الله له في الخروج فكانهم اخرجوه ثاني اثنين اي احد اثنين كقوله ثالث
ثلثة وهما رسول الله صلعم وابو بكر رض روي ان جبريل عليه السلام لما امره بالخروج قال من يخرج معي قال ابو بكر
وانتصابه على الحال وقرئ ثاني اثنين بالسكون وادغامهما بدل من اذ اخرجه والغار نقب في
اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا ثلثا اذ يقولون بدل ثاني قيل طلع المشركون
فوق الغار فاشفق ابو بكر رض على رسول الله صلعم فقال ان قتلت اليوم ذهب دين الله فقال رسول الله
صلعم لما قلت يا ثاني الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله تع حمامتين فباضتا في اسفله
والعنكبوت فنسجت عليه فقال رسول الله صلعم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون
قد اخذ الله بابصارهم عنه وقالوا لئن لم نر حجة ابي بكر فقد كفرنا لكان كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة
سكينته ما الذي في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه والجنود الملائكة يوم بدر
والاحزاب وحنين وكلمة الذين كفروا دعوتهم الى الكفر وكلمة الله دعوته الى الاسلام وقرئ
وكلمة الله بالنصب والرفع اوجه وهي فصل وابتداء وفيها تاكيد فضل كلمة الله في العلو وانها المختصة

اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم

بعد الشدة وكشف وضيق

انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون
لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا
لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون عفا الله عنك لم أذنت لهم

به دون سائر الكلم خفافا وثقالا خفافا في النفور لنشاطكم وثقالا لمشقته عليكم او خفافا
لقلة عيالكم واذيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبابا
وشيوخا او تهاريل وسمانا او صحاحا ومراضا وعن ابن مكتوم انه قال لرسول الله صلعم اعلي ان انفر قال
نعم حتى نزل قوله ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس رض نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى
وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من اهل دمشق على
راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد اعذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا
وثقالا الا انه من يحبه الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهب احدى عينيه فقيل
له انك عليل صاحب ضرر فقال استنفرنا الله الخفيف والثقيل فان لم نمكن الحرب كثرنا السواد
وحفظنا المتاع وجاهدوا باموالكم وانفسكم ايجاب الجهاد بهما ان امكن او باحدهما على حسب الحال
والحاجة العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر او لو كان ما
دعوا اليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا وسطا متاريا الشقة المسافة الشاقة الشاقة
وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين والشين ومنه قوله تعالى لا تبعد وهم يدفنونه
ولا بعد الا ما توارى الصفايح بالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين اي
سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم او
سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جواب القسم ولو جميعا والاخبار بما سوف يكون
بعد القول من جملتهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة او
استطاعة الابدان كانهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله
فقتلوا الرجل يهلكون انفسهم اما ان يكون بدلا من سيحلفون او حالا بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في
الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل ان يكون حالا من قوله لخرجنا او لخرجنا معكم وان
اهلكنا انفسنا والقينا انفسنا في التهلكة بما تجشمنا من المسير في تلك المشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه
مخبر عنهم الا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن
ولافعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية عفا الله عنك كناية عن الجناية لان العفو رادف لها
ومعناه اخطأت وبئس ما فعلت ولم اذنت لهم بيان لما كنى بالعفو ومعناه ما كان اذنت لهم في
القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالاذن حتى يتبين لك من صدق
في عذره ممن كذب فيه وقيل بيان لخطيئة فعلها رسول الله صلعم ولم يؤمر بها اذنه للمنافقين واخذ من الاسارى

لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم
بالمتقين إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم
يترددون ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل

فعاتبه الله لا يستأذنك ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا وكان الخلص
من المهاجرين والانصار يقولون لا نستأذن النبي صلعم ابدا ونجاهد معه باموالنا وانفسنا ومعنى
ان يجاهدوا في ان يجاهدوا او كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين
وعدة لهم باجزل الثواب انما يستأذنك يعني المنافقين وكانوا تسعة وثمانين رجلا يترددون عبارة
عن التحير لان المتردد يذهب يمينا وشمالا لا يستقر اذ يذهب المستبصر قرئ عدة بمعنى
عدته فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قالوا الخلوف على الامر الذي وعدوا من حذف التاء وتعويض
المضاف اليه منها وقرئ عدة بكسر العين بغير اضافة وعده باضافة فان قلت كيف
موقع عرف الاستدراك قلت لما كان قوله ولو ارادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم فرجهم واستعدادهم
للغزو وقيل ولكن كره الله انبعاثهم كانه قيل ما خرجوا ولكن ثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول
ما احسن الى زيد ولكن اساء الي قبح ظهم فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث وقيل اقعدوا
جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قول
لانفسهم وقيل هو اذن رسول الله لهم في القعود فان قلت كيف جاز ان يوقع الله في نفوسهم كراهة
الخروج الى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح قلت خروجهم كان مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم
ما زادوكم الا خبالا فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة فان قلت فلم خطأه رسول
الله في الاذن لهم فيما هو مصلحة قلت لان اذن رسول الله صلعم لهم لم يكن للنظر في هذه المصلحة ولا علمها
الا بعد القفول باعلام الله ولكن لانهم استأذنوه واعتذروا اليه فكان عليه ان يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا
يجوز في قبولها فمن ثم اباه العتاب ويجوز ان يكون في ترك رسول الله صلعم الاذن لهم مع تثبيط الله اياهم
مصلحة اخرى فباذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك انه اذا ثبطهم الله ثم لم يبعثوا وكان قعودهم بغير اذن
من رسول الله صلعم قامت عليهم الحجة ولم يبق لهم معاذرة ولقد تداركه الله ذلك حيث هتك استارهم وكشف
اسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر فان قلت ما معنى قوله مع القاعدين
قلت هو ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود والجثوم في البيوت
وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قولهم رضوا بان يكونوا مع الخوالف الا خبالا ليس من
الاستثناء المنقطع في شيء كما تقولون لان الاستثناء المنقطع هو ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك
ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه في الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من اعم العام الذي هو
الشيء فكان استثناء منفصلا لان الخبال بعض اعم العام كانه قيل ما زادوكم شيئا الا خبالا والخبال الفساد

ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة
من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن
لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين إن تصبك حسنة تسؤهم

والشر ولأوضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالنميمة والفساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا
إذا أسرع وأوضعته أنا والمعنى ولأوضعوا ركابهم بينكم والمراد الإسراع بالنميمة لأن الراكب أسرع من الماشي
وقرأ ابن الزبير ولأرقصوا من رقصت الناقة رقصا إذا أسرعت وأرقصتها قال والراقصات
الملاقي فالغنيمة وقرئ ولأوفضوا فإن قلت كيف خط في المصحف ولا أوضعوا بزيادة ألف
قلت كما كتبت الفتحة تكتب ألفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن
وقد نبه على ذلك الألف أثر في الطباع فكتبوا صورته الهمزة ألفا وفتحتها ألفا أخرى نحو ولا يحتقر يبغونكم
الفتنة يحاولون أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا ذات بينكم وفيكم سماعون لهم أي نمامون
يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم أو فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم لقد ابتغوا الفتنة أي الفتنة
ونصب الخوابل والسعي في تشتيت شملك وتفريق أصحابك عنك كما فعل عبد الله بن أبي يوم أحد حين انصرف
بمن معه وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلعم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به من قبل غزوة
تبوك وقلبوا لك الأمور ودبروا لك الحيل والمكائد ودوروا الآراء في إبطال أمرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف
حتى جاء الحق وهو تأييدك ونصرك وظهر أمر الله وغلب دينه وعلا شرعه أيدك الله في القعود ولا تفتني
ولا توقعني في الفتنة وهي الإثم بأن لا تأذن لي فإني إن تخلفت بغير إذنك أثمت وقيل لا تلقني في الهلكة
فإني إذا خرجت معك هلكت مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الأنصار أني مستهتر بالنساء فلا
تفتني ببنات الأصفر يعني نساء الروم ولكني أعينك بمالي فائذن لي وقرئ ولا تفتني من افتتن ألا في الفتنة
سقطوا ألا إن الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وفي مصحف أبي سقطوا إن من موحدة اللفظ
جموع المعنى محيطة بالكافرين يعني أنها تحيط بهم يوم القيامة أو هي محيطة بهم الآن لأن أسباب الإحاطة بهم تكاملت
في وسطها أن تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم وإن تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها
نحو ما جرى يوم أحد يقولوا قد أخذنا أمرنا أي أمرنا الذي نحن متمسكون به من الحذر
والتيقظ والعمل بالحزم من قبل هذه ما وقع وتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له إلى أهاليهم وهم
فرحون مسرورون وقيل تولوا أعرضوا عن رسول الله صلعم قرأ ابن مسعود رضي الله عنه قل هل يصيبنا وقرأ
طلحة يصيبنا بتشديد الياء ووجهه أن يكون يفيعل لا يفعل لأنه من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب
المهر يصوب ومصاب وبخ مصيبة حتى يفعل منه يصوب ألا ترى إلى قولهم صوب رأيه إلا أن يكون
من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومنقوله أسهى الصائبات والصيب واللام في قوله إلا ما كتب
الله لنا مفيدة معنى الاختصاص كأنه قيل لن يصيبنا إلا ما اختصنا الله بإثباته وإيجابه من النصرة عليكم أو

وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون

قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا

هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم
أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون قل أنفقوا طوعا أو كرها لن
يتقبل منكم إنكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله

٢٤٢

أو الشهادة ألا ترى إلى قوله هو مولانا أي الذي يتولانا ونتولاه ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا
وأن الكافرين لا مولى لهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا على الله فليدعوا ما هو حتم
إلا إحدى الحسنيين إلا إحدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة
ونحن ننتظر بكم إحدى السوأيين من العواقب أما أن يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السماء كما
نزلت على عاد وثمود أو بعذاب بأيدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا إنا معكم
متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد أن يلقى كل منا ما يتربصه لا يتجاوز أنفقوا يعني في سبيل الله ووجوه
البر طوعا أو كرها نصب على الحال أي طائعين أو مكرهين فإن قلت كيف أمرهم بالإنفاق ثم قال لن
يتقبل منكم قلت هو أمر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن ومعناه لن
تتقبل أنفقتم طوعا أو كرها ونحو قوله استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وقوله اسعي بنا أو أجمعي لا ملومة أي
لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ولا تلومي أي أثبت أينا أو أجمعي فإن قلت متى يجوز
نحو هذا قلت إذا دل الكلام عليه كما جاء عكسه في قولك رحم الله زيدا وغفر له فإن قلت لم فعل
ذلك قلت لنكتة وهي أن كثيرا كأنه يقول لعزة إنتجني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك
وعاملني بالإساءة والإحسان وانظري هل تتفاوت حالي معك سيئة كنت أو محسنة وفي معناه قول
التأبل الخول الذي إن تمنت بالسيف عامدا لتضربه لم يستوحش في الود وكذلك المعنى أنفقوا وانظروا
من يتقبل منكم واستغفر لهم أو لا تستغفر لهم وانظر هل لك اختلاف بين حال الاستغفار وتركه فإن قلت
ما الغرض في نفي التقبل أهو ترك رسول الله تقبله منهم ورده عليهم ما يبذلون منه أم كونه غير مقبول عند الله ذاهبا
هباء لا ثواب له قلت يحتمل الأمرين جميعا وقوله طوعا أو كرها معناه طائعين من غير إلزام من الله
ورسوله أو مكرهين وسمي الإلزام إكراها لأنهم منافقون فكان إلزامهم النفاق شاقا عليهم كالإكراه أو
طائعين من غير إكراه من رؤسائكم لأن رؤساء أهل النفاق كانوا يحملون على النفاق لما يرون من المصلحة
فيه أو مكرهين من جهتهم وروي أنها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله هذا
مالي أعينك به فائذن لي أن لكم تعليل لرد النفقة والمراد بالفسق التمرد والعتو أنهم فاعلو منع وهم وأن
تتقبل مفعولاه وقرئ أن تقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول ونفقاتهم وفتحتهم على الجمع وقرأ
السلمي أن تقبل منهم نفقاتهم على أن الفعل لله عز وجل كسالى بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى و
غيارى في سكران وغيران وكسلهم أنهم لا يرجون بصلاتهم ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله وإنها
لكبيرة إلا على الخاشعين وقرأت في بعض الأخبار أن رسول الله صلعم كان لا يحسن أن يقول كسلت كأنه ذهب إلى أن

ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون

والتوجيه

فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم
كافرون ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ
أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها

الآية وأن الكسل من صفات المنافقين فما يكفي أن يشدد المتوكل إلى نفسه فإن قلت الكراهية ظاهر
الطواعية وقد جعلهم الله طائعين في قوله طوعا ثم وصفهم بأنهم لا ينفقون إلا وهم كارهون قلت المراد
بطوعهم أنهم يبذلونه من غير إلزام من رسول الله أو من رؤسائهم وما طوعهم ذلك إلا عن كراهة واضطرار
لا عن رغبة واختيار والإعجاب أن تسر بشيء وتراه به متعجبا من حسنه والمعنى فلا تستحسن
ولا تفتتن بما أوتوا من زينة الدنيا كقوله ولا تمدن عينيك فإن الله إنما أعطاهم ما أعطاهم للعذاب
بأن عرضهم للتعذيب والتعب والهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم الإنفاق منه في أبواب الخير وهم كارهون
له على رغم أنوفهم وإذاقتهم أنواع الكلف والجائحة في جمعه واكتسابه وفي تربية أولادهم فإن قلت
أي صح تعليق التعذيب بإرادة الله لما بال زهوق أنفسهم وهم كافرون قلت المراد الاستدراج بالنعم
كقوله إنما نملي لهم ليزدادوا إثما كأنه قيل ويريد الله أن يديم عليهم نعمته إلى أن يموتوا وهم كافرون ملتهون عن
النظر في العاقبة لمنكم لمن جملة المسلمين يفرقون يخافون من القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالإسلام
تقية ملجأ مكانا يلجأون إليه متحصنين به من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة أو مغارات وغيرانا قرئ
بضم الميم من أغار الرجل ومغار إذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشيء وأغرته أنا يعني أمكنة يغيرون
فيها أشخاصهم ويجوز أن يكون من أغار الثعلب إذا أسرع بمعنى مهارب ومغارات أو مدخلا أو
نفقا يندسون فيه ويتحجرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا من أدخل
مكانا يدخلون فيه أنفسهم وقرأ أبي بن كعب رضي الله عنه مندخلا وقرئ لولوا إليه لاتجأوا إليه
يجمحون يسرعون إسراعا لا يردهم اللجام وقرأ أنس يجمزون فيقال يجمحون ويجمزون ويشتد
واحد يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك تيسيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن
ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك
إن لم أعدل فمن يعدل وقيل هو أبو الجواظ من المنافقين قال الأنصار إلى صاحبكم إنما يقسم
صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم أنه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما لك أما كان موسى راعيا أما كان داود راعيا
فلما ذهب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احذروا هذا وأصحابه فإنهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم
ويلمزك ويلامزك التثقيل والبناء على المفاعلة مبالغة في التنزيه وصفهم بأن رضاهم وسخطهم
لأنفسهم لا للدين وما فيه صلاح أهله لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير
الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه وإذا لفجاءة وإن لم يعطوا منها فاجأوا السخط جواب
لو محذوف تقديره ولو أنهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت

رضوا وإن أعطوا منها إذا هم يسخطون ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله

شيء من الدرس الجموح وهو الذي إذا حمل لم يرده صح

وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون إنما الصدقات للفقراء
والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل
فريضة من الله والله عليم حكيم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن

به نفوسهم وإن قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا
الله غنيمة أخرى فيؤتينا أكثر مما آتانا اليوم إنا إلى الله في أن يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون
إنما الصدقات للفقراء قصر جنس الصدقات على الأصناف المعدودة وأنها مختصة بها
لا يتجاوزها إلى غيرها كأنه قيل إنما هي لهم لا لغيرهم فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها وأن
تصرف إلى بعضها وعليه مذهب أبي حنيفة وعن حذيفة وابن عباس رضي الله عنهم وغيرهما من الصحابة
والتابعين أنهم قالوا في أي صنف منها وضعتها أجزأك وعن سعيد بن جبير لو نظرت
إلى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحب إلي وعند الشافعي رضي الله عنه لا بد
من صرفها إلى الأصناف وعن عكرمة أنها تفرق في الأصناف الثمانية وعن الزهري
أنه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الأصناف الثمانية والعاملين عليها السعاة
الذين يقبضونها والمؤلفة قلوبهم أشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم على أن يسلموا
فيرضخ لهم شيئا منها حين كان في المسلمين قلة والرقاب المكاتبون يعانون منها وقيل
الأسارى وقيل تبتاع الرقاب فتعتق والغارمين الذين ركبتهم الديون ولا يملكون نصابا
ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها وغرموا وفي سبيل الله فقراء الغزاة
والحج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله فريضة
في معنى المصدر المؤكد لأن قوله إنما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ
فريضة بالرفع على تلك فريضة فإن قلت لم عدل عن اللام التي في الأربعة الأخيرة قلت
للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لأن في الوعاء قرينة على أنهم أحقاء
بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك كما في فك الرقاب من الكتابة أو الرق
أو الأسر وفي فك الرقاب الغارمين من الغرم فإن التخليص والإنقاذ وجمع الغازي المنقطع
في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال وتكرير في في
قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين فإن قلت فكيف وقعت
هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم قلت دل بكون هذه الأصناف مصارف الصدقات
خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم جشعا لأطماعهم وإشعارا بأن استيجابهم للحرمان وأنهم بعداء عنها وعن
مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها وتجزيها إلا أذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع و
يقبل قول كل أحد بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته أذن سامعة ونظير قولهم للربيئة عين و

يعني قوله لا يملكون نصابا

قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول
الله لهم عذاب اليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا
مؤمنين الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك

ونعتهم له هو قولهم فيه هو اذن واذن خير لقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو
اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن
في غير ذلك ودل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه او هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما
ولا يقبله ثم فسر كونه اذن خير بانه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل من المؤمنين المخلصين
من المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن آمن منكم او اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يسمع منكم و
يقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالجواسيس بالمشركين لما
راى الله من المصلحة في الابقاء عليكم فهو اذن كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم قولهم
فيه الا انه اذن خير فسر بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بمذمته
والتقصير بفطنته وشهامته وانه من سلامة القلوب والغفلة وقيل ان جماعة منهم ذموه
وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما هو اذن سامعة قد سمع كلام الجماعة فاذى
ونحن نأتيه فنعتذر اليه فيسمع عذرنا ايضا فيرضى فقيل هو اذن خير وقرئ اذن خير
لكم على ان اذن خبر مبتدا محذوف وخير كذلك اي هو اذن هو خير لكم يعني ان كان كما تقولون فهو خير لكم
لانه يقبل معاذيركم ولا يكافيكم على سوء باطنكم دخلتكم وقراءة نافع بتخفيف الذال فان قلت
لم عدي فعل الايمان بالباء الى الله والى المؤمنين باللام قلت لانه قصد التصديق بالله لانه نقيض
الكفر به فعدي بالباء وقصد التسليم من المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين
عنده فعدي باللام الا ترى الى قوله وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما انباء عن الباء ونحو مما
آمن لموسى الا ذرية من قومه المؤمن لكم وابتغوا الا رذلون آمنتم له قبل ان آذن لكم فان قلت ما وجه
قراءة ابي عبلة ورحمة بالنصب قلت هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم يأذن لكم فحذف
لان قوله اذن خير لكم يدل عليه لكم ليرضوكم الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن
او يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا
عنهم فقيل لهم ان كنتم مؤمنين كما تدعون فالحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وانما وحد
الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا في حكم مرضي واحد كقولك احسان زيد واحسانه
نعشني وجبر مني او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة
من الشق فان له على حذف الخبر او فحق ان له نار جهنم وقيل معناه فله وان تكرير لان في قوله انه
توكيدا ويجوز ان يكون فان له معطوفا على انه على ان جواب من محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله

من قرء بفتحها اذا طعن فيه اهل ع

الخزي العظيم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون
ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا
قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين المنافقون

٢٤٥

ورسوله يهلك فانزله نار جهنم وقرئ الم تعلموا بالتاء كانوا يستهزءون بالاسلام واهله وكانوا
يحذرون ان يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله لا ارانا الا شر خلق الله لودت اني قدمت
فجلدت مائة جلدة وان لا ينزل فينا شيء يفضحنا والضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم
للمنافقين وذلك صح ذلك لان المعنى يعود اليه ويجوز ان يكون الضمائر للمنافقين لان السورة اذا نزلت
في معناهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كانها تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت يعني انها تذيع اسرارهم
عليهم حتى تسمعوها مذاعة منتشرة فكانها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر المنافقون الحذر واقع على انزال السورة في قوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة فما
معنى قوله مخرج ما تحذرون قلت معناه محصل مبرز انزال السورة او ان الله مظهر ما كنتم تحذرونه
او تحذرون اظهاره من نفاقكم بينا رسول الله صلعم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين
يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل الذي يريد ان يفتتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاطلع الله
نبيه على ذلك فقال احبسوا علي الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله والله ما كنا في شيء من
امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا السفر على بعض بالسفر
ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لم يعبأ باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه وقد جعلوا كانهم معترفون
باستهزائهم وبانه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به اولا بالله ثم
باي حرف التقدير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاركم الكاذبة
فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم باستهزائكم بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان
نعف عن طائفة منكم باصلاحهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين
مصرين على النفاق غير تائبين منه او ان نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله ولم يستهزءوا فلم نعذبهم
في الآجل العاجل طائفة بانهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله صلعم مستهزئين وقرأ مجاهد ان تعف
عن طائفة على البناء للمفعول مع التانيث والوجه التذكير لان المسند اليه الظرف كما تقول سير بالدابة
وكما تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة فانث وهو نادر والجيد قراءة
العامة ان يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب طائفة بالتانيث وقرئ ان يعف عن طائفة يعذب
طائفة على البناء للفاعل وهو الله عز وجل يعني من بعض اريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون
بالله انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم حاكيا عنهم مضادة حالهم لحال المؤمنين يأمرون بالمنكر
والمنافقون بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر
والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعات ويقبضون ايديهم شحا بالمال والصدقات والانفاق

نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين
فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر
أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم

في سبيل الله نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم فترکهم من رحمته وفضله هم الفاسقون هم الكاملون في الفسق
الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش
الذي وصف الله به المنافقين حين بالغ في ذمهم واذا كره رسول الله للمسلم ان تقول كسلت لان المنافقين
وصفوا بالكسل في قوله كسالى فما ظنك بالفسق خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم دلالة على عظم عذابها
وانه لا شيء ابلغ وانه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه ولعنهم الله واهانهم مع التعذيب
وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كاعظم اهل الجنة والحقهم بالملائكة المكرمين ولهم
عذاب مقيم يهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن
خوفا من المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم الكاف محلها رفع على
انتم مثل الذين من قبلكم او نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا
ونحوه قوله النمر كاليوم مطلوبا ولا طلبا باضمار ان وقوله كانوا اشد منكم تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم
بفعلهم والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان اي قدر من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب
اي اثبت والخوض الدخول في الباطل واللهو كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه فان
قلت اي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما اغنى
قوله كالذي خاضوا عن ان يقال وخاضوا الخضم كالذي خاضوا قلت فائدته ان يلزم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب
الفلاح في الاخرة وان يخبر امر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم
كما تريد ان تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف
وانت تفعل مثل فعله واما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغنى باسناده اليه
عن تلك التقدمة حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة تنتفي قوله وابتناء اجر في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين
واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات مدائن قوم لوط وقيل قريات قوم لوط
وهود وصالح واتيانهم ان انقلاب احوالهم من الخير الى الشر فما كان الله ليظلمهم فما صح منه ان يظلمهم وهو حكيم
لا يجوز عليه القبيح وان يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا انفسهم حيث كفروا فاستحقوا عقابه بعضهم اولياء
بعض في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض سيرحمهم الله السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي مؤكدة الوعد
كما يؤكد الوعيد في قولك سانتقم منك يوما تعني انك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن
ودا ولسوف يعطيك ربك فترضى سوف نؤتيهم اجورهم عزيز غالب على كل شيء قاهر عليه فهو يقدر على الثواب

والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم

وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن
ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
ومأواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا
بما لم ينالوا ٢٤٦

والعقاب حكيم واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق ومساكن طيبة عن الحسن قصورا من اللؤلؤ
والياقوت الاحمر والزبرجد وعدن علم قوله جنات عدن التي وعد الرحمن ويدل عليه ما روى ابو
الدرداء رفعه عن رسول الله صلعم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر لا يسكنها غير
ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في الجنة وقيل
نهر جنانه على حافاته ورضوان من الله اكبر وشيء من رضوان الله اكبر من ذلك كله لان رضاه هو سبب
كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة اكبر اصناف الثواب ولان
العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر في نفسه مما وراءه من النعيم وانما يتهنأ له برضاه كما اذا علم
بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت وسمعت بعض اولي الهمة البعيدة والنفس
المرة العزيزة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي الى رضاه عني وان احشر في زمرة
المهديين المرضيين عند ذلك اشارة الى ما وعد اولي الرضوان اعني هو الفوز العظيم وصلة دون ما يعده
الناس فوزا وروى ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم
تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني
فلا اسخط عليكم ابدا جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين جميعا ولا
تحابهم وكل من وقف على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة
ما امكن منها عن ابن مسعود رضه ان لم يستطع بيده فبلسانه وان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم
يستطع فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء والتبري منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة
الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها اقام رسول الله صلعم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن
ويعيب المنافقين المتخلفين فيهم من معه منهم منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس لئن كان ما يقول
محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن
قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا صادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله فاستحضره
فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك وبنبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق
فنزل يحلفون بالله فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر
فتاب الجلاس وحسنت توبته وكفروا بعد اسلامهم واظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم
ينالوا وهو الفتك برسول الله وذلك عند مرجعه من تبوك تواثق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عن
راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها

واله

توافق

وما نقموا الا ان اغنيهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا
اليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله
لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا

يسوقها فبينا هما كذلك اذ سمع هوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون
فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل
ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي واه لم يرض رسول الله صلعم وما نقموا وما انكروا وما عابوا الا ان اغناهم
الله وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون
الغنيمة فاثروا بالغنايم وقتل الجلاس مولى فامر رسول الله صلعم بديته اثنا عشر الفا فاستغنى
فان يتوبوا هي الآية التي تاب عندها الجلاس في الدنيا والآخرة بالقتل والنار روي ان ثعلبة بن
حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلعم قليل تؤدي شكره خير من
كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ
غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال رسول
الله صلعم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلعم مصدقين لاخذ
الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه كتاب
رسول الله صلعم الذي فيه الفرايض فقال ما هذه الا جزية فقالا ما هذه الا اخت الجزية وقال
ارجعا حتى ارى رايي فلما رجعا قال لهما رسول الله قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء
ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على راسه فقال هذا عملك قد امرتك
فلم تطعني فقبض رسول الله فجاء بها الى ابي بكر رض فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان رض وقرئ لنصدقن
ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما من الصالحين قال ابن عباس رض يريد الحج فاعقبهم عن الحسن وقتادة
ان الضمير للبخل يعني فاورثهم البخل نفاقا فتمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه وداعيا اليه والظاهر
ان الضمير لله عز وجل والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا بسبب
اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل كاذبين خلفا لوعد ثلث النفاق
وقرئ يكذبون بالتشديد ولم تعلموا بالتاء عن علي رض سرهم ونجواهم ما اسروه من النفاق
والعزم على اخلاف ما وعدوه وما يتناجوه به فيما بينهم من الطعن في الدين وتسمية الصدقة جزية
وتدبير قتلها الذين يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين المتبرعين روي ان رسول الله صلعم حث
على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بمائتي اوقية من ذهب وقيل باربعة الاف درهم وقال كان
لي ثمانية الاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت اربعة لعيالي فقال رسول الله صلعم بارك الله لك فيما
اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت تماضر امراته عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق

عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي اجر
بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله ان ينثره على الصدقات
فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي
عقيل ولكنه احب ان يذكر نفسه ليعطى من الصدقات فنزلت الا جهدهم الا طاقتهم قرئ بالفتح والضم
سخر الله منهم كقوله الله يستهزئ بهم في انه خبر غير دعاء الا ترى الى قوله ولهم عذاب اليم سال عبد الله بن
عبد الله بن ابي رسول الله صلعم وكان رجلا صالحا ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال صلعم
ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وان
فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الامر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير
قال علي بن ابي طالب رض لاصحاب العاص وابن العاص سبعين الفا عاقدي النواصي فان قلت
كيف خفي على رسول الله صلعم وهو افصح العرب واخبرهم باساليب الكلام وتمثيلاته فيهم من
ذكر هذا العدد لكثرة الاستغفار كيف وقد تلا ذلك بانهم كفروا الآية فبين الصارف عن المغفرة
ثم حتى قال قد رخص لي ربي فسازيد على السبعين قلت لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل
بما قال اظهارا لغاية رحمته ورافته على من بعث اليه كقول ابرهيم عليه وممن عصاني فانك غفور
رحيم وفي اظهار النبي الرافة والرحمة لطف لامته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم على بعض المخلفون
الذين استاذنوا رسول الله من المنافقين فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك او الذين
خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان بمقعدهم بقعودهم عن الغزو خلاف رسول الله خلفه يقال
اقام فلان خلاف الحي بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم وتشهد له قراءة ابي حيوة خلف
رسول الله صلعم وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه حيث قعدوا ونهض واسقط به على انه
مفعول له او حال اي قعدوا لمخالفته او مخالفين له ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم تعريض بالمؤمنين
وتجملهم المشاق العظام لوجه الله وبما فعلوا من بذل اموالهم وانفسهم وازوا جهم في سبيل الله
وايثارهم ذلك على الدعة والخفض وكن ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين
من باعث الايمان وداعي الايقان قل نار جهنم اشد حرا استجهال لهم لان من تصور من مشقة ساعة
فوقع بسببه كان التصور في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل وبعضهم مسرة احتساب
بلقيت بعدها مساءة يوم اريها شبه الصاب فكيف بان تلقى مسرة ساعة
ورآء تعقبها مساءة احتساب معناه فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا جزاء الا انه اخرج

فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا
إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ولا تصل على أحد منهم

على لفظ الأمر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره يروى أن أهل النفاق يكونون في النار عمر
الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم وإنما قال إلى طائفة منهم لأن منهم من تاب عن النفاق
وندم على التخلف أو اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فأراد بالطائفة
المنافقين منهم فاستأذنوك للخروج يعني إلى غزوة بعد غزوة تبوك وأول مرة هي الخرجة إلى غزوة
تبوك كان استعفاهم عن ديوان الخراج عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله أنه لم يدعهم إليه إلا النفاق
بخلاف غيرهم من المتخلفين مع الخالفين قدم تقفين وقرأ مالك بن دينار مع الخالفين على قصد الخالفين
فإن قلت مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفصيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف إليها وهو أول
على واحدة من المرات قلت الكثر اللغتين عند أكبر النساء وهي أكبر من ثمر أن قولك هي كبرى
إمارة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي أكبر أمرة وأول مرة وآخر مرة وعن قتادة ذكر لنا أنهم كانوا
اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل روي أن رسول الله صلعم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض
رأس النفاق عبد الله بن أبي بعث إليه ليأتيه فلما دخل عليه قال أهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت
إليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله أن يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه
ابنه حباب إلى جنازته فقال أنت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلاة
عليه قال له عمر رضي الله عنه أتصلي على عدو الله فنزلت وقيل أراد أن يصلي عليه فجذبه عليه فإن قلت
كيف جازت له كرامة المنافق وتكفينه في قميصه قلت كان ذلك مكافأة له على صنيع سبق له وذلك
أن العباس عم رسول الله لما أخذ أسيرا ببدر لم يجد له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه
وقال له المشركون يوم الحديبية إنا لا نأذن لمحمد ولكنا نأذن لك فقال لولا أن لي في رسول الله أسوة حسنة
فشكر رسول الله له ذلك وإجابة له إلى مسألته إياه فقد كان رسول الله صلعم لا يرد سائلا وكان يتوقف على
دواعي الحرقة ويعمل بعادات الكرام وأكرام ابنه الرجل الصالح فقد روي أنه قال أسألك أن تكفنه في بعض
قمصانك وأن تقوم على قبره لا يشعث به الأعداء وعلما بأن تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه
وبين غيره من الأكفان وليكون الناس آية لطفا لغيره فقد روي أنه قيل له لم وجهت إلى قميصك وهو كافر
فقال إن قميصي لن يغني عنه من الله شيئا وإني أرجو من الله أن يدخل في الإسلام كثير بهذا السبب فيروى
أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلعم وكذلك ترحمه واستغفاره
كان للدعاء إلى التراحم والتعاطف لأنهم إذا رأوه يترحم على من يظهر الإيمان وباطنه على خلاف ذلك دعاه
المسلم إلى أن يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه فإن قلت فكيف جازت الصلاة عليه

فسأله عن أحمد

ت أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ولا تعجبك أموالهم
أولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون وإذا أنزلت
سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين

قلت لم يتقدم نهي عن الصلوة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر إيمانهم لما في ذلك
من المصلحة وعن ابن عباس رضي الله عنه ما أدري ما هذه الصلوة ألا إني أعلم أن رسول الله لا يخادع
صنة لأحد وإنما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي المعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لأنه كائن
موجود لا محالة أنهم كفروا تعليل للنهي وقد أعيد قوله ولا تعجبك لأن تجدد النزول له شأن في تقرير
ما نزل له وتأكيده وإرادة أن يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وأن يعتقد أن
العمل بمضمونه يقضي عناية به لا سيما إذا تراخى بين النزولين فأشبه الشيء الذي أهم صاحبه
فهو يرجع إليه في أثناء حديثه ويتخلص إليه وإنما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه
يجوز أن تراد السورة بتمامها وأن يراد بعضها في قوله وإذا أنزلت سورة كما يقع القرآن والكتاب
على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لأن فيها الأمر بالإيمان والجهاد أن آمنوا هي أن المفسرة
أولوا الطول ذوو الفضل والسعة من طال عليه طولا مع القاعدين مع الذين لهم علة وعذر
في التخلف فهم لا يفقهون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاء والهلاك
لكن الرسول أي الذين تخلف هؤلاء فقد نهد إلى الغزو من هو خير وأخلص نية ومعتقدا كقوله فإن
يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما فإن استكبروا فالذين عند ربك الخيرات تتناول منافع الدارين
لإطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات المعذرون من عذر في الأمر إذا قصر فيه وتوانى
ولم يجد وحقيقته أن يوهم أن له عذرا فيما يفعل ولا عذر له أو المعتذرون بإدغام التاء في الذال
ونقل حركتها إلى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لإتباع الميم ولكن لم
يثبت بهما قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون إليكم إذا رجعتم وقرئ
المعذرون بالتخفيف وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه قيل هم أسد وغطفان قالوا
إن لنا عيالا وإن بنا جهدا فائذن لنا في التخلف وقيل هو رهط عامر بن الطفيل قالوا إن غزونا
معك أغارت أعراب طيء على أهالينا ومواشينا فقال صلعم سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر
من غفار اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى
اعتذر وهذا غير صحيح لأن التاء لا تدغم في العين إدغامها في الطاء والزاء والصاد في المطوعين و
الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم

فلم يعذرهم الله وعن قتادة اعتذروا

أي واصدق قيل أريد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون على قراءة ابن
عباس رضي الله عنه الذين لم يعذروا في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله منافقو الأعراب لم يجيئوا
ولم يعتذروا وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الإيمان وقرأ أبي كذبوا بالتشديد

سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَعَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ
مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ
لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ

سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار الضعفاء الهرمى والزمنى والذين لا يجدون النفقة الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة والنصح لله و رسوله الايمان بهما وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه على المحسنين على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم قلت حال من الكاف في اتوك وقد قبله مضمرة كما قيل في قوله او جاؤكم حصرت صدورهم او اذا ما اتوك قائلا لا اجد تولوا ولقد حصر الله المعذورين في التخلف الذين ليس لهم في ابدانهم استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا المعونة فلم يجدوها وقيل المستحملون ابو موسى الاشعري واصحابه وقيل البكاؤن وهم ستة نفر من الانصار تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من تفيض دمعها لان العين جعلت كانها كلها دمع فايض ومن للبيان كقولك افلذ لك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز الا يجدوا لئلا يجدوا ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حزنا فان قلت رضوا ما موقعه قلت هو استيناف كانه قيل ما بالهم استأذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم يعني ان التبيين في استيذانهم رضاهم بالدناءة وخلال الله اياهم فان قلت فهل يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد استينافا مثله كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما بالهم تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت نعم ويحسن لن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار لان عرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب وجب عليه الاضلال به وقوله قد نبأنا الله من اخباركم علة لانتفاء تصديقهم لان الله عز وجل اذا اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم واحوالهم وما في ضمايرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله عملكم اليبيون ام تثبتون على كذبكم ثم تردون اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم انهم رجس تعليل للترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهر التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار واما هؤلاء فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم ومأواهم جهنم يعني وكفتهم النار عقابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم لتعرضوا عنهم اعراضهم في الخلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دينهم فان تعرضوا عنهم فان رضاكم وصدكم لا ينفعهم اذا كان

قد نبأنا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين

الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم

كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضا المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبي صلعم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل حلف عبد الله بن ابي ليحلفن ان لا يتخلف عنه ابدا الاعراب اهل البدو واشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشائهم في بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق بجهل حدود الدين وما انزل الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله صلعم ان الجفاء والقسوة في الفدادين والله عليم بعلم حال كل احد من اهل الوبر والحدر حكيم فيما يصيب به منهم ويحسنهم من عقابه وثوابه مغرما غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس بلازم له لانه ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لوجه الله تعالى وابتغاء المثوبة عنده ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان دولة وعقبة لينصب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة عليهم دائرة السوء دعاء معترض دعي عليهم بنحو ما دعوا به كقوله عز وعلا وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح وهو ذم للدائرة كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق الا ان من دارت عليه ذام لها والله سميع لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة عليم بما يضمرون وقيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم قربات مفعول ثان لتتخذ والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول لان الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى وصلى عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات الا انها شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لدعائه على طريق الاستيناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم وما في السين من تحقيق الوعد وما دل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية وقرئ قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه السابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل شهدوا بدرا وعن الشعبي من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الحجرتين ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية كانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقراء عمر رضي والانصار بالرفع عطفا على السابقون وعن عمر رضي الله عنه انه كان يرى ان قوله والذين اتبعوهم باحسان بغير واو صفة للانصار حتى قال له زيد انه بالواو فقال ايتوني بابي فقال تصديق ذلك في اول الجمعة وآخرها وأوسط

والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد
لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم ومن حولكم من الاعراب منافقون
ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم

الحشر والذين جاؤا من بعدهم وآخر الانفال والذين آمنوا من بعد وروي انه سمع رجلا يقرأه بالواو
فقال من اقرأك قال ابي فدعاه فقال اقرأنيه رسول الله صلعم وانك لتبيع القرظ بالبقيع قال
صدقت وان شئت قلت شهدنا وغبنا ونصرنا وخذلنا وآوينا وطردنا ومن ثم قال عمر
رضي لقد كنت ارانا رفعنا رفعة لا يبلغها احد بعدنا وارتفع السابقون بالابتداء وخبره
رضي الله عنهم ومعناه رضي الله عنهم لاعمالهم ورضوا عنه لما افاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية
وفي مصاحف اهل مكة تجري من تحتها وهي قراءة ابن كثير وفي ساير المصاحف تحتها يعني من
ومن حولكم يعني حول المدينة تكم وهي المدينة منافقون وهم جهينة واسلم واشجع وغفار كانوا
نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على خبر المبتدأ الذي هو من حولكم ويجوز ان يكون جملة معطوفة
على المبتدأ والخبر اذا قدرت ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق على ان مردوا صفة
موصوف محذوف كقوله انا ابن جلا وعلى الوجه الاول لا يخلوا من ان يكون كلاما مبتدأ او صفة لمنا
فقون فصل بينهما وبينه بمعطوف على خبره مردوا على النفاق تمهروا فيه من مرن فلان على عمله
ومرد عليه اذا دربت به وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه
بقوله لا تعلمهم او تخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط تمويههم في تحاشي ما
يشككك في امرهم ثم قال نحن نعلمهم او لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر
ويؤيدونه قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه في ايمانهم
وذلك انهم مردوا على النفاق وضروا به فلم فيه اليد الطولى سنعذبهم مرتين قيل هما القتل
وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر وعن ابن عباس رضي انهم اختلفوا في هاتين
المرتين فقال قام رسول الله صلعم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج
يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثاني عذاب القبر وعن الحسن
اخذ الزكوة من اموالهم وكهلك ابدانهم الى عذاب عظيم الى عذاب النار اعترفوا بذنوبهم اي لم يعتذروا
من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم بانهم بئس ما فعلوا متندمين نادمين
وكانوا ثلاثة ابو لبابة مروان بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حرام وقيل
كانوا عشرة فسبعة منهم اوثقوا انفسهم بالسارية لما نزل في المتخلفين فايقنوا بالهلاك فاوثقوا
انفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلعم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم
من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا الا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي

واخرون اعترفوا بذنوبهم

خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم خذ من اموالهم صدقة تطهرهم
وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم والله سميع عليم الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن
عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

٧٥٠

بحالهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله
هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ
من اموالهم عملا صالحا خروجا الى الجهاد وآخر سيئا تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة والاثم فان قلت
قد جعل كل واحد منهما مخلوطا بما المخلوط قلت كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان المعنى خلط كل
واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء باللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطت
الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين
ومخلوطا بهما كما انك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون من قولهم بعت الشاة شاة
ودرهما بمعنى شاة بدرهم فان قلت كيف قيل ان يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم قلت اذا ذكر
اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم تطهرهم صفة لصدقة وقرئ تطهرهم
من اطهر بمعنى طهر وتطهرهم بالجزم جوابا للامر ولم يقرأ وتزكيهم الا بالياء والتاء في تطهرهم
للخطاب او لغيبة المؤنث والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال
وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها
وعن الشافعي رضي احب ان يقول الوالي عند اخذ الصدقة آجرك الله فيما اعطيت وجعله طهورا وبارك
لك فيما ابقيت وقرئ ان صلاتك على التوحيد سكن لهم يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله قد
تاب عليهم والله سميع يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم عليم بما في ضمايرهم من الندم والغم لما
فرط منهم قرئ الم يعلموا بالياء والتاء وفيه وجهان احدهما ان يتوب يراد المتوب عليهم
يعني الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم ان الله هو يقبل التوبة اذا صحت ويقبل
الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتاكيد وان الله من شانه قبول توبة
التائبين وقيل معنى التخصيص في هو ان ذلك ليس الى رسول الله انما الله هو الذي يقبل التوبة
ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه قل لهؤلاء التائبين اعملوا فان عملكم لا يخفى خيرا كان او شرا
على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم والثاني ان يراد غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي انهم
لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا نجالسون
فما لهم نزلت فان قلت فما معنى قوله ويأخذ الصدقات قلت هو مجاز عن قبوله لها
وعن ابن مسعود ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان تقع في يد السائل والمعنى انه يتقبلها ويضاعف
عليها وقوله فسيرى عيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة قرئ مرجون

قال سيبويه الواو هنا بمعنى الباء اي بدرهم
قال والعقد فيه ان الواو للجمع والباء للالصاق
من اراد واحد فشكر به كقولك للاستعانة ع

وآخرون مرجون

لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا
بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله

ومرجأون من ارجيته وارجأته اذا اخرته ومنه المرجئة يعني وآخرون من المتخلفين موقوف
امرهم اما يعذبهم ان يقوا على الاصرار ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا وهم ثلثة كعب بن
مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلعم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم
ولم يفعلوا بهما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الجذع والغم فلما
علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله واخلصوا نياتهم وصحت توبتهم فرحمهم الله
والله عليم حكيم وفي قراءة عبد الله غفور رحيم واما للجهاد اذا خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة
في مصاحف اهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو لانها قصة على حيالها وفي سائرها
بالواو على قصد عطف قصة مسجد الضرار الذي احدثه المنافقون على سائر قصصهم روي ان
بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلعم ان ياتيهم فاتيهم فصلى فيه فحسدهم اخوتهم
بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم
من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم وهو الذي سماه رسول الفاسق وقال له رسول الله صلعم
يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم نقاتله يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج
هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر
واتي بجنود واخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلعم
بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو
لنا بالبركة فقال اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة
تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت فدعا مالكا الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشيا
قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه
كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام بقنسرين ضرارا مضارة لاخوانه اصحاب
مسجد قباء ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المؤمنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء
فيتفضل بهم فاراد ان يتفرقوا عنه ويختلف كلمتهم وارصادا واعدادا لمن حارب الله ورسوله وهو
الراهب اعدوه ليصلي فيه ويظهر على رسول الله وقيل كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض
سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق انه لم يدع الصلاة في
مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب ان اصلي فيه فانه على ضرار وعن
عطاء لما فتح الله الامصار على عمر رضي الله عنه امر المسلمين ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة مسجدا

او المشركين والشك على الله لا يجوز
فهو اذن للعباد كلا قولا صحيحا
او يريدوه ولعله يتذكر او يخشى

وكل مسجد بني على ضرار او رياء
او سمعة فان اصله يبنى على الشفا
الذي يتهافت

من قبل ويحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على
التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين
افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار

يضار احدهما صاحبه فان قلت والذين اتخذوا ما محله من الاعراب قلت محله النصب
على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة وقيل هو مبتدأ خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين
اتخذوا كقوله والسارق والسارقة فان قلت بم يتصل قوله من قبل قلت باتخذوا اي اتخذوا
مسجدا من قبل اتيانهم هؤلاء بالتخلف اذا اردنا ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى
وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين لمسجد اسس على التقوى قيل هو مسجد قباء اسسه
رسول الله صلعم وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهو يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة
وهو اول الى المدينة بين مسجدي قباء اوقع وقيل هو مسجد رسول الله صلعم بالمدينة وعن ابي سعيد
الخدري رضي سألت رسول الله صلعم عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصاة فضرب بها الارض
وقال مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من اول يوم من ايام وجوده فيه رجال يحبون ان يتطهروا فلما نزلت مشى
رسول الله صلعم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال اتؤمنون انتم
فسكت القوم فاعادها فقال عمر نعم يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال صلعم اتصدقون بالقضاء قالوا
نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال صلعم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا
معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله
نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم الاحجار الماء فتلا النبي صلعم رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا
بادغام وقيل هو عام في التطهر من النجاسات كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء
اثر البول وعن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحصى المكفرة لذنوبهم فجمعوا عن آخرهم
فان قلت ما معنى المحبتين قلت محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء المشتهى
لدعاء ايمان ومحبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه قرئ اسس بنيانه جمع
اساس على الاضافة واساس بنيانه على افعال جمع اسس ايضا واسس بنيانه والمعنى افمن اسس بنيان دينه
على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خيرا ام من اسس على قاعدة هي اضعف القواعد
وارخاها واقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة البقاء والاستيصال
وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما يبنى في التقوى فان قلت فما معنى قوله فانهار به
في نار جهنم قلت لما جعل الجرف مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل
في نار جهنم الا انه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليقوي ان المبطل كانه اسس بنيانا
على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها والشفا والشفير وجرف

اساس بنيانه بالفتح والكسر جمع اساس

اي الذين اتخذوا مسجد ضرار اولى من الذين اتخذوا مسجدا على التقوى مسجد رسول الله صلعم

اسس بناءه على البناء الفاعل م

الجرف فعل بمعنى مفعول وهو موضع السيل الكثير وضعه موضع الفعل الكثير قال تعالى الذي م

بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ
إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ
الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ

الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهاير وهو المنصدع
الذي اشفى على التهدم والتسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاكٍ وصائب
في شايك وصايب والفه ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله هور وشوك وصوب ولا ترى ابلغ
من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل وكذا امره وقرئ جرف بسكون الراء فان قلت فما وجه
ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين قلت قد جعل الالف للالحاق للتانيث
كتترى فيمن نون الحقها بجعفر وفي مصحف ابي فانهارت به قواعده وقيل جرفت بقعة من مسجد
الضرار فروى الدخان يخرج منه وروى ان مجمع بن حارثة كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف اصحاب
مسجد قباء عمر بن الخطاب في خلافته ان ياذن لمجمع فيامهم في مسجدهم فقال اولم تعمه عين ابليس بامام مسجد
الضرار فقال يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم اني لا اعلم ما اضمروا فيه ولو علمت
ما صليت معهم كنت غلاما قاريا للقران وكانوا شيوخا لا يقرؤن من القران شيئا فعذره وصدقه وامره بالصلاة
بقومه ريبة شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وانما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال
وجل ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا
للاسلام فمعنى قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك ونفاق لهم على شكهم
ونفاقهم لا ينزل وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل اثره الا ان تقطع قلوبهم قطعا وتفرق اجزاء حينئذ يسلون عنه
واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة متمكنة فيجوز ان يكون ذكر التقطع تصويرا لحال زوال الريبة عنها
ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كاين منه بقتلهم او في القبور او في النار وقرئ يقطع بالياء وتقطع
بالتخفيف وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على ان الخطاب للرسول اي الا ان تقطع انت
قلوبهم بقتلهم وقراءة الحسن الى ان وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم
على خطاب الرسول او كل مخاطب وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على
تفريطهم مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم واموالهم في سبيله بالشرى وروى تاجرهم فاغلى لهم الثمن
وعن عمر رض لجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها وروى ان
الانصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال اشترط
لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا ذلك فما
لنا قال لكم الجنة قال ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فخرج الى الغزو واستشهد يقاتلون فيه معنى الامر
كقوله يجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وقرئ فيقتلون ويقتلون على بناء الاول للفاعل والثاني

وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ
الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ
الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ

المفعول وعلى العكس وعدا مصدر موكد اخبر بان هذا الوعد الذي وعد للمجاهدين في سبيله وعد ثابت
قد اثبته في التورية والانجيل كما اثبته في القران ثم قال ومن اوفى بعهده من الله لان اخلاف الميعاد قبيح لا
يقدم عليه الكرام من الخلق مع جواز عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا
في الجهاد احسن منه وابلغ التائبون رفع على المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين وتدل عليه
قراءة عبد الله وابي رض التائبين بالياء والحافظين نصبا على المدح ويجوز ان يكون جرا صفة للمؤمنين
وجوز الزجاج ان يكون مبتدا وخبره محذوف اي التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا
كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز ان يكون مبتدا وخبره
العابدون وما بعده خبر بعد خبر او التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن
هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا من النفاق والعابدون عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة وحرصوا
عليها والسائحون الصائمون شبهوا بذي السياحة في الارض في امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة
العلم يسيحون في الارض يطلبونه في مظانه قيل قال لقمة لابي طالب انت اعظم الناس علي حقا واحسنهم
عندي يدا فقل كلمة تجب بها شفاعتي فابى فقال اما اني استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل
لما افتتح مكة سال ابي ابويه احدث به عهدا فقيل امك آمنة فزار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا فقال
لبي استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته لاستغفر لها فلم ياذن لي فنزلت وهذا اصح
من موت ابي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة وقيل استغفر لابيه وقيل قال المسلمون
ما منعنا ان نستغفر لاباينا وذوي قراباتنا وقد استغفر ابراهيم لابيه وهذا مجمل يستغفر لعمه فاكاذ للنبي ما صح له
الاستغفار في حكم الله وحكمته من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك قراءة طلحة وما استغفر
ابرهيم لابيه وعنه ما يستغفر ابرهيم على حكاية الحال الماضية الا عن موعدة وعدها اياه اي وعدها ابراهيم
اباه وهو قوله لاستغفرن لك وتدل عليه قراءة الحسن وحماد الرواية وعدها اباه فان قلت كيف خفي
على ابرهيم ان الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده قلت يجوز ان يظن انه ما دام يرجى منه الايمان جاز
الاستغفار له على ان امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحي لا بالعقل يجوز ان يغفر الله للكافر الا ترى
الى قوله صلعم لعمه لاستغفرن لك ما لم انه وعن الحسن قيل لرسول الله صلعم ان فلانا يستغفر لابويه المشركين
فقال ولكن نستغفر لهم فنزلت وعن علي رض رايت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له فقال اليس
قد استغفر ابرهيم فان قلت فما معنى قوله فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه قلت معناه فلما
تبين له من جهة الوحي انه لن يومن وانه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله من بعد ما تبين

وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ
وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ۝ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ
وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ

لما انهم اصحاب الجحيم اواه فقال من اوه كلاما من التأوه وهو الذي يكثر التأوه ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته وقوله سأرجمنك يعني ما امر الله به بالتقاية واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره فانهي عنه وبين انه محظور لا يواخذ عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا اذا اقدموا عليه بعد بيان يخطر عليهم وعلمهم بانه واجب الاتقاء والاجتناب اما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يواخذون بشرب الخمر ولا بيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المواخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وفي هذه الاية شديدة ما ينبغي ان يغفل عنها وهي ان المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض محظورات الله داخل في حكم الاضلال والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف تاب الله على النبي كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرون والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وان صفة التوابين هي الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه من اذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك في ساعة العسرة في وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم غداة طفت علماء بكر بن وائل عشية قارعنا جذام وحمير اذا جاء يوما وارثي يبتغي الغنى والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الذنخة وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من جدب الغيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير الشان وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة وامثاله ثم تاب عليهم لكيدودتهم الثلاثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية ومعنى خلفوا خلفوا عن الغزو وقيل عن ابي لبابة واصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او قعدوا من المخالفة وخلوف الفم وقراءة جعفر الصادق

الخالفة الفاسد الضعيف من الناس لقوله فالخالفة من الخوالف ٩

حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ
ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا

٢٥٢

رضوا بالتخلف وقراءة الاعمش وعلى الثلاثة المخلفين بما رحبت برحبها او مع سعتها وهو مثل للحيرة في امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا تامل فيه وضاقت عليهم انفسهم او قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لانها جرحت من فرط الوحشة والغم وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من سخط الله الا الى استغفاره ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا على توبتهم او ليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم ان الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله منهم من له عذر ومكن مكانه فلحق به عن الحسن بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن له اخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطأني ولا خلفني الا الضن بك لا جرم والله لا كاتدن المفاوز حتى الحق برسول الله صلعم فتابط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله ماشيا فقال رسول الله لما راى سواده كن اباذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله اباذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأتان حسناوان فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومزكاته وتزود وسار في اثر رسول الله صلعم حتى لحقه في الطريق فاذا هو راكب يزفه السراب فقال كن اباخيثمة فكان فخرج به رسول الله واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما علمنا الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت علينا ارضنا بما رحبت وضاقت علينا انفسنا وتتابعت البشارات فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلعم فاذا هو جالس وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول الي حتى صافحني وقال لا انسى توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله صلعم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت

فركب ولحق به ولم يكن له هم الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني الا حب الحيوة لك والله لا كاتدن الشدائد حتى الحق برسول الله صلعم

مع الصادقين ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا
بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون
موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر

وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه مع الصادقين وقرئ من الصادقين وهم الذين
صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا او الذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على الطاعة وقوله
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل هم الثلثة اي كونوا مثل هؤلاء في صدقهم وثباتهم وعن
ابن عباس رضي الخطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار ووافقوهم وانتظموا في
جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضي لا يصلح
الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجز اتقوا ان شئتم وكونوا مع الصادقين فهذا نهي
ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه امروا به بان يصحبوه على البأساء والضراء ويكابدوا معه الاهوال
برغبة ونشاط واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدائد ما تلقاه لنفسه علما بانها اعز نفس عند الله
واكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على ساير الانفس ان تتهافت
فيما تعرضت له ولا يكترث لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون اخف شيء عليهم واهونه فضلا ان
يرباوا بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تبشيع
لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفة وحمية ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان لهم ان
يتخلفوا من وجوب مشايعته كانه قيل ذلك الوجوب بسبب انهم لا يصيبهم شيء من عطش ولا تعب في الاسماعة
في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار تحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم ولا ينتهبون
في ارضهم نهبا فيغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يرزؤنهم شيئا بقتل او اسر او غنيمة
او هزيمة او غير ذلك الا كتب لهم به عمل صالح واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب
المشايعة ويجوز ان يراد بالوطء الايطاء والابادة لا الوطء بالاقدام والحوافر كقوله صلعم اخذ
وطئة وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار
يغيظهم وطاؤه والنيل ايضا يجوز ان يكون مصدرا موكدا وان يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا ازراه
ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم وينكيهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه
فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشر وبهذا استشهد اصحاب ابي حنيفة
رحمه الله ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطاءه ديارهم مما يغيظهم
ويكبتهم ولقد اسهم النبي صلعم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وامد ابو بكر الصديق رضي الله
عنه المهاجرين ابي امية وزيادين ابي لبيد بعكرمة بن ابي جهل مع خمسمائة نفس فالحقوا بعد ما فتحوا
فاسهم لهم وعند الشافعي رضي لا يشارك المدد الغانمين وقال ابو عبيد من غيظ ظاء بالمد يقال ظغي ظاءة

من باب رمى من الكناية
وهي الاغاظة بالعدو

ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي
في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج بين جبال واكام يكون
منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب حتى الارض
يقولون لا تصل في وادي غيرك الا كتب لهم ذلك من الانفاق وقطع الوادي ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح
وقوله ليجزيهم متعلق بكتب اي اثبت في صحايفهم لاجل الجزاء اللام لتاكيد النفي ومعناه ان نفيرا لكافة
عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن ولم يؤد الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على
الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فلولا نفر طائفة من كل فرقة ولم يكن مصلحة
فهلا نفر من كل فرقة طائفة اي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونها للنفير ليتفقهوا في
الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها ولينذروا قومهم وليجعلوا
غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة
ويؤثرونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترأس والتبسط في البلاد والتبجح بالظلمة في ملابسهم
ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم انقلاب حمالين احدهم اذا لج ببصره
مدرسة لاخر او شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطأ العقب دون الناس كلهم مما ابعد
هؤلاء من قوله عز وجل لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا الله
فيعملوا عملا صالحا ووجه آخر اراه رسول الله صلعم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما انزل في
المتخلفين من الآيات الشداد استنفر المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه
في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة للجهاد وتبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه
الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجدال بالسيف وقوله ليتفقهوا الضمير فيه
للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم وليحذروا الفرق الباقية قومهم النازلين
اذا رجعوا اليهم مما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه
يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين
يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب
ونظيره وانذر عشيرتك الاقربين وقد حارب رسول الله صلعم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام و
قيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون الشام والشام
اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من يليهم ما لم يضطر اليهم
اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر رضي انه سئل عن قتال الديلم فقال عليكم بالروم وقرئ غلظة بالحركات

وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا
وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ
أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ

الثلث فالغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم واشتدوا وهو يجمع الجرأة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والاسر ومنه لا تأخذكم بهما رأفة في دين الله مع المتقين بنصر من اتقاه فلم يبرأ قط على عدوه فمنهم من يقول نحن المنافقين من يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العمل الحاصل بالوحي والعمل به وايكم مرفوع بالابتداء وقراءة عبيد بن عمير ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته تقديره ايكم زادت زادته هذه ايمانا فزادتهم ايمانا لانها ازيد للمتقين والثبات والتلج للصدور او فزادتهم ايمانا لانها الزيد عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان يقع على الاعتقاد والعمل فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى كفرهم لانهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفروا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم قرئ أولا يرون بالياء والتاء يفتنون يبتلون بالمرض والقحط وغير ما من بلاء الله ثم لا ينتبهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا يتذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في امرهم او يبتلون بالجهاد مع رسول الله ويعاينون امره وما ينزل الله عليه من نصره وتأييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين هل يراكم من احد من المسلمين لينصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او تراموا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لو اذا انزلت هل يراكم من احد وقيل معناه واذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عن الحق في قلوب اهل الايمان من الانشراح بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا من انفسكم من جنسكم لو من نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله عزيز عليه ما عنتم اي شديد عليه مشاق كونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه هو مخافة سوء العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم وافضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلعم وعائشة وفاطمة رضي وقيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلعم في قوله رؤف رحيم فان تولوا فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك معرة لهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم وقرئ العظيم بالرفع وعن ابن عباس رضي العرش لا يقدر احد قدره وعن ابي بن كعب رضي آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم عن رسول الله صلعم ما نزل على القرآن الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانها نزلت على

وهم سبعون الف صف من الملائكة

وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا
وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ
أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم
أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين
إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر

٥٥

سورة يونس عليه السلام مكية مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر تقدم الكلام فيه على طريق التحدي وتلك آيات الكتاب اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها او وصف بصفة محدثه قال الاعشى وغيره تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه وان اوحينا اسم كان وعجبا خبر وقراءة ابن مسعود رضي عجب فجعله اسما وهو نكرة واوحينا خبرا وهو معرفة كقوله يكون مزاجها عسل وماء والاجود ان يكون كان تامة وان اوحينا بدلا من عجب فان قلت فما معنى اللام في قوله اكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك اكان عند الناس عجبا قلت معناه انهم جعلوا لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من اثنائهم ورجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الا الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكرهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال تعالى لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال الفقير واليتيم ليس بعجب ايضا لان الله انما يختار من استحق الاختيار لجمعه اسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الاسباب في شيء وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب المنكر في العقول تعطيل الجزاء ان انذر الناس ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز ان تكون المخففة من الثقيلة واصله انه انذر الناس على معنى ان الشأن قولنا انذر الناس وان لهم الباء محذوف قدم صدق عند ربهم اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة فان قلت لم سميت السابقة قدما قلت لما كان السعي والتبختر بالقدم سميت المساعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعلا لان صاحبها يبدع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى صدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق ان هذا ان الكتاب وما جاء به محمد صلعم لسحر ومن قرأ لساحر فهذا اشارة الى رسول الله وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا ومن قرأ ساحر فهذا اشارة الى ما هذا الساحر يدبر يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحرك

الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون إليه مرجعكم جميعا وعد الله
حقا إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب
من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل

للصواب الناظر في ادبار الامور وعواقبها ليلا بلقاء ما يكون آخرا والامر امر الخلق كله ولمن ملكوت
السموات والارض والعرش فان قلت ما موضع هذه الجملة قلت قد دل بالجملة قبلها على عظم شانه
وملكه خلق السموات والارض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاستواء على العرش وابتها هذه
الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع
من بعد اذنه دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له
الرحمن ذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة او ذلكم العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذي
يستحق العبادة منكم فاعبدوه ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك او انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع
افلا تذكرون فان ادنى التفكر والتنظر ينبهكم على الخطاء فيما انتم عليه اليه مرجعكم جميعا او لا ترجعون في
العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم وحقا مصدر مؤكد لقوله
وعد الله انه يبدؤا الخلق ثم يعيده استينافا معناه التعليل لوجوب الرجوع اليه وهو ان الغرض مقتضى الحكمة
بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم وقرئ انه يبدأ الخلق بمعنى لانه او هو منصوب
بالفعل الذي نصب وعد الله اي وعد الله وعد ابتداء الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدأه وقرئ
وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من ابدأ ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدؤ الخلق
الخلق كقوله احقا عباد الله ان لست جانيا ولا ذاهبا الا على رقيب وقرئ حق انه بدأ الخلق
كقولك حق ان زيدا منطلق بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزي والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم
او بقسطهم وبما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا الصالحات لان الشرك ظلم قال الله ان الشرك
لظلم عظيم والعصاة ظلام انفسهم وهذا الوجه بمقابلة قوله بما كانوا يكفرون الضياء في ضياء منقلبة
عن واو وضوء لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف على القلب كما في عاق
عقا والضياء اقوى من النور وقدره وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره منازل او قدر ذا منازل كقوله
والقمر قدرناه منازل والحساب حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي ذلك اشارة الى ما خلقه
ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا وقرئ يفصل بالياء خص المتقين لانهم يحذرون
العاقبة فيدعوهم الحذر الى التنظر والتدبر لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطر ببالهم
لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة بالذات وحب العاجلة عن التفطن للحقائق او لا يأملون حسن
لقائنا كما يأمله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب ان يخاف ورضوا بالحيوة الدنيا
من الآخرة واثروا القليل الفاني على الكثير الباقي او رضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة واطمأنوا بها

بما كانوا يكسبون

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم دعواهم
فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين ولو يعجل الله
للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون

وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فنوا شديدا واملوا بعيدا يهديهم ربهم بايمانهم يسدد
بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار
بيانا له وتفسيرا له التمثيل بسبب السعادة كالوصول اليها ويجوز ان يراد يهديهم في الآخرة بنور
ايمانهم الى طريق الجنة كقوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ومنه
الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا
الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخل النار
فان قلت فقد دلت هذه الآية على ان الايمان الذي يستحق به العهد الهداية والتوفيق والنور يوم القيمة
هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا
توفيق له ولا نور قلت الامر كذلك الا ترى كيف اوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل كانه
قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو
بين واضح لا شبهة فيه دعواهم دعاؤهم لان اللهم نداء الله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القائل في دعاء
القنوت اللهم اياك نعبد لك نصلي ونسجد ويجوز ان يراد بالدعاء العبادة واعتزلكم وما تدعون من
دون الله على معنى ان لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك انهم
بعبادة دون الله انما يلتمسونه فيتلذذون به تلذذا بالاكلة كقوله وما صلوتهم الا مكاء وتصدية وآخر
دعواهم وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ان يقولوا الحمد لله رب العالمين ومعنى تحيتهم فيها سلام ان بعضهم
يحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحية الملائكة اياهم اضافة المصدر الى المفعول وقيل تحية الله لهم
وان هي المخففة من الثقيلة واصله وانه الحمد لله على ان الضمير للشان كقوله انه هالك كل من يحفى وينتعل
وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيلهم الخير اشعارا بسرعة
اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد اهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة
من السماء يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ويجيبهم اليه لقضي اليهم اجلهم لماتوا واهلكوا
وقرئ لقضي اجلهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وتنصر قراءة عبد الله لقضينا اليهم اجلهم
فان قلت كيف اتصل به قوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا وما معناه قلت قوله ولو يعجل الله
متضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم يعمهون اي منهمكين
ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم لجنسه في موضع الحال بدليل عطف الحالين او دعانا
مضطجعا او قاعدا او قائما فان قلت فما فائدة هذه الاحوال قلت معناه ان المضرور لا يزال

مَنْ كَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ
لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ
خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعو في حالاته كلها كان مبتلى عاجزا لنهض متخاذل
القوى او كان قاعدا لا يقدر على القيام او كان قائما لا يطيق المشي والمضطر يلجأ الى كل الخفة ويرفق
الصحة بكالها والمسحة بتمامها ويجوز ان يراد من الضر ورين من هو اشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم
من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء
لان الانسان للجنس سواء مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد لو مس عن موقف الابتهال
والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان قال
كان ثدياه حقان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين زين الشيطان بوسوسته او الله عز وجل
بخذلانه وتخليته ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات لما ظرف لاهلكنا
والواو في وجاءتهم للحال او ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي
المعجزات وقوله فما كانوا ليؤمنوا يجوز ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون اعتراضا واللام
لتاكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون حتما تاكيد النفي ايمانهم وان الله قد علم منهم انهم يصرون على كفرهم
وان الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم
بعد ان الزحوا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك نجزي كل مجرم وهو وعيد
لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلعم وقرئ نجزي بالياء جعلناكم الخطاب للذين بعث
اليهم محمد صلعم اي استخلفناكم بعد القرون التي اهلكنا لننظر اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على
حسب عملكم وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يجب ان يتقدم عليه عامله
فان قلت كيف جاز النظر على الله قلت وفيه معنى المقابلة قلت هو مستعار للعلم المحقق
الذي هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه غاظهم ما في القرآن من ذم
عبادة الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك بتبعك او بدله
بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الالهة وذم عبادتها فامره بان يجيب عن التبديل
لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو ان يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما انزل وان يسقط
ذكر الالهة واما الاتيان بقرآن غير مقدور عليه للانسان ما يكون لي ما يحل لي وما يسوغ لي
ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وقرئ بفتح التاء
من غير ان يامرني بذلك ربي ان اتبع الا ما يوحى الي لا آتي ولا اذر شيئا من نحو ذلك لا متبعا
لوحي الله وامره ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس

لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي

اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ۝ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد
لبثت فيكم عمرا من قبله

التبديل والنسخ اني اخاف ان عصيت ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم فان
قلت اما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا قلت
بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله
فينسبونه الى الرسول صلعم ويزعمونه قادرا عليه وعلى مثله مع علمهم بان العرب مع كثرة فصحائها
وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم اعجز فان قلت لعلهم ارادوا ائت بقرآن غير هذا
او بدله من جهة الوحي كما اتيت بالقرآن من جهته واراد بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي وما يمكنني
ان الله قلت يرده قوله اني اخاف ان عصيت ربي فان قلت فما كان غرضهم وهم ادعى
الناس وانكرهم في هذا الاقتراح قلت الكيد والمكر اما اقتراح ابدال القرآن بقرآن فليعلم انه من
عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع والاختبار
الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل
حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله
واجداله امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يتمرن ولم يشاهد
العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم كتابا يعجز عن كل كلام فصيح ويعلو
على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع واخبار عما كان وما يكون ناطقا
بالغيوب التي لا يعلمها الا الله وقد لبث بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم
شيء من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفتم به احد من اقرب الناس منه والصقهم به ولا ادريكم
به ولا اعلمكم به على لساني لقراءة الحسن ولا ادراكم على لغة من يقول اعطاه وارضاه في
معنى اعطيته وارضيته وبعضهم قرأ بن عباس ريض ولا انذركم به وروي ولا ادراكم
به بالهمزة وفيه وجهان احدهما ان يقلب الالف همزة كما قيل لثأت بالحج وثأت الميت وذلك
لان الالف والهمزة من واد واحد الا ترى ان الالف اذا امتها الحركة انقلبت همزة والثاني
ان يكون من دريأته اذا دفعته وادرأته اذا جعلته داريا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء
تدرأونني بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير ولادراكم به بلام الابتداء لاثبات الادراء و
المعنى لو شاء الله ما تلوته انا عليكم ولا علمكم به على لساني غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده
بخصني بهذه الكرامة ويرشحها اهلا دون سائر الناس فقد لبثت فيكم عمرا وقرئ عمرا بالسكون
يعني فقد اقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت

أفلا تعقلون فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في
السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا

متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه أفلا تعقلون فتعلموا أنه ليس لأحد من الله ثم لا من مثلي
وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من إضافة الافتراء إليه ممن افترى
على الله كذبا لحمل أن يريد افتراء المشركين على الله في قولهم إنه ذو شريك وذو ولد وأن يكون تفاديا من إضافة
إليه من الافتراء ما لا يضرهم ولا ينفعهم إلا وثانيا التي هي جماد لا يقدر على نفع ولا ضر وقيل إن عبدوها
لم تنفعهم وإن تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود أن يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان
أهل الطائف يعبدون اللات وأهل مكة العزى ومناة وهبل وإساف ونائلة وكانوا يقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحارث إذا كان يوم القيمة شفعت لي اللات والعزى أتنبئون
الله بما لا يعلم أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو إنباء بما ليس بمعلوم لله تعالى وإذا لم يكن معلوما له وهو
العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لأن الشيء ما يعلم ويخبر عنه وكان خبرا ليس له مخبر عنه
فإن قلت كيف أنبأه الله بذلك قلت هو نهكم بهم وبما ادعوه من الحال الذي هو شفاعة الأصنام
وإعلام بأن الذي أنبأوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر
الرجل الرجل بما لا يعلمه وقرئ أتنبئون بالتخفيف وقوله في السموات ولا في الأرض تأكيد لنفيه
لأن ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم يشركون بالياء والتاء وما موصولة أو مصدرية أو عن الشركاء
الذين تشركونهم به أو عن إشراككم وما كان الناس إلا أمة واحدة متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا
بينهم وذلك في عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يبق الله من الكافرين
ديارا ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيمة لقضي بينهم عاجلا فيما اختلفوا
فيه وليميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتأخير لحكمة أوجبت أن يكون هذه الدار دار تكليف وتلك
دار ثواب وعقاب وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه أرادوا آية من الآيات التي كانوا يقترحونها وكانوا
لا يعتدون بما أنزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على أحد من الأنبياء مثلها وكفى بالقرآن
وحده آية باقية على وجه الدهر بداعة غريبة في الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا
نزول فكأنه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا أنزل عليه آية من ربه وذلك لفرط عنادهم وتمادهم في التمرد
وإنهماكهم في الغي فقل إنما الغيب لله هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لي ولا لأحد به يعني أن
التعارف عن إنزال الآيات المقترحة أمر مغيب لا يعلمه إلا هو فانتظروا نزول ما اقترحتموه إني معكم
من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات سلط الله القحط سبع سنين على أهل مكة حتى
كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله

وإذا لا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين

إذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكرا إن رسلنا
يكتبون ما تمكرون هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة

وبكيدهم وإذا الأولى للشرط والأخرى جوابها وهي للمفاجأة والمكر اختفاء الكيد وطيه من الجارية
المكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى احتووا بسوء أثرها فيهم فإن قلت ما وضعهم
بسرعة المكر فكيف صح قوله أسرع مكرا قلت بلى دلت على ذلك كلمة المفاجأة كأنه قال وإذا رحمناهم
من بعد ضراء فاجأوا وقوع المكر منهم وسارعوا إليه قبل أن يفسحوا أرواحهم من مس الضراء ولم يتلبثوا
ريثما يسيغون غصتهم والمعنى أن الله دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل أن يدبروا كيف تحملوه في الخفاء
نور الإسلام إن رسلنا يكتبون إعلام بأن ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم
وقرئ يمكرون بالياء والتاء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن أبي هريرة أن الله
تعالى يصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فيصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا قرأ
ابن ثابت رضي يسيركم ومثله قوله فانتشروا في الأرض ثم إذا أنتم بشر تنتشرون فإن قلت كيف جعل
الكون في الفلك غاية للتسيير والتسيير في البحر إنما هو بالكون في الفلك قلت لم يجعل الكون
في الفلك غاية للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كأنه قيل يسيركم حتى
إذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن للهلاك
والدعاء بالنجاة فإن قلت ما جواب إذا قلت جاءتها فإن قلت فدعوا قلت
بدل من ظنوا لأن دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به فإن قلت ما فائدة صرف الكلام عن
الخطاب إلى الغيبة قلت المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار و
التقبيح فإن قلت ما وجه قراءة أم الدرداء في الفلك بزيادة ياء النسب قلت هما زائدتان
كالياء في الخارجي والأحمري ويجوز أن يراد به اللج والماء الغمر الذي لا يجري الفلك إلا فيه والضمير في
جرين للفلك لأنه جمع فلك كالأسد في فعل أخي فعل وفي قراءة أم الدرداء للفلك أيضا لأن الفلك يدل
عليه جاءتها جاءت الريح الطيبة أو تلقتها وقيل الضمير للفلك من كل مكان من جميع أمكنة الموج
أحيط بهم جعل إحاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك مخلصين له الدين من غير إشراك به لأنهم لا يدعون
حينئذ غيره معه لئن أنجيتنا على إرادة القول أو لأن دعوا من جملة القول يبغون في الأرض يفسدون
فيها ويعيثون متواقين في ذلك يعني فيه من قولك بغى الجرح إذا تمادى إلى الفساد فإن قلت
ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى هو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم
دورهم وإحراق زروعهم وقلع أشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة قرئ متاع الحيوة
الدنيا بالنصب فإن قلت ما الفرق بين القراءتين قلت إذا رفعت كان المتاع خبرا

وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا
الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق يا أيها الناس

حصلت لأن حصل الحاصلة
النباتة والأنواء
وجاءهم الموج
من أنباء جنب
متاع الحياة الدنيا

ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون ۝ إنما مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به
نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون
عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون

للمبتدأ الذي هو بغيكم وعلى أنفسكم صلته كقوله فبغي عليهم ومعناه انما بغيكم على امثالكم والذين جنسكم
جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها واذا نصبت فعلى أنفسكم خبر غير صلة معنا
وانما بغيكم وبال على أنفسكم ومتاع الحيوة الدنيا في موضع المصدر المؤكد كانه قيل تتمتعون متاع
الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون الرفع على هو متاع الحيوة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلعم
انه قال لا تمكر ولا تغش ماكرا ولا تبغ ولا تغن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه
صلعم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان
يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي لو بغى جبل على جبل لدك الباغي
وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في اخيه ∴ يا صاحب البغي ان البغي مصرعة ∴ فاربع رعيت
تخير فعال المرء اعدله ∴ فلو بغى جبل يوما على جبل ∴ لاندك منه اعاليه واسفله ∴ وعن محمد بن
كعب ثلث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم هذا من التشبيه
المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه
وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض لخضرته ورفيفه فاختلط به فاشتبك به حتى
خالط بعضه بعضا اخذت الارض زخرفها وازينت كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها
على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب المتفاوتة من كل لون فالتفتها وتزينت بغيرها من الوان
الزين واصل ازينت تزينت فادغم وبالاصل قرأ عبد الله وقرئ وازينت على افعلت
من غير اعلال الفعل كاغيلت او صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت قادرون عليها
متمكنون من منفعتها محتملون لثمرتها اتاها امرنا وهو ضرب زرعها بعض العاهات
بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا تشبيها بالمحصود من الزرع
في قطعه واستيصاله كانه لم تغن بالمقيم كان لم يغن زرعها اي لم يلبث وقرأ الحسن كان لم
يغن بالياء على ان الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه و
لم يستقم المعنى عن مروان انه قرأ على المنبر كان لم تغن بالامس من قول الاعشى طويل الثواء طويل
التغني والامس مثل في الوقت القريب كانه قيل كان لم تغن آنفا دار السلام الجنة اضافها الى
اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة لان اهلها سالمون من كل مكروه وقيل الفشو السلام
بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما سلاما ويهدي يوفق من يشاء وهم الذين علم ان اللطف
يجدي عليهم لان مشيته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون

والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم

للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون
والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم
قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا

الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة وهي التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم من
فضله وعن علي رض الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس رض الحسنى الجنة والزيادة عشر
امثالها الى سبع مائة ضعف وعن مجاهد رض الزيادة مغفرة ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة ان
تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم وزعمت المشبهة
والمجبرة ان الزيادة النظر الى وجه الله وجاءت بحديث مرفوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا ان
يا اهل الجنة ينكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا هو احب اليهم منه لا يرهق
وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق
اهل النار اذ كان ما يتقدمهم منه برحمته الا ترى الى قوله ترهقها قترة وترهقهم ذلة فان قلت
ما وجه قوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وكيف يتلاءم قلت لا يخلوا اما ان يكون
والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين احسنوا كانه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها واما ان يقدر
وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم ان يجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد
عليها وهذا اوجه من الاول لان في الاول عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه وفي هذا دليل على ان المراد
بالزيادة الفضل لانه لم يذكر الزيادة على السيئة على عدله ودل ثم باثبات الزيادة على المثوبة على فضله
وقرئ ويرهقهم ذلة بالياء من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من سخط الله وعذابه ويجوز ما لهم من جهة الله
ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين مظلما حال من الليل ومن قرأ قطعا بالسكون من قوله بقطع من الليل جعله
صفة له وتعضده قراءة ابي بن كعب كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم فان قلت اذا جعلت مظلما
حال من الليل فما العامل فيه قلت لا يخلوا اما ان يكون اغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا فكان
افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة واما ان يكون معنى الفعل في من الليل مكانكم الزموا مكانكم لا
تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وانتم اكد الضمير في مكانكم ليسد مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف
عليه وقرئ وشركاءكم على ان الواو بمعنى مع والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم ففرقنا
بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا او فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وتبرأ
شركاؤهم منهم ومن عبادتهم كقوله ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا وقرئ
فزايلنا بينهم كقولك صاعد صعد وصعده وكالمته وكلمته ما كنتم تعبدون انما كنتم تعبدون الشياطين
حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم ان كنا هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين
النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من الله من اولي العقل وقيل الاصنام ينطقها الله عز وجل

دون م

وكان لم تغن بالامس

هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون قل من يرزقكم
من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي
ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق

فتشاهم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها اطماعهم هنالك في ذلك المقام وفي ذلك
الموقف او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلو كل نفس تختبر وتذوق ما أسلفت من
العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار مقبول ام مردود كما يختبر الرجل الشيء ويتعرفه
ليكتنه حاله ومنه قوله يوم تبلى السرائر وعن عاصم تبلو كل نفس بالتاء ونصب كل اي تختبر ما
باختبار ما اسلفت من العمل فتعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهي سعيدة وان كان سيئا
فهي شقية والمعنى تفعل بها فعل الخابر كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ويجوز ان يراد نصيب البلاء
وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر وقرئ تتلو اي تتبع ما اسلفت
لان عملها هو الذي يهديها الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقتدي في صحيفتها ما قدمت من خير او
شر مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته لانهم كانوا يتولونه ما ليس لربوبيته حقيقة او الذي يتولى
حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم احدا وقرئ الحق بالنصب على انه تاكيد قوله ردوا الى الله
كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل او على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد وضل عنهم ما كانوا يدعون
انهم شركاء الله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الالهة من السماء والارض
او يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته من يملك السمع
والابصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحييهما
ويحصنهما من الافات مع كثرتها في المدة الطوال وضعف الطينة التي يؤذيهما ادنى شيء بكلاءته وحفظه
ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص افلا تتقون افلا تتقون
انفسكم ولا تحذرون انفسكم عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال ذلكم اشارة الى من هذه قدرته
وافعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال
يعني ان الحق والباطل الضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع في الضلال فانى تصرفون عن
الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى الشقاء كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك اي كما
حق وثبت ان الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا اي تمردوا
في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه وانهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او حق عليهم انتفاء الايمان
وعلم الله منهم ذلك او حق عليهم كلمة الله انهم من اهل الخذلان وان ايمانهم غير كاين او اراد بالكلمة العدة
بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون فان قلت كيف قيل لهم هل من شركائكم من يبدأ
الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالاعادة قلت قد وضعت اعادة الخلق لظهور برهانها

تبيح

الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده

الحق بعلامة

قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي
للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع أكثرهم
إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما تفعلون وما كان هذا القرآن أن يفترى

موضع ما اذ دفعه دافع كان مكابرا راذا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم في
انكارهم لها منكرون امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه صلعم قل الله يبدأ الخلق
ثم يعيده فامره ان ينوب عنهم في الجواب يعني انه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق
فكلم عنهم بقال هداه للحق والى الحق يجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال
شرى بمعنى اشترى ومنه قوله امن لا يهدي وقرئ يهدي بفتح الهاء وكسرها مع تشديد
الدال والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت
الياء لاتباع ما بعدها وقرئ ان يهدى من هداه وهداه للبالغة ومنه قولهم تهدى بمعناه
ان الله تعالى وجه يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي
نصبها لهم وبما الطف بهم ووفقهم والهمهم واخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين
جعلتم لله اندادا احد من اشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدي الى الحق هذه الهداية الحق
بالاتباع ام الذي لا يهدي او لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وقيل معناه
امن لا يهتدي من الهداية الا ان يهدى الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح
منه الاهتداء الا ان ينقله الله تعالى من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه فما لكم كيف تحكمون
بالباطل حيث تزعمون انهم انداد الله وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا ظنا لانه قول غير
مستند الى برهان عندهم ان الظن في معرفة الله لا يغني من الحق شيئا وهو العلم وقيل وما يتبع اكثرهم
في قولهم للاصنام انها آلهة وانها شفعاء عند الله الا الظن والمراد بالاكثر الجميع ان الله عليم وعيد على
ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء وقرئ تفعلون بالتاء وما كان هذا القرآن افتراء من دون الله
ولكن كان تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو عيار
عليها وشاهد بصحتها كقوله هو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذي
بين يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى وما كان ان يفتري وما صح وما استقام
وكان محالا ان يكون مثله في علو امره واعجاز معناه وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض
من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم فان قلت بما اتصل قوله لا ريب فيه من رب
العالمين قلت هو داخل في حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه
الريب كائنا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق
وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم ام يقولون افتراه بل يقولون

من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه

قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا
بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين

اختلفتم على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم او انكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان
قل ان كان الامر كما تدعون فأتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله فانتم مثلي في العربية والفصاحة
ومعنى بسورة مثله او شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله على الاضافة
او بسورة كتاب مثله وادعوا من دون الله من استطعتم من طاقته للاستعانة بهم على الاتيان بمثله
يعني ان الله حدّ هو العقلاء على ان يأتي بمثله لا يقدر على ذلك اصلا غير فلا تستعينوا وجاء بشر
استعينوا بكل من دونه ان كنتم صادقين انه افتراء بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن
وفاجأوه في بديهة المحل السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا
على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ
على التقليد من الحشوية اذا احس بكلمة لا يوافق ما نشأ عليه والفه وان كانت اضوء من شعاع
الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة انكرها في اول وهلة واشمأز منها قبل ان يحس
منها ادراكا بالحاسة سمعه من غير فكر في صحة او فساد لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد
ما عداه من المذاهب فان قلت ما معنى التوقع في قوله ولما يأتهم تأويله قلت معناه
انهم كذبوا على البديهة قبل التدبر ومعرفة المآل وقبل تعليل الآباء وكذبوا بعد التدبر تمردا
وعنادا فاذنهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو
شأنه واعجاز لما كان عليهم التحدي وراموا قواهم في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا
به بغيا وحسدا كذلك مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات الانبياء
وقبل تدبرها من غير انصاف من انفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا وقيل هو في الدين كذبوا
وهم شاكون ويجوز ان يكون معنى ولما يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب عاقبته حتى
يتبين لهم اهو كذب ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب
فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقيل ان يخبروا اخبارا
بالمغيبات وصدقه وكذبه ومنهم من يؤمن به يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند
بالتكذيب ومنهم من يشك فيه لا يصدق به او يكون للاستقبال او ومنهم سيؤمن به ومنهم
من سيصر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين وان كذبوك وان تموا على تكذيبك
ويئست من اجابتهم فتبرأ منهم وظلمهم فقد اعذرت كقوله فان عصوك فقل اني بريء وقيل
هي منسوخة بآية السيف ومنهم من يستمعون اليك معناه ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت

ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين

ما يعملون

تأويله ولم يأتهم

اعجاز

أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا
لا يبصرون إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا
إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين

٢٦١

القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعونه ولا يقبلونه وناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق و
اعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم
لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع سلب السمع
والعقل جميعا فقد تم الامر وانحسب انك تقدر على هداية العمي ولو انضم الى فقد البصر فقد
البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويتفطن واما العمي مع الحمق فحدث ولا حرج يعني انهم
في اليأس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر وقوله افأنت افانت
دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله عز وجل بالقسر والالجاء كما لا يقدر على رد الاصم والاعمى
المساوي العقل جديدي السمع والبصر راجحي العقل الا هو ووصله ان الله لا يظلم الناس شيئا
لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب ولكنهم يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب
ويجوز ان يكون وعيدا للمكذبين يعني ان ما يلحقهم يوم القيمة من العذاب لاحق بهم على سبيل الاستيجاب
ولا يظلمهم الله ولكن ظلموا انفسهم باقتراف ما كان سببا فيه الا ساعة من النهار يستقلون وقت
لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتعارفوا
الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم فان قلت كان لم
يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما قلت اما الاولى فحال منهم او نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة
واما الثانية فاما ان يتعلق بالظرف واما ان يكون حينئذ لقوله كأن لم يلبثوا الا ساعة لان
التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا قد خسر على ارادة القول او يتعارفون بينهم قائلين
ذلك وهي شهادة على خسرانهم والمعنى انهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين
للتجارة عارفين بها وهو استيناف في معنى التعجب كأنه قيل ما اخسرهم فأتينا موجهم جواب
نتوفينك وجواب نرينك محذوف كأنه قيل واما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك
قبل ان نريك فنحن نريك فان قلت الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم قلت
ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كأنه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون
وقرأ ابن ابي عبلة ثم بالفتح اي هناك ويجوز ان يراد ان الله مؤد شهادته على فعالهم يوم
القيمة حين ينطق جلودهم وألسنتهم وايديهم وارجلهم شهادة عليهم ولكل امة رسول يبعث
اليهم لينتهوهم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه
قضي بينهم اي بين النبي ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجى الرسول وعذب المكذبون كقوله

أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون

وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على
ما يفعلون

ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي
بينهم بالقسط وهم لا يظلمون

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا
الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ
أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا

وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا أو لكل أمة من الأمم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا
جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله وجئ بالنبيين والشهداء قضى بينهم متى هذا
الوعد استعجال لما وعدوا من العذاب استبعاد له قل لا أملك لنفسي ضرا من مرض وفقر ولا نفعا
من صحة او غنى الا ما شاء الله استثناء منقطع اى ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم
الضرر وجلب العذاب لكل أمة أجل يعنى ان عذابكم له اجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان
اذا جاء ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوه وقد ابن سيرين اذا جاء أجلهم بياتا نصب
على الظرف بمعنى وقت بيات فان قلت هلا قيل ليلا او نهارا قلت لانه اريد ان اتاكم
عذابه وقت بيات فبيتكم وانتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو والمباغت والبيات
بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله نهارا معناه في وقت انتم فيه مشتغلون بطلب
المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون الضمير في منه للعذاب والمعنى
ان العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فاى شئ تستعجلون منه وليس شئ منه يوجب
الاستعجال ويجوز ان يكون معناه التعجب كانه قيل اى هول شديد تستعجلون منه ويجوز
ان يكون للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تع فان قلت بم تعلق الاستفهام و
اين جواب الشرط قلت تعلق بارايتم لان المعنى اخبرونى ماذا يستعجل منه المجرمون
وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطاء فيه فان قلت هلا قيل
ماذا تستعجلون منه قلت اريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان من
حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه وذلك من تجنبه وان ابطاه فضلا ان يستعجله ويجوز
ويجوز ان يكون ماذا تستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمنى ثم يتعلق
بارايتم وان يكون أثم اذا ما وقع امنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى
أإن اتيكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم
كدخوله على الواو والفاء في قوله أفامن اهل القرى أو امن اهل القرى الآن على ارادة القول
اى قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون يعنى وقد كنتم تكذبون
ان استعجالهم كان على وجه التكذيب والانكار وقرئ آلآن بحذف الهمزة التى بعد اللام و
القاء حركتها على اللام ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المضمر قبل الآن ويستنبئونك ويستخبرونك
فيقولون أحق هو وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء وقراءة الاعمش الحق هو

بوزن عاون

قل إى وربى إنه لحق وما أنتم بمعجزين ۝ ولو أن لكل نفس ظلمت ما فى الأرض لافتدت به وأسروا
الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ۝ ألا إن لله ما فى السموات والأرض
ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ۝ هو يحيى ويميت وإليه ترجعون ۝ يا أيها الناس

وهو داخل في الاستهزاء لتضمنه بانه باطل وذلك ان اللام للجنس فكانه قيل اهو الحق لا الباطل
او اهو الذى ستيقنوه الحق والضمير للعذاب الموعود وايى بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل
بمعنى قد في الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون في التصديق ايو فيصلون بها والقسم ولا ينطقون
به وجدا وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ظلمت صفة لنفس على ولو
ان لكل نفس ظالمة ما في الارض ما في الدنيا اليوم من خزائنها واموالها وجميع منافعها على اكثرها
لافتدت به لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه واسروا
الندامة لما رأوا العذاب لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة
الامر وتفاقم ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع
سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب كما يرى المقدم للصلب يتجلده بما دهمه من فظاعة
الخطب ويتغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل اسروها اظهروها لان اخفاء
من سفلتهم الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها اخلصوها لان اخفاء
اخلاصها وامامن قولهم سر الشئ لخالصه وفيه تهكم بهم وباخطائهم وقت اخلاص الندامة وقيل
اسروا الندامة اظهروها من قولهم اسر الشئ واشره اذا اظهره وليس هناك تجلد وقضى بينهم
اى بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله وان المثيب
المعاقب ما وعد من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما
غيره والى حسابه وجزائه المرجع ليعلم ان الامر كذلك فيرجى ولا يغتر به المغترون قد جاءتكم
موعظة اى قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد هو شفاء اى دواء
لما في صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء الى الحق ورحمة لمن آمن به منكم اصل الكلام بفضل
الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتوكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل
والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فخذ في احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء
داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشئ فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما ويجوز
ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل
الله وبرحمته فبذلك فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء هو الاصل والقياس وهى
قراءة رسول الله صلعم فيما روى وعنه لتاخذوا مضاجعكم قالها في بعض الغزوات وفي قراءة ابى
فافرحوا هو راجع الى ذلك وقرئ مما يجمعون بالياء والتاء وعن ابن كعب رض ان رسول الله صلعم

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ
وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ

قل لا قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فلتكن بالله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه
ارأيتم اخبروني وما انزل الله ما في موضع النصب بانزل او ما رأيتم في معنى اخبروني فجعلتم منه حراما
وحلالا اي انزل له الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقولهم هذه انعام وحرث
حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا آلله اذن لكم متعلق بارأيتم وقل تكرير
للتوكيد والمعنى اخبروني آلله اذن لكم في التحريم والتحليل فانتم تفعلونه ذلك باذنه ام تكذبون على الله
في نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله تقرير للافتراء
وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسأل عنه من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وان
لا يقول احد في شيء جائز او غير جائز الا بعد ايقان واتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت والا فهو مفتر
على الله يوم القيامة منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه بمعنى اي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو
يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث لم يؤمنوا وقراءة عيسى بن عمر وما ظن على لفظ
الفعل ومعناه واي ظن ظنوا يوم القيامة وجيء به على الماضي لانه كائن فكأنه قد كان ان الله لذو فضل على
الناس حيث انعم عليهم بالعقل وزجرهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة
ولا يتبعون ما هديناهم اليه وما تكون في شأن ما نافية والخطاب لرسول الله صلعم والشأن الامر واصله الهمزة
بمعنى القصد من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير في منه للشأن لان تلاوة القرآن شأن من
شأن رسول الله صلعم بل هو معظم شأنه او للتنزيل كانه قيل وما تتلو من التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن
والاضمار قبل الذكر تفخيم له وما تعملون انتم جميعا من عمل اي عمل كان الا كنا عليكم شهودا
شاهدين رقباء نحصي عليكم اذ تفيضون فيه من افاض في الامر اذا اندفع فيه وما يعزب قرئ بالضم والكسر
وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب ولا اصغر من ذلك ولا اكبر القراءة بالنصب والرفع والوجه
النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما بنفسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة او على
لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قولك لا يعزب عنه شيء الا في كتاب مشكل
فان قلت لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله في سورة سبأ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في
السماوات ولا في الارض قلت حق السماء ان يقدم على الارض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون اهل
الارض واحوالهم واعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لائم ذلك ان قدم الارض على السماء على ان العطف بالواو
حكمه حكم التثنية اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله الذين آمنوا وكانوا
يتقون فهو توليهم اياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة فهو توليه اياهم وعن سعيد بن جبير ان رسول الله

الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ

صلعم سئل عن اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس رض الاخبات
والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن عمر رض سمعت النبي صلعم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء
ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا بمكانهم وما اعمالهم فلعلنا
نحبهم قال هم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من
نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم تلا هذه الآية الذين آمنوا نصب على الرفع على المدح
او على وصف الاولياء او على الابتداء والخبر لهم البشرى في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان
من كتابه وعن النبي صلعم هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه صلعم ذهبت النبوة وبقيت المبشرات
وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن ابي ذر رض قلت لرسول الله صلعم الرجل يعمل العمل لله
ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال تعالى
تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا واما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة اياهم
مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحف بايمانهم وما يقرؤه منها
وقيد ذلك من البشارات لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله ما يبدل القول لدي
وذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين من اعتراض ولا يحزنك وقدي ولا يحزنك
من احزنه قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر
ما يتكلمون به في شأنك ان العزة استيناف بمعنى التعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا
اي ان الغلبة والقهر في ملكه الله جميعا لا يملك احد شيئا منها لاهم ولا غيرهم فهو يغلبهم ويقهرك عليهم
كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا وقرأ ابو حيوة ان العزة بالفتح بمعنى لان العزة على صريح
التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم انكر فالمنكر هو تخريجه لا ما انكر من القراءة به هو السميع العليم
يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعدون عليه وهو مكافئهم بذلك من في السموات ومن في الارض
يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له وفي ملكه
فهم عبيده كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم
مما لا يعقل اخق ان لا يكون له ندا وشريكا على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او انسي فضلا عن صنم او غير
ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر ومعنى ما يتبعون شركاء وما يتبعون
حقيقة الشركاء وما كان يسميها الشركاء لان شركة الله في الربوبية محال ان يتبعوه الا ظنهم
انها شركاء وانهم الا يخرصون يحزرون ويقدرون ان يكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز ان يكون وما يتبع

وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝ قَالُوا
اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَٰذَا

في معنى الاستفهام يعني اي شيء يتبعون وشركاء على هذا انتصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه ان يعدى
الاستفهام وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على احدهما للدلالة ويجوز ان يكون ما
موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء او ولله شركاؤهم وقرأ
علي بن ابي طالب رض تدعون بالتاء ووجهه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام او واي شيء يتبع الذين تدعونهم
شركاء من الملائكة والنبيين يعني انهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تتبعون مثل فعلهم كقوله اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هؤلاء المشركون
الا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملائكة والنبيون من الحق ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده
التي استحق بها ان يوحد بالعبادة بانه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يتقاسون في نهارهم
من تعب التردد في المعاش والنهار مضيئا يبصرون فيه مطالب دنياهم ومكاسبهم لقوم يسمعون
سماع معتبر مدكر سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد
لان ما يطلب به الولد من بقاء ذكره وما يطلبه له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد
عنه منتفيا له ما في السموات وما في الارض هو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ احد منهم ولدا ان عندكم من سلطان
بهذا ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حجة ان يتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا
للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موذ كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون
لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذلك جهل وليس بعلم يفترون
على الله الكذب باضافة الولد اليه متاع في الدنيا اي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك
حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعد كبر
عليكم عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين ويقال تعاظمه الامر
مقامي مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام
ربه بمعنى خاف ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم مددا طويلا الف سنة الا خمسين عاما او مقامي
وتذكيري لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا
كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود فاجمعوا امركم وشركاءكم من
اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون فان توليتم فما سألتكم من اجر ان اجري
الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات

فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع

من الجمع وشركاءكم نصب عطفا على المفعول او لان الواو بمعنى مع وفي قراءة ابي فاجمعوا امركم وادعوا
شركاءكم فان قلت كيف جاز اسناد الاجماع الى الشركاء قلت على وجه التهكم كقوله قل ادعوا
شركاءكم ثم كيدون فان قلت ما معنى الامر من امرهم الذي يجمعونه وامرهم الذي لا يكون عليهم غمة
قلت اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني فاجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا فيه
وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته
وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واما الثاني فيه وجهان احدهما ان يراد مضاجتهم له وما كانوا فيه معه
من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم ثم اهلكوني ليلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة
اي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثاني ان يراد به ما اريد بالامر الاول والغمة
الستر من غمه اذا ستر ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله اي لا تستر ولكن يجاهر بها يعني ولا
يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي
تريدون بي اي ادوا الي ما في وسعكم كقوله وقضينا اليه ذلك الامر اي ادوا الي ما هو حق عليكم
عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلوني وقرئ ثم افضوا الي بالفاء بمعنى ثم
افضوا الي بشركم وقيل هو من افضى الرجل اذا خرج الى الفضاء اي اصحروا به الي وابرزوه لي فان
توليتم فان اعرضتم عن تذكيري ونصيحتي فما سألتكم من اجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من
طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان اجري الا على الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة اي ما نصحتكم
الا لوجه الله لا لغرض من اغراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين الذين لا يأخذون على تعليم الدين شيئا
ولا يطلبون به دنيا يريد ان ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مأمور به والمراد ان يجعل الحجة
لازمة لهم ويبرئ من ساحته فذكر ان توليهم لم يكن عن تفريط منه في سوق الامر معهم على الطريق الذي يجب
ان يساق عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير فكذبوه فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم في آخر
المدة المتطاولة كتكذيبهم في اولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان وجعلناهم خلائف يخلفون
الهالكين بالغرق كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله عن مثله
وتسلية له ثم بعثنا من بعد نوح رسلا الى قومهم يعني هودا وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا فجاءوهم
بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال لشدة
شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية
مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم احد كذلك نطبع

عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا
وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ

مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لان الخذلان يتبعه الا ترى كيف اسند اليهم الاعتداء ووصفهم به من بعد مجيء الرسل بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تثبيتها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترءوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله لا من قبل موسى وهارون قالوا لجهتهم الشهوات ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر فكيف قيل لهم اتقولون اسحر هذا وهم يعلمون ان الحق بعد شيء من السحر الذي الا تمويها وباطلا فان قلت هم تطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على انه سحر فكيف قيل لهم اتقولون اسحر هذا قلت فيه اوجه ان يكون معنى قوله اتقولون للحق اتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو الذي القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال اسحر هذا فانكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وان يحذف مفعول اتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان هذا لسحر مبين كانه قيل اتقولون ما تقولون يعني قولهم ان هذا لسحر مبين ثم قيل اسحر هذا وان يكون جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لقولهم لكلامهم كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلبناه به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان ومطاوعهما الالتفات والالفتال عما وجدنا عليه آباءنا يعنون عبادة الاصنام وتكون لكم الكبرياء اي الملك والوصف بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشموس ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله: ملكه ملك رافة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء بنفي ما عليه الملوك من ذلك ويجوز ان يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما نحن لكما بمؤمنين اي مصدقين لكما فيما جئتما به وقرئ يطبع ويكون بالياء ما جئتم به السحر ما موصولة واقعة مبتدأ والسحر خبره اي الذي جئتم به هو السحر الذي سماه فرعون وقومه سحرا مثل آيات الله وقرئ آلسحر على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية اي اي شيء جئتم به آلسحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ أئن ما اتيتم به السحر والمعنى ما اتيت به ان الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته بكلماته بآياته وامره وقضاياه وقرئ بكلمته بامره ومشيئته

مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ
وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ

فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ
فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ

فما آمن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون فاجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون آسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله وملائهم قلت الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر اولانه ذو اصحاب يأتمرون له ويجوز ان يرجع الى الذرية اي على خوف من فرعون وخوف من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ويدل عليه قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون لعال في الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين في الفساد والظلم وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا انفسهم لله اي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظير في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة فقالوا على الله توكلنا انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله سبحانه قبل توكلهم واجاب دعاءهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم ظفرا في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه والتفويض اليه فعليه بفضل التخليط الى الاخلاص ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا او يفتنوننا عن ديننا او فتنة لهم يفتنون بها ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا تبوأ المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا مصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلوة فيه واجعلوا بيوتكم تلك قبلة اي مساجد متوجهة نحو القبلة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول امرهم مأمورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة ليلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة فان قلت كيف نوع الخطاب فثنى ثم جمع ثم وحد آخرا قلت خوطب موسى وهرون عليهما السلام ان يتبوآ لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلوة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللبشر بها الزينة ما يتزين به من لباس او حلي او فرش او اثاث او غير ذلك وعن ابن عباس رض كانت لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة حبال فيها حادة من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت فان قلت ما قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك قلت هو دعاء بلفظ الامر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك انه لما عرض عليهم آيات الله وبينات عرضا مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من

وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ
أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ

فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون
وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال

الكفر والضلال المبين ورآهم لا يلبثون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعلى
النصيحة الا أبوا ولم يبق لهم له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال
وان ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت القدرة او علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وافرط
مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم لما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الله الكفرة
مع علمك انه لا يكون غير ذلك ليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم لا يستأهلون الا ان يخذلوا
ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كانه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا
وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما على منهم هم احق بالكفر كما يقول الاب المشفق لولده الشاطر
اذا لم يقبل منه حتى ركب رأسه في مخالفته وجرى عليه ولا ان يريد خلاعته واتباعه هواه و
معنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان قال لا يؤمنوا جواب للدعاء الذي
هو اشد دعاء بلفظ النهي وقد جعلت اللام في ليضلوا على التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا في
الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا وقوله فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على اموالهم
واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقرأ الفضل الرقاشي انك
آتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم قرئ دعواتكما قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن
ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن وقته فاستقيما
فاثبتا على ما انتم عليه من الدعوة والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح في قومه الف عام الا قليلا
فلا تستعجلا قال من جوع فمكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون
اي لا تتبعا سبيل الجهلة بعباده الله في تخليقه الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة
وهذا كما قال لنوح علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة
وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع قرأ الحسن
وجوزنا من اجاز المكان وجاوزه وجوز وليس من جوز الذي في بيت الاعشى وأذا تجوزها
رجال قبيلة لانه لو كان منه لكان حقه ان يقال وجوزنا بني اسرائيل في البحر كما قال جوز السلحت
في الباب فأتبعهم فلحقهم يقال تبعه حتى اتبعه قرأ الحسن وعدوا وقرئ انه
بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان وانه بالكسر على بدل من آمنت كذا في الحذف الحسن الواحد
ثلث حركات في ثلث جهات جزما على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطأ وقته وقال حين لم يبق له
اختيار قط وكانت الحركة الواحدة كافية في حال الاختيار عند بقاء التكليف الآن الزمن الساعة

قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن
آياتنا لغافلون ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما

في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك لجهة الغرق يعني
حين اوشك ان يغرق وقيل قاله بعد ان غرق في نفسه والذي يحكى انه حين قال حين آمنت
اخذ جبريل من حال البحر فدسه في فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه واما
ما يفهم الينا خشية ان يدركه رحمة الله فمن زيادات الجاهلين لله وملائكته وفيه جهالتان احديهما
ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى ان من كره ايمان الكافر واجبت بقاءه
على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر من المفسدين المضلين عن الايمان كقوله الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروي ان جبريل اتاه بفتيا ما قول الامير
في عبد نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو
العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعمائه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق
ناوله جبريل خطه فغرقه نجيك بالتشديد والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل
نلقيك بنجوة من الارض وقرئ نحيك بالحاء نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك انه طرح بعد الغرق بجانب
البحر قال كعب رماه اليم الساحل كانه تؤريدنك في موضع الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت
بدن او يبدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا مل غير لباس او بدرعك
قال عمرو بن معدي كرب اعاذل شكتي بدرعي وسيفي وكل مقلص سلس القياد وكانت درع من
ذهب يعرف بها وقرأ ابو حنيفة بابدانك وهو على وجهين اما ان تكون مثل قولهم هوى باجزائه يعني بيدنك
كله وافيا باجزائه او يريد بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لمن خلفك آية لمن وراءك من الناس علامة وهم
بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شأنا من ان يغرق وروي انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت
ابدا وقيل اخبرهم موسى عليه السلام انه لم يصدقوه فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه وكان مطرحه
على ممر بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن يأتيك بعدك من القرون ومعنى كونه آية ان ينظر الناس عبوديته
وهمانته وان ما كان يدعيه من الربوبية كان باطلا وان ما كان فيه من عظم الشان وكبرياء الملك ليس الى ما
ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره او لتكون عبرة تعتبر بها الامم بعدك فلا يجترؤا على نحو ما جرأت عليه اذا سمعوا
بحالك وهوانك على الله وقرئ لمن خلفك بالقاف ولتكون لخالفك آية كسابر آياته ويجوز ان يراد لينجو
طرحك على الساحل وحدك دون سائر من الغرقى ليلا يشتبه على الناس امرك وليلا يقولوا لا دعائك العظمة ان
مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التي لا تقدر عليها احد غيره وليعلموا ان ذلك تحدث منه لاماطة الشبهة
في امرك جبوءة صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا شعبا الا من

فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ
عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ

بعدما قرؤوا التورية وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه تفرق عنه وقيل هو العلم محمد صلعم وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وانه هو ام ليس بعدما جاءهم العلم والبيان انه هو لم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم قال قلت كيف قال الرسول الله صلعم فان كنت في شك مما انزلنا اليك مع قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب قلت فرق عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه مريب باثبات الشك لهم على سبيل التاكيد والتحقيق وبين قوله فان كنت في شك على الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا فسئل الذين يقرؤون الكتاب والمعنى ان الله عز وجل قدم ذكر بني اسرائيل وهم قراءة الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله مكتوب عندهم في التورية والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاراد ان يؤكد عليهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد صلعم وبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من الحجة شبهة في الدين ان يسارع الى ازالتها واما طلبها اما بالرجوع الى قوانين الدين وادلته واما بمقاولة العلماء المتدينين على الحق فسل علماء اهل الكتاب يعني انهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك وقتلها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومسالتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف العلماء بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه قال لقد جاءك الحق من ربك او ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله او فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز ان يكون على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال صلعم عند نزوله لا اشك ولا اسئل بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس رضي الله عنه والله ما شك طرفة عين ولا سال احدا منهم وقيل خوطب رسول الله والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم في شك مما انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز اخوك فهن وقيل ان للنفي اي فما كنت في شك فسل يعني لانا مزكيها السوال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابرهيم عليه بمعاينة احياء الموتى وقرئ فسال الذين يقرؤون الكتب حقت عليهم كلمة ربك ثبتت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون عين وتلك كتابة معلوم لا كتابة متجدد وحداه تعالى الله عن ذلك فلولا كانت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة وقت بقاء التكليف ولم تؤخر

الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس ان

كما اخر فرعون الى ان اخذ مخنوقا فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرأ عبد الله والا قوم يونس لما آمنوا وتجوز ان يكون متصلا والجملة في معنى النفي كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل روي عن الجرمي والكسائي روي ان يونس عليه بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم تحيط حتى يغشى مدينتهم وتسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدوابات واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم الله وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود رضي الله عنه بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل فرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك مشيئة القسر والالجاء لآمن من في الارض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه الا ترى الى قوله افانت تكره الناس يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشاركه فيه احد هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وما كان لنفس يعني من النفوس التي علم انها تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله وهو منح الالطاف ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وسمى الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ الرجز بالزاي وقرئ ويجعل بالنون ماذا في السموات والارض من الآيات والعبر وما تغني الآيات والنذر والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما يغني بالياء وما نافية واستفهامية ايام الذين خلوا من قبلهم وقائع الله فيهم كما تقول ايام العرب لوقائعها ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الا مثل ايام الذين

آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد
الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين
وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك

ظلوا كأنه قيل هلك الأمم ثم نجي رسلنا على حكاية الأحوال الماضية والذين آمنوا ومن آمن معهم كذلك
ننجي المؤمنين مثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني ذلك علينا حقا
وننجي بالتشديد يا أيها الناس يا أهل مكة إن كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا
وصفه وأعرضوا على عقولكم وانظروا فيه بعين الإنصاف لتعلموا أنه دين لا مدخل للشك وهو أني
لا أعبد الجمادات التي تعبدونها من دون من هو إلهكم وخالقكم ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وإنما
وصفه بالتوفي ليريهم أن الحقيق بأن يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شيء وأمرت أن أكون
من المؤمنين أن الله أمرني بذلك بما ركب في من العقل وبما أوحى إلي في كتابه وقيل معناه إن
كنتم في شك من ديني ومما أنا عليه أثبت عليه أم أتركه فلا تجدوا أنفسكم بالمحال ولا تشككوا في أمري
وأقطعوا عني أطماعكم واعلموا أني لا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولا أختار الضلالة على الهدى
كقوله قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون وأمرت أن أكون أصله بأن أكون فحذف الجار وهذا
الحذف يحتمل أن يكون الحذف المطرد الذي موضعه الحروف الجارة مع أن وأن وأن يكون من الحذف غير المطرد
وهو قوله أمرتك الخير فاصدع بما تؤمر فإن قلت عطف قوله وأن أقم على أن أكون فيه إشكال
لأنه لا يخلو من أن تكون التي للعبارة أو التي تكون مع الفعل في تأويل المصدر فلا يصح أن تكون للعبارة
وإن كان الأمر مما يتضمن معنى القول لأن عطفها على الموصولة يأبى ذلك وأما القول بكونها موصولة مثل الأولى
لم يساعد عليه لفظ الأمر وهو أقم لأن الصلة حينئذ إن تكون جملة تحتمل الصدق والكذب قلت
قد سوغ سيبويه أن توصل أن بالأمر والنهي وشبهه ذلك بقولهم أنت الذي تفعل على الخطاب لأن الغرض وصلها
بما يكون معه في معنى المصدر والأمر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الأفعال أقم وجهك استقم إليه
ولا تلتفت يمينا وشمالا وحنيفا حالا من الدين أو من الوجه فإن قلت معناه فإن دعوت من دون الله ما لا
ينفعك ولا يضرك فكنت عنده بالفعل إذا من الظالمين إذا جزاء للشرط وجواب للسؤال المقدر
كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الأوثان فجعل من الظالمين لأنه لا ظلم أعظم من الشرك إن الشرك
لظلم عظيم أتبع النهي عن عبادة الأوثان ووصفها بأنها لا تنفع ولا تضر أن الله عز وجل هو الضار
النافع الذي إن أصابك بضر لم يقدر على كشفه إلا هو وحده دون كل أحد فكيف بالجماد الذي لا يقدر
له وكذلك إن أرادك بخير لم يرد أحد ما يريد بك من فضله وإحسانه فكيف بالأوثان فهو المحقوق بأن
يوجه إليه العبادة دونها وهو أبلغ من قوله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني
برحمة هل هن ممسكات رحمته فإن قلت ثم ذكر المس في أحدهما والإرادة في الثاني قلت

وهو الغفور الرحيم قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي
لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم
الله وهو خير الحاكمين

كأنه أراد أن يذكر الأمرين جميعا الإرادة والإصابة في كل واحد من الضر والخير وأنه لا راد لما يريد منهما
ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بأن ذكر المس وهو الإصابة في أحدهما والإرادة في الآخر
ليدل بما ذكر على ما ترك على أنه قد ذكر الإصابة بالخير في قوله نصيب به من نشاء من عباده والمراد بالمشيئة
مشيئة المصلحة قد جاءكم الحق فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فإنما نفع
باختياره لا نفسه ومن آثر الضلال فإنما ضر لا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضرر وما
وكل إليهم الأمر بعد إبانة الحق وإزاحة العلل فيه حث على اتباع الهدى واطراح الضلال مع
ذلك وما أنا عليكم بوكيل بحفيظ موكول إلي أمركم وجملكم على إنما أنا نذير وبشير واصبر على
دعوتهم واحتمال أذاهم وأعراضهم حتى يحكم الله لك بالنصر عليهم والغلبة وروي أنها لما نزلت جمع
رسول الله صلعم الأنصار فقال إنكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني أني أمرت في
هذه الآية بالصبر على ما سوى الكفرة فصبرت فاصبروا أنتم على ما يسوءكم لا جرم قال أنس
فلم نصبر وروي أن أبا قتادة رضي تخلف عن تلقي معوية حين قدم المدينة وقد تلقته الأنصار ثم
دخل عليه فقال له ما لك لم تتلقنا قال لم تكن عندنا دواب قال فأين النواضح قال قطعناها في
طلبك وطلب بني يوم بدر وقد قال رسول الله صلعم يا معشر الأنصار إنكم ستلقون بعدي أثرة قال
معوية فماذا قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبر قال إذن نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان
ألا أبلغ معوية بن حرب ... أمير الظالمين نثا كلامي ... بأنا صابرون فمنتظركم ... إلى يوم التغابن والخصام ... عن رسول الله صلعم من قرأ سورة يونس أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق
بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وعشرون وثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير

لم يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصص ويجوز أن يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف إذا صار
حكيما أي جعلت حكيمة كقوله آيات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم أحكمت الدابة إذا
وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير بني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم
أن أغضبا وعن قتادة أحكمت من الباطل ثم فصلت كما يفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد
والأحكام والمواعظ والقصص أو جعلت فصولا سورة سورة وآية آية أو فرقت في التنزيل ولم
تنزل جملة واحدة أو فصل فيها ما يحتاج إليه العباد أي بين وخص وقرئ أحكمت آياته

مِن لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ
تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي

فصلت آياته احكمت آياته ثم فصلت وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل
فان قلت ما معنى ثم قلت ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي
محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدأ محذوف
واحكمت صفة له وقوله من لدن حكيم خبير صفة ثانية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون صلة
لـ احكمت وفصلت اي من عنده واحكامها تفصيلها وفيه طباق حسن لان المعنى احكمها وفصلها
او بينها وشرحها خبير بكيفيات الامور ان لا تعبدوا مفعول له على معنى لئلا تعبدوا او تكون ان مفسرة
لـ لان في تفصيل الآيات معنى القول كانه قيل قال لا تعبدوا الا الله او امركم ان لا تعبدوا الا الله وان
استغفروا اي امركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز ان يكون ان لا تعبدوا ما ابتداء منقطعا عما قبله على
لسان النبي صلعم اعلاما منه على اختصاص الله بالعبادة ويدل عليه قوله انني لكم منه نذير وبشير
كانه قال ترك عبادة غير الله انني لكم منه نذير مبين كقوله فضرب الرقاب والضمير في منه لله
اي انني لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله او هي صلة لنذير اي انذركم منه ومن عذابه ان
كفرتم وابشركم بثوابه ان آمنتم فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم توبوا اليه قلت معناه
استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة واستغفروا والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة
واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا يمتعكم يطول تمتعكم في الدنيا منافع حسنة مرضية من عيشة راضية
واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى الى ان يتوفيكم كقوله فلنحيينه حياة طيبة ويؤت كل ذي
فضل فضله ويعطي في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا ينخس منه او فضله
في الثواب والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات وان تولوا وان تتولوا عذاب
يوم كبير هو يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل وبين عذاب الكبير بان مرجعهم الى من هو
قادر على كل شيء فكان قادرا على اشد مما اراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ فان تولوا من ولى يثنون
صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف
ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعني يريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين
على ازورارهم ونظيره اضمار يريدون لقوله والمعنى الى اضمار الاضمار في قوله ثم اضرب بعصاك البحر
فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى الا حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفاء حين يستغشون
ثيابهم ايضا كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في آذانهم ثم قال الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون يعني انه لا تتفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء
ثني الصدور معنى الاعراض واستغشى ثيابهم

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝ وَهُوَ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ

والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنه روي انها نزلت في الاخنس بن
شريق وكان يظهر لرسول الله المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث فكان يعجب رسول الله صلعم
مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين وقرئ تثنوني
صدورهم واثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وقرئ بالياء
والتاء وعن ابن عباس رض لتثنوني وقرئ تثنون واصله تثنوين تفعوعل من الثني
وهو ما هشن وضعف من الكلاء يريد مطاوعة صدورهم للثني كما يثني الهشيم من النبات
او اراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنين من الثنان افعال منه ثم ضمن معنى قيل
ايناضت واذهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي فان قلت كيف قال على الله
رزقها بلفظ الوجوب وانما هو تفضل قلت هو تفضل الا انه لما ضمن ان يتفضل به عليهم
رجع التفضل واجبا لكذور العباد والمستقر مكانه من الارض ومسكنه والمستودع حيث كان يبيت
المستقر من صلب او رحم او بيضة كل واحد من الدابات ورزقها ومستقرها ومستودعها
في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين وكان عرشه على الماء او ما كان تحته خلق قبل خلق السماوات
والارض وارتفاعه فوقها الا الماء وفيه دليل على ان العرش والماء مخلوقان قبل السموات والارض
وقيل وكان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك وكيف ما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما
ازدادت الاجرام كانت احوج اليه في امساكه ليبلوكم متعلق بخلق او خلقهن محكمة بالغة وهي ان
يجعلها مساكن لعباده ويتم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن
شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد
ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاجلكم كيف تعملون فان قلت كيف جاز تعليق فعل البلوى
قلت لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن
وجها واسمع ايهم احسن صوتا لان النظر والاستماع من طرق العلم فان قلت كيف قيل
ايكم احسن عملا واعمال المؤمنين هي التي تتفاوت الى احسن واحسن واما اعمال المؤمنين والكافرين
فتتفاوت الى احسن وقبيح قلت الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى
تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم
منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم وعن النبي صلعم ليبلوكم ايكم احسن عقلا
واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقرئ ولئن قلت انكم مبعوثون بفتح الهمزة ووجهه

يَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ
لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ وَلَئِنْ

ان يكون من قولهم ايت السوق عنك تشترى لحما وانك تشترى بمعنى علك اه ولين قلت لم لعلكم تبعثون
بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بانكار لقالوا ان هذا الا سحر مبين باتين القول ببطلانه
ويجوز ان يضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر ان السحر امر باطل وان بطلانه كبطلان
السحر تشبيها له واشاروا بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد
اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وعين وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول والساحر
كاذب مبطل العذاب عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس رض قتل جبريل ال
امة الى الجماعة من الاوقات ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب ويوم يأتيهم
منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم معمول خبر ليس
عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الكامل وحاق بهم واحاط بهم ما
كانوا به يستهزئون العذاب الذى كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزئون موضع يستعجلون لان استعجالهم
كان على جهة الاستهزاء والمعنى وحيق بهم الا انه جاء على عادة الله فى اخبار الانسان للجنس رحمة نعمة من
صحة وامن وجدة ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة اله ليؤس شديد اليأس من ان يعود اليه مثل تلك
النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من صحة فضل الله من غير صبر وتسليم لقضائه ولا استرجاع كفور عظيم
الكفران لما سلف له من التقلب فى نعمة الله نسأله ذهاب السيئات عنى اه المصائب التى سأتى انه لفرح
اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين صبروا
فان عادتهم ان نالهم رحمة ان يشكروا وان نالت عليهم نعمة ان يصبروا وكانوا يقترحون عليه آيات تعنتا
لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية فى رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا
انزل عليه كنز او جاء معه ملك كانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغير ما جاء به من البينات فكان
يضيق صدر رسول الله صلى ان يلقى اليهم ما يتهاونون به ويضحكون منه فحرك الله منه وهيجه لاداء الرسالة
وطرح المبالات بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اه لعلك تترك ان تلقيه
اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بان تتلو عليهم ان يقولوا مخافة
ان يقولوا لولا انزل عليه كنز اه هلا انزل عليه ما اقترحنا من الكنز والملائكة ولم انزل عليه ما
لا نريد ولا نقترحه ثم قال انما انت نذير اه ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحى اليك وتبلغهم ما
امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا او اقترحوا والله على كل شئ وكيل يحفظ ما يقولون
وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك تبليغ الوحى بقلب فسيح وصدر

عملوا الصالحات لان عمل الصالحات سبب الايمان ويدل الصبر على ان المراد
وعملوا الصالحات وشكروا

تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء
معه ملك انما انت نذير والله على كل شئ وكيل

ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان
كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون

منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسخفهم واستهزائهم فان قلت لم عدل عن ضيق الى
ضائق قلت ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله صلى كان افسح الناس
صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا اردت
الحدوث قلت سايد وجايد ونحوه كانوا قوما عاميين فى بعض القراءات وقول الشهرى
العقيلى منزلة اما اللئيم فساسن بها كرام الناس باد شحومها ام منقطعة والضمير فى افتراه لما
يوحى اليك تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما تقول الخايط فى الخط لصاحبه اكتب عشرة
اسطر نحوها اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقترحت منك على سطر واحد مثله يعنى
اسأله ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افترى القرآن واختلقه
من عند نفسه وليس من عند الله قاودهم على دعواهم وارخى معهم العنان وقال هبوا انى اختلقته
من عند نفسى ولم يوح الى وان الامر كما قلتم فأتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم
عرب فصحاء مثلى لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام فان قلت كيف يكون ما يأتون
به مثله وما يأتون به مفترى قلت معناه مثله فى حسن النظم والبيان وان كان مفترى
فان قلت ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو لكم فاعلموا بعدته له قل قلت معناه فان
لم يستجيبوا لك وللمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال فى موضع آخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز ان
يكون الجمع لتعظيم رسول الله كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب
للمشركين والضمير فى لم يستجيبوا لمن استطعتم يعنى فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظا
هرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا انما انزل بعلم الله اه انزل ملتبسا
بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله
وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون منابعون بالاسلام بعد هذه الحجة
القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذى انتم عليه
وازدادوا يقينا وثباتا قدم على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم
مخلصون نوف اليهم نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس فى الدنيا وهو ما يرزقون
فيها من الصحة والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال للفقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ
فقد قيل ذلك لمن وصل الرحم وتصدق وتعلمت حتى يقال فقيل لمن قاتل فقتل ما قلت حتى يقال فلان
جرئ فقد قيل وعن انس من ماكر منهم اليهود والنصارى ان اعطوا اسايلا او دملوا رجا عجل لهم جزاء ذلك

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ
مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ

بتوسعة في الرزق وصحة البدن وتيسير الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلعم فاتهم لهم
في العنايم وقرئ يوفّ بالياء على ان الفعل لله عز وجل ونوفّ اليهم اعمالهم بالتاء وعلى البناء للمفعول
وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله لا تأتيني فتحدثني وحبط
ما صنعوا فيها وحبط في الآخرة ما صنعوه او صنيعهم بمعنى لم يكن له ثواب لانهم لم يريدوا الآخرة وانما ارادوا
به الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح
والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب فيه وجهان ان تكون ما
ابهامية وينتصب بمعلوه ومعناه باطلا الذي باطل كانوا يعملونه افمن كان على بينة معناه افمن كان
يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة او لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا
بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وفيمن كان على بينة من ربه اي على برهان
من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اي شاهد يصحبه
وهو القرآن منه او شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفا ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى
وهو التورية اي ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب
ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه ويقرأه القرآن شاهد منه شاهد ممن كان
على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن فكفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب
ومن قبله كتاب موسى يتلوه من قبل القرآن التورية اماما يؤتم به في الدين فيؤخذ فيه ورحمة ونعمة عظيمة
على المنزل اليهم اولئك يعني من كان على بينة يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل
مكة ومن ضاهاهم من المتحزبين على رسول الله صلعم فالنار موعده فلا تك في مرية وقرئ مرية
بالضم وهي الشك منه من القرآن او من الموعد تعرضون على ربهم يحشرون في الموقف وتعرض
اعمالهم وتشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الذين كذبوا على الله بانه اتخذ ولدا
وشريكا وتقال الا لعنة الله على الظالمين فواخذوا بها ووافيتموها والاشهاد جمع
شاهد او شهيد كاصحاب او اشراف ويجوز ان يكون جمعا يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او يبغون
اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتاكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به اولئك لم يكونوا
معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم من دون الله
فينصرهم ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام
الاشهاد يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعف ما كانوا يستطيعون السمع اراد انهم لفرط

هم كافرون اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون من اولياء يضاعف
لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون

اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين

تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض الحجرة يتوثب اذا عدل عليه فيوقع
به على اهل العدل كانهم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يحجبه
سمعي ويحتمل ان يريد بقوله ما كان لهم من اولياء انهم جعلوا آلهتهم اولياء من دون الله وولايتها ليست
بشيء مما كان لهم في الحقيقة من اولياء ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون
فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد خسروا انفسهم اشتروا عبادة
الآلهة بعبادة الله فكان خسرانهم في تجارتهم مثلا لخسران اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم وضل عنهم
وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها فسر لا جرم في مكان آخر
هم الاخسرون لانه لا احد ابين خسرانا منهم واخبتوا اطمأنوا اليه وانقطعوا اليه الى
عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الذي الخبيث قال
ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيث وقيل التاء فيه بدل من الثاء شبه فريق
الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق وفيه معنيان ان يشبه
الفريق بشبهين اثنين كاشبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وان يشبهه بالذي
جمع بين العمى والصمم او الذي جمع بين البصر والسمع على ان يكون الراوي والاصم في والسميع لعطف
الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب هل يستويان يعني الفريقين مثلا تنبيها اي
ارسلنا نوحا بانني لكم نذير ومعناه ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر
فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وهو قولك لزيد كالاسد وقرئ بالكسر
على ارادة القول ان لا تعبدوا بدل من اني لكم اي ارسلنا بان لا تعبدوا الا الله او تكون ان مفسرة متعلقة
بارسلنا او بنذير وصف اليوم باليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه فان قلت فاذا وصف
به العذاب قلت مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب ونظيره قوله لكم نهار صائم
وجد جده الملأ الاشراف من قومه فلان ملأ بكذا اذا كان مطيقا وقد ملؤوا بالامر لانهم مملوؤا
بكفاية تلك الامور واضطلعوا وبتدبيرها او لانهم يتملأون اي يتظاهرون ويتساندون او لانهم يملؤون القلوب
هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملأ بملء الاحلام والآراء الصائبة ما نراك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم حقه
بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملأ وتجوز لهم في المنزلة فما جعلك احق
منهم الا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل او ارادوا انه كان ينبغي ان يكون ملكا بشرا والاراذل جمع
الارذل كقوله اكابر مجرميها اجاسمكم اطلافا قرئ بادي الراي بالهمز وغيره الهمز بمعنى اتبعوك اول

ارادوا جمع اسم التفضيل حال اضافته سنا كما جمع في اكابر مجرميها
واحاسنكم اخلاقا

يحتمل ان يشبه كل فريق بشيء واحد فيكون تشبيها واحدا ويحتمل ان يشبه كل فريق بشيئين اثنين وهذا الاسلوب سر البلاغة بالاستشهاد

وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني
رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ويا قوم لا أسألكم عليه

الرأي أو ظاهر الرأي وانتصابه على الظرف وأصله وقت حدوث أول رأيهم أو وقت حدوث ظاهر
رأيهم فحذف ذلك وأقيم المضاف إليه مقامه أرادوا أن اتباعهم لك إنما هو شيء عن لهم بديهة من غير
روية ونظر وإنما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم في الأسباب الدنيوية لأنهم كانوا جهالا ما
كانوا يعلمون إلا ظاهرا من الحيوة الدنيا فكان الأشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى أكثر المتسمين
بالإسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه إكرامهم وإهانتهم ولقد دل عنهم أن التقدم في الدنيا لا يقرب
أحدا من الله وإنما يبعد ولا يرفعه بل يضعه فضلا أن يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتأهيل
لها على أن الأنبياء لم يكونوا مرغبين في طلب الآخرة ورفض الدنيا متزهدين فيها مصغرين لشأنها و
شأن من أخلد إليها إنما أبعدهم من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله من
فضل من زيادة شرف علينا تؤهلكم بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه أرأيتم أخبروني إن كنت
على بينة على برهان من ربي وشاهد له يشهد بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده بإيتاء البينة
على أن البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز أن يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة فإن قلت
فقوله فعميت عليكم ظاهر على الوجه الأول فما وجهه على الوجه الثاني والحق أن يقال فعميتا قلت
الوجه أن يقدر فعميت بعد البينة وأن يكون حذفه للاقتصار على ذكر مرة ومعنى عميت خفيت
وقرئ فعميت بمعنى أخفيت وفي قراءة أبي فعماها عليكم فإن قلت فما حقيقته قلت
حقيقته أن حقيقة الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي
فيه فعمي عليكم البينة فلم تهتدوا كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد فإن قلت
فما معنى قراءة أبي قلت المعنى أنهم صمموا على الإعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت
تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله أنلزمكموها وأنتم لها كارهون يعني أنكرهكم على قبولها
ونقسركم على الاهتداء وأنتم تكرهونها ولا تختارونها ولا أكراه في الدين وقد جمع بضميري المفعولين
متصلين جميعا ويجوز أن يكون الثاني منفصلا كقولك ألزمكم إياها ونحن فسيكفيكهم الله ويجوز
فسيكفيكإياهم وحكي عن أبي عمرو إسكان الميم ووجهه أن الحركة لم تكن إلا خلسة خفيفة فظنها
الراوي سكونا والإسكان القبيح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لأن الحركة
الإعرابية لا يسوغ ظنها إلا في ضرورة الشعر والضمير في قوله لا أسألكم عليه راجع إلى قوله لهم إني
لكم نذير مبين إلا تعبدوا إلا الله وقرئ وما أنا بطارد الذين آمنوا بالتنوين على الأصل فإن
قلت ما معنى قوله أنهم ملاقوا ربهم قلت معناه أنهم يلاقون الله فيعاقب من

ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا
أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم

من طردهم فيجازيهم على ما في قلوبهم من إيمان صحيح ثابت كما ظهر لك منهم وما أعرف غيبة منهم
أو على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء إيمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر وما علي إن
أشق عن قلوبهم وأعرف سر ذلك منهم حتى أطردهم إن كان الأمر كما تتوهمون ونحن ولا تطرد الذين
يدعون ربهم الآية وهم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون أنهم ملاقوه لا محالة جهلون تتسافهون
على المؤمنين وتدعونهم أراذل من قوله ولا يجهلن أحد علينا أو يجهلون لقاء ربكم أو يجهلون أنهم خير
منكم من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه إن طردتهم وكانوا يسألونه أن يطردهم ليؤمنوا به
أنفة من أن يكونوا معهم على سواء أعلم الغيب معطوف على عندي خزائن الله ولا أقول عندي خزائن الله
ولا أقول أنا أعلم الغيب ومعناه لا أقول لكم عندي خزائن الله فأدعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا
فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا أدعي علم الغيب حتى تتهموني بالكذب ولا أقول أو حتى
أطلع على ما في نفوس أتباعي وضمائرهم ولا أقول إني ملك حتى تقولوا لي ما أنت إلا بشر مثلنا ولا أحكم
على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم أن الله لا يؤتيهم خيرا في الدنيا والآخرة لهوانهم عليه
كما تقولون مساعدة لكم وتدلا على هواكم إني إذا لمن الظالمين إن قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال
من زرى عليه إذا عابه وأزرى به إذا قصر به يقال ازدرته عينه واقتحمته عينه جادلتنا
فأكثرت جدالنا معناه أردت جدالنا وشرعت فيه فأكثرته كقولك جاد فلان فأكثر وأطاب فأتنا
بما تعدنا من العذاب المعجل إنما يأتيكم به الله أي ليس الإتيان بالعذاب إلي إنما هو إلى من كفرتم به و
عصيتموه إن شاء يعني إن اقتضت حكمته أن يعجله لكم وقرئ ابن عباس رض فأكثرت جدلنا فإن
قلت ما وجه ترادف الشرطين قلت قوله إن كان الله يريد أن يغويكم جزاء ما دل عليه قوله لا
ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل شرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك إن أحسنت
إلي أحسنت إليك إن أمكنني فإن قلت فما معنى قوله إن كان الله يريد أن يغويكم قلت
إذا عرف الله من الكافر الإصرار لخلاده وشأنه ولم يجد منه سمي ذلك إغواء وإضلالا كما أنه إذا عرف منه
أنه يتوب ويرعوي فلطف به سمي إرشادا وهداية وقيل إن يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل
غوى إذا بشم فهلك ومعناه أنكم إذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا ينفعكم نصائح الله ومواعظه
وسائر الطافه كيف ينفعكم نصحي فعلي إجرامي وإجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله يعلم إسرارهم
وأسرارهم ونحو جرم وأجرام ثقل وأثقال ويفسر الجمع أن قسرة الأولون بأثامي أن صح وثبت
أني افتريته فعلي عقوبة إجرامي أي افتراءي فكان حقي يومئذ أن تتوقعوا عني وتتابعوا علي وأنا

أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون

وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ۝ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ

بدى يعني ولم يثبت ذلك وانا بدا له منه ومعنى مما تجرون عن اجرامكم في اسناد الافتراء الى فلا وجه
لاجرامكم ومعاداتكم لن نؤمن اقناط من ايمانهم وانه كالحال الذي لا تعلق به للتوقع الا من قد آمن الا
من وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد اصابت مجزها فلا تبتئس فلا تحزن حزن بائس
مستكين قال ما يقسم الله اقبل طير مبتئس قد اقعد منه كبرا ناعم البال والمعنى فلا تحزن مما فعلوه
من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد جاء وقت الانتقام لك منهم باعيننا في موضع الحال يعني اصنعها
محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كان الله معه اعينا لكلاءته ان يزيغ في صنعته عن الصواب
وان لا يحول بينه وبين عمله احد من اعدائه ووحينا وانا نوحي اليك كيف تصنع وعن ابن عباس
ما يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جوجؤة الطائر ولا تخاطبني في الذين
ظلموا ولا تدعني في شان قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك انهم مغرقون انهم محكوم عليه
بالاغراق قد وجب ذلك وقضي به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله يا ابراهيم اعرض
عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك حكاية حال ماضية سخروا
منه ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية بينهما في ابعد موضع من الماء في وقت عز الماء عزة
شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد ما كنت نبيا فانا نسخر منكم سخرية مثل
سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل ان تستجهلونا فانا نستجهلكم فيما انتم عليه
من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فانتم اولى بالاستجهال منا وان تستجهلونا فانا نستجهلكم في
استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد
عن الحقائق وروي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون
وطولها في السماء ثلثون ذراعا وكان من خشب الساج وجعل لها ثلثة بطون يحمل في البطن الاسفل الوحوش
والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما
يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله معترضا بين الرجال والنساء وعن الحسن
كان طولها الفا وماتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا
يشهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال
اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن
الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن راسه وقد شاب فقال له عيسى علام اهلكت قال حتى وانا
شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف

مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ
فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ۚ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ

ذراع وماتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكان ثلث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للانس
وطبقة للطير ثم قال له عد كما كنت باذن الله فعاد تلا باسل يأتيه في محل النصب بتعلمون اء فسوف تعلمون
الذي يأتيه عذاب يخزيه ويعني به اياهم وبالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه حلول الدين و
الحق اللازم لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب الآخرة حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام وجملت
على الجملة من الشرط والجزاء فان قلت لما اذا وقعت غاية قلت لقوله ويصنع الفلك وكان
يصنعها الى ان جاء وقت الوعد فان قلت اذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام قلت
هو حال من يصنع كانه قال يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فان قلت فما جواب كلما
قلت انت بين امرين اما ان تجعل سخروا جوابا وقال استيناف على تقدير سؤال السائل او تجعل سخروا
بدلا من مر او صفة للملأ وقال جوابا واهلك عطف على اثنين وكذلك ومن آمن يعني واحمل اهلك والمؤمنين
من غيرهم واستثنى من اهله من سبق عليه القول بذلك لا للعلم بانه يختار الكفر لا لتعدين عليه وارادته
تعالى الله عن ذلك قال الفضحاك اراد ابنه وامرأته الا قليل روي عن النبي صلعم انه قال كانوا ثمانية
نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن محمد بن اسحاق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة
وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع
ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء يجوز ان يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد ان
يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت
ارسائها لان المجرى والمرسى للوقت والا لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت
المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يراد مكان الاجراء والارساء وانتصابهما
بما في بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول والكلامان ان يكون بسم الله مجراها ومرسيها
جملة مقتضبة من مبتدأ وخبر اي بسم الله اجراؤها وارساؤها يروى انه كان اذا اراد ان تجري
قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال فرست ويجوز ان يتجم الاسم كقوله ثم السلام عليكما
ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرسيها بفتح الميم من
جرى ورسى مصدرين او وقتين او مكانين وقرأ مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل
مجرورين على الحال صفتين لله فان قلت ما معنى قولك جملة مقتضبة قلت معناه ان نوحا
علم امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها ومرسيها بذكر اسم الله او بامره وقدرته وتحتمل ان تكون غير
مقتضبة بان تكون في الحال كقوله وحاونا بهم سكرى علينا فلا يكون كلاما بنفسه ولكن

إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ
مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ

من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كانه قيل اركبوا فيها مجراة مرساة
بسم الله معنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين ان ربي لغفور رحيم لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته
اياكم لما بحثاكم فان قلت ثم اتصل قوله وهي تجري بهم قلت بمحذوف دل عليه اركبوا فيها
بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري او تجري وهم فيها في موج كالجبال يريد موج
الطوفان شبه كل موجة بالجبل في تراكمها وارتفاعها فان قلت الموج ما يرتفع فوق الماء عند
اضطرابه ولجيئه وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والارض وكانت الفلك تجري في جوف
الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج قلت كان ذلك قبل التطبيق وقبل ان
يغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قول ابنه سآوي الى جبل يعصمني من الماء قيل اسم ابنه كنعان
وقيل يام وقراء علي رضي الله عنه ابنها والضمير للمرأة وقراء محمد بن علي وعروة بن
الزبير ابنه بفتح الهاء يريد ان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال
قتادة سألته فقال والله ما كان ابنه فقال ان الله حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه
واهل الكتاب لا يختلفون في انه كان ابنه فقال من يأخذ دينه من اهل الكتاب واستدل بقوله
من اهلي ولم يقل مني ولنسبته الى امه وعن ابن عباس احدهما ان يكون دعاه بذلك تحريضا له على سلوك طريق رسول الله
صلى الله عليه وسلم وان يكون لغير رشدة وهو غضاضة عصمت منها الانبياء عليهم السلام وقراء السدي ونادى
نوح ابناه على الندبة والترخيم اي قال يا ابناه والمعزل المفعول من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعني
وكان في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل عن دين ابيه يا بني
قرئ بكسر الياء اقتصارا من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين
لان الراء بعدها ساكنة الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اي
الا مكان من رحم الله من المؤمنين وكان لهم غفورا رحيما في قوله ان ربي لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما
من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل او غيره سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله وتجاهم
يعني السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقوله من ماء دافق وعيشة راضية
وقيل الا من رحم استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا
اتباع الظن وقرئ الا من رحم على البناء للمفعول نداء الارض والسماء بما ينادى به الحيوان
المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر الجمادات وهو قوله يا ارض ابلعي
ويا سماء امرهما بما يوجد به اهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك واقلعي من الله الثقة على الاقتدار

وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ
فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ

العظيم وان السماوات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه
كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا لحتم طاعته
عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور
من غير ريث كما يرد عليه امر كان الحاضر به مغلوبا لا جنس ولا ابطاء والبلع عبارة عن النشف
والاقلاع والامساك يقال اقلع المطر واقلعت الحمى وغيض الماء من غاضه اذا انقصه وقضي الامر
وانجز ما اخبر الله وعد الله نوحا من هلاك قومه واستوت واستقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالجزيرة
بالموصل وقيل بعدا يقال بعد بعدا اذا اراد فاما البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك اختص
بدعاء السوء ومجيء اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وان تلك الامور العظام لا تكون
الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشاركه في افعاله فلا يذهب الوهم الى
ان يقول غيض يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر الهائل غيره ولا ان تستوي السفينة
على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من النكت استفتح علماء البيان هذه
الاية وقضوا لها روعهم لاتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وذكروا ان كان لا يخلي الكلام من
حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التي هي الدر وما عداها قشور وعن قتادة استقلت
بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين يوما ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا
وهبط بهم يوم عاشوراء وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروي
ان نوحا عليه السلام صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى نداؤه ربه دعاء له وهو قوله رب
مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجيه اهله فان قلت فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف
قال رب على نادى بالفاء قلت اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء
قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير الفاء ان ابني من اهلي او بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه
او كان ربيبه فهو بعض اهله وان وعدك الحق اي وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك فيه في انجازه
والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا يفصل الحاكم
على غيره الا بالعدل والعلم ورب غريق في الجهل والمخل الجور من متقلدي الحكومة في زماننا ولقد لقب القضاة
وسماء احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمة حاكم بمعنى ذو حكمة من الذرع وحائض
وطالق على مذهب الخليل انه عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غاية النسب
وان نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك

فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين قال رب إني أعوذ بك أن أسألك
ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات

ومن لم يكن على دينك وإن كان أمس أقاربك رحما فهو أبعد بعيد منك وجعلت ذا تعلا غير صالح مبالغة
في ذمه كقولهم وإنما هي إقبال وإدبار وقيل الضمير لنداء نوح عليه أي إن نداءك هذا عمل غير صالح وليس
بذاك فإن قلت فهلا قيل إنه عمل فاسد قلت لما نفاه عن أهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي
تستبقى معها لفظ المنفي وأذن بذلك أنه إنما أنجى من أنجى من أهله لصلاحهم لا لأنهم أهلك وأقاربك وإن
هذا لما انتفى عنه الصلاح لم ينفعه أبوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما ولم
يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح وقرئ فلا تسألن بكسر النون بغير ياء والإضافة
وبالنون الثقيلة بياء أو غير ياء فلا تلتمس مني ملتمسا أو التماسا لا تعلم أهو صواب أم غير صواب
حتى تقف على كنهه وذكر المسألة دليل على أن النداء قبل أن يغرق حين خاف عليه فإن قلت لم سمي
نداؤه سؤالا ولا سؤال فيه قلت تضمن دعاؤه معنى السؤال وإن لم يصرح به لأنه إذا ذكر
الموعد بنجاة أهله في وقت مشارفة ولده فقد استنجز وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وخطأ
ووعظه أن لا يعود إليه وإلى أمثاله من أفعال الجاهلين فإن قلت قد وعده أن ينجي أهله وما
كان عنده أن ابنه ليس منهم دينا فلما أشفى على الغرق تشابه عليه الأمر لأن العدة قد سبقت له
وقد عرف الله حليما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد وطلب إماطة الشبهة واجب فلم زجر
وسمي سؤاله جهلا قلت إن الله تعالى قدم الوعد بإنجاء أهله مع استثناء من سبق عليه القول
منهم فكان أن يعتقد أن في جملة أهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وإن كلهم ليسوا بناجين
وأن لا يخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في أن من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على
أن أشبه عليه ما يجب أن لا يشتبه أن أسألك من أن أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا
بأدبك وامتثالا بموعظتك وإلا تغفر لي ما فرط مني من ذلك وترحمني بالتوبة علي أكن من الخاسرين
أعمالا وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء بسلام سالما محفوظا من جهتينا أو مسلما عليك مكرما
وبركات عليك ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ وبركة على التوحيد وعلى أمم ممن معك
يحتمل أن يكون من للبيان فيراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة لأنهم كانوا أمما وقيل لهم أمم لأن الأمم
تتشعب منهم وأن يكون لابتداء الغاية أو على أمم ناشئة ممن معك وهي الأمم إلى آخر الدهر وهو الوجه
وقوله وأمم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره ومن معك أمم سنمتعهم وإنما
حذف لأن قوله ممن معك بدل والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشأون ممن
معك وممن معك أمم ممتعون بالدنيا ستقلبون إلى النار وكان نوح عليه أبا الأنبياء والخلق بعد الطوفان

منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيمة
وفيما بعد من المتاع والعذاب كل كافر عن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم أخرج منهم نسلا منهم من
رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالأمم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب تلك إشارة إلى
قصة نوح ومحلها الرفع على الابتداء والجملة بعدها أخبار أو تلك الفخمة بعض أنباء الغيب موحاة إليك
مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا أو من قبل إيحائي إليك وإخبارك بها أو من قبل هذا العلم الذي
كسبته بالوحي أو من قبل هذا العلم فاصبر على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة
لك ولمن كذبك ما يقص لنوح ولقومه أن العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين وقوله ولا قومك
معناه أن قومك الذين أنت منهم على كثرتهم ووفور عددهم إذا لم يكن ذلك شأنهم ولا سمعوا ولا عرفوا فكيف
برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا أهل بلده أظهم واحدا منهم والتشابه للعطف على أرسلنا
نوحا وهودا عطف بيان وغيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ
إن أنتم إلا مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم الأوثان له شركاء ما جئتم رسول إلا واجهه
قومه بهذا القول لأن شأنهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها إلا جسم المطامع وما دام يتوهم
شيء منها لم تنجح ولم تنفع أفلا تعقلون أن يردون نصيحة من لا يطلب عليها أجرا إلا من الله وهو ثواب
الآخرة ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك قيل استغفروا ربكم آمنوا به ثم توبوا إليه من عبادة غيره لأن التوبة
لا تصح إلا بعد الإيمان والمدرار الكثير الدرور كالمغزار وإنما قصد استمالتهم إلى الإيمان وترغيبهم بكثرة
المطر وزيادة القوة لأن القوم كانوا أصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها أشد الحرص وكانوا
وكانوا أحوج شيء إلى الماء وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة القوة والقصر والبطش والبأس والنجدة
مستجيرين بها من الجدب مجيبين في كل ناحية وقيل أراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح
وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم وعن الحسن بن علي رضي الله عنه وفد على معاوية
فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال أتى رجل ذو مال ولا يولد له فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال
عليك بالاستغفار وكان يكثر الاستغفار حتى استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة
بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته ثم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع
قول هود ويزدكم قوة إلى قوتكم وقول نوح ويمددكم بأموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عن دعائي إياكم
وارعوائكم فيه مجرمين مصرين على إجرامكم وآثامكم ما جئتنا ببينة كذبت منهم وجحود كما قالت قريش
لرسول الله صلعم لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر عن قولك إن الضمير في تاركي آلهتنا

وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء
مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة

كانه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح لنا من اشانا ان يصدقوا شلك
فيما تدعوهم اليه اقتناطا له من الاجابة اعتراك مفعول لنقول والا لغو والمعنى ما نقول الا قولنا اعتراك بعض
آلهتنا بسوء اي خبلك ومسك بجنون لسبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافاة لك منها على سوء قولك
بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام الجانين وتهذي هذيان المبرسمين وليس بعجب من اوليك ان يسموا التو
والاستغفار خبلا وجنونا وهم عادة اعلام الكفر واوتاد الشرك وانما العجب من قوم من المتظاهرين
بالاسلام لعنناهم يسمون التائب عن ذنوبه مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم لجذهم معه على عشر ما كانوا
عليه في ايام جاهليته من الوادة وما ذاك الا لعرق من الالحاد اي الا ان ينفض وضب من الزندقة
اراد ان يطلع راسه وقد دلت اجوبتهم المقدمة على ان القوم كانوا اجفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت
ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير دال على جهل مفرط وبلهية متناهية حيث اعتقدوا
في جمادات انها تنتقم وتنتقم ولعلهم حين اجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب من لعظم الايات ان
يواجه بهذا الكلام رجل واحد امة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لفتنة يرتد وانه
يعصمه منهم ولا تنشب فيه مخالبهم ومحو ذلك قول نوح عليه لقومه ثم اقضوا الي ولا تنظرون اكد به الامن
الهتهم وشرهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الامور بشهادة الاشهاد الله وشهادة
العباد فيقول الرجل الله شهيد علي اني لا افعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء علي اني لم افعله فان قلت
هلا قيل اني اشهد الله واشهدكم قلت لان اشهاد الله على البراءة من الشرك اشهاد صحيح ثابت في معنى
تثبيت التوحيد وشدة معاقده واما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فعدل
عن لفظ الاول لاختلاف بينهما وجيء به على لفظ الامر بالشهادة لمن يبيل الشرك بدينه وبينه اشهدك
على اني لا احبك تهكما به واستهانة بحاله تما تشركون من دونه من اشراككم آلهة من دونه او مما تشركونه
من الهة من دونه انتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدوني جميعا
انتم والهتكم اعجلا ما تفعلون من غير انظار فاني لا ابالي بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علي وانتم
الجم افواجا واشد اشدادا فكيف لا تضر في الهتكم وما هي الا جماد لا تضر ولا تنفع وكيف تنتقم مني اذا رأيتني
وصددت عن عبادتها بان تخبلني وتذهب عقلي ولما ذكر توكله على الله وكفته بحفظه وكلاءته من كيدهم
وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال الربوبية عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره
وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل لذلك اي ربي على صراط مستقيم يريد انه على طريق الحق والعدل في ملكه لا
يفوته ظالم ولا يضيع عنده مظلوم به فان تولوا فان تتولوا فان قلت الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء

الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم
فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم

ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربي على كل شيء حفيظ ولما جاء امرنا نجينا هودا
والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله

للشرط قلت معناه فان تتولوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت
به اليكم قد بلغكم فما بقيتم الا التكذيب الرسالة وعداوة الرسول ويستخلف كلام مستانف يريد
ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه
لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون انفسكم وفي قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروا
عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذبني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا الا انفسكم على
كل شيء حفيظ رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مواخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء
كلها حافظا لها وكانت مفتقرة اليه احفظه من المضار لم يضره مثله مثلكم والذين آمنوا معه قيل كانوا
اربعة آلاف فان قلت فما معنى تكرير التنجية قلت ذكر اولا انه اهلك عدوهم بجامع ثم قال ونجينا
من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك ان الله تعالى بعث عليه السموم وكانت
تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد بالثانية التنجية من عذاب
الآخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وقوله برحمة منا يريد بسبب الايمان الذي افضنا عليهم بالتوفيق له وتلك
عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف وصف
احوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لانفرق
بين احد من رسله فقيل لم يرسل اليهم الا هود وحده كل جبار عنيد يريد كبراءهم ورؤساءهم ودعاتهم
الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم اطاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم
في الدارين جميعا تكبهم على وجوههم في عذاب الله والا وتكرار حرف النداء على الذم والدعاء عليهم تهويلا لامرهم
وتفظيعا به وبعثا على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فان قلت بعدا دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء
به عليهم بعدا لهم قلت معناه الدلالة على انهم كانوا مستاهلين له الا ترى الى قوله اخوى لا بعدوا ابدا
وبلى والله قد بعدوا قوم هود عطف بيان لعاد فان قلت ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بهود
قلت الفائدة فيه ان يوسموا بهذه الدعوة وسما ويجعل فيهم امرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولا
عاد اعادة الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم هو انشاكم من الارض لم ينشئكم
منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاؤهم منها خلقهم من التراب واستعمركم وامركم بالعمارة والعمارة
تنوعها الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار
وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسال نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم
فاوحى الله اليه انهم عمروا بالهدى فعاش فيهم عبادي وعن معاوية بن ابي سفيان انه اخذ في احياء الارض في

إن ربي قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا
لفي شك مما تدعونا إليه مريب قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني

آخر امس فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القايل ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا يكون له في
الارض آثار وقيل استعمركم من العمر في معنى أعمر كقولك استهلكه في معنى اهلكه ومعناه اعمركم فيها ديارا
ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم والثاني ان يكون معنى جعلكم معمرين ديارا كم فيها لان الرجل
اذا ورث دارا من بعده فكانما اعمر اياها لاحتمال انه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره قريب قال ابو رحمة
سهل المطلب مجيب لمن دعاه وسأله فينا فيما بيننا مرجوا كانت تلوح فينك مخايل الخير وامارات
الرشد فكنا نرجوك لينتفع بك وتكون مشاورا في الامور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا
القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس رض فاضلا خيرا نؤمل على جميعنا
وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه ما يعبد آباؤنا حكاية حال ماضية مريب
من اراب اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة باليقين او من اراب الرجل اذا كان
ذا ريبة على الاسناد المجازي قيل ان كنت على بينة من ربي بحرف الشك كان على يقين انه على بينة من
ربه لان خطابه للحاضرين فكانه قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة وانظروا ان
تابعتكم وعصيت ربي في امره فمن ينصرني من عذاب الله فما تزيدونني مما تقولون لي وتحملونني عليه غير
ان اخسركم او انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون وانه نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم
الاشارة من معنى الفعل فان قلت فبم يتعلق لكم قلت بآية حالا منها متقدمة لانها لو تاخرت
لكان صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال عذاب قريب عاجل لا يتاخر عن مسكم لها بسوء الا ثلاثة
وذلك ثلثة ايام ثم تقع عليكم تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم ويسمى البلاد الديار لانه يدار
فيها او يتصرف يقال دار بكذا اي بلد لبني آدم وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون
من عرب البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عمروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت غير
مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم
شهدناه او على المجاز كانه قيل للوعد نفي بك فاذا وفي به فقد صدق ولم يكذب او وعد غير كذب على
ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق ومن خزي يومئذ قرئ بفتح
الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله على حين عاتبت المشيب فان قلت علام عطف قلت
على نجينا لان تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ وكانت التنجية
من خزي يومئذ اي من ذله ومهانته وفضيحته والخزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه
ويجوز ان يراد بيومئذ يوم القيمة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة وقرئ الا ان

وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ وَأَخَذَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ

كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث
أن جاء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى

ثمودا ولثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب الى الحي او الاب الاكبر ومنعه للتعريف
والتانيث بمعنى القبيلة رسلنا يريد الملائكة وعن ابن عباس رض جاءه جبريل وميكائيل وكان بعده وقيل
جبريله وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا تسعة وعن السدي احد عشر بالبشرى هي البشارة بالولد
وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد سلاما بمعنى سلمنا عليك سلاما سلام امركم سلام وقرئ
فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام والشد
مررنا فقلنا إيه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح فما لبث ان جاء
بعجل فما لبث في المجيء به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى الجيئل والجيش
بلغة اهل السراة وكان مال ابرهيم عليه السلم البقر حنيذ مشوي بالرضف اخدود وقيل
حنيذ تقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى تعطرق ويدل عليه
بعجل سمين فقال نكره وانكر واستنكر ومنكور قليل في كلامهم وكذلك انا انكرك ولكن منكر
ومستنكر وانكرك قال الاعشى وانكرني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب و
الصلعا قيل كان ينزل في طرف من الارض فخاف ان يريد به مكروها وقيل كانت عادتهم
انه اذا امس من يطرقهم طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملائكة ونكرهم
لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قولهم لا تخف انا ارسلنا
الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا واوجس واضمر وانما قالوا لا تخف لانهم
رأوا اثر الخوف والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب الخوف
لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب وامرأته قائمة قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم
وقيل كانت قائمة على رؤوسهم تخدمهم وفي مصحف عبد الله وامرأته قائمة وهو قاعد فضحكت
سرورا بزوال الخيفة او هلاك اهل الخبائث او كان ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد اظلهم
العذاب وقيل كانت تقول لابراهيم اضمم لوطا الى احيك اليك فاني اعلم انه ينزل بقومه العذاب
فضحكت سرورا لما اتى الامر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرأ
محمد بن زياد الاعرابي فضحكت بفتح الحاء يعقوب رفع بالابتداء وكانه قيل ومن وراء اسحاق
يعقوب مولودا او موجودا اي من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبي انه قيل هذا
ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولد وقرئ يعقوب بالنصب على طريقة قوله ليسوا
مصلحين عشيرة ولا ناعب الا بين غرابها ويا ويلتا مبدلة من ياء الاضافة وكذلك يا اسفى
اولى شايع ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الا بين غرابها وجه تشبيه الآية بالبيت
انه قدرت الآية انه قيل ووهبنا له اسحق ثم عطف عليه يعقوب كان الشاعر قدر انه قال ليسوا
مصلحين فقال ولا ناعب فقد قدرت الآية والبيت العدوم موجود مع تقدير الموجود معدوما
ايضا في الآية فقط تمت

وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل
البيت انه حميد مجيد فلما ذهب عن ابرهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط

ويا عجبا وقرأ الحسن يا ويلتى بالياء على الاصل وشيخا نصب بما دل عليه ها الاشارة وقرئ
شيخ على انه خبر مبتدأ محذوف اي هذا بعلي هو شيخ او بعلي بدل من المبتدأ وشيخ خبر او يكونان معا
خبرين وقيل بشرت وله ثمان وتسعون سنة ولابرهيم عليه مائة وعشرون سنة ان هذا لشيء عجيب
ان يولد لمثلي هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التي اجراها الله تعالى وانما انكرت عليه الملائكة
تعجبها فقالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة
للعادات فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيوت
النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب الى ذلك اشارت الملائكة في قولهم رحمة الله وبركاته
عليكم اهل البيت اردوا ان هذه وامثالها مما يلزمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت
النبوة فليست بمكان عجب وامر الله قدرته وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته عليكم كلام مستأنف
علل به انكار التعجب كانه قيل ايأكم التعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله تعالى عليكم
وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم كلهم ولد ابراهيم عليه
حميد فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده مجيد كريم كثير الاحسان اليهم واهل البيت نصب
على النداء او على الاختصاص لان اهل البيت مدح لهم اذا المراد بيت خليل الرحمن الروع ما اوجس
من الخيفة حين نكر اضيافه والمعنى انه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل
الغم فرغ للمجادلة فان قلت اين جواب لما قلت هو محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا
به واجمعوا وقوله يجادلنا كلام مستأنف على الجواب وتقدير اجتراء على خطابنا او فطفق يجادلنا
او قال كيت وكيت ثم ابتدأ فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل في يجادلنا هو جواب لما وانما جاء
مضارعا لحكاية الحال وقيل ان لما تردد المضارع الى معنى الماضي كما يرد ان الماضي الى معنى
الاستقبال وقيل معناه يجادلنا واقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ويجادلنا اياهم انهم قالوا انا
مهلكوا اهل هذه القرية وقال ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون
قالوا لا قال فثلثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم لو كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها
قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله في قوم لوط في معناهم وعن
ابن عباس رضي الله عنه قالوا له ان كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة
يكون فيهم خير وقيل كان فيها اربعة آلاف الف انسان ان ابرهيم لحليم غير عجول على كل من اساء
اليه او اراد كثير التأوه من الذنوب منيب تائب راجع الى الله تعالى بما يحب ويرضى وهذه الصفات

يا ابرهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ولما جاءت رسلنا
لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا

دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة مبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع عنهم العذاب
ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه ما ابراهيم على ارادة القول اي
قالت الملائكة اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه انه قد جاء امر ربك وهو
قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر الا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال
ولا دعاء ولا غير ذلك كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه
وان يخزوه معهم ومدافعتهم وروي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات
فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر
قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت
بهم قومها يقال لوم عصيب وعصوصب اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا شده يهرعون اليه يسرعون
كأنما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها
فضروا بها ومرنوا عليها وقد عندهم استقباحها فلذلك جاؤوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل
معناه وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك هؤلاء بناتي اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية
الكرم واراد هؤلاء بناتي فترك تجوهل وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلعم ابنتيه من
عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن ربيع قبل الوحي وانهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان
يزوجهما ابنتيه وقرأ ابن مروان هن اطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال اجتنى بن مروان في لحنه وعن
ابي عمرو بن العلاء من قرأ هن اطهر بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك ان انتصابه على ان يجعل حالا قد عمل فيها
ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله هذا بعلي شيخا او ينصب هؤلاء بفعل مضمر كأنه قيل خذوا هؤلاء وبناتي بدل منه
ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لان الفصل مختص بالوقوع بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال
وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك ان يكون هؤلاء مبتدأ وبناتي هن جملة في موضع خبر
المبتدأ كقولك هذا اخي هو ويكون اطهر حالا فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تهينوني ولا تفضحوني
من الخزي او لا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق ضيوفي فانه اذا خزي ضيف الرجل او جار
فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروة اليس منكم رجل رشيد واحد يهتدي الى سبيل الحق
ويفعل الجميل والكف عن السوء وقرئ ولا تخزون بطرح الياء ويجوز ان يكون عرض النبات عليهم مبالغة
في تواضعه لهم واظهار الشدة امتحانا منه كما اورد عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك
فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الامر واستغراق العلم عنده وعندهم ان لا مشاكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد

علمت مشتهين تعلم ما لنا في بناتك من حق لانك لا ترى منا كحتنا وما هو الا عرض سابري وقيل
لما اتخذوا اتيان الذكران مذهبا ودينا لمواظبتهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث الا مخارج من
مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة لتعلم ما نريد عنوا اتيان الذكور وما
لهم فيه من الشهوة جواب لو محذوف كقوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال يعني لو ان لي بكم قوة لفعلت بكم
وصنعت يقال مالي به قوة ومالي به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها ومالي به يدان لانه في معنى لا اضطلع به ولا
استقل به والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند اليه وامتنع به فيحميني منكم فشبه القوي
العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد
وقال النبي صلعم رحم الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان
كانه قيل لو ان لي بكم قوة او آوي مما كقولها للبس عباءة وتقر عيني وقرئ الى ركن بضمتين وروي
انه اغلق بابه حين جاؤوا وجعل يراودهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما
لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك فافتح الباب ودعنا
واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فقام جبريل في الصورة التي
يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه
وجوههم وطمس اعينهم فاعماهم كما قال عز وجل فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم
يقولون النجا النجا فان في بيت لوط سحرة لن يصلوا اليك حملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل
الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضره قرئ فاسر بالقطع والوصل والا امرأتك بالرفع والنصب
وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم فقالوا الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب
وقرئ الصبح بضمتين فان قلت ما وجه قراءة من قرأ الا امرأتك بالنصب قلت
استثناها من قوله فاسر باهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فاسر باهلك قطع من الليل الا امرأتك ويجوز
ان ينتصب عن لا يلتفت على اصل الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرأ بالرفع فابدلها
عن احد وقد اعترض على قراءة من قرأ الا امرأتك بالنصب فقيل ان هذه القراءة مؤدية الى التناقض
في الاخبار وان تكون امرأة لوط عليه مسرة غير مسرة وذلك غير جائز فقلت ليس هذا باعتراض على
القراءة فان للمستثنى محلا آخر وهو ان ينتصب من حيث ارتفع اي من احد على اصل الاستثناء كما ارتفع منه
على البدل وانما هو اعتراض على القول المفسر الذي يصحح قول المفسر ويرفع هذا السؤال عنه ان الامر
بالاسراء اسراء مربوط بالنهي عن الالتفات مقيد به لجمع العاطف اياهما في قدر واحد فالاستثناء اذن

فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي
من الظالمين ببعيد والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان
واقع عن اسراء مقيد بترك الالتفات فهو نظير قولك لا يثني راكبين الا زيدا تستثني زيدا عن الاتيان المقيد
بالركوب لا عن اتيان مطلق حتى انه لو اتاك راجلا لم يخرج عن امتثال امرك كذلك المراد استثنيت عن الاسراء المقيد
بترك الالتفات كان المعنى فاسر باهلك اسراء مقيدا بترك الالتفات الا امرأتك فانها غير مأمورة بهذا
الاسراء المقيد في اخراجها مع اهله روايتان انه اخرجها معهم وامرأة لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت
هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يحملها مع قومها فان
هواها اليهم فلم يشعر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل
جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم
واتبعوا الحجارة من فوقهم من سجيل قيل هي كلمة معربة من سنگ كل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من السجلة
اذا ارسلها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان يعذب به
من السجل وسجل لفلان منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في اثر
بعض متتابعا مسومة معلمة للعذاب وقيل لم يرسل وعن الحسن كانت معلمة ببياض وحمرة و
قيل عليها سيما يعلم بها انها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به وما هي
من كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلعم تلا جبريل يعني ظالمي امتك ما من
ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى او هي قريبة من ظالمي
مكة يمرون بها في مسايرهم ببعيد بشيء بعيد ويجوز ان يراد وما هي اي مكان بعيد لانها وان كانت في
السماء وهي مكان بعيد الا انها اذا هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمي فكانها بمكان قريب منه
الى اراكم بخير يريد برؤية وسعة تغنيكم عن التطفيف او اراكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير
ما تفعلون او اراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم
ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا يوم محيط مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاطه
العدو فان قلت وصف العذاب بالاحاطة ابلغ او وصف اليوم بها قلت بل وصف اليوم
لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه
فان قلت النهي عن النقصان امر بالايفاء فما فائدة قوله اوفوا قلت نهوا اولا عن عين القبيح
الذي كانوا عليه من نقص الكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح تنبيها عن المنهي وتعيينا له ثم ورد الامر
بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصدرا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط اي
بالايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان اذ الواجب الا ما جاوز العدل فضل وامر

بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ
أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ

مندوب اليه وفيه توقيف على ان المؤمن عليه ان ينوى بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه انه قسط
وعدل فهذه ثلث فوايد البخس الهضم والنقص ويقال للناقص البخس قال زهير ورخ كل ما باع امرؤ بخس
درهم وروى مكس درهم وكانوا يأخذون من كل شئ يباع شيئا كما يفعل السماسرة وكانوا يمكسون الناس
او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك والعثى في الارض نحو السرقة والغارة
وقطع السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم في الارض بقية الله ما يبقى لكم من الحلال بعد
التدين بما هو حرام عليكم خير لكم ان كنتم مؤمنين بشرط ان تومنوا فان قلت بقية الله خير للمكفرة
لانهم يسلمون بها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان قلت لظهور فايدتها مع الايمان
من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فايدتها مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات
الكفر وفي ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شانه ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي فيما
اقول لكم وانصح به اياكم ويجوز ان يريد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات
الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير اضافة البقية الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف
اليه واما الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا واذا اريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرى
بقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبايح وما انا عليكم بحفيظ وما
بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد اعذرت
حين انذرت كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه اذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا
فقصدوا بقولهم اصلواتك تأمرك السخرية والهزؤ والصلوة وان جاز ان تكون آمرة على طريق المجاز
كما كانت ناهية في قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلوة تأمر بالجميل والخير
والمعروف كما يقال للدعوة اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق التهكم وجعلوا الصلوة
آمرة على سبيل التهكم بصلوته واردوا ان هذا الذي تأمر به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لتحدثه
وان مثله لا يدعوك اليه داعي عقل ولا يأمرك به آمر فطنة فلم يبق الا ان يأمرك هذيان ووسوسة شيطان
وهو صلوتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم انها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون
من بعض الاقوال والافعال ومعنى تأمرك ان نترك تأمرك بتكليف ان نترك ما يعبد اباؤنا فحذف
المضاف الذي هو التكليف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقرى اصلواتك بالتوحيد وقرأ
ابن ابي عبلة او ان نفعل في اموالنا ما نشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يأمرهم من ترك التطفيف
والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير

انك لانت الحليم الرشيد قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما
اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت
واليه انيب ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد

وتعظيمها وارادوا بقولهم انك لانت الحليم الرشيد نسبته الى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما
يتهكم بالشجيع الذي لا يفرق بحسن فيقال له لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك لتواصف بالحلم و
الرشد في قومك بعنوة ان ما تأمر به لا يطابق حالك وما اشتهرت به ورزقني منه اي من عنده رزقا حسنا
وهو ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس وتطفيف فان قلت
اين جواب ارأيتم وما لم يثبت لان اثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام يتأدى عليه والمعنى
اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لي ان لا آمركم بترك عبادة
الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت
مولي عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه
فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله وما اريد ان
اخالفكم الى ما انهاكم يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح
ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف اي مدة
استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا الوجه او بدل من الاصلاح اي الجهد الذي استطعته منه
ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف على قولك الا الاصلاح اصلاح ما استطعت فظرف او مفعول له لقوله
ضعيف النكاية اعداءك اي ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وما توفيقي الا بالله
وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما آتي وادر وقوعه موافقا لرضاء الله الا بمعونته وتأييده والمعنى
انه استوفق ربه في امضاء الامر على سننه وطلب منه التأييد والاظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد
للكفار وجسم لاطماعهم فيه جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين يقول جرم ذنبا وكسبه
وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا ومنه قوله لا يجرمنكم شقاقي
ان يصيبكم اي لا يكسبنكم شقاقي اصابة العذاب قرأ ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا
جعلته جارما له اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال
وكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه والقراءتان
مستويتان في المعنى لاتفاقهما في المشهورة افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد
بالفصاحة انه على لسنة الفصحاء من العرب الموثوق بهم بعد بينهم اذ ورد وهم له الكثرة استعمالا وقرأ
ابو حيوة وروي عن نافع مثل ما اصاب على اضافة المثل الى غير ممكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان
نطقت وما قوم لوط ببعيد يعني انهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم او لا يبعدون

وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ
وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ

منكم في الكفر والمساوي منكم بعيد يعني انهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم وما يستحق به الهلاك
فان قلت ما بعيد لم يزد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه او معناه قلت اما ان يراد
وما اهلاكهم بعيد او ما هم بشيء بعيد او بزمان او مكان بعيد ويجوز ان يسوي في بعيد وقريب في قليل
وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما رحيم ودود
عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاهمال ما نفقه
ما نفهم كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على
قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوا فكانهم لم يفهموه او قالوا ذلك على وجه
الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادري ما تقول وجعلوا كلامه هذيانا
لا يفهم منه وكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الانبياء وقيل انه ضعيفا لا قوة لك ولا عز
فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا اعمى
يسمى المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لان فينا يأباه الا ترى انه لو قيل انا لنراك
فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قالوا قومه حيث جعلوه رهطا والرهط
من الثلثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا لانهم احترموا ماله واعتدادا بهم لانهم كانوا
على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة وما انت علينا بعزيز اي لا تعز علينا
ولا تكرم حتى نكرمك ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروا علينا ولم
يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء ضمير هو الى النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت
علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل ما عززت
علينا لم تصح هذا الجواب فان قلت فالكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف
صح قوله ارهطي اعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فجعلهم عز عليهم رهطه
اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه
وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات
النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس امسي مما تعملون محيط قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى
عليه شيء منها على مكانتكم لا تخلوا المكانة من ان يكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة
او يكون مصدرا من مكن مكانه فهو مكين والمعنى اعملوا قادرين على حالتكم التي انتم عليها من الشرك
والشنآن اي اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها اني عامل على حسب حالي يؤتيني عذاب الله والنصرة

الشنآن والشنآن والشناءة بغض مختلط بعداوة وسوء خلق

مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَنْ
لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ
إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ

والتأييد ومكنني من يأتيه يجوز ان يكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه
قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب فان قلت اي فرق
بين ادخال الفاء وتركها في سوف تعلمون قلت ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل
وتركها وصل خفي تقديري بالاستيناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا
نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستيناف للتفنن في البلاغة
كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستيناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر
محاسنه وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما اقول لكم اني حكم رقيب منتظر والرقيب بمعنى الراقب
من رقبه كالضريب والقتيل بمعنى الضارب والقاتل او بمعنى المراقب كالعشير والنديم بمعنى
المعاشر والمنادم او بمعنى المرتقب كالفقير والزميع بمعنى المفتقر والمرتفع فان قلت قد ذكر عاقبتهم
على مكانتهم وعملهم على مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم وكان القياس ان يقول من يأتيه
عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف ومن يأتيه عذاب يخزيه ليلي الجاحدين ومن هو صادق ليلي
النبي المبعوث اليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب
يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم فان قلت فما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو
والساقتان الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الموعد وذلك قوله ان
موعدهم الصبح فكان وعدا غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو المترتب كما يقول وعدته فلما جاء
الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فلم يقعا بتلك المثابة وانما وقعتا مبتدئتين وكان حقهما ان
يعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة لكن الجامع اللازم لكانه لا يزيم كالملابد يعني
ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو قعصا كانهم لم يغنوا فيها كانهم لم يقيموا في ديارهم
احياء متمتعين مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد الا ترى الى قوله كما
بعدت وقراءة السلمي بعدت بضم العين والمعنى في البناءين واحد وهو تقبيح القرب الا انهم
ارادوا التفصلة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضدي الخير والشر فقالوا
وعدا وبعدا وقراءة السلمي جاءت على الاصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان
ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها يا ايتها وسلطان
مبين فيه وجهان ان يراد ان هذه الايات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان
المبين العصا لانها اعظمها وما امر فرعون برشيد تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على امر وهو ضلال

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ وَأُتْبِعُوا فِي هٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ
بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ذٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرٰى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلٰكِنْ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ

مبين لا يخفى فيه على من فيه ادنى مسكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر
بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي الا من شيطان مارد ومثله من الالهية بمعزل ذاتا وافعالا
فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والامر الرشيد الذي فيه الرشد او ما في امره رشد
انما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم
وفيه انهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في امر موسى عليه السلام وعلموا ان معه الرشد والحق ثم عدلوا عن
اتباعه الى اتباع من ليس في امره رشد قط تقدم قومه اي كان كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى
النار وهم يتبعونه ويجوز ان يريد بقوله وما امر فرعون برشيد وما امر بصالح حميد العاقبة ويكون
قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا اي وكيف يرشد امره من هذه عاقبته والرشد مستعمل في كل
ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويستخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش
واقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين فان قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جيء بلفظ الماضي
قلت لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة والورد
والمورود المورد الذي وردوه شبه بالغائط الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل بئس
الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده واتبعوا
في هذه الدنيا لعنة اي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة بئس الرفد المرفود رفدهم اي بئس العون
المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة وقيل بئس
العطاء المعطى ذلك مبتدأ من انباء القرى نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى الهالكة
مقصوص عليك منها الضمير للقرى اي بعضها باق وبعضها عافي الاثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد
فان قلت ما محل هذه الجملة قلت هي مستأنفة لا محل لها وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن
ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا فما اغنت عنهم آلهتهم فيما قدرت ان ترد عنهم بأس الله يدعون
يعبدون وهي حكاية حال ماضية ولما منصوب بما اغنت امر ربك عذابه ونقمته تتبيب تخسير يقال
تب اذا خسر وتبته غيره اذا اوقعه في الخسران محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك والنصب
فيمن قرأ وكذلك اخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ اذ اخذ القرى وهي ظالمة حال من القرى اليم شديد
وجيع صعب على المأخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كنا بمكة وغيرها بل
لكل من ظلم غيره او نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذه الاليم الشديد فيبادر التوبة
ولا يغتر بحلمه فذلك اشارة الى ما قص الله تعالى من قصص الامم الهالكة بذنوبهم كآية لمن خاف العذاب لانه ينظر

ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه

الى ما اصل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو الانموذج مما اعد لهم في الآخرة فاذا رأى عظمه وشدته اعتبر
به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله ونحن ان في ذلك
لعبرة لمن يخشى ذلك اشارة الى يوم القيامة لان عذاب الآخرة دل عليه والناس رفع باسم المفعول الذي هو
المجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس فان قلت هل ثمة فائدة اوثر اسم المفعول على فعله
قلت لما في اسم المفعول من دلالة على اثبات معنى الجمع لليوم وانه يوم لا بد من ان يكون ميعادا معروفا
لجمع الناس له وان الموصوف بذلك صفة لازمة وهو ثابت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا يتفاوتون فيه
ونظير قول المتهدد انك المنهوب مالك بحروب فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وان
شئت فوازن بينه وبين قوله تعالى يجمعكم ليوم الجمع تعرف على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من
الحساب والثواب والعقاب يوم مشهود مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله
ويوم شهدناه سليما وعامرا او يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود الذي كثر
شاهدوه ومنه قولهم فلان مجلس مشهود وطعام محضور قال في محفل من نواصي الناس مشهود فان قلت
ما منعك ان تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون ان تجعله مشهودا فيه كما قال تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه
قلت الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتمييزه من بين الايام فان جعلته مشهودا في نفسه
فسائر الايام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التمييز كما يميز يوم الجمعة عن ايام
الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز ان يكون مشهودا في نفسه لان سائر ايام الاسبوع مثله يشهدها كل
من يشهد وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه و
المعنى فمن يشهد منكم الشهر فليصم فيه يعني فمن كان مقيما حاضرا لوطنه في شهر رمضان فليصمه فيه ولو نصبته مفعولا
فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهد المقيم ويغيب عنه المسافر الا جل يطلق على مدة التأجيل
كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل آخره ويقولون حل الاجل فاذا جاء اجلهم يراد آخر مدة التأ
والعدة انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة
بحذف المضاف وقرئ وما يؤخر بالياء وقرئ يوم يأت بغير ياء ونحن خولهم الا درجكاة الخليل
وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل فان قلت فاعل يأتي ما هو قلت
الله عز وجل لقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله وجاء ربك ويعضده قراءة من قرأه وما يؤخر بالياء وقوله
باذنه ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله ان تأتيهم الساعة فان قلت بم انتصب الظرف
قلت اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالانتهاء المحذوف في قوله الا لاجل معدود

منهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها
ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففي

اي ينتهي الاجل يوم يأتي **فان قلت** فاذا جعلت الفاعل ضمير الفاعل اليوم فقد جعلت اليوم وقتا
لاتيان اليوم وجددت الشيء بنفسه **قلت** المراد اتيان هوله وشدايده لا تكلم لا تتكلم وهو
تطبيق قوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن **فان قلت** كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم يأتي
كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون **قلت** ذلك يوم طويل له
مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن انفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها
يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم فهم الضمير لاهل الموقف
ولم يذكروا لان ذلك معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس
والشقي الذي وجبت له النار لاشقائه والسعيد الذي وجبت له الجنة لاحسانه وقراءة العامة بفتح الشين
وعن الحسن شقوا بالضم كما قرئ سودوا والزفير اخراج النفس والشهيق رده قال الشماخ يصف
مدى النظر ثب اول صوته زفير ويتلو شهيق يخرج ما دامت السموات والارض فيه وجهان ان يراد
سماوات الآخرة وارضها وهي دائمة مخلوقة للابد والدليل على ان لها سماوات وارضا قوله تبدل الارض غير الارض
والسماوات وقوله واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولانه لابد لاهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم اما
سماء تخلقها الله او يظلهم العرش وكل ما اظلك فهو سماء والثاني ان يكون عبارة عن التابيد ونفي الانقطاع
كقول العرب ما دام ثعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التابيد **فان قلت** فما
معنى الاستثناء في قوله الا ما شاء ربك وقد ثبت خلود اهل الجنة والنار في الآية من غير استثناء **قلت**
هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا يخلدون في النار وكلا بل
يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب سوى عذاب النار وربما هو اغلظ من العذاب كلها وهو سخط الله عليهم
وتحقيره لهم واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل موقعا منها وهو رضوان الله
كما قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن
ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء
والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته ان ربك فعال لما يريد انه يفعل باهل النار
ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاء الذي لا انقطاع له فتأمله فان القرآن يفسر بعضه بعضا
ولا يخدعنك عنه قول المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج اهل الكبائر من النار بالشفاعة فان الاستثناء
الثاني يكذبه ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روي لهم بعض
الثوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما

عطاء غير مجذوذ فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل وإنا
لموفوهم نصيبهم غير منقوص ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت

يلبثون فيها احقابا وقد بلغني ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث واعتقد ان الكفار لا يخلدون في
النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية الحق ومعرفة بكتابه وتثبيتا على
ان نعقل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى زمهريرها فذلك خلوهم
وصفق ابوابها واقول ما كان لابن عمرو في سيفه ومقاتلته بهما على ابن ابي طالب رضه ما يشغله عن
تسيير هذا الحديث غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله لهم اجر غير ممنون لما قص قصص
عبدة الاوثان وذكر ما اعد لهم من نقمه وما اعد لهم من عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء فلا تشك
بعد ما انزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول
الله وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم يريد ان حالهم في الشرك مثل حال
آبائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بآبائهم فينزل بهم مثله وهو استيناف معناه تعليل
النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز ان تكون مصدرية وموصولة اي من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدون
من الاوثان ومثل ما يعبدون منها وانا لموفوهم نصيبهم اي حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم
فان قلت كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب المؤتى **قلت** يجوز ان يؤتى وهو ناقص ويوفى وهو
كامل الا ترى كيف تقول لفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا فاختلف فيه آمن به قوم وكفر
به قوم كما اختلف في القرآن ولولا كلمة يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم بين قوم موسى او
بين قومك وهذه من جملة التسلية ايضا وان كلا التنوين عوض عن المضاف اليه يعني وان كلهم وان جميع المختلفين
فيه ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم ربك
اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود وقرئ وان كلا بالتخفيف على اعمال المخففة من الثقيلة اعتبارا
لاصلها الذي هو التثقيل وقرأ ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا
وقرأ عبد الله مفسرة لما وان كل الا ليوفينهم وقرأ الزهري وسليمان بن ارقم وان كلا لما
ليوفينهم بالتنوين كقوله اكلا لما والمعنى وان كلا مكلومين مجموعين كانه قيل فان كلا جميعا كقو
فسجد الملائكة كلهم اجمعون فاستقم كما امرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها
على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معطوف على المستتر في استقم وانما جاز العطف ولم يؤكد
لانفصال التاء بالفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت وليستقم الحق من تاب عن الكفر وآمن معك ولا
تطغوا ولا تجاوزوا حدود الله انه بما تعملون بصير عالم فيجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس رضي
ما نزلت على رسول الله صلعم في جميع القرآن آية هي اشد ولا اشق عليه من هذه الآية ولهذا قال النبي صلعم

شيبتني هود والواقعة ولحداثها وروى ان اصحابه قالوا لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني
هود وعن بعضهم رايت رسول الله صلعم في النوم فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال
نعم فقلت ما الذي شيبك فيها منها اقصص الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم
كما امرت وعن جعفر الصادق فاستقم كما امرت قال افتقر الى الله بصحة العزم قرئ ولا تركنوا
بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعلى لغة عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة
الا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم ونحو قراءة من قرأ فتمسكم النار بكسر التاء وقرأ ابن ابي
عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من اركنه اذا اماله والنهي متناول للانحطاط في هواهم والميل
والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضى باعمالهم والتشبه بهم
والتزين بزيهم ومد العين لزهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتامل قوله ولا تركنوا فان الركون
هو الميل اليسير وقوله الى الذين ظلموا اي الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي ان
الموفق صلى خلف الامام فقرأ هذه الاية فغشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى
من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله جعل الله الدين بين لائمين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما
خالط الزهري السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك اما بكومن الفتن فقد اصبحت
بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما تهمك من
كلامه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس
ولا تكتمونه واعلم ان كل ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت الركون الى الظالم وسهلك
سبيل الغي بدنوك ممن لم يود حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا يدور عليك رحا
باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على
العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ابسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا
عليك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا
الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك
فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء و
السلام وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الذين يزورون الملوك وعن الاوزاعي ما من
شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن مسلم الذباب على العذرة احسن من قاري على باب
هؤلاء قال رسول الله صلعم من دعا الظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه ولقد

وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا
من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع اجر
المحسنين

سئل سفيان عن طائر اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت
وما لكم من دون الله من اولياء حال من قوله فتمسكم النار وانتم على هذه الحال ومعناه وما لكم
من دون الله من انصار يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هؤلاء
وجيء في حكمته تعديتكم وترك الانتهاء عليكم فان قلت فما معنى ثم قلت معناها الاستبعاد
لان النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له طرفي النهار غدوة وعشية
وزلفا من الليل وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف اليه
وصلاة الغدوة الفجر وصلوة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب
والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان فان قلت الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار
او ثلثيه نصف النهار واوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ونحو واطراف
النهار وقرئ وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم جمع ظلمة و
والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو يسر في يسر والزلفى بمعنى الزلفة كما ان القربى
بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحملها على
هذا التفسير ان يعطف على الصلوة اي واقم الصلوة طرفي النهار واقم زلفا من الليل على معنى واقم صلوات
تتقرب بها الى الله في بعض الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فيه وجهان احدهما ان يراد تكفير
الصغائر بالطاعات وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثاني ان
الحسنات يذهبن السيئات بان يكن لطفا في تركها كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل
نزلت على ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فاتته امراة فاعجبته فقال لها ان في البيت
اجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلعم
فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال له اين السائل فقال هاانا ذا فقال
وروي انه اتى ابا بكر رض فقال استر على نفسك وتب الى الله تعالى فاتى عمر رض فقال له مثل ذلك ثم اتى رسول
الله صلعم فنزلت فقال اهذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي ان رسول الله صلعم
قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده
ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين ثم كرر الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا التكرير لفضل
خصوصية وسرية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال وعليكم بما هو اهم فذكرت به واحق للوصية وهو
الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين جاء بما

فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا
منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين

مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر
وغير ذلك من الحسنات فلولا كان من القرون فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا في القرآن
فمعناها هلا الا التي في الصافات وما صحت هذه الحكاية في غير الصافات لولا ان تداركه
نعمة من ربه لنبذ بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك اولوا بقية اولوا فضل وسمي
الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة و
الفضل ويقال فلان من بقية القوم او من خيارهم وهو نفس بيت الحماسة ان تذنبوا ثم يأتيني
ما يبتغي بقيتكم وملء قوله في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان تكون البقية بمعنى التقوى
كالتقية بمعنى التقوى او فهلا كان منهم ذو وبقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعذابه
وقرئ اولو بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره ومنه بقينا رسول
الله والبقية المرة من مصدره والمعنى فلو كان منهم اولو مراقبة وخشية من انتقام الله تعالى
كانهم ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم الا قليلا استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن انجينا
من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن انجينا حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض
لان النجاة انما هي للناهين وصدهم بدليل قوله انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا فان
قلت فهل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه قلت ان جعلته متصلا على ما عليه
ظاهر الكلام كان المعنى فاسد لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد الا القليل من الناجين
منهم كما يقول هلا قراء قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة
القرآن ولن قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون اولو بقية الا
قليلا كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثناء وان كان الافصح ان يرفع
على البدل واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اراد بالذين ظلموا تارك النهي عن المنكرات اذ لم يهتموا بما هو ركن
عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا
فيه التنعم والتنرف من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهني ورفضوا ما وراء ذلك و
نبذوه وراء ظهورهم وقرأ ابو عمرو في رواية الجعفي واتبع الذين ظلموا اي اتبعوا جزاء ما اترفوا فيه
ويجوز ان يكون المعنى في القراءة المشهورة انهم اتبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الانجاء كانه قيل
الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك السائر فان قلت علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا قلت
ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد و

وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة
ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين

واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف قالوا والحال كانه
قيل انجينا الا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم فان قلت فقوله وكانوا مجرمين قلت
على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات معدود بالاثام واريد بالاجرام اثمهم
للشكر او على اتبعوا اي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم مجرمين
كان بمعنى صح واستقام واللام لتاكيد النفي وبظلم حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة ان يهلك الله
القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين من الظلم
وقيل الظلم الشرك ومعناه انه لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما
بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة لاضطرهم الى ان يكونوا اهل امة
واحدة اي ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله ان هذه امتكم امة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي
الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق ولكن مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف
فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك الا ناسا
هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك ظاهر ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام
الاول وتضمنه يعني ولذلك من التمكن والاختيار الذي كان عند الاختلاف ظاهر ليثيب مختار الحق بحسن
اختياره وتمت كلمة ربك هي قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين لعلمه بكثرة من يختار الباطل
وكلا التنوين فيه عوض عن المضاف اليه كانه قيل وكل نبأ نقص عليك على معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص
نقص عليك يعني من اساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما
فيه طمأنينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم وجاءك في هذه الحق اي في هذه السورة او
في هذه الانباء المقتصة فيها ما هو حق وموعظة وذكرى وقل للذين لا يؤمنون من اهل مكة وغيرهم اعملوا
على حالكم وجهتكم التي انتم عليها انا عاملون وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما انزل
الله من النقم الاولى باشباهكم ولله غيب السموات والارض لا يخفى عليه شيء مما يجري فيهما فلا يخفى عليه اعمالكم
واليه يرجع الامر كله فلا يرد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وكافلك
وما ربك بغافل عما تعملون وقد تحدى بالتلاوة انت وهم على تغليب الخاطب عن رسول الله صلعم من قرأ سورة هود
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق نوحا ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم
وموسى صلوات الله عليهم اجمعين وكان يوم القيمة من السعداء

سورة يوسف عليه السلام مائة واحدى عشرة اية مكية

الر تلك آيات الكتاب المبين انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا
اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر
رأيتهم لي ساجدين قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم
تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين

بسم الله الرحمن الرحيم تلك إشارة إلى آيات السورة والكتاب
المبين السورة أو تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في إعجاز
العرب وتبكيتهم أو التي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر أو الواضحة التي لا
تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود قصة
يوسف فقد روي أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من
الشام إلى مصر وعن قصة يوسف أنزلناه أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال
كونه قرآنا عربيا وسمي بعض القرآن قرآنا لأن القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون
إرادة أن تتدبروا وتحيطوا بمعانيه ولا تلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت
آياته التفصيل على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك
شله يشله شلا إذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنقض والحسب ونحو النبأ والخبر بمعنى
المنبأ به والمخبر ويجوز أن يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالصيد والخلق فإن أريد المصدر
فمعناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص بما أوحينا إليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوبا
نصب المصدر لإضافته إليه ويكون المقصوص محذوفا لأن قوله بما أوحينا إليك هذا القرآن مغن عنه
ويجوز أن ينتصب هذا القرآن بنقص كأنه قيل نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص هذا القرآن بإيحائنا
إليك والمراد بأحسن الاقتصاص أنه اقتص على أبدع طريقة وأعجب أسلوب ألا ترى أن هذا الحديث
مقتص في كتب الأولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقاربا للاقتصاص
في القرآن وإن أريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث
وإنما كان أحسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر
أنه أحسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل هو أعلم الناس وأفضلهم يراد في فنه فإن قلت
ما اشتقاق القصص قلت من قص أثره إذا اتبعه لأن الذي يقص الحديث يتتبع ما حفظ
منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن إذا قرأه لأنه يتلو أي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية وإن كنت إن
مخففة من الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية والضمير في قبله راجع إلى قوله ما أوحينا
والمعنى وإن الشأن والحديث كنت من قبل إيحائنا إليك من الغافلين عنه أي من الجاهلين به كما كان لك فيه
علم قط ولا طرق سمعك طرف منه إذ قال يوسف بدل من أحسن القصص وهو بدل الاشتمال لأن الوقت
مشتمل على القصص وهو المقصوص فإذا قص وقته فقد قص أو باضمار اذكر ويوسف اسم عبراني

وقيل عربي وليس بصحيح لأنه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف فإن قلت
فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين أو يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته أن يقال هو عربي لأنه على
وزن المضارع المبني للفاعل أو المفعول من آسف وإنما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل قلت
لأن القراءة المشهورة قامت بالشهادة على أن الكلمة أعجمية فلا تكون عربية تارة وعجمية تارة أخرى ونحو
يوسف يونس روي فيه هذه اللغات الثلث ولا يقال هو عربي لأنه في لغتين منها بوزن المضارع من
آنس وأونس وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا قيل من الكريم فقولوا الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن
إسحق بن إبراهيم قرئ يا أبت بالحركات الثلث فإن قلت ما هذه التاء قلت تاء
تأنيث وقعت عوضا عن ياء الإضافة والدليل على أنها تاء تأنيث قلبها هاء في الوقف فإن قلت
كيف جاز إلحاق تاء التأنيث بالمذكر قلت كما جاز قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة
فإن قلت فلم صار تعويض تاء التأنيث من ياء الإضافة قلت لأن الإضافة والتأنيث
يتناسبان في أن كل واحد منهما زيادة مضمومة إلى الاسم في آخره فإن قلت فما هذه الكسرة قلت
هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك يا أبي فزحلفت إلى التاء لاقتضاء تاء التأنيث أن يكون ما قبلها
مفتوحا فإن قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة قلت
امتنع ذلك فيهما لأنهما اسم والأسماء حقها التحريك لإصالتها في الإعراب وإنما جاز تسكين الياء وأصلها أن تحرك
تخفيفا لأنها حرف لين وأما التاء فحرف صحيح يشبه كاف الضمير فيلزم تحريكها فإن قلت يشبه الجمع بين العوض
وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض عنه لأنها في حكم الياء إذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا أبتي فلا يجوز
يا أبت قلت الياء والكسرة قبلها شيئان والتاء عوض من أحد الشيئين وهو الياء والكسرة غير
متعرض لها فلا يجمع بين العوض والمعوض عنه إلا إذا جمع بين التاء والياء ألا ترى إلى قولهم يا أبتا
مع كون الألف فيه بدلا من الياء كيف جاز الجمع بينهما وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض
منه فالكسرة أبعد من ذلك فإن قلت فقد عدت الكسرة في يا غلام على الإضافة لأنها قرينة الياء وبقيتها فإن قلت
على مثل ذلك في يا أبت فالتاء المعوضة لغو وجودها كعدمها قلت بل حالها مع التاء كحالها مع الياء
إذا قلت يا أبي فإن قلت فما وجه قراءة من قرأ بفتح التاء وضمها قلت أما من فتح التاء فقد
حذف الألف من يا أبتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلام وبجوز أن يقال أحركها لحركة الياء
المعوض منها في قولك يا أبي وأما من ضم فقد رأى اسما في آخره تاء تأنيث فأجراه مجرى الأسماء المؤنثة بالتاء
فقال يا أبة كما يقول يا تمة من غير اعتبار لكونها عوضا من ياء الإضافة وقرئ أبي بتحريك الياء

أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ

واحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وكذا الى تسعة عشر الا اثنى عشر ليلا يلتقي ساكنان ورأيت من الرؤيا لا من الرؤية لان ما ذكر معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب علم ولما خفيت عليه وعلى الناس فان قلت ما اسماء تلك الكواكب قلت روى جابر ان يهوديا جاء الى النبي صلعم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت رسول الله صلعم فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال صلعم لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل امه وخالته والكواكب اخوته وعن وهب ان يوسف رأى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدار واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون سنة فان قلت لم اخر الشمس والقمر قلت اخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر فان قلت ما معنى تكرار رأيت قلت ليس تكرارا انما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابا له كأن يعقوب عليه قال له عند قوله اني رأيت احد عشر كوكبا كيف رأيتها سائلا عن حال رؤيتها فقال رأيتهم لي ساجدين فان قلت فلم اجريت مجرى العقلاء في قوله رأيتهم لي ساجدين قلت لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجرى عليها عليها حكمهم كأنها عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم ان يلابس الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة عرف يعقوب عليه دلالة الرؤيا على ان يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة ويتم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد الاخوة ويغيهم والرؤيا بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرف التأنيث كما قيل القربة والقربى وقرئ رؤياك بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائي رياك وريآك بالادغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة لان الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام في قولهم اتزد من الازار والتجر من الاجر فيكيدوا منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك فان قلت هلا قيل فيكيدوك كما قيل فيكيدوني قلت ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة

٣ قال ابو علي فان خففت قلت الرؤيا فقلبتها ولم تدغم الواو في الياء وان كانت قد تقدمتها ساكنة لان الواو في تقدير الهمزة فهي لذلك غير لازمة واذا لم تلزم لم يمتنع الاعتداد بها فلا تدغم

وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ

معنى الفعل المضمر فيكون آكد وابلغ في التخويف وذلك فيجتبيك لو الك الا ترى الى تأكيده بالمصدر عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحوا ولقوله لاقعدن صراطك المستقيم فهو محمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يؤمن ان يحملهم على مثله وكذلك ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك يعني وكما اجتباك بمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء وشأن كذلك يجتبيك لامور عظام وقوله ويعلمك كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كأنه قيل هو يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتباء الاصطفاء انتحال من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته والمراد بالاحاديث الرؤيا لان الرؤيا احاديث نفس او ملك او شيطان وتأويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتأويل الاحاديث معاني كتب الله وسنن الانبياء عليهم السلام وما غمض واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله فبأي حديث بعده يؤمنون الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بان جعلهم انبياء في الدنيا وملوكا ونقلهم منها الى الدرجات العلى وقيل اتمها على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب وقيل لما بلغت الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه وقيل كان يعقوب موثرا بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من الخصائل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة وكان يغمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتمالئوا عليه بالحسد قيل لما قص رؤياه على يعقوب قال هذا امر مشتت يجمع الله لك بعد دهر طويل وآل يعقوب اهله وذريته وغيرهم واصل آل اهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك وآل الحجام ولكن اهلها واراد بالابوين الجد وابا الجد لانهما في حكم الاب في الاصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وان كان ابن ابنه وبين فلان عدة وابرهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم علم من يحق له الاجتباء حكيم لا يتم نعمته الا على من يستحقها في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم آيات علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته فكأنه قيل للسائلين لمن سأل عن قصتهم وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلعم للذين سألوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب وقرئ آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله على النبي صلعم خبر يوسف ونبي اخوته عليه لما رأى من

إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين اقتلوا
يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال
قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب

ليوسف ٤

يعني قومه عليه ليأتسى به وقيل أسماؤهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي ويشجر
ودينة ودان ويفتالي وجاد وآشر السبعة الأولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب
والأربعة الآخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج أختها راحيل فولدت له
بنيامين ويوسف واللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا أن زيادة محبته
لهما أمر ثابت لا شبهة فيه وأحق هو بنيامين وإنما قالوا وهم جميعا إخوة لأن أمهما كانت واحدة
وقيل أحب في الأثمين لأنه أفعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث
إذا كان معه من ولا يدمن الفرق مع لام التعريف وإذا أضيف جاز الإعراب والواو في ونحن عصبة واو
الحال يعني أنه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة
عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه ونحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما إن
أبانا لفي ضلال مبين أو في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل
إلى الأربعين سموا بذلك لأنهم تعصب بهم الأمور ويتكفون النوائب وروى النزال بن سبرة عن علي
رضي ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الأنباري هذا كما تقول العرب
إنما العامري عمته أقتلوا يوسف من جملة ما حكي بعد قوله إذ قالوا كأنهم اطبقوا على ذلك إلا من قال
لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا
آمرين ازقلا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وإطلاقها من الوصف ولإبهامها
من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة يخل لكم وجه أبيكم يقبل عليكم إقباله واحدة لا يلتفت
عنكم إلى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وبينا نعهم إياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى
إقباله عليهم لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه ويجوز أن يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى
وجه ربك وقيل يخل يفرغ لكم من الشغل بيوسف من بعده من بعد يوسف أو من بعد كفايته بالقتل
أو التغريب أو يرجع الضمير إلى مصدر اقتلوا أو اطرحوا قوما صالحين تائبين إلى الله مما جنيتم على
الله عليه أو يصلح ما بينكم وبين أبيكم بعد ما تهدونه أو تصلح دنياكم ويلتئم أموركم بعد تخلوه وجه
أبيكم وتكونوا إما مجزوم عطفا على يخل لكم وإما منصوب بإضمار أن والواو بمعنى مع كقوله ولا تكتموا
الحق قائل منهم هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي
أبي قال لهم القتل عظيم ألقوه في غيابة الجب وهي غورة وما غاب منه عن عين الناظر والظلمة من
أسفله قال المخلص إن أنا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والأهل

يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون
أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله

أراد غيابة جعرته التي يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرأ الجحدري
غيبة والجب البئر لم تطو لأن الأرض تجب جبا لا غير يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض القوم الذين
يسيرون في الطريق وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى لأن بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة
من الدم ومنه ذهبت بعض أصابعه إن كنتم فاعلين إن كنتم على أن تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الرأي ما لك
لا تأمنا قرئ بإظهار النونين وبالإدغام وبإشمام وبغير إشمام وترمنا بكسر الراء مع الإدغام والمعنى
لم تخافنا عليه ونحن نريد الخير له ونحبه ونشفق عليه ما وجه قدرتك بأنه ما يدل على خلاف النصيحة والشفقة
وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على أنه أحس منهم
بما أوجب أن لا يأمنهم عليه نرتع نتسع في أكل الفواكه وغيرها وأصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ
نرتع من ارتعى يرتعي ونرتع ويلعب بالياء ويرتع من ارتع ماشيته وقرأ العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين
ويلعب بالرفع على الابتداء فإن قلت كيف استجازوا لهم بعقوب اللعب قلت كان لجهلهم الاستباق
والانتضال ليضروا والتنعم بما يحتاج إليه لقتال العدو لا اللهو بدليل قوله إنا ذهبنا نستبق وإنما سموه لعبا لأنه في
صورته ليحزنني اللام لام الابتداء كقوله إن ربك ليحكم بينهم ودخولها أحد ما ذكره سيبويه من سيبني الكلام والسين
المضارعة اعتذروا إليهم بشيئين أحدهما أن ذهابهم به ومفارقته إياه مما يحزنه لأنه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني
خوفه عليه من عدوة الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم أو قلة اهتمامهم ولم يصدق يعقوب عذرهم وقيل رأى
في النوم أن الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره فمن ثم قال فلعلهم الغلة وفي أمثالهم البلاء موكل بالمنطق وقرئ
الذئب بالهمزة على الأصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذأبت الريح إذا أتت من كل جهة القسم
محذوف تقديره لئن أكله الذئب واللام موطئة للقسم وقوله إنا إذا لخاسرون جواب القسم مجزئ عن جزاء
الشرط والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا له لئن كان ما خافه من خطفة الذئب لخاسرون من بينهم وحالهم
أنهم عشرة رجال تنصب الأمور وتكفي الخطوب ثم إذا القوم خاسرون هالكون ضعفا وخورا وعجزا أو هم
مستحقون أن يهلكوا لأنه لا غناء عندهم ولا جدوى في حيوتهم أو مستحقون أن يدعى بالخسار والدمار
وأن يقال لحسرتهم الله ودمرهم حين أكل الذئب يوسف وهم حاضرون وقيل إن لم نقدر على حفظ يوسف
فقد هلكت مواشينا إذن وخسرناها فإن قلت قد اعتذروا إليهم بعذرين فلم جاءوا عن
أحدهما دون الآخر قلت هو الذي كان يعنيهم ويذيبهم الأمرين فأعادوه إذا لخاسرون ولم يقولوا
به أن يجعلوا مفعول أجمعوا من قولك أجمع الأمر وأزمعه فأجمعوا أمرهم وقرئ في غيابات الجب
قيل هو بئر ببيت المقدس وقيل بأرض الأردن وقيل بين مصر ومدين وقيل هي على

الجب

فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة

وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ۝ قَالُوا يَا أَبَانَا
إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ

انتهى

ثلثة نواسخ من منزل لعقوب علم وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى
انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد
منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد
الاماء فقال يهوذا اما اعطيتموني موثقا الا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بشيابهم فنزعوها من
بين يديه فتعلق بحايط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به
وانما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه
في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي
فناداه فظن انها رحمة فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام
ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار تجرد عن ثيابه اتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه
اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق والحق الى يعقوب فجعلها يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاء
جبريل واخرجه والبسه اياه واوحينا اليه قيل اوحى اليه في الصغر كما اوحى الى يحيى وعيسى وقيل
كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا وانما اوحى اليه تسلية له والوحشة
وتبشيرا بما يؤول اليه امره ومعناه لتخلصن مما انت فيه ولتخبرن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون
انك يوسف لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المبدل للهيئات والاشكال
وذلك حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعاها لقوا فوضعه على يده ثم نفخ فطار انه يخبرني
هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة
الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس وجوداه يتعلق وهم لا يشعرون بقوله واوحينا عطف
انا انسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس
له وقرئ لتنبئنهم بالنون على انه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وعن الحسن
عشيا وعشيانا واصيلا واصيلانا ورواه ابن جني عشا بضم العين والقصر وقالوا عشوا من البكاء
وروى ان امرأة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية اما ترى ما تبكي قال جاء اخوة يوسف
يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما اجد ان يقضي به من السنة المرضية وروى انه لما سمع
صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا
ذهبنا نستبق اي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي
وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو او في الرمي وجاء في التفسير نتنضل ونرمي لنا بمصدق لنا ولو

وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ
عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ۖ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ ۚ ٢٨٩

كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف وانت سيء الظن بنا غير
واثق لنا بقولنا بدم كذب ذي كذب او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب عينه كما يقال
للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه لهن به جود وانتم به بخل وقرئ نصبا
على الحال بمعنى كاذبا وبه كاذبين ويجوز ان يكون مفعولا له وقراءة عائشة رضي الله عنها كدب بالدال
غير المعجمة اي كدر وقيل طري قال من جنى اصله من الكدب وهو النوب البياض الذي
يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وذلك
منهم ان يمزقوه وروي ان يعقوب عليه السلام لما سمع خبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص
واخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من
هذا اكل ابني ولم يمزق قميصه عليه وقيل كان في قميص يوسف ثلث آيات كان دليلا ليعقوب على
كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر فان قلت على قميصه
ما محله قلت محله النصب على الظرف كانه قيل وجاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاء جماله باحمال
فان قلت هل يجوز ان يكون حالا متقدمة قلت لا لان حال المجرور لا يتقدم عليه سولت
سهلت من السول وهو الاسترخاء او سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف وهو تنديد في
اعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص او اوحي اليه بانهم قصدوه فصبر
جميل خبر او مبتدأ لكونه موصوفا اي فامري صبر جميل او فصبري جميل امثل وفي قراءة ابي فصبرا جميلا و
الصبر الجميل ما لا شكوى فيه الى الخلق الا الى الله وفي الحديث انه الذي لا شكوى فيه الى الخلق الا الى الله وقيل لا اعاينكم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه
فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله اليه يا يعقوب
اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي والله المستعان اي استعينه على احتمال ما تصفون من هلاك
يوسف والصبر على الزن فيه وجاءت سيارة رفقة تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلثة
ايام من القاء يوسف في الجب فاخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من
العمران لم تكن الا للرعاة وقيل كان ماء ملحا فعذب حين القي فيه يوسف فارسلوا رجلا يقال
له مالك بن دعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم يا بشرى نادى البشرى
كما تقول تعالي فهذا اوانك وقرئ يا بشراي على اضافتها الى نفسه وفي قراءة الحسن وعيسى يا بشرى
بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت اهل

وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ
الزَّاهِدِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ

السيارة يقولون في دعائهم يا سيدي ومولاي وعن نافع يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده الا ان يقصد الوقف قيل لما ادلى دلوه ارسلها في الجب تعلق يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراي هذا غلام وقيل ذهب به فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم واسروه الضمير للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة هذا غلام لنا وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس رض ان الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه وبضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما يبضع من المال للتجارة اي قطع والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم وهو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم او والله عليم بما يعمل اخوه يوسف بهم واخيهم من سوء الصنيع وشروه وباعوه بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا او زيف ناقص العيار دراهم معدودة قليلة تعد عدا لانهم كانوا لا يزنونه لما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدونه ما دونها وقيل القليلة معدودة لان الكثيرة تمتنع عن عدها لكثرتها وعن ابن عباس رض كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين درهما وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عنه في بيع فيبيعه بما طفف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشيء يتهاون به لانه يحتمل ان يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من اول مساوم بأوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه ابق فخافوا ان يظهروا بها لم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يابق وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول الا ترى انك لا تقول ما كانوا زيدا من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فيه الذي اشتراه قيل هو قطفير او اطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حيوة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فابى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايام فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل اذ طلع التجار يعرضونه فتزايدوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما او احسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي مثواي والمراد تفقده بالاحسان

عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب
على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ۝ ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين

وتعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا وتقال للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل به من رجل وامرأة يراد هل تطيب نفسك بثوابك عنده وهل يرى حق نزوله والتاء في لامرأته متعلقة بقال لا باشتراه عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم بحاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته او نتبناه ونتخذه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له قد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل أفرس الناس ثلثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا والمرأة التي اتت موسى وقالت لابيها يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وروي انه سأل عن نفسه فاخبر بنفسه فعرفه وكذلك الاشارة الى ما تقدم من الجاية وعطف قبل العزيز عليه والكاف منصوب تقديرا ومثل ذلك الانجاء والعطف مكنا اي كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في ارض مصر وجعلنا له ملكا يتصرف فيها بامر ونهيه ولنعلمه من تأويل الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما نحمد عاقبته من علم وعمل والله غالب على امره او على امر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا يمتنع عما يريد ويقضي ادعلى امر يوسف بدقة لا يكله الى غيره قد اراد اخوته به ما اراد وما لم يكن الا ما اراد الله ودبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله لله قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلث وثلثون واربعون وقيل اقصاه ثنتان وستون حكما حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يخل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه كان محسنا في علمه متقيا في عنفوان امره وان الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من احسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله المراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى فادعته عن نفسه او فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده بحتال ان يغلبه عليه ويأخذه منه وهي هيهان عن التحمل لموافقته اياها وغلقت الابواب قيل كانت سبعة قوي هيت لك بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناء كبناء اين وحيث وهيت لحيث وهيت لحيث وهيت بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيأ وهيئت لك واللام من صلة الفعل وليست في الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول لك هذا كما تقول هلم لك معاذ الله اعوذ بالله معاذ الله اي اعاذني الله والحديث ربي سيدي ومالكي يريد قطفيرا احسن مثواي حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخلفه في اهله سوء الخلافة واخونه فيهم انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن بالسيء وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون انفسهم وقيل اراد الله لانه مسبب الاسباب هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال عمرو بن ضابئ البرجمي همت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله ومنه قوله لا افعل ذلك لا كيدا ولا هما اي ولا اكاد ان افعله كيدا ولا اهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه الحمام وهو الذي اذا هم بامر امضاه ولم يحل

ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه

عنه وقوله ولقد همت بمعناه ولقد همت بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها لولا ان رأى برهان ربه لخالطها
فحذف لان قوله وهم بها يدل عليه كقولك همت بقتله لولا اني خفت الله معناه لولا اني خفت الله لقتلته
فان قلت كيف جاز على نبي الله ان يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها قلت المراد
ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها من شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهم به والقصد
اليه وكما يقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر بابه ويرده بالنظر في برهان
الله الماخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى همًا لشدته لما
كان صاحبه ممدوحًا عند الله بالامتناع لان استعظام الصبر على الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن
عزمة لما مدحه الله تعالى بانه من عباده المخلصين ويجوز ان يريد بقوله وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل
قتلته لولم اخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته كانه شرع فيه فان قلت قوله وهم بها داخل
تحت حكم القسم في قوله ولقد همت به ام هو خارج منه قلت الامران جائزان ومن حق القارئ اذا قدر
خروجه من حكم القسم وجعله كلامًا ان يقف على قوله ولقد همت ويبتدئ قوله وهم بها لولا ان رأى برهان
ربه وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين فان قلت لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه وهم بها
وهلا جعلته هو الجواب مقدما قلت لان لولا لا يتقدم جوابها من قبل انه في حكم الشرط و
للشرط صدر الكلام وهو ثاني جزءي من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض واما حذف
بعضها اذا دل عليه الدليل فجائز فان قلت فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحدها ولم تجعلها متعلقة
بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة
يكون الامر اثنين فكانه قيل ولقد همتا بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما قلت نعم ما قلت
ولكن الله سبحانه وتعالى قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها فكان اغفاله
الفاء له فوجب ان يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها على ان المراد بالهمين المخالطتين
توصلها الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا ان رأى
برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بان تعلق بهم بها وحدها وقد نبه
هم يوسف بانه جل الهميان وجلس منها مجلس الجامع وبانه جل نكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع
وهي مستلقية على قفاها ونبه البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل
به فسمع ثالثا اعرض عنها فلم يخطر فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل ضرب بيده على صدره
فخرجت شهوته من انامله وقيل كل ولد ليعقوب له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من

كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب

اجلها نقص من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطاير كان له ريش فلما زنى وقع
لا ريش له وقيل بدت فيما بينهما يد ليس لها ساعد عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين
كرامًا كاتبين فلم ينصرف ثم راى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فلم ينته ثم
راى فيها واتقوا يومًا ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله تعالى لجبريل ادرك عبدي قبل ان يصيب
الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل
راى تمثال العزيز وقيل قامت الحراة الى صنم كان هناك فسترته فقالت استحي ان يرانا فقال يوسف
استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا استحيي من السميع البصير العليم بذات الصدور وهذا ونحوه مما يورده
اهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله وانبياء واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم
بحمد الله سبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام ادنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت
على آدم عليه زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى ايوب وعلى ذي النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد
اثنى عليه وسماه مخلصًا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة اولي القوة
والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما انزل من كتب الاولين ثم في القرآن الذي هو
حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر الى استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان
صدق في الآخرين كما جعل لجده الخليل ابرهيم وليقتدي به الصالحون الى آخر الدهر في العفة وطيب
الازار والتثبت في مواقف العثار فاخزى الله اولئك في ايراهم ما يؤدي الى ان يكون اثر الله السوء الذي
هي احسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدي بلبي من انبياء الله في القعود بين شعب النائبة وفي حل
نكته للوقوع عليها او في ان يتهاون ربة ثلث كلمات ويصاح به من عند ثلث صيحات بقوارع القرآن
وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطاير الذي سقط ريشه حين سفد فيرانا ثاء وهو جاثم
في مزبلة لا يتحلحل ولا ينتهي حتى يتداركه الله بجبريل وباجابة ولو ان اوقح الزناة واشطرهم واجدعهم جهد
واجلبهم وجهًا لقي بادنى ما لقي به نبي الله مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب
ما افحشه ومن ضلال ما ابينه كذلك الكاف منصوب المحل او مثل ذلك التثبيت ثبتناه او مرفوعة او الامر
مثل ذلك لنصرف عنه السوء من خيانة السيد والفحشاء من الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصوا
دينهم لله وبالفتح الذين اخلصهم الله لطاعته بان عصمهم ويجوز ان يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة
والنظر بشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا بعض عبادنا او هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ منهم لانه من ذرية
ابراهيم الذين قال فيهم انا اخلصناهم بخالصة واستبقا الباب وتسابقا اليه بان حذف الجار وايصال الفعل

الرخص من الزنا يرخص الاقدام ان يزني

الاساس يقال اجلب وراءه بجلب وجلب وجلب وجلب اذا صاح

الفاء في محذوف اي يا قوم جهزوا ثم بين الذم بقوله ان هذا لهو

عطف على المخلصين الذين اخلصوا اي بترتيب المخلصين بكسر اللام والمعنى الذين اخلصوا دينهم وبالفتح والمعنى اخلصهم الله

وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا
قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ

كقوله واختار موسى قومه او على تضمين استبقا معنى ابتدرا ثم تمثل يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت
وراءه لتمنعه الخروج قال قلت كيف وجد الباب وقد حمته وغلقت الابواب قلت اراد الباب
البراني الذي هو المخرج من الدار والخلص فقد روي كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القتل يتناثر ويتساقط حتى
خرج من الابواب وقدت قميصه من دبر اجتذبته من خلفه فانقدّ اي انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه
الفيا سيدها وصادفا بعلها وهو قطفير تقول المرأة لبعلها سيدي وقيل انما لم تقل سيدهما لان ملك يوسف
لم يصح فلم يكن سيدا له على التحقيق وقيل الفيا ثقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمرأة لما اطلع منها
زوجها على تلك الخيانة المريبة وهي مغتاظة على يوسف اذ لم يواتها جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة
ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما رأيت
من مواتاته طوعا الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما امره لليسجنن وما نافية او ليس جزاؤه الا السجن ويجوز ان تكون استفهامية
بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن كما تقول من في الدار الا زيد قال قلت كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف وانه
اراد بها سواء تحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك بلغ فيما قصدته من تخويف يوسف وقيل العذاب الاليم الضرب
بالسياط ولما اغرت به وعرضته للسجن والعذاب حسب عليه الدفع عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولولا ذلك لكتم عليها
وشهد شاهد من اهلها قيل كان ابن عم لها وانما القى الله الشهادة على لسان من هو من اهلها لتكون اوجب للحجة
عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان
حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان في الدار فبصرها من حيث لا تشعر فاعتصمه الله ليوسف
بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلعم تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة
فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى قال قلت لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة قلت
لما ادى مؤدى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمي شهادة فان قلت الجملة الشرطية كيف جازت
حكايتها بعد فعل الشهادة قلت انها قول من الاقوال او على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان
قميصه فان قلت فان دل قد قميصه من دبر على انها كاذبة وانها هي التي تبعته واجتذبت اياها فقدته فمن
اين دل قده من قبل على انها صادقة وان كان تابعها قلت من وجهين احدهما انه اذا كان تابعها وهي
دافعته عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني ان يسرع ظنها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه
وقرئ من قبل وقرئ من قبل ومن دبر بالفتح على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره واما
التنكير فمعناه من جهة تقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن ابي اسحاق انه قرأ من قبل ودبر بالفتح كانه
جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتانيث وقرئ بسكون العين قال قلت كيف جاز الجمع بين

فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي
لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا

بين ان الذي هو للاستقبال وبين كان قلت لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد وكذلك قولك ان احسنت
الي فقد احسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان تمتن عليك فلما رأى يعني قطفير وعلم
براءة يوسف وصدقه وكذبها قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان الامر هو طمعها في يوسف
من كيدكن الخطاب لها ولامثالها وانما استعظم كيد النساء لانه وان كان في الرجال الا ان النساء الطف كيدا
وانفذ حيلة ولهن في ذلك بنية ورفق ويذكر يغلبن الرجال ومنه قوله ومن شر النفاثات في العقد والفقريات
من بينهن حسن ما ليس مع غيرهن من البوايق وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشياطين
لان الله يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم يوسف حذف منه حرف النداء لانه منادى
قريب مخاطب للحديث وفيه تقريب وتلطيف نحوه اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفري
انت لذنبك انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا وانما قال
من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كانا لعدم الارجلا حليما وروي انه كان قليل العيبة
وقال نسوة وقالت جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة
صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتاؤه غير حقيقي كتاء اللمة ولذلك لم
تلحق فعله تاء التانيث وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة في مصر امرأة العزيز يريد قطفير والعزيز
الملك بلسان العرب فتاها غلامها يقال فتاي وفتاتي اي غلامي وجاريتي شغفها حب حرق حبه شغاف
قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة
وقد حال هم دون ذلك واليح مكان الشغاف تبتغيه الاصابع وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير
اذا هنأه فاحرقه بالقطران قال كما شعف المهنوءة الرجل الطالي وحبا نصب على التمييز في ضلال مبين في
خطاء وبعد عن طريق الصواب مكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها
الكنعاني ومقتها وسمى الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كالخفي المكر مكرن وقيل كانت استكتمتهن
سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن دعتهن قيل دعت اربعين امرأة منهن الخمس المذكورات واعتدت
لهن متكأ يتكين عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي تعودهن متكيآت والتكاء كين في ايديهن ان يدهشن
ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فيقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا نهشت لشيء وقعت يده على
يده ولا يبعد ان تقصد الجمع بين المكر به وهن فتقع الحناجر في ايديهن فتبكيهن
بالحجة ولتؤول يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن الحناجر توهمه انهن يثبتن عليه
وقيل متكأ مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك سمي اه

وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ

يأكل الرجل متكئا وآتت النساء كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله

طعاما على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكأة يتكئ عليها قال جميل

فظللنا بنعمة واتكأنا ٭ وشربنا الحلال من قلله

وعن مجاهد متكأ طعاما تجزجزا كانت المدعوة تحتمله بالسكين لان القاطع يعتمد على المقطوع بالسكين وقرئ متكأ بغير همزة وعن الحسن متكآ بالمد كانه مفتعال وذلك اشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح ونحو ينباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وانشد

فأهدت متكة لبني أبيها ٭ تخب بها العقيقة الوقاح

وكانت اهدت اترجة على ناقة وكانها الاترجة التي ذكرها ابو داود في سننه وانها شقت نصفين وحملا كالعدلين على جمل وقيل الذي ما ورد وعن وهب اترجا وموزا وبطيخا وقيل اعتدت لهن ما يقطع من متك الشيء بمعنى بتكه اذا قطعه وقرأ الاعرج متكا مفعلا من تكى يتكأ اذا اتكأ أكبرنه عظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق وقيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبي صلعم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي ليلة السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا اشار في ازقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان احد يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرنه حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد القعد الى حد الكبر وكان ابا الطيب اخذ من هذا التفسير قوله خف الله واستذ الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها كما يقال كنت اقطع اللحم فقطعت يدي او جرحتها حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء يقول اساء القوم حاشا زيد وقال حاشا ابي ثوبان إنا به ضنا عن الملجاة والشتم وهي من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وهي قراءة ابن مسعود رضي على اضافة حاشا الى الله اضافة البراءة ومن قرأ حاشا الله فنحو قولك سبحان الله كانه قال براءة الله ثم قال لله لبيان من له البراءة وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة ابي السمال حاشا لله بالتنوين وقراءة ابي عمرو وحاش لله بحذف الالف الآخرة وقراءة الاعمش حشا لله بحذف الالف الاولى وقرئ حاش لله بسكون الشين على ان الفتحة اسكنت الالف في الاسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشا الاله فان قلت فلم جاء في حاشا الله انه لا ينون بعد اجرائه مجرى براءة الله قلت مراعاة لاصله الذي هو الحرفية الا ترى الى قولهم جلست من عن

يمينه كيف تركوا عن غير معرب على اصله وعلى في قوله غدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله من معنى صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله واما قوله حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما هذا بشرا نفين عنه البشرية لغرابة حاله وبما عدة حسنه لما عليه محاسن الصور واثبت له الملكية وبتثنى بها الحكم وذلك ان الله ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ذلك ان لا اقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في القبح والحسن بهما وما ركز ذلك الا لانه الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع ان لا ادخل في الشر من الشيطان ولا اجمع للخير من الملائكة الا ما عليه النبوة الخاصة المجبرة من تفضيل الانسان على الملك وما هو الا من تكبرهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب واعمال ما عمل ليس هي اللغة القدسية الحجازية وبها ورد القرآن ومنها قوله ما هن امهاتهم ومن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ بشر بالرفع وهي قراءة ابن مسعود رضي وقرئ ما هذا بشرى اي ما هو بعبد مملوك لئيم ان هذا الا ملك كريم يقال هذا بشرى اي حاصل بشرى اي بمعنى هذا مشرى وتقال هذا لك بشرى ام بكرى والتاء هي الاولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر الملك قالت فذلكن الذي لم تقل فهذا وهو حاضر دفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به وربا لحاله واستبعاد المحلة ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتني في النسوة ثم لم تثنني فيه تعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورته بما عاينتن لعذرتني في الافتتان به والاستعصام بناء مبالغة يدل على امتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحو استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأي واستنجل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه من مزيد عليه وبرهان لاشيء الذي منه على انه بريء مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان فان قلت الضمير في آمره راجع الى الموصول ام الى يوسف قلت بل الى الموصول والمعنى ما آمر به فحذف الجار كما في قولك امرتك الخير ويجوز ان يجعل ما مصدرية فيرجع الى يوسف معناه ولئن لم يفعل امري اياه او موجب امري ومقتضاه وقرئ وليكونن بالتشديد والتخفيف والتخفيف اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة وقرئ السجن بالفتح على المصدر وقال يدعونني على اسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن تنسجن له وزينن له مطاوعتها وقلن له اياك والتاء تفسك في السجن والصغار فالتجاء الى ربه عند ذلك وقال رب ندول السجن احب الي من ركوب المعصية فان قلت

ندول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعوته اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة اليه احب من اللذة

وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا

قلت كانت احب اليه وآثر عنده نظرا في حسن الصبر على اعتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية وفي غاية كل واحدة منهما لا نظر في مشتهى النفس ومكروهها والا تصرف عني كيدهن فزع منه لما الطاف الله وعصمته كعادة الانبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر لا ان يطلب منه الاجابة على التعفف والاجابة اليه اصب اليهن امل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرى اصب اليهن من الصبابة من الجاهلين من الذين لا يعلمون لان من لا يدري لعله فهو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لان قوله والا تصرف فيه معنى طلب الصرف والدعاء بالطف السميع لدعوات المتجئين اليه العليم باحوالهم وبما يصلحهم بداهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بدا ظهر لهم رأي ليسجننه والضمير في لهم للعزيز كاهله من بعد ما راوا الآيات وهي الشواهد على براءته وما كان ذلك الا باستدال المراة لزوجها وتنقلها في الذروة والغارب وكان مطواعة لها وجميلا ذلولا زمامه في يدها حتى انساه ذلك ما عاين من الآيات وعلى بدا لهم في ليسجنن جواب القسم لدخول لام التاكيد عليه كما اوعدته بذلك لما ايست من طاعته لها ولطمعها في ان يذل لها السجن ويسخر لها وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين الى زمان كانها اقسمت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي قراءة ابن مسعود عتى حين وهي لغة هذيل وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول عتى حين فقال من اقرأك قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله انزل هذا القرآن فجعله عربيا وانزله بلغة قريش فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام مع بدا على معنى الصحبة واستجدا انها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبته فيجب ان يجب ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبان وشرابيه رقي اليه انهما يسمانه فامر بهما الى السجن فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف اني اراني يعني في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا يعني عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه اعصر عنبا من المحسنين من الذين يحسنون عبارة الرؤيا او يحسن تاويل رؤياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له فقال له ذلك او من العلماء لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما به انه عالم او من اهل الخير لما رأيا فيه من اهل السجن فاحسن الينا بان تؤولها بتاويل ما رأينا ان كانت لك يد في تاويل الرؤيا روي انه كان اذا مرض رجل منهم قام عليه واذا اضاق اوسع عليه واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فيقول لهم ابشروا واصبروا وتفرحوا ان لهذا لاجرا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك وما احسن حديثك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن

بَيْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا
عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ

صلى الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابرهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكنني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وروي ان الفتيين قالا له انا نحبك من حين رايناك فقال انشدكما بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم احبتني امي فدخل علي من حبه بلاء ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء فلا تحبا بارك الله فيكما وعن الشعبي انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي اني ارانى في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلث عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني ارانى فوق راسي ثلث سلال فيها انواع الاطعمة واذا اشباح الطير تنهس منها فان قلت لام يرجع الضمير في قوله نبئنا بتاويله قلت الى ما قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم الاشارة في نحوه كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افتتح ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه يأتيهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما اخبرهما وجعل ذلك مخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويذيقه لهما ويقبح اليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم ان يقدم الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة ويدعو الى ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه وينتفع به في باب الدين لم يكن من باب التزكية بتاويله تبيانا ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معناه ذلكما اشارة لهما الى التاويل ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي واوحى به الي ولم اقله عن تكهن ونجم اني تركت يجوز ان يكون كلاما مبتدا وان يكون تعليلا لما قبله اي علمني ذلك واوحى الي اني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية واراد باولئك الذين لا يؤمنون اهل مصر ومن كان القبطيان على دينهم وتكرير هم للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالآخرة وان غيرهم كانوا قوما مؤمنين بها وهم الذين على ملة ابراهيم ولتاكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز ان يكون فيه تعريض بما ابتلي به من حبسهم حين ادعوه السجن بعد ما راوا الآيات الشاهدة على براءته وان ذلك بما لا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر آباءه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبي يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوي بغيبته في الاستماع اليه واتباع قوله حاكاه لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس اي على الرسل وعلى الموسل اليهم

وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا

لانهم يتهوم عليه وارشدوهم اليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا يتقون
وقيل ذلك من فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل ذلك للاولين
لسائر الناس من غير تفاوت ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين
غير شاكرين يا صاحبي السجن يريد يا صاحبيّ في السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارقي الليلة
مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام
ونحوه قولك لصاحبيك يا صاحبي الصدق الصدق فتضيفهما الى الصدق ولا تريد انهما صحبا الصدق
ولكن تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لانهما صاحباك ويجوز ان يريد يا ساكني السجن كقولك اصحاب
النار واصحاب الجنة ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ يريد التفرق في العدد والتكاثر يقول ءَأَنْ تكون لكما ارباب
شتى يستعبدكما هذا وستعبدكما هذا خير لكما ام ان يكون لكما رب واحد قهار ... لا يغالب ولا يشاركه في الربوبية
بل هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام ما تعبدون خطاب لهما ولمن على
دينهما من اهل مصر الا اسماء يعني انكم سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكانكم لا تعبدون
الا اسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته ما انزل الله بها اي
بتسميتها من سلطان من حجة ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله ثم اخبر بما امر به فقال امر ان لا تعبدوا الا اياه
ذلك الدين القيم الثابت الذي دل عليه البراهين اما احدكما يريد الشراب فيسقي ربه سيده وقرأ عكرمة
فيسقي ربه اي يسقي ما يروى به على البناء للمفعول روي انه قال للاول ما رايت من الكرمة وحسنها هو
الملك وحسنها الكرعند واما الثاني الثلثة فانها ثلثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه
وقال للثاني ما رايت من السلال ثلثة ايام تخرج فتقتل فقضي الامر قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما وشانكما
فان قلت ما استفتيا في امر واحد بل في امرين مختلفين فما وجه التوحيد قلت المراد بالامر ما انهما
به من امر الملك وما يجتمعان اجله وظنا ان ما رايا ما في معنى ما تاول لهما فكانهما كانا يستفتيانه في الامر الذي
تاول لهما عاقبته نجاة ام هلاك فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي ما تجريان اليه من العاقبة وهي هلاك
احدهما ونجاة الآخر وقيل جحدا وقالا ما رأينا شيئا على ما روي انهما تحالما له فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما
ام كذبتما ظن انه ناج الظان هو يوسف عليه السلام ان كان بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو الساقي
او يكون الظن بمعنى اليقين اذكرني عند ربك صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني ويخلصني
من هذه الورطة فانساه الشيطان فانسى الساقي ذكر ربه ان يذكره لربه وقيل فانسى يوسف ذكر الله
حين وكل امره الى غيره بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع واكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع سنين

وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات

فان قلت كيف يقدر الشيطان على الانساء قلت يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشيء من اسباب
النسيان حتى يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره واما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا الله عز وجل ما ننسخ من آية او ننسها
فان قلت ما وجه اضافة الذكر الى ربه اذا اريد به الملك وما هي باضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول قلت
قد لابس في ذلك فانساه الشيطان ذكر ربه او عند ربه فجازت الاضافة اليه لان الاضافة تكون بادنى ملابسة
او على تقدير فانساه الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الاخبار فان قلت لم انكر على يوسف
عليه السلام الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى من انصاري
الى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب
الآخرة وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد
ابي وقاص فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوي بالادوية والتقوي بالاشربة والاطعمة وان كان ذلك لان الملك كان
كافرا فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار قلت
كما اصطفى الله الانبياء على خليقته فقد اصطفى لهم احسن الامور وافضلها واولاها واولى واحسن بالنبي ان لا يكل
امره اذا ابتلي ببلاء الى ربه ولا يعتصم الا به خصوصا اذا كان المعتصم به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو
كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه لما استغاث ومن الحسن انه كان يبكي اذا قرأها ويقول اذا انزل الامر فنزل على الى
الناس لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر
يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات
قد استحصدت واركبت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن
عبارتها سمان جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام فان قلت هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو
بقرات دون المميز وهو سبع وان يقال سبع بقرات سمانا قلت اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى ان
تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز السبع بجنس البقرات
لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالتمن فان قلت هلا قيل سبع عجاف على الاضافة قلت
تمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده فان قلت فقد يقولون ثلاثة فرسان
ونحوه اصحاب قلت الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز
فيها ما لم يجز في غيرها الا ترى انك لا تقول عندي ثلثة ضخام واربعة خلاط فان قلت ذلك يشكل وما نحن بسبيله
اشكال فيه الا ترى انه لم يقل وبقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات قلت ترك الاصل لا يجوز مع وقوع
الاستغناء عما ليس باصل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف العجاف الذي

يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل
الأحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة

ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وأفعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان لأنه نقيضه
ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض فإن قلت هل في الآية دليل على أن السنبلات اليابسة
كانت سبعا كالخضر قلت الكلام مبني على أنها بدل هذا العدد في البقرات العجاف والسمان والسنابل
الخضر فوجب أن يتناول معنى الأخر السبع ويكون قوله وأخر يابسات معنى وسبعا أخر فإن قلت هل يجوز
أن يعطف قوله وأخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرورا بالحمل قلت يؤدي إلى التنافي وهو أن
عطفها على سنبلات خضر يقتضي أن يدخل في حكمها فيكون منها سبع السبع المذكورة ولفظ الأخر يقتضي أن يكون
غير السبع بيانه أنك تقول عندي سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لأنك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام
والقعود على أن بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عندي سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع فسد

يا أيها الملأ كأنه أراد الأعيان من العلماء والحكماء واللام في قوله للرؤيا إما أن يكون للبيان كقوله وكانوا فيه
من الزاهدين وإما أن تدخل لأن العامل إذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله إذا تأخر فيه كما يعمل
بها اسم الفاعل إذا قلت هو عابر للرؤيا لا الخطأ أغنى الفعل في القوة ويجوز أن يكون للرؤيا خبر كان كما تقول كان فلان
لهذا الأمر إذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر آخر أو حال وإن ضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام
كأنه قيل إن كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما يقول عبرت
النهر إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبر ونحوه أولت الرؤيا إذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت
الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الأثبات رأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت
على بيت أنشده المبرد في كتاب الكامل لبعض العرب رأيت رؤيا ثم عبرتها وكنت للأحلام عبارا أضغاث
أحلام تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان وأصل الأضغاث ما جمع من
أخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والإضافة بمعنى من أي أضغاث من أحلام والمعنى
هي أضغاث أحلام فإن قلت ما هو الأحلام واحد فلم قالوا أضغاث أحلام قلت هو كما تقول
فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب إلا فرسا واحدا وما له إلا عمامة فردة تزيد في الوصف
فهؤلاء تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه أضغاث أحلام ويجوز أن يكون قد قص عليهم مع هذه
الرؤيا رؤيا غيرها وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين إما أن يريدوا بأحلام المنامات الباطلة خاصة
فيقولوا ليس لها عندنا تأويل فإن التأويل إنما هو للمنامات الصحيحة الصالحة وإما أن يعترفوا بقصور علمهم وأنهم
ليسوا في تأويل الأحلام بنجاريد وقرئ وادكر بالدال وهو التصحيف وعن الحسن وادكر بالذال أي تذكر
الذي نجا من الفتيين من القتل بوصف ما شاهد منه بعد أمة بعد مدة طويلة وذلك أنه حين استفتى

* والجواب أن ما ذكره المص رحمه الله صحيح على أنه بدل وهو القول بالانتصاب لأنه قال المفصل
ينصب فعل العامل على العبيلتين الصبابة واحدة وهو مذهب سيبويه وأما القول بأن العطف يحكم التكرار فهو قول علي وابن جني لأنا
قلنا أن العامل في الثاني مقدر وحسن الأول كقولك ما رأيت رجلا وامرأة
والدليل

أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع
سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دأبا

الملك رؤياه وأعضل على الملأ تأويلها تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه إليه
أن يذكره عند الملك وقرأ الأشهب العقيلي بعد أمة بكسر الهمزة والأمة النعمة قال عدي ثم بعد الفلاح
والملك والأمة وأدكرهم هنا كالقبوراء بعدما أنعم عليه بالنجاة وقرئ بعد أمه بعد نسيان يقال أمه
يأمه أمها إذا نسي ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ أنا أنبئكم بتأويله أنا أخبركم به ممن عنده علمه وفي
قراءة الحسن أنا آتيكم بتأويله فأرسلون فابعثوني لمسألته ومروني باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن
في المدينة المعنى فأرسلوه إلى يوسف فأتاه فقال يا يوسف أيها الصديق إيها البليغ في الصدق وإنما
قال ذلك لأنه ذاق أحواله وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث صادفا كما أول ولذلك كله كلام
مجترد فقال لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون لأنه ليس على يقين من الرجوع فربما احتوم دونه ولأن علمهم فربما
لم يعلموا ومعنى لعلهم يعلمون لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويحلصوك من محنتك قال تزرعون
معنى خبر في معنى الأمر كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون وإنما خرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في
إيجاب الجهاد المأمور به فيجعل كأنه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الأمر قوله فذروه في سنبله دأبا
بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدر دأب في العمل وهو حال من المأمورين أي دائبين أما على أنه أبو دأبا وإما
على إيقاع المصدر حالا بمعنى ذوي دأب فذروه في سنبله ليلا يتسوس ويأكل من الإسناد المجازي جعل الأكل
أهلهن مسندا إليهن تحصنون تحرزون وتخبأون يغاث الناس من الغوث أو من الغيث يقال غيثت البلاد إذا
مطرت ومنه قول الأعرابية غيثنا ما شئنا يعصرون بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم ويعمل
يحلبون الضروع وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره إذا أجاءه وهو مطابق للقراءة ويجوز أن يكون المبني
للفاعل بمعنى ينجون كأنه قيل ينجي الناس وفيه غيثون أي يغيثهم الله وغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون
من أعصرت السحابة وفيه وجهان أما أن يضمن أعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته وإما أن يقال الأصل
أعصرت عليهم فحذف الجار وأوصل الفعل قال البقرات الثمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف
واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يجيء مباركا خصيبا
كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي وعن قتادة زاده الله علما سنة فإن قلت معلوم أن السنين
المجدبة إذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والأمن يوصف بالانتهاء فلم قلت أن علم ذلك من جهة الوحي قلت
ذلك معلوم علما مطلقا لا منفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم
إلا بالوحي إنما تأتي وتثبت في العادة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرفه به وسجن فيه
ليلا يتسلق به الحاسدون إلى تقبيح أمره عند ربه وحاول سلما ليلا جحا منزلته لديه وليلا يقولوا حاظ لدي

إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا
عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ

السجن شين الا امر عظيم وجزم لبئر حتى به ان يسجن ويعذب يستكف شر وفيه دليل على ان
الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب القاء الوقوف في مواقعها قال صلعم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال صلعم للمارتين به في معتكفه وعند بعض نسائه هي فلانة
القاء للتهمة وعنه صلعم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف
والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان تخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول
فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب
ولما ابتغيت العذر ان كان الحليم اذا اناءة وانما قال سل الملك عن شان النسوة ولم يقل سله ان يفتش
عن شانهن لان السؤال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سئل منه فاراد ان يورد عليه السؤال ليجد
في التفتيش عن حقيقة القصة وقص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من
الباطل وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به و
تسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المتقطعات ايديهن ان ربي ان الله بكيدهن عليم اراد
انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره واستشهد بعلم الله على انهن كدنه وانه بريء مما قرفن به واراد به
الوعيد لهن اي هو عليم بكيدهن فيجازيهن عليه ما خطبكن ما شانكن اذ راودتن يوسف هل وجدتن
ميلا منه اليكن قلن حاش لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها
قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق اي ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من
حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة قال حصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءه ثم
صمما والاظهر على شهادتهن بالبراءة والنزاهة واعترافهن على انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به
لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت المجبرة
والحشوية قد بقي لنا مقال ولا بد لنا ان ندعي في فرج من ثبتت نزاهته ذلك ليعلم من كلام يوسف اي
ذلك التثبت والتعمق لظهور البراءة ليعلم العزيز اني لم اخنه بظهور الغيب في حرمته وبالغيب الحال
من الفاعل او المفعول على معنى وانا غائب عنه مختف عن عينه او هو غائب عني خفي عن عيني ويجوز ان يكون
ظرفا اي بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة وليعلم ان الله لا يهدي
كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وكانه تعريض بامرأته في خيانتها امانة زوجها وبيه في خيانته امانة
الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز ان يكون تاكيدا لامانته وانه لو كان خائنا لما
هدى الله كيده ولا سدده ثم اراد ان يتواضع لله تعالى ويهضم نفسه لئلا يكون مزكيا ومجاهدا في الامانة

وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم وقال الملك ائتوني
به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين

٢٩٧

معجبا ومفتخرا كما قال صلعم انا سيد ولد آدم ولا فخر ليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وبحوله وانما هو
بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال وما ابرئ نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ولا يخلو
اما ان يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن طريق القصد
والعزم واما ان يريد عموم الاحوال ان النفس لامارة بالسوء اراد الجنس اي ان هذا الجنس يامر بالسوء
ويحمل عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم ربي الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز ان
يكون ما رحم في معنى الزمان اي الا وقت رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله ولا هم ينظرون الا رحمة و
قيل معناه ذلك ليعلم الله اني لم اخنه لان المعصية خيانة وقيل هو من كلام امرأة العزيز اي ذلك الذي قلت
ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وحيث بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ
نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قرفته وقلت ما اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او دعته التسجن
تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس
يوسف ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت فان قلت كيف صح ان يجعل من
كلام يوسف ولا دليل على ذلك قلت كفى بالمعنى دليلا قائدا الى ان يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملأ من
قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ثم قال فماذا تامرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم
ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القرآن وتاخيره ذهب الى ان ذلك ليعلم متصل بقوله فاسئله ما بال
النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة تزعم ان يوسف حين قال ذلك
لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين همممت بها وقال له امرأة العزيز ولا حين جلست منها مجلس الرجل
يا يوسف وذلك انها لكم على بحت الله ورسله يقال استخلصه واستخصه اذا جعله خالصا لنفسه وخاصا
به فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحتسب قال يا ايها الصديق انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين
مؤتمن على كل شيء روي ان الرسول جاءه فقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم
قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بمساوي اخبار الوقائع وكتب على باب السجن هذه منازل
البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من اذى السجن ولبس ثيابا
جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له
بالعبرانية فقال ما هذا اللسان فقال لسان آبائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه باجابة بجميعها
فتعجب منه وقال ايها الصديق احب ان اسمع رؤياي منك قال رايت بقرات فوصف ونحروا واحد الحسن
ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها في الهيئة التي رآها الملك ثم خرج منها جرفا وقال له من حقك ان

اي انا لا نشهد لها بالبراءة ولكن رحمة ربي يعني انها لا تبرئ نفسها ويجوز ان يكون استثناء منقطعا اي

قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب
برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ولاجر الاخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون
في الارض ٢

ان تجمع الطعام في الاهراء فيما يتكل الخلق من النواحي ويستاذنون منك ويجتمع لك الكنوز مما لم يجتمع لاحد فيهلك
اجعلني على خزائن الارض ولني خزائن ارضك اني حفيظ عليم امين احفظ ما تستحفظني عالم بوجوه الصرف
وصفا لنفسه بالامانة والكفاية اللتين هما الجبلة المأمول ممن يتولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء
احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله يبعث الانبياء الى العباد لعلمه ان احدا غيره
لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن النبي صلعم رحم الله اخي
يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة فان قلت
كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت امره وطاعته قلت روي مجاهد انه قد
اسلم وعن قتادة هو دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء
من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبي والعالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك
الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في كل ما رأى فكان في
حكم التابع له والمطيع وكذلك مثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف في الارض مصر روي انه كانت اربعين
فرسخا في اربعين يتبوأ منها حيث يشاء قرئ بالنون والياء او كل مكان اراد ان يتخذه منزلا ومتبوأ
لم يمنع منه لاستيلائه على جبايتها ودخوله تحت مملكته وسلطانه روي ان الملك توجه وخلع خاتمه
ورداءه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروي انه قال له اما السرير فاشد به
ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته اجلالا واقرارا
بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك
امرأته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرايم وميشا
واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني
القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب
ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكا اجل واعظم منه فقال
للملك كيف صنع الله بي فيما خولني فما ترى حال الرأي رأيك قال اني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل
مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم فكان لا يبيع من احد الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس
واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب على بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين
برحمتنا بعطايانا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء من اقتضت الحكمة ان نشاء له ذلك
ولا نضيع اجر المحسنين اي اجرهم في الدنيا ولاجر الاخرة خير لهم قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته

وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ لكم
من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون
قالوا سنراود عنه اباه وان لفاعلون وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون

في الدنيا والاخرة والفاجر تعجل له الخير في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق وتلاهذه الاية لم يعرض لطول العهد
ومفارقته ايام من الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشأنه
ولبعد حاله التي بلغهم من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طرحا في البئر مشرفا بدراهم معدودة حتى
لو تخيل لهم انه هو المذكور لكذبوا انفسهم وظنوا انهم وان الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام
ما ينكر له المعروف وقيل ناوه على ذي فرعون عليه ثياب الحرير حال الشاعاسير وفي عنقه طوق من ذهب على
راسه تاج فما خطر ببالهم وقيل ما رأى الا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف
طلاب الحوائج وانما عرفهم لانه فارقهم وهم رجال ورأى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك لان همته كانت معقودة بهم
ومعرفتهم وكان يتأمل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له ولما جهزهم بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم وهي
عدة السفر وما يحتاج اليه المسافرون واوقر كل بعير منهما ما حمله من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم
قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لا بد من مقدمة سبقت لهم حتى اجترؤا القول هذه المسألة روي انه لما رآهم
وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما شأنكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة فاصابنا
الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد
وهو شيخ صديق نبي من انبياء الله اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال كم
انتم ههنا قال عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم
عيونا وان الذي تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي
رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل اثقالا من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة
شمعون وكان احسنهم رأيا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد احسن اليهم وضيافتهم ولا تقربون فيه وجهان احدهما
ان يكون نفيا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كانه قيل فان لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا وان
يكون بمعنى النهي سنراود عنه ابا ستخادعه عنه وسنجتهد في احتيال حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون وانا
لقادرون على ذلك لا نتعاظمه او انا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى لفتيته وقرئ
لفتيانه وهما جمعا الفتى والاخوة والاخوان وفعلة وفعلان للكثرة او لغلمانه الكيالين لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون
حق ردها وحق التكرم باعطاء البدل اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل يعرفونه
بذلك فيدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيه من المتاع ما
يرجعون به وقيل لم يرض الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة
لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها حين فتحوا الكيل يريدون

فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير
حافظا وهو أرحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي

قول يوسف فإن لم تأتوني فلا كيل لكم لأنهم إذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل نكتل نرفع المانع من
الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج إليه وقرئ يكتل بمعنى يكتل أخونا فينضم إكتياله إلى اكتيالنا
أو نكتل سببا للاكتيال فإن امتناعه سببه هل آمنكم يريد أنكم قلتم في يوسف وإنا له لحافظون كما
يقولونه في أخيه ثم خستم بضمانكم فما يؤمنني من ذلك ثم قال فالله خير حافظا فأتوكل على الله فيه وأدفعه
إليهم وحافظا تمييز كقولك هو خيرهم رجلا ولله دره فارسا ويجوز أن يكون حالا وقرئ حفظا وقرأ
الأعمش فالله خير حافظ وقرأ أبو هريرة خير الحافظين وهو أرحم الراحمين فارجوا أن يتمم حفظه

ولا يجمع على مصيبتين وقرئ ردت إلينا بالكسر على أن كسرة الدال المدغمة نقلت إلى الراء كما قيل
قيل وبيع وحكي قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها إلى الضاد ما نبغي للنفي أي ما
نبغي في القول وما نتلو يدفعنا وصفنا لك من إحسان الملك وإكرامه وكانوا قالوا له إنا قدمنا على خير
رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما أكرمنا أكرمته أو ما نبغي شيئا وراء ما فعل
بنا من الإحسان أو على الاستفهام أي أي شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة بن مسعود ما تبغي بالتاء على
مخاطبة يعقوب معناه أي شيء تطلب وراء هذا من الإحسان أو من الشاهد من على صدقنا وقيل
معناه ما نريد منك بضاعة أخرى وقوله هذه بضاعتنا جملة مستأنفة موضحة لقوله ما نبغي والجملة
بعدها معطوفة عليها أي إن بضاعتنا ردت إلينا فنستظهر بها ونمير أهلنا في رجوعنا إلى الملك نحفظ أخانا
فما يصيبه شيء مما نخافه ونزداد باستصحاب أخينا وسق بعير زائدا على أوساق أبعارنا فإن
شيء نبتغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها أحوالنا ونوسع ذات أيدينا وإنما قالوا ونزداد كيل
بعير بما ذكرنا أنه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط فإن قلت هذا إذا فسرت المبغي
بالطلب فما إذا فسرته بالكذب والتزيد في القول كانت الجملة الأولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردت
إلينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد عن قيلهم فما تصنع بالجملة الباقية قلت أعطفها على قوله
ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير أهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ كقولك
وينبغي أن نمير أهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل غرضه ويجب أن أسعى
وينبغي أن لا أقصر ويجوز أن يراد ما نبغي وما ننطق إلا بالصواب فيما نشير إليك من تجهيزنا مع
أخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير أهلنا ونفعل ونصنع بيانا لأنهم لا يبغون في رأيهم
وأنهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح ذلك كيل يسير أي ذلك كيل قليل لا يكفينا يعنون ما
يكال لهم فأرادوا أن يزدادوا إليه ما يكال لأخيهم ويكون ذلك إشارة إلى كيل بعير أي ذلك الكيل

قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله
على ما نقول وكيل وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني

شيء قليل يجيئنا إليه الملك أو بضاعتنا إليه أو سهل عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز أن يكون من كلام يعقوب
وإن حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك العام لن أرسله معكم منان لحالي وقد رأيت منكم
ما رأيت أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله حتى توثقوني تعطوني ما أتوثق به من عند الله أراد أن يحلفوا له
بالله وإنما جعل الحلف بالله موثقا منه لأن الحلف به مما توثق به النفوس وتشدد وقد أذن الله في ذلك
فهو أذن منه لتأتنني به جواب اليمين لأن المعنى حتى تحلفوا لتأتنني به إلا أن يحاط بكم إلا أن تغلبوا
فلم تطيقوا الإتيان به أو إلا أن تهلكوا فإن قلت أخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء فيه
إشكال قلت إن يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتأتنني به في تأويل النفي
معناه لا تمتنعون من الإتيان به إلا لإحاطة بكم أي لا تمتنعون منه لعلة من العلل إلا لعلة واحدة وهي
أن يحاط بكم فهو استثناء من أعم العام في المفعول له والاستثناء من أعم العام لا يكون إلا في النفي وحده
فلا بد من تأويله بالنفي ونظيره من الإثبات المتأول بمعنى النفي قولهم أتسمت بالله لما فعلت وإلا فعلت
تريد ما أطلب مثل إلا الفعل على ما تقول من طلب الموثق وأعطاه وكيل رقيب مطلع وإنما نهاهم أن
يدخلوا من باب واحد لأنهم كانوا ذوي جمال وشارة حسنة وقد اشتهروا بأهل مصر بالقرابة عند
الملك والكرامة الخاصة التي لم تكن لغيرهم وكانوا مظنة لطموح الأبصار إليهم من الوفود وأن يشار
إليهم بالأصابع ويقال هؤلاء أضياف الملك أنظروا إليهم ما أحسنهم من فتيان وما أحقهم بالإكرام لأمير
ما أكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم
وجلالة أمرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوءهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرة الأولى لأنهم كانوا
مجهولين مغمورين بين الناس فإن قلت هل للإصابة بالعين وجه تصح عليه قلت يجوز
أن يحدث الله عز وجل عند النظر إلى الشيء والإعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون
ذلك ابتلاء من الله تعالى وامتحانا للعباد ليتميز المحققون من أهل الحشو فيقول المحققون من أهل الحشو
هذا فعل الله ويقول الحشوي هو أثر العين كما قال وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يعوذ الحسن والحسين فيقول أعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة وما أغني
عنكم من الله من شيء يعني إن أراد بكم سوءا لم ينفعكم تفرقكم ما أشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا
محالة إن الحكم إلا لله ثم قال ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم أي متفرقين ما كان يغني عنهم رأي يعقوب عليه
ودخولهم متفرقين شيئا قط حيث أصابهم ما شاء مع تفرقهم من إضافة السرقة إليهم وافتضاحهم بذلك وأخذ
أخيهم بوجدان الصواع في رحله ويضاعف المصيبة على أبيهم إلا حاجة استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة

يعقوب تفقدهما إنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون فلما دخلوا على يوسف آوى إليه
أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل

في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم واظهارها لهم وانه وصاهم وانه لذو علم يعني قوله وما أغني عنكم وعلمه
بان القدر لا يغني عنه الحذر آوى إليه اضمه إليه بليامين وروى انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم
قد احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم ثم امنا نهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي
بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف اتحب ان يكون اخوك وحيدا فاجلسه معه على
مائدته وجعل يواكله وقال انتم عشرة فليتزوج كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف
يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم ابي
لئلا هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب
ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون
بنا فيما مضى قال الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وعن ابن عباس رض تعرف اليه
وعن وهب انما قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى
فقد امنتهم وروي انه قال فانا لا افارقك فقال قد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل
الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يحمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صواعي في رحلك ثم انادي
عليك بانك سرقته ليتهيأ لي رده بعد تشريحك معهم قال افعل السقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع
وقيل كان يسقى بها الملك جلست صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل
كانت اناء مستطيلا يشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه يشرب به الاعاجم
وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر
ثم اذن مؤذن ثم نادى مناد يقال آذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روي انهم ارتحلوا
ولما تهيأ يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم كما ذكروا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك والعير الابل التي عليها الاحمال لا تكاد
تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عيرة واصلها فعل كسقف
وسقف فعل به ما فعل ببيض وعين والمراد اصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي وقرأ ابن مسعود رض
وجعل السقاية على حذف جواب لما كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل اخيه امهلهم حتى
انطلقوا ثم اذن مؤذن وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا وقرئ
صواع وصاع وصوع وصؤع بفتح الصاد وضمها والعين مهملة وغين معجمة وابان بن تغلب يقوله المؤذن
يريد وانا بحمل البعير كفيل او ذيه الى ما جاء به واراد وسق بعير من طعام جعلا لمن جعله تالله قسم فيه
معنى التعجب مما اضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم واما

ما الجعل عالكم انتم تعلمون علما جليا لما شاهدتم من جزائنا
اتاريون ما تضيعون الينا
ان قرأ بتثليث الاخيرتين والدليل عليه ان قرأ بتثليث الصاد وضمها محقق

تالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين
فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم

وانما تهمتم في كرتي مجيئهم وسد اخلتهم للملك ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم معكومة لئلا يتناولوا زرعا او
طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط
بالسرقة وهي منافية لحالنا فما جزاؤه الضمير للصواع او لما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة
منه قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب ان يسترق
سنة ولذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق
لي ان اطعم وينعم علي فذلك حقه اي فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ
والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء
موضع هو كما تقول لصاحبك من اخو زيد فتقول له اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الى من والثاني
الى الاخ ثم تقول فهو اخوه مقيما للظاهر مقام المضمر ويحتمل ان يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف اي المسؤول عنه
جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما يقول من يستفتى في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم
تقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاؤه مثل ما قتل من النعم فبدأ باوعيتهم قبل قال لهم من فرتكم بهم لا بد من تفتيش
اوعيتكم فانصرفوا الى يوسف فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه قال ما
اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسه وانفسنا فاستخرجوه وقرأ
الحسن وعاء اخيه بضم الواو وهي لغة وقرأ سعيد بن جبير اعاء اخيه بقلب الواو همزة فان قلت لم ذكر
ضمير الصواع مرات ثم انثه قلت قالوا رجع بالتانيث على السقاية او انث الصواع لانه يذكر ويؤنث ولعل
يوسف سمى به سقاية وغيره صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام وفيما يتصل بهم صواعا كذلك كدنا
ليوسف مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه واوحيناه اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين
الملك تفسير للكيد وبيان له لانه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق ان يغرم مثلي ما اخذ
الا ان يلزم ويستعبد الا ان يشاء الله اي ما كان ياخذه الا بمشيئة الله وارادته واذنه فيه نرفع درجات
من نشاء في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين وفوق كل ذي علم
عليم فوقه ارفع درجة منه في علمه او وفوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وجل فان قلت
ما اذن الله فيه يجب ان يكون حسنا فمن اي وجه حسن هذا الكيد وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب
لمن لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما جوابكم ان كنتم كاذبين قلت في صون البهتان وليس ببهتان
في الحقيقة لان قوله انكم لسارقون توبيخ بما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك القول من
المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرطن لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح

فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ قَالُوا يَا أَيُّهَا
الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ

لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتعريض لكمال له وجه لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله
الذئب هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله لايوب
عليه وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول ابرهيم عليه هي اختي لتسلم من يد الكافر وما
الشرايع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله تعالى في هذه الحيلة التي
لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه
القبح لما ذكرنا اخ له اراد يوسف روي انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم
حياء واقبلوا عليه فقالوا له ماذا الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا
منكم بلاء متى اخذت الصاع فقال هو راحيل الذي لا ينال منكم عليهم البلاء ذهبتم بابي فاهلكتموه ووضع
هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم واختلف فيما اضاف اليه يوسف من السرقة فقيل كان
اخذ في صباه صنما لجده ابي امه فكسره والقاه بين الجيف في الطريق وقيل دخل كنيسة فاخذ عنقا لا
صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه وقيل كان في المنزل عناق او دجاجة فاعطاها السائل وقيل كانت
لابرهيم عليه منطقة يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته فكانت اكبر اولاده فحضنت
يوسف وهي عمته بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه منها فعمدت
الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحاق فانظروا من اخذها فوجدوها
محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت فاسرها
اضمار على شريطة التفسير تفسيره انتم شر مكانا وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة على
تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا والمعنى
قال في نفسه انتم شر مكانا لان قوله قال انتم شر مكانا بدل من اسرها وفي قراءة بن مسعود فاسر
على التذكير يريد القول او الكلام ومعنى انتم شر مكانا انتم شر منزلة في السرق لانكم سارقون بالصحة
لسرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون استعظموا باذكارهم اياه حزنا بهم يعقوب وانه شيخ
كبير السن او كبير القدر وان بنيامين احب اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان له ولدا قد هلك وهو يتسلى عليه
وانه مسكين راحيه فخذ احدنا مكانه فخذ بدله على وجه الاسترهان او الاستعباد انا نراك من المحسنين
الينا فاتم احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها معاذ الله هو كلام موجه ظاهره
انه وجب على قضية فتواكم اخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو اخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم
فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرني واوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة او لمصالح

فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله
ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين

حجة عليهم في ذلك فلو اخذت غير من امرني باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي ومعنى معاذ الله ان نأخذ
نعوذ بالله معاذا من ان نأخذ فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من اداة جوابهم وجزاؤه لان المعنى ان اخذنا
بدله ظلمنا استيأسوا يئسوا وزيادة السين والتاء فيه للمبالغة كاستعصم والنجي على معنيين
يكون بمعنى المناجي كالعشير والسميع بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله وقربناه نجيا ويكون بمعنى المصدر الذي
هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجي كما قيل واذهم نجوى فنجي يكون للمصدر فيستوي فيه الاوصاف ويجوز
ان يقال هم نجي كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر ويجمع النجي قال الى اذا ما القوم كانوا انجية ومعنى
خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى او فوجا نجيا اي مناجيا
لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تخصصوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم
في انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير امرهم على اي صفة تذهبون وماذا تقولون لابيكم
في شان اخيهم كقوم تجاذبوا اطراف الحديث فاخذوا في التشاور وكبيرهم في السن وهو روبيل وقيل
رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم في العقل والراي وهو يهوذا اما فرطتم في يوسف فيه وجوه ان يكون ما صلة اي
ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم وان يكون مصدرية على ان يكون محل المصدر الرفع على
الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم في يوسف او النصب عطفا على مفعول الم
تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف وان يكون موصولة
بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اي قدمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة ومحل الرفع او النصب على الوجهين
فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الانصراف اليه او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتصاف
ممن اخذ اخي او بخلاصه بسبب من الاسباب وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق وقرئ
سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من سرقته وتيقنا به لان الصواع استخرج
من وعاءه كالشيء المبين من هذا وما كنا للغيب حافظين وما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق او ما علمنا
انك تصاب به كما اصبت بيوسف ومن قرأ سرق فمعناه وما شهدنا الا بقدر ما علمنا من التسريق وما
كنا للغيب للامر الخفي حافظين اسرق بالصحة ام دس الصاع في رحله ولم نشعر القرية التي كنا فيها
مصر اي ارسل الى اهلها وسلهم عن كنه القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان
من جيران يعقوب وقيل من اهل صنعاء معناه فرجعوا اليه ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فقال بل سولت
لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادري ذلك الرجل ان السارق يوخذ من رحله لولا فتواكم وتعليمكم بهم
جميعا بيوسف واخيه وروبيل او غيره انه هو العليم بحالي في المحنة والاسف الحكيم الذي لم يبتلني بذلك الا

وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف
حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين

لحكمة ومصلحة وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاؤا به يا أسفى اضاف الاسف وهو اشد الحسرة والحزن الى نفسه
والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس من لفظتي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع ونحو انا ظلم
الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه انهم يحسنون انهم يحسنون من سناء بناء وعن النبي صلعم لم تعط امة من الامم
انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال
يا اسفى فان قلت كيف ياسف على يوسف دون اخيه ودون الثالث والرزء بالحادث اشد على
النفس واظهر اثرا قلت هو دليل على تمادي اسفه وانه لم يقع فايت عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم
عهده كان غضا عنده طريا ولم تنسه او في المصيبات بعده ولان الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي
ترتبت عليها الرزايا في ولده فكان الاسف عليه اسفا على من حزنه وابيضت عيناه اذا كثر الاستعبار بحيث
العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا فهو
من الحزن والحزن والحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن وقيل ما جفت
عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب على علم
وعن النبي صلعم انه سأل جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر
قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط فان قلت كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك
المبلغ قلت الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبر وان يضبط نفسه
حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلعم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول
ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من القياح والنياحة
ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلعم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول
الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند النوح وصوت
عند النوح وعن الحسن انه بكى على ولد او عين فقيل له في ذلك فقال ما رايت الله جعل الحزن عارا على يعقوب فهو كظيم
فهو مملوء من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوءهم فهو بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شد على
ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال اخذ بكظامه تفتؤ اراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس
بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه فقلت يمين الله ابرح قاعدا او معنى لا تفتؤ لا تزال
وعن مجاهد لا تفتر عن حبه كانه جعل الفتوء والفتور اخوين يقال ما فتئ يفعل قال اوس فما فتئت خيلك تعدو
وتدعى ويلحق منها لاحق وتقطع حرضا مشفيا على الهلاك مرضا واحرضه المرض يستوي فيه الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث لانه مصدر والصفة حرض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف وجاء التنزيل بهما جميعا وقرأ

قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف
واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه

الحسن حرضا بضمتين ونحو من الصفات بعل جنب وغرب البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه
الى الناس اي ينشره وبابه امر وابثه اياه ومعنى انما اشكوا بثي الى الله اشكوا الى احد منكم ومن غيركم انما
اشكو الى ربي داعيا له وملتجئا اليه فخلوني وشكايتي فهذا معنى توليه عنهم اي فتولى عنهم الى الله والشكاية
اليه وقيل دخل على يعقوب حاجب له فقال يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ ابوك فقتل
هشمني وافناني ما ابتلاني الله بين هم يوسف فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي قال يا رب خطيئة
اخطأتها فاغفر لي فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله روي انه اوحى
الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب الخلق الي الانبياء
ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت
واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم من صنعه وصحته وحسن ظني به انه يأتيني بالفرج من حيث لا احتسب وروي
انه راى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله وهو حي فاطلبه وقرأ الحسن
وحذيفة بضمتين قتادة فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما
قرئ بهما في الحجرات وهما تفعل من الاجتساس وهو المعرفة فلما احس عيسى منهم الكفر ومن الجس وهو الطلب
وملء قالوا لمشاعر الانسان الحواس والحواس من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرأ الحسن وقتادة من
من روح الله بالضم اي من رحمته التي يحيي بها العباد الضر الهزال من الشدة والجوع من جاءة مدفوعة
يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا من ابخسه اذا دفعه وطرده والريح تزجي السحاب قيل
كانت من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط
وقيل دراهم زيوف لا تؤخذ الا بوضيعة فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا وتفضل
علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زد على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه
صدقة لان الصدقات محظورة على الانبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا علم وسئل ابن عيينة
عن ذلك فقال الم تسمع وتصدق اراد انها حلال لهم والظاهر انهم تمسكوا له فطلبوا اليه ان يتصدق
عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك ان عرفهم نفسه وقوله ان الله يجزي المتصدقين
شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية التي يبتغى بها المثوبة من الله ومن ذلك قول الحسن
لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي ان الله لا يتصدق وانما يتصدق الذي يبتغي الثواب قال اللهم اعطني
او تفضل علي او ارحمني قال هل علمتم اتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه
الفتح بجهل ان يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه

قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن
الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين

فلذلك اقدمتم عليه يعني علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه لأن علم القبح يدعو إلى الاستقباح والاستقباح يجر إلى
التوبة فكان كلامه شفقة عليهم ونصحا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا إيثارا لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام
الذي يتنفس فيه المكروب وينفث فيه المصدور ويتشفى المرتاض المغيظ المحنق ويدرك ثأره الموتور فسبحان الله
أخلاق الأنبياء ما أوطأها وأسمحها ولله حصى عقولهم ما أرزنها وأرجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لأنهم
كانوا علماء ولكنهم لما لم يعملوا بما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه إلا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه إذ أنتم
صبيان في حد السفه والطيش قبل أن تبلغوا أوان الحلم والرزانة روي أنهم لما قالوا مسنا وأهلنا الضر
وتضرعوا أرفضت عيناه ثم قال هذا القول وقيل أدوا إليه كتاب يعقوب من يعقوب إسرائيل الله بن
إسحاق بن ذبيح الله ابن إبرهيم خليل الله إلى عزيز مصر أما بعد فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدي
فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما وأما
أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إلي فذهبت
إخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم فقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي ثم كان
لي ابن وكان أخا من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا إنه سرق وإنك حبسته لذلك وإنا
أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فإن رددته علي وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ
يوسف الكتاب لم يتمالك وقيل صيح فقال لهم ذلك وروي أنه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب
فاصبروا كما صبروا تظفروا كما ظفروا فإن قلت ما فعلهم بأخيه قلت تعريضهم إياه للغم والشغل
بانفراده عن أخيه لأبيه وأمه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع أن يكلمهم إلا كلام الذليل للعزيز
وإيذاؤهم له بأنواع الأذى قرئ ءإنك على الاستفهام وإنك على الإيجاب وفي قراءة أئنك يوسف
أو أنت يوسف على معنى أئنك يوسف أو أنت يوسف فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وهذا كلام متعجب
مستغرب لما يسمع فهو يكرره للاستثبات فإن قلت كيف عرفوه قلت رأوا في رؤيائه وشمائله
حين كلمهم بذلك ما يشعر وأنه هو مع علمهم بأن ما خاطبهم به لا يصدر مثله إلا عن حنيف مسلم من سنخ
إبراهيم أو عن بعض أعزاء مصر وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل
ما عرفوه حتى رفع التاج عن رأسه فنظروا إلى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة
البيضاء فإن قلت سألوه عن نفسه فلم أجابهم عنها وعن أخيه على أن الخاء كان معلوما لهم قلت
لأنه كان في ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه من يتق من يخف الله وعقابه ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات
فإن الله لا يضيع أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير إشعارا على المتقين والصابرين تالله لقد آثرك الله علينا أي

قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا بقميصي هذا فالقوه
على وجه ابي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم اجمعين ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد

فضلكم الله علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وان شأننا وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين للاثم
لم نتق ولم نصبر لاجرم ان الله اعزكم بالملك وادلنا بالتمكن بين يديك لا تثريب عليكم لا تأنيب ولا عتب
واصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتقريع
ازالة الجلد والقرع لانه اذا ذهب ذلك كان غاية الهزال والنحف الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي
يمزق الاعراض ويذهب بماء الوجه فان قلت بم تعلق اليوم قلت بالتثريب او بالمقدر في عليكم من
معنى الاستقرار او بيغفر والمعنى لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب بما فعلتم بي من الايذاء
ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم ثم قال غفر الله لكم ويغفر الله لكم على لفظ الماضي والمضارع
جميعا ومنه قول المستمت يهديكم الله ويصلح بالكم او اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد
من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروي ان رسول الله صلعم اخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش
ما تقولون فاعلا بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قاله اخي يوسف لا
تثريب عليكم اليوم وروي ان ابا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا اتيت الرسول فاتك عليه لا
تثريب عليكم اليوم ففعل فقال رسول الله غفر الله لك ولمن علمك وروي ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك
تدعونا الى الطعام كل يوم وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت
فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت
الآن بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي وابناء جدي ابرهيم اذهبوا بقميصي
قيل هو القميص الموارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة امر جبريل ان يرسله اليه فانه
فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي يأت بصيرا يصير بصيرا كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار
ويشهد له فارتد بصيرا او يأت الي وهو بصير وينصره وائتوني بأهلكم اجمعين او يأتني آله
جميعا وقيل يهوذا هو الحامل قال انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فأفرحه كما احزنته قيل
حمله وهو جاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال
فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس رضه فلما انفصلت العير قال الولد والد
ومن حوله من قومه اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمان والتفنيد النسبة
الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها
ذات رأي فتفند في هرمها والمعنى لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني في ضلالي القديم في ذهابي عن الصواب قدما
في افراط محبتي ليوسف ولم يحكه بذلك ورجاء لقائه وكان عندهم انه يأت البتة طرح البشير القميص على وجه

اللام بالتي الولد

قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون فلما ان جاء البشير
القاه على وجهه فارتد بصيرا

قال الم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين
قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه

يعقوب فارتد بصيرا فرجع يقال رده فارتد وارتد اذا ارتجعه الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف
او قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله اني اعلم كلام مستأنف لم يقع عليه القول ولكن توقعه عليه وتريد قوله
انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون وروي انه سأل البشير كيف يوسف قال هو ملك مصر
قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة سوف استغفر لكم قيل اخر
الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الاجابة وقيل ليتعرف صالحهم في صدق
التوبة واخلاصها وقيل اراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي انه كان يستغفر لهم كل جمعة في نيف
وعشرين سنة قيل قام الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي ليعقوب وقلة
صبري عنه واغفر ليولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين وروي انهم قالوا له وقد
غلبتهم الكآبة ما يغني عنا عفوك كما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل
البيت القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى
بلغ جهدهم وطفقوا ايها الهلكة نزل جبريل فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك
على النبوة وقد اختلف في استنبائهم فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف الى ابيه هماناً ومائتي
راحلة ليتجهز اليه من معه وخرج يوسف والملك في اربعة آلاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم
فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا
ولدك فلما التقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان يوسف قال له لما التقيا يا ابت
بكيت علي حتى ذهبت بصرك الم تعلم ان القيمة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك
وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى
ومقاتلهم ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف
الف ومائتي الف آوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن ابي اسحاق كانت امه حيا وقيل
ماتت وخالته ماتت امه فتزوجها وجعلها احد الابوين لان الرابة تسمى امّا لقيامها مقام الام او لان
الخالة ام كما ان العم اب ومنه قوله الهاً آبائك ابرهيم واسمعيل واسحاق فان قلت ما معنى دخولهم
عليه قبل دخولهم مصر قلت كانه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب او بيت ثم دخلوا عليه وضم اليه
ابويه ثم قال لهم ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ولما دخل مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا
اليه اكرم ابويه فرفعهما على السرير وخروا له سجدا يعني الاحد عشر والابوين ويجوز ان يكون قد خرج في
قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال فامر ان يرفع اليه ابواه فدخلا عليه القبة فآواهما اليه بالضم

ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد
احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني واخوتي ان ربي لطيف
لما يشاء انه هو العليم الحكيم رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا

والاعتناق وقربهما منه فقال بعد ذلك ادخلوا مصر فان قلت لم تعلقت المشية قلت بالدخول
مكيفا بالامن لان القصد الى التفاتهم بالامن في دخولهم فكانه قيل اسلموا وايمنوا في دخولكم ان شاء الله ونظيره قولك
ارجع سالما غانما ان شاء الله فلا تعلق المشية بالرجوع مطلقا ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما
والتقدير ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام ثم اعترض بالجملة الجزاء
بين الحال وذي الحال ومن بديع التفاسير ان قوله ان شاء الله من باب التقديم والتأخير وان موضعهما ما بعد
قوله سوف استغفر لكم ربي في كلام يعقوب وما ادري ما اقول فيه وفي نظايره فان قلت كيف جاز لهم ان
يسجدوا لغير الله قلت كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد
ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من افعال تشعر بالتعظيم والتوقير وقيل ما كانت الا انحناء دون
تعفير الجباه وخرورهم سجدا اياه وقيل معناه وخروا لاجل يوسف سجدا لله شكرا وهذا ايضا فيه نبوة
يقال احسن اليه وبه وكذلك اساء اليه وبه وقال اسيء بنا او احسن لا ملومة من البدو من البادية
لانهم كانوا اهل عمد واصحاب مواشي ينتقلون الى المياه والمناجع نزغ افسد بيننا واغرى واصله من
نخس الرائض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه لطيف لما يشاء لطيف التدبير
لاجله رفيق حتى يجري على وجه الحكمة والصواب وروي ان يوسف اخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فادخله
في خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزائن
القراطيس قال يا بني ما اعتك عند كهذه القراطيس وما كتبت الي قلي فان مراجل قال اخبرني جبريل قال
او ما تسأله قال انت ابرك اليه مني فسله قال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان يأكله الذئب فهلا
خفتني وروي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحاق
فمضى ودفنه بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا بد
له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه اليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده
فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر وتشاجروا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلته حتى هموا فراوا
من الرأي ان يجعلوه صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل مكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر
ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى
ولقد توارثت الفراعنة من القبائل بعد مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وابائه
الى ان بعث الله موسى فيمن في من الملك ومن تأويل الاحاديث للتبعيض لانه لم يؤت الا بعض ملك الدنيا او بعض
ملك مصر وبعض التأويل انت وليي انت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين ويوصل الملك الفاني بالملك الباقي توفني

تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ
وَهُمْ يَمْكُرُونَ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ

مسلما طلب الوفاة على الإسلام ولا يختم بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون
ويجوز أن يكون تمنيا للموت على ما قيل وألحقني بالصالحين من آبائي أو على العموم وعن عمر بن عبد العزيز أن
ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسألة للموت فقال صنع الله على يديك خيرا كثيرا أحييت
سننا وأمتّ بدعا يا في حيوتك خير وراحة للمسلمين فقال إذا أكون كما تعبد الصالح لما أتى الله به
عينه وجمع أمر قال توفني مسلما وألحقني بالصالحين فإن قلت علام انتصب فاطر
السموات والأرض قلت على أنه وصف لقوله رب كقولك يا أخا زيد حسن الوجه أو على النداء
ذلك إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله صلعم ومحله الابتداء وقوله من أنباء الغيب
نوحيه إليك خبران ويجوز أن يكون الله موصولا بمعنى الذي ومن أنباء الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى
أن هذا النبأ غيب لم يحصل لك إلا من جهة الوحي لأنك لم تحضر بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم وهو القاؤهم
أخاهم في البئر وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه لأنه لم يخف على أحد
من المكذبين أنه لم يكن من حملة هذا الحديث وأشباهه ولا لقي فيهما أحدا ولا سمع منه ولم يكن من
علم قومه فإذا أخبر به وقصه هذا القصص العجيب الذي أعجز جملته ورواته لم يبق شبهة في أنه ليس
منه وأنه من جهة الوحي فإذا أنكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم بامتناع أنه لم يكن مشاهدا لمن حضر
من القرون الخالية ونحو وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وهم يمكرون بيوسف وبعون
له الغوايل وما أكثر الناس يريد العموم كقوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس رض أراد أهل
مكة أو وما هم مؤمنين ولو حرصت وتهالكت على إيمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم وما تسألهم على ما
تجدتهم به وتذكرهم أن يلبلوك منفعة وجدوى كما يعطى حملة الأحاديث والأخبار إن هو إلا ذكر
عظة من الله للعالمين عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله من آية من علامة ودلالة على
الخالق وعلى صفاته وتوحيده يمرون عليها ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها وقرئ
والأرض بالرفع على الابتداء ويمرون عليها خبره وقرأ السدي والأرض بالنصب على ويطؤن الأرض
يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والأرض يمشون عليها برفع الأرض والمراد ما يرونه من آثار الأمم الهالكة و
وغير ذلك من العبر وما يؤمن أكثرهم في إقرارهم بالله وبأنه خالقه وخالق السموات والأرض إلا وهو
مشرك بعبادته الوثن وعن الحسن هم أهل الكتاب هم مشركو إيمان وعن ابن عباس هم الذين يشبهون
الله بخلقه غاشية نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل القواعق هذه
سبيلي هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر

أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلي

أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين وما أرسلنا من
قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من

سبيله بقوله أدعو إلى الله على بصيرة أو أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء وأنا تأكيد للمستتر أدعو و
من اتبعني عطف عليه يريد أدعو إليها أنا ويدعو إليها من اتبعني ويجوز أن يكون أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبرا مقدما
ومن اتبعني عطفا على أنا إخبارا بأنه وأتباعه على حجة وبرهان لا على هوى ويجوز أن يكون على بصيرة
حالا من أدعو عاملة الرفع في أنا ومن اتبعني وسبحان الله وأنزهه من المشركين إلا رجالا لا ملائكة لأنهم كانوا
يقولون لو شاء ربنا لأنزل ملائكة وعن ابن عباس رض يريد ليست فيهم امرأة وقيل في حجاج المتنبئة أصحت
نبيتنا أنثى نطوف بها ولم ينزل بأنبياء الله ذكرانا وقرئ نوحي إليهم بالنون من أهل لأنهم أعلم وأحلم وأهل
البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة ولدار الآخرة ولدار الساعة أو الحال الآخرة خير للذين اتقوا للذين خافوا
الله فلم يشركوا به ولم يعصوه وقرئ أفلا تعقلون بالياء والتاء حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كأنه
قيل وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا فتراخى نصرهم حتى إذا استيأسوا عن النصر وظنوا أنهم قد كذبوا أكذبهم
أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون أو جاءهم الرسل كقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى أن مدة التكذيب والعلا
من الكفار وانتظار النصر من الله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم
في الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس رض وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا
ما وعدهم الله من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله
فإن صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس بالقلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على
عليه البشرية وأما الظن الذي هو ترجيح أحد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال الأنبياء رسل الله
الذين هم أعرف الناس بربهم وأنه متعال عن خلف الميعاد منزه عن قبيح وقيل وظن المرسل إليهم أن
الرسل قد كذبوا أو أخلفوا أو ظن المرسل إليهم أنهم كذبوا من جهة الرسل أو كذبتهم الرسل في أنهم ينصرون
عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرئ وكذبوا بالتشديد على وظن الرسل أنهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم
من العذاب والنصرة عليهم وقرأ مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل على وظن الرسل أنهم قد كذبوا
فيما حدثوا به قومهم من النصرة عليهم استعلاء تأويل ابن عباس رض وأما على أن قومهم إذا لم يروا لموعدهم أثرا قالوا لهم إنكم
قد كذبتمونا فأنتم كاذبين عند قومهم أو ظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا ولو جرى هذا مشددا
لكان معناه وظن الرسل أن قومهم كذبوهم في موعدهم وقرئ فنجي بالتخفيف والتشديد من أنجى ونجا و
وقرئ فنجي على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرأ ابن محيصن فنجا والمراد بمن نشاء المؤمنون لأنهم هم الذين
يستأهلون أن ينشأ نجاتهم وقد بين ذلك بقوله ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين الضمير في قصصهم للرسل وتنقص
قراءة من قرأ في قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع إلى يوسف وإخوته فإن قلت فلام يرجع الضمير في ما

ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون

ما كان حديثا يفترى فيمن قرأه بالكسر قلت الى القرآن اى ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن كان تصديق
الذي بين يديه اى قبله من الكتب السماوية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي يستند اليه
السنة والاجماع والقياس بعد ادلة العقل وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان وقرئ ذلك
بالرفع على ولكن تصديق الذي بين يديه وعن رسول الله صلعم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها
وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مدنية وهي خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم تلك اشارة الى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة
اى تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال والذي انزل من القرآن كله هو الحق الذي
لا مزيد عليه هذه السورة وجدها وفي اسلوب هذا الكلام قول الامامية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى
اين طرفاها ثم بين الكلمة الله مبتداء والذي خبر بدليل قوله وهو الذي مد الارض ويجوز ان يكون
صفة وقوله يدبر الامر يفصل الآيات خبرا بعد خبر وينصر ما تقدمه من ذكر الآيات رفع السموات
بغير عمد ترونها كلام مستأنف استشهاد برؤيتهم لها كذلك وقيل هي صفة لعمد ولعطف قراءة ابي
ترونه وقرئ عمد بضمتين يدبر الامر يدبر امر ملكوته وربوبيته يفصل آياته في كتبه المنزلة
لعلكم توقنون بالجزاء وبان هذا التدبير والمفصل لا بد لكم من الرجوع اليه وقراء الحسن ندبر بالنون
جعل فيها زوجين اثنين خلق فيها من جميع انواع الثمرات زوجين زوجين حيل مدها ثم تكاثرت
بعد ذلك وتنوعت وقيل اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير
والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة يغشي الليل النهار يكدره مكانه فيصير اسود مظلما
بعد ما كان ابيض نيرا وقراء يغشي بالتشديد قطع متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة
متلاصقة طيبة الى كرمة سبخة وكرمة الى نهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع الى للشجر الى
الى الحرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارض وذلك دليل على قادر مريد موقع لافعاله على وجه دون
وجه وكذلك الكروم والزروع والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الاجناس والانواع وهي تسقى بماء
واحد وتراها متفاوتة الثمر والاشكال والالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف
قطعا متجاورات على وجعل وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين او بالجر على كل الثمرات وقرئ
وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب وجنات والصنوان جمع صنو وهي النخلة التي لها رأسان واصلهما
واحد وقرئ بالضم فالكسر على لغة اهل الحجاز والضم لغة بني تميم يسقى بالياء والتاء ونفضل بالنون

لعلكم بلقاء ربكم توقنون وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل
فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفي الارض قطع متجاورات

والتفصيل بسبب لا محالة فيكون ذكر التدبير والتفصيل بعد الوصف بذلك بمنزلة ذكر الشيء بدليله واما اذا كان الذي خبرا مثل هو ومفصل فلا دليل فيه عليهما لانه خبر

والكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد
اولئك الذين كفروا بربهم واولئك الاغلال في اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ويستعجلونك

والياء على البناء للفاعل والمفعول جميعا في الاكل بضم الكاف وسكونها وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث
فقولهم عجيب حقيق بان يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليكم من القطع العظيمة ولم يعي بخلقهن
كانت الاعادة اهون شيء عليه وايسره فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب ايذا كنا الى آخر قولهم يجوز
ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله ائنا لفي خلق
جديد اولئك الذين كفروا بربهم اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم واولئك الاغلال في اعناقهم وصف
بالاصرار كقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ومحق لهم عن الرشد اغلال واقياد او هو من جملة الوعيد
بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك انهم سألوا رسول الله صلعم ان
يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات اى عقوبات امثالهم من المكذبين
فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما يبين لعقاب المعاقب
عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال امثلت الرجل من صاحبه واقتصصت منه والمثال
القصاص وقرئ المثلات بضمتين لاتباع الثاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما
يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة
وركبات لذو مغفرة على الناس على ظلمهم اى مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال يعني ظالمين لانفسهم و
فيه اوجه ان يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر او الكبائر بشرط او يريد بالمغفرة الستر والامهال ولولا
انها لما نزلت قال النبي صلعم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل
كل احد لولا انزل عليه آية من ربه لم يعتدوا بآيات المنزلة على رسول الله صلعم عنادا فاقترحوا نحو
آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقيل لرسول الله صلعم انما انت رجل ارسلت
منذرا نحو قالهم تسوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر
وصحة ذلك حاصلة بآية آية كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها
والذي عنده كل شيء مقدار يعطي كل نبي آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها ولكل قوم
هاد من الانبياء يهدي الى الدين ويدعوهم الى الله بوجه من الهداية وبآية خص بها ولم يجعل للانبياء شرعا
واحدا في آيات مخصوصة ووجه آخر وهو ان يكون المعنى انهم يحدثون كون ما انزل عليك آيات ويعاندون
فلا يهتمنك ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولكل
قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله تعالى ولقد دل بما اردفه من ذكر آيات علمه وتقدير الاشياء على
قضايا حكمته ان اعطاءه كل منذر آيات خلاف آيات غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة

٨ يعني قوله الله يعلم ما تحمل كل انثى الآية

الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير
المتعال سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات

الربانية ولو علم في اجابتهم الى ما اقترحوه خيرا ومصلحة لاجابهم اليه واما على الوجه الثاني فقد دل به على ان من
هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم بالطريق بهديهم والسبيل اليه ذلك لغيره الله يعلم تحمل ان
يكون المعنى تفسيرا لهاد على الوجهين الاخيرين ثم ابتدئ فقيل يعلم ما تحمل كل انثى وما فيما تحمل وما تغيض وما تزداد اما
موصولة واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة او
انوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الارحام
اي تنقصه يقال غاض الماء وغيضته انا ومنه قوله وغيض الماء وما تزداده اي تاخذ زائدا تقول
اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد كما
تنقصه الرحم ويزداد عدد الولد فانها تشتمل على تسع وثلثة واربعة ويروى ان شريكا كان رابع اربعة
في بطن امه ومنه جسد الولد فانه يكون ناقصا ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد
عليها الى سنتين عند ابي حنيفة والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم
بن حيان بقي في بطن امه سنتين ولذلك سمي هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى
انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك من اوقاته واحواله ويجوز ان
يراد غيض ما في الارحام وزيادته فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها على ان الفعلين غير متعديين ويعضده
قول الحسن الغيض ما نقص لثمانية اشهر واقل من ذلك والازدياد ما ولد لتمام بمقدار بقدر وحد لا يجاوزه
ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر الكبير العظيم الذي كل شيء دونه المتعالي المستعلي على كل شيء بقدرته
او الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها سارب ذاهب في سربه بالفتح اي في طريقه ووجهه يقال سرب
في الارض سروبا والمعنى سواء عنده من استخفى اي طلب الخفاء في مخبئه وبالليل في ظلمته ومن ظهر في الطرقات
ظاهرا بالنهار يبصره كل احد فان قلت كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب
بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب في الاقتدار تناول واحدا هو مستخف وسارب قلت
فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني انه عطف على مستخف
ان فيه معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب
بالنهار والضمير في له مردود على من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات
جماعات من الملائكة تعقب في حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله جاء المعذرون
بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به او هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه كما
يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه يحفظونه من امر الله صما صفتان

ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال
هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل

صفتان حيا وليس من امر الله بصلة للحفظ كانه قيل له معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله
اي من اجل ان الله امرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة يحفظونه
بامر الله او يحفظونه من بأس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ومسألتهم اياه ان يتوب
ويتيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والحفظة حول السلطان
يحفظونه في نوبة وتقدير من امر الله اي من قضائه وقدره او على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع
معقب او معقبة والياء عوض من حذف احدى القافين في التكسير ان الله لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية
حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي من ولي امر قوم ويدفع عنهم خوفا وطمعا لا يصح ان
يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف او ارادة خوف وطمع او على معنى
اخافة واطماعا ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع او على ذا خوف وطمع
او من المخاطبين اي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق
ويطمع في الغيث قال ابو الطيب فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منها ويخشى الصواعق
وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جريفه التمر والزبيب من له بيت يكنه ومن البلاد
ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحييا به السحاب اسم الجنس والواحدة سحابة و
الثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء كرام وهي الثقال بالماء
ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعوا الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له او يضجون بسبحان الله
والحمد لله وعن النبي صلعم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي رضه سبحان من سبحت له واذا
اشتد الرعد قال رسول الله صلعم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس رضه
ان اليهود سألت النبي صلعم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق
بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة ان الرعد صعقات الملائكة و
البرق رفرفات اجنحتهم والمطر بكاؤهم والملائكة من خيفته ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله ذكر
علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده ومادل على قدرته الباهرة ووحدانيته قال وهم يعني
الذين كفروا وكذبوا رسول الله وانكروا آياته يجادلون في الله حيث يشركون على رسوله ما يصفه به من القدرة على
البعث واعادة الخلائق يقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد و
يجعلونه بعض الاجسام المتولدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا
به الحق وقيل الواو للحال فيصيبها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن ربيعة العامري

وهو شديد المحال. له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ
فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال. ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم

قال رسول الله صلعم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فدعى الله عامرا بغدة كغدة البعير
وموت في بيت سلولية وأرسل على أربد صاعقة فقتلته اخبرني عن ربنا أمن نحاس هو أم من حديد المحال
المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه وتمحك
بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا وقال الاعشى
فرع ينبع يهتش به تلاح في غصن المجد غزيرا الندى شديد المحال والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه
يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرأ الزهري بفتح الميم على انه فعل من حال يحول محالا اذا
احتال ومنه أحول من ذئب او اشد حيله ويجوز ان يكون مثل يد القفاز ويكون مثلا في القوة والقدرة
كما جاء فساعد الله اشد وموساه أحد لان الحيوان اذا اشتد محاله كان ملعوبا بشدة القوة والا
فيضطلع بما يعجز عنه غيره الا ترى الى قولهم فقدته الفواقر وذلك ان القفاز عود الظهر وقوامه دعوة
الحق فيه وجهان احدهما ان يضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة
الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه وتعالى
يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤله ان كان مصلحة له وكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان
يتوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه والثاني ان يضاف
الى الحق الذي هو الله عز وجل على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن الحق هو الله وكل
دعاء اليه دعوة الحق فان قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله قلت اما على قصة
أربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة مماحلة من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلعم عليه وعلى
صاحبه بقوله اللهم اكفنيهما بما شئت فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة الحق واما على الاول فوعيد للكفرة
على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله ان دعا عليهم فيهم والذين يدعون والآلهة الذين
يدعوهم الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم إلا كباسط كفيه او كاستجابة الماء من بسط
كفيه اليه بطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا يعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان
يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل
شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم ممن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه فيبسطهما ناشرا اصابعه
فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه وقرئ تدعون بالتاء كباسط كفيه بالتنوين وما دعاء
الكافرين الا في ضلال الا في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الآلهة لم تستطع اجابتهم
ولله يسجد اي ينقادون لاحداث ما اراده فيهم من افعاله شاؤا او ابوا الا يقدرون ان يمتنعوا عليه وينقاد

الغدو والآصال قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا
ولا ضرا قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه
الظلال ايضا حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والنقص والزوال وقرئ بالغدو والايصال
من آصلوا اذا دخلوا في الاصيل قل الله حكاية لاعترافهم وتأكيد له عليهم لانه اذا قال لهم من رب
السموات والارض لم يكن ليجد من ان يقولوا الله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله
وهذا كما يقول المناظر لصاحبه اهذا قولك فاذا قال هذا قولك فيحكي قوله تقريرا له عليه واستيثاقا
منه ثم يقول فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز ان يكون تلقينا اي اذا عجزوا عن الجواب فلقنهم فانهم
يتلقونه ولا يقدرون ان ينكروه افاتخذتم من دونه اولياء ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم
من دونه اولياء فجعلتم ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من علمكم واقراركم سببا للاشراك لا يملكون لأنفسهم
نفعا ولا ضرا لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثروهم
على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما ابين ضلالتكم ام جعلوا ومعنى الهمزة الانكار وخلقوا صفة لشركاء
يعني انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قد رهؤلاء على
الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق
ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخالق الخلق فضلا ان يقدروا على ما يقدر عليه الخالق قل الله
خالق كل شيء لا خالق غير الله ولا يستقيم ان يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة وهو الواحد المتوحد
بالربوبية القهار لا يغالب فما عداه مربوب مقهور هذا مثل ضربه الله للحق واهله والباطل وحزبه كما ضرب
الاعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق واهله بالماء الذي نزل من السماء فسال به اودية الناس
فحيوا وينفعهم انواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي واتخاذ الاواني والآلات المختلفة ولو
لم يكن الا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به وان ذلك كائن في الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في
منافعه ويبقى آثاره في العيون والآبار والحبوب والثمار التي تنبت به بما يدخرون ويكنزون وكذلك الجواهر تبقى
ازمانا متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي
يزمي بجانبه وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا اذيب فان قلت لم ذكرت الاودية قلت
لان المطر لا يأتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض دون بعض فان قلت فما معنى قوله
بقدرها قلت بمقدارها الذي عرف الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار الا يرى الى قوله واما ما ينفع الناس
لانه ضرب مثلا للحق فوجب ان يكون المطر مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة ولا يكون لبعض الامطار والسيول
والجوارف فان قلت فما فائدة قوله ابتغاء حلية او متاع قلت الفائدة كالفائدة في بقدرها
لانه جمع المأتي والفلز في النفع في قوله واما ما ينفع الناس واما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه

كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك
يضرب الله الأمثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا

ومثله ويذاب وهو الحلية والمتاع وقوله مما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع عبارة جامعة لانواع
الفلز مع اظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به وهو يجيء الحلول كما جاء في ذكر الآجر او وقدي يا هامان
على الطين من ابتداء الغاية وومنه يلحشاء زيد مثل زيد الجاء او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابيا مستعليا
مرتفعا على وجه السيل جفاء يجفأ السيل او يرمي به وجفأت القدر بزبدها واجفأ السيل واجفل
وفي قراءة رؤبة العجاج جفالا وعن ابي حاتم لم يقرأ بقراءة رؤبة لانه كان يأكل الفار وقرئ يوقدون
بالياء اي يوقد الناس للذين استجابوا اللام متعلقة بيضرب كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا
والكافرين الذين لم يستجيبوا اي هما مثلا الفريقين والحسنى مصدر استجابوا او استجابوا الاستجابة الحسنى
وقوله لو ان لهم كلام مبتدأ في ذكر ما اعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال
وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ وخبر للذين استجابوا اي لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا
مبتدأ وكما بعده خبر لو مع ما في حيزه وسوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي ان يحاسب الرجل بذنبه
كله لا يغفر له منه شيء دخلت همزة الانكار على الفاء في قوله افمن يعلم لانكار ان تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل
في ان حال من علم ان ما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب بمنزلة من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما
بين الزبد والماء والخبث والابريز انما يتذكر اولوا الالباب الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا
الذين يوفون بعهد الله مبتدأ واولئك لهم عقبى الدار خبر كقوله والذين ينقضون اولئك لهم اللعنة ويجوز ان يكون
صفة لاولي الالباب ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون كلما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وعهده
من المواثيق بينهم وبين العباد تعميم بعد تخصيص ما امر الله به ان يوصل من الارحام والقرابات ويدخل فيه
وصل قرابة رسول الله صلعم وقرابة المؤمنين الثابتة بعد الايمان بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان
اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بينهم وبين
انفسهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم
والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض ان
جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من اين انتم فقالوا من خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم
واعلموا ان الجد لو احسن الاحسان كله وكانت له دجاجة فاساء اليها لم يكن من المحسنين ويخشون ربهم
اي يخشون وعيده كله ويخافون خصوصا سوء الحساب فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا صبروا مطلقا
فيما يصعب عليه من المصائب في النفوس والاموال وسائر التكاليف ابتغاء وجه الله لا ليقال ما اصبره
واحمله للنوازل واوقح عند الازل ولا ليلا يعاب بالجزع وليلا يشمت به الاعداء كقوله وتجلد

صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة

وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن
يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب

للشافعيين ولأنه لا طائل تحت الحلم ولا مزيد فيه للغايات كقوله ما إن جزعت ولا هلعت ولا يرد بكاء
ثكلى وكل عمل له وجه يعمل عليها فعلى المؤمن الدنيوي منها ما به كان جسما عند الله والأم يستحق به ثوابا
وكان فعلا كالأفعال مما رزقناهم من الحلال لأن الحرام لا يكون رزقا ولا يسند إلى الله سرا وعلانية يتناول النوافل
لأنها في السر أفضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها تنبيها للتهمة ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها عن ابن
عباس رضي يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن إذا جهلوا أعطوا وإذا ظلموا
عفوا وإذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان إذا أذنبوا تابوا وقيل إذا رأوا منكرا أمروا بتعيين عقبى
الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة التي أراد الله أن يكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها وجنات عدن بدل من عقبى
الدار وقرئ فنعم بفتح النون والأصل نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة الكون العين إليها ومن فتح فقد سكن
العين ولم ينقل وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول وقرأ ابن أبي عبلة صلح بضم اللام والفتح أفصح أعلم
أن الأنساب لا تنفع إذا تجردت من الأعمال الصالحة وآباؤهم جمع أبوي كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم
سلام عليكم في موضع الحال لأن المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين فإن قلت بم تعلق قوله بما صبرتم
قلت بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم أو بدل بما احتملتم من مشاق
الصبر ومتاعبه هذه الميلاد والتحم والمعنى لين تنعمتم في الدنيا فقد استرحتم الساعة كقوله عما قد
أرى أو أنس وعن النبي صلعم أنه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم
فنعم عقبى الدار ويجوز أن يتعلق بسلام عليكم أي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم من بعد ميثاقه من بعد ما
أوثق به من الإعتراف والقبول سوء الدار يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبى الدار
ويجوز أن يراد بالدار جهنم وسوؤها عذابها الله يبسط الرزق أي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدر
دون غيره وهو الذي بسط رزق أهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر
لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وخفي عليهم أن
نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئا نزرا يتمتع به كجمالة الراكب وهو ما يتحمله من تمرات
أو شربة سويق أو نحو ذلك فإن قلت كيف طابق قوله لولا أنزل عليه آية من ربه قوله قل إن
الله يضل من يشاء قلت هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك أن الآيات الباهرة المتكاثرة
التي أوتيها رسول الله لم يؤتها نبي قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فإذا جحدوها ولم يعتدوا
بها وجعلوها كأن آية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكأنه قيل أما أعظم عنادكم وما
أشد تصميمكم على الكفر إن الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل

ويهدي إليه من أناب الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا
الصالحات طوبى لهم وحسن مآب كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا

إلى اهتدائهم وإن انزلت كل آية ويهدي إليه من كان على خلاف صفتكم أناب أقبل إلى الحق وحقيقته
دخل في نوبة الخير والذين آمنوا بدل من أناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق
والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أو تطمئن بالقرآن لأنه معجزة بينة
تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها الذين آمنوا مبتدأ وطوبى لهم خبر ويجوز أن يكون بدلا من
القلوب على تقدير حذف المضاف أي تطمئن إلى القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر لطاب كبشرى
وزلفى ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا فمحلها النصب أو الرفع كقولك طيبا وطيب لك وسلاما لك والقراءة
في قوله وحسن مآب بالرفع والنصب قد أعلى محلهما واللام في لهم للبيان مثلها في قولك سقيا لك والواو
في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرأ مكرم الأعرابي طيبى لهم فكسر الطاء ليسلم
الياء كما قيل بيض وبيعة كذلك أرسلناك مثل ذلك الإرسال أرسلناك يعني أرسلناك إرسالا له وفضل
على سائر الإرسالات ثم فسر كيف أرسله فقال في أمة قد خلت من قبلها أمم أي أرسلناك في أمة قد تقدمتها
أمم كثيرة فهي آخر الأمم وأنت خاتم الأنبياء لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك لتقرأ عليهم الكتاب العظيم
الذي أوحينا إليك وهم يكفرون وحال هؤلاء أنهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت كل شيء رحمته
وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في إرسال مثل إليهم وأنزل هذا القرآن المعجز المصدق لشاهد
الكتب عليهم قل هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم وإليه متاب فيثيبني
على مصابرتكم ومجاهدتكم ولو أن قرآنا جواب لو محذوف كما تقول لو لا كم لو أتى ثبت إليك وترك الجواب
والمعنى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها أو قطعت به الأرض
حتى تتصدع وتتزايل قطعا أو كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير
ونهاية في الإنذار والتخويف كما قال لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله
وهذا يعضد ما فسرت به قوله لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك من إرادة تعظيم ما أوحي إلى رسول الله من القرآن
وقيل معناه ولو أن قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى وتبيينهم لما آمنوا به
ولما تنبهوا عليه ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة الآية وقيل إن أبا جهل بن هشام قال لرسول الله سيروا بقرآنك
الجبال عن مكة فيتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود وعلم أن كنت نبيا كما تزعم
فلست بأهون على الله من داود أو سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر إلى الشام ثم نرجع في يومنا فقد
شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان أو ابعث لنا أزجلين أو ثلاثة ممن مات من آبائنا
منهم قصي بن كلاب فنسألهم وقيل معنى تقطيع الأرض على هذا قطعها بالسير ومجاوزتها وعن الفراء هو

بل لله الأمر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما
صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك

متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس بعيد
من السداد وقيل قطعت شققت فجعلت أنهارا وعيونا بل لله الأمر جميعا على معنيين أحدهما بل لله
القدرة على كل شيء وهو القادر على الآيات التي اقترحتموها إلا أن علمه بأن إظهارها مفسدة يصرفه والثاني
بل لله أن يلجئهم إلى الإيمان وهو قادر على الإلجاء لولا أنه نبي التكليف على الاختيار ونقض
أفلم ييأس الذين آمنوا
أن لو يشاء الله يعني مشيئة الإلجاء والقسر لهدى الناس جميعا ومعنى أفلم ييأس أفلم يعلم وقيل على لغة قوم
من النخع وقيل إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليائس من الشيء عالم بأنه لا يكون كما استعمل
الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي أقولهم بالشعب إذ يأسرونني
ألم ييأسوا أني ابن فارس زهدم ويدل عليه أن عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا أفلم
يتبين وهو تفسير أفلم ييأس وقيل إنما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوى السنات وهذا ونحوه مما لا يصدق
في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الإمام و
كان متقبلا في أيدي أولئك الأعلام المخاطبين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جليله ودقيقه خصوصا
عن القانون الذي إليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء هذه والله فريه ما فيها مرية ويجوز أن يتعلق
أن لو يشاء بآمنوا على أولم يتبين عن إعراض هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهذا
تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء أعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا و
المصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم أو تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير إليهم
شرارها ويتعدى إليهم شرورها حتى يأتي وعد الله وهو موتهم أو القيامة وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم
بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا حول
مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى
يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكأن الله قد وعده ذلك الإملاء الإمهال وأن يبتلى ملاوة من الزمان في خفض
وأمن كالبهيمة يملى لها الربيع في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به
وتسلية له أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم
أم تنبئونه بما لا يعلم أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد
لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار
أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه
قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم
ما لك من الله من ولي ولا واق ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب
يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب
أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا
يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب

أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد لهم عذاب
في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من

والأرض فإذا لم يعلموه علم أنهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي أن يكون له شركاء ونحوه قل
أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض أم بظاهر من القول بل أسموهم شركاء بظاهر
من القول من غير أن يكون له حقيقة كقولهم ذلك قولهم بأفواههم ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها
وهذا الاحتجاج وأشباهه الحجة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق أنه من ليس
كلام البشر لمن عرف وأنصف من نفسه فتبارك الله أحسن الخالقين وقرئ أتنبئونه بالتخفيف
مكرهم كيدهم للإسلام بشركهم وصدوا وصدوا بالحركات الثلث وقرأ ابن أبي إسحاق وصدّ بالتنوين
ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه أنه لا يهتدي فما له من هاد فما له من أحد يقدر على هدايته لهم عذاب
في الحيوة الدنيا وما ينالهم من القتل والأسر وسائر المحن ولا يلحقهم إلا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه
عذابا وما لهم من الله من واق وما لهم من حافظ من عذابه أو ما لهم من جهته من واق من رحمته مثل
الجنة صفتها التي هي غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه فيما قصصنا
عليك مثل الجنة وقال علي الخبر تجري من تحتها الأنهار كما تقول صفة زيد أسمر وقال الزجاج معناه
مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار على حذف الموصوف تمثيلا لمن غاب عنا بما نشاهده وقرأ
علي رضي الله عنه أمثال الجنة على الجمع أي صفاتها أكلها دائم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها دائم لا ينسخ
كما ينسخ في الدنيا بالشمس والذين آتيناهم الكتاب يريد من أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب
وأصحابهما ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران واثنان وثلاثون بأرض الحبشة
وثمانية بالشام هؤلاء يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب يعني ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا
على رسول الله بالعداوة كحيي بن أخطب وأصحابه والسيد والعاقب أسقف نجران وأشياعهما
من ينكر بعضه لأنهم كانوا لا ينكرون الأقاصيص وبعض الأحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا
ينكرون ما هو نعت الإسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع فإن قلت كيف
اتصل قوله إنما أمرت أن أعبد الله بما قبله قلت هو جواب لمنكري معناه قل إنما أمرت فيما أنزل إلي
بأن أعبد الله ولا أشرك به فالكاركم له إنكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة
الله وأن لا يشرك به قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به
شيئا وقرأ نافع في رواية أبي خليد ولا أشرك به بالرفع على الاستئناف كأنه قال وأنا لا أشرك به ويجوز أن
يكون في موضع الحال على معنى أمرت أن أعبد الله غير مشرك به إليه أدعو خصوصا لا أدعو إلى غيره وإليه مآبي
مرجعي وأنتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لإنكاركم وكذلك أنزلناه ومثل ذلك الإنزال أنزلناه فأمورا فيه بعبادة الله

ذلك إشارة إلى حكم أنزلناه وموضع الكاف نصب والتشبيه
كون ذلك المنزل إلى آخره ما سبق من قوله أمرت أن أعبد الله وجه الشبه
إليه وإلى آخره تفسير لقوله وإليه مآب
الجزاء وإشارة إلى قوله وإليه
مآب يعني أحكم بينكم
أمرت أن أعبد الله وأنا
الأنزال المحكم بحكمها
وفرقنا فيه وشبه
عاقبتي من الخاتم

بعثه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب وكذلك أنزلناه

قوله والزجاج معناه مثل الجنة جنة
اعلم أن المثل على قول بعضهم العنوان فكما يقال
الجنة التي وعد المتقون شبه جنة تجري من تحتها الأنهار
ثم أشار إلى أن الشبه به ليس بالكامل من الشبه منها كما هو حق التشبيه
هذا فما يكون في تشبيه الناقص بالكامل وإما تشبيه بالكامل فلا وأما على
القولين الآخرين فالمثل كان بمعنى الصفة العجيبة الشأن لأن المثل بمعنى الشبه ثم نقل إلى الصفة العجيبة الشأن
لأن الكلام الذي هو مثل الأمر موضوع للتشبيه الذي منه ثم نقل إلى الصفة العجيبة الشأن
وقال غيره مثل الجنة مرفوع وجزء يجري من تحتها كما تقول منه فلان كذا معناه
صفة الجنة وعلى القولين حسن جميل

حكما عربيا ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله لكل اجل كتاب

وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه
على الحال كانوا يدعون رسول الله الى امور يوافقهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له ان
تابعتهم على دينهم ما هو الا اهواء وشبهة بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة فذلك لك الله فلا ينصرك امره
واهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للثابتين على الثبات في الدين والتصلب فيه
وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله صلعم من شدة الشكيمة بحيث كانوا يعيبونه
بالتزوج والولاد كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فقيل كان
الرسل من قبله بشرا مثله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان ياتوا بآيات برأيهم ولا ياتون بما يقترح عليهم
والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم تكتب على العباد او يفرض عليهم على ما يقتضيه
استصلاحهم يمحو الله ما يشاء بنسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير
منسوخ وقيل يمحو الله من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مامورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت
فيه وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضا
من الاناسي والحيوان والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال وعنده ام الكتاب
اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه وقرئ يثبت وانما نرينك وكيف ما دارت الحال
اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة يجب
وعلينا الا عليك حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل عذابهم اولم يروا انا ناتي الارض ارض
الكفر ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم فتنقص دار الحرب وتزيد دار الاسلام وذلك من آيات
النصر والغلبة ونحوه افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها انهم الغالبون سنريهم آياتنا في الآفاق والحق عليك
بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك نحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ونعجل له تاخره فان ذلك
لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنه بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقصها
بالتشديد لا معقب لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه بالرد والابطال
ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفى غريمه بالاقتضاء والطلب قال ليس طلب المعقب حقه المظلوم
والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم
في الآخرة بعد عذاب الدنيا فان قلت ما محل قوله لا معقب لحكمه قلت هو جملة محلها النصب على الحال كانه
قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على راسه ولا قلنسوة تريد حاسرا وقد مكر الذين من قبلهم
وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكر فقال فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب

نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني
وبينكم ومن عنده علم الكتاب

كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار لان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها فهو المكرم كله لانه يأتيهم
من حيث لا يعلمون ويهجم في غفلة مما يرادبهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفرة واهله
والمراد بالكفر الجنس وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من اعلمه او سيخبر كفى بالله شهيدا بما اظهر من
الادلة على رسالتي ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القرآن ما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى
البشر وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعتي في كتبهم وقيل هو الله عز
وجل والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم
علم ما في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم وتعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة او
ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علم من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعلم
على البناء للمفعول وقرئ بمن عنده علم الكتاب فان قلت بما ارتفع علم الكتاب قلت في القراءة
التي وقع عنده فيها صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة او وقع في شبه الفعل
لاعتماده على الموصول فيعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه
وفي القراءة التي لم تقع عنده فيها صلة يرتفع العلم بالابتداء وعن رسول الله صلعم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر
عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة ويبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله تعالى

سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم كتاب هو كتاب يعني السورة وقرئ لتخرج الناس والظلمات
والنور استعارتان للضلالة والهدى باذن ربهم بتسهيله وتيسير مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك
ما يخصهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن
آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستيناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله الله عطف بيان
للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي يستحق العبادة كاغلب النجم في الثريا
وقرئ بالرفع على هو الله الويل لقيض الزوال وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لم يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب
نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقوله سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر
الى نور الاسلام توعد الكافرين بالويل فان قلت ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل قلت
المعنى يولولون من عذاب شديد ويصيحون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون مبتدأ
خبره اولئك في ضلال ويجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم او مرفوعا على اعني الذين يستحبون والاستحباب
الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان الموثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها

من عذاب شديد الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة

ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين
لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ولقد ارسلنا موسى بايتنا ان اخرج

من الآخرة وقرأ الحسن ويصدون بكسر الصاد وضم الياء يقال صدّ عن كذا واصدّ قال اناس اصدوا الناس
بالسيف عنهم والهمزة فيه داخلة على صدّ صدودا لتنقله من غير المتعدي الى المتعدي واما صدّ فموضوع على التعدية
كمنعه وليست بفصيحة كما وقفه لان الفصحاء استغنوا بصدّه ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا ويطلبونها
لسبيل الله زيغا واعوجاجا وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار واوصل
الفعل في ضلال بعيد اي ضلوا عن سبيل الحق ووقعوا دونه بمراحل فان قلت فما معنى وصف الضلال بالبعد
قلت من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد من الطريق فوصف به فعله كما تقول
جد جده ويجوز ان يراد في ضلال ذي بعد اي فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا الا بلسان
قومه ليبين لهم اي ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا كما قال ولو جعلناه قرآنا
اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته فان قلت لم بعث رسول الله الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة
وان لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالحجة لم يكن للعرب حجة قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا
حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان واحد وكان اولى الالسنة
لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وبينوه وتنوقل عنهم وانتشرت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى
الحال وتشاهد هذا من بيانه التراجم في كل امة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة والاقطار
المتنائية والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب
من ذلك من الفوائد وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب
ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولذلك لو نزل بالسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها
وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل امة بلسانها كما كلم امته التي هي منها يتلو عليهم معجزا
لكان ذلك اقرب شيء من الانجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه والسن واللسان كالريش
والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسنة قومه بضم اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد وعمد
على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلعم وروي عن الضحاك وان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اذا كان
كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان في قوله ليبين للعرب وهذا معنى فاسد فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء
كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل الا من علم انه لن يؤمن ولا يهدي الا من علم انه يؤمن وما الاضلال الا التخلية ومنع الالطاف وما الهداية الا
اللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان
ولا يلطف الا باهل اللطف ان اخرج بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز

قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور واذ قال موسى لقومه
اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون

ان يكون ان الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها بما يكون مفردا في تاويل المصدر
وهو الفعل والامر وغيره سواء في القابلية والدليل على جواز ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز عليه بان افعل
فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير امره بان اخرج قومك وذكرهم بايام الله والذكر هو وقايع التي وقعت
على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها ومنازلها كيوم ذي قار ويوم البحار ويوم قضة
وهو الظاهر وعن ابن عباس رض نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى
وفلق لهم البحر واما بلاؤه فاهلاك الفراعنة لكل صبار شكور يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فاذا سمع بما
انزل الله من البلاء على الامم او افاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه الصبر والشكر واعتبر وقيل
اراد لكل مؤمن لان الصبر والشكر من سجاياهم تنبيها عليهم اذ انجاكم ظرف بمعنى الانعام او انعامه عليكم ذلك
الوقت فان قلت هل يجوز ان ينتصب بنعمة عليكم قلت لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة بمعنى
الانعام او غير صلة اذا اردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه واذا كان غير صلة بمعنى اذكروا
نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين انك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة
لم تكن كلاما حتى تقول فايضة او نحوها والا كان كلاما ويجوز ان يكون اذ بدلا من نعمة الله اي اذكروا وقت
انجائكم وهو من بدل الاشتمال فان قلت في سورة البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون وهنا ويذبحون
مع الواو فما الفرق قلت الفرق ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا
له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كانه جنس آخر
فان قلت كيف كان في آل فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم واسهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء
من الله ووجه آخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالمحنة والنعمة
جميعا قال الله وبلوناهم بالسيئات والحسنات وقال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو واذ تاذن
ربكم من تاذن كاذن موسى لقومه وانتصابه على العطف على قوله نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه
اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تاذن ربكم ومعنى تاذن ربكم ونظيره تاذن وآذن توعد وأوعد وتفعل
وافعل ولا يدعي تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذ آذن ربكم ايذانا بليغا ينتفي عنه الشكوك
وتمازج الشبه والمعنى واذ تاذن ربكم فقال لئن شكرتم او اجرى تاذن مجرى قال لانه ضرب من القول وفي
قراءة بن مسعود رض واذ قال ربكم ولئن شكرتم اي لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها
من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم ولئن كفرتم وعظمتم
ما انعمت عليكم ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل والناس

باعتبار اورشبه الذي هو متعلقها فاذا قدر انه لا يحلق
لما لم يحلا وانا اذا قدر كونها غير صلة وقدر لما متعلق
عملا وقوله مجيد والا كان كلاما ان لم يكن
صلة

ترجمه اصول ان الا بكسر
بالفعل وسايرب ما فيه معطوف على جملة
ولقد آتينا موسى الكتاب بالايجاد او مبيوا ن لط
ان يتوالى ولم يكن على ان يكونها وفرعون بالابتداء او مبيوا ن لط
ولان يكن الاشتراك بالفعل ولم يكن مستحق وسايرب بالايجاد ليتوالى
ولان يكن الاشتراك بالفعل ولم يكن مستحق وسايرب بالايجاد ليتوالى
ولان يكن الاشتراك بالفعل ولم يكن مستحق وسايرب بالايجاد ليتوالى

فان الله لغني حميد ألم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم
لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم

كلهم فإنما ضررتم أنفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وأنتم إليه محاويج والله غني عن شكركم حميد مستوجب
للحمد بكثرة آلائه وأياديه وإن لم يحمده الحامدون والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا
أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم إلا الله اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة لا يعلم عددهم إلا الله وعن
ابن عباس بين عدنان وإسماعيل عليهم ثلثمائة أبا لا يعرفون وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون
يعني أنهم يدعون علم الأنساب وقد نفى الله علمها عن العباد فردوا أيديهم في أفواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت
به الرسل كقوله وعضوا عليكم الأنامل من الغيظ أو ضحكا واستهزاء مكذبين لها فوضع يده على فيه أو أشاروا بأيديهم
إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم إنا كفرنا بما أرسلتم به أو هذا جوابهم لكم ليس لكم عندنا غير أقاطيعكم من
التصديق الأقوى إلى القول فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وهذا قول قوي أو وضعوها على
أفواههم يقولون للأنبياء اطبقوا أفواهكم واسكتوا أو ردوها في الأنبياء يشيرون لهم إلى السكوت أو وضعوها
على أفواههم يسكتونهم ولا يدعونهم يتكلمون وقيل الأيدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الأيادي أي ردوا نعم الأنبياء
التي هي أجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما أوحي إليهم من الشرائع والآيات في أفواههم لأنهم إذا كذبوها ولم يقبلوها
فكأنهم ردوها في أفواههم ورجعوها إلى حيث جاءت منه على طريق المثل مما تدعوننا إليه من الإيمان بالله وقرئ
مما تدعوننا بإدغام النون مريب موقع في الريبة أو ذي ريبة من أرابه وأراب إذا جاء بريبة وهي قلق النفس وأن لا
تطمئن إلى الأمر أفي الله شك أدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام ليس في الشك إنما هو في المشكوك فيه
وأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وشهادتها عليه يدعوكم ليغفر لكم أو يدعوكم لأجل المغفرة كقوله دعوته
لينصرني ودعوته ليأكل معي قال دعوت لما نابني مسورا ... فلبى فلبى يدي مسور فإن قلت
ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم قلت ما علمته جاء هكذا إلا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه وأطيعون
يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل أدلكم على
تجارة إلى أن قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقف عليه المستقرئ فكان ذلك للتفرقة بين الخطابين وأن لا يستوي
بين الفريقين في الميعاد وقيل أريد أن يغفر لهم ما بينهم وبين الله مخلا فيما بينهم وبين العباد من المظالم
ونحوها ويؤخركم إلى أجل مسمى إلى وقت قدمناه وبين مقدار بيانه لكم وهو أن آمنتم وأطعتم أجلكم بالهلاك قبل ذلك
الوقت إن أنتم إلا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون دوننا بالنبوة ولو أراد
الله إرسال البشر رسلا لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات
والحجج وإنما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا إن نحن إلا بشر مثلكم تسليم لقولهم وأنهم
بشر مثلهم يعنون أنهم مثلهم في البشرية وحدها فأما ما وراء ذلك مما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم

ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل

واقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة لانه قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم
اهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استأثروا بها على ابناء جنسهم الا باذن الله اراد وان الاتيان بالآية التي
اقترحوها ليس الينا ولا في استطاعتنا وما هو الا امر يتعلق بمشية الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون امر منهم
للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا وامروها به كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل
على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم الا ترى الى قوله وما لنا ان لا نتوكل على الله و
معناه واي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدينا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل
واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل قلت
الاول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم
وقصدهم الى انفسهم على ما تقدم لنخرجنكم او لتعودن ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم واما عودكم
الى الغير ملتكم فان قلت كانهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود يجيء
التصيرون وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عودت اراه عاد
على لا يكاد يسمع ما عاد لفلان مال او خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب المخاطب على الواحد
لنهلكن الظالمين حكاية تقتضي اضمار القول او اجراء الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه وقرأ
ابو حيوة ليهلكن وليسكنكم بالياء اعتبارا للاوحي وان لفظه لفظ الغيبة ونحو قولك اقسم زيد ليخرجن
ولاخرجن والمراد بالارض ارض الظالمين وديارهم ونحو واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها واورثكم ارضهم وديارهم وعن النبي صلعم من اذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا في
مدة قريبة كان لي جار يظلمه عظيم القرية التي انا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم فملكني الله ضيعته
فنظرت يوما اليه ابناء جاري يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويأمرون وينهون فذكرت
قول رسول الله صلعم وجدتهم به وسجدنا شكرا لله ذلك شاق على ما قضى الله به من اهلاك الظالمين واسكان
المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر حق لمن خاف مقامي موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذي يقف
فيه عباده يوم القيمة او على اجلالي المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى ان ذلك حق المتقين
واستفتحوا واستنصروا الله على اعدائهم ان تستفتحوا الفتح جاءكم الفتح او استحكموا الله وسألوه القضاء
بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على اوحى اليهم وقرئ
واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على ليهلكن اي اوحى اليهم وقال لهم استفتحوا وخاب كل جبار عنيد ولم يفلح
باستفتاحه فنصروا وظفروا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على

من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن
ورائه عذاب غليظ مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون

٢٨٤

الرسل ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد ولم يفلح باستفتاحه ووراءه من
بين يديه قال عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب وهذا وصف حاله وهو في
الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها او وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف
فان قلت علام عطف ويسقى قلت على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى
ويسقى من ماء صديد كانه اشد عذابها فخصه بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت
فان قلت فما وجه قوله من ماء صديد قلت صديد عطف بيان لماء لانه قال ويسقى من ماء
فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد
يسيغه دخل كاد للمبالغة يعني لا يقارب ان يسيغه فكيف يكون الا شاذة كقوله لم يكد يراها او لم يكد
من رؤيتها فكيف يراها ويأتيه الموت من كل مكان كان اسباب الموت واصنافه كلها قد نابت عليه واتاه
به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام وقيل من مكان جسده حتى من ابهام رجله وقيل
من اصل كل شعرة ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا اشد مما
قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل ان يكون اهل مكة قد استفتحوا
اذ استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة رسول الله فلم يسقوا فذكر سبحانه وتعالى
ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء وهو صديد اهل النار واستفتحوا
على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل وامهم هو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره
وفيما نقص عليكم مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة قوله اعمالهم كرماد جملة مستأنفة
على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد ويجوز ان يكون المعنى مثل اعمال الذين كفروا بربهم
او هذه الجملة خبر للمبتدأ اي صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقوله صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول
او يكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر وقرئ الرياح في يوم عاصف
جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح او الرياح كقوله يوم حاطر وليلة ساكنة وانما السكون لريحها
وقرئ في يوم عاصف بالاضافة واعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب
وفداء الاسارى وعتق الابل للاضياف واغاثة الملهوفين والاحسان وغير ذلك من صنائعهم شبهها في حبوطها
وذهابها هباء منثورا بنثارها على غير اساس من معرفة الله والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح
العاصف لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء اي لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من
الرماد المطيرة في الريح العاصف على شيء ذلك هو الضلال البعيد اشار الى بعد ضلالهم عن طريق الحق

الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز
وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب

او عن الثواب بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة وقرئ خالق السموات
والارض ان يشأ يذهبكم اى هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم او على خلاف شكلهم
اعلاما منه بانه قادر على اعدام الموجود وايجاد المعدوم وتقدر على الشئ وجنس ضده وما ذلك على الله بعزيز
بمتعذر بل هو هين عليه يسير لانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعى
الى شئ وانتفى الصارف لم يكن من توقف كتحرك اصبعك اذا دعاك اليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه
الاية بيان لابعادهم فى الضلال وعظيم خطائهم فى الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على
قدرته الباهرة وحكمته البالغة وانه هو الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه فى دار الجزاء و
وبرزوا لله ويبرزون لله يوم القيمة وانما جئ بلفظ الماضى لان ما اخبر به عز وعلا لصدقه كانه قد كان
ووجد ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونظائره ومعنى برزوا ظهروا لله والله تعالى لا يتوارى
عنه شئ حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله
فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى له خافية او خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب
الله وحكمه فان قلت لم كتب الضعفاء بواو قبل الهمزة قلت كتبت على لفظ من يختم بالالف
قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره علماؤا بنى اسرائيل والضعفاء الاتباع والعوام والذين استكبروا اسادهم
وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم تبعا تابعين جمع تابع على
تبع كخدم جمع خادم وغايب وغيب او ذوى تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا فان قلت اى فرق بين
من فى من عذاب الله وبينه فى من شئ قلت الاول للتبيين والثانى للتبعيض كانه قيل فهل انتم مغنون عنا
بعض شئ الذى هو بعض عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض معا بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شئ هو بعض
عذاب الله او بعض بعض عذاب الله فان قلت فما معنى قوله لو هدينا الله لهديناكم قلت الذى
حال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوايهم وقولهم فهل انتم مغنون عنا من باب التبكيت
لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فاجابوهم معتذرين كما كان منهم اليهم بان الله لو هدانا الى الايمان لهديناكم
ولم يضلونا اما مؤكدين الذنب فى ضلالهم واضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا
لو شاء الله ما عبدنا من دونه من هج يقولون ذلك فى الآخرة كما كانوا يقولونه فى الدنيا ويدل عليه قوله حكاية
عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شئ ويجوز ان يكون المعنى لو كنا
من اهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهدينا كم الى الايمان وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب
لهديناكم لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة سواء علينا اجزعنا ام صبرنا استوينا

وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من
سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخى انى

٢١٥

علينا الجزع والصبر والهمزة ام للتسوية ونحوه اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم وروى انهم يقولون تعالوا نجزع
فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا اجزعنا فان قلت
كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله قلت اتصاله من حيث انه جعل لهم كالجزاء لما هم فيه فقالوا لهم
سواء علينا اجزعنا ام صبرنا يريدون التسهيل وآيسوهم من عقاب الضلالة التى كانوا يحققون بها يقولون
ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة فى الصبر والامر من ذلك اطم او لما قالوا لو هدانا لطريق النجاة لاغنينا عنكم
وانجيناكم ايئسوهم الاقناط من النجاة فقالوا ما لنا من محيص اى منجى ومهرب جزعنا ام صبرنا ويجوز
ان يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كانه قيل قالوا جميعا سواء علينا كقوله ذلك ليعلم انى لم اخنه
والمحيص يكون مصدرا كالمحيد والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف وقال جار عنه وحاص بمعنى واحد لما
قضى الامر لما فرغ الامر وفرغ منه وهو الحساب وقضاؤه بين الفريقين ودخول احدهما الجنة ودخول الآخر النار
روى ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا على الاشقياء من الجن والانس فيقول ذلك ان الله وعدكم وعد الحق وهو
البعث والجزاء على اعمالكم فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان من تسلط
وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصى والجيتكم اليها الا ان دعوتكم الا دعائى اياكم الى الضلالة بوسوستى
وتزيينى وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ما حجتك الا الضرب فلا تلومونى ولوموا انفسكم
حيث اغتررتم بى واطعتمونى اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على ان الانسان مختار فى
الشقاوة والسعادة وتحصيلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان
الامر كما يزعم المجبرة لقال فلا تلوموا ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه فان قلت
قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به قلت لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه واظهر
الكذب على انه لا طايل له فى النطق بالباطل فى ذلك المقام الا ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق
ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى فيه بالحق والصدق وفى قوله ما كان لى عليكم من سلطان وهو مثل قول الله
تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخى لا بمنجى
بعضنا بعضا من عذاب الله ولا بمغيثه والاصراخ الاغاثة وقرئ بمصرخى بكسر الياء وهى ضعيفة و
استشهد والهابيت بهول قال لها هل لكم يا تافى قالت لها بالمرضى وكانه قدر ياء الاضافة ساكنة
وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لها عليه اصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون
الا مفتوحة حيث قبلها الف نحو عصاى فما بالها وقبلها ياء فان قلت جرت الياء الاولى مجرى الحرف
الصحيح لاجل الادغام فكانها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح فحركت بالكسر على الاصل قلت

مما اشركتموني من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم ۞ وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام ۞ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة

هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل إليه النياسات ما في
بما أشركتموني مصدرية ومن قبل متعلق بأشركتموني يعني كفرت اليوم بإشراككم إياي من قبل هذا أي
في الدنيا كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم ومعنى كفرت بإشراككم إياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله
إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله وقيل متعلق بكفرت وما موصولة أي كفرت من قبل عيني
حين أبيت السجود لآدم بالذي أشركتموني وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فإذا قلت بالهمزة
قلت أشركته فلان أي جعلني له شريكا ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى إشراكهم
الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الأوثان وغيرها وهذا من قول إبليس وقوله
إن الظالمين قول الله عز وجل ويحتمل أن يكون من جملة قول إبليس وإنما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت
ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول إليه وأن يتصوروا في أنفسهم
ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه ويخيبهم وقرئ فلا يلومون
بالياء على طريقة الالتفات كقوله حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد
وأدخل الذين آمنوا على فعل المتكلم بمعنى وأدخل أنا وهذا دليل على أنه من قول الله لا من قول إبليس بإذن
ربهم متعلق بأدخل أي أدخلهم الملائكة الجنة بإذن ربهم أو من فإن قلت فبم يتعلق في القراءة
الأخرى وقولك وأدخلهم أنا بإذن ربهم كلام غير ملتئم قلت الوجه في هذه القراءة أن يتعلق
قوله بإذن ربهم بما بعده أي تحيتهم فيها سلام بإذن ربهم بمعنى أن الملائكة تحيونهم بإذن ربهم قرئ ألم
تر ساكنة الراء كما قرئ من يتق وفيه ضعف ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه وكلمة طيبة نصب بضرب
أو جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الأمير زيدا كساه حلة وجملة
على الوجهين يجوز أن ينتصب مثلا وكلمة بضرب أو ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة
على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هي كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها يعني في الأرض ضارب بعروقه فيها وفي
وفرعها وأعلاها وراء سهل في السماء ويجوز أن يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس وقرأ أنس
بن مالك كشجرة طيبة ثابت أصلها فإن قلت أي فرق بين القراءتين قلت قراءة الجماعة أقوى معنى
لأن في قراءة أنس أجريت الصفة على الشجرة وإذا قلت مررت برجل أبوه قائم فهو أقوى معنى من مررت برجل
قائم أبوه لأن الخبر عنه إنما هو الأب لا الرجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كلمة حسنة كالتسبيحة
والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس رضي الله عنه شهادة أن لا إله إلا الله وأما الشجرة فكل
شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلعم

قال ذات يوم إن الله ضرب مثل المؤمن شجرة طيبة فأخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا
فوقع في قلبي النخلة فهبت رسول الله أن أقولها وأنا أصغر القوم وروي فبعثني مكان عمر واستحييت فقال
يا عمر لو كنت قلتها لكانت أحب إلي من حمر النعم ثم قال رسول الله صلعم ألا إنها النخلة وعن ابن عباس رضي الله عنه
شجرة في الجنة وقوله في السماء معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في
السماء لبعد ارتفاعه وسموقه تؤتي أكلها كل حين تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لإثمارها بإذن ربها
بتيسير خالقها وتكوينه لعلهم يتذكرون لأن في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني كشجرة
خبيثة كمثل شجرة أي صفتها كصفتها وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة
كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة وأما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث
ونحو ذلك وقوله اجتثت من فوق الأرض في مقابلة قوله أصلها ثابت ومعنى اجتثت استؤصلت
وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها ما لها من قرار أي استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا
شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو دحض غير ثابت والذي لا يبقى إنما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم
الباطل الجلاء وعن قتادة أنه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما أعلم لها في الأرض مستقرا
ولا في السماء مصعدا إلا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها يوم القيمة القول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان
في قلبك صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمأنت إليه نفسه وتثبيتهم به في الدنيا أنهم إذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما
ثبت الذين فتنهم أصحاب الأخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بأمشاط الحديد وكما ثبت
جريج وشمعون وغيرهما وتثبيتهم في الآخرة أنهم إذا سئلوا عند تواقف الأشهاد عن معتقدهم ودينهم
لم يتلعثموا ولم يتبهتوا ولم يحيرهم الهول الجسيم وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وعن البراء بن عازب
أن رسول الله صلعم ذكر قبض روح المؤمن ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من
ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد عليه الصلاة والسلام فينادي مناد من السماء
أن صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين لم يتمسكوا في
دينهم وإنما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون آباءهم فقالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة
وإضلالهم في الدنيا أنهم يثبتون في مواقف الفتن وتزل أقدامهم أولئك وهم في الآخرة أضل وأزل ويفعل الله
ما يشاء أي ما توجبه مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم
ومن إضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شأنهم عند ذلك ألم تر ألم تعلم بدلوا نعمة الله أي شكر نعمة الله كفرا
لأن شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكأنهم غيروا الشكر إلى الكفر وبدلوا تبديلا ومحلوا قومهم

بدلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فإن مصيركم
إلى النار قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يو

رزقكم انكم تكذبون اى شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه آخر وهو انهم بدلوا نفس
النعمة كفرا على انهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة
وهم اهل مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد صلعم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر
العظيم واصابهم الله بالنعمة في الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين
فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر فقد ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا في
اعناقهم وعن عمر رضي هم الاخران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر
واما بنو امية فتمتعوا حتى حين قيل هم منتصرة العرب حملة بن الايهم واصحابه واحلوا قومهم ممن
تابعهم على الكفر دار البوار دار الهلاك وعطف جهنم على دار البوار عطف بيان قرئ ليضلوا بفتح الياء
وضمها فان قلت الضلال والاضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الانداد فما معنى اللام قلت لما كان
الضلال والاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام في قولك جئتك لتكرمني نتيجة المجيء دخلته اللام وان
لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره
ولا يعدونه ماموروني به قد امرهم آمر مطاع لا يهمهم ان يخالفوه ولا يملكوه لانفسهم امرا دونه وهو
امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار ويجوز ان يراد به
الخذلان والتخلية ونحو قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار المقول محذوف في جواب قل يدل عليه
وتقديره قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا معنى ليقيموا وليتفقوا
ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلوة
وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز فان قلت علام انتصب سرا وعلانية قلت على الحال
او ذوي سر وعلانية بمعنى سرين ومعلنين او على الظرف اي وقتي سر وعلانية او على المصدر اي
انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفاء المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب والحلال الخالية
فان قلت كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال قلت من قبل ان
الناس يخرجون اموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله في المكارمات وهذا اذا لا صدقاء
ليستجيروا بها من امثالها او خير منها واما الانفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة
تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون المخلصون فحثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه
ولا خلال اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة ولا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما
ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرئ لا بيع فيه ولا خلال بالرفع الله مبتدأ والذي خلق خبره ومن

اعلم ان لما طال الكلام في وصف احوال السعداء
والاشقياء وكانت الحجة العظمى المنزلة
الكبرى في حصول السعادة والشقاوة فقد ان معرفة اسبابها
وصفاته وفي حصول الشقاوة فقد ان معرفة اسبابها
والاشتباه بالظاهر الدلالة على وجود الصانع
وكمال علمه وقدرته وذكر بعض عجائب
الحيوانات والارض
الانواع من الدلائل اولها خلق
السموات والارض

وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر
لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتيكم من كل ما سألتموه

٢١٧

ومن الثمرات بيان للرزق اي اخرج رزقا وهو ثمرات ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول اخرج ورزقا
حالا من المفعول او نصبا على المصدر من اخرج لانه بمعنى رزق يأمر بقوله كن دائبين يدأبان في سيرهما ولا
وانارتهما ودرتهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات وسخر لكم
الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم وآتيكم ما سألتموه من للتبعيض اي اتاكم بعض ما سألتموه
نظرا في مصالحكم وقرئ من كل بالتنوين وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال اي آتيكم من جميع
ذلك غير سائليه ويجوز ان تكون ما مصدرية موصولة على وآتيكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم يصلح احوالكم
ومعايشكم الا به فكأنكم سألتموه او طلبتموه بلسان الحال لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ
آخرها هذا اذا اراد ان يعده على الاجمال واما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله لظلوم كفار
يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة
يجمع ويمنع والانسان للجنس ينتظم ويدخل فيه الظلم والكفران يوجد من هذا البلد يعني البلد الحرام
زاده الله امنا وكفاه كل باغ وظالم واجاب فيه دعوة خليله ابراهيم آمنا ذا امن فان قلت اي
فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا قلت قد سئل في الاول ان يجعله
من جملة البلاد التي يأمن اهلها ولا يخافون وفي الثاني ان يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها
من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا واجنبني وقرئ اجنبني وبني اجنبني شر واجنبني
وجنبه واجنبه فاهل الحجاز يقولون جنبني شر بالتشديد واهل نجد جنبني شر واجنبني والمعنى
ثبتنا وادمنا على اجتناب عبادتها وبني اراد بنيه من صلبه وسئل بن عيينة كيف عبدت العرب
الاصنام فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام انما
كانت انصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر لحيثما نصبنا حجرا هو مثل البيت فكانوا يدورون
بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت انهن اضللن كثيرا من
الناس فاعوذ بك ان تعصمني وبني من ذلك وانما جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن اضللنهم
كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم اي افتتنوا بها واغتروا بسببها فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما فانه مني
او هو بعض الجنس وملابسه لي وكذلك قوله ومن عصاني فليس اي ليس بعض المؤمنين على ان
الخلق ليس من اوصافهم وافعالهم ومن عصاني فانك غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من عصياني اذا تاب فيه
واستحدث الطاعة وقيل معناه ومن عصاني فيما دون الشرك من ذريتي بعض اولادي وهم اسمعيل ومن
ولد منه بواد وهو وادي مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذي عوج معنى

عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم
يشكرون ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن

يوجد فيها حوائج ما فيه الى استقامة لا غير وقيل البيت المحرم لان الله حرم التعرض له
والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه او لانه لم يزل معتقدا عزيزا مهابا كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان
يجتنب او لانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان او منع منه كما سمي عتيقا لانه
اعتق منه فلم يستول عليه ليقيموا الصلوة اللام متعلقة باسكنت او ما اسكنهم بهذا الوادي الخالي الملقح
من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تحرره مساجدك
وتتعبد اتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستعدين لجوارك الكريم اليك بالعكوف عند بيتك
والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي آثرتها بساكنك جوار كل افئدة من الناس افئدة
من افئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم
وقيل لو لم يكن من لا زدحموا عليه حتى الروم والترك والهند ويجوز ان يكون من للابتداء كقولك القلب
مني سقيم يريد قلبي فكانه قيل افئدة ناس وانما نكرت الضاف اليه في التمثيل لتنكير افئدة لانها في الاية نكرة
ليتناول بعض الافئدة وقرئ آفدة بوزن عاقدة فيه وجهان احدهما ان يكون من القلب كعوهم آدم في
ادوم والثاني ان يكون اسم فاعلة من آفدت الرجل اذا عجلت له جماعة او جماعات يقولون اليهم ويعجلون اليهم
نحوهم وقرئ أفدة وفيه وجهان ان تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه ان تخفف بالجعل بين بين
وان تكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا وتلاعا من قولهم تهوى مخاريمها هوي الاجدل وقرئ
تهوي اليهم على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوي اليهم من هوي هوي اذا احببت ضمن معنى تنزع فعدي
تعديته وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بان تجلب اليهم من البلاد لعلهم يشكرون النعمة
في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة في واد بها ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء ولا جرم ان الله عز وجل اجاب دعوته
فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى
اخصب البلاد واكثرها وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التي ترتكها الله بواد غير
ذي زرع وهو اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد
وليس ذلك من آياته بعجيب مع انا الله يسكن حرمه ووفقنا لشكر نعمه وادام لنا التشرف بالدعوة
تحت دعوة ابراهيم ورزقنا طرفا من ذلك القلب السليم النداء الحكمة دليل التضرع والالتجاء الى الله انك تعلم
ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما تعلم العلن على الاستواء فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى
انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا ويفسدنا منا وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا ولها فلا حاجة الى
الدعاء والطلب الا لما عرفك اظهار العبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك

وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحاق
ان ربي لسميع الدعاء رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي

واستجابة الليل اياديك ووهاب الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه مع توفر
على حسن الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فابطأ عليه النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك لا يذكر
استصغارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل
ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق وما
نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت الله امرك
بهذا قال نعم قالت اذا لا نخشى ثم كتنا الى الكافي وما يخفى على الله من شيء من كلام الله تصديقا لابراهيم علم كقوله
وكذلك يفعلون او من كلام ابراهيم علم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان ومن للاستغراق
كانه قيل وما يخفى عليه شيء ما على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله اني على ما ترين من كبري اعلم من حيث توكل الكيف
وهو في موضع الحال معناه وهبت لي وانا كبير وفي حال الكبر روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة
وروي انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابراهيم لابعد مائة وسبع
عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع اليأس من الولادة والطمع
بالحاجة على عقب اليأس من اجل النعم واجلاها هي في نفس الظاهر ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية
لابراهيم ان ربي لسميع الدعاء كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال هبت لي من الصالحين فشكر لله ما اكرمه به من اجابة
فان قلت الله تعالى يسمع كل دعاء اجابه او لم يجبه قلت هو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به
وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن فان قلت
ما هذه الاضافة قلت اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه نعيلا في جملة ابنية
المبالغة على الفعل كقولك هذا ضروب فيلا وضراب اخاه ومنجاز ابله وجذار امورا ورحيما اباه ويجوز ان يكون
من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله ومن ذريتي بعض ذريتي
عطفا على المنصوب في اجعلني وانما بعضهم لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي
الظالمين وتقبل دعائي اي عبادتي واعتزلكم وما تدعون من دون الله في ثلاثة ابي ولابوي وقرأ سعيد بن
جبير ولوالدي على الافراد يعني ابا وقرأ الحسن بن علي ولولدي يعني اسمعيل واسحق وقرئ لولدي بضم الواو والولد بمعنى
الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كاسد واسد وفي بعض المصاحف ولذريتي
فان قلت كيف جاز ان يستغفر لابويه وقد كانا كافرين قلت هو من تجويزات العقل لم يعلم امتناع
جوازه الا بالتوقيف وقيل اراد بوالديه آدم وحوا وقيل شرط الاسلام ويأباه قوله الا قول
ابراهيم لابيه لاستغفرن لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا لامتثاله فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح

يوم يقوم الحساب عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار
مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب

من جملة ما يؤتى فيه بابرهيم يوم يقوم الحساب او يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل
عليه قولهم قامت الحرب على ساقها وعن قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوءها كانها قامت
على رجل ويجوز ان يسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا او يكون مثل واسئل القرية وعن
مجاهد قد استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد احد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق اهله
وجعله اماما وجعل في ذريته من يقيم الصلوة واراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
كانت الطائف من ارض فلسطين فلما قال ابرهيم ربنا اني اسكنت الآية رفعها الله فوضعها حيث وضعها
رزقا للحرم فان قلت يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله وهو اعلم الناس به
غافلا حتى قيل ولا تحسبن الله غافلا الآية قلت الكان خطابا لرسول الله ففيه وجهان
احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه كان لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع
الله آلها آخر كما جاء في الامر يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والثاني ان المراد بالنهي عن حسابه
غافلا الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل
الوعيد والتهديد كقوله والله عما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز ان يراد لا تحسبنه يغافل عن معاملة الغافل
عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغير من يجوز ان
تحسبه غافلا فلا تحمله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل
له من قال هذا فغضب وقال انما قال من علمه وقرئ نؤخرهم بالنون والياء تشخص فيه الفلوب في الاهوال
اي ابصارهم لا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي وقيل الاهطاع ان تقبل ببصرك
على المرئي وتديم النظر اليه لا تطرف مقنعي رؤوسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم
اي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للاجفان او لا يرجع اليهم نظرهم ينظرون الى
انفسهم الهواء الخالي الذي لا شغل له الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا فؤاد في
قلبه ولا جواء ويقال للاحمق ايضا قلبه هواء وقال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء لان النعام
مثل في الجبن والحمق قال حسان الا ابلغ ابا سفيان عني فانت مجوف نخب هواء
وعن ابن جريج افئدتهم هواء صفر من الخير خاوية منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم يوم يأتيهم العذاب
مفعول ثان لانذر وهو يوم القيمة ومعنى اخرنا الى اجل قريب رد نا الى دار الدنيا وامهلنا الى احد وجه
من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك او اريد بالبيوم يوم هلاكهم بالعذاب
العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بالبشرى وانهم يسألون يومئذ

اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم
كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال

ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن اولم تكونوا اقسمتم على ارادة القول
وفيه وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والتعنت وان يقولوه بلسان الحال
حيث نووا شديدا واملوا بعيدا وما لكم جواب القسم وانما جاء به بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو جاء على لفظ المقسمين
لقيل ما لهم من زوال والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون الى
دار اخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت يقال سكن الدار وسكن
فيها ومنه قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم لان السكنى من المسكوة الذي هو البيت والاصل
تعديه بفي كقولك قر في الدار وعني فيها واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار
كما قيل تبوأها واوطنها ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اي قروا فيها والحقوا فيها طيبي النفوس سايرين
سيرة من قبلهم في الظلم والفساد ولا يحدثونها بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم
فيعتبروا ويتدبروا وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة كيف اهلكناهم وانتقمنا منهم وتبين لكم بالنون وضربنا
لكم الامثال اي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم
اي مكرهم الذي استفرغوا فيه جهدهم وعند الله مكرهم لا يخلو اما ان يكون مضافا الى الفاعل كالاول على ان
المعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه او يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم
الذي يمكر بهم وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وان كان مكرهم لتزول
منه الجبال وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب الجبال مثلا لتفاقمه وشدته اي وان
كان مكرهم مستويا لازالة الجبل معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام موكدة لها كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم
والمعنى ويحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية
ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة بن مسعود رضي الله عنه وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وان كان مكرهم من
الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن اماكنها وقرأ عمر وعلي رضي الله عنهما وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف
وعده رسله يعني قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي فان قلت هلا قيل مخلف رسله وعده
ولم قدم المفعول الثاني على الاول قلت قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف
الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه لم يخلف الميعاد وعدا اصلا وليس من شأنه اخلاف المواعيد كيف يخلف رسله
الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه في الضعف كمن قرأ
قتل اولادهم شركائهم عزيز غالب لا يمكن رد انتقامه لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض انتصابه على البدل من
يوم يأتيهم او على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات

فصل من المضاف والمضاف اليه بين الظرف وهذا غير مستحسن في النثر فكيف في النظم

وبرزوا لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى
وجوههم النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس

والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم
بجنتيهم جنتين وفي الأوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا أذبتها وسويتها فنقلتها من شكل الى شكل ومنه
قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف في تبديل الأرض والسموات فقيل تبدل أرضا وسماء فتسير على الأرض
جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا أمت وعن ابن عباس هي تلك الأرض وانما تغير وانشد
وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها
وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا وقيل تخلق بدلها أرض وسماوات أخر وعن ابن مسعود وأنس
يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن علي رض تبدل أرضا من فضة وسماوات من
ذهب وعن الضحاك أرضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم تبدل الأرض بالنون فان قلت
كيف قال الواحد القهار قلت هو كقولك لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لأن الملك اذا لواحد غلاب
لا يغالب ولا يحاذ فلا مستغاث لأحد الى غيره ولا مستجار كان الأمر في غاية الصعوبة والشدة مقرنين
قرن بعضهم مع بعض مع الشيطان أو قرنت أيديهم الى أرجلهم مغللين وقوله في الأصفاد اما أن يتعلق
بمقرنين أي يقرنون في الأصفاد واما أن لا يتعلق فيكون المعنى مقرنين مصفدين والأصفاد القيود وقيل
الأغلال وانشد لسلامة بن جندل وليد الخيل قد لاقى صفادا يعض ساعد وبعظم ساق القطران
ثلث لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى
الأبهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجرب فيجرب الجرب بجربه وحدته والجلد وقد يهيج حرارته الجرب
ومن شأنه أن يسرع اليه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو أسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود أهل
النار حتى يعود طلاء لهم كالسرابيل وهي القمص ليجتمع عليهم الأربع الدخان القطران وحرقته واسراع النار
في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكلما وعد
الله تعالى أو أوعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه الا
الأسامي والمسميات شتى فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق لما ينجينا من عذابه وقرئ
من قطران والقطر النحاس والصفر المذاب وآن آن الشيء حان وتغشى وجوههم النار كقوله
أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون في النار على وجوههم لأن الوجه أعز موضع في ظاهر البدن
وأشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الأفئدة وقرئ وتغشى بمعنى تتغشى أي تفعل بالمجرمين
ما تفعل الجزي كل نفس مجرمة ما كسبت أو كل نفس من مجرم ومطيع لأنه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم
علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم هذا بلاغ للناس كفاية في التذكير والموعظة يعني هذا ما وصفه من قوله

ولا تحسبن الذين يأتي قوله سريع الحساب وليذكروا معطوف على محذوف أي ليفهموا وليذكروا به هذا البلاغ
وقرئ وليذر بفتح الياء من ذرى به إذا علم به واستعد له وليعلموا أنما هو إله واحد لأنهم إذا خافوا ما أنذروا
به دعتهم المخافة إلى النظر حتى توصلوا إلى التوحيد لأن الخشية أم الخير كله عن رسول الله صلعم من قرأ سورة
إبراهيم أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الأصنام ومن لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم تلك إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن
المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا وأي قرآن مبين كأنه قيل
الكتاب الجامع للكمال الغاية في البيان وقرئ ربما وثما بالتشديد وربما وربما بالضم والفتح مع التخفيف
فإن قلت لم دخلت على المضارع وقد أبوا دخولها إلا على الماضي قلت لأن المترقب في أخبار الله
بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود فإن قلت متى تكون ودادتهم قلت
عند الموت أو يوم القيمة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل إذا رأوا المسلمين يخرجون من النار وهذا أيضا
من باب الودادة فإن قلت فما معنى التقليل قلت هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم
على فعلك وربما ندم الإنسان على ما فعله لا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم أرادوا لو كان
الندم مشكوكا فيه أو كان قليلا لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل لأن العقلاء يتحرزون من التعرض للغم
المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يودون الإسلام من
واحد فبالحري أن يسارعوا إليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة ولو كانوا مسلمين حكاية لودادتهم وإنما جيء
بها على لفظ الغيبة لأنهم يخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لأفعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا
سديدا وقيل تودهم أهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فإن جاءت منهم إفاقة في بعض الأوقات من سكرتهم
تمنوا فلذلك قيل ذرهم يعني اقطع طمعك من ارعوائهم وذرهم عن النعي عليهم بالتذكرة والنصيحة وخلهم يأكلوا
ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم وشغلهم آمالهم وتوقعهم لطول الأعمار وآفات لا يلقوا في العاقبة الأخيرا
فسوف يعلمون يعني سوء صنيعهم والغرض الإيذان بأنهم من أهل الخذلان وأنهم لا يجيء منهم إلا ما هم فيه وأنه لا
زاجر لهم ولا واعظ إلا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل إلى اتعاظهم قبل ذلك فأمر رسوله
بأن يخليهم وشأنهم ولا يشغل بالهم بالحيل الحقة وأن يبالغ في تخليتهم حتى يلزمهم بالإنذار الإنذار في العاقبة وفيه
إلزام للحجة ومبالغة في الإنذار وإعذار فيه وفيه تنبيه على أن إيثار التلذذ والتنعم وما يودي إليه طول
الأمل وهذه عجتري أكثر الناس ليس من أخلاق المؤمنين ومن معظم التمتع في الدنيا من أخلاق الهالكين وهاكتاب

ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون ۝ وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون ۝ لو ما تاتينا بالملئكة
ان كنت من الصادقين ۝ ما ننزل الملئكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين ۝ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ۝

جملة واقعة صفة لقرية والتياس ان لا يتوسط بينهما الواو كما في قوله وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما
توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما تقول في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب معلوم مكتوب
معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح المحفوظ وبين الاترى ليلى قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها وانث الامة
اولا ثم ذكر اخرا حملا على اللفظ والمعنى وقالت ستاخرون تحذف عنه لانه معلوم وقراء الاعمش يا ايها الذي انزل عليه
الذكر وكانه هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر
عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها
فبشرهم بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حيث تدعي ان الله
نزل عليك الذكر لو ركبت مع لا وما المعنيين معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض وانما هل فلم تركب الامع لا
وجدها للتحضيض قال ابن قبيل لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما كوري والمعنى هلا
تاتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على ايذارك كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا وهلا تاتينا بالملائكة
للمعاتبة على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كان الامم المكذبة برسلها قرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على
البناء للمفعول وتنزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة والحكمة في ان
تاتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلعم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي والعذاب واذن جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء لشرط
مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم في قولهم
يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن ما كذبوا انه هو المنزل على التعظيم والتثبيت وهو الذي بعث به جبريل الى
محمد صلعم وبين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وانما استحفظها الربانيين والاحبار واختلفوا
فيما بينهم تغييرا فكان التحريف صلعم بكل القرآن الى غير حفظه فان قلت فحين كان قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم
واستهزائهم فكيف اتصل به قوله وانا له لحافظون قلت قد جعل ذلك دليلا على انه منزل من عند الله لانه لو كان من
قول البشر او غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول الله كقوله
والله يعصمك من الناس في شيع الاولين في فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى ارسلناه فيهم
بانا فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم وما ياتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على المضارع الا وهو في معنى
الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها ونظمته وقرئ
نسلكه والضمير للذكر او مثل ذلك السلك ونحو نسلك الذكر في قلوب المجرمين على معنى انه يلقيه في قلوبهم مكذبا
مستهزئا به غير مقبول كما لو انزلت بلغتهم اعجمية فلم يجيئكم اليها فقلت كذلك انزلناها باللسان مثل هذا الانزال

يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين ۝ ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ۝ لقالوا انما سكرت
ابصارنا بل نحن قوم مسحورون ۝ ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين ۝ وحفظناها من كل

٤٧٠

ابدلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله لا يؤمنون به النصب على الحال او غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه
سنة الاولين طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم
قرئ يعرجون بالضم والكسر وسكرت حيرت وحبست من الابصار من السكر او السكر وقرئ سكرت
بالتخفيف وحبست كما يحبس النهر من الجري وقيل سكرت من السكر او جارت كما يجار السكران والمعنى ان هؤلاء المشركين
بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء وتسهل لهم معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من الايات ما رأوا
لقالوا هو شيء تخايل لنا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة اي لو رأينا هم الملائكة
يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون قال انما
ليدل على انهم يبتدؤن العروج بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار من السكر والسمع في محل النصب على الاستثناء وعن ابن
عباس رضي الله عنهما كانوا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سماوات فلما ولد محمد منعوا من السموات
كلها شهاب مبين ظاهر للمبصرين موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان
اوله وزن وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها
معايش بناء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث وغيرها فانه تصريح الياء فيها خطاء والصواب الهمزة و
اخراج الياء بين بين وقرئ معايش بالهمزة على التشبيه اي تشبيها بالصحائف وخص التمثيل بالحيوانات
بالذكر لانها في القرآن ومن لستم له برازقين وجعلنا لكم معايش ومن لستم له برازقين وارادهم العيال والمماليك
والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم ويحفظونهم فالله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب
وكل ما يتملك الشاة مما الله رازقه وقد سوغ لظنهم انهم الرازقون والنحويان يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور
في لكم او يعطف على الضمير المجرور ذكر الخزاين تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على
ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فنضرب الخزاين مثلا لاقتداره
على كل مقدور لواقح فيه قولان احدهما ان الريح لاقح اذا هاجت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تاتي
بخير ريح عقيم والثاني انها لواقح بمعنى ملاقح كما تالمجهد ريح عقيم والتاء للمبالغة وتحتمل ما تطيح الطوايح يريد الطوارح جمع
مطيحة وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفي
عنهم ما اثبت لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على اخلاقه
في السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهارا لعجزهم ونحن الوارثون اي الباقون بعد
هلاك الخلق كله وقيل للميت وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلعم في دعائه
واجعله الوارث منا ولقد علمنا من استقدم ولادة وموتا ومن تاخر من الاولين والآخرين او من خرج من اصلاب
قال ابو البقاء اصلها طلائح لانه يقال الريح الطلائح السحاب كما يقال الريح النكباء اي اجبلها وحذفت اليه نظيره المعنى ومثله الطوارح
الاصل الطوارح لانه من اطاح الشيء وطاح يطوح ويطيح
سلك وسقط

وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون والجان خلقناه
من قبل من نار السموم وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته

إن الحمإ سر الطين والطين سر الذي يقبل الصورة فيفرغ الحمإ
يصور منها التمثال ثم يبس فيصير صلصالا لا كما من قبل صلصال مصور كان
حمإ ومعلوم منه أن المسنون إذا كان بمعنى المصبوب حقه أن يكون صفة صلصال
حمإ هو المفرغ المصبوب لا الصلصال

الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الإسلام وسبق إلى الطاعة ومن تأخر وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة والمستأخرين وروي أن امرأة حسناء كانت في المصليات خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان بعض القوم يستقدم ليلا ينظر إليها والبعض يستأخر ليبصرها فنزلت هو يحشرهم وجد القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع انفراط كثرتهم وتباعد أقطارهم وتعدد أجناسهم إنه حكيم عليم باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد أحاط علما بكل شيء الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ وإذا طبخ فهو فخار قالوا إذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وإن توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تصغير صل إذا أنتن والحمإ الطين الأسود المتغير والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ أو أفرغ صورة إنسان كما تفرغ الصورة من الجواهر المذوبة في أمثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر إذا حككته فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون إلا منتنا من حمإ صلة صلصال أي خلقه من صلصال كائن من حمإ وحق مسنون معنى صفة أن يكون صفة لصلصال كأنه أفرغ الحمإ فصور منها تمثال إنسان أجوف فيبس حتى إذا نقر صلصل ثم غير بعد ذلك إلى جوهر آخر والجان للجن كآدم للناس وقيل هو إبليس وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد والجأن بالهمز من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان وإذ قال ربك أذكر وقت قوله سويته عدلت خلقه وأكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها ومعنى ونفخت فيه من روحي أحييته وليس ثم نفخ ولا منفوخ وإنما هو تمثيل لتحصيل ما يحق به فاستثنى إبليس من الملائكة لأنه كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم إلا هندا وأبى استيناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل أبى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن إبليس أبى حرف الجحود أن يحذف تقديره ما لك في أن لا تكون مع الساجدين معنى أي غرض لك في إبائك السجود وأي داع لك إليه اللام في لأسجد لتأكيد النفي ومعناه لا يصح مني وينافي حالي وتستعمل أن أسجد لبشر رجيم شيطان من الذين يرجمون بالشهب أو مطرود من رحمة الله لأن من يرجم يطرد يرجمهم بالجان ومعناه ملعون لأن اللعن هو الطرد من الرحمة والإبعاد منها والعقاب في منها راجع إلى الجنة أو السماء أو إلى حملة الملائكة وضرب يوم الدين حدا للعنة أما لأنه أبعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقولهم ما دامت السموات والأرض في التأبيد وأما أن يراد أنك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والأرض إلى يوم الدين من غير أن يعقبه فإذا جاء ذلك اليوم عذبت بما يتنكى اللعن معه ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف في العبارات

يوم يبعثون

قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين
إلا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط علي مستقيم إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك
من الغاوين وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب

٢٧١

سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل الإنظار الإمهال إلى يوم الذي فيه يبعثون ليلا يموت لأنه لا يموت بعد يوم البعث أحد فلم يجب إلى ذلك وأنظر إلى آخر أيام التكليف بما أغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لأزينن والمعنى أقسم بإغوائك إياي لأزينن لهم ومعنى إغوائه إياه تسببه لغيه بأن أمر بالسجود لآدم عليه فأفضى ذلك إلى غيه وقال الأمر بالسجود لا أحسن وتعرض للثواب بالتواضع والخضوع لأمر الله ولكن إبليس اختار الإباء والاستكبار فهلك والله تعالى بريء من غيه ومن إرادته والرضا به وكقوله بما أغويتني لأزينن قوله فبعزتك لأغوينهم أجمعين في أنه أقسام إلا أن أحدهما أقسام بصفته والثاني أقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز أن لا يكون قسما وقد قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسببك لإغوائي أقسم لأفعلن بهم ما فعلت بي من التسبب لإغوائهم بأن أزين لهم المعاصي وأوسوس إليهم ما يكون سببا لهلاكهم في الأرض في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله أخلد إلى الأرض واتبع هواه أو أراد إني أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الأكل من الشجرة وهي في السماء فأنا على التزيين لأولاده في الأرض أقدر أو أراد لأجعلن مكان التزيين عندهم الأرض ولأقعدن تزيينهم أو لأزينن لهم في أعينهم ولأحدثنهم بأن الزينة في الدنيا وحدها يستحبونها على الآخرة ويطمئنون إليها ويلهون بها ونحوه يخرج في عراقيبها نصلي استثنى المخلصين لأنه علم أن كيده لا يعمل فيهم ولا تبلون منه إلا هذا طريق حق علي أن أراعيه وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادي إلا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي وهو من علو الشرف والفضل لموعدهم الضمير للغاوين وقيل لإبليس أبوابها أطباقها وأدراكها فأعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس رضي الله عنه أن جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الأصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقرئ جزء بالتخفيف والتثقيل وقرأ الزهري جز بالتشديد كأنه حذف الهمزة وألقى حركتها على الزاي كقولك خب في خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم أجرى الوصل مجرى الوقف المتفق على الإطلاق من اتقى ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه اتقوا الكفر والفواحش وهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها أدخلوها على إرادة القول وقرأ الحسن ادخلوها بسلام سالمين أو مسلما عليكم يسلم عليكم الملائكة أنزع الحقد الكامن في القلب من أنزغ في هوة وكل كل أو إن كان لا جدم في الدنيا غل على أخذ نزع الله من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحارث الأعور كنت جالسا عند أبي وابن طلحة فقال له علي رضي الله عنه مرحبا بك يا ابن أخي أما والله إني لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل كلا الله أعدك

لا عطف على قوله وسهى إبليس
لا الملائكة
وأي داع خبر لكن
على الأول حال مستأنفة كما تقيد
لأن ما طرد برجم
تقديمه أن الرجيم كناية
سواء المطرود لأن ما طرد برجم
سواء المطرود والمطرود
لا غل فإن الغل إذا وطد تنغل
وتنغل إذا وطد تنغل
تنغلل جبت عثمان
فرادى
تتولد سوء وجب بالضم الشيء
الواسع تتولد بلد رجب
الأرض رجبة
كسف
كبيرا
+ تأكيد الاستغفار والشهادة باستعلاء من ثبت عليه
فهو دال على الممكن من الوصول وسر تمثيل ذلك
شيء على الله تعالى عن ذلك علوا
وإن كان منفصلا لا إن شبه يعني الواجب لأنه بنوه وتحقق
وتوعد منه سواء الواو وحسن ما قبل الواو وما على عنا
فهو طرق كل على إذا انتهى الورود عليه وإيثار حرف
الاستعلاء على حرف الانتهاء

اخوانا على سرر متقابلين ۝ لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين ۝ نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم
وان عذابي هو العذاب الاليم ۝ ونبئهم عن ضيف ابراهيم ۝ اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون

ع قيل في الاول الاستفهام للتفخيم وعلى هذا هو للتقرير وقيل الظ انه علم لما ادخل همزة الانكار في قوله ابشرتموني على ان معنى البشارة باستفهام آخر انا بالسائل خرق العادة وانه امر عجيب او لتقرير ذلك الانكار وان تلك البشارة ليست ببشارة واليه الاشارة بقوله لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء

من ان يجمعكم وطلحة في مكان واحد فقال فلهذه الآية لا اتم لكم وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التوادّ والتحابّ واخوانا نصب على الحال وعلى سرر متقابلين كذلك وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ عبادي تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس وعن ابن عباس رضي غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف نبئهم على نبئ عبادي ليتخذوا ما اجمل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما وجلون خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت وقرأ الحسن لا توجل بضم التاء من اوجله اذا اخافه وقرئ لا تاجل ولا تواجل من واجل بمعنى اوجل وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اراد وانك بشارة الآمن المبشر فلا توجل بمعنى ابشرتموني مع مسّ الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر فبم تبشرون ما هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فباي عجوبة تبشرونني او اراد انكم تبشرونني بما هو غير متصور في العادة فباي شيء تبشرونني يعني لا تبشرونني في الحقيقة بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز ان لا يكون صلة لبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني باي طريقة تبشرونني بالولد والمبشر به لا طريقة لها في العادة وقوله بشرناك بالحق يحتمل ان يكون الباء فيه صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بطريقة هي حق وهي قول الله ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وجوزها قرئ وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونني وتبشرونني بادغام نون الجمع في نون الوقاية وقرئ من القنطين من قنط يقنط وقرئ من يقنط بالحركات الثلث في النون ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون طريق الصواب والا الكافرون كقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعني لم استيئس ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله تعالى فان قلت قوله الا آل لوط استثناء متصل ام منقطع قلت لا يخلو اما ان يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وان يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وجدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فان قلت فهل يختلف المعنى باختلاف الاستثنائين قلت نعم وذلك ان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط اصلا ومعنى ارسلنا الى القوم

قيل هو عطف على محذوف تقديره كانه قيل ان آل لوط مخرجون من حكم الارسال الى القوم المجرمين خاصة ولكن تقدير قوله وعلى انهم ارسلوا اليه اي انهم داخلون في الارسال الى القوم وعلى ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا

انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين ۝ فلما جاء آل لوط المرسلون ۝ قال انكم قوم منكرون ۝
قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون ۝ وأتيناك بالحق وانا لصادقون ۝ فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم

ع هذا على مذهبه وعند اهل السنة التقدير في معنى الخلق والارادة قال صاحب الانتصاف هذا من دقائق الزمخشري في الاعتزال في حجة القضاء والقدر اذ المقدر المفعول على التقدير بالمحاضي فالتقدير عندهم العلم

المجرمين كارسال الحجارة والتهم الى المرمى في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط المجرمين والمنتصل فيهم داخلون في حكم الارسال وعلى ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصا لمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه الاول فان قلت فقوله انا لمنجوهم بم يتعلق على الوجهين قلت اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كان ابراهيم صلوات الله عليه قال لهم فما آل لوط فقالوا انا لمنجوهم فان قلت فقوله الا امرأته ثم استثنى وهل هو استثناء من استثناء قلت استثنى من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق ثلثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم الا ثلثة الا درهما واما في الآية فقد اختلف الحكمان لان آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والامرأة قد تعلق بمنجوهم فلئن يكون استثناء من استثناء وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا انها لمن الغابرين والتعليق من خصائص افعال القلوب قلت لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله اعمال العباد بالعلم فان قلت فلم اسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله قلت لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك قد برنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف منكرون اي منكركم نفسي وتنفر عنكم فاخاف ان تطرقوني بشر بدليل قوله بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه كرجك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك بالحق بالنون من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله فيهم وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها من اسرى وسرى وروي صاحب الافليد فسر من السير والقطع في آخر الليل قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وقيل هو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل فان قلت ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات قلت قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاة واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم ليلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا فيرعاهم الهفوات في تلك الحالة الهولة المحذورة وليلا يتخلف منهم احد لغرضه فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم بنفسه ويفوت به ونهوا عن الالتفات ليلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب

قدرنا اجرى مجرى قدنا لان العود بمعنى التقدير قال القاضي يجوز ان يكون

قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي إن كنتم

فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا غير ملتفتين إلى ما ورائهم كالذي
تحسر على ما فارقه وطفق فلا يلتفت إليه أخاذ عدة تلفت كما قال تلفت نحو الحمى حتى وجدني وجعت
من الإصغاء ليتا واخدعا أو يجعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لأن
من يتلفت لا بد له في ذلك من زيادة وقفة حيث تؤمرون قيل هو مصر وعدي وامضوا إلى حيث تقدرونه
إلى الظرف المبهم لأن حيث مبهم في الأمكنة وكذلك الضمير في تؤمرون وعدي وقضينا إليه لأنه ضمن معنى أوحينا
كأنه قيل وأوحينا إليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الأمر بقوله أن دابر هؤلاء مقطوع وفي إبهامه
وتفسيره تفخيم للأمر وتعظيم له وقرأ الأعمش إن بالكسر على الاستئناف كأنه قيل ما قال أخبرنا عن ذلك الأمر
فقال إن دابر هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود وقلنا إن دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم يعني استأصلوا عن آخرهم حتى لا
يبقى منهم أحد أهل المدينة أهل سدوم ضرب بقاضيها المثل في الجور مستبشرين بالملائكة لا تفضحون
بفضيحة ضيفي لأن من أسيء إلى ضيفه أو إلى جاره فقد فقد أسيء إليه كما أن من أكرم من يتصل به فقد أكرم ولا تخزون
ولا تذلون بإذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان أو لا تشهروا من الخزاية وهي الحياء عن العالمين عن أن تجيروا
منهم أحدا أو تدفع عنهم أو تمنع بيننا وبينهم فإنهم كانوا يتعرضون وكان يقوم صلوات الله عليه بالنهي عن المنكر
والحجز بينهم وبين المتعرض له فأوعدوه وقالوا لينتهين عنك يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة
الناس وإنزالهم وكانوا نهوه أن يضيف أحدا هؤلاء بناتي أشار إلى النساء لأن كل أمة أولاد نبيها وأزواجها
بنوه ونساؤهم بناته فكأنه قال لهم هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا بيني فلا تتعرضوا لهم إن كنتم فاعلين شيئا
كأنه قال إن فعلتم ما أقول لكم وما أظنكم تفعلون وقيل إن كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله
دون ما حرم لعمرك على إرادة القول أقسم قالت الملائكة للوط لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون في غوايتهم إذ ذهبت
عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البغي إلى البنات يترددون
يتحيرون فكيف يتبعون قولك ويصغون إلى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه أقسم
بحياته وما أقسم بحياة أحد قط كرامة له والعمر والعمر واحد إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لإيثار الأخف
فيه وذلك لأن الحلف كثير الدور على ألسنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك قسمي أقسم به كما حذفوا الفعل
في قولك تالله وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم الصيحة صيحة جبريل عليه السلام مشرقين داخلين في الشروق
وهو بزوغ الشمس من سجيل قيل من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله حجارة من طين مسومة عند ربك
أو معلمة بكتاب للمتوسمين للمتفرسين المتأملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم
حتى تعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال توسمت في فلان كذا أو عرفت وسمه فيه والضمير في عاليها ساقلها

وإنها لبسبيل مقيم إن في ذلك لآية للمؤمنين وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين فانتقمنا منهم وإنهما
لبإمام مبين ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال

لقرى قوم لوط وإنها وإن هذه القرى يعني آثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد
وهم يمرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وإنكم لتمرون عليهم مصبحين أصحاب الأيكة قوم شعيب
وإنهما يعني قرى قوم لوط والأيكة وقيل الضمير للأيكة ومدين لأن شعيبا عليه السلام كان مبعوثا إليهما فلما
دل بذكرهما على مدين فجاء بضميرهما لبإمام مبين لطريق واضح والإمام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق
ومنه قيل للبناء اللوح الذي يكتب فيه لأنه مما يؤتم به أصحاب الحجر ثمود والحجر وادي بينهم وهو ما بين المدينة
والشام المرسلين يعني تكذيبهم صالحا لأن من كذب واحدا فكأنما كذبهم جميعا أو أراد صالحا ومن معه
من المؤمنين كما قيل الخبيثون في ابن الزبير وأصحابه وعن جابر قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال
لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصابهم ثم زجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فأسرع حتى خلفها آمنين لوثاقة البيوت واستحكامها أن يتهدم ويتداعى
بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الأعداء وحوادث الدهر أو آمنين من عذاب الله يحسبون أن الجبال
تحميهم منه ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والأموال والعدد إلا بالحق إلا خلقا ملتبسا
بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا أو بسبب العدل والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال وإن الساعة لآتية وإن
الله ينتقم لك فيما من أعدائك ويجازيك وإياهم على إحسانك وسيآتهم فإنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما
إلا لذلك فاصفح فأعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم إعراضا جميلا بالحلم والإغضاء وقيل هو منسوخ بآية
السيف ويجوز أن يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا إن ربك هو الخلاق الذي خلقك وغلبهم وهو العليم
بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم أو إن ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الأصلح لكم وقد علم
أن الصفح اليوم أصلح إلى أن يكون السيف أصلح وفي مصحف أبي وعثمان رضي الله عنهما إن ربك هو الخالق وهو يصلح
للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب سبعا سبع آيات
وهي الفاتحة أو سبع سور وهي الطول واختلف في السابعة فقيل الأنفال وبراءة لأنهما في حكم سورة وقيل
يونس أو سبع صحائف وهي الأسباع والمثاني من التثنية وهي التكرير لأن الفاتحة مما يكرر قراءتها في الصلاة
وغيرها أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله أو الواحدة مثناة أو مثنية صفة للآية وأما السور
والأسباع فلما وقع فيها من ذكر القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك مما فيها من الثناء كأنها تثني
على الله بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن إما للبيان أو للتبعيض إذا أردت بالسبع الفاتحة أو
الطول وللبيان إذا أردت الأسباع ويجوز أن يكون كتب الله كلها مثاني لأنها تثنى عليه ولما فيها من
المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها فإن قلت كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع وهل هو

لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل اني انا
النذير المبين كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين

لا عطف الشيء على نفسه **قلت** اذا عني بالسبع الفاتحة او الطول فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن
لانه يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا عني
الاسماء فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم اي الجامع لهذين النعتين وهو الثناء
او التثنية والعظم اي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه تمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من
الكفار **فان قلت** كيف وصل هذا بما قبله **قلت** يقول لرسوله قد اوتيت النعمة العظمى التي
كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمد عينيك الى
متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث ابي بكر رض من اوتي القرآن فرأى ان
احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وانت من تصتري وارعاتب
سبع فوائد ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البر والطيب والجواهر وساير الامتعة فقال المسلمون
لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها فقال لهم الله عز وجل لقد اعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه
الفواتل السبع ولا تحزن عليهم ولا تتمن اموالهم ولا تحزن عليهم ان لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش
بهم المؤمنون وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطيب نفسا عن ايمان الاغنياء والاقوياء
وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم بيانه وبرهان ان عذاب الله نازل بكم **فان قلت** بم تعلق قوله كما انزلنا
قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بقوله ولقد آتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب
وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعضه حق موافق للتورية والانجيل
وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون فيقول بعضهم سورة البقرة
لي وتقول الاخرى سورة آل عمران لي ويجوز ان يراد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرت
ببعض التورية وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذا تسلية لرسول الله صلعم عن صنيع
قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر واساطير بان غيرهم من الكفرة فعلوا بالكتب نحو فعلهم
والثاني ان يتعلق بقوله وقل اني انا النذير اي وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو
ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع منزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان يكون ويجوز ان
يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير اي انذر المعضين الذين يجزئون القرآن الى سحر وشعر واساطير
مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين ليتنفروا
الناس عن الايمان برسول الله صلعم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم
الله عز وجل ببدر وقتلهم بانواع كالمغيرة والعاص بن وايل والاسود بن المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على الرهط الذين

قوله بعضهم الخ صوابه
الموسم وسر الحاجة

عضوا كتابهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله
الها آخر فسوف يعلمون ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين

تقاسموا على ان يبيتوا صالحا اهله والاقتسام بمعنى التقاسم **فان قلت** اذا علقت قوله كما انزلنا بقوله ولقد
آتيناك فما معنى توسط لا تمدن بين الآخر بينهما **قلت** لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلعم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض
بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه على المؤمنين
عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء قال رؤبة وليس دين الله بالمعضى
وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضة الساحر بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة
ولعن رسول الله صلعم العاضهة والمستعضهة نقضا لهاء الاولى واو وعلى الثاني هاء لنشا لنهرعيان عن الوعيد
وقيل نسألهم سؤال تقريع وعن ابي العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا به المرسلين
فاصدع بما تؤمر فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا لكونه كصرح بها من الصديع وهو الفجر
والصدع في الزجاجة الابانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرايع
فحذف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان يكون ما مصدرية اي باحد مصدر من المبني للمفعول
عن عروة بن الزبير في المستهزئين هم خمسة نفر ذوو اسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وايل والاسود
بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والحارث بن الطلاطلة وعن ابن عباس مات كلهم قبل بدر قال
جبريل لرسول الله صلعم امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم يعطف تعظما
لاخذه فاصابت عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص بن وايل فدخلت فيها شوكة فتورم رأسه
لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى عيني الاسود بن عبد المطلب فعمي واشار الى
انف الحارث بن قيس فامتخط قيحا فمات واومى الى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة
ويضربه بالشوكة حتى مات مما يقولون من اقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن فسبح فافزع فيما نابك الى الله
والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم ودم على عبادة ربك حتى يأتيك اليقين اي
الموت اذ ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وعن رسول الله صلعم انه كان اذا حزنه امر فزع الى الصلوة عن رسول
الله صلعم من قرأ سورة الحجر كان ممن لا يعذب يوم القيامة عشر حسنات بعدد الهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل مكية غير ثلث آيات وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم كانوا يستعجلونه ما وعدوا من قيام الساعة او نزول العذاب يوم
بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم اتى امر الله اي هو منزلة الآتي الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه فلا تستعجلوه
روي انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد اقتربت فامسكوا عن بعض ما
تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا

سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه
لا إله إلا أنا فاتقون خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون خلق الإنسان من نطفة فإذا هو

قدرها فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت أتى أمر الله فوثب رسول الله ﷺ ورفع
الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا وقرئ تستعجلوه بالياء والياء سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ
وجل عن أن يكون له شريك وأن تكون آلهتهم له شركاء أو عن إشراكهم على أن ما موصولة أو مصدرية فإن قلت
كيف اتصل هذا باستعجالهم قلت لأن استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ يشركون
بالياء والتاء ينزل قرئ بالتخفيف والتشديد وقرئ تنزل الملائكة أو تنزل بالروح من أمر بما تحيى
القلوب الميتة بالجهل من وحيه أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وأن أنذروا بدل من الروح أو ينزلهم
بأن أنذروا وتقديره بأنه أنذروا أو بأن أنذروا أو تكون أن مفسرة لأن تنزيل الملائكة بالوحي
فيه معنى القول ومعنى أنذروا أنه لا إله إلا أنا أعلموا بأن الأمر ذلك من أنذرت بكذا إذا أعلمته والمعنى يقول لهم
أعلموا الناس قولي لا إله إلا أنا فاتقون ثم دل على وحدانيته وأنه لا إله إلا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق
السموات والأرض وخلق الإنسان وما يصلحه ولا بد له منه من خلق البهائم لأكله وركوبه وجر أثقاله وسائر
حاجاته وخلق ما لا يعلمون من أصناف خلائقه ومثله متعال عن أن يشرك به غيره وقرئ تشركون بالتاء والياء
فإذا هو خصيم مبين فيه معنيان أحدهما فإذا هو منطيق مجادل مكافح للخصوم مبين الحجة بعد ما كان نطفة
من مني جماد لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته والثاني فإذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من
يحيي العظام وهي رميم وصفا للإنسان بالإفراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة وقيل نزلت
في أبي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم إلى رسول الله ﷺ يا محمد أيرى الله يحيي هذا قد رم والأنعام الأزواج
الثمانية والكل ما يقع على الإبل وانتصابها بفعل يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز أن يعطف على الإنسان
أي خلق الإنسان والأنعام ثم قال خلقها لكم أي ما خلقها إلا لكم ولمصالحكم يا جنس الإنسان والدفء ما يدفأ به كما
أن الملاء اسم ما يتملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر وقرئ دفء بغير الهمزة والقاء
حركتها على الفاء ومنافع هي نسلها ودرها وغير ذلك فإن قلت تقديم الظرف في ومنها تأكلون موذن بالاختصاص
وقد يؤكل من غيرها قلت الأكل منها هو الأصل الذي يعتمده الناس في معايشهم وأما الأكل من
غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه ويحتمل أن طعامكم منها
لأنكم تحرثون بالبقر وتحتاجون إلى الثمار التي تأكلونها منها وتكتسبون بأكراء الإبل وتبيعون نتاجها وألبانها
وجلودها من الله ثم بالتجمل بها كما مر بالانتفاع بها لأنه من أغراض صحاب المواشي بل هو من معاظمها لأن الرعيان
إذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزينت بأرواحها وتسريحها الأفنية وتجاوب فيها الثغاء والدعاء
آنست أهلها وفرحت أربابها وأجلتهم في عيون الناظرين إليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس

وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤف رحيم والخيل والبغال
والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم
أجمعين هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب

ومن كل الثمرات

وما توجيه السؤال هو أنه كيف سبب ترك لم يكونوا بالغيه قوله وبحال أثقالكم لأن المناسب أن يقال
لم يكونوا حاملين لأن الحامل شيء والبالغ شيء وأجاب بأن المناسبة بحسب المعنى وسوغ على وجوه
أحدها أن يحمل السكين في بلد لتخفيفهم إلى بلد بعيد شاسع ليناسبه البالغ ويلزم منه أن يحمل
بطريق الأولى وثانيها أن يقدر بالغيه يا يعود إلى الأثقال وثالثها أن يحمل الأثقال على الأجرام

وبحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤف رحيم والخيل والبغال
والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم
أجمعين هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب

ومن كل الثمرات

وزينة يوارى سوآتكم وريشا فإن قلت لم قدمت الإراحة على التسريح قلت
لأن الجمال في الإراحة أظهر إذا أقبلت مملوءة البطون حافلة الضروع ثم أوبت إلى المحظار جافية لا أهلها و
قراء عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على أن تريحون وتسرحون صفة للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون
فيه كقوله يوم لا تجزي قرئ بشق الأنفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما
فرق وهو أن المفتوح مصدر شق الأمر عليه شقا وحقيقته نصف قوته لما يناله من الجهد فإن قلت
ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كأنهم كانوا زمانا يحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الإبل أثقالهم قلت
معناه وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لولم تخلق الإبل إلا لتحمل أنفسكم لأنهم لم يكونوا بالغيه
في الحقيقة فإن قلت فكيف طابق قوله لم تكونوا قوله وتحمل أثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حاملين لها إليه
قلت طباقه من حيث أن معناه وتحمل أثقالكم إلى بلد بعيد قد علمتم أنكم لا تبلغونه إلا بأنفسكم إلا
بجهد ومشقة فضلا أن تحملوا على ظهوركم أثقالكم ويجوز أن يكون المعنى لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس
وقيل أثقالكم أجرامكم وعن عكرمة البلد مكة لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير
هذه المصالح والخيل والبغال والحمير عطف على الأنعام أي وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج
على أكل لحوم الخيل بأن علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الأكل بعد ما ذكره في الأنعام فإن قلت
لم انتصب زينة لأنه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها فإن قلت فهلا ورد المعطوف
المعطوف عليه على سنن واحد قلت لأن الركوب فعل المخاطبين وأما الزينة فعل الزائن وهو
الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو وخلقها زينة لتركبوها أو تجعل زينة حالا من ها أي
وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون يجوز أن يريد به تخبيرنا بأن له من الخلائق ما
لا علم لنا به ليزيد نا دلالة على اقتدار بالإخبار بذلك وأن طوى عنا علمه لحكمة بليغة وقد حمل على ما خلق
في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم أحد ولا خطر على قلبه المراد بالسبيل الجنس ولذلك أضاف إليها القصد وقال
ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه
الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله قصد السبيل أن هداية الطريق الموصل إلى الحق واجبة
عليه كقوله إن علينا للهدى فإن قلت لم غير أسلوب الكلام في قوله ومنها جائر قلت ليعلم ما يجوز
إضافته إليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الأمر كما يزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها أو
وعليه الجائر وقرأ عبد الله ومنكم جائر يعني ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره والله بريء منه ولو
شاء لهديكم أجمعين قسر أو الجاء لكم متعلق بأنزل أو بشراب خبر له والشراب ما يشرب شجر الشجر الذي
يرعى فيه تسيمون تسرحون من أسامت الماشية إذا أرسلتها ترعى حيث شاءت

وزينة يوارى سوآتكم وريشا فإن قلت لم قدمت الإراحة على التسريح قلت
لأن الجمال في الإراحة أظهر إذا أقبلت مملوءة البطون حافلة الضروع ثم أوبت إلى المحظار جافية لا أهلها و
قراء عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على أن تريحون وتسرحون صفة للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون
فيه كقوله يوم لا تجزي قرئ بشق الأنفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما
فرق وهو أن المفتوح مصدر شق الأمر عليه شقا وحقيقته نصف قوته لما يناله من الجهد فإن قلت
ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كأنهم كانوا زمانا يحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الإبل أثقالهم قلت
معناه وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لولم تخلق الإبل إلا لتحمل أنفسكم لأنهم لم يكونوا بالغيه
في الحقيقة فإن قلت فكيف طابق قوله لم تكونوا قوله وتحمل أثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حاملين لها إليه
قلت طباقه من حيث أن معناه وتحمل أثقالكم إلى بلد بعيد قد علمتم أنكم لا تبلغونه إلا بأنفسكم إلا
بجهد ومشقة فضلا أن تحملوا على ظهوركم أثقالكم ويجوز أن يكون المعنى لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس
وقيل أثقالكم أجرامكم وعن عكرمة البلد مكة لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير
هذه المصالح والخيل والبغال والحمير عطف على الأنعام أي وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج
على أكل لحوم الخيل بأن علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الأكل بعد ما ذكره في الأنعام فإن قلت
لم انتصب زينة لأنه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها فإن قلت فهلا ورد المعطوف
المعطوف عليه على سنن واحد قلت لأن الركوب فعل المخاطبين وأما الزينة فعل الزائن وهو
الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو وخلقها زينة لتركبوها أو تجعل زينة حالا من ها أي
وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون يجوز أن يريد به تخبيرنا بأن له من الخلائق ما
لا علم لنا به ليزيد نا دلالة على اقتدار بالإخبار بذلك وأن طوى عنا علمه لحكمة بليغة وقد حمل على ما خلق
في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم أحد ولا خطر على قلبه المراد بالسبيل الجنس ولذلك أضاف إليها القصد وقال
ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه
الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله قصد السبيل أن هداية الطريق الموصل إلى الحق واجبة
عليه كقوله إن علينا للهدى فإن قلت لم غير أسلوب الكلام في قوله ومنها جائر قلت ليعلم ما يجوز
إضافته إليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الأمر كما يزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها أو
وعليه الجائر وقرأ عبد الله ومنكم جائر يعني ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره والله بريء منه ولو
شاء لهديكم أجمعين قسر أو الجاء لكم متعلق بأنزل أو بشراب خبر له والشراب ما يشرب شجر الشجر الذي
يرعى فيه تسيمون تسرحون من أسامت الماشية إذا أرسلتها ترعى حيث شاءت

يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرعَ وَالزَّيتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

ترعاه المواشي وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمر الشجر فانه سحت يعني الكلأ تسيمون من سامت الماشية
اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض
وقرئ ينبت بالياء والنون فان قلت لم قيل ومن كل الثمرات قلت لان كل الثمرات
لا تكون الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض من كلها للتذكرة يتفكرون ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى
قدرته وحكمته والآية الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرأ ابي بن كعب نبت لكم به
الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع قرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات او على ان معنى
تسخيرها للناس تقييضها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين و
الحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكانه قيل وتنفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بامره
ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سيره
سيرا كانه قيل وسخرها لكم تسخيرات بامره وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء
والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب وقال ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون بجمع الآية
وذكر العقل لان الآثار الحاوية الظهور دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء العظمة وما ذرأ لكم
معطوف على الليل والنهار وصرحهما يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيئات والمناظر
لحما طريا وهو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيستسارع الى اكله خيفة الفساد اليه فان قلت
ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل لا يأكل لحما فاكل سمكا لم يحنث والله سماه لحما كما ترى قلت مبنى
الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكروا اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه
الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حنيفا بالانكار ومثاله ان الله سمى الكافر دابة في قوله ان شر الدواب عند
الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث حلية هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم
لبس نسائهم لانهن من حليهم ولانهن انما تتزين بها من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم المخر شق الماء يجيئون منها
وعن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح وابتغاء الفضل التجارة ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب
والمائد الذي يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها
فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت وانهارا وجعل فيها انهارا لان التي فيه معنى جعل
الا ترى الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وعلامات هي معالم الطرق وكل ما يستدل به المسابلة من جبل و
منهل وغير ذلك والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم في ايدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش
والجدي وقرأ الحسن بالنجم بضمتين وضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل

انهارا لكن لما ضمن التي معنى جعل صح عطف انهارا عليها رواسي وقيل يجوز ان يكون من باب علفتها تبنا وماء باردا الى واجرى
فيها انهارا واجرى نحو غذا يعطى
تعرف به القبلة المغرب
قال الكوكب القبلة جرى
الفرقد نجم الجبهة وسكون
الثاني راس الكوكب
يجيئون البحر خلف العنق
الحلية والمجوهر

وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجمِ هُم يَهتَدُونَ

أَفَمَن يَخلُقُ كَمَن لَا يَخلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِن تَعُدُّوا نِعمَةَ اللَّهِ لَا تُحصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَاللَّهُ يَعلَمُ
مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعلِنُونَ وَالَّذِينَ يَدعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخلُقُونَ شَيئًا وَهُم يُخلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيرُ أَحيَاءٍ

حذف الواو من النجوم تخفيفا فان قلت قوله وبالنجم هم يهتدون يخرج عن سنن الخطاب يقدم فيه النجم ثم يخبر فيه
هم كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا فمن المراد بهم قلت كانه اراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم
وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا فان قلت من لا
يخلق اريد به الاصنام فلم جيء بمن الذي هو لاولي العلم قلت فيه اوجه احدها انهم سموها آلهة وعبدوها
فاجروها مجرى اولي العلم الا ترى الى قوله عز وجل والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون والثاني
المشاكلة بينه وبين من يخلق والثالث ان يكون المعنى افمن يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم له عند
كقوله الهم ارجل يمشون بها يعني ان الالهة حالهم منحطة عن حال من لهم ارجل واياد واذان وقلوب لان هؤلاء احياء وهم
اموات فكيف يصح لهم العبادة لانها لو صحت لهم هذه الاعضاء لصح ان يعبدوا فان قلت هو الزام للذين عبدوا
الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق وكان حق الالزام ان يقال لهم افمن لا يخلق
كمن يخلق قلت حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد
جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهوها فانكر عليهم ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق لا تحصوها لا تضبطوا
عددها ولا تبلغوا طاقتكم فضلا ان تطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر اشبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان وراءه
ما لا ينحصر ولا يتعد ان الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم
ولا يعاجلكم بالعقوبة عن كنه انها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من اعمالكم وهو وعيد والذين الآلهة الذين يدعوهم
الكفار من دون الله وقرئ بالتاء وقرئ تحتها البناء للمفعول نفى عنهم خصائص الالهية بنفي كونهم خالقين
واحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون وانهم اموات وانهم جاهلون بالبعث
ومعنى اموات غير احياء انهم لو كانوا آلهة لكانوا احياء غير اموات اي غير جائز عليهم الموت كالحي الذي لا يموت وامرهم
على العكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين او لا يشعرون متى يبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان آلهتهم لا يعلمون
وقت بعثهم فكيف تعلم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على ان لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف وجه
آخر وهو ان يكون المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على اخذ ذلك فهم اعجز من عبدتهم اموات
جماد لا حيوة فيها غير احياء يعني ان من الاموات ما يعقب موته حيوة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا واجسادا
الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الجماد فاموات لا يعقب موتها حيوة وذلك اعرق في موتها وما يشعرون ايان يبعثون
اي وما يعلم هؤلاء الآلهة متى يبعث الاحياء تهكما بجاهلها لان شعور الجماد محال فكيف يشعر بما لا يعلمه حي الا الحي
القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو ان يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وانهم اموات لا بد لهم

يعني كان يكون الانكار
بقوله غير احياء يكون شريفا بالاله
الحقيقة اذ حي لا يموت فمن كان
بعكسه لا يكون الا

إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم أن الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ليحملوا أوزارهم

من الموت غير أحياء غير باقية حيوتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم وقرئ أيان بكسر الهمزة
إلهكم إله واحد يعني أنه قد ثبت مما تقدم من إبطال أن تكون الآلهة إلهين وانتفاء وجود إله شريك له فيها وكان
من نتيجة إثبات الوحدانية ووضوح دلائلها استمرارهم على شركهم وأن قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون
عنها وعن الإقرار بها لا جرم حقا أن الله يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد أنه لا يحب المستكبرين
يجوز أن يريد المستكبرين عن التوحيد أو المشركين ويجوز أن يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه ماذا منصوب
بأنزل بمعنى أي شيء أنزل ربكم أو مرفوع بالابتداء بمعنى أي شيء أنزله ربكم وإذا نصبت فمعنى أساطير الأولين
كما تقول نزلت أساطير الأولين وإذا رفعته فالمعنى المنزل أساطير الأولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو
فيمن رفع فإن قلت هو كلام متناقض لأنه لا يكون منزلا وأساطير قلت هو على التخرية كقوله
إن رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض أو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون
عن رسول الله صلعم إذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله قالوا أحاديث الأولين وأباطيلهم ليحملوا
أوزارهم أي قالوا ذلك إضلالا للناس وصدا عن سبيل الله ليحملوا أوزار ضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضل
بضلالهم وهو وزر الإضلال لأن المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على إضلاله فيتحاملان
الوزر ومعنى اللام التعليل من غير أن يكون غرضا نحو قولك خرجت من البلد مخافة الشر بغير علم حال من المفعول
أي يضلونهم من لا يعلم أنهم ضلال إنما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلوه وإن لم يعلم لأنه كان عليه أن
يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل القواعد أساطين البناء التي تعمده وقيل الأساس
وهذا تمثيل يعني أنهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسوله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال
قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالأساطين فأتى البنيان بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف فهلكوا
ونحوه من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا قيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة
آلاف ذراع وقيل فرسخان فأهبت الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى إتيان الله إتيان أمره من
القواعد من جهة القواعد من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقرئ فأتى الله بنيتهم
فخر عليهم السقف بضمتين تخريبهم يذلهم بعذاب الخزي ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته يعني هذا لهم في الدنيا
ثم العذاب في الآخرة شركائي على الإضافة إلى نفسه حكاية لما قالوه لا ما قالوه ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم تشاقون
فيهم تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم ومعناهم وقرئ وتشاقون بكسر النون معنى تشاقوني
لأن مشاقة المؤمنين كانت مشاقة الله قال الذين أوتوا العلم هم الأنبياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يدعونهم إلى
الإيمان ويعظونهم فلا يلتفتون إليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم

ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء
على الكافرين

الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون
فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا

ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة قرئ تتوفاهم بالتاء والياء وقرئ الذين توفاهم
بإدغام التاء في التاء فألقوا السلم فسالموا وأخبتوا وجاءوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر
وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم أولوا العلم إن الله عليم بما
كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا أيضا من الشماتة وكذلك فادخلوا أبواب جهنم خيرا أنزل خيرا فإن قلت
لم نصب هذا ورفع الأول قلت نصب لأن جواب الحفظة وجواب الكافر يعني أن هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا
وأطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للإنزال فقالوا خيرا أنزل خيرا وأولئك عدلوا بالجواب
عن السؤال فقالوا هذا أساطير الأولين وليس من الإنزال في شيء وروي أن أحياء العرب كانوا يغلقون
أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلعم فإذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمروه بالانصراف وقالوا إن لم تلقه
كان خيرا لك فيقول أنا شر وافد إن رجعت إليه قومي دون أن أستطلع أمر محمد وأراه فيلقى أصحاب رسول الله
فيخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث لهم الذين قالوا خيرا وقوله للذين أحسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول
الذين اتقوا أو قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ وعدة للمتقين
ويجعل قولهم من جملة إحسانهم ويحملوا عليه مكافأة في الدنيا بإحسانهم ولهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله
فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره
وجنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح طيبين طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر
والمعاصي لأنه في مقابلة ظالمي أنفسهم يقولون سلام عليكم قيل إذا أشرف العبد المؤمن جاءه ملك الموت
فقال السلام عليك وولي الله يقرئك عليك السلام وبشره بالجنة تأتيهم الملائكة قرئ بالتاء والياء
يعني أن تأتيهم لقبض الأرواح وأمر ربك العذاب المستأصل والقيامة كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك أو التكذيب
فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون لأنهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير
سيئات ما عملوا جزاء سيئات أعمالهم وهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها هذا من جملة ما عدد من أصناف كفرهم
وعنادهم من شركهم بالله وإنكار وحدانيته بعد قيام الحجج وإنكار البعث واستعجاله استهزاء به وتكذيبهم
الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعني أنهم أشركوا بالله وحرموا ما أحل من البحيرة والسائبة
وغيرهما ثم نسبوا فعلهم إلى الله وقالوا لو شاء لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم أشركوا
وحرموا حلال الله فلما أتوا عاقبهم فعلهم وتركوه على رتبهم فهل على الرسل إلا البلاغ الحق وأن الله لا يشاء الشر
والمعاصي بالبيان والبرهان ويظهر على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من أفعال العباد وأنهم فاعلون بقصدهم
وإرادتهم واختيارهم والله عز وجل باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها ومتوعدهم عليه ولقد أمسد

منهم من هدى الله فمنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله

ابطال قدر الشر ومشيئة الشر بانه ما من امة الا وقد بعث الله فيهم رسولا يامرهم بالخير الذي هو الايمان
وعبادة الله وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله اي لطف به لانه عرفه من اهل
اللطف ومنهم من حقت عليه الضلالة اي ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر
لا يأتي منه خير فسيروا فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم الشبهة في اني لا اقدر الشر ولا اشاؤه
حيث افعل ما افعل الا لشر ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلعم على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت
عليهم الضلالة والله لا يهدي من يضل اي لا يلطف بمن يخذله لانه عبث والله تعالى متعال عن العبث لانه من
قبيل القبائح التي لا يجوز عليه وقرئ لا يهدي اي لا تقدر انت ولا احد على هدايته وقد خذله الله وقوله
وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالضلال الخذلان الذي هو نقيض النصرة ويجوز ان يكون لا يهدي بمعنى
لا يهتدي يقال هداه فهدى وفي قراءة ابي فان الله لا هادي لمن يضل ولمن اضل وهي معاضدة لمن قرأ
لا يهدي على البناء للمفعول وفي قراءة عبد الله يهدى بادغام تاء يهتدي وهي معاضدة للاولى وقرئ يضل بالفتح
وقرأ النخعي ان تحرص بفتح الراء وهي لغة واقسموا بالله معطوف على وقال الذين اشركوا ايمانا بانها كانت ثانية
عظيمة مؤكدة حقيقة بان تجيئا وتدوا تاويدا تاكيدا نفوهم على مشيئة الله وانكار مع البعث مقسمين
عليه وبلى اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان بعث موعد من الله ويدل
ان الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه في الحكمة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون او انه وعد واجب على
الله لانهم يقولون لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل ولا غير من مواجب الحكمة ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى او يبعثهم
ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين والذي اختلفوا فيه هو الحق ولعلم الذين كفروا انهم
كاذبين في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وفي قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله
ولقد بعثنا في كل امة رسولا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله منتوين على الله الكذب
قولنا مبتدأ وان نقول خبر مبتدأ وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي اذا اردنا وجود شيء
فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لان مرادنا لا يمتنع عليه وان وجوده
عند ارادته غير متوقف كوجود المأمور به عند امتثال المطيع اذا ورد على الحاضر المطيع الممتثل والقول تمثيله
والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شيء المقدورات وقرئ
فيكون عطفا على اقتلوا والذين هاجروا هم رسول الله واصحابه ظلمهم اهل مكة فعذبوا بدينهم حتى الله منهم من
هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين
بعد هجرة رسول الله وكلما اخرجوا اتبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب انه قال لهم انا

لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم
فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم

رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فاقتدى بهما بلال وهاجر فلما راه ابو بكر قال له ربح
البيع يا صهيب فقال له عمر نعم الرجل صهيب لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لاطاعه
فكيف في الله في حقه ولو لم يخف حسنة صفة للمصدر اي لنبوئنهم تبوئة حسنة وفي قراءة علي رض لنثوينهم ومعناه
لنثوينهم حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا حسنة وهي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى
اهل المشرق والمغرب وعن عمر رض انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك في
الدنيا وما ذخر لك في الآخرة اكثر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث آواهم اهلها ونصروهم لو كانوا
يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في ايديهم الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم ويجوز
ان يرجع الضمير الى المهاجرين اي لو كانوا يعلمون ذلك لازدادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على ما هم الذين
صبروا او اعني الذين صبروا وكلاهما مدح اي صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب
في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رأسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح في سبيل الله قالت قريش الله
اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم على السنة الملائكة فاسئلوا اهل الذكر
وهم اهل الكتاب ليخبروكم ان الله لم يبعث الى الامم السابقة الا بشرا فان قلت بم تعلق قوله بالبينات
قلت له متعلقات شتى اما ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا
بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت زيدا بالسوط واما برجالا صفة له اي رجالا ملتبسين
بالبينات واما بارسلنا مضمرا كما قيل بم ارسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين والاول على كلام واحد واما
بنوحي اي يوحى اليهم بالبينات واما بلا تعلمون على ان الشرط في معنى التبكيت لا لازم لقول الاجير ان كنت
عملت لك فاعطني حقي وقوله فاسئلوا اهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة واهل الذكر اهل الكتاب وقيل
للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين ما نزل اليهم في الذكر يعني ما نزل الله اليهم في الذكر مما امروا به ونهوا عنه
ووعدوا واوعدوا لعلهم يتفكرون وارادة ان يصغوا اليه لانهم اذا تفكروا فيه تبينوا وتاملوا مكروا السيئات المكرات
السيئات وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم واسباب دنياهم على
تخوف متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم يتخوفون متوقعون وهو خلاف
قولك من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفه وتخونه اذا تنقصته قال زهير تخوف
الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن اي ياخذهم على ان ينقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم
حتى يهلكوا وعن ابن عباس رض انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف
التنقص قال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا وانشد البيت فقال عمر ايها الناس

فان ربكم لرؤف رحيم أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم
داخرون ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون

عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديوانا قال شعر الجاهلية قال فيه تفسير كتابكم فان ربكم لرؤف
رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم قرئ ولم يروا ويتفيأ بالتاء والياء وما موصولة
بخلق الله وهو جنس يتناول من شيء يتفيأ ظلاله واليمين بمعنى الايمان وسجدا حال من الظلال وهم داخرون
حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو لان الداخرين
اوصاف العقلاء او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب المعنى او لم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال
متفيئة على ايمانها وشمائلها اعني جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي
الشيء او تدحرج الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام
في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات
وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الناس في الارض بيانا لما في الارض
ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق
واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتها والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم فان قلت
سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام فلان سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد قلت
المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وسجود غيرهم انقياده لارادة الله وانها غير ممتنعة عليها
وكلا السجودين بجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد فان قلت
فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم قلت لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل
على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما ليدل على ارادة العموم مخافة ان يكون حالا من الضمير
في لا يستكبرون او لا يستكبرون خائفين وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتأكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر
عن عبادته من فوقهم ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم
حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا لقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفيه دليل
على ان الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وانهم بين الخوف والرجاء
قال قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلثة و
افراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان
فيهما دلالة على العدد فلا حاجة ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله الهين اثنين قلت
الاسم الجامد الخلي الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية وعلى العدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على
ان المعنى به منهما والذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية

وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر
فاليه تجارون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون
ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه

به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكد بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية فاياك
فارهبون نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم وبان لان الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في التر
من قوله واياه فارهبوه ومن ان يجيء عاقبا على لفظ المتكلم الدين الطاعة واصبا حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب
الثابت لان كل طاعة نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز ان يكون من الوصب اي وله الدين ذا كلفة و
مشقة ولذلك سمي تكليفا او له الجزاء دائما ثابتا سرمدا لا يزول لمعنى الثواب والعقاب وما بكم من نعمة واي شيء
حل بكم او اتصل بكم من نعمة فمن الله فاليه تجارون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة
والفاء وحدها على الجيم وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى من كشف لان بناء المغالبة
يدل على المبالغة فان قلت فما معنى قوله اذا فريق منكم بربهم يشركون قلت يجوز ان يكون الخطاب في
قوله وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض
كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون بربهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما
آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية ووعيد
وقرئ فتمتعوا بالياء تبليا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز ان يكون ليكفروا ويتمتعوا من الامر الوارد في
معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر لما لا يعلمون او لآلهتهم ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها آلهة و
يعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها انها جماد لا يضر ولا ينفع فهم اذن
جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للآلهة او لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوها لها نصيبا
في الحرث وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم لتسألن وعيد عما كنتم تفترون من الافك في تعليم
انها آلهة وانها اهل للتقرب اليها كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه لذاته من
نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على ان
يكون معطوفا على البنات اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور وظل بمعنى صار كما يستعمل بات وامسى
بمعنى الصيرورة ويجوز ان يبقى ظل لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربدا الوجه من الكآبة والحياء
من الناس وهو كظيم مملوء جنقا على المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من اجل سوء المبشر به ومن اجل تعييرهم
ويحدث نفسه وينظر ايمسكه ما بشر به على هون على هوان وذل ام يدسه في التراب لم يئده وقرئ
ايمسكها على هون ام يدسها على التانيث وقرئ على هوان الاساءة ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذي هذا محله
عند الله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكانوا
الاناث ووأد من خشية الانفاق واقرارهم على انفسهم بالنقص البالغ ولله المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين

الاطلاق م

ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار وانهم

والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض من دابة قط
ولا هلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى
ان الحبارى في وكرها لتموت بظلم الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة
ظالمة وعن ابن عباس رض من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ويجعلون
لله ما يكرهون مما لا نفسهم من البنات ومن شركائهم في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم
ويجعلون له ارذل اموالهم واصناعهم اكرمها وتصف السنتهم مع ذلك ان لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم انه قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيمة اذا قال الله هاتوا
فارفعوا الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدرابات والثياب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الى
فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه به اما تستحيي من ذلك الموقف وقراءة هذه الآية وعن مجاهد ان لهم
الحسنى هو قول قريش لنا البنون وان لهم الحسنى بدل من الكذب وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة
مفرطون قرئ مفتوح الراء ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار متجلون اليها
من افرطت فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته
ونسيته والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات وما يلزمهم فهو وليهم اليوم حكاية
الحال الماضية التي كانت يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها او نحو وليهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا
ومعنى وليهم قرينهم ويبئس القرين او يجعل فهو وليهم اليوم حكاية الحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار اذ هو
ناصرهم اليوم ولا ناصر لهم غيره لفيا للناصر على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه زين
للكفار قبائح اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم هدى ورحمة معطوفان
على محل لتبين لانهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتاب ودخول اللام على التبيين لانه فعل
المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا لهما كان فعل فاعل الفعل المعلل والذي اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم
من يؤمن به ومنهم عبدة الطاغوت وانما ضمن التحريم والتحليل والانكار والاقرار لقوم يسمعون سماع انصاف
وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم لا يسمع ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسماء المفردة الواردة على
افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك يرجع الضمير اليه مفردا واما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع
ويجوز ان يقال في الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كاجمال في جمل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع
كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله في كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه واذا انث فعلى معنى الجمع
وانه في معنى لجمع نسقيكم بالفتح والضم وهما استينافان كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم من بين فرث ودم اي

وقرئ تاء قال سيبويه وهي لغة تميم

لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لآية
لقوم يعقلون

اذ يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي احدهما عليه بلون
ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف استقر في كرشها طبخته فكان اسفله
فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فيجري الدم العروق واللبن في
الضروع وتبقى الفرث في الكرش فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر وتامل وسئل شقيق عن الاخلاص
فقال تمييز الفعل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم سائغا سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص احد
باللبن قط وقرئ سيغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف كهين ولين فان قلت اي فرق بين الاولى والثانية
قلت الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها كقولك اخذت من مال زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية لان بين
الفرث والدم مكانا هو الاسقاء الذي منه يبتدئ فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز ان يكون حالا من
قوله لبنا متقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كائنا من بين فرث ودم الا ترى انه لو تاخر فقيل لبنا من بين فرث ودم
كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى ان المني طاهر على من
جعله الجرمي في مسلك البول بهذه الآية وانه ليس بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين
فرث ودم طاهرا فان قلت بم تعلق قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب قلت بمحذوف تقديره
ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون منه سكرا
بيان وكشف عن كنه الاسقاء وتعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد في قولك زيد في الدار فيها ويجوز
ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله بكفي كان من اسمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب
ثمرة تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر فان قلت فلم لم يرجع
الضمير في منه اذا جعلته ظرفا مكررا قلت الى المضاف المحذوف تقديره الذي هو العصير كما رجع في قوله
او دم فانه يعود الى الاجل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال
وجاؤنا بهم سكرى علينا فاجلى اليوم والسكران صاحي وفيه وجهان احدهما ان يكون منسوخا وممن قال
بنسخها الشعبي والنخعي والثاني ان الجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب
والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة رحمه الله حد السكر ويحتج
بهذه الآية وبقوله صلى الله عليه وسلم الخمر حرام لعينها او السكر من كل شراب باخبار جمة ولقد صنف شيخنا ابو علي الجبائي
غير كتاب في تحليل النبيذ فلما شيخ واخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل له قد
صنفت في تحليله فقال تناولته الدعاة تسبح في المروة وقيل السكر الطعم والشد جعلت اعراض الكرام
سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل هو من الخمر فانه اذا ابتر كبي في اعراض الناس فكانه تخمرها والرزق

وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا
يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون والله خلقكم

الحسن الخل والرب والدبس والتمر وغير ذلك ويجوز أن يجعل السكر رزقا حسنا كأنه تحذروه منه ما هو سكر
ورزق حسن الإيحاء إلى النحل إلهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو أعلم به لا سبيل لأحد إلى الوقوف على
والأنبياء في صنعتها ولطفها في تدبير أمرها وإصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على أن الله تعالى
أودعها علما بذلك وفطنها كما أودع أولي العقول عقولهم وقرأ يحيى بن وثاب إلى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنخل
وتأيده على المعنى أن اتخذي وهي أن المفسرة لأن الإيحاء فيه معنى القول وقرئ بيوتا بكسر الباء لأجل الياء
يعرشون بضم الراء وكسرها يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت
من الأماكن التي تتعسل فيها والضمير في يعرشون للناس فإن قلت ما معنى من في قوله أن اتخذي من الجبال
بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في الجبال وفي الشجر قلت أريد معنى البعضية وأن لا تبني
بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها ثم كلي من كل الثمرات حاطة بالثمرات التي تجنيها وتعتاد أكلها
أو أبني البيوت ثم كلي من كل ثمرة تشتهيها فإذا أكلتها فاسلكي سبل ربك الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل
أو ذللك ما أكلت في سبل ربك أو في مسالكه التي يجيئ منها بقدرته النور المر عسلا من أجوافك ومنافذك
فأكلك أو إذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي إلى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين
فيها فقد بلغني أنها ربما أجدبت عليها مآجلها فتسافر إلى البلد البعيد في طلب النجعة أو أراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي
أكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل لأن الله تعالى ذللها لها ووطأها وأرشدها
كقوله هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا أو من الضمير في فاسلكي وأنت ذلل منقادا لما أمرت به غير ممتنعة شراب
يريد العسل لأنه شراب مختلف ألوانه منه أبيض وأحمر وأصفر وأسود فيه شفاء للناس لأنه من جملة الأشربة
والأدوية المشهورة النافعة وقل مجوس من المعاجين لم يذكر فيه الأطباء العسل وليس الغرض أنه شفاء لكل مرض
كأن كل دواء كذلك وتنكيره إما لتعظيم الشفاء الذي أو لأن فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أن رجلا جاء إليه فقال إن أخي يشتكي بطنه فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك
فسقاه فشفاه الله تعالى فبرأ كأنما أنشط من عقال وعن ابن عباس أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء من كل داء
والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل ومن بدع التأويلات الرافضة أن المراد
بالنحل علي وقومه وعن بعضهم أنه قال عند الهدى إنما النحل بنوها هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل
جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فأخذوه أضحوكة من
أضاحيكهم إلى أرذل العمر أي الخسة والخرف وهو خمس وسبعون سنة عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة
عن قتادة لأنه لا عمر أسوأ حالا من عمر الهرم لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولية في

في النسيان وإن يعلم شيئا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه أن سيل عنه وقيل إلى أبلاه لا يعقل من بعد عقله الأول شيئا وقيل
ليلا يعلم زيادة علم على علمه والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فرزقكم أفضل مما رزق ما ملكتم وهو بشر مثلكم وإخوانكم
فكان ينبغي أن تردوا فضل ما رزقتم عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم كما يحكى عن أبي ذر رضي الله عنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
أتاهم إخوانكم فأكسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تطعمون فما روي عبد بعد ذلك إلا رداء رداء وإزار إزار من
غير تفاوت أفبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه للذين جعلوا لله شركاء
فقال لهم أنتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لأنفسكم
فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل المعنى أن الموالي والمماليك إذا رزقهم جميعا فهم في رزقي سواء
فلا تحسبن الموالي يردون على مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق فإذا لم يكن رزقي أجرى إليهم على أيديهم وقرئ
يجحدون بالياء والتاء من أنفسكم من جنسكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام والحفدة جمع حافد وهو
الذي يحفد أي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت وإليك نسعى ونحفد وقيل حفدة الولائد بنين
وأسلمت بالكنهن أزمة الجمال واختلف فيهم فقيل هم الأختان على البنات وقيل الولد الولد وقيل
أولاد المرأة من الزوج الأول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة أي خدما يحفدون في مصالحهم ويعينونكم
ويجوز أن يراد بالحفدة البنون أنفسهم كقوله وسكرا ورزقا حسنا كأنه قيل وجعل لكم بنين أولادا هم بنوهم
حافدون أي جامعون بين الأمرين من الطيبات يريد بعضها لأن كل الطيبات لا تكون إلا في الجنة وما طيبات
الدنيا إلا أنموذج منها أفبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة الأصنام وبركتها وشفاعتها وما هو إلا
وهم باطل لم يتوصلوا إليه بدليل ولا أمارة فليس لهم إيمان إلا به كأنه شيء باطل معلوم مستيقن ونعمة الله المشاهدة
المعاينة التي لا شبهة فيها الذي عقل وتمييز هم كانوا يعرفونها منكرون لها كما ينكر الجحال الذي لا يتصور العقول
وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم الرزق يكون
بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فإذا أردت المصدر نصبت به شيئا كقوله أو إطعام مسكينا لا يملك أن يرزق شيئا
وإن أردت الرزق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز أن يكون تأكيدا للا يملك أي لا يملك شيئا من الملك ومن السموات
والأرض صلة للرزق إن كان مصدرا أي لا يرزق من السموات مطرا ولا من الأرض نباتا أو صفة إن كانا اسما لما
يرزق والضمير في لا يستطيعون للأنداد في معنى الآلهة بعد ما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز أن يكون للكفار بمعنى ولا يستطيع
هؤلاء مع أنهم أحياء مبصرون أولو الألباب على ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به فإن قلت ما معنى قوله
ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما إلا شيء واحد قلت ليس في لا يستطيعون تقييد وراجع وإنما المعنى لا يملكون
أن يرزقوا والاستطاعة منتفية عنهم أصلا لأنهم موات إلا أن يقدر بالراجح ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة

أفلا تعلمون يا أولي الأمثال أن الله يعلم وأنتم لا تعلمون فضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه
منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلا

التوكيد أو يراد أنهم لا يملكون الرزق ولا يملكهم أن يملكوه ولا يتأتى ذلك فيهم ولا يستقيم فلا تضربوا لله
الأمثال تمثيل للإشراك بالله والتشبيه به لأن من يضرب الأمثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة أن الله يعلم
كذا ما تعلمون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازنه في العظم لأن العقاب على مقدار الإثم وأنتم لا تعلمون
كنهه وكنه عقابه فذاك هو الذي جرأكم إليه وجرأكم عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك ويجوز أن يراد فلا تضربوا
لله الأمثال أن الله يعلم كيف تضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم في إشراككم
بالله الأوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا وهو يتصرف
فيه وينفق منه كيف شاء فإن قلت لم قال مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد مملوك غير قادر على التصرف
قلت إما ذكر المملوك ليميز من الحر لأن اسم العبد يقع عليهما لأنهما من عباد الله وإما لا يقدر على شيء
فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له لأنهما يقدران على التصرف واختلفوا في العبد هل يصح له ملك والمذهب
الظاهر أنه لا يصح فإن قلت من في قوله ومن رزقناه ما هي قلت الظاهر أنها موصوفة كأنه قيل
وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع أن يكون موصولة فإن قلت لم قيل يستوون على الجمع قلت
معناه هل يستوي الأحرار والعبيد لا أبكم الذي ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه أي ثقل وعيال
على من يليه أمره ويعوله أينما يوجهه وحيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفع ولم يأت
بخير هل يستوي هو ومن هو سليم الجوارح لسان ذو كفايات متسع رشد وديانة يأمر الناس بالعدل والخير
وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده
ويشملهم من آثار رحمته وألطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللأصنام التي هي أموات لا تضر ولا
تنفع وقرئ أينما يوجهه بمعنى يتوجه من قولهم أينما أوجه ألق سعدا وقرأ ابن مسعود أينما يوجه
على البناء للمفعول ولله غيب السموات والأرض أي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه أو أراد
بغيب السموات والأرض يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السموات والأرض لم يطلع عليه أحد منهم إلا كلمح
البصر أو هو أقرب أي هو عند الله وإن تراخى كما تقولون في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح البصر أو هو
أقرب إذا بالغتم في استبعاده وتحقيق قولهم ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند
ربك كألف سنة مما تعدون أي هو عندكم بعيد وقيل المعنى أن إقامة الساعة وإماتة الأحياء
وإحياء الأموات من الأولين والآخرين يكون في أقرب وقت وأوجزه إن الله على كل شيء قدير فهو يقدر على أن
يقيم الساعة ويبعث الخلق لأنه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده وقرئ أمهاتكم بضم الهمزة
وكسرها والخاء مزيدة في أمات كآدر وآدر فقيل أهراق وشذت زيادتها في الواحد قال أمهتي

لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء
ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود

خيف والياس أي لا تعلمون شيئا في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم
في البطون وسواكم وصوركم ثم أخرجكم من الضيق إلى السعة وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الأشياء
إلا لآلات لإزالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام
بحقوقه والتدرج إلى ما يسعدكم والأفئدة في فؤاد كالأعزة في عزاب وهو من جموع القلة التي جرت
مجرى جموع الكثرة إذ لم يرد في السماع غيرها كما جاء شيوخ في جمع شيخ لا غير فجرت
ذلك المجرى قرئ ألم تروا بالتاء والياء مسخرات مذللات للطيران بما خلقها من الأجنحة
والأسباب الموافقة لذلك والجو الهواء المتباعد من الأرض في سمت العلو والتكاءه ابتعد منه واللو
مثله ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن ووقوفهن إلا الله بقدرته من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر
والمدر والأخبية وغير ذلك والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن إليه وينقطع إليه من بيت
أو ألف بيوتا هي القباب والأبنية من الأدم والأنطاع تستخفونها تروونها خفيفة الحمل في
الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم ويوم إقامتكم أي يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم
تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها أو هي خفيفة عليكم في أوقات السفر والحضر جميعا على أن اليوم
بمعنى الوقت ومتاعا وشيئا ينتفع به إلى حين إلى أن تقضوا منه أوطاركم أو إلى أن يبلى ويفنى أو إلى أن تموتوا
وقرئ يوم ظعنكم بالسكون مما خلق من الشجر وسائر المستظلات أكنانا جمع كن وهو ما يستكن به من
البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف سرابيل هي القمصان والثياب من القطن والكتان
والقطن وغيرها تقيكم الحر لم يذكر البرد لأن الوقاية من الحر أهم عندهم وقل ما يهمهم البرد لكونه
يسيرا محتملا وقيل يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد وسرابيل تقيكم بأسكم يريد الدروع
والجواشن والسلاح عام يقع على ما كان من حديد وغيره لعلكم تسلمون أي تنظرون في نعمة الفايضة
فتؤمنون به وتنقادون وقرئ تسلمون من السلامة أي تشكرون فتسلمون من العذاب وتسلم قلوبكم
من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فإن تولوا فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما
أديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب يعرفون نعمة الله التي
عددناها حيث يعترفون بها وأنها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله ولكنها
بشفاعة آلهتنا وقيل إنكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان ما أصبت كذا
لبعض نعم الله وأما لا يجوز التكلم بنحو هذا إذا لم يعتقد أنها من الله وأنه أجراها على يد فلان وجعله سببا
في نيلها وأكثرهم الكافرون جحدوا بالمعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها

ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف
عنهم ولا هم ينظرون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك

عناد او اكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم فان قلت ما معنى ثم قلت الدلالة على انكارهم امر
مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر شهيدا نبيهم يشهد لها وعليهم بالاعاة
والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فلا يؤذن لهم في الاعتذار على انه لا حجة
لهم ولا عذر وكذا على الحسن ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون او لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار
عمل فان قلت فما معنى ثم هل قلت معناها انهم يموتون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو اكلهم
منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء حجة وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر
يوم نبعث او يوم نبعث وتعوانيه وكذلك اذا رأوا العذاب بغتة وثقل عليهم فلا يخفف عنهم
ولا هم ينظرون كقوله بل تأتيهم بغتة فتبهتهم ان ارادوا بالشركاء آلهتهم فمعنى شركاؤنا آلهتنا التي دعوناها شركاء
وان ارادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغي وندعو بمعنى نعبد فالقوا قالوا
انكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الصحة قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكان عبادتهم لم يكن عبادة
والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون الجن تعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون
دوننا او كذبوهم في تسميتهم شركاء والهة تنزيها لله من الشركة وان اريد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا
كاذبين في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا يعني الذين ظلموا والقاء
السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من
ان الله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على
الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب زدناهم عذابا فوق عذابهم وقيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال
البغال تلسع احديهن تلسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون
من شدة برده الى النار بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين للناس بصدهم عن سبيل الله شهيدا عليهم من انفسهم
يعني نبيهم لانه كان يبعث انبياء الامم فيهم ونبينا بعث على هؤلاء على امته تبيانا بيانا بليغا ونظيره تبيان
تلقاء كسر اوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن فان قلت كيف كان القرآن تبيانا لكل شيء قلت
المعنى انه بين كل شيء من امور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله صلعم
وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله لامته
اتباع اصحابه والاقتداء بآثارهم في قوله علم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا
ووطأوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى تبيان الكتاب
فمن ثم كان تبيانا لكل شيء العدل هو الواجب لان الله عز وجل عدل على عباده فجعل ما فرضه عليهم واتاحه لطاقتهم

العذاب يعني خمسة انهار من صديد العذاب
تحت من يعتنون العرش يسيل من تحته

ان الله يأمر بالعدل والاحسان

وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم
ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت

والاحسان الندب وانما علق امر بهما جميعا لان الفرض لا بد ان يقع فيه تفريط فيجبر الندب لذلك قال
رسول الله صلعم لمن على الفرائض فقال والله لا ازيد فيها ولا انقص افلح الرجل ان صدق فعقد الفلاح بشرط
الصدق والسلامة وقال صلعم استقيموا ولن تحصوا فينبغي ان يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل
والفواحش ما جاوز حدوده الله والمنكر ما ينكره العقول والبغي طلب التطاول بالظلم وحين اسقطت من الخطب
لعنة الله على امير المؤمنين علي رض اقيمت هذه الآية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا
ضاعف الله لمن سنها عقابا ونكالا وخزيا اجابة للدعوة بنيته وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن
مظعون لما عهد الله عهد الله هي البيعة لرسول الله على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا الايمان
ايمان البيعة بعد توكيدها اي بعد توثيقها باسم الله واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة
بدل كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا في نقض الايمان كالمرأة
التي انجت على غزلها بعد ان احكمته وابرمته فحلته انكاثا جمع نكث وهما ينكث فتله قيل هي ريطة
بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنانة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت
تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن تتخذون حال ودخلا احد مفعولي اتخذ
يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذين دخلا بينكم اي مفسدة ودغلا ان تكون امة بسبب ان تكون امة يعني جماعة
قريش هي اربى من امة اي ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة المؤمنين انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان
تكون امة لا في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر هل تتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم
على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة لرسول الله ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم
وليبينن لكم انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة حنيفية مسلمة على طريق الالجاء
والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن الحكمة اقتضت ان يضل من يشاء وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر ويصمم عليه
ويهدي من يشاء وهو ان يلطف بمن علم انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف
والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على الاجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله ولتسألن
عما كنتم تعملون ولو كان هداهم المضطر الى الضلال والاهتداء لما اثبت لهم عملا يسألون عنه ثم كرر النهي عن اتخاذ
الايمان دخلا بينهم تأكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يرتكب منه فتزل قدم بعد ثبوتها فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام
بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا
ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب عظيم في الآخرة كان قوما ممن اسلم
بمكة زين لهم الشيطان لجوءهم بما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم

ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين
الذين صبروا اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة

ثبتهم الله

ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة
رسول الله فتبتهم الله ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش تجعله لهم ويمنونهم ان رجعوا
ان ما عند الله من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة خير لكم ما عندكم من عراض الدنيا ينفد وما عند
الله من خزاين الله رحمته باق لا ينفد وقرئ لنجزين بالنون والياء الذين صبروا على الاذى المشركين
ومشاق الاسلام فان قلت لم وحدت القدم ونكرت قلت لاستعظام ان تزل قدم واحدة
عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة فان قلت من متناول للذكر والانثى فما معنى
تبيينه بهما قلت هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر كان الظاهر تناوله الذكور
فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الوعد النوعين جميعا حياة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله
ولنجزينهم وعدة الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله وآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن
مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما
يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله واما الفاجر فامر على العكس ان كان معسرا فلا اشكال
في امره وان كان موسرا فالحرص يدعه ان يهنأ بعيشه وعن ابن عباس رض الحياة الطيبة الرزق الحلال
وعن الحسن القناعة وعن قتادة هي الجنة وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه لما ذكر العمل
الصالح ووعد عليه وصل به قوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ايذانا بان الاستعاذة من جملة الاعمال
الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة القرآن فاستعذ كقوله اذا قمتم الى
الصلوة فاغسلوا وجوهكم وكقوله اذا اكلت فسم الله فان قلت لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل
قلت لان الفعل يوجد عن القصد والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان مثله سببا قويا ومثلا
ظاهرا وعن عبد الله بن مسعود رض قرأت على رسول الله صلعم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم
هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ ليس له سلطان اي تسلط وولاية على اولياء الله يعني
انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته انما سلطانه على من تولاه ويطيعه مشركو
الضمير يرجع الى ربهم ويجوز ان يرجع الى الشيطان على معنى بسببه تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله
تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لانها مصالح وما كان مصلحة امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة
والله تعالى عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله والله اعلم بما ينزل قالوا
انما انت مفتر وجدوا منه خللا للطعن فقالوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون
ان محمدا يسخر من اصحابه يأمرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الا

تعليل لا تشتروا

قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه
بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله

الاشق بالاهون والاهون بالاشق والاهون بالاهون والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة
فان قلت هل في تبديل الآية بالآية دليل على ان القرآن انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والاجماع والقياس
قلت فيه ان قولنا ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على ان السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن في
ايجاب العلم فنسخها كنسخه بمثله واما الاجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن بها
في منزل ونزله وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل من باب المصالح
كالتنزيل وان تركا النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة وروح القدس جبريل عليه السلام
اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد
وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها بالحق في موضع الحال اي نزله ملتبسا
بالحكمة يعني ان النسخ من جملة الحق ليثبت الذين آمنوا ليداومهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق
من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب على ان الله تعالى حكيم فلا يفعل
الا ما يجيء هو حكمة وصواب وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم
وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف اراد
بالبشر غلاما كان لجويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عايش او يعيش وكان
صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا
يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وكان رسول الله صلعم اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن
فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي واللسان اللغة ويقال
الحد القبر واللحد وهو ملحد وملحود اذا مال جعفر عن الاستقامة فجعفر في شق منه ثم استعير
لكل امالة عن استقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه
عن الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة
اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة رد القولهم وابطال
لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن اللسان الذي يلحدون اليه بتعريف
اللسان فان قلت الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها قلت لا محل لها
لانها مستأنفة جواب لقولهم ومثله قوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله واذا جاءتهم آية قالوا
لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اي يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون
لا يهديهم الله لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة لا من اهل اللطف والثواب

إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره
وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم

إنما يفتري الكذب رد لقولهم إنما أنت مفتر يعني إنما يليق افتراء الكذب من لا يؤمن لأنه لا يترقب عقابا
عليه وأولئك إشارة إلى قريش هم الكاذبون أي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون أو إلى الذين لا يؤمنون
أي أولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب وأولئك هم الذين
عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا يجزمهم عنه مروءة ولا دين وأولئك هم الكاذبون في قولهم إنما أنت مفتر
من كفر بالله بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على أن يجعل وأولئك هم الكاذبون في حقهم اعتراضا بين البدل
والمبدل منه والمعنى إنما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت
حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا أي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ويجوز أن
يكون بدلا من المبتدأ الذي هو أولئك على ومن كفر بالله من بعد إيمانه هم الكاذبون على وأولئك هم من كفر بالله من
بعد إيمانه ويجوز أن ينتصب على الذم وقد جوزوا أن يكون من كفر بالله شرطا مبتدأ ويحذف جوابه لأن جواب
من شرح دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعليهم غضب إلا من أكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب روي
أن ناسا من أهل مكة فتنوا فارتدوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من أكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه
وهو معتقد للإيمان منهم عمار وأبواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فأما سمية
فقد ربطت بين بعيرين وطعن في قبلها بحربة وقالوا أنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتل بها ياسر
وهما أول قتيلين في الإسلام وأما عمار فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله إن عمارا كفر
قال كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلعم وهو
يبكي فجعل رسول الله عينه وقال ما لك إن عادوا لك فعد لهم وما قلت فيهم جبر رسول الله الخضرمي أكرهه سيده فكفر ثم أسلم
مولاه وأسلم وحسن إسلامهما وهاجرا فإن قلت أي الأمرين أفضل أفعل عمار أم فعل أبويه قلت
بل فعل أبويه لأنه في ترك التقية والصبر على القتل إعزاز للإسلام وقد روي أن مسيلمة أخذ رجلين فقال
لأحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال أنت أيضا وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال
ما تقول في قال أنا أصم فأعاد عليه ثلثا فأعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلعم فقال أما الأول فقد أخذ
برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك إشارة إلى الوعيد وأن الغضب والعذاب يلحقانهم
بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم وأولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة
الذين لا أحد أغفل منهم لأن الغفلة عن قدر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها ثم إن ربك دلالة على تباعد
حال هؤلاء من حال أولئك وهم عمار وأصحابه ومعنى إن ربك لهم أنه لهم عليهم يعني أنه وليهم وناصرهم لا عدوهم
وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا مسعودا غير مقهور من بعد ما فتنوا بالعذاب والإكراه على الكفر

هم الخاسرون ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا

ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت
وهم لا يظلمون وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله

وقرئ فتنوا على البناء للفاعل أي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي وأشباهه من بعدها من بعد هذه الأفعال وهي
الهجرة والجهاد والصبر يوم تأتي منصوب برحيم أو باضمار اذكر **فان قلت** ما معنى النفس المضافة إلى النفس
قلت يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما في فالنفس الأولى هي الجملة والثانية
عينها وذاتها فكأنه قيل يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل تقول نفسي نفسي ومعنى تشخص
المجادلة عنها الاعتذار عنها كقوله هؤلاء أضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وضرب الله مثلا قرية أي جعل القرية
التي هذه حالها مثلا لكفار أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته فيجوز أن يراد
قرية مقدرة على هذه الصفة وأن يكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة
أنذرها من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف لأن الطمأنينة مع الأمن والانزعاج والقلق مع الخوف رغدا
واسعا والأنعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس وفي الحديث نادى مناديك
النبي صلى الله عليه وسلم أنها أيام طعم ونعم فلا تصوموا **فان قلت** الإذاقة واللباس استعارتان فما وجه
صحتهما والإذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة إيقاعها عليه **قلت** أما الإذاقة
فقد جرت مجرى الحقيقة عندهم لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان
البؤس والضر وأذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر والبشع وأما
اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث وأما إيقاع الإذاقة
على اللباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف
ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الإحاطة بهما فإن الاستنكار لا ينتج إلا لمن فقدهما أحدهما أن ينظروا فيه إلى المستعار
له كما نظر إليه هنا ونحوه قوله كثير عزة الرداء إذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال استعار الرداء
للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفة
الرداء نظرا إلى المستعار له والثاني أن ينظروا فيما إليه المستعار كقوله بنا تهتني ردائي عبد عمرو رويدك يا
أخا عمرو بن بكر على الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجز بشطر أراد برداءه سيفه ثم قال فاعتجز منه بشطره
فنظر إلى المستعار في لفظ الاعتجاز ولو نظر إليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضاحكا في الرداء
إذا تبسم ضاحكا وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم نعوذ بالله من
مفاجأة النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف عطفا على اللباس أو على تقدير حذف المضاف وإقامة
المضاف إليه مقامه أصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع لما أوعظهم بما ذكر من حال القرية وما أتيت به
من كفرها وسوء صنيعها وصل ذلك بالتأديب في قوله فكلوا صدهم عن أفعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها

فإذا قال الناس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه

إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور
رحيم ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون

عليها بأن أمرتم بأكل ما رزقكم الله من الحلال الطيب وشكر النعمة بذلك وقال إن كنتم إياه تعبدون يعني تطيعون
أو إن صح زعمكم أنكم تعبدونه الله بعبادة الآلهة لأنها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم بمحرمات الله ونهاهم عن
تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان أنبيائه وانتصاب الكذب
بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه
الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير استناد ذلك لوصف إلى وحي من الله أو إلى قياس
مستند إليه واللام مثلها في قولك فلا تقولوا لما أحل الله هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل
من الكذب ويجوز أن تتعلق بتصف على إرادة القول ولا تقولوا الكذب لما تصف ألسنتكم فتقول هذا
حلال وهذا حرام ولك أن تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا
على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أي ولا تجاوزوا الحل قول ينطق به ألسنتكم
الكذب ويجوز في أفواهكم لأجل حجة وبينة ولكن قول شاذ ودعوى فارغة فإن قلت ما معنى
وصف ألسنتهم الكذب قلت هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كاذبين الكذب بعينه فإذا
نطقت به ألسنتهم فقد جعلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها
تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كأنه قيل لوصفها الكذب يعني الكاذب
كقولهم بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب
بالرفع صفة صفة للألسنة وبالنصب على الشتم أو بمعنى الكلم الكواذب أو هو جمع الكذاب من قولك
كذب كذابا ذكره ابن جني واللام في لتفتروا من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض متاع قليل خبر
مبتدأ محذوف أي منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم ما قصصنا
عليك يعني في سورة الأنعام بحرمناه في موضع الحال أو عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه أو غير
متدبرين العاقبة لغلبة الشهوة عليهم من بعد ذلك بعد التوبة كان أمة فيه وجهان أحدهما أنه كان وحده
أمة من الأمم لكماله في جميع صفات الخير كقوله ليس بمستنكر أن يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا
وحده والناس كلهم كفار والثاني أن يكون بمعنى مأموم أي يؤمه الناس ليأخذوا عنه الخير أو بمعنى
مؤتم به كالرحلة والنجدة وما أشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله إني جاعلك للناس
إماما وروى الشعبي عن طروة بن نوفل الأشجعي عن ابن مسعود رضي قال إن معاذا كان أمة قانتا لله فقلت
غلطت أما هو إبراهيم صلى فقال الأمة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك
وعن عمر رضي الله قال حين قيل له ألا تستخلف لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته فإني سمعت رسول الله صلى

ولو كان معاذ حيا لاستخلفته
ولو كان سالم حيا لاستخلفته م

ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه
في الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين إنما جعل السبت

يقول أبو عبيدة أمين هذه الأمة ومعاذ أمة لله قانت ليس بينه وبين الله يوم القيمة إلا المرسلون وسالم
شديد الحب لله لكان لا يخاف الله لم يعبده وهو ذلك المعنى أو كان إماما في الدين لأن الأمة معلم الخير والقانت
القائم بأمر الله والحنيف المائل إلى ملة الإسلام غير الزائل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش
في زعمهم أنهم على ملة إبراهيم شاكرا لأنعمه روي أنه كان لا يتغدى إلا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا
فأخر غداءه فإذا هو بفوج من الملائكة بصورة البشر فدعاهم إلى الطعام فخيلوا له أن بهم جذاما فقال الآن
وجبت مواكلتكم شكرا لله على أنه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة إلى صراط مستقيم
إلى ملة الإسلام حسنة عن قتادة هي ثناء الله ذكر جميل ليس من أهل دين إلا وهم يتولونه وقيل
الأموال والأولاد وقيل هو قول المصلي منا كما صليت على إبراهيم لمن الصالحين لمن أهل الجنة ثم أوحينا
إليك في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى وإجلال محله والإيذان بأن أشرف ما أوتي
خليل الله إبراهيم عليه من الكرامة وأجلها وأولى من النعمة اتباع رسول الله ملته من قبل أنها دلت
على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي أثنى الله عليها بها السبت صدر سبت
اليهود إذا عظمت سبتها والمعنى إنما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم
فيه أنهم أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم أن يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة
بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي
كفرت بأنعم الله مثلا وغير ما ذكر وهو الإنذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لأوامره والخا
رجين عن نقمة طاعته فإن قلت فما معنى الحكم بينهم إذا كانوا جميعا محلين أو محرمين قلت
معناه يجازيهم جزاء اختلافهم في كونهم محلين تارة ومحرمين أخرى ووجه آخر وهو أن موسى عليه
أمرهم أن يجعلوا في الأسبوع يوما للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ
الله فيه من خلق السموات والأرض الآية شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لأن
بعضهم اختاروه وبعضهم اختار عليه الجمعة فأذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فأطاع
أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أوليك وهو
يحكم بينهم يوم القيمة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه
وترك الاصطياد فيه وقرئ إنما جعل السبت على البناء للفاعل وقرأ عبد الله إنما أنزل السبت
إلى سبيل ربك إلى الإسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة و
الموعظة الحسنة وهي التي لا خفي عليهم أنك ناصح لهم وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز أن يريد القرآن أي

وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وإن عاقبتم فعاقبوا
بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في

ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي هي أحسن بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من
الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف إن ربك أعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة
اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكانك تصرت منه في حديد بارد سمي الفعل الأول باسم الثاني للمزاوجة
والمعنى إن صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرئ إن عقبتم فعقبوا أو
إن قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم روي أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم و
قطعوا مذاكيرهم ما تركوا أحدا غير حمزة ومثل به الحنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به
فرآه مبقور البطن فقال أما والذي أحلف به لئن أظفرني الله بهم لأمثلن سبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه و
كف عما أراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الأخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور أما أن يرجع الضمير
في لهو إلى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين الخاطبون أو ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرون
موضع الضمير ثناء من الله عليهم بأنهم صابرون على الشدائد ووصفهم بالصفة التي تحصل لهم إذا صبروا عن المعاقبة
وإما أن يرجع إلى أحد الصبرين وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كأنه قيل وللصبر خير للصابرين ونحو قوله
عز وعلا فمن عفا وأصلح فأجره على الله وأن تعفوا أقرب للتقوى ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصبر أنت فعلك
عليه بالصبر وما صبرك إلا بالله أي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبه ولا تحزن عليهم أو على الكافرين كقوله
فلا تأس على القوم الكافرين أو على المؤمنين وما فعلوه الكافرون ولا تك في ضيق وقرئ ولا تكن في ضيق أي
ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق أي في أمر ضيق ويجوز أن يكون الضيق والضيق مصدرين
كالقيل والقول إن الله مع الذين اتقوا أي هود الذين اجتنبوا المعاصي والذين هم محسنون في أعمالهم وعن
هرم بن حيان أنه قيل له حين احتضر أوص فقال إنما الوصية من المال ولا مال لي وأوصيكم بخواتيم سورة
النحل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما أنعم عليه في دار الدنيا
وإن مات في يوم تلاها أو ليلة كان له من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية

سورة بني إسرائيل مكية وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل
مضمر متروك الإظهار تقديره أسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه
البليغ من جميع القبائح التي تضيفها إليه أعداء الله وأسرى وسرى لغتان وليلا نصب على الظرف
فإن قلت إلا سراء لا يكون إلا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير
تقليل مدة الإسراء وإنما أسري به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة وذلك أن التنكير

إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا
من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا وآتينا موسى الكتاب

فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل أي بعض الليل كقوله ومن الليل
فتهجد به نافلة يعني الأمر بالقيام في بعض الليل واختلف في المكان الذي أسري منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه
وهو الظاهر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل عليه السلام
بالبراق وقيل أسري به من دار أم هانئ بنت أبي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لإحاطته بالمسجد والتباسه
به وعن ابن عباس رضي الله عنه الحرم كله مسجد روي أنه كان نائما في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسري به وعرج به من
ليلته وقص القصة على أم هانئ وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج إلى المسجد فتشبثت أم هانئ
بثوبه فقال ما لك قالت أخشى أن يكذبك قومك إن أخبرتهم فقال وإن كذبوني فخرج فجلس إليه أبو جهل فأخبره
رسول الله بحديث الإسراء فقال أبو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فجدثهم فمن بين مصفق وواضع
يده على رأسه تعجبا وإنكارا وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال إن كان قال ذلك لقد صدق
قالوا أتصدقه على ذلك قال إني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي الصديق وفيهم من سافر إلى إيليا ممن
المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر إليه وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب فقالوا أخبرنا عن عيرنا
فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال يقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون
ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد أشرقت فقال آخر والله العير قد أقبلت يقدمها
جمل أورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا إلا سحر مبين وقد عرج به إلى السماء في تلك الليلة وكان العروج
به من بيت المقدس وأخبر قريشا أيضا بما رأى في السماء من العجائب وبلغ البيت المعمور وسدرة
المنتهى واختلفوا في وقت الإسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن أنس والحسن أنه كان قبل البعثة واختلف
في المكان في اليقظة أم في المنام فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن
عرج بروحه وعن معاوية أنه عرج بروحه وعن الحسن كان في المنام رؤيا رآها وأكثر الأقاويل بخلاف ذلك و
المسجد الأقصى بيت المقدس لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد باركنا حوله يريد ببركات الدين والدنيا لأنه متعبد
الأنبياء من وقت موسى عليه السلام ومهبط الوحي وهو محفوف بالأنهار الجارية والأشجار المثمرة وقرأ الحسن
ليريه بالياء والقصد تصريف الكلام على النمط الغائب والمتكلم فقيل أسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم من
آياتنا ثم إنه هو وفي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة أنه هو السميع لأقوال محمد صلى الله عليه وسلم البصير بأفعاله العالم
بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك أن لا تتخذوا قرئ بالياء على أي لئلا يتخذوا وبالتاء على أي
لأن تتخذوا أو قلنا كتبنا إليه أن افعلوا كذا وكيلا ربا تكلون إليه أموركم ذرية من حملنا نصب على الاختصاص وقيل
على النداء وفي قراءة لا تتخذوا بالتاء على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح

وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما

وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولي تتخذوا أو الجعلوهم أربابا كقوله ولا يأمركم أن تتخذوا
الملائكة والنبيين أربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير وقرئ ذرية من حملنا بالرفع
بدلا من واو تتخذوا وقرأ زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروي عنه أنه قد فسرها بولد الولد كأنه
ذكرهم النعمة في إنجاء آبائهم من الغرق إذ أن نوحا كان عبدا شكورا قيل كان إذا أكل قال الحمد لله الذي
ولو شاء أجاعني وإذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء أظمأني وإذا اكتسى قال الحمد لله الذي
كساني ولو شاء أعراني وإذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء أحفاني وإذا قضى حاجته
قال الحمد لله الذي أخرج عني أذاه في عافية ولو شاء حبسه وروي أنه كان إذا أراد الإفطار عرض طعامه
على من آمن به فإن وجد مجتاعا آثره به فإن قلت قوله أنه كان عبدا شكورا ما وجه ملاءمته لما قبله
قلت كأنه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا بي لأن نوحا علم كان عبدا شكورا وأنتم ذرية من آمن
به وحملوا معه فاجعلوا أسوتكم كما جعله آباؤكم أسوتهم ويجوز أن يكون تعليلا لاختصاصهم والثناء عليهم بأنهم
أولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستأهلوا بذلك الاختصاص ويجوز أن يكون يقال ذلك عند ذكر عاد سبيل
الاستطراد وقضينا إلى بني إسرائيل وأوحينا إليهم وحيا مقضيا أو مقطوعا مبتوتا بأنهم يفسدون في الأرض مجاهرة
ويعلون أو يتعظمون ويتغلبون في الكتاب التورية لتفسدن جواب قسم محذوف ويجوز أن يجرى القضاء المبتوت مجرى
القسم فيكون لتفسدن جوابا له كأنه قال وأقسمنا لتفسدن وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن بفتح
التاء من فسد مرتين أولاهما قتل زكريا عليه وحبس أرميا حين أنذرهم سخط الله والأخرى قتل يحيى بن زكريا وقصد
قتل عيسى بن مريم عياذا لنا وقرئ عبيدا وأكثر ما يقال لعباد الله وعبيد الناس سنجاريب وجنوده قيل
بخت نصر وعن ابن عباس رضي الله عنه جالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا
فإن قلت كيف جاز أن يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه قلت معناه خلينا بينهم وبين ما
فعلوا ولم نمنعهم على أن الله عز وجل أسند بعث الكفرة عليهم إلى نفسه هو كقوله نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا
يكسبون وكقول الداعي وخالفت بين كلمتهم وأسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد إليهم فخربت
المسجد وأحرقت التورية من جملة الجوس المسند إليهم وقرأ طلحة فجاسوا بالحاء وقرئ فجوسوا وقرئ
خلل الديار فإن قلت ما معنى وعد أولاهما قلت معناه وعد عقاب أولاهما وكان وعدا مفعولا
سأبدأ أن يفعل ثم رددنا لكم الكرة أي الدولة والغلبة على الذين بغوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد
والغلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني إسرائيل أسراءهم وأموالهم ورجوع الملك إليهم وقيل
هي قتل داود جالوت أكثر نفيرا أكثر ما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد

إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه
أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا إن هذا

والمعنى إن الإحسان والإساءة كلاهما مختص بأنفسكم لا يتعدى النفع والضرر إلى غيركم وعن علي رضي الله
عنه ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه وتلاها فإذا جاء وعد المرة الآخرة بعثناهم ليسوءوا وجوهكم حذف
لدلالة ذكر إذا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه
الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله عز وجل أو للوعد أو للبعث وليسوء بالنون وفي قراءة علي رضي الله
عنه ليسوءن وليسوءن وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة واللام في ليدخلوا على هذا متعلق بمحذوف
وهو بعثناهم ليدخلوا ولنسوءن جواب إذا جاء ما علوا مفعول ليتبروا أي ليهلكوا أو ليهلكوا كل شيء غلبوه
واستولوا عليه أو مدة علوهم عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الثانية إن تبتم توبة أخرى وانزجرتم
عن المعاصي وإن عدتم مرة ثالثة عدنا إلى عقوبتكم وقد عادوا فأعاد الله عليهم النقمة بتسليط الأكاسرة
عليهم وضرب الإتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون
وعن قتادة ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم ينالون منهم في عذاب الحرام القيمة حصيرا محبسا
يقال للسجن حصير وحصير وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول الذي هي أقوم للحالة التي هي أقوم
الحالات وأسدها أو للملة أو للطريقة وأيتها قدرت لم تجد مع الإتيان ذوق البلاغة الذي تجده مع الجذ
لما في إبهام الموصوف بحذفه من فخامة تقذف مع إيضاحه وقرئ يبشر بالتخفيف فإن قلت كيف
ذكر المؤمنين بالإيمان والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ إما مؤمن تقي وإما مشرك وإنما
حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك فإن قلت علام عطف وأن الذين لا يؤمنون قلت
على أن لهم أجرا كبيرا على معنى أنه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب أعدائهم ويجوز أن يراد ويخبر
بأن الذين لا يؤمنون بالآخرة ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله كما يدعو لهم بالخير كقوله ولو
يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وكان الإنسان عجولا يتسرع إلى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله من غير تثبت
فيه تأني المتبصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دفع إلى سودة بنت زمعة أسيرا فأقبل يئن بالليل فقالت ما لك تأنين
فشكا ألم القد فأرخت من كتافه فلما نامت أخرج يده وهرب فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فأعلم بشأنه
فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الإجابة وأن يقطع الله يديها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
إني سألت الله ربي أن يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من أهلي رحمة لأني بشر أغضب كما يغضب البشر
فلترد سودة يديها ويجوز أن يريد بالإنسان الكافر وأنه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو
بالخير إذا مسته الشدة وكان الإنسان عجولا يعني أن العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن
عباس رضي الله عنه هو النضر بن الحارث قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية فأجيبت فضربت عنقه

وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا
عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة

صبرا فيه وهمال احدهما ان يراد ان الليل والنهار آيتان في انفسهما فيكون الاضافة في آية الليل
وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي
هي النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا نيرّي الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية
الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسة مظلما لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح
الممحو وجعلنا النهار مبصرا اي يبصر فيه الاشياء ويستبان او فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم
يخلق له شعاعا كشعاع الشمس فيرى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع
يبصر في ضوءها كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا بابتغاء فضل النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف
في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين والحساب وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك
لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه
بينّاه بيانا غير ملتبس فان حجبنا علمكم وما تركنا لكم حجة علينا طائره عمله وقد حققنا القول فيه في سورة
النمل وعن ابن عيينة هو من قولك طار لسهم اذا خرج يعني الزمناه ما طار من عمله والمعنى ان عمله لازم له
لزوم القلادة او الغل لا يفك عنه وعلى مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا
رقة في رقبته وعن الحسن رح يا ابن آدم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدت ما في عنقك وقرئ
في عنقه بسكون النون وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والضمير لله تع ويخرج للبناء للمفعول
ويخرج من خرج والضمير للطائر اي يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال وقرئ يلقاه مخففا
بالتشديد مبنيا للمفعول ويلقاه منشورا صفتان للكتاب ويلقاه صفة ومنشورا حال من
يلقاه اي قارئا على ارادة القول وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن قارئا في الدنيا وبنفسك
فاعل كفى وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضرب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما
سيبويه وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد فعدي
بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه فان قلت لم ذكر حسيبا قلت لانه بمنزلة الشهيد
والقاضي والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز
ان يتأول النفس بالشخص كما يقال ثلثة انفس وكان الحسن اذا قرأها يقول يا ابن آدم انصف من الله من
جعلك حسيب نفسك اي كل نفس حاملة وزرها لا تحمل وزرها وزر نفس اخرى وما كنا معذبين وما صح
منا صحة يدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما الا من بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة فان قلت
الحجة لازمة قبل بعثة الرسل لان معهم ادلة العقل التي بها يعرف الله وقد اغفلوا النظر وهم متمكنون

وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا

منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكونهم لاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا
بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان قلت بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر
والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر في ادلة
العقل وإذا أردنا واذا اردنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليلا امرنا مترفيها
ففسقوا اي امرناهم ففسقوا والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون
فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات
فكانهم مأمورون بذلك لتسبب امداد النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير وتمكنوا
من الاحسان والبر كما خلقهم اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعاصي
فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب قدمرناهم فان قلت هلا
زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف بحذف
ما الدليل على نقيضه وذلك ان المأمور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته
فقام وامرته فقعد ولا يفهم منه الا ان المأمور به قيام او قعود ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من
مخاطبك علم الغيب ولا يلزم هذا قولهم امرته فعصاني او فلم يمتثل امري لان ذلك منافٍ للامر منافٍ
له ولا يكونه ما ينافي الامر مأمورا به فكان محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل دليلا على المأمور به في هذا الكلام
غير مدلول عليه ولا منوي لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي الا من امر مأمورا به فكانه يقول من امر فلم يكن
منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطي ويمنع ويأمر وينهى غير قاصد الى مفعول فان قلت هلا كان
ثبوت العلم بان الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر بالقسط والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا
قلت لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيئا وانت تدعي اضماره خلافه فكان صرف
الامر الى المجاز هو الوجه ونظير امرنا في ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة صدره ما بعده تقول لو
شاء الاحسان اليك ولو شاء الاساءة اليك سيد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف
ما اظهرت وقلت خردلت حال من اسندت اليه المشيئة انه من اهل الاحسان او من اهل الاساءة
فاتك الظاهر المنطوق به واضمرت ما دلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم امرنا
بكثرنا وجعل امرته فامر من باب فعلته ففعل لكثرته فيه وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة
مأمورة اي كثيرة النتاج وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلعم اني امرؤ هذا حقيرا فقال صلعم
الدينار حقيرا سيكثر وسيكبر وقرئ آمرنا من امر وآمرنا من امر وآمرنا بمعنى آخرنا او من امر

وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا من كان يريد العاجلة عجلنا له
فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن

امارة واثرة الله اه جعلناهم امراء وسلطناهم كم مفعول اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد
بالجنس يعني عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا ونبه بقوله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا على ان الذنوب
هي اسباب الهلكة لا غير وانه عالم بها فعاقب عليها من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة والكثر
التفصيل عليه من منافعها ما نشاء لمن نريد فقيد الامر تقييدين احدهما تقييد المعجل بمشيته والثاني
تقييد المعجل لمن بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا
منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقد الدنيا وفقد الآخرة واما المؤمن التقي
فقد اختار مراده وهو غنى الآخرة فما يبالي اوتي حظا من الدنيا او لم يؤت فان اوتي فهو والا فمن تمام
كان الفقر خيرا له واعون على امراده وقوله لمن نريد بدل من له وهو بدل البعض من الكل لان الغنيمة
يرجع الى من وهو في معنى الكثرة وقرئ يشاء وقيل الضمير لله عز وعلا فلا يرق اذن بين
القراءتين في المعنى ويجوز ان يكون للعبد على ان للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك مثل الدهماء يريد به
الله ذلك وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد
للغنيمة والذكر كما قال صلعم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته
الى الدنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه مذموما مطرودا من رحمة الله سعيها حقها
من السعي وكفاها من الاعمال الصالحة اشترط ثلث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة بان
يعقد بها همته ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت
وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا
هذه الآية وشكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والمنون عوض عن المضاف اليه
ممدهم نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا
على وجه التفضل وما كان عطاء ربك وفضله محظورا ممنوعا لا يمنعه مانع من عاص لعصيانه انظر
بعين الاعتبار كيف جعلناهم متفاوتين في التفضل وفي الآخرة التفاوت اكثر لان ثوابها ثواب واعواض و
تفضل وكلها متفاوتة وروي ان قوما من الاشراف مثل دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي فخرج الاذن
لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما اوتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا
يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب
عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر وقرئ واكثر تفضيلا وعن بعضهم انه تحاسى بالرفع مثل في مجالس
الدنيا الا ترغب في الجماعات بالرفع في مجالس الآخرة وهي اكثر وافضل فتقعد من قولهم شجنا الشفرة

وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف
ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا

حتى قعدت كانها جزبة يعني صارت يعني فقصد على نفسك جامعا الذم وما يتبعه من الهلاك من الهنك والخذ
عن النصرة من جعلته شريكا له وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به الا تعبدوا الا مفسرة ولا تعبدوا الا بان
لا تعبدوا وبالوالدين احسانا واحسنوا بالوالدين احسانا او بان تحسنوا بالوالدين احسانا وقرئ
واحسنوا بالوالدين احسانا وقرئ واوصى وعن ابن عباس رضي وعن بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك
ولا يجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان المصدر لا يتقدم عليه صلته انما هي ان الشرطية زيدت عليها
ما تاكيدا لها فلذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو اردت ان لم يصح دخولها لقلت ان تكرمن زيدا يكرمك
ولكن اما تكرمنه واحدهما فاعل يبلغن وهو فيمن قرأ يبلغان بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف
على احدهما فاعلا وبدلا فان قلت لو قيل اما يبلغان كلاهما توكيدا لا بدلا لما كان عمت فيه بدل قلت
لانه معطوف على الاسم ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب ان يكون مثله فان قلت ما ضرك لو جعلته
توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل قلت لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب
فلما قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول اف صوت يدل على تضجر وقرئ
اف بالكسر كانه للتثليث منونا وغير منون الكسر على اصل البناء والفتح تخفيف للضمة والتشديد كتم والضم اتباع كمنذ
فان قلت ما معنى عندك قلت هو ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما الكافل لهما عين لهما عنده
في بيته وكنفه وذلك اشق عليه واشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتولياه منه في حال الطفولية فهو ماخوذ
بان يستعمل معهما وطاعة الخالق وبين الجانبين والاحتمال حتى لا يقول لهما اذا ضجر ما يستثقل منهما او يستثقل من
مؤنتهما ان فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده
وتلطفهما في سلك النصائح معا ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات
الضجر ومقتضياته ومع احوال لا يكاد يدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما
يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التانيف والنهر قولا كريما جميلا كما يقتضيه حسن
الادب والنزول على المروة وقيل هو ان يقول يا ابتاه يا امتاه كما قال ابرهيم عليه السلام لابيه يا ابت مع كفره ولا يدعوهما
باسمائهما فانه من الجفاء وسوء الادب وعادة الدعار قالوا ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة لحلبت
ابو بكر كذا وقرئ جناح الذل والذلة بالضم والكسر فان قلت ما معنى قوله جناح الذل قلت اضافه عنهما
فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضاف الذل الى الذل كما
اضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل والذلول والثاني ان يجعل الذل له او لذله جناحا خفيضا
كما جعل لبيد وللقرة ذراعا مبالغة في التذلل والتواضع لهما من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما

ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا

وافتقارهما اليوم إلى من كان أنفق خلق الله إليهما بالأمس ولا يكتفي برحمتك عليهما التي لا بقاء لهما وادع الله
بأن يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك فإن قلت الاسترحام لهما
إنما يصح إذا كانا مسلمين قلت وإذا كانا كافرين فله أن يسترحم بشرط الإيمان وأن يدعو الله لهما بالهداية
والإرشاد ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل
ذلك واصل إليه ولا شيء أنفع له من الاستغفار ولو كان شيء أفضل منه لأمركم به في الوالدين ولقد كرر الله سبحانه
في كتابه الوصية بالوالدين وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما وروي فعل الطاعة
ما يشاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما يشاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وروى سعيد بن المسيب أن الباقر
لما نهوت منية سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبوي بلغا من الكبر أني آتي إليهما ما وليا مني في الصغر فهل
قضيتهما قال لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما وشكا رجل إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم أباه وأنه يأخذ ماله فدعا به فإذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال إنه كان ضعيفا وأنا قوي
وفقيرا وأنا غني فكنت لا أمنعه شيئا من مالي اليوم أنا ضعيف وهو قوي وأنا فقير وهو غني ويبخل علي بماله
فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى ثم قال للولد أنت ومالك لأبيك
وشكا إليه آخر سوء خلق أمه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملك تسعة أشهر قال إنها سيئة الخلق قال لم تكن
كذلك حين أرضعتك حولين قال إنها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أسهرت ليلها وأظمأت نهارها قال لعل
جاريتها قال ما فعلت قال جئت بها على عاتقي فقال لها جزيتها ولو طلقة وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه رأى رجلا في
الطواف يحمل أمه وهو يقول إني لها مطيته لا تذعر إذا الركاب نفرت لا تنفر ما حملت وأرضعتني أكثر الله ربي
ذو الجلال الأكبر تظنني جزيتها يا ابن عمر قال لا ولو زفرة واحدة وعنه عليه السلام إياكم وعقوق الوالدين فإن الجنة
توجد ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار إزاره خيلاء إن الكبرياء لله رب
العالمين وقال الفقهاء لا يذهب بأبيه إلى البيعة وإذا بعث إليه منها بصلة فعل ولا يناوله الخمر ويأخذه منه إلا إذا
شربها وعن أبي يوسف إذا أمره أن يوقد تحت قدر وفيها لحم الخنزير أو قدر وعن حذيفة إذا استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قتل أبيه وهو في صف المشركين فقال دعه يلي غيرك وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال أن تقوم إلى
خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال أن لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزرا إليهما ولا يريا مخالفة منك في ظاهر ولا باطن
وأن تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما إذا ماتا وتقوم بخدمة أودائهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم إن من أبر البر أن
يصل الرجل أهل ود أبيه بما يرضي ربكم عالم بما في نفوسكم من قصد البر إلى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير إن
تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر فرطت منكم في حال الغضب فعند جرح الصدر وما لا يخلو منه البشر أو

وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان
الشيطان لربه كفورا وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا

أو لحسبة الإسلام هدية تؤدي إلى إذا سماعها أنهم إلى الله واستغفرتم منها فإن الله غفور للأوابين وعن سعيد بن جبير
في الجارية تكون من الرجل إلى أبيه لا يريد بذلك إلا الخير وعن سعيد بن جبير المسيب الأواب الرجل كلما أذنب ذنبا
بالتوبة ويجوز أن يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على أبويه التائب
من جنايته لورود عليه أثره وآت ذا القربى حقه وصي بغير الوالدين من الأقارب بعد الوصية بهما وأن
يؤتوا حقهم وحقهم إذا كانوا محارم كالأبوين والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا أن ينفق
عليهم عند أبي حنيفة وأبي الشافعي رضي الله عنه لا يرى النفقة إلا على الولد والوالدين فحسب إن كانوا معسرين وإن
لم يكونوا كآباء العم تخصهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والموالفة على السراء والضراء
والمعاضدة ونحو ذلك والمسكين وابن السبيل يعني وآت هؤلاء حقهم من الزكوة وهذا دليل على أن المراد بما يؤتى
ذوي القرابة من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل الإرادة ذي القرابة أقرباء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تبذير تفريق المال
فيما لا ينبغي وإنفاقه على وجه الإسراف وكانت الجاهلية تنحر إبلها وتيسر عليها وتبذر أموالها في الخمر والسمعة
وتذكر ذلك في أشعارها فأمر الله بالنفقة في وجوهها بما يقرب منه وروي عن عبد الله هو إنفاق المال في غير
حقه وعن مجاهد لو أنفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير في
السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن عمر مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف
يا سعد أفي الوضوء سرف قال نعم وإن كنت على نهر جار إخوان الشياطين أمثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة
لأنه لا شر من الشيطان أو هم إخوانهم وأصدقاؤهم لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف وهم قرناؤهم في
النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا فما ينبغي أن يطاع فإنه لا يدعو إلا إلى مثل فعله وعن الحسن
إخوان الشيطان وإن أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد فقل لهم قولا ميسورا ولا
تنهرهم غير مجيبين إذا سألوك وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سئل شيئا وليس عنده أعرض عن السائل وقوله ابتغاء رحمة
من ربك إما أن يتعلق بجواب الشرط مقدرا عليه أو نقل لهم سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا
لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك أو اتباع رحمة الله التي ترجوها بر حمتك عليهم وإما أن يتعلق بالشرط أي وإن أعرضت
عنهم لفقد رزق من ربك ترجوه أن يفتح لك فتسعى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا لا توضع الابتغاء موضع الفقد لأن
فاقد الرزق يبتغيه له وكان الفقد سببا للابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز أن
يكون معنى وإما تعرضن عنهم فإن لم تفهمهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الإعراض بالوجه
كناية بالإعراض عن ذلك لأن من أبى أن يعطي أعرض بوجهه يقال يسر الأمر وعسر مثل سعد الرجل ونحس
فهو مفعول وقيل معناه فقل رزقنا الله وإياكم من فضله على أنه دعاء لهم بيسر عليهم فقرهم كأنه معنا

ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم

قولا ذا ميسور وهو اليسراء دعا فيه يسر هذا تمثيل المنع الشحيح واعطاء المسرف اسر بالاقتصاد الذي
هو بين الاسراف والتقتير فتقعد ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند الناس يقول المحتاج
اعطى فلانا وحرمني ويقول المستغني ما احسن الهه تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت على ما
فعلت محسورا منقطعا بك لا شيء عندك من حسر السفر اذا بلغ منه وحسر بالمسألة وعن جابر بينا
رسول الله صلعم اتاه صبي فقال انا امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فوعد اليها فذهب
اليها فقالت له قل ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل دارا ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال
وانتظروا فلم يخرج للصلوة اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وحيينة بن حصن فجاء عباس بن مرداس وانشاء
يقول اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان جد بني مجاشع وما كنت
دون امرء منهما ومن تضع اليوم لا يرفع فقال يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فتركت هم سلي صلعم
عما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك لهوان منك عليه ولا بخل به عليك ولكن لان مشيته في بسط الارزاق
وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز ان يريد ان البسط والقبض انما هما من امر الله الذي الخزاين في يده فاما
العبيد فعليهم ان يقتصدوا ويحتمل انه عز وعلا بسط لعباده او قبض فالله يراعي اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط
له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته قتلهم اولادهم وادهم بناتهم كانوا يئدون
خشية الفاقة وهي الاملاق فنهاهم الله وضمن لهم ارزاقهم وقرئ خشية بكسر الخاء وقرئ خطأ وهو
الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وخطأ وهو ضد الصواب اسم من اخطاء وقيل هو والخطاء كالحذر والحذر
وخطاء بالكسر والمد وخطاء بالفتح والسكون وخطاء بالفتح والمد وعن الحسن خطابا بالفتح وحذف الهمزة كالحب
وعن ابي رجاء بكسر الخاء غير مهموز فاحشة قبيحة زائدة على حد القبح وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو ان
تغصب على فيدك امرأته او اخته او بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله الا بالحق
باحدى ثلث الا بان تكفر او تقتل مؤمنا عمدا او تزني بعد احصان مظلوما غير راكب واحدة منهن لولية الذي بينه
وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه سلطانا تسلطا على القاتل في الاقتصاص
منه او حجة يثبت بها عليه فلا يسرف في الضمير للولي اء فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية
كان اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحارث بن عباد بوءوا بشسع نعل
كليب وقال الكل قتيل في كليب غدر حتى ينال القتل آل مرة وكانوا يقولون غير القاتل اذا لم يكن تواء وقيل
الاسراف المثلة وقرأ ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر في معنى الامر وفيه مبالغة ليست
في الامر وعن مجاهد ان الضمير للقاتل المولى وقرئ لا تسرف على خطاب الولي او قاتل المظلوم وفي قراءة ابي

الله كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان
مسئولا وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ولا تقف ما ليس لك به علم

٢٤٤

فلا تسرفوا ردة على ولا تقتلوا انه كان منصورا الضمير اما للولي يعني حسبه ان الله قد نصره بان اوجب القصاص
فلا يستزد على ذلك وبان الله نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه واما
للمظلوم بان الله ناصره حيث اوجب القصاص من قتله وينصر في الآخرة بالثواب واما للذي قتله الولي يعني حق
ويسرف في قتله فانه منصور باجاب القصاص على المسرف بالتي هي احسن بالخصلة او الطريقة التي هي احسن وهي
حفظه عليه وتثمين ان العهد كان مسئولا اء مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به ويجوز ان يكون نحو لا
كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بكر نكيثا للناكث كما يقال للموءودة باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان
صاحب العهد كان مسئولا قرئ بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغر
او كبر من موازين الدراهم وغيرها واحسن تأويلا واحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول
اليه ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا اثره وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك
ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده فيضل والمراد النهي عن ان يقول
الرجل ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم صحته من
فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا امر بك فتقول هذا يفعل كذا
ورايته يفعل وسمعته يقول ولم تره ولم تسمع وقيل لا تقف شيئا بالعصبية ومنه الحديث من قفا
مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج وانشد ومثل الذي شم العرانين
ساكن بهن الحياء لا يشعر التفاتيا اء التفاتا وقال الكميت ولا ارمي البرئ بغير ذنب ولا اقفو
الجواصن ان قفينا وقد استدل به مبطلو الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد قام الشرع غالب
الظن مقام العلم وامر بالعمل به اوليك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد لقوله والعيش بعد اوليك الايام وعنه
في موضع الرفع بالفاعلية اء كل واحد منها كان مسئولا عنه فسئل السمع الجارحة والجزء كالمغضوب في قوله غير
المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت
على ما لم يحل لك العزم عليه وقرئ والفؤاد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد
ثم استصحب القلب مع الفتح مرحا حال اء ذا مرح وقرئ مرحا وفعل الاختصاص للمصدر على اسم الفاعل
لما فيه من التاكيد لن تخرق لن تجعل فيها خرقا بدق وسكن لها شدة وطأتك وقرئ لن تخرق بضم الراء و
ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال قرئ سيئه وسيئه على اضافة سيئ الى ضمير كل
وسيئا في بعض المصاحف وسيئات وفي قراءة ابي بكر الصديق رضي كان شانه فان قلت كيف قيل
سيئه مع قوله مكروها قلت السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم فان عند حكم الصفات فلما اعتبا

ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا أفأصفاكم ربكم
بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا

الفلسفة باليونانية محبة الحكمة والفيلسوف سوفيلاسوفا
وفيلا سوفا المحب وسوفا الحكمة ٢

بتأنيثه ولا فرق بين من قرأه سيئة ومن قرأه سيئا إلا أن كل تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا
تفرق بين إسناده إلى مذكر ومؤنث فإن قلت فما ذكر من الخصال بعضها سيئ وبعضها حسن ولذلك قرأ
من قرأ سيئة بالإضافة فما وجه من قرأ سيئة قلت كل ذلك إحاطة بما نهى عنه خاصة لا بجميع الخصال
المحدودة ذلك إشارة إلى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله إلها آخر إلى هذه الغاية وسماه حكمة لأنه كلام
محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الثمانية عشرة آية كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها لا
تجعل مع الله إلها آخر قال الله تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التورية ولقد جعل الله
عز وجل فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لأن التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه
حكمة وعلومه وأن تدفنها الحكماء وحكمة يباهي فوقه السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم
عن دين الله أضل من النعم أفأصفاكم خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للإنكار يعني
أخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون ثم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ
أدونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فإن العبيد لا يورثون بأجود الأشياء
وأصفاها من الشوب ويكون أردأها وأدونها للسادات إنكم لتقولون قولا عظيما بإضافتكم إليه الأولاد
وهي خاصة بالأجسام ثم بأنكم تفضلون عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بأن تجعلوا الملائكة وهم
أعلى خلق الله وأشرفهم أدون خلق الله وهم الإناث ولقد صرفنا في هذا القرآن يجوز أن يريد هذا القرآن
إبطال إضافتهم إلى الله البنات لأنه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى أو أوقعنا
التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز أن يشير بهذا القرآن إلى التنزيل ويريد ولقد صرفنا ما يعني
هذا المعنى في مواضع من التنزيل وترك الضمير لأنه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا وقرئ
مشددا ومخففا أي كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا إلى ما يحتج به عليهم وما يزيدهم إلا نفورا عن الحق
وقلة طمأنينة إليه وعن سفيان كان إذا قرأها قال زادني لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا قرئ كما
يقولون بالتاء والياء وإذن دالة على أن ما بعدها هو الجواب عن أدلة المشركين وجزاء للو ومعنى
لابتغوا إليه ذي العرش سبيلا لطلبوا إليه منزلة الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع
بعض كقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقيل لتقربوا إليه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى
ربهم الوسيلة علوا في معنى تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة ومعنى وصف العلو بالكبير المبالغة
في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به المراد أنها تسبح بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته و
حكمته فكأنها تنطق بذلك وكأنها تنزه الله عما لا يجوز من الشركاء وغيرها فإن قلت فما تصنع

وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا وإذا قرأت القرآن جعلنا
بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم

قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا التسبيح مفقوه معلوم قلت الخطاب للمشركين وهم وان كانوا اذا سئلوا
عن خالق السموات والارض قالوا الله الا انهم لما جعلوا معه آلهة مع اقرارهم فكأنهم لم ينظروا ولم يتدبروا ان نتيجة النظر
الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذن لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق قال
قلت من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض فما وجهه
قلت التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه والا لكانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة
والمجاز انه كان حليما غفورا حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشركم حجابا
مستورا ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو افعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز ان يراد انه حجاب
من دونه حجاب لا يحجب فهو مستور بغيره او حجاب يستر ان يبصر فكيف يبصر المحجوب به وهذه حكاية لما
كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كأنه قال واذا قرأت
القرآن جعلنا على زعمهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه او لان قوله وجعلنا على قلوبهم فيه معنى المنع من الفقه فكأنه
قيل ومنعناهم ان يفقهوه يقال وجد يجد وجدا وجدة وجدا وجدة كوعد يعد وعدا وعدة ووجد من باب وجع عوده
على بدئه وافعله جهدك وطاقتك فانه مصدر ساد مسد الحال اصله بجد وجد بمعنى واحدا وجدا
والنفور مصدر بمعنى التولية او جمع نافر كقاعد وقعود او يحجبوه ان تذكر معه آلهتهم لانهم مشركون
فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا انما يستمعون به من الهزء بكتاب الله والقرآن ومن اللغو كان يقوم من عنده اذا قرأ رجلان من
عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبه في موضع الحال كما
تقول يستمعون بالهزء او هازئين او اذ يستمعون نصب باعلم او اعلم وقت استماعهم بما يستمعون به واذهم نجوى
وبما يتناجون به ذوو نجوى اذ يقول بدل من اذهم نجوى نجوى وقيل هو من التناجي وهو الرتبة اي هو بشر
مثلكم ضربوا لك الامثال او مثلوك بالساحر والشاعر والمجنون فضلوا في ذلك ضلالا عن طلب الحق فلا يستطيعون سبيلا
يسلكونه فلا يقدرون عليه فهم متحيرون في امره لا يدري ما يصنع لما قالوا ايذا كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة او حديدا
قوله كونوا على قولهم كنا كأنه قيل كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم والمعنى انكم تستبعدون
ان يجدد الله خلقكم ويرده مثلا حال الحيوة والى طوعه الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع ان
العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي بني عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته الى حالتها الاولى
ولكن لو كنتم ابعد شيء من الحيوة وطوعه الحي ومن جنس ما ركب منه البشر وهو ان تكونوا حجارة يابسة او حديدا مع
ان طباعهما الجساءة والصلابة لكان قادرا على ان يرده كما هي الى حال الحيوة او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة
ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر في صدوركم الموت وقيل السموات والارض

أولئك الذين يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا

يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن

فيسيخون رؤوسهم ويحركونها تعجبا واستهزاء والدعاء والاستجابة كلاهما بمعنى والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين
منقادين ولا تمتنعون وقوله بحمده حال منهم أي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب
ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع سترى كيف وأنت أنت حامدا شاكرا يعني أنك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى أنك تلين
لين المسيخ الراغب فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك
اللهم وبحمدك وقوة الهول فعندها تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما أو بعض يوم
وعن قتادة تحاقرت الدنيا في أنفسهم حين عاينوا الآخرة وقل لعبادي وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين
الكلمة التي هي أحسن وألين ولا يخاشنوهم كقوله وجادلهم بالتي هي أحسن وفسر التي هي أحسن بقوله ربكم
أعلم بكم إن يشأ يرحمكم وإن يشأ يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم إنكم من
أهل النار وإنكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله إن الشيطان ينزغ بينهم
اعتراض يعني يلقي بينهم الخلاف والفساد ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشاتمة والمشاقة
وما أرسلناك عليهم وكيلا أي ربا موكولا إليك أمرهم تقسرهم على الإسلام وتجبرهم عليه وإنما أرسلناك
بشيرا ونذيرا فداهم ومن أصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المجاهدة والمكاشفة وذلك قبل نزول آية
السيف وقيل نزلت في عمر رضي شتمه رجل فأمره الله بالعفو وقيل أفرط إيذاء المشركين
للمسلمين فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقل للكلمة التي هي أحسن أن يقولوا يهديكم الله ويرحمكم الله
وقرأ طلحة ينزغ بالكسر ومما لفتان نحو يعرشون ويعرشون هو رد على أهل مكة في إنكارهم واستبعادهم
أن يكون يتيم أبي طالب نبيا وأن يكون الغرباء الجوع أصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون
أن يكون ذلك في أكابرهم وصناديدهم يعني وربك أعلم بمن في السموات والأرض وبأحوالهم ومقاديرهم
وبما يستأهل كل واحد منهم وقوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض إشارة إلى تفضيل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقوله وآتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وهو أنه خاتم الأنبياء وأن أمته خير الأمم لأن
ذلك مكتوب في زبور داود عليه السلام قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي
الصالحون وهم محمد وأمته فإن قلت هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور قلت
يجوز أن يكون الزبور وزبورا كالعباس وعباس والفضل وفضل وأن يريد وآتينا داود بعض الزبور وهي
الكتب التي أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزبور فسمى ذلك زبورا لأنه بعض الزبور كما سمي بعض القرآن
قرآنا منهم الملائكة وقيل عيسى بن مريم وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم أسلم
الجن ولم يشعروا أي أدعوهم فهم لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض وفقر أو عذاب وأن يحولوه

عنكم ولا تحويلا

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ
رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ

من واحد الى آخر او يبدلوه واولئك مبتدأ والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعني آلهتهم اولئك
يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله وايهم بدل من واو يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب
منهم واذلف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه
قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما
غيرهم من عباد الله فكيف تدعون انهم آلهة ان عذاب ربك كان حقيقا بان يحذر كل احد من ملك مقرب
ونبي مرسل فضلا عن غيرهم نحن مهلكوها بالاستيصال او معذبوها بالقتل وانواع العذاب
وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في
تفسيرها اما مكة فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال
والرواجف واما خراسان فعلمها عند الله ثم ذكرها بلدا بلدا في الكتاب في اللوح المحفوظ استغير الملح
لترك ارسال الآيات من اجل صارف الحكمة فان الاولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديرها وما منعنا
ارسال الآيات الا تكذيب الاولين والمراد الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء
الموتى وغير ذلك وعادة الله في الامم ان من اقترح منهم آية فاجيب اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب
فالمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا انه كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم
كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها واستو
العذاب المستأصل وقد عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها
الاولون ثم كذبوها لما ارسلت فاهلكوا فاجيبت وهي ناقة صالح لان آثارها لا تخفى في بلاد العرب قريبة
من حدودهم يبصرها صادرهم ووارديهم مبصرة بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم نظلموا فكفروا بها وما
نرسل بالآيات ان اريدها الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة
والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان اريد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها
الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة واذ قلنا ان ربك احاط بالناس واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك قد احاط
بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصر عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قيل للذين
كفروا استغلبوه وغير ذلك فجعله كانه قد كان ووجد فقال احاط بالناس على عادته في اخبار وحين
تراءى الفريقان يوم بدر ورسول الله في العريش مع ابي بكر الصديق رضي الله عنه كان يدعو ويقول اللهم اني اسألك
عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى اراه مصارعهم
في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض ويقول

والشجرة الملعونة في القرآن هي التي ذكرها الله تعالى بقوله وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس
وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
إلا إبليس قال ءأسجد لمن خلقت طينا ﴾ قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة

هذا مصدر فلان هذا مصدر فلان فتسامعت قريش بما أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أري في منامه
من مصارعهم فكانوا يضحكون ويستهزئون ويستبعدون به استهزاء وحين سمعوا بقوله إن شجرة
الزقوم طعام الأثيم جعلوها سخرية وقالوا إن محمدا يزعم أن الجحيم يحرق الحجارة يقول ينبت فيها
الشجر وما قدر الله حق قدره من قال ذلك وما أنكر أن يجعل الله الشجرة من جنس ما تأكل النار
ههنا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك يتخذ منه المناديل إذا اتسخت طرحت في النار
فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لم تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد
الجمر كالجمر بإحماء النار فلا تضرها ثم أقرت من ذلك أنه خلق في كل شجرة نارا فلم تحرقها لما
أنكروا الأخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى أن الآيات إنما نرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء
قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما أرينا كله في منامك بعد الوحي إلا فتنة حيث أخذوه
سخريا وخوفوا بعذاب الآخرة وشجرة الزقوم فما أثر فيهم ثم قال ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا
الدنيا والآخرة فما يزيدهم التخويف إلا طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بإرسال ما يتضمن وجوه
من الآيات وقيل الرؤيا هي الإسراء وهو تعلق من يقول كان الإسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة
فسر الرؤيا بالرؤية وقيل إنما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها
وخيال خيل إليك استبعادا منهم كما سمى أشياء بأنها عند الكفرة نحو قوله فراغ إلى آلهتهم أين
شركائي ذق إنك أنت العزيز الكريم وقيل هي رؤيا أنه سيدخل مكة وقيل رأى في المنام أن
ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فإن قلت لعنت حيث لعن طاعموها من
الكفرة والظلمة لأن الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وإنما ذمت بلعن أصحابها على المجاز
وقيل رضي الله باللعن لأن اللعن الإبعاد من الرحمة وهي في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة
وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون وسألت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب
المجهوق وعن ابن عباس رضي الله عنه هي الكشوث الذي يتلوى بالشجر يجعل في الشراب وقيل هي الشيطان
وقيل أبو جهل وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على أنها مبتدأ محذوف الخبر كأنه قيل والشجرة الملعونة
في القرآن كذلك طينا حال إما من الموصول والعامل فيه اسجدوا على أن اسجد له وهو طين أي أصله طين أو من
الراجع إليه من الصلة على أن اسجد لمن كائنا في وقت خلقه طينا أو كائنا الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى
أخبرني عن هذا الذي كرمته علي أو فضلته ثم كرمته علي وأنا خير منه فاختصر الكلام بحذف
ذلك ثم ابتدأ فقال لئن أخرتن واللام موطئة للقسم المحذوف لأستولين على ذريته لأستأصلنهم بالإغواء

قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا ﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم
بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم
سلطان وكفى بربك وكيلا ﴾

من احتنك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها أكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم احتنك السنانير
أو أكلها فإن قلت من أين علم أن ذلك يتسهل له وهو من الغيب قلت إما سمعه من الملائكة
وقد أخبرهم الله به أو خرجه من قولهم الجعل فيها من يفسدها أو نظر إليه فتوسم في مخايله أنه خلق
شهواني وقيل قال ذلك لما أغلت وسوسته في آدم والظاهر أنه قال ذلك قبل أكل آدم من الشجرة
اذهب ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء وإنما معناه امض لشأنك الذي اخترته خذلانا وتخلية
وعقبه بذكر ما جزاه سوء اختياره في قوله فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم كما قال موسى عليه السلام
فاذهب فإن لك في الحيوة أن تقول لا مساس فإن قلت إما كان من حق الضمير في الجزاء أن يكون على
لفظ الغيبة ليوصل إلى من تبعك قلت بلى ولكن التقدير فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤكم ثم غلب المخاطب
على الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز أن يكون للقادرين على طريقة الالتفات وانتصب جزاء موفورا إما في فإن جهنم
جزاؤكم من يجازون أو بإضمار يجازون أو على الحال لأن الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال
فرس لصاحبك عرضه فرة استفزه استخفه والفز الخفيف وأجلب من الجلبة وهي الصياح والخيل
الخيالة ومنه قول رسول الله يا خيل الله اركبي والرجل اسم للراجل ونظيره الركب والصحب وقرئ
ورجلك على فعلة بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه أيضا فيكون مثل حدث
وحدث ونذس ونذس وأخوات لها يقال رجل رجل وقرئ ورجالك ورجالك فإن قلت ما معنى
استفزاز إبليس بصوته وإجلابه بخيله ورجله قلت هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله
في تسلطه على من يغويه بحال من أوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم وأجلب
عليهم بجند من خيالة ورجالة حتى استأصلهم وقيل بصوته بدعائه إلى الشر وخيله ورجله كل
راكب وراجل من أهل الغيث وقيل يجوز أن يكون لإبليس خيل ورجل وأما المشاركة في الأموال والأولاد
فكل معصية يحملهم عليها في بابهما كالربوا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والإنفاق في الفسوق
والإسراف ومنع الزكوة والتوصل إلى الأولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى
وعبد الحارث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والأعمال المحظورة وغير ذلك ووعدهم المواعيد
الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالأنساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب
بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في الكبائر والخروج من النار بعد أن يصيروا حمما وابتغاء العاجل
على الآجل إن عبادي يريد الصالحين ليس لك عليهم سلطان إلا لمن تعمد أن يغويهم وكفى بربك وكيلا لهم
يتوكلون به على الاستعاذة منك ونحو قوله لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين فإن قلت كيف جاز أن يأمر الله تعالى إبليس

يكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون
الا اياه فلما نجيكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا افامنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا

بان يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير قلت هو من الاوامر الواردة على
سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم يرجى بحرى ويسير والضر خوف الغرق ضل من
تدعون الا اياه ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في جوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون
سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا تعتقدون برحمته رجاكم ولا تخطرون ببالكم ان غيره يقدر على اغاثتكم
او لم يهتد لانقاذكم احد غيره من سائر المدعوين ويجوز ان يراد ضل من تدعون من الالهة عن اغاثتكم
ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع افامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف
على محذوف تقديره اجوزتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان قلت ما انتصب جانب البر قلت
بيخسف مفعولا به كالارض في قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال او المعنى ان يخسف جانب البر اي
بقلبه وانتم عليه فان قلت لم معنى ذكر الجانب قلت معناه ان الجوانب والجهات كلها في قدرته سواء
وله في كل جانب برا كان او بحرا سبب موصد من اسباب الهلكة ليس جانب البر وحده مختصا بذلك بل ان
كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب
تحت الماء فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل ان يستوي خوفه
من الله في جميع الجهات وحيث كان او يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصبك ترمي بالحصباء يعني او ان
لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون
اشد عليكم من الغرق في البحر وكيلا من يتوكل بصرف ذلك عنكم ام امنتم ان يعود دواعيكم ويوفر جوالبكم
الى ان ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فاعرضتم فيلتقيكم بان يرسل عليكم قاصفا وهي الريح التي لها
قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر وقيل التي تقصف شيء اي تصفقه فيغرقكم
وقرئ بالتاء اي الريح وبالنون وكذلك نخسف ونرسل ويعيدكم فتريث بالياء والنون التبيع المطالب
من قوله فاتباع بالمعروف اي مطالبة قال الشماخ كالذئب اللوم من التبيع تقول فلان تبيع على فلان
بحقه او مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا نجد احدا يطالبنا بما فعلنا به
انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا ولا يخاف عقبياها بما كرتم بكفرانكم النعمة يريد اعراضهم حين نجاهم
وقيل في تكرمة ابن آدم كرمه الله تعالى بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة
المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل
كل شيء يأكله بنو آدم وعن الرشيد انه اخرج طعاما فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف
فقال له جاء في تفسير حدثنا ابن عباس رضي قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم وجعلنا لهم اصابع يأكلون بها فاخرجت

في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا

يوم ندعو كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا ومن كان في هذه
اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا

الملاعق فردها واكل باصابعه على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة صلوات الله عليهم وحسب
بني آدم تفضيلا ان ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من الجبرة
كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى جعلوهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الانسان على الملك
وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله امرهم وتكثير مع التعظيم ذكرهم وعلموا اين اسكنهم واين قرنهم وكيف نزلهم
من انبيائه منزلة انبيائه من امتهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم الى ان لفقوا اقوالا واخبارا منها قالت
الملائكة ربنا انك اعطيت بني آدم الدنيا ياكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطناه في الآخرة فقال
وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان وعن ابي هريرة انه قال المؤمن اكرم
على الله من الملائكة الذين عنده ومن اركانهم انهم فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الآية وخذوا لواحتي سلبوا
الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلنا هم على جميع من خلقنا اشجى حلوقهم واقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون
فانظر الى تحكمهم وتشبثهم بالشذوذات البعيدة في عداوة الملة الاعلى كان جبريل غاظهم حين اهلك مدائن قوم
لوط فتلك النخيمة لا ينجل عن قلوبهم يدعو بالياء والنون ويدعى كل اناس على البناء للمفعول وقرأ الحسن
يدعو كل اناس على قلب الالف واوا في لغة من يقول اغزوا والظرف نصب باضمار اذكر ويجوز ان يقال انها علامة الجمع
كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم تؤنث بالنون قلة مبالاة بها لانها غير صريحة
ليست الا علامة بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا
اهل دين كذا وكتاب كذا وقيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر وفي
قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيمة بامهاتهم وان
الحكمة في الدعاء بالامهات دون الآباء رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد
الزنا وليت شعري لم ادع اصحة لفظة ام بهاء حكمة فمن اوتي من هؤلاء المدعوين كتابه بيمينه فاولئك
يقرؤن كتابهم وقيل اولئك لان من اوتي في معنى الجمع فان قلت لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم كان اصحاب
الشمال لا يقرؤن كتابهم قلت بلى ولكن اذا اطلعوا على ما في كتابهم اخذهم ما ياخذ الطالب بالنداء على
جنايات والاعتراف بمساويه امام التنكيل به والانتقام منه من الخجل والخزي وحبسة اللسان
والتتعتع والعجز عن اقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول فكان قراءتهم كلا قراءة واما اصحاب اليمين
فامرهم على عكس ذلك لا جرم انهم يقرؤن كتابهم احسن قراءة وابينها ولا يقفون بقراءتهم وجدهم حتى يقول
القارئ لاهل المحشر هاؤم اقرؤا كتابيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم ادنى شيء كقوله ولا يظلمون شيئا
فلا يخاف ظلما ولا هضما معناه ومن كان في هذه الدنيا اعمى فهو في الآخرة اعمى كذلك واضل سبيلا من الاعمى والاعمى

وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد
كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا

مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي إلى طريقة النجاة إما في الدنيا فلفقدان
النظر وإما في الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه وقد جوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ
أبو عمرو الأول مثله والثاني مخففا لأن أفعل التفضيل إنما هو بمن فكانت الآية في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك
أعمالكم وأما الأول فلم يتعلق به شيء وكانت ألفه واقعة في الطرف معرضة للإمالة روي أن ثقيفا قالوا
للنبي صلعم لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا تجبي في صلاتنا وكل
ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة ولا تكسرها بأيدينا عن رأس
الحول وأن تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فإذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل إن الله أمرني
به وجاءوا بكاتبهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون
فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله صلعم ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر إلى رسول الله صلعم
فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسل سيفه وقال اسجدوا قبل نبيكم يا معشر ثقيف أسجد الله قلوبكم
نارا فقالوا لسنا نكلم إياك إنما نكلم محمدا فنزلت وروي أن قريشا قالوا له اجعل آية رحمة آية عذاب
وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك وإن كادوا ليفتنونك إن مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
بينها وبين إن النافية والمعنى إن الشأن قاربوا أن يفتنوك أي يخدعوك فاتنين من الذي أوحينا إليك
من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا غيره لتتقول علينا ما لم نقل يعني ما أراده عليه
من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من أن يضيف إلى الله ما لم ينزل عليه وإذا
لاتخذوك أي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا أن
ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن إليهم لقاربت أن تميل إلى خدعهم ومكرهم وهذا
تهييج من الله له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين إذا لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر فلضعفين فإن قلت كيف حقيقة
ضعف الحيوة وضعف الممات هذا الكلام قلت أصله لأذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لأن العذاب عذابان عذاب في الممات
وهو عذاب القبر وعذاب الحيوة الآخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله تعالى آتهم عذابا ضعفا
زدهم عذابا ضعفا من النار أي مضاعفا فكان أصل الكلام لأذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا
ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهي الضعف ثم أضيفت الصفة إضافة
الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كما لو قيل لأذقناك أليم الحيوة وأليم الممات ويجوز أن يراد
بضعف الحيوة عذاب الحيوة وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى

الدنيا

وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا سنة من قد أرسلنا
قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا

٢٤٧

لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما نؤخر لما بعد الموت وفي ذكر الكيد ودة وتقليلها مع
إتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدنيا والآخرة دليل بين على أن القبيح يعظم فحشه عقدار عظم
شأن فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد الجبر القبائح إلى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا
وفيه دليل على أن أدنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن
إذا تلا هذه الآية أن يجثو عندها ويتدبرها آية حذيرة بالتدبر وأن يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد
التصلب في دين الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين وإن كادوا
وإن كادا أهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الأرض من أرض مكة وإذا لا يلبثون لا يبقون بعد
هلاك إخراجك إلا زمانا قليلا فإن الله مهلكهم فكان كما قال فقد أهلكوا ببدر بعد إخراجه بقليل وقيل معناه
ولو أخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم ولم يخرجوه بل هاجر بأمره وقيل من أرض العرب وقيل من أرض
المدينة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا إليه وقالوا يا أبا القاسم
إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجرهم فلو خرجت إلى الشام آمنا بك واتبعناك
وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج إلا خوف الروم فإن كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله على أميال
من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع عليه أصحابه ويراه الناس عازما على الخروج إلى الشام ليرهبه على
دخول الناس في دين الله فنزلت فرجع وقرئ لا يلبثون وفي قراءة أبي لا يلبثوا على إعمال إذن فإن قلت
ما وجه القراءتين قلت أما الثانية فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في
خبر كاد واقع موقع الاسم وأما قراءة أبي ففيها الجملة برأسها التي هي إذن لا يلبثوا عطف على جملة قوله إن كادوا
ليستفزونك وقرئ خلافك قالوا عنت الديار خلافهم فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا أو بعدهم
سنة من قد أرسلنا يعني أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله أن يهلكهم ونصبت نصب المصدر
المؤكد أو سن الله ذلك سنة ذلك الشمس غربت وقيل زالت وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل عليه
لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لأن الإنسان يدلك عينه عند النظر إليها فإن
كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وإن كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر والغسق الظلمة
وهو وقت صلاة العشاء وقرآن الفجر صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لأنها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا
وهي حجة على ابن علية والأصم في زعمهما أن القراءة ليست بركن مشهودا يشهده ملائكة الليل والنهار تنزل
هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار أو يشهده الكثير من المصلين في العادة أو من حق أن يكون
مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز أن يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها مكتوبا عليها يستمع

وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا

الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفضل اطول الصلوات قراءة ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد
به نافلة والتهجد ترك الهجود في الصلوة ونحو التأثم والتحرج ويقال ايضا في النوم تهجد نافلة لك عبادة
زائدة لك على الصلوات الخمس ووضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة
بجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيادة لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع
لهم مقاما محمودا نصب على الظرف او عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى
يقيمك ويجوز ان يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذي يحمده القائم فيه
وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد
مما يتناوله وعن ابن عباس رض مقاما محمودا يحمده كل الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل
فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن ابي هريرة عن النبي صلعم هو المقام الذي اشفع فيه
لامتي وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد فلا يتكلم نفس فاول مدعو محمد صلعم فيقول لبيك ولبيك وسعديك والشر
ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجا سبحانك وتعاليت
سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر
والمعنى على الفتح ادخلني فادخل مدخل صدق او ادخلني القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب
من السيئات واخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث
وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها
بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله القبر واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله
من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلف من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام في
كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر او مكان سلطانا حجة تنصرني على خالفني او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام
على الكفر مظهرا له عليه فاجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس الا ان حزب الله ليظهرن على الدين
كله ليستخلفنهم في الارض ووعد ليبدلن من بعد خوفهم امنا فدوس والروم فجعله له وعنه عليه انه استعمل
عتاب بن اسيد على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على الله فكان شديدا على المريب ليتناول المريب
فقال لا والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة الا
منافق فقال اهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على اهل الله عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال
رسول الله صلعم اني رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها
قلقلة شديدا حتى فتح له فدخلها فاعز الله به الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان

وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد
الظالمين الا خسارا واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤوسا قل كل يعمل

النصير كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت لقبائل العرب
يحجون اليها ويحزون لها فنسكا البيت الله فقال اني رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى
الله تعالى الى البيت اني ساحدث لك نوبة حديثة فامتلأ خدوده سجدا يدرفون اليك دفيف النسور ويحنون
اليك حنين الطير الى بيضها لم يعج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الاية يوم الفتح قال جبريل لرسول الله صلعم
خذ مخصرتك ثم انهما جعل يأتي صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل
فينكب الصنم لوجهه حتى اتاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الصنم الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي
ارم به فحمله رسول الله صلعم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا اسحر
من محمد وشكاية البيت والوحي اليه تمثيل وتخييل وزهق الباطل وذهب هلك من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت
والحق الاسلام والباطل الشرك كان زهوقا مضمحلا غير ثابت في كل وقت وننزل قرئ بالتشديد والتخفيف
من القرآن من للتبيين كقوله من الاوثان او للتبعيض اي كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون
به ايمانا ويستصلحون به دينهم فوقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبي صلعم من لم يستشف بالقرآن
فلا شفاه الله ولا يزيد به الكافرين الا خسارا نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم فقط فزادتهم رجسا
الى رجسهم واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله كانه مستغن عنه مستبد بنفسه
ونأى بجانبه تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه
عطفه ويوليه بظهره او اراد الاستكبار لان ذاك من عادة المستكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او
نازلة من النوازل كان يؤوسا شديد اليأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
وقرئ ونأى بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم رأى في رأى ويجوز ان يكون من نأى بمعنى نهض قل كل
احد يعمل على شاكلته على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريقة وشواكل
وهي الطرق التي تتشعب منه والدليل عليه قوله فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا او اسد مذهبا وطريقة الاكثر على
انه الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله او مما استأثر بعلمه وعن ابن مسعود لقد
مضى النبي صلعم وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل جبريل وقيل
القرآن ومن امر ربي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود اقريش ان سألوه عن اصحاب الكهف
وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعضها وسكت عن بعضها فهو
نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية فدل على انه من امر الله وما اوتيتم الخطاب عام وروي
ان رسول الله صلعم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم نوت

ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به وكيلا إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا قل
لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولقد صرفنا

من العلم إلا قليلا فقالوا وما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا قليل
ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام وليس ما قالوه بلازم لأن القلة والكثرة تدوران مع الإضافة فيوصف الشيء بالقلة
مضافا إلى ما فوقه وبالكثرة مضافا إلى ما تحته فالحكمة التي أوتيها العبد خير كثير في نفسها إلا أنها إذا أضيفت إلى علم
الله فهي قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لأنهم قالوا للنبي صلعم قد أوتينا التورية وفيها الحكمة وقد تلوت
ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فقيل لهم إن علم التورية قليل في جنب علم الله لنذهبن جواب قسم محذوف مع بيانه
عن جزاء الشرط واللام الداخلة على إن موطئة للقسم والمعنى إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور
والمصاحف فلم نترك له أثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل
علينا باسترداده وإعادته محفوظا مسطورا إلا رحمة من ربك إلا أن يرحمك ربك فيرده عليك كافة رحمة تتوكل
عليه بالرد أو يكون على الاستثناء المنقطع معنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى
ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذي علم أن لا يغفل عن هاتين المنتين
والقيام بشكرهما وصيانة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره ومنة عليه في بقاء المحفوظ وعن
ابن مسعود رض إن أول ما تفقدون من دينكم وآخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وإن هذا
القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا
نعلمه أبناءنا ويعلمه أبناؤنا أبناءهم فقال تسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ثم قرأ المصاحف وينزع
ما في القلوب لئن اجتمعت لا يأتون جواب قسم محذوف ولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله لأغلبن ما لت
ولا جرم لأن الشرط وقع ماضيا أو لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه و
فيهم العرب العاربة أرباب البيان لعجزوا عن الإتيان بمثله والعجب من النوابت في زعمهم أن القرآن قديم مع
اعترافهم بأنه معجز وإنما يكون العجز حيث يكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الأجسام والعباد عاجزون عنه
وأما المحال الذي لا مجال للقدرة ولا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل
ذلك لجاز وصف الله بالعجز لأنه لا يوصف بالقدرة على المحال إلا أن يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فإن رأس مالهم
المكابرة وقلب الحقائق ولقد صرفنا رددنا وكررنا من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه والكفور
الجحود فإن قلت كيف جاز فأبى أكثر الناس إلا كفورا ولم يجز ضربت إلا زيدا قلت لأن أبى متأول
بالنفي فكأنه قيل فلم يرضوا إلا كفورا لما تبين إعجاز القرآن وانضمت إليه المعجزات الأخر والبينات ولن منعهم
الحجة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتعنت في أذيال الحيرة فقالوا لن نؤمن لك
حتى وحتى تفجر تنبع وقرئ تفجر بالتخفيف من الأرض ينبوعا عزيزة من سانها أن تنبع

خلالها تفجيرا

أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى
في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا وما منع الناس

بالماء لا تقطع يفعول من بع المالك جبوب من عبت الماء كما زعمت تعنون قول الله إن نشأ نخسف بهم الأرض أو
نسقط عليهم كسفا من السماء قرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر وبفتحه قبيلا كفيلا بما
تقول شاهدا بصحته والمعنى أو تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبلاء كقوله كلمته وواليته قبلا وتلقاء
وقبلا بها الغريب أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا أو جماعة
قال من الملائكة من زخرف من ذهب في السماء في معارج السماء فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة
ولن نؤمن لرقيك ولن نؤمن لأجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك عن ابن عباس رض قال عبد الله
بن أبي أمية لن نؤمن لك حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه
أربعة من الملائكة يشهدون لك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات إلا العناد واللجاج ولو جاءتهم
كل آية لقالوا هذا سحر كما قال عز وعلا ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا بابا من السماء فظلوا فيه
يعرجون وحين أنكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي أعظم لم
يكن إلى تبصرتهم سبيل قل سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي قال الرسول سبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم
عليه هل كنت إلا رسولا كسائر الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات
فليس أمر الآيات إلي إنما هو إلى الله قل يا أكمل تخيروها على أن الأولى نصب مفعول ثان للمنع والثانية رفع فاعل
له والهدى الوحي وما منعهم الإيمان بالقرآن ونبوة محمد صلعم إلا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي إنكارهم
أن يرسل الله البشر والهمزة في أبعث الله للإنكار وما أنكروه فخلافه هو المنكر عند الله لأن قضيته حكمته أن لا
يرسل ملكا الوحي إلا إلى أمثاله أو إلى الأنبياء ثم قرر ذلك بأنه لو كان في الأرض ملائكة يمشون على أقدامهم كما يمشي
الإنس ولا يطيرون بجبلتهم إلى السماء فيسمعوا من أهلها ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين ساكنين في الأرض
قارين لنزلنا من السماء ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فأما الإنس فمأمورون بهذه المثابة إنما يرسل
الملك إلى من اختاره منهم للنبوة فينهض ذلك المختار بدعوتهم وإرشادهم فإن قلت هل يجوز أن يكون بشرا
وملكا منصوبين على الحال من رسولا قلت وجه حسن والمعنى لو أجوبت شهيدا بيني وبينكم على أني
بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم كذبتم وعاندتم أنه كان بعباده المنذرين والمنذرين خبيرا عالما بأحوالهم
فهو مجازيهم وهذا تسلية لرسول الله ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز أو حال الله ومن يهد الله ومن يوفقه
ويلطف به فهو المهتدي لأنه لا يلطف إلا بمن عرف أن اللطف ينفع فيه ومن يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم أولياء
أنصارا على وجوههم كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله صلعم كيف يمشون على وجوههم
قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا

ما وهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا ءانا
لمبعوثون خلقا جديدا اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب

ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ
مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذا اعمى فهو في الآخرة اعمى ويجوز ان يحشروا موقوفين الجوابين من
الموقف الى النار بعد الحساب فقد اخبر عنهم في موضع آخر انهم يقرأون ويتكلمون كلما خبت كلما اكلت جلودهم
وجوههم وافئدتهم فسكن لهبها ثم لو اغيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء
جعل الله جزاءهم ان سلط الله على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها الى ما كانت والاعادة ليزيد ذلك
في تحسيرهم على تكذيبهم البعث ولانه ادخل في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم الى قوله ءانا
لمبعوثون خلقا جديدا فان قلت علام عطف قوله وجعل لهم اجلا قلت على قوله اولم يروا لان المعنى
قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الناس لانهم ليسوا باشد
خلقا منهن كما قال ءانتم اشد خلقا ام السماء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت او القيمة فابرام وضوح الدليل
الموجود الموجبة ان يدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها في لو انتم تملكون وتقديره لو تملكون
تملكون فاضمر تملكون اضمارا على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم
لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسير وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب
فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ
ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني وقول المتلمس ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي وذلك لان الفعل
الاول لما سقط لاجل المفسر بعد الكلام في صورة المبتدأ والخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد
بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين اقتدروا ما اقتدروا من البذوخ
والانهار وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها فتورا ضيقا لخيلا فان قلت هل تقدر مسلم
مفعول قلت لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل تمسك عن ابن عباس يطبخ العصا واليد والجراد والقمل و
الضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات
مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سأل محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف تكون
الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور بنصفين وجوز مكسور وفوم وحمص
وعدس كلها جاء وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سأل رسول الله صلعم عن ذلك فقال ادعى الله تعالى موسى عم
ان قل لبني اسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا
ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا
يهود خاصة لا تعدوا في السبت فسأل بني اسرائيل على لسان الخاطئ فقلنا له سل بني اسرائيل اءاتيناهم عن ايمانهم

آيات بينات فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم

فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وانني
لاظنك يا فرعون مثبورا فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا

وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم معك وتدل عليه قراءة رسول الله صلعم فسأل بني اسرائيل
على لفظ الماضي لغير همزة وهي لغة قريش وقيل فسأل يا رسول الله المؤمنين من بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام
واصحابه عن الآيات لتزداد يقينا وطمأنينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول ابرهيم
عليه ولكن ليطمئن قلبي فان قلت بم تعلق اذ جاءهم قلت اما على الوجه الاول فبما لقول المحذوف
اي فقلنا له سلهم حين جاءهم او سأل في القراءة الثانية واما على الاخير فبآتينا او باضمار اذكر او يخبر وكذا في
اذ جاءهم اذ جاء اباهم مسحورا سحرت فخولط عقلك لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء الآيات الا الله عز وجل بصائر
بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر وجحد وانها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقرئ علمت
بالضم على اني لست بمسحور كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الآيات منزلة من رب السموات والارض ثم
ثم قارع ظنه بظنه كانه قال ان ظننتني مسحورا فانا اظنك مثبورا اي هالكا وظني اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة
وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك الآيات الله بعد وضوحها ولما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة
امري اني لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما
منعك وصرفك وقرأ ابي بن كعب وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة فاراد فرعون
ان يستخف موسى وقومه من ارض مصر ويخرجهم منها او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستيصال فحاق به مكره بان
استفزه الله باغراقهم قبطه اسكنوا الارض التي اراد فرعون ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة يعني قيام
الساعة جئنا بكم لفيفا جميعا مختلطين ايابكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم واشقيائكم والليف الجماعات
من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا
بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير او وما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بهم من تخليط الشياطين وما
ارسلناك الا لتبشر بالجنة وتنذر من النار ليس لك ولا له ذلك شيء من اكراه على الدين او نحو ذلك وقرآنا منصوب
بفعل يفسره فرقناه وقرأ ابي فرقناه بالتشديد اي جعلناه فرقا متجزئا وعن ابن عباس انه قرأ
مشددا وقال لم ينزل في يومين او ثلثة بل كان بين اوله وآخره عشرون سنة يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فعل
مقارب على مكث بالفتح والضم على تمهل وتؤدة وتثبت ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا
تؤمنوا انكم بالاعراض عنه واحتقاره والازدراء بشأنه والا يكترث بكم وبايمانكم وباستنكافكم عنه وانكم ان لم تؤمنوا
في الحال ولم يصدقوا بالقرآن وهم اهل جاهلية وشرك فان خيرا منهم افضل وهم العلماء الذين قرءوا الكتب وعلموا
ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوا وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا
سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجاز ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلعم وانزال القرآن عليه بالوحي

ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر
بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم

وهو المراد بالوعد في قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا ويزيدهم خشوعا او يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين
فان قلت ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لماذا قلت يجوز ان يكون تعليلا لقوله آمنوا
به او لا تؤمنوا وان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله وتطييب نفسه كانه قيل قل لهم
الجهلة بايمان العلماء وعلى الاول ان لم تؤمنوا به لقد آمن به من خير منكم فان قلت ما معنى الخرور
للذقن قلت السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد اول ما يلقى به الارض
من وجهه الذقن فان قلت حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على اليدين وجهه وعلى ذقنه فما
معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال الخر صريعا لليدين وللفم قلت معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور
واختصه به لان اللام للاختصاص فان قلت لم كرر يخرون للاذقان قلت لاختلاف الحالين
وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين عن ابن عباس رض سمعه ابو جهل يقول يا الله
يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل
ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التورية هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا يخلو اما ان يتعدى الى
مفعولين تقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم
لا المسمى واو للتخيير كقولك ادعوا الله او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا ايا ما هذا ولما هذا
والتنوين في ايا عوض من المضاف اليه وما صلة للابهام المؤكد لما في اي اي اي هذين الاسمين سميتم وذكرتم فله
الاسماء الحسنى والضمير في له ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو الله عز وعلا لان التسمية
للذات لا للاسم والمعنى ايا ما تدعو فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه
كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها احسن الاسماء انها مستقلة بمعاني التمجيد والتقديس والتعظيم
بصلوتك بقراءة صلوتك على حذف المضاف لانه لا يلتبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان يعتقبان على الصوت
لا غير والصلوة افعال واذكار وكان رسول الله صلعم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعه المشركون لغوا وسبوا فامر
بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين ولا تخافت حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين المخافتة
سبيلا وسطا وروي ان ابا بكر رض كان يخفي صوته بالقراءة في صلوته ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي
وكان عمر رض يرفع صوته ويقول ارجو الشيطان واوقظ الوسنان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان
يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلوة
الليل وتخافت بصلوة النهار وقيل بصلوتك بدعائك وذهب الى ان الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا
وخفية وابتغاء السبيل مثل لابتغاء الوجه الوسط في القراءة وقل من الذل ناصر من الذل ومانع له منه

لا يعتز ان به او لم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته فان قلت كيف لائق وصفه بنفي
الولد والشرك والذل بحكمة التمجيد قلت لان هذا وصفه وهو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو
الذي يستحق جنس الحمد وكان النبي صلعم اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية عن رسول الله
صلعم من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سورة الكهف مكية وهي مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حمادة وفقهم كيف يثنون عليه ويحمدونه
على اجزل نعمائه وهي نعمة الاسلام وما انزل على عبده محمد صلعم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم ولم
يجعل له عوجا شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض
عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والاصابة فيه فان قلت ثم انتصب قيما قلت لا يخلو ان
ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا
من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا قيما لانه اذا نفي عنه العوج
فقد اثبت له الاستقامة فان قلت ما فايدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة وفي احدهما
غنى عن الآخر قلت فايدته التوكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من ادنى عوج عند
التدبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها وقيل بمصالح العباد
وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ قيما بالتخفيف لينذر متعد الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا
قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين كفروا بأسا شديدا والبأس من قوله بعذاب بئيس وفعله
بؤس العذاب وبؤس الرجل بأسا وبأساء من لدنه صادرا من عنده وقرئ من لدنه عنده وقرئ
بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون ويبشر بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم اقتصر على احد
مفعولي انذر قلت قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار
في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله ان
لهم اجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره والاجر الحسن الجنة ماكثين فيه ما لهم به من علم او بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم
هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء وقد استمكنت آباؤهم من الشيطان وتسويله فان قلت
اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم استحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل
بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به قرئ كبرت كلمة بالنصب على التمييز والرفع
على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من افواههم صفة للكلمة تفيد

أن يقولون الإفك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا إنا جعلنا ما على الأرض زينة
لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا

استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من أفواههم فإنه كثيرا ما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس و
يجرئهم به أنفسهم من المنكرات لا سيما لكون أن يتفوهوا به ويطلقوا به ألسنتهم بل يكلمون عليه تشوفا إلى اظهاره
فكيف بمثل هذا المنكر وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة فإن قلت لم رجع الضمير في كبرت
قلت إلى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها تشبيها لها وإياهم حين تفوهوا عنه
ولم يؤمنوا وما تداخله من الوجد والأسف على توليهم رجل فارقته أحبته وأعزته فهو يتساقط حسرات على
آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم وقرئ باخع نفسك على الأصل وعلى الإضافة أو قاتلها و
مهلكها وهو للاستقبال فيمن قرأ إن لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرأ أن لم يؤمنوا معنى لأن لم يؤمنوا بهذا الحديث
بالقرآن أسفا مفعول له أو لفرط الحزن ويجوز أن يكون حالا والأسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل
أسف وأسيف ما على الأرض يعني ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها
لنبلوهم أيهم أحسن عملا وحسن العمل الزهد فيها وتركها لا اغترارا ثم زهد في الميل إليها بقوله وإنا لجاعلون
ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل أرض لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة في إزالة بهجته
وإماطة حسنه وإبطال ما به كان زينة من إماتة الحيوان وتجفيف النبات والأشجار ونحو ذلك ذكر من الآيات
الكلية تزيين الأرض بما خلق فيها من الأجناس التي لا حصر لها وإزالة ذلك كله كأن لم يكن ثم قال أم حسبت
يعني أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وإبقاء حيوتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم
كلبهم قال أمية بن الصلت وليس بها إلا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح
من رصاص رقمت فيه أسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل إن الناس رقموا حديثهم فنزل في الجبل وقيل
هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين
كانوا آية عجبا من آياتنا وصفا بالمصدر أو على ذات عجب هل لدنك رحمة أو رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة
والرزق والأمن من الأعداء وهيئ لنا من أمرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نصيبه راشدين مهتدين
أو اجعل أمرنا رشدا كله كقولك رأيت منك أسدا فضربنا على آذانهم أي ضربنا عليها حجابا من أن تسمع بغير أيقاظهم
أياما معدودة لا تلبثهم فيها إلا سنوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستيقظ فحذف المفعول
الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة سنين عددا أذ واحد عدد فيحتمل أن يريد الكثرة
وأن يريد القلة لأن الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا إلا ساعة من نهار وقال الزجاج إذا قل فهم
مقدار عدده فلم يحتج أن يعد وإذا كثر احتاج إلى أن يعد أي يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه للعلم
فلم يعمل فيه وقرئ ليعلم وهو معلق عنه أيضا لأن ارتفاعه بالابتداء لا بإسناد يعلم إليه وفاعل يعلم مضمون

أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على
قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا

الجملة كما انه مفعول نعلم اي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال
قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما
لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اي الحزبين المختلفين من غيرهم واحصى فعل ماض اي ايهم
ضبط المدة وقال لبثهم فان قلت فما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل قلت ليس بالوجه
السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن
المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به وان امدا لا يخلو اما ان ينتصب بما
فانعل لا يعمل واما ان ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت اني انصبه باضمار فعل يدل عليه احصى
كما اضمر في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا اي نضرب القوانس فقد ابعدت المتناول وهو قريب
حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا اليه لتقدير واضمار فان قلت كيف حمل الله العلم
باحصائهم المدة غرضا في الضرب على آذانهم قلت الله عز وجل يريد العالم بذلك وانما اراد ما تعلق به العلم
من ظهور الامر ليزدادوا ايمانا واعتبارا ويكون لطفا للمؤمنين زمانهم وآية بينة لكفاره وزدناهم هدى
بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين
الى بعض الغيران وجشمناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدي الجبار وهو
دقيانوس من غير مبالاة به حين عابهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض شططا قولا
ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه اشطى في النوم وفي عين هؤلاء مبتدأ
وقومنا عطف بيان واتخذوا خبر وهو اخبار في معنى الانكار لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم فحذف
المضاف بسلطان بين وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد
وانه لا بد في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب من
بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم وما يعبدون نصب عطف على الضمير يعني واذ اعتزلتموهم واعتزلتم
معبوديكم الا الله يجوز ان يكون استثناء متصلا على ما روي انهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون
معه كما اهل مكة وان يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض من الجبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله
مرفقا قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به اي ينتفع اما ان يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وتوكلا في رحمتهم
لتوكلهم عليه وتضرع يقينهم واما ان يخبروهم به نبي في عصرهم واما ان يكون بعضهم نبيا اصله تتزاور فحذف
بادغام التاء في الزاي وحذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزورر وتزاور بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور
وهو الميل ومنه زار اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق ذات جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين
اليمين م

وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن
تجد له وليا مرشدا وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط

تقرضهم تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والقرض قال ذو الرمة إلى ظعن يقرضن أقواز
مشرف شمالا وعن أيمانهن الفوارس وهم في فجوة منه وهم في متسع من الكهف والمعنى أنهم في ظل نهارهم كله
لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا في غروبها مع أنهم في مكان واسع منفتح معرض لإصابة الشمس لولا أن الله تعالى
يجنبها عنهم وقيل في متفسح من غاره يتأذون فيه بروح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون بكروب الغار ذلك
من آيات الله التي أظهرها الله لهم من انزوائها عن الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعني أن ما
كان في ذلك الوقت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل إن باب الكهف شمالي
مستقبل لبنات النعش لهم في مقناة أبدا ومعنى ذلك من آيات الله أن شأنهم وحديثهم من آيات الله
من يهد الله فهو المهتدي ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم فلطف بهم وأعانهم وأرشدهم
إلى نيل الكرامة السنية والاختصاص بالرتبة العظيمة وأن من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي
أصاب الفلاح واهتدى إلى السعادة ومن يعرض الخذلان فلن تجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله
وتحسبهم بكسر السين وفتحها خطاب لكل أحد والإيقاظ جمع يقظ كالنكاد في جمع نكد وقيل عيونهم
متفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل تقلبتان في السنة
وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء وقرئ وتقلبهم بالياء والضمير لله وقرئ تقلبهم
على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم أيقاظا كأنه قيل وترى وتشاهد تقلبهم وقرأ
جعفر الصادق رضي الله عنه وكالبهم وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لأن اسم الفاعل لا يعمل
إذا كان في معنى الماضي وإضافته إذا أضيف حقيقة معرفة كغلام زيد إلا إذا نويت حكاية الحال الماضية
والوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل الباب والشدة بأرض فضاء لا يستدر وصيدها
علي ومعروفي هما عليه ملكو وقرئ لملئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء
ورعبا بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذي يرعب الصدر أي يملأه وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة وقيل
لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية أنه غدا الدوم فحدث بالكهف
فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك قد منع الله من هو خير منك
فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا أنتهي حتى أعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم
اذهبوا فانظروا وافعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فأخرجتهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو
وكذلك بعثناهم وكما أنمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم إذكارا لقدرته على الإنامة والبعث حينئذ ليسأل
بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا

قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر
أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا

ويشكروا ما أنعم به عليهم وكرموا به قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على
جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وإنه لا يكون كذبا وإن جاز أن يكون خطأ قالوا ربكم أعلم بما لبثتم
إنكار عليهم من بعضهم وأن الله أعلم بمدة لبثهم كأن هؤلاء قد علموا بالأدلة أو بالإلهام من الله أن المدة
متطاولة وأن مقدار ما بينهم لا يعلمه إلا الله وروي أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال
فظنوا أنهم في يومهم فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك فإن قلت كيف وصلوا قولهم
فابعثوا بتذاكر حديث المدة قلت كأنهم قالوا ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم إلى علمه فخذوا في شيء آخر
مما يهمكم والورق الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة ومنه الحديث أن عرجة أصيبت أنفه يوم الكلاب
فاتخذ أنفا من ورق فأمر رسول الله أن يتخذ أنفا من ذهب وقرئ بورقكم بسكون الراء والواو
مفتوحة أو مكسورة وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وإدغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن
أنه كسر الواو وأسكن الراء وأدغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين على غير حده وقيل المدينة
طرسوس قالوا وتزودوا منه ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على أن حمل النفقة وما يصلح المسافر
هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في أوعية القوم ومنه قول عائشة
رضي الله عنها لمن سألها عن تحريم يشد عليه هميانه أوثق عليك نفقتك وما حكي عن معاليك العلماء أنه كان
شديد الحنين إلى أن يرزق حج بيت الله وتعوم منه ذلك فكانت مياسير أهل بلده كلما عزم منهم فوج على
حج أتوه فبذلوا له أن يحجوا به والحوا عليه فيعتذر إليهم ويحمد إليهم رأيهم فإذا انقضوا عنه قال لمن عنده ما
لهذا السفر إلا شيئان شدة الهميان والتوكل على الرحمن أيها أي أهلها فحذف الأهل كما في قوله واسأل القرية
أزكى طعاما حلالا وأطيب أو أكثر وأرخص وليتلطف وليتكلف اللطف والتؤدة فيما يباشره من أمر
المبايعة حتى لا يغبن أو في أمر التخفي بأن لا يعرف ولا يشعرن بكم أحدا ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه
إلى الشعور بنا فسمي ذلك إشعارا منه بهم لأنه سبب فيه الضمير في إنهم راجع إلى الأهل المقدر في أيها يرجموكم يقتلوكم
أخبث القتلة وهي الرجم وإن كانت عادتهم أو يعيدوكم أو يدخلوكم في ملتهم بالإكراه العنيف وتصيروكم
إليها والعود في معنى الصيرورة أكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت أفعل كذا يريدون ابتدأ ولن تفلحوا
إذا أبدا إن دخلتم في دينهم وكذلك أعثرنا عليهم وكما أنمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم
ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم أن وعد الله حق وهو البعث لأن حالهم في نومهم وانتباههم بعدها كحال من
يموت ثم يبعث وأن الساعة لا ريب فيها وأن يتنازعون يتعلق بأعثرنا أي أعثرناهم عليهم حين تنازعوا بينهم أمر دينهم واختلفوا
في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول بعث الأرواح دون الأجساد وبعضهم ببعث الأجساد مع الأرواح ليرتفع

ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون
خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم

الخلاف وليتبين ان الاجساد ميتة حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فقال تعالى توفى الله اصحاب
الكهف ابنوا عليهم بنيانا اى على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت
تربة رسول الله صلعم بالحظيرة قال الذين غلبوا على امرهم من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم
لنتخذن على باب الكهف مسجدا يصلى فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم حين توفوا كيف
اصحاب الكهف ويتكلمون فى قصتهم وما اظهر الله من الآية فيهم او يتنازعون بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف
يحفظون مكانهم وكيف يستدفعون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا روى ان اهل الانجيل عظمت
فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد فى ذلك دقيانوس فاراد
فتية ابراء قومه على الشرك وتوعدهم على القتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف
وسروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله فقال ما تريدون منى انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم
وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب الله على آذانهم
وقيل ان بعثهم الله مثل بعثهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف اهل مملكته فى البعث معترفين وجاحدين فدخل
الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله فى نفس رجل من رعيانهم
فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذ حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من الابتياع الطعام وخرج الورق وكان
من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة
معه وابصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من
شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد
من ذهب فرآهم فى المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا ليصلوا عليهم من كلام
المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام فى انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة
ذلك قالوا ربهم اعلم بهم او هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين فى حديثهم من اولئك المتنازعين او من
الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلعم من اهل الكتاب سيقولون الضمير لمن خاض فى قصتهم فى زمن رسول الله
من اهل الكتاب الحين سألوا رسول الله صلعم عنهم فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فنزلت اخبارا بما سيجرى
بينهم من اختلافهم فى عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس رض انا من اولئك القليل
وروى ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا اعزة النبى صلعم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان
يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون
كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلعم عن لسان جبريل وعن على رض

وكان ابن عباس
يسميهم ويقول لا يعلمهم الا قليل
وانا من اولئك القليل
دمليخا ومكسلمينا ومشلينا وهؤلاء اصحاب يمين الملك
ومرطونس وكشوطونس ودانموس وكفشيطيوس وبيرونس

قل ربى اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تقولن
لشىء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله

٢٥٤

مرنوش
وكذبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة فى امره والسابع الراعى الذى وافقهم حين
هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير قال قلت لم جاء بسين الاستقبال
فى الاول دون الاخيرين قلت فيه وجهان ان تدخل الآخرين فى حكم السين كما تقول زيد قد اكرم وانعم
تريد معنى التوقع فى الفعلين جميعا وان تريد بفعل معنى الاستقبال الذى هو صالح له رجما بالغيب تعنيا بالخبر
الخفى واتيانا به كقولهم يقذفون بالغيب يأتون به او وضع الرجم موضع الظن كانه قيل ظنا بالغيب لانهم
اكثروا ان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين الصادقين الاثبات الى قول زهير
وما هو عنها بالحديث المرجم اء المظنون قرئ ثلاثة رابعهم بادغام الثاء فى تاء التانيث وثلثة خبر
مبتدأ محذوف اى هم ثلثة وكذلك خمسة وسبعة وربما ثامنهم كلبهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلثة
وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم قال قلت فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت
عليها دون الاولين قلت هى الواو التى تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة
حالا عن المعرفة نحو قولك جاءنى رجل معه آخر ومررت بزيد وفى يده سيف ومنه قوله عز وجل وما اهلكنا من
قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت
مستقر وهذه الواو هى التى آذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمانينة
نفس ولم يرجموا بالغيب بالظن كما غيرهم والدليل عليه ان الله سبحانه وتعالى اتبع القولين الاولين قوله
رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل وقال من عدتهم سبعة وثامنهم وقعت الواو انقطعت
العدة اذ لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والبتات وقيل
الا قليل من اهل الكتاب والضمير فى سيقولون عائد الى اهل الكتاب خاصة اى سيقول اهل الكتاب فيهم كذا و
كذا ولم يعلم بذلك الا فى قليل منهم والاكثر على الظن والتخمين فلا تمار فيهم فلا تجادل اهل الكتاب فى شان اصحاب الكهف
الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك بحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف
بهم فى الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتى هى احسن ولا تستفت ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال مستفت له على
يقول شيئا فتزيده عليه وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد
لان الله قد ارشدك بان اوحى اليك قصتهم ولا تقولن لشىء ولا تقول لاجل شىء تعزم عليه انى فاعل ذلك الشىء غدا اى
فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله كان معناه الا ان يشاء الله متعلق بالنهى لا بقوله انى فاعل لانه لو
قال انى فاعل كذا الا ان يشاء الله كان معناه الا ان يعترض مشيئة الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهى وتعلقه

يعنى لو قال هذا الكلام مستقيم
ولكن نهيا عن علم انا نفى
القول

واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين
وازدادوا تسعا قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ابصر به واسمع

بالنهي على وجهين احدهما ولا تقولن ذلك القول الا ان تقول بالدنا ذلك لكنه والثاني ولا تقولنه
الا بان يشاء الله او الا بمشيئته وهو في موضع الحال يعني الا ملتبسا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله وفيه
وجه ثالث وهو ان يكون ان يشاء الله في معنى كلمة تابيد كانه قيل ولا تقولنه ابدا ونحو قوله تعالى وما لنا ان
نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم في ملتهم مما لن يشاء الله وهذا نهي تاديب من الله لنبيه حين
قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ائتوني غدا اخبركم
ولم يستثن فابطا عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش واذكر ربك اذا مشيئة ربك وقيل ان شاء الله
اذا فرطت منك نسيانه لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت فتداركها بالذكر وعن ابن
عباس رض ولو بعد سنة ما لم يحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة
وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطا يستثنى على مقدار حلب ناقة غزيرة
وعند عامة الفقهاء انه لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا ويحكى انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة
رحمه خالف ابن عباس رض في الاستثناء المنفصل فاستحضره ليناظره عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع
عليك انك تاخذ البيعة بالايمان افترضي ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي
عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار تشديدا بالبعث على الاهتمام بهما وقيل
واذكر ربك اذا تركت بعض ما امرك به وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على
ادا الصلوة المنسية عند ذكرها وهذا اشارة الى انباء اصحاب الكهف ومعناه لعل الله يوتيني من الحجج والبينات
على النبوة ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا من نبا اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث اتاه من
قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيئا فاذكر ربك واذكر
ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهدين ذكر الشيء آخر يرد هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة
ولعل النسيان كان ضربة لقوله او ينسها ان تحنث منها ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين ورد لبثهم فيه احياء
مضروبا على آذانهم حتى المدة وهو بيان لما اجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا او معنى قوله
قل الله اعلم بما لبثوا انه اعلم من الذين اختلفوا فيهم مدة لبثهم والحق ما اخبرك به وعن قتادة انه حكاية
لكلام اهل الكتاب وقل اعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلثمائة
وقرئ ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع موضع المفرد في التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا وفي قراءة ابي
ثلثمائة سنة تسعا لان ما قبله يدل عليه ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات
والارض وخفي فيهما من احوال اهلها ومن غيرها وانه هو وحده العالم به وجاء بما دل على التعجب من ادراكه

ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه احدا واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد
من دونه ملتحدا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك

للسمعات والمبصرات للدلالة على ان امره في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك
الطف الاشياء واصغرها كما يدرك اكبرها واكثرها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر وما لهم الضمير لاهل
السموات والارض من ولي من دونه لاحد سواه ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم وقرأ الحسن ولا تشرك بالتاء
والجزم على النهي كانوا يقولون ائت بقرآن غير هذا او بدله فقيل واتل ما اوحي اليك من القرآن ولا تسمع لما
يهذرون به من طلب التبديل ولا تجد لكلمات ربك الا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك
هو وحده واذا بدلنا آية مكان آية ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه اذا سمعت ذكرك قال قوم من
رؤساء الكفرة لرسول الله نحن هؤلاء الموالي الذين كان بهم رهط الصفة نحو صهيب وعمار وخباب وغيرهم
من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح اتؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت واصبر نفسك وحبسها معهم
وثبتها قال ابو ذر مر بي النبي ص فقعد عند رأسي فما زال يذكر حتى ظننت انه بعث اليه وقيل كان يصلي
الغداة في اول وقت الغداة وهو حين يصبح الفجر والعصر حين تزول الشمس والعشي ما بعد الزوال وقيل
اكثر الاستعمال في الغداة والعشي اذا دخل اللام على احدهما اريد الجمع كما قال ولا زيد زيدا الخارج ونحو قليل في كلامهم يقال غداة
اذا جاءوا من عنده قوم غداة وجاءني القوم غدا زيدا وانما عدي فعل النظر بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك
نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا لم تجده ولم تعلق به فان قلت اي غرض في هذا التضمين وهلا
قيل ولا تقدم عيناك او ولا تعل عيناك عنهم قلت الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من
اعطاء معنى فذا الا ترى كيف صح المعنى في قوله ولا تعد عيناك عنهم ونحو قوله ولا تاكلوا
اموالهم الى اموالكم ولا تضموها اليها آكلين لها وقرئ ولا تعد عيناك من اعداه وعداه نقلا بالهمزة
وبتثقيل الجيم ومنه قوله فعدها ترى اذا لا ارتجاع له لان معناه فتودعك عن ترى نهي رسول الله صلعم ان يزدري
بفقراء المؤمنين وان تنبو عينه عن رؤيتهم طمعا في زخارف الدنيا وحسن شارتهم تريد زينة الحيوة
الدنيا في موضع الحال من اغفلنا قلبه من جعلناه غافلا عن الذكر بالخذلان او وجدناه غافلا عنه كقولك اجبنته
وابخلته وانحلته اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة او سمه بالذكر ولم نجعله
من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان وقد ابطل الله تعالى الجبر بقوله واتبع هواه وقرئ اغفلنا قلبه باسناد
الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلا ليس من اغفلته اذا وجدته غافلا فرطا متقدما للحق
والصواب نابذا وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل وقل الحق من ربكم الحق من ربكم خبر مبتدا
محذوف والمعنى جاء الحق وناجب العمل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق
النجاة او في طريق الهلاك وهي بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شاء فكانه مخير

عينك ولا تعد

وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
انا لا نضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب

ماموراً بان يتخير ما شاء من التهديد شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهي الحجرة التي حول الفسطاط
وبيت مسرداق وسرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار
يطيف بهم يغاثوا بماء كالمهل كقوله فاعتبروا في الصيام وفيه تهكم والمهل ما اذيب من جواهر الارض
وقيل دردي الزيت يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب لشوي الوجه من حرارته عن النبي صلعم هو
كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ
من المرفق وهذا المشاكلة قوله حسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكاء الا ان تكون من
قوله اني ارتفقت فبت الليل مرتفقا كان عيني فيها الصاب مذبوح او ليل خبران وانا لا نضيع اعتراض
ولك ان تجعل انا لا نضيع واولئك خبرين معا او تجعل اولئك كلاما مستأنفا بيانا للاجر المبهم فان قلت
اذا جعلت انا لا نضيع خبرا فاين الضمير الراجع منه الى المبتدأ قلت هو من احسن عملا والذين آمنوا
وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من احسن مقام الضمير او اردت من احسن عملا منهم فكان كقولك
السمن منوان بدرهم من الاولى للابتداء والثانية للتبيين وتنكير اساور من مبهم لابهام امرها في الحسن
وجمع بين السندس وهو ما رق من الديباج وبين الاستبرق وهو ما غلظ منه جمعا بين النوعين ونص الاتكاء
لانه هيئة المتنعمين والمتوكل على اسرتهم واضرب لهم مثلا رجلين او مثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين
وكانا اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران
في سورة والصافات قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى
الكافر ارضا بالف فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف
فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة فتصدق ثم تزوج اخوه امرأة
بالف فقال اللهم اني جعلت الف صداق الحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني
اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق ثم اصابته حاجة فجلس اخوه على طريقه فمر به في حشمه
فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لرجلين من بني مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة
عبد الله بن عبد الاسد وكافر وهو الاسود بن عبد الاسد جنتين
بساتين من كروم وجعلنا هما نخلا وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يوشح الدهاقين
في كروم ان يجعلوها موردة بالاشجار المثمرة يقال حففوا اذا طافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله
وهو متعد الى مفعول واحد فتزيد الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته وغشيته به وجعلنا بينهما زرعا
جعلها ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف الجنان بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها

كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا
اكثر منك مالا واعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة
ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك

ويفصل بينهما مع الشكل الحسن والترتيب الانيق ونعتها بتوفر الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو اصل
الخير ومادته من امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو السقي بالنهر الجاري فيها وآتت اكلها الثمر وقرئ
بضم الكاف ولم تظلم ولم تنقص وآتت حمل على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز
وقرئ وفجرنا على التخفيف وقرأ عبد الله كل الجنتين آتت اكلها برد الضمير على كل وكان له ثمر انواع
من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد الذهب والفضة اي كانت لهذين الجنتين المؤمنين الاموال الكثيرة
من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شاء واعز نفرا يعني
انصارا وحشما وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث يحاوره يراجعه الكلام من حار
يحور اذا رجع وسألته فما احار كلمة يعني نظر من تضعيد المسلم يطوف في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه
منهما ويفاخره بما ملكه من المال دونه فان قلت لم افرد الجنة بعد التثنية قلت معناه ودخل
ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون بما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير
ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما اوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك
نفسه لسخط الله وهو الجنس الظالم اخبار عن نفسه بالشك في بيد وده جنته لطول امله واستيلاء
الحرص وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في عواقب امثاله ويرى اكثر الاغنياء من
المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا البستهم فان السنة احوالهم ناطقة به مناداة عليه ولئن رددت
الى ربي اقسام منه على انه ان رد على ربه على سبيل الفرض والتقدير كما يزعم صاحبه لجدن في الآخرة خيرا
من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه
واستيهاله وان معه هذا الاستحقاق ايضا توجه كقوله اني عند الحسنى لي وتين مالا وولدا
وقرئ خيرا منهما رداء على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز او منقلبا لك خير
من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية خلقك من تراب خلق اصلك كما ان خلق اصله سبب في خلقه خلقا لسواك
عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لنعمه لشكه في البعث كما يكون
المكذب بالرسول كافرا لكنا هو الله ربي اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن
فتلاقت النونان فكان الادغام ونحو قول القائل وتريني الطرف او انت مذنب وتقلينني لكن اياك
لا اقلي او لكن انا لا اقلينك وهو ضمير الشأن والشأن الله ربي والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير
وقرأ ابن عامر باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا من حذف
الهمزة وعين لا يثبتها الا في الوقف وعن ابي عمرو انه وقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله

لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين
خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا

ربي بسكون النون وقرأ أبي بن كعب أنا على الأصل وفي قراءة عبد الله لكن أنا لا إله إلا هو ربي
فإن قلت هو استدراك لماذا قلت لقوله أكفرت قال له أخيه أنت كافر بالله لكني مؤمن
موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر ما شاء الله يجوز أن يكون ما موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر
مبتدأ محذوف تقديره الأمر ما شاء الله أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى أي شيء شاء
الله كان ونظيرها في حذف الجواب لولا في قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند
دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها الأمر ما شاء الله اعترافا بأنها وكل خير فيها إنما حصل بمشيئة الله وفضله
وأن أمرها بيده إن شاء تركها وإن شاء خربها وقلت لا قوة إلا بالله إقرارا بأن ما قويت به على عمارتها
وتدبير أمرها فهو معونة الله وتأييده إذ لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملكه إلا بالله وعن عروة بن الزبير
أنه كان يتأهب حائطه أيام الرطب فيدخل من شاء وكان إذا دخله رد هذه الآية حتى يخرج من قرأ أقل
بالنصب فقد جعل أنا فصلا ومن رفع جعله مبتدأ وأقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وفي قوله
وولدا نصر لمن فسر النفر بالأولاد في قوله وأعز نفرا والمعنى إن ترني أفقر منك فإنا أتوقع من صنع
الله أن يقلب حالي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني إيماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك الكفر نعمته
ويخرب بستانك والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب مقدارا قدره الله وحسبه
وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا
مرامي واحدة حسبانة وهي القواعق صعيدا زلقا أرضا بيضاء يزلق عليها لملاستها زلقا وغورا
كلاهما وصف بالمصدر وأحيط به عبارة عن إهلاكه وأصله من أحاط به العدو لأنه إذا أحاط به فقد ملكه
واستولى عليه ثم استعمل في كل إهلاك ومنه قوله تعالى إلا أن يحاط بكم ومثله قولهم أتي عليه إذا أهلكه من أتى
عليه العدو إذا جاءهم مستعليا عليهم وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لأن النادم يقلب كفيه ظهرا
لبطن كما يكنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولأنه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كأنه قيل فأصبح
يندم على ما أنفق فيها أي أنفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني أن كروم المجرشة سقطت على
الأرض وسقطت فوقها الكروم وقيل أرسل الله عليها نارا فأكلتها يا ليتني تذكر موعظة أخيه فعلم
أنه أتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز أن يكون توبة من الشرك
وندما على ما كان منه ودخولا في الإيمان وقرئ ولم يكن بالياء والتاء وحمل ينصرونه على المعنى دون
اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة فإن قلت ما معنى قوله ينصرونه من دون الله
قلت معناه يقدرون على نصرته من دون الله أي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره

وهنالك متصلا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه
من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا المال

إلا أنه لم ينصرف لصارف وهو استجابته لذلك وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله
الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك أي في ذلك المقام
وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقويرا لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه
من دون الله أو هنالك السلطان والملكية لا يغلب ولا يمتنع منه أو في مثل تلك الحال الشديدة يتولى
الله ويؤمن به كل مضطر يعني أن قوله يا ليتني لم أشرك وتلك كلمة الجئ إليها فقالها جزعا مما دهاه من
شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز أن يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين
على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من أعدائهم يعني أنه نصر فيما فعل بالكافر إياه المؤمن وصدق
قوله عسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضد قوله هو خير ثوابا
وخير عقبا أو الولاية وقيل هنالك إشارة إلى الآخرة أي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك
اليوم وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية والله وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب على التأكيد
كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من أفصح الناس وأفصحهم
وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة فاختلط به نبات الأرض فالتف
بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي ورف
رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الأرض ووجه صحته أن كل مختلطين موصوف كل واحد
منهما بصفة صاحبه والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة وقرئ تذروه الريح وعن ابن عباس
تذريه الرياح من أذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات
يكون أخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الريح كأن لم يكن وكان الله على كل شيء من الإنشاء والإفناء مقتدرا الباقيات
الصالحات أعمال الخير التي تبقى ثمراتها للإنسان ويفنى عنه كل ما تطمح إليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل
هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وعن قتادة كل ما أريد به وجه الله
خير عند ربك ثوابا وما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الأمل لأن صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ويصيبه
في الآخرة وقرئ تسير من سيرت وتسير من سيرنا وتسير من سارت أي تسير في الجو أو يذهب
بها بأن تجعل هباء منبثا وقرئ وترى الأرض على البناء للمفعول بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان
عليها وحشرناهم وجمعناهم إلى الموقف وقرئ فلم نغادر بالياء والنون يقال غادره وأغدره إذا
تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان
صفا مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب أحد أحدا لقد جئتمونا أي قلنا لهم لقد جئتمونا

بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا
ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا وإذ

وهذا المضمر هو عامل النصب في يسير ويجوز أن ينتصب بإضمار اذكر والمعنى لقد جئتمونا بعثناكم كما
أنشأناكم أولا مرة وقيل جئتمونا عراة حفاة مشاة معكم كما خلقناكم أولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى قال قلت
لم جمع بين حشرناهم ماضيا بعد نسير ونرى قلت للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز
يتعاينوا تلك الأهوال والعظائم كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك موعدا وقتا لانجازها وتحذيرهم على السلة
الأنبياء من البعث والنشور الكتاب للجنس وهو صحف الأعمال يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي
هلكوها خاصة من بين الهلكات صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الإحاطة يعني لا يترك شيئا من المعاصي
إلا أحصاها أو أحصاها كلها كما تقول ما أعطاني قليلا ولا كثيرا إلا الأشياء الصغار وأما الكبار
ويجوز أن يريدوا ما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهي
المناقشة وعن ابن عباس رض الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة
المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل كان إذا قرأها قال ضجوا من الصغائر قبل الكبائر إلا أحصاها
الأضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا أو جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك أحدا
فيكتب عليه ما لم يعمل أو يزيد في عقابه المستحق أو يعذب به بغير جرم كما يزعم من لا علم له من الذين تعذيب
أطفال المشركين بذنوب آبائهم كان من الجن كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء إبليس
من الساجدين كان قائلا قال له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن أمر ربه والفاء للتسبيب أيضا جعل
كونه من الجن سببا في فسقه يعني أنه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله لأن الملائكة
معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس كما يقولون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره
يعملون وهذا الكلام المعترض تنزيه من الله تعالى لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما أبعد
البون بين ما تنزه الله وبين قول من ضاده وزعم أنه كان ملكا ورئيسا على سائر الملائكة فعصى
فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس رض ومعنى ففسق عن أمر ربه خرج عما أمر به من السجود قال
فواسقا عن قصدها جائرا أو صار فاسقا كافرا بسبب أمر ربه الذي هو قوله اسجدوا لآدم أفتتخذونه
ذريته الهمزة للإنكار والتعجب كأنه قيل أعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته أولياء من دوني وتستبدلونهم
بي يعني البدل من الله إبليس لمن استبدله فأطاعه بدل طاعته ما أشهدتهم قرئ ما أشهدناهم يعني
أنكم اتخذتموهم شركائي في العبادة وإنما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الألوهية فنفى مشاركتهم
في الألوهية بقوله ما أشهدتهم خلق السموات والأرض لأعتضد بهم في خلقها ولا خلق أنفسهم ولا أشهدت بعضهم
خلق بعض كقوله ولا تقتلوا أنفسكم وما كنت متخذ المضلين يعني وما كنت متخذهم عضدا أعوانا فوضع المضلين

يوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار
فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر

موضع الضمير ذما لهم بالإضلال فإذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركائي في العبادة
وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله صلعم والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك أن
تعتز بهم وقرأ علي رض متخذا المضلين بالتنوين على الأصل وقرأ الحسن عضدا يسكون
العين وعضدا بفتحتين وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده إذا
قواه وأعانه نقول بالياء والنون وإضافة الشركاء إليه على زعمهم توبيخا لهم وأراد الجن والموبق
المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا إذا هلك وأوبقه غيره ويجوز أن يكون مصدرا كالموعد
والموعد يعني وجعلنا بينهم وادبا من أودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه
جميعا وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا ولا بغضك
تلفا قال الفراء البين الوصل أو وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة ويجوز أن يريد
الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم والموبق البرزخ البعيد أو وجعلنا بينهم أمدا بعيدا تهلكهم فيه الأهوال
لفرط بعده لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان فظنوا أنهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها مقرفا
معدلا قال الزهري عن شيبة من مصرف أكثر شيء جدلا أكثر الأشياء التي تتأتى منها الجدل أن تصلها واحدا
بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعني أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء ونحوه
فلذا هو خصيم مبين أن الأولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الإيمان والاستغفار
إلا انتظار أن تأتيهم سنة الأولين وهي الإهلاك أو انتظار أن يأتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة قبلا عيانا
وقرئ قبلا أنواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا من أدحض القدم
وهو إزالتها وإزالتها عن موطئها وما أنذروا يجوز أن يكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا
أي ما أنذروه من العقاب أو مصدرية بمعنى وإنذارهم وقرئ هزؤا بالسكون أي المهزوء به موضع
استهزاء وجدال الحق وقولهم للرسل ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة وما أشبه ذلك بآياته به
بالقرآن ولذلك رجع الضمير مذكرا في قوله أن يفقهوه فأعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي ما قدمت
يداه من الكفر والمعاصي غير مفكر فيها ولا ناظر في أن المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل
إعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الإفراد حملا على لفظ من ومعناه فلن يهتدوا فلا يكون
منهم اهتداء البتة كأنه مجال منهم لشدة تصميمهم أبد مدة التكليف كلها وأذن جواب وجزاء فدل على انتفاء
اهتدائهم لدعوة الرسول يعني أنهم جعلوا ما يجب أن يكون سببا في وجود الاهتداء سببا في انتفائه وعلى أن جواب
للرسول على تقدير قوله ما لي لا أدعوهم حرصا على إسلامهم فقيل وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا أبدا

لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا فلما بلغا مجمع بينهما

البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مواخذة اهل مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم
في عداوة رسول الله صلعم بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجى ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا
ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يريد قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا وتلك
مبتداء والقرى صفة لان اسماء الاجناس توصف باسماء الاجناس واهلكناهم خبر ويجوز ان يكون تلك القرى نصبا
باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم
موعدا وضربنا لاهلاكهم موعدا وقتا معلوما لا يتأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته
وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة او لمهلاكهم او وقت هلاكهم والموعد وقت وموضع لقتاه
لعمله وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي وقيل هو يوشع بن نون وانما قال فتاه
لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم فان قلت لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان
فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر قلت هو بمعنى لا ازال من برح المكان وقد حذف
الخبر لان الحال او الكلام معاينا لا عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين
غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه آخر وهو ان يكون المعنى
لا يبرح سيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب
الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه بمعنى الزم المسير
والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر
عليهما السلام وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ومن
بدع التفاسير ان البحرين موسى والخضر لانهما كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهي في الشذوذ من
يفعل كالمشرق والمطلع من نفعل او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة روي انه لما
ظهر موسى على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم
خطيبا فذكر نعمة الله وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له لقد علمنا هذا فاي الناس اعلم قال انا فعتب
الله عليه لم يرد العلم الى الله فاوحى الله اليه بل اعلم منك عبدي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في ايام كيخسرو
افريدون قبل موسى وكان في مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى علم وقيل ان موسى سأل ربه اي عبادك
احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي
عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال له كان في
عبادك من هو اعلم مني فادلني عليه قال اعلم منك الخضر فقال يا رب اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة

يقول الحر في الان غلام فلان اذا تلمذ

فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال أرأيت
إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا

٢٥٩

قال يا ربّ كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل حيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني
فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه
في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وأنى بأرضنا السلام فعرفه نفسه فقال
يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور
فوقع على حرفها فنقر في الماء ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر نسيا
حوتهما اي نسيا تفقد امره وما يكون منه مما جعلا امارة على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع ان يقدمه
ونسي موسى ان يأمره فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الحوت
والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين الحيوة ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الماء و
بردها عاشت وروي انهما اكلا منها وقيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت
فعاش ووقع في الماء سربا امسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب
معجزة لموسى علم او للخضر فلما جاوزا فلما جاوزا الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد امر الحوت وما
كان منه ونسيان يوشع ان يذكر لموسى ما رأى من حيوته ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة
الليلة والغد الى الظهر والقى على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر
الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة فان قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى
لكونه امارة لهما على الظفر بالطلبة التي تناهضا من اجلها ولكونه معجزتين ثنتين ومما حيوة السمكة المملوحة المأكول
منها وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام الماء وانتضاحه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم
كيف استمر به النسيان حتى خلف الموعد وسارا مسيرة ليلة الى الظهر الغد وحتى طلب موسى عليه الحوت
قلت قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب فكر كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانتصر لي ذلك انه
ضرب عن مشاهدة امثاله عند موسى من العجائب واستأنس باخوانه فاعان الالف على قلة الاهتمام أرأيت
بمعنى اخبرني فان قلت ما وجه اتيان هذا الكلام فان كل واحد من ارأيت واذ اوينا وفاني نسيت
الحوت لا متعلق له قلت لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه لي تلك الفاتة
فدهش فطفق يسأل موسى عن سببه فكأنه قال ارأيت ما دهاني الى الصخرة فاني نسيت الحوت فخذ في ذلك
وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت وان اذكره بدل من الهاء في انسانيه او ما انساني ذكره الا
الشيطان وفي قراءة عبد الله ان اذكره وعجبا ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني واتخذ سبيله عجبا وهو
كونه شبيه السرب او قال عجبا في آخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها او مما رأى من

قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما
قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به

المعجزتين وقوله وما أنسانيه إلا الشيطان إن اذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل
ان عجبا حكاية لتعجب موسى وليس بذاك ذلك اشارة الى اتخاذه سبيله او ذلك الذي كنا نطلبه لانه لما
ظفر بالطلبة من لقاء الخضر قرئ نبغ بغير ياء في الوصل واثباتها احسن وهي قراءة ابي عمرو واما
الوقف فالاكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف فارتدا فرجعا في اثرهما قصصا يقصان قصصا
او يتبعان آثارهما اتباعا او فارتدا مقتصين رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة من لدنا مما يختص بنا من
العلم وهو الاخبار عن الغيوب رشدا قرئ بفتحتين وبضمة وسكون اي علما ذا رشد او رشدا به في دينه فان قلت
اما دلت حاجته الى التعلم من الخضر في عهد انه كما قيل موسى بن عمران لان النبي يجب ان يكون
اعلم اهل زمانه واما فهم المرجوع اليه في ابواب الدين قلت لا غضاضة بالنبي في اخذ العلم من نبي
مثله وانما يغض منه ان يأخذ ممن دونه وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس رضي ان نوفا ابن البكالي
يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى وان موسى هو موسى بني اسرائيل فقال كذب عدو الله نبي استطاعة
الصبر على وجه التأكيد كما مر لا يصح ولا يستقيم وعلك لكونه يتولى الامور التي ظاهرها منا كير والعمل
الصالح فكيف اذا كان يتيما لك ان يشهد ويتعظ ويخدع اذا رأى ذلك ويأخذ في الانكار وخبرا
تمييز اي لم تحط به خبرا ولان لم تحط به لم تخبره فنصبه نصب المصدر ولا اعصي في محل النصب عطف على
صابرا اي ستجدني صابرا وغيرها من اولي في محل عطفا على ستجدني رجاء موسى عليه السلام لرجوعه على العلم وازدياده
ان يستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عن حقيقة الامر فوعد الصبر معلقا بمشيئة الله علما منه بشدة
الامر وصعوبته وان الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع علمه ان المعصوم
الذي امن الله بالمسافرة اليه واتباعه واقتباسه العلم منه بريء من ان يباشر ما فيه غمز في الدين وانه لا
بد لما يستبهم ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم قرئ فلا تسألني بالنون الثقيلة بعني من
شرط اتباعك اياي ان لا تسألني اذا رأيت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فحينئذ انكرت في نفسك
ان لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من آداب المتعلم مع العالم وما
والمتبوع مع التابع فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال اهلها هما من اللصوص
فقال صاحب السفينة اري وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لجوا اخذ الخضر
الناس لخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها
لتغرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد وليغرق اهلها من غرق واهلها مرفوع جئت شيئا امرا اثبت
شيئا عظيما من امر الامر اذا اعظم قال داهية دهياء اذا امرا بما نسيت الذي نسيته او شيء نسيته او بنسياني

قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا
زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا قال إن سألتك عن شيء بعدها

٢٦

اراد نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي او اخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه
انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقي بها الكذب مع التوصل الى الغرض
كقول ابراهيم عليه السلام هذه اختي واني سقيم او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك او لا ترهقني
يقال رهقه اذا اغشيه وارهقه اياه اي ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه اياه يعني علي متابعتك ويسرها
علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين فقتله قيل كان يقتله فتل عنقه وقيل ضرب
برأسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين فان قلت لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة
خرقها بغير فاء وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفاء قلت جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة
الشرط معطوفا عليه والجزاء قال أقتلت فان قلت فلم خلف بينهما قلت لان خرق السفينة لم يتعقب
الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام وقرئ زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب احتمالا لها ظاهرا عنده
لانه لم يرها قد اذنبت وانما لانها صغيرة لم تبلغ الحنث بغير نفس يعني لم تقتل نفسا فتقتص منها وعن ابن
عباس رضي ان نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلعم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت
من حال الولدان ما علمه عالم موسى عليه السلام فلك ان تقتل نكرا بضمتين وهو المنكر قيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة
اهون من اغراق السفينة وقيل معناه جئت شيئا انكر من الاول لان ذاك كان خرقا يمكن تداركه بالسد
ولا سبيل الى تداركه فان قلت ما معنى زيادة لك قلت زيادة المكافحة بالعتاب على رفض
الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية بعدها بعد هذه الكرة او المسألة فلا تصاحبني فلا تقارني
وان طلبت صحبتك فلا تنل يعني على ذلك وقرئ فلا تصحبني فلا تكن صاحبي وقرئ فلا تصحبني
اي فلا تصحبني اياك ولا تجعلني صاحبك من لدني عذرا قد اعتذرت وقرئ لدني بتخفيف النون ولدي
بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله صلعم رحم الله اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر عجبا عاجيب اهل قرية هي انطاكية وقيل
الابلة وهي التي ارض الله من السماء ان يضيفوهما ويقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من
ضاف السهم عن الغرض ونظيره زار من الازورار واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه وعن النبي صلعم
كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه يريد ان
ينقض استعيرت الارادة للمحاذاة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي في همه قلقت
به هاماتها قلق النؤس اذا اردن نهولا وقال يزيد الرقي صدرك في براء ويعدل عن دماء بني عقيل
وقال ابن حسان ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وسمعت من يقول عزم السراج ان يطفأ

فاقامه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه
صبرا اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة
غصبا اما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا

وطلب ان يطغاه وان كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد والاباء
لولا العقل والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل مجازا بالارادة قال اذا قالت الانسان للبطن
الحق تقول سني للنواة طحني لا ينطق الا وحي ينطق العود وشكى الى بعبرة وتحمحم فان يك ظني صادقا
وهو مراد ولما سكت عن موسى الغضب تردد مارد وعز الابلق ولبعضهم يا من على اجفانه اغفاءة هم
اذا انقاد الهموم تمردا ابت الروادف والثدي لقمصها مس البطون وان تمس ظهورا قالتا اتينا
طائعين ولقد بلغني ان بعض المجبرة غير الكلام الله بمن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لانه ما كان فيه من آفة
الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة ادناه منزلة فتحمل ليرده الى ما هو عنده اصح واصح وعنده ان ما
كان ابعد من الحجاز كان ادخل في الاعجاز والنقض اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو النقض مطاوع
قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ لينقض من النقص وان ينقاض من
انقاضت السن اذا انشقت طولا قال ذو الرمة منقاض ومنكتب بالصاد غير معجمة فاقامه قيل
اقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل اقامه بعود عمد به وقيل نقضه ونقاه
وقيل كان طول الجدار في السماء مائتي ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لدتهما
الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما راى من الحرمان
ومساس الحاجة ان قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا وطلبت على عملك جعلا حتى نعتاش به وتسد رمق به
الضرورة وقرئ لتخذت والثانية تخذ اصل كاتزر تبع واتخذ افتعل كاتبع من تبع وليس من الاخذ في
شيء فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت قد تصور فراق بينهما عند طول ميعاده على ما قال
موسى عليه السلام ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فاشار اليه وجعله مبتدأ واخبر عنه كما تقول هذا الذي
فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز ان يكون اشارة الى السؤال الثالث لان هذا الاعتراض سبب
الفراق والاصل هذا فراق بيني وبينك وقرأ به ابن ابي عبلة فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف
الى المفعول به لمساكين قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وراءهم
امامهم كقوله ومن ورائه يوم عصيب وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبر فاعلم الله به
الخضر وهو جلندى فان قلت قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتاخر
عن السبب فلم قدم عليه قلت النية به التاخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو
السبب وحده ولكن مع كونها لمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وقيل في قراءة ابي وعبد الله كل سفينة
صالحة قرأ الجحدري فكان ابواه مؤمنان على ان كان فيه ضمير الشان فخشينا الذي هو فخشينا طغيانا

قال رح
يعني اذا الظن يتعلق بالطرفين المبتدا والخبر
جميعا كما ان التعليق فاردت ان اعيبها يتعلق بالمسكنة
والغصب فتوسطه بينهما كتوسط الظن بين
المبتدا والخبر

وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في
المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة

وكفرا فخشينا ان يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق
بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطفل كافرا ويعديهما
بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله
تعالى اعلمه بحاله واطلعه على سرائره وامره اياه بقتله كاختراعه لمفسدة في حيوته وفي قراءة ابي فخاف
ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله
بمعنى فكرهنا كقوله لاهب لك قرئ يبدلهما بالتشديد والزكوة الطهارة والنقاء من الذنوب
والرحم الرحمة والعطف فروي انه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة
من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما وقيل اسما الغلامين
اصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحسين فاختلف في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة
وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف
يتعب وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يوقن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف
الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر
اطلاقه انه مال وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا
اراد قوله والذين يكنزون الذهب والفضة الاية وكان ابوهما صالحا اعتداد بصلاح ابيهما وحفظ
لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وعن الحسين بن
علي رضي انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بحفظ الله الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فانبي
وجدي خير منه فقال قد انبأنا الله انكم قوم خصمون رحمة مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك
لانه في معنى رحمهما وما فعلته وما فعلت ما رايت عن امري عن اجتهادي ورايي وانما فعلته بامر الله
ذو القرنين هو الاسكندر المشهور الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان
وكافران نمرود وبخت نصر واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة
والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى سار النور من امامه ويحوطه الظلمة من ورائه
وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر رضي انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم
غفرا اما رضيتم ان تسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة وعن علي رضي سخر له السحاب
ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال احب الله فاحبه وسأله ابن الكواء ماذا ذو القرنين
املك ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه

إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا فأتبع سببا حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين
حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا قال أما من ظلم

بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم إلى التوحيد
فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي صلعم سمي القرنين لأنه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها و
قيل كان له قرنان يعني ضفيرتان وقيل القرن في وقته قرنان من الناس وعن وهب أنه ملك الروم
والفارس وذوي القرنين والترك وعنه كانت صفحتا رأسه من نحاس وقيل كان له قرنان وقيل
كان على رأسه ما يشبه القرنين ويجوز أن يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كأنه ينطح أقرانه
وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسائلون هم اليهود سألوه على جهة الامتحان وقيل سأله
أبو جهل وأشياعه والخطاب في عليكم لأحد الفريقين من كل شيء من أسباب كل شيء أراده من أغراضه ومقاصده في
ملكه سببا طريقا موصلا إليه والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة فأراد بلوغ المغرب
فأتبع سببا يوصله إليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فأتبع سببا وأراد بلوغ السدين فأتبع سببا وقرئ
فأتبع قرئ حمئة من حميت البئر إذا صارت فيها الحمأة وحامية بمعنى حارة وعن أبي ذر رضي الله عنه
رديف رسول الله صلعم على حمار فرأى الشمس حين غابت فقال أتدري يا أبا ذر أين تغرب هذه قلت الله ورسوله
أعلم قال فإنها تغرب في عين حامية وهي قراءة بن مسعود وطلحة وابن عمر وابن عمرو والحسن وقرأ ابن عباس حمئة
وكلاهما صواب وكان ابن عباس عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن
عمرو كيف تقرأ قال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه إلى كعب الأحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك
نجده في التورية وروي في ثأط فوافق قول ابن عباس وكان ثم رجل فأنشد قول تبع فرأى مغيب الشمس
عند مآبها في عين ذي خلب وثأط حرمد أو في عين ماء ذي طين وحمأة أسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية
لجواز أن يكون العين جامعة للوصفين جميعا كانوا كفرة فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم إلى
الإسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال أما من دعوته فأبى البقاء على الظلم العظيم الذي هو
الشرك فذاك هو المعذب في الدارين وأما من آمن وعمل صالحا بتقييمه الإيمان فله جزاء الحسنى وقيل خير بين
القتل والأسر وسماه إحسانا في مقابلة القتل فله جزاء الحسنى فله أن يجازي المثوبة الحسنى أو فله جزاؤه
الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى فله الفعلة الحسنى جزاء وعن قتادة كان
يطبق من كفر القدر وهو العذاب النكر ومن آمن أعطاه وكساه من أمرنا يسرا أي لا نأمره بالصعب الشاق
ولكن بالسهل الميسر من الزكوة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا
بضمتين وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله كان مجرى الراسيات
ذيولها يريد كان آثار مجرى الراسيات على قدم قيل هم الزنج والستر الأبنية وعن كعب أنهم لم يعمل لهم

بحيث الرياح الراسيات الأنها تجري
والأول أن يقال الأمس وهو التراب
والتقدير كان مجرى الراسيات
لا يصح تشبيهها بالذيول

لدنه خبرا ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين ووجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا
يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم

٢٦٢

أرضهم لا غسل الأبنية وبها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوها فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معايشهم وعن
بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينكم وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فإذا أحدهم
يفرش أذنه ويلبس الأخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس فقال نعم فبينا
نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم أفقت وهم يسجونني بالدهن فلما طلعت الشمس
على الماء إذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار رجعوا إلى البحر فجعلوا يصطادون
دون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من
السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض كذلك أي أمر ذي القرنين كذلك كما وصفناه تعظيما لأمره
وقد أحطنا بما لديه من الجنود والآلات وأسباب الملك خبرا تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا
مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والجنون والأبنية والأكنان من كل جنس والثياب من كل صنف
وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أي كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب
عليهم يعني أنهم كثرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر وإحسانه إلى من آمن منهم بين
السدين بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من
خلق الله فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لأن السد بالضم فعل بمعنى مفعول أي هو مما فعله الله
وخلقه والسد بالفتح مصدر حذف بحذفه الناس وانتصب بين على أنه مفعول به بلوغ كما الجر على الإضافة في
قوله هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في قوله لقد تقطع بينكم لأنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفا وهذا
المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق من دونهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا لا يكادون
يفهمونه إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها كما يفهم الأبكم وقرئ يفقهون أي لا يفقهون السامع كلامهم
ولا يبينونه لأن لغتهم غريبة مجهولة يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وقد يأتي مهموزين وقرأ
رؤبة آجوج وماجوج وهما من ولد يافث وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم مفسدون في
الأرض قيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئا أخضر إلا أكلوه ولا يابسا
إلا احتملوه وكانوا يقتلون منهم قتلا وأذى شديدا وعن رسول الله صلعم في صفتهم لا يموت أحد منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر
من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال جدا طوال الطول وقصار جدا القصر قرئ
خرجا وخراجا أي جعلا تخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم
ما مكني فيه ربي خير مما جعلني فيه مكينا من كثرة المال والبسطة خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة لي إليه
قال سليمان صلوات الله عليه فما آتاني الله خير مما آتاكم قرئ بالإدغام وبفكه فأعينوني بقوة بفعلة و

أي البنائين

اجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا فما اسطاعوا
أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا
حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا

وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات جاءنا حصينا موثقا والردم الكبير من السد من قولهم
ثوب مردم رقاع فوق رقاع وقيل حفر للأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس
المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى ساوى بين الجبلين الى أعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى
اذا صار كالنار صب النحاس على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل
بعد ما بين السدين مائة فرسخ وقرئ سوى وسووى وعن رسول الله صلعم ان رجلا أخبر به فقال
كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته والصدفان جانبا الجبلين
لأنهما يتصادفان أو يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين بضمة وسكون والصدفين
بفتحة وضمة والقطر النحاس المذاب لأنه يقطر وقطرا منصوب بأفرغ وتقديره آتوني أفرغ عليه
قطرا فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وقرئ قال ايتوني أو جيئوني فما اسطاعوا بحذف التاء
للخفة لأن التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا وأما من قرأ بادغام
التاء في الطاء فملاق بين ساكنين على غير الحد أن يظهروه أن يعلوه لأجل علوه لهم فيه من صعوده لارتفاعه
وأما لملاسته ولا نقب لصلابته وثخانته هذا إشارة إلى السد أو هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده
أو هذا الاقتدار والتمكين من تسويته فإذا جاء وعد ربي يعني فإذا دنا مجيء يوم القيمة وشارف أن يأتي جعله
السد دكاء مدكوكا مبسوطا مستويا بالأرض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الأدك المنبسط
السنام وقرئ دكا بالمد أي أرضا مستوية وكان وعد ربي حقا آخر حكاية ذي القرنين وتركنا وجعلنا
بعضهم بعض الخلق يموج في بعض أو يضطربون ويختلطون إنسهم وجنهم حيارى وجول أن يكون الضمير لياجوج
وماجوج وأنهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد وروي يأتون البحر فيشربون ماءه
ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة
ويبث المقدس ثم يبعث الله نغفا في أقفائهم فيدخل في آذانهم فيموتون وعرضنا جهنم وبرزناها لهم فرأوها
وشاهدوها عن ذكري عن آياتي التي ننظر إليها فأذكر بالتعظيم أو عن القرآن وتأمل معانيه وتتبصر
ونحو صم بكم وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني وكانوا صما عنه لأنه أبلغ لأن الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح
به وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع عبادي من دوني أولياء الملائكة يعني أنهم لا يكونون لهم
أولياء كما ظنوا فهم سبحانك أنت ولينا من دونهم وقرأ ابن مسعود رضي أفظن الذين كفروا وقرأ علي رضي أفحسب
الذين كفروا أفكافيهم ويحسبهم أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر أو على الفعل والفاعل لأن اسم الفاعل إذا
اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك أقائم زيد والمعنى أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهي قراءة
أفأحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا

قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا
ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات

محكمة جيدة النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب أليم ضل سعيهم ضاع وبطل
وهم الرهبان عن علي رضي لقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد أهل الكتاب وعن علي رضي الله عنه أن ابن الكواء سأله
عنهم فقال منهم أهل حروراء وعن أبي سعيد الخدري رضي يأتي ناس بأعمال يوم القيمة حتى عندهم في العظم كجبال
تهامة فإذا وزنوها لم تزن شيئا فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزري بهم فلا يكون لهم عندنا وزن ومقدار
وقيل لا نقيم لهم ميزانا لأن الميزان إنما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين وقرئ
فلا يقيم بالياء فإن قلت الذين ضل سعيهم في أي محل هو قلت الأوجه أن يكون في محل الرفع
على هم الذين ضل سعيهم لأنه جواب عن السؤال ويجوز أن يكون نصبا على الذم أو جرا على البدل جهنم عطف بيان
لقوله جزاؤهم الجول التحول يقال جال من مكانه جولا كقولك عادني جمها عودا يعني لا مزيد عليها حتى يزاد فيهم
أنفسهم المراجع لأغراضهم وأمانيهم وهذه غاية الوصف لأن الإنسان في الدنيا في أي نعيم كان فهو طامح الطرف
إلى أرفع منه ويجوز أن يراد نفي التحول وتأكيد الخلود المداد اسم ما يمد به الدواة من الحبر وما يمد به
السراج من السليط ويقال السماء مداد الأرض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا
لها والمراد بالبحر الجنس لنفد قبل أن تنفد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مددا النفد أيضا والكلمات
غير نافدة ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به وعن ابن عباس رضي الله
عنه بمثله مددا وقرأ الأعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمد الكاتب فيكتب وقرئ
ينفد بالياء وقيل قال اليهود أوتينا التوراة فقد أوتينا خيرا كثيرا ثم تقرأون وما
أوتيتم من العلم إلا قليلا فنزلت يعني أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله فمن كان يرجو
لقاء ربه فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول وقد فسرنا اللقاء أو فمن
كان يخاف سوء لقائه والمراد بالنهي عن الإشراك بالعبادة أن لا يرائي بعمله وأن لا يبتغي به إلا وجه ربه
خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني أعمل العمل لله
فإذا اطلع عليه سرني فقال صلعم إن الله تعالى لا يقبل ما شورك فيه وروي أنه قال له لك إن أجر
السر وأجر العلانية وذلك إذا قصد أن يقتدى به وعنه صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الأصغر قالوا
وما الشرك الأصغر قال الرياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا
من قدمه إلى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الأرض إلى السماء وعنه عليه صلوات الله من قرأها عند مضجعه

قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه نور يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملايكة يصلون عليه حتى يقوم ؛
وان كان مضجعه بمكة كان له نور يتلألأ من مضجعه الى بيت المعمور حشو ذلك النور ملايكة يصلون عليه حتى
يستيقظ هذا آخر النصف الاول من الكشاف الباحث عن حقايق التنزيل ودقايق التاويل وقد اتفق
الفراغ من تحقيقه بعون الله وتوفيقه ضحوة يوم الجمعة الرابع من شهر جمادى الاولى سنة تسع وعشرين ؛
وثمانمايه على يد العبد الفقير الوقير المتوسل بغفران الصمد محمد بن شجاع الدين بن عمر
الخلنشاهي الجوريدي تاب الله توبة نصوحا ويرحمه عبدا قال آمينا وغفر الله
له ولوالديه ولاستاديه جميعا وللمومنين والمومنات والمسلمين
والمسلمات بحرمة النبي الهاشمي القرشي التهامي محمد وآله
الطيبين وصحبه الطاهرين اجمعين بقدرته
زد من قرى حلفان صانها عن الافات
والحدثان ووفق اهلها على
الطاعات والاحسان

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı: Fatih
Yeni No.:
Eski Kayıt No.: 385